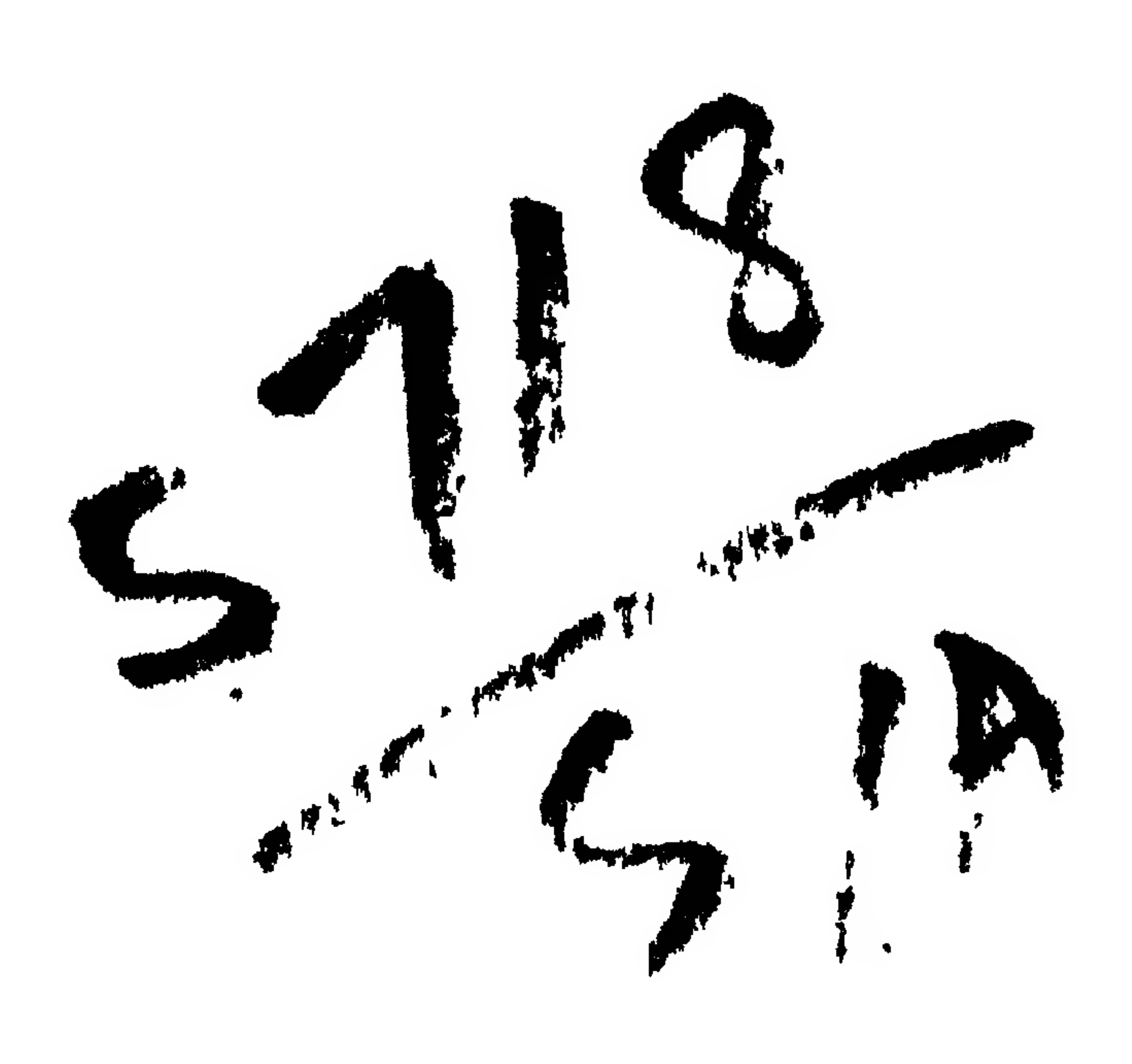
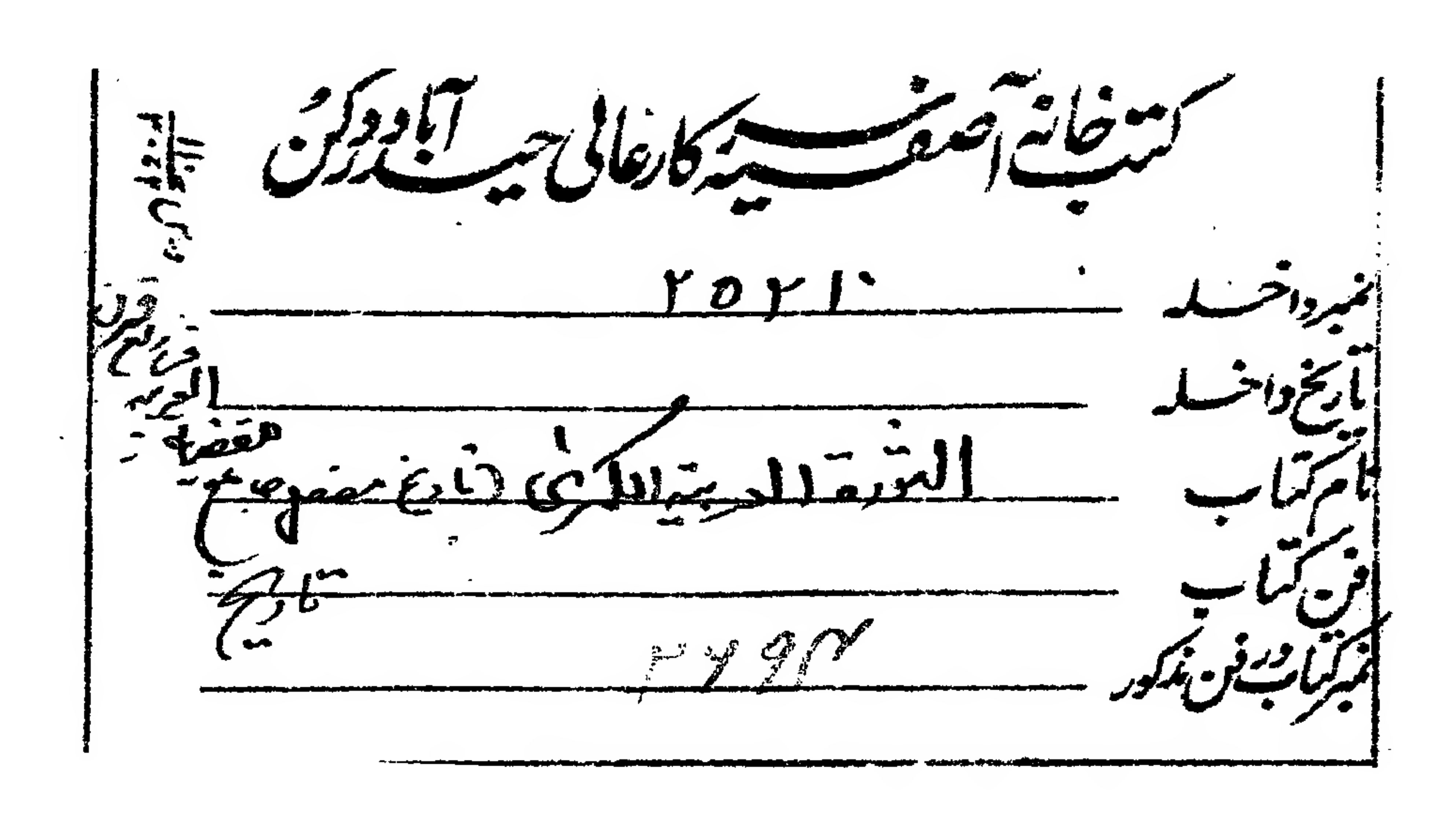




بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه العربي وعلى اخوانه المرسلين وصحابته والتابعين

اما بعد فهذا هو المجلد الثالث من كتاب الثورة العربية الكبرى ويحتوى على تاريخ القضية العربية فى الفترة الممتدة من سنة ١٩٢١ حتى سنة ١٩٣٤ ففيه بسط واف لتاريخ امارة شرق الأردن مع بيان مفصل عن القضية الفلسطينية والوطن القومى اليهودى وعن سعى انكلترا لتصفية عهودها المقطوعة للحسين ورفضه الحلول التى اقترحتها، وانهيار الدولة الهاشمية فى الحجاز وقيام الدولة السعودية ويتلو ذلك تفصيل ما حدث فى بلاد الشام من احداث فتجد اخبار الثورة السورية الكبرى مفصلة الى جانب تاريخ النضال السياسى الداخلى سحابة هذه الفترة الطويلة بين السوريين والفرنسويين ـ اقدمه للقراء وارجو ان ينال قبولهم ورضاءهم والله الموفق والمستعان

الثورة العربية الكبرى

تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن

تأليف

أمين سعيد

المجلد الثالث

إمارة شرق الأردن وقضية فلسطين وسقوط الدولة الهاشمية وثورة الشام

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه

١

امارة شرقي الاردن

١

نشأة امارة شرقى الاردن

لماذا جاء الأمير عبد الله الى معان ؟

كان تسلسل الحوادث التاريخى يقضى علينا أن نشير فى الجزء الثانى الى قدوم الأمير عبد الله بن الحسين الى معان فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٠ واجتماع الناس حوله وماقيل عن رغبته فى طلب الثأر والزحف على دمشق مما كان له صدى بعيد الغور ، بيد أن اشتباك حوادث سورية بحوادث العراق وارتباطهما جعلنا نمضى فى سرد أخبار الثورة العراقيـة حتى نهايتها . ثم نعود الى الكلام عن امارة شرقى الأردن فنفصل أخبارها مع ايراد تاريخ القضية الفلسطينية لارتباطهما ارتباطا وثيقا

ولا يخفى أن المؤتمر العراقى العام المعقود فى دمشق يوم ٨ مارس سنة ١٩٢٠ نادى باستقلال العراق وبانشاء دولة دستورية فى ربوعه وبايع الأمير عبد الله بالملك عليها وأقام الأمير زيدا نائبا عن أخيـه عبد الله ريثما يحضر ويباشر العمل . وقد عارضت الحكومة البريطانية فى تنفيذ ماتقرر وكانت تحتل العراق احتلالا عسكريا ، فقد زار الأمير عبد الله القاهرة فى شهر ابريل سـنة ١٩٢٠ وقضى فيها أياما فاتصل باللورد اللنبى المندوب السامى البريطانى يومئذ وأقطاب الانـكليز وباحثهم فى قضية العرش العراقى فأشاروا عليه بالرجوع الى مكة وردوه ردا لطيفا معتذرين بأن أوان البحث لانشـاء عرش فى العراق لم يأن والواقع أن الانـكليز ما كانوا حتى تلك الأيام يفـكرون فى انشاء عرش عربى فى العراق ، أو التسليم بحقوق العراقيين وانما كانت سياستهم تدور حول انشاء حـكومة استعمارية يرأسها السر برسى كوكس وتلحق بحكومة الهند الانـكليزية وتـكون من جملة مقاطعاتها ولولا نهضة العراق واستبسال أبنائه لنفذت تلك الخطط ، ولحدث هنا ماحدث بعد ذلك فى الشام وفلسطين وشرقى الأردن ولا يزال قائما وشاهدا

وعاد الأمير عبد الله من القاهرة الى مكة فتقلد منصبه القديم فى الحكومة الحجازية وهو وزارة الخارجية فحدث خلاف بينه و بين والده فى شهر يونيو سنة ١٩٢٠ على ادارة المحاجر الصحية فى الحجاز فقد طلبت الحكومة البريطانية أن تكون مسئولة عن هذه المحاجر وأن لايقام محجر فى جزيرة أبى سعد (المناوحة لجدة) بل يكتفى بمحجر جزيرة قران الانكليزى فينزله الحجاج القادمون من الهند وجاوة على أن يعاين فى جزيرة أبى سعد الحجاج الوافدون بطريق السويس معاينة صحية وأن تمثل الحكومة الانكليزية الحجاز فى مجلس الكرتينات والصحة الدولى لقاء عوض مالى تدفعه لحكومة مكة سنويا

وأبى الحسين قبول هذا الاقتراح فكتب اليه اللورد اللنبي كتابا خاصا يرجوه تنفيذه فأصر على الرفض فهدد الكولونيل فيكرى مندوب انكلترا السياسى فى جدة الحكومة الحجازية باحتلال جزيرة أبى سعد بحريا فكتب الحسين الى اللورد اللنبى محتجا فأقيل المعتمد . واعتزل الأمير على أثر هذا الحادث العمل فى الوزارة ولزم منزله فى مكة نحو شهرين

ثم غادر مكة الى المدينة ولم يطل الاقامة فيها بل قصد معان ، وكانت تابعة للحجاز فبلغها فى شهر سبتمبر واستقر فيها فأثار قدومه ضجة شديدة فى بلاد الشام - لأنه وصل ودماء شهداء ميسلون لم تجف والشعب السورى يبكى استقلاله وعرشه ، فاتجهت الأنظار اليه والتف الناس حوله وأسرع بعض الأحرار الذين لجأوا الى فلسطين ومصر بعد الكارثة بالسفر الى معان للعمل مع الأمير القادم والسير تحت رايته

وحشد الفرنسويون قوات كبيرة فى درعا وعلى طول حدود حوران وأنشأوا الخنادق وشحنوها بالمقاتلة وكاتبوا الانكليز واستحثوهم على تأييدهم فى مقاومة حركة الأمير وحصرها فى منطقة ضيقة

٢

شرقی الاردن فی العهد الفیصلی

وضع الجیش العربی الذی کان یقاتل حول معان یده على البلاد الواقعة شرقی نهر الاردن بعد جلاء الترك فی سنة ١٩١٨ وأنشأ فیها حکومة ألحقت بدمشق ولم یعارض الانكلیز فی ماتم وکانوا یحتلون البلاد الواقعة غربی نهرالاردن (فلسطین)

وظلت الأمور سائرة على هذا المنوال ، سحابة الحکم الفیصلی ، فکانت هذه المقاطعة تتبع تلك الحکومة مباشرة نعم ان بعض الضباط والعمال البریطانیین کانوا یبثون دعایة بین سکانها لیحملوهم على طلب الانضمام الى فلسطین کما کان بعضهم یثیر مشکلات للحکومة المحلیة ویشجع العناصر المشاغبة على المطالبة بالانفصال عنها . وظل نطاق هذه الحرکة محدودا فلم یتسع بفضل معالجة حکومة العاصمة له ، وکانت حریصة على ابقاء علاقاتها ودیة مع الانكلیز

ولما دالت الدولة الفیصلیة فی الشام رأى الانكلیز الفرصة سانحة لتحقیق أغراضهم فی هذه المقاطعة وبسط نفوذهم السیاسی علیها ، وهی فی الاصل جزء من المنطقة السمراء (فلسطین) وقد جعلتها معاهدة سایکس ـ بیکو دولیة ثم نفض الفرنسیون یدهم منها فی سنة ١٩١٨ [١] فدخلت فی منطقة النفوذ البریطانی . ولم یجل الجیش الانكلیزی عنها

(١) قال المسیو بریان فی خطبة خطبها فی مجلس النواب الفرنسوی یوم ٢٥ یونیو سنة ١٩٢٠ فی هذا الصدد مانصه : ولقد أثار الانكلیز مسألتی سوریة وفلسطین فی وقت مناسب لهم فقد اختاروا زمنا کثرت فیه مشاغل الحکومة الفرنسویة ومشا کلها الدولیة فخاطب المستر لوید جورج فی مکتبه فی لندن المسیو کلمنصو رئیس الوزارة الفرنسویة وکان یزوره وذلك فی شهر دیسمبر سنة ١٩١٨ واتفقا من دون أن یکون معهما سکرتیر ومن دون أن یدون محضر للجلسة على أن تنال انکلترا فلسطین

« واجتمعا بعد ذلك بسنة و بعد ماظن أنهما تناسیا ما اتفقا علیه ولکن تبین بعد

فى شهر نوفمبر سنة ١٩١٩ حينما جلا عن بلاد الشام الشمالية طبقا لاتفاق سبتمبر سنة ١٩١٩ بين لويد جورج وكلمنصو بل ظل يرابط فيها. وكان أول عمل عملوه فى هذا الباب هو البرقية السرية التى أبرقها السر هربرت صموئيل يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٠ الى الملك فيصل ، وكان فى حيفا يعد معدات السفر الى أوربا وهذه ترجمتها :

القدس ـ دار الحكومة فى ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٠ سرى

صاحب السمو الملكى الامير فيصل

أريد أن أبلغكم أنه بعد حوادث دمشق التى حدثت فى الشهر الماضى زارنى بعض مشايخ شرقى الاردن وطلبوا انشاء ادارة بريطانية ، ووردتنى رسائل من عندهم ومن بعض أعيان السلط بهذا المعنى ولما كان الاتفاق المعقود بين الحكومتين البريطانية والفرنسوية يقضى بأن تكون البلاد الواقعة جنوبى خط سايكس ـ بيكو فى منطقة النفوذ البريطانى لا الفرنسوى فالحكومة البريطانية تميل فى هذه الحالة الى تعيين عدد قليل من الضباط لمساعدة أهل شرقى الاردن على تنظيم حكومتهم ووسائل الدفاع عنها ولذلك دعوت زعماء البلاد من عجلون شمالا الى الطفيلة جنوبا لمقابلتى فى السلط يوم السبت القادم للمشاورة فى الامر» وعملا بما جاء فى برقيته غادر القدس يوم الجمعة ٢٠ أغسطس قاصدا اريحا والسلط وفى ظهر يوم السبت ٢١ منه وقف فى دار حكومة السلط وخطب شيوخ البلاد الخطبة الآتية :

زارنى فى القدس على أثر حوادث دمشق الأخيرة عدد كبير من المشايخ والأعيان من شرقى الاردن وتلقيت رسائل من سواهم ومن بعض أعيان السلط وقد طلبوا منى أن أوسع نطاق الادارة البريطانية حتى تشمل بلادهم ولا يخفى عليكم أن الحكومة

ذلك العكس فقد أرما ذاك الذى ظن أنه افتراض وذلك أن المستر لويد جورج دعا الى اجتماع عقد فى غرفته بشارع بدنو حضره الرئيس ولسن وعدد من المستشارين الفنيين ووزير الخارجية الفرنسوية وتكلم هذا عن اتفاقات سنة ١٩١٦ فاعترض عليه المستر لويد جورج قائلا : ان هذه الاتفاقات عدلت فقد وعدونى بالتنازل عن الموصل وفلسطين فلم يعترض عليه أحد

« ص ١٥٥ ـ ١٥٦ من كتاب « Comment la France s'est installée en Syrie »

البريطانية والحكومة الفرنسوية اتفقتا من مدة طويلة على أن هذه البلاد داخلة فى منطقة نفوذ بريطانيا وغير داخلة فى منطقة النفوذ الفرنسوى وقد تلقيت من أيام تلغرافا من لندن جاء فيه أن الحكومة الفرنسوية جددت عهدها بأنها لاتروم التعرض لأمور هذه الجهات بوجه من الوجوه . ولما كانت الحكومة الفرنسوية قد وطدت نفوذها فى دمشق فمن الضرورى فصل هذه الجهة عن حكومة دمشق

« ورب قائل يقول وما هو نوع المساعدة التى تساعدكم بريطانيا بها فأقول انها لاتنوى أن تدخلكم فى النظام الحالى لحكم فلسطين بل تنشئ لكم إدارة منفصلة عن فلسطين تساعدكم على أن تحكموا أنفسكم بأنفسكم وترسل نفرا من الضباط السياسيين تختارهم من العادلين الخبيرين بأعمال الادارة والذين يعرفون الأهالى واللغة العربية وبعضهم تعرفونهم حق المعرفة فيقيمون فى المدن الكبرى فى هذه الجهات ويساعدونكم فى تنظيم أمور الدفاع اذا هاجمكم مهاجم من الخارج وفى تنظيم البوليس المحلى الذى يحافظ على الامن والنظام وينشطون التجارة ويعززون السلام ويساعدونكم على اجراء العدل وعلى انفاق الضرائب التى تجبى منكم على سد حاجاتكم ويستشيرونكم فى الوجوه التى ينفق مال الضرائب فيها واصلاح الطرق وتمهيدها وبناء المدارس وتدبير الاسعاف الطبى

« وتطلق حرية الاتجار مع فلسطين ويمون أهل البلاد الواقعة شرقى الاردن بالبترول والأرز والسكر وغيرها من الحاجيات كما يمون أهل فلسطين بها ونطلب منكم أن تمنعوا اصدار هذه الأشياء التى هى قليلة فى العالم الى بلدان أخرى غير بلدانكم وسنسهل لكم السبيل لبيع ماتريدون بيعه وسنتخذ التدابير فى الحال لفتح بنك لمساعدة التجارة وسنسهل المواصلات البريدية مع فلسطين وسواها ونمدكم بالمشورة الفنية فى فتح الطرق وغيرها من الأمور التى تهمكم

« أما الموظفون الذين يشتغلون بأعمال الحكومة تحت ادارة العدد اليسير من الضباط البريطانيين فيعين من أهل هذه البلاد كل من يمكن تعيينه منهم ولا يكون عندكم تجنيد اجبارى ولسنا ننوى نزع سلاحكم ولكن لايسمح بنقل الأسلحة الى فلسطين طبقا لما هو متبع الآن فاذا كنتم ترغبون فى مساعدة البريطانيين لكم فهذا خير شكل للمساعدة

« وسيكون فى رأس التعليمات العمومية التى تصدرها الحكومة البريطانية للضباط فى هذه الجهات مساعدة الأهالى ليحكموا أنفسهم والمحافظة على مبادئ النزاهة والعدل التى هى شارات الحكم البريطانى فى جميع أنحاء العالم وأساس الحكم الحسن الصحيح. وعسى أن تكون نتيجة هذا الاجتماع رفاهية ورخاء لبلادكم التى أسأل الله القادر على كل شئ أن يسبغ عليها وعلى سكانها البركات »

الحكومات الثلاث الجديدة

وعاد المندوب الى القدس وتفرق الشيوخ فى قراهم ومدنهم ودخلت البلاد رسميا تحت الحماية البريطانية وألحقت بالمندوب السامى لحكومة فلسطين . وقامت من جراء هذا التبدل ثلاث حكومات فى شرقى الاردن منفصلة بعضها عن بعض :

١ ـ حكومة عجلون

٢ ـ حكومة السلط وعمان

٣ ـ حكومة الكرك

وكان لكل حكومة من هذه الحكومات مستشار بريطانى خاص ، فالميجر سمرست هو مستشار الأولى والكبتن برنتن مستشار الثانية والمستر كركبرايت للثالثة : وتولى الميجر بيك ادارة الدرك فأدى هذا الانقسام الى زيادة الفوضى وانتشارها

وأسرع شيوخ عجلون فعقدوا يوم ٢ سبتمبر سنة ١٩٢٠ بينهم وبين الميجر سمرست (اللورد رجلان بعد ذلك) معاهدة بالاضافة الى الحكومة البريطانية تحدد علاقاتهما تحديدا صريحا وهى بشكل أسئلة وجهوها اليه وأجابهم عليها وتسمى معاهدة أم قيس وهذا نصها :

معاهدة ام قيس

١ ـ نوافق على انشاء حكومة عربية مستقلة تحت انتداب بريطانيا . وأما بخصوص ضم حوران والقنيطرة ومرجعيون الى حكومتكم الجديدة فهذا طلب لا يستطاع نجحه فى الوقت الحاضر بل سيكون تقديمه والسعى فيه لدى مندوب ونائب جلالة ملك بريطانيا العظمى بفلسطين

٢ ـ طلبكم أميرا عربيا لهذه الحكومة فهذا الطلب أيضا سيخابر به فخامة المندوب السامي ليسعى لتحقيقه لدى جمعية الأمم

٣ ـ بخصوص تأليف مجلس عام لهذه الحكومة فهذا الطلب سيقدم الى المندوب السامي ويصادق عليه بعد استشارة أهل الكرك والسلط

٤ ـ لاعلاقة البتة بين حكومة هذه البلاد وحكومة فلسطين

٥ ـ منع الهجرة الصهيونية ومنع بيع الأراضي لليهود عائد لحكومة البلاد

٦ ـ توافق الحكومة البريطانية على تأليف جيش وطني لهذه البلاد وزيادته عند اللزوم اذا وافق عليه أهل السلط والكرك

٧ ـ لاتوجد فى الوقت الحاضر فكرة نزع السلاح أما اذا أرادت الحكومة الوطنية ذلك فى المستقبل فالأمر لها

٨ ـ لايكون تسليم أى فرد كان من المجرمين السياسيين اللاجئين الى هذه المنطقة بتاتا ولا يطالب أحد من الأهالى بجرم سياسى سابق أو خلافه

٩ ـ تكون التجارة حرة بين هذه المنطقة وفلسطين وتجرى المخابرة بخصوص جعلها حرة مع باقى الحكومات المجاورة لها وستعطى حقها من ايرادات الجارك وقد يمكن أخذ جانب منها لوفاء الدين العام

١٠ ـ سيكون الخط الحجازى بين درعا ـ سمخ تابعا لحكومة الشام . أما بين درعا ـ المدينة فقيد المذاكرة

١١ ـ للحكومة الوطنية الحق فى اتخاذ أى شعار كان

١٢ ـ تقدم الحكومة البريطانية السلاح وغيره للحكومة المحلية بثمن حسب اللزوم

١٣ ـ تراجع جمعية الأمم بشأن انتداب بريطانيا لسورية

تلك هى الأسس التى تم الاتفاق عليها فى عجلون وتأسست بموجبها حكومتها المحلية وقد كان المظنون أن انشاء هذه الحكومات يساعد على توطيد الأمن والنظام فانعكست الآية وانتشرت الفوضى وساءت الحالة فأقلق ذلك العقلاء من أهل البلاد كما أخاف الفرنسويين وهم يجاورون هذه البلاد من شمالها والانكليز ويجاورونها فى فلسطين من غربها

٣

الامير عبد الله فى عمان والقدس

اجتماعه بالمستر تشرشل واتفاقه معه ـ انشاء الحكومة الجديدة

ثلاثة عوامل جوهرية عملت فى تكوين أمارة شرقى الاردن :

١ ـ رغبة الانكليز فى ارضاء بيت الشريف خاصة والعرب عامة ولا سيما بعد نكبة الشام وخروج فيصل منها ذلك الخروج الذى آلم كل عربى وجعله ينفر من الحلفاء ويسىء الظن فيهم

٢ ـ اضطراب الحالة فى داخل بلاد شرقى الاردن واختلاف حكوماتها المحلية وتنازعها وظهور بوادر تنذر بحرب أهلية وبخراب عاجل

٣ ـ وجود الأمير عبد الله فى معان على حدود البلاد الجنوبية واتصاله برجالها وشيوخها وانتشار دعاته بين قبائلها وفى مدنها وما قيل يومئذ عن وجود قوات كبيرة معه تستعد لطرد الانكليز منها والوصول الى الشام ومنازلة الفرنسويين والانتقام منهم مما أقلق هؤلاء وهؤلاء وجعلهم يفكرون فى ابتكار وسيلة تريحهم من مشكلة جديدة توشك أن تواجههم

وهنالك اعتبارات شخصية لابد أن نحسب حسابها وفى مقدمتها نقمة الأمير عبد الله الشخصية على الانكليز لانهم حالوا بينه وبين السفر الى العراق وتسنم العرش الذى اختاره العراقيون له واصرارهم ـ حتى ذلك الوقت على انشاء نظام حكم استعمارى وقيام الثورة فى العراق واضطرامها وقد لاقوا الأمرين منها وكانوا ابان ظهور الأمير على حدود فلسطين الجنوبية يسوقون القوى لاخمادها ويدرسون الوسائل للتخلص منها

بهذه الاعتبارات اخذ الانكليز يحذرون الحركة الجديدة ، ويعدلون عن قمعها بالقوة ويسعون لحلها حلا سلميا بعد ما عجزوا عن اقناع الامير بالرجوع الى الحجاز فقد ارسلوا اليه أحد كبار الموظفين ليقنعه بالعودة من حيث أتى فأبى فرأوا أن يتربصوا

ويعملوا على حصر الحركة فى نطاق محدود فلا تنبثق عن مشكلة يعسر حلها

ووصل الملك فيصل فى تلك الأثناء الى لندن (ديسمبر سنة ١٩٢٠) أى بعد وصول الأمير عبد الله الى معان بشهرين تقريبا ، واتصل بولاة الأمور الانكليز وأقطابهم وحادثهم وتناول فى أحاديثه احداث العراق والشام ، فضرب الانكليز أخماسا فى أسداس فرأوا أن مصلحتهم هى فى الاتفاق مع العرب وفى العودة الى التعاون مع بيت الشريف لما يوفره عليهم هذا التعاون من نفقات واعباء . وهكذا وافقت وزارة المستعمرات مبدئيا على انشاء عرش فى العراق يتبوؤه فيصل وامارة فى شرقى الأردن يتقلدها عبد الله فأرضت بذلك الأخوين كما أرضت والدهما وجمهورا كبيرا من العرب وقد عدوا هذا العمل شبه ترضية للأمة العربية التى جاراها الحلفاء فى نهاية الحرب العظمى جزاء سنمار وقلبوا لها ظهر المجن وعاملوها باسوأ مايعامل حليف حليفه

وأزمع المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية يومئذ السفر الى الشرق الأدنى للاتصال بممثلى السلطة البريطانية بعد ما أصدر التعليمات اللازمة للمباشرة بتنفيذ هذين المشروعين الخطيرين فوصل الى القاهرة يوم ٩ مارس سنة ١٩٢١ وقضى فيها أياما اجتمع فى خلالها مليا بالوفد العراقى ثم سافر الى القدس للنظر فى ما ينتظره هنالك

الامير عبد الله فى عمان

بينما كان المستر تشرشل يستعد للنزول الى البر فى الاسكندرية يوم ٩ مارس سنة ١٩٢٠ قادما من انكلترا كان الأمير عبد الله يركب قطارا خاصا أعد له ليسافر الى عمان فبلغها يوم الأربعاء ٨ منه بعد ماتوقف قطاره فى محطة القطرنة حيث احتشد شيوخ الكرك وزعماؤها للترحيب به ورافقه بعضهم فى قطاره . واستقبل استقبالا رسميا حين وصوله وكان بين الذين جاءوا لتهنئته المستر كركبرايت المعتمد البريطانى هنالك وقد زاره زيارة رسمية

وأقامت له البلدية فى المساء حفلة تكريم خطب فيها كثير من الخطباء ثم خطب فقال : « ان الله لايترككم ولايتخلى عنكم ولايزال فيصل يجاهد لأجل مجدكم و بلادكم وله فى الغرب أصدقاء لهم نفوذ وهم يسعون فى تحقيق أمنيته وأمنيتكم وآمالى عظيمة بأن

لايرجع خائبا . واذا حان الوقت المرهون للزحف فلا أريد سوى السمع والطاعة فان أمرتم بالتقدم تتقدمون أو بالتأخر تتأخرون

« يطلب منى فى هذاالموقف الشيخ كامل القصاب ـ أحد خطبائكم ـ العهد فاعلموا أنه ماجاء بى الا حميتى وماحل والدى من العبء الثقيل ، فأنا أدرك الواجب على ولو كان لى ٧٠ نفسا لبذلتها فى سبيل الأمة ولما عددت انى فعلت مايذكر »

وفى يوم ٢٧ منه غادر عمان الى القدس فاستقبله فى السلط المستر ستورس السكرتير الشرقى لدار المندوب السامى سابقا وحاكم القدس فى تلك الأيام ورافقه فى سفره فاستقبل حين وصوله استقبالا شعبيا باهرا كما استقبل استقبالا رسميا كبيرا وحل على الحكومة ضيفا فى مقرها وفى يوم ٢٨ منه وصل المستر تشرشل الى القدس فاجتمع به اجتماعا رسميا طويلا دام ثلاث ساعات تم الاتفاق فيه على الأسس التى تبنى عليها الامارة الجديدة وغادر الأمير القدس فى الغداة الى عاصمته الجديدة للبدء فى العمل

قواعد الاتفاق

هذه هى الشروط الشفهية التى تم عليها الاتفاق فى القدس بين الأمير والوزير يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٢١ خلال اجتماعهما :

١ ـ تؤسس حكومة عربية وطنية فى شرق الأردن برئاسة الأمير عبد الله
٢ ـ تكون هذه الحكومة مستقلة استقلالا اداريا تاما
٣ ـ تساعدها بريطانيا ماديا لتوطيد الأمن
٤ ـ تسترشد برأى مندوب بريطانى يقيم فى عمان
٥ ـ يحافظ على حدود سورية وفلسطين من كل اعتداء
٦ ـ تنشىء بريطانيا مركزين للطيران فى عمان والجيزة
٧ ـ تتوسط بريطانيا لتحسين العلاقات بين الأمير عبد الله والسلطة الفرنسوية فى سوريه

انشاء الحكومة الجديدة

بعد الأمير فى عمان على الأثر وبدأ بانشاء الحكومة الجديدة فعين رشيد طليع

مشاورا للأمور السياسية والادارية وأمين التميمى مشاورا للحقوق والنافعة وحسن الحكيم مشاورا للمالية . على أن انشاء الحكومة نهائيا لم يتم الا فى شهر يوليو سنة ١٩٢١ ففى يوم ٢ منه تألفت الحكومة بكامل هيئتها على المنوال الآتى :

رشيد طليع كاتبا اداريا ورئيسا لمجلس المستشارين والأمير شاكر بن زيد لأمور العشائر ومظهر رسلان للمالية مع اضافة مستشارية العدلية والصحة والمعارف لعهدته ، ورشدى الصفدى للأمن العام وغالب الشعلان مستشارا للقيادة العليا

الانكليز والامارة الجديدة

وفى يوم ١٨ ابريل سنة ١٩٢١ زار السر هربرت صموئيل المندوب السامى لحكومة شرق الأردن عمان زيارة رسمية وألقى أمام سرادق الأمير عبد الله على جمهور كبير من الشعب خطبة ضافية بسط فيها سياسة حكومته ازاء الامارة الجديدة فقال :

أسعدنى الحظ بأن قابلت فى دار الحكومة بالقدس صاحب السمو الأمير عبد الله حينما زار فلسطين هو والمستر تشرشل أحد أعضاء الوزارة البريطانية . والحكومة البريطانية تسر بفرصة التعاون مع الأمير عبدالله فى البلقاء وتثق بصداقته وحسن نيته كل الثقة وتقدر الصداقة وحسن الثقة اللتين امتحنتا فى هذه الحرب الضروس الطويلة حق قدرها وتدرك الخدمات التى قامت بها الجيوش العربية فى ذلك النضال وتقدرها حق قدرها وترغب فى أن التحالف الذى نشا فى أثناء الحرب توثق عراه فى أيام السلم

يساعد الموظفون البريطانيون فى ادارة ماوراء الأردن من شهر أغسطس الماضى وسيظلون يعملون كمستشارين للأمير وموظفيه من قبلى فى جميع أنحاء البلاد المختلفة . وسيجد سموه فى المستر ابرامسون كبير المندوبين البريطانيين موظفا ذا مقدرة وخبرة عظيمة هو وجميع الموظفين المشتركين معه فى طول هذه البقعة وعرضها رجال يعطفون على الشعب ويميلون الى آداب اللغة العربية وسيتمكنون من المساعدة على زيادة ترقية البلاد وسيفرغ قصارى الجهد لندبر كلما تحتاجون اليه لفتح أسواق فلسطين لحاصلات بلادكم وتسهيل نقلها اليها وسينظر بعين العناية فى حاجة أهل البلاد التى نحن فيها على اختلاف طبقاتهم سواء كانوا من سكان المدن أو الفلاحين أو قبائل العرب حبا فى زيادة

هنائهم و بحسب حاجاتهم المتعددة ولادراك ذلك يجب أن تكون المحافظة على النظام والأمن العام فى المقام الأول من الأهمية ويؤمل أن يحتفظ بقوة احتياطية تكون أكثر كفاءة وأشد حولا مما كانت الحالة من قبل وتستخدم مع الجندرمة فى توطيد سلطة الأمير عبد الله والحكومة المحلية ويسرنا أن نلبي رغبات الأمير عبد الله فنقدم عند الضرورة طيارات وسواها من المعونة الفنية لأغراض محلية وستؤول هذه التدابير الى استتباب السكينة فى المقاطعات وتمكن أيضا من اتخاذ التدابير لكبح جماح كل من يعكر صفو الأمن فى الأراضى المجاورة غربا وشمالا

والحكومة البريطانية مصممة على أن لاتصير بلاد شرقى الأردن مركزا للعداء سواء كان لفلسطين أو لسورية ونحن نعلم أننا فى اخراجنا هذا التصميم الى حيز الفعل نستطيع الاعتماد على معونة الأمير عبد الله ومن بواعث الارتياح الشديد لحكومة جلالة الملك أن تجد نفسها متحالفة مع ممثلى الشعب العربى فى جميع البلدان العربية . ومن البراهين الأخرى على ضمان هذا التحالف ودوام مدته سياسيا فى البلقاء وجودى بينكم اليوم ممثلا لجلالة الملك جورج وانى أرجو أن يتخذ من التدابير منذ الآن مايرفع هذه البلاد الى مستوى من اليسر والرخاء لايقل عنه فى البلاد المجاورة أو عما كان عليه فى الأزمان الغابرة

فأجاب الأمير عبد الله بما يأتى : أشكر سعادتك على خطابك الرقيق وأقول بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن الحاضرين انى واثق بأن الأمة العربية تبرهن على أنها خليقة بتحقيق كل ماوضع فيها من الآمال بمساعدة حليفتنا العظمى وانى أطلب من الله أن يحفظ الملك جورج والملك حسينا ويطيل سعادتهما

٤

شرقى الاردن والانتداب البريطانى

والمفاوضات لتنظيم علاقتها ببريطانيا

أدمجت بريطانيا شرقى الاردن فى فلسطين فى صك الانتداب الذى قدمته الى مجلس جمعية الأمم وأقره هذا فى جلسته يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ فشملها الانتداب البريطانى رسميا . ولما كان صكه ينص على جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود طبقا لوعد بلفور فقد أرسلت الحكومة البريطانية يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٢٢ مذكرة رسمية الى جمعية الأمم باستثنائه من هذا الوعد قالت فيها

تطلب حكومة جلالة الملك من مجلس جمعية الأمم وفقا لشروط المادة ٢٥ من صك الانتداب لفلسطين[١] أن يقرر ما يأتى :

« لاتطبق المواد الآتية من نظام الانتداب الفلسطينى فى القطر المعروف بشرقى الأردن الذى يشمل جميع المقاطعات الواقعة الى شرق خط ممتد من نقطة واقعة على خليج العقبة على بعد ميلين الى غرب مدينة العقبة مارا بمنتصف وادى عربة والبحر الميت ونهر الاردن حتى المنطقة التى يلتقى بها هذا النهر بنهر اليرموك فمنتصف هذا النهر حتى الحدود السورية :

والمواد الملغاة هى :

١ ـ الفقرة الثانية والثالثة من ديباجة صك الانتداب والمواد الثانية والرابعة والسادسة والسابعة والجملة الثانية من الفقرتين الأولى والثانية من المادة ١١ والمواد ١٣ و ١٤ و ٢٢ و ٢٣

وفى تطبيق نظام الانتداب على شرقى الاردن تقوم حكومته بالأعمال التى تقوم بها حكومة فلسطين فى فلسطين بمراقبة الدولة المنتدبة

(١) ننشر هذا الصك كاملا حين بحثنا القضية الفلسطينية

٢ـ تقبل حكومة جلالة الملك التبعة التى تقع على عاتقها فى تطبيق نظام الانتداب على شرق الاردن وتسكفل بان الشروط التى توضع لادارة ذلك القطر وفقا للمادة ٢٥ لاتكون بأى وسيلة غير مطابقة لبقية شروط نظام الانتداب التى لم يشر الى عدم تطبيقها هذا القرار

المفاوضات بين شرقى الاردن وانكلترا
لتحديد علاقاتهما

وفى يوم ٦ اكتوبر سنة ١٩٢٢ غادر الأمير عبد الله عمان ومعه رئيس وزرائه قاصدا لندن فزار حكومتها زيارة رسمية ودارت مفاوضات بين رئيس وزرائه و بين السرجلبرت كليتن منـدوب وزارة المستعمرات لتحديد علاقات البلادين بمعاهدة لم تقـترن بنتيجة فعاد الأمير ووزيره الى بلادهما يحملان المشروع البريطانى المعروض عليهما للبت فيه . وهـذا نص المذكرة التى سلمها السر جلبرت كليتن مندوب بريطانيا على أثر ختام تلك المحادثات الى رئيس الوزراء

لندن فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٢

ياصاحب السعادة

لى الشرف أن أبين لـكم أنه يمكننى الآن أن أخبركم عن النتائج التى توصلنا اليها على اثر المباحثات التى دارت مع سمو الأمير عبد الله ومع سعادتـكم

فأما من خصوص التأمين الشفوى الذى أعطى لسمو الأمير عبد الله بالاعتراف بحكومة مستقلة فى شرقى الاردن فقد أمرت بابلاغ سعادتـكم بان اعلان هذا التأمين يجب أن يؤخر حتى ختام مؤتمر لوزان

وأما عقد المعاهدة الواردة فى القسم الأخير من التأمين المذكور فوزير المستعمرات يقول بعدم امكان تخطى الحدود التى وصلنا اليها وقد أمرت بأن أبلغـكم أن الحـكومة غير مستعدة لاتخاذ قرار حاسم فى هذا الشأن الآن ولذا يظهر أنه لافائدة ترجى من اطالة اقامتـكم فى انـكلترا

ولقد كنت فى خلال المباحثات التى دارت بيننا على اتصال دائم بقسم الشرق الادنى فى وزارة المستعمرات . وقد وضع مااقترحته من اقتراحات أمام وزير المستعمرات وهو على

تمام الأهبة لعرض المسألة بحذافيرها على مجلس الوزراء الانكليزى عند حلول الوقت المناسب فأرجو ابلاغ ذلك لسمو الأمير عبد الله عند عودتكم الى شرق الاردن

واقترحت أن تكون المعاهدة التى يراد عقدها طبقا للتأمين الشفوى المعطى لسمو الأمير قائمة على الأسس الآتية :

مقدمة : تبنى على الرغبة فى اتخاذ التدابير اللازمة لحسن ادارة المقاطعة المعلومة شرق الاردن وتدار فى الوقت الحاضر بادارة مرضية من قبل الأمير عبد الله بن الحسين وتشير الى نظر حكومة جلالته لمطالب الشعب العربى وتذكر قرار مجلس جمعية الأمم فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٢٢ واعتراف حكومة جلالته البريطانية بحكومة نيابية مستقلة فى شرق الاردن تحت حكم الأمير عبد الله بن الحسين

مواد : تنص على تخويل الأمير عبد الله بن الحسين السلطة التنفيذية المعطاة لحكومة جلالته البريطانية كمنتدبة على فلسطين فى ذاك الجزء المعلوم وهو شرق الاردن وستحدد حدوده فى أول فرصة . ويخول سموه أيضا حق اعلان القوانين والأوامر والأنظمة لضمان حسن ادارة شرق الاردن . ويبلغ ذلك الى حكومة جلالته وينص فى الوقت نفسه بأن القوانين والانظمة وغير ذلك مما يقرره مجلس فلسطين التشريعى لايمثل شرق الاردن الا فيما يراه سمو الامير نافعا لشرق الاردن

وينص أيضا على تعهد سموه بوضع قوانين وأنظمة وأوامر طبقا لما تقضى به الحاجة للقيام بكل المسؤوليات والتبعات التى أخذها جلالته بالنسبة لشرق الاردن وبعدم اقتباس أو وضع قوانين وأنظمة تحول دون القيام بهذه التعهدات والمسؤوليات على الوجه المطلوب وينص أيضا على رغبة سموه بأن يعمل بمشورة حكومة جلالته البريطانية فى جميع الشؤون الخطيرة المتعلقة بالتبعات الدولية ومصالح حكومة جلالته

ويتعهد سموه أيضا باتباع خطة قويمة فى الادارة والمالية وبوضع ميزانية ثابتة للمالية

وينص فيها أيضا على الاعتراف بحق شرق الاردن بالرسوم الجركية على الامتعة الداخلة لشرق الاردن من فلسطين ويجب أن يفهم بأنه سيكون هنالك تعريفة جركية معينة يوافق عليها من جانب حكومة جلالته البريطانية فى فلسطين وشرق الاردن ولا تقام حواجز

جركية بين البلادين . وينص على أن يكون لتجارة شرق الاردن ما لتجارة فلسطين من التسهيلات فى الموانى وعلى تعهد حكومة جلالته بأن لا تضع عقبة فى طريق اشتراك شرق الاردن مع أى حكومة من الحكومات العربية المجاورة فى اتفاقات جركية وغيرها بشرط أن لا تؤثر هذه الاتفاقات فى تعهدات جلالتـه الدولية

ويتعهد سمو الامير بأن يقبل ويراعى التدابير التى تراها حكومة جلالته ضرورية فى الشؤون القضائية لصيانة مصالح الاجانب وينص فى هذا التعهد على أن لا يحاكم أجنبى ما، أمام محكمة شرق الاردن بدون اخبار وأخـذ رأى كبير المعتمـدين البريطانيين وذلك ريثما يوضع اتفاق خاص . وتعقد اتفاقات لتنظيم منح الامتيازات واستغلال المنابع الطبيعية وسكك الحديد وعقد القروض ومنح المساعدات المالية والشؤون الأخرى التى لها تأثير فى تقدم شرق الاردن المالى والاقتصادى ومنح المساعدة العسكرية طبقا للشروط التى يتفق عليها بين الحكومتين

وكل اتفاق يعقد على هذه الاسس يقدم من جانب حكومة جلالته الى مجلس جمعية الأمم ولا يوجد مانع يمنع الطرفين المتعاقدين من اعادة النظر فى المعاهدة لتعديلها مراعاة للاحوال المحلية الحادثة بشرط ابلاغ كل تعديل لمجلس جمعية الامم

ولا تظنوا أن نتائج المباحثات التى دارت بيننا غـير مرضية ولو ألقيتم نظرة على التبدلات التى طرأت على الحالة العامة من تاريخ دعوة سمو الأمير وسعادتـكم الى لندن لادركتم أننا تقدمنا كثيرا ومهدنا السبيل لعمل نهائى فى المستقبل عنـد ما تجد الحكومة البريطانية من وقتها متسعا للنظر فى هذه القضية

وقد رد عليه رضا باشا فى ١٩ منه بالـكتاب الآتى :

لى الشرف بابلاغـكم أنى تسلمت كتابكم المؤرخ ١٨ منه مع المذكرة الملحقة به بشأن مشروع المعاهـدة وأود أن أذكركم بأن سمو الامير يمنح قضيـة التمثيل الخارجى والسعى لادخال شرق الاردن فى جمعية الأمم وهى مما نص عليه الاتفاق الشفوى عناية خاصة وأرجو أن توضع أمام مجلس الوزراء عند تقديم مشروع المعاهدة

وسأعرض بعد وصولى الى عمان جميع الشؤون على سموه وسأعجل بابلاغـكم الجواب . وقد أخذت برقية من سموه يقول فيها بأن الاعتبارات المحلية واعتقاده بحسن

نيات حكومة جلالته تجعله يأمل أن يصدر اعلان الاعتراف مع عقد المعاهدة فى البرهة القريبة وأتخذ هذه الفرصة وسيلة لبيان شكرى الخ

تحفظات الحكومة الاردنية

واستقال رضا الركابى من رئاسة حكومة شرق الاردن على أثر عودته من لندن خلفه مظهر رسلان فأعاد درس المشروع وأرسل الى السر جلبرت كليتن فى سنة ١٩٢٣ الكتاب الآتى :

اطلعت على كتاب سعادتكم المرسل الى سلفى رضا باشا الركابى عند ما كان فى لندن بخصوص المذاكرات التى دارت بينكم و بينه . ولى الشرف أن أبين لسعادتكم ملاحظاتى على الاسس الواردة فى كتابكم تمهيداً للمباحثات التى ستدور لعقد المعاهدة وانى بالنيابة عن سمو مولاى الامير المعظم أشكر لكم ما بذلتموه من المساعى الحسنة بخصوص اعتراف حكومة جلالته البريطانية باستقلال حكومة شرق الاردن وأذكركم أن المعاهدة يجب أن توافق فى بنودها روح الاستقلال المبنية عليه

تقول المادة الاولى : يخول الأمير عبد الله بن الحسين السلطة التنفيذية المعطاة لجلالة ملك بريطانيا كمنتدب على فلسطين فى ذلك الجزء المعلوم وهو شرق الاردن وستحدد فى أول فرصة مناسبة ، فألفت نظركم الى أن التخويل لابد أن يكون بين التابع والمتبوع والآمر والمأمور وهذا لا يتفق مع استقلال المنطقة التى اعترفت حكومة جلالته البريطانية به ولهذا أرى أن تبدل هذه المادة بما يأتى :

تترك أو تتخلى بموجب هذه المعاهدة حكومة جلالته البريطانية لسمو الامير عبد الله عن الحقوق والسلطات المخولة لها من جمعية الامم بقرارها فى ١٨ ابريل سنة ١٩٢٣ بموجب المادة ٢٥ من صك الانتداب لفلسطين فى ذلك القسم المعلوم وهو شرق الاردن والذى ستحدد حدوده فى أول فرصة . وبما أن المادة الثانية صريحة بأن من الواجب على حكومة شرق الاردن ابلاغ حكومة جلالته عن جميع القوانين والانظمة فهذا يكون كافيا للدلالة على سير الادارة والتبدلات التى تريد حكومة جلالته ابلاغها الى جمعية الأمم

وجاء فى المادة الثالثة أن القوانين والاوامر والارادات وغير ذلك مما يقرره مجلس فلسطين التشريعى لا تشمل شرق الاردن الا فيما يراه سمو الامير نافعا لشرق الاردن ولا

يخفى على سعادتكم أن الحكومات النيابية لا يمكنها قبول قانون الا اذا أقره مجلسها التشريعى و بما أن القوانين والأوامر التى يقررها مجلس فلسطين التشريعى لا يمكن أن تكون نافذة الا اذا وافق عليها مجلس شرق الاردن وأصبحت كقانون صادر مصادق عليه من قبل سمو الامير و بهذه الحالة يكون القانون الصادر على هذا المنوال كأنه لم يؤخذ من فلسطين لا كتسابه الصبغة القانونية بموجب أنظمة شرق الاردن وان اتفقت بالأصل . ولهذا لا أرى محلا لذكر هذه المادة بعد ما جاء فى المادة الثانية أن لسمو الأمير الحق المطلق باعلان القوانين والأوامر والأنظمة لحسن ادارة شرق الاردن

وجاء فى المادة السادسة أن حكومة جلالته تعترف بحق شرق الاردن فى الرسوم الجركية على الأمتعة الداخلة لفلسطين من بلاد غير شرق الاردن و بالنتيجة تدخل شرق الاردن لأجل الاستهلاكات الخ الخ

وجاء بالمادة السابعة أن حكومة جلالته لاتضع عثرة فى طريق اشتراك شرق الأردن مع أى حكومة من الحكومات العربية المجاورة وغيرها بعقد اتفاقات جركية بشرط أن لايؤثر ذلك فى التعهدات الدولية لحكومة جلالته . فبعد أن جاء بالمادة السابعة أن لحكومة شرق الأردن الحق التام بعمل اتفاقات جركية مع الحكومات المجاورة لا أرى حاجة لابقاء المادة السادسة لان الاطلاق المنصوص عليه فى المادة السابعة والتقييد المنصوص عليه فى السادسة لا يتفقان خصوصا والمباحثات لا تزال دائرة بين فلسطين وشرق الأردن بشان الجمارك وسيعقد اتفاق بينهما

وأما المادة الثامنة الخاصة بالمحاكم فقد تعهد سموه بأن لاينفذ حكم مايحق أجنبى فى شرق الأردن الا بعد الحصول على موافقته مقدما . وهذا التعهد يضمن المحافظة على حقوق الأجانب ولهذا لا أرى حاجة لمنح ضمانات أخرى

هذا ما أردت ابداءه من الملاحظات بشأن بعض الأسس الواردة فى الكتاب راجيا التكرم ببيان المقصود من كلمة « المشورة » الواردة فى المادة الرابعة ومن « التعهد المالى » فى المادة الخامسة وجلائهما بما يزيل الغامض

وأذكر سعادتكم أيضا بما جاء فى كتاب الركابى باشا يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٢ عن التمثيل الخارجى والسعى لادخال شرق الأردن فى جمعية الأمم

وعلى كل حال فان هذه الشؤون يبحث فيها عندماتكونون على استعداد للبحث في نصوص المعاهدة وتفضلوا الخ

اعتراف بريطانيا بشرق الاردن

وتوقفت المحادثات والمكاتبات لعقد المعاهدة حتى كان يوم ٢٤ مايو سنة ١٩٢٣ فقد زار عمان السر هربرت صموئيل المندوب السامي لفلسطين وخطب الخطبة الآتية :

أرغب بالنيابة عن جلالة الملك جورج الخامس وحكومته أن أقدم أصدق التهانى لسمو الأمير عبد الله وأهالى شرق الأردن وبالأصح الى جميع العرب بمناسبة هذا اليوم المبارك السعيد (هو عيد الفطر لسنة ١٣٤١) هـ

اننا ندخل اليوم فى دور عظيم الشأن فى تاريخ الأمم العربية الكبير فبعد أن كان العرب عنصرا مجيدا اشتهر بالادارة والآداب والفنون والعلوم تقهقروا تحت اضطهاد دولة دخيلة غير راقية وقد منحتهم الحرب الكبرى فرصة لتحرير أنفسهم فقد اشتركت جيوش بريطانيا العظمى تسندها الجيوش العربية بقيادة أنجال شريف مكة مع القوات العثمانية فى حرب طال أمدها وتكللت الثورة العربية ضد تركيا بالتعاون مع حملة الحلفاء بنجاح تام وقد مهدت السبل الآن لنهضة عربية يتوقف انتشارها ونجاحها على العرب أنفسهم

ان فصل هذه البلاد عن المملكة العثمانية وضع على عاتق بريطانيا العظمى تبعة ازاء جمعية الأمم ، الجمعية الجليلة القدر التى تمثل رأى القسم الأكبر من العالم المتمدن وستنجز الوعود التى أعطيت لجلالة الملك حسين فى أثناء الحرب ، ووفقا لهذه الخطط اعترف بشريف مكة ملكا مستقلا ونودى بجلالة الملك فيصل ملكا على العراق وأعطى سلطات فعلية . وعقدت معاهدة مع الملك حسين حديثا وستعلن نصوصها قريبا وهى تدل على أن النهضة العربية دخلت فى طور جديد . وها نحن نحتفل الآن بالاتفاق الذى عقد مع سمو الأمير فى أثناء زيارته لجلالة الملك جورج والحكومة البريطانية، ولا يخفاكم أن الاتفاق ينص على مايلى :

تعترف حكومة جلالة الملك جورج بوجود حكومة مستقلة فى شرق الأردن برئاسة صاحب السمو الأمير عبد الله بن الحسين بشرط أن توافق جمعية الأمم على ذلك وأن

تكون حكومة شرق الأردن دستورية تمكن حكومة جلالة الملك من القيام بتعهداتها الدولية فيما يتعلق بتلك البلاد وذلك باتفاق يعقد بين الحكومتين

لم تنقض سنتان على تسلم سمو الأمير زمام ادارة شرق الأردن حتى خرجت من دور الاضطراب والفوضى الى دور سلام مستمر وتقدم متزايد فاستفاد من هذا التحسين جميع الأهالى على اختلاف طبقاتهم سواء فى المدن أو القرى أو بين الفلاحين والبدو . والأمل وطيد بأن التقدم سيستمر باطراد والفضل فى ذلك أيضا يعود الى المستشارين الذين اختارهم سموه وأذكر منهم مظهر باشا رسلان الذى أرغب أن أقدم له التهانى الخالصة بنواله هذه الرتبة الجديدة

والحكومة البريطانية تفخر بأنها استطاعت الاشتراك فى هذا التقدم باذلة لحكومة الأمير مساعدة فعلية وأدبية وقد تمتعت هذه الحكومة بمساعدة مالية أيضا مما سهل لها ايجاد قوة سيارة منظمة وطدت أركان الأمن العام فى هذه البلاد وقد وضعت طيارات وسيارات مصفحة تحت تصرفها لاستخدامها عند الحاجة وقدم لها مستشارون سياسيون وعسكريون حسب حاجاتها وحرصت حكومة جلالة الملك فى الوقت نفسه على عدم التدخل مطلقا فى ادارة الأمير فاصبح استقلال ادارته حقيقيا

واسمحوا لى أن أذكر فى هذا المقام عظيم تقديرى للصداقة التى استحكمت حلقاتها بينى و بين سمو الأمير ويسرنى انى تمكنت فعلا من الاشتراك فى التطورات التى جرت مؤخرا وساعدت عليها سواء فيما يتعلق باستقلال شرق الأردن أو بالتقدم الناشىء عن عقد المعاهدة مع الحجاز

وانى آمل من صميم الفؤاد أن الحزم السياسى وروح التساهل وحسن تدبير الأمور الادارية وقد امتازت بها حكومة الأمير تستمر طويلا بعناية الله تعالى تعكس ضياء جديدا على سموه وتؤدى الى دوام خير ونجاح الذين هم تحت سلطته

الاعتداء على الاستقلال وانتقاصه

وأدى الأمير فريضة الحج فى سنة ١٣٤٢ فحدثت فى أثناء غيابه حوادث ساءت الانكليز ولم يكد يعود الى عمان فى يوم ١٩ أغسطس سنة ١٩٢٤ - ١٩ المحرم سنة ١٣٤٣

حتى تلقى من الحكومة البريطانية انذارا ينطوى على المطالب الآتية :

١ ـ بسط المراقبة البريطانية على المالية بدون قيد ولا شرط

٢ ـ اخراج المتهمين بالتحريض فى حوادث الحدود [(١)]

٣ ـ الغاء نيابة العشائر على أن تكون القوات المحلية خاضعة لتفتيش قائد القوات الامبراطورية وعلى أن تستخدم طبق مشورة حكومة جلالته

٤ ـ قبول اتفاق تسليم المجرمين المعقود مع سورية

٥ ـ أن يعد سمو الأمير محترما وغير مسؤول عن ادارة الحكومة باعتبار أن الحكم يجب أن يكون دستوريا فى كل حال

فلم يسع الأمير سوى الرضاء والقبول بسبب تحرج الحالة وسجل قبوله بهذه الجملة « انا لله وانا اليه راجعون » وعلى أثر ذلك نشرت حكومة عمان يوم ٢١ المحرم سنة ١٣٤٣ و ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٤ البلاغ الرسمى الآتى :

« بناء على تشويش الأفكار فى البلاد المجاورة بسبب الحوادث المؤسفة التى وقعت فى سورية وتسكينا لها رأينا قبول رأى رسمى أبدى لنا بطلب نزوح بعض الذوات الذين يقال ان وجودهم فى المنطقة يفسر بخطة غير حبية تجاه الحكومة الحليفة فى سورية ولما لم يكن للذوات المذكورين أدنى علاقة بتلك الحوادث اقتضى التنويه بأن نزوحهم غير مسبب

---

(١) خلاصة مايقال فى وصف تلك الحوادث أنها نشأت عن مهاجمة عصابات آتية من شرق الأردن لبعض أراضى حوران ولدمشق فقد واصلت غارتها حتى دخلت باب السريجة من أحياء دمشق الجنوبية وذلك فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٤ فاقلق ذلك الفرنسويين فقصد المسيو ليبسيه السكرتير العام للمفوضية القدس واتصل بولاة الأمور الانكليز واحتج لديهم على ماحدث فسيرت حكومة فلسطين القوى الى الحدود لمطاردة العصابات واشتركت مع القوى الفرنسوية فى هذه المهمة وادعى الفرنسويون بأن بعض الوطنيين السوريين النازلين فى شرق الأردن اشتركوا فى تأليف العصابات وارسالها فقبض عليهم وأرسلوا الى معان والبقعة ثم الى الحجاز . وهذه أسماؤهم : الأمير عادل ارسلان وأحمد مريود ونبيه العظمة وعثمان قاسم وغيرهم

عن ظهور مسئوليتهم منها بل لتطمين الأفكار الرسمية الخارجية بحسن النوايا المنطوية عليها أفئدتنا ولرغبتنا فى اثبات خطتنا القويمة السالمة من كل شائبة نحو المناطق المجاورة وأن التحقيق الجارى سيجلى الحقائق على وجهها »

ضم العقبة ومعان الى شرق الاردن

ظلت العقبة تابعة لحكومة الحجاز حتى سنة ١٩٢٤ فقد أقنع الأمير عبد الله والده فى أثناء زيارته له بعمان بالتنازل له عنها مع مقاطعة معان فأجابه الى طلبه مشترطا أن يكون التنازل شخصيا وأن يبقى حق الملكية للحجاز

والواقع أن الاستيلاء على العقبة وادخالها فى الدائرة الامبراطورية المرنة كان من جملة الأغراض التى وضع رجال الاستعمار البريطانى فى الشرق العربى نصب أعينهم تحقيقها منذ ختام الحرب العظمى لما لها من الأهمية العسكرية والاقتصادية . وقد استعانوا بالأمير عبدالله بعد ماتبوأ امارة شرق الاردن لما له من حظوة عند أبيه فتم التنازل فى شهر مارس سنة ١٩٢٤ واشترط فيه أن يكون شخصيا كما قلنا . وهذا نص البلاغ الرسمى الذى أذاعته يوم ٢٣ مارس سنة ١٩٢٤ الوكالة العربية فى القاهرة عن هذا التنازل :

« لاصحة ولا أصل بتاتا لما نقلته الأخبار البرقية بشأن معان والعقبة وعلاقاتها بشرق الاردن بل انه تقرر بقاء سمو الأمير على فى معان بالقوة التى قدم بها من المدينة للترتيبات المقتضية لانتظام سير خط الحجاز وتأمين سير المواصلات ونحو ذلك مما يقضى به الحال الحاضرة وان العقبة ومعان وملحقاتها تابعة للمركز بالحجاز ومربوطة مباشرة كحالتها الأولى وتعيين غالب باشا الشعلان لاتأثير له قطعيا وما هو الا موظف من موظفى الحكومة الهاشمية تابع للمركز بصورة رسمية »

وألحقت هذه المقاطعة بحكومة عمان رسميا فى شهر يوليو سنة ١٩٢٥ فقد تنازل جلالة الملك على عنها فى ابان الحرب الحجازية ــ النجدية سنة ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ بمعاهدة عقدت فى جدة يوم ٢٥ ذى القعدة سنة ١٣٤٣ (٥ يونيو سنة ١٩٢٥) وهذا نصها :

تقرر بين جلالة الملك على وسمو الأمير عبد الله مايأتى :

١ ــ التصريح بسلامة الشرق العربى

ب ـ عدم انزعاج جلالة الخليفة الاعظم (يعنى الملك حسين وكان ينزل العقبة يومئذ فقد قصدها بعد مغادرته الحجاز واتخذها دار مقام له ثم أخرج منها وأرسل الى قبرص وسنفصل ذلك حين الكلام على الدولة الهاشمية) نظرا لمقامه فى العالم العربى والاسلامى أى انه لايجرى التسليم الا بعد تشريف جلالته لجدة

ج ـ لايجرى التسليم الا بعد صدور الأمر منه لموظفى ولاية معان

د ـ عدم التعرض لناقلات الحجاز الحربية مطلقا

هـ ـ السماح للحكومة الحجازية بنقل جندها ومعداتها الى أى محل تريد قبل التسليم وبعده ـ اهـ

التسلم والتسليم

وفى يوم ١٦ يوليو سنة ١٩٢٥ غادر الأمير عبد الله عمان قاصدا معان مع رئيس وزرائه وحاشيته للاحتفال رسميا بضم هذه المقاطعة الى امارته وهذا نص الخطاب الذى وجهه الى رئيس حكومته بهذه المناسبة يوم ٤ منه :

« نظرا لتنسيب صاحب الجلالة الهاشمية الملك على المعظم ملك البلاد المقدسة الحجازية أيده الله وأدام نصره ضم ولاية معان والعقبة الى امارتنا اقتضى اصدار ارادتنا الملكية اليكم اعلانا بذلك مع الشكر الدائم لجلالته »

المعاهدة بين شرق الاردن وانكلترا

واستمرت المفاوضات دائرة بين حكومة عمان وحكومة القدس لعقد المعاهدة الاردنية الانكليزية طبقا لتصريح حكومة لندن حتى يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٨ فقد وقع عليها فى القدس وهذا نصها :

لما كان لصاحب الجلالة البريطانية بموجب انتداب اؤتمن عليه فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ صلاحية فى الاقليم المشمول بذلك الانتداب

ولما كان صاحب السمو أمير شرق الاردن قد أنشأ حكومة فى ذلك القسم من الاقليم المنتدب عليه المعروف بشرق الاردن

ولما كان صاحب الجلالة البريطانية مستعدا للاعتراف بوجود حكومة مستقلة فى شرق

الاردن تحت حكم صاحب السمو أمير شرق الاردن (على طريق اتفاق يعقد مع صاحب السمو) على أن تكون تلك الحكومة دستورية وتضع صاحب الجلالة البريطانية فى موقف يؤدى معه التزاماته الدولية بشأن هذه البلاد

فلذلك اعتزم الآن صاحب الجلالة البريطانيـة وصاحب السمو أمير شرق الاردن أن يعقدا اتفاقا لهذه المقاصد وعينا لتلك الغاية مندوبيهما المفوضين

عن صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندة والممتلكات البريطانيـة وراء البحار وامبراطور الهند الفيلد مارشال بلومر

وعن صاحب السمو أمير شرق الاردن حسن خالد باشا أبو الهدى

اللذين بعـد أن تبادلا تفويضيهما التامين ووجداهما بالشكل الصالح الملائم اتفقا على مايأتى :

المادة ١ ـ يوافق صاحب السمو الأمير على أن يمثل صاحب الجلالة البريطانية فى شرق الاردن معتمد بريطانى يعمل بالنيابة عن المندوب السامى لشرق الاردن وعلى أن تجرى المخابرات بين صاحب الجـلالة البريطانية وجميع الدول الأخرى من الجهة الواحـدة وبين حكومة شرق الاردن من الجهة الثانيـة عن طريق المعتمد البريطانى والمندوب السامى السالفى الذكر

ويوافق صاحب السمو الأمير على أن النفقات العادية للحكومة المدنيـة والادارة ومرتبات المعتمد البريطانى وموظفيه تتحملها باسرها شرق الاردن ويهيئ صاحب السمو الأمير محلا لاقامة البريطانيين من موظفى المعتمد البريطانى

الماده ٢ ـ ان سلطتى التشريع والادارة المؤتمن عليهما صاحب الجلالة البريطانيـة بصفة كونه منتدبا على فلسطين يتولاهما فى هذا القسم المعروف بشرق الاردن من الاقليم المنتدب عليه صاحب السمو الأمير عن طريق الحكومة الدستورية التى يعينها بحدودها قانون شرق الاردن الأساسى وأى تعديل يطرأ عليها يكون بموافقة صاحب الجلالة البريطانية

ان كلمة « فلسطين » فى سائر مواد هـذا الاتفاق ـ مالم ترد معرفة على وجه آخر ـ تعنى ذلك الشطر من الاقليم المنتدب عليه الواقع الى الغرب من خط مرسوم من نقطة تبعد

ميلين عربي مدينة العقبة على الخليج المعروف بذلك الاسم صعودا فى منتصف وادى عربة والبحر الميت ونهر الاردن حتى ملتقاه بنهر اليرموك ومن ثم فى منتصف ذلك النهر حتى التخوم السورية

المادة ٣ ـ يوافق سمو الأمير على أن لايعين فى شرق الاردن ـ مدة الاتفاق الحاضر موظف من غير جنسية شرق الاردن دون موافقة صاحب الجلالة البريطانية وسيضبط عدد الموظفين البريطانيين المعينين على هذا المنوال فى حكومة شرق الاردن وشروط استخدامهم باتفاق على حدة

المادة ٤ ـ يوافق صاحب السمو الأمير على اتخاذ وسن أية قوانين أو أوامر أو أنظمة قد يقتضيها القيام التام بما على صاحب الجلالة البريطانية من التزامات وتبعات دولية بشأن بلاد شرق الاردن وعلى أن لاتقبل أو تسن فى شرق الاردن أية قوانين أو أوامر أو أنظمة يمكن أن تعرقل القيام التام بتلك الالتزامات والتبعات الدولية

المادة ٥ ـ يوافق صاحب السمو الأمير على أن يسترشد بنصيحة صاحب الجلالة البريطانية التى تسدى اليه عن طريق المندوب السامى لشرق الاردن فى جميع الأمور المختصة بصلات شرق الاردن الخارجية وكذلك فى جميع الأمور الهامة التى تمس الالتزامات والمصالح المالية والدولية لصاحب الجلالة البريطانية بشأن شرق الاردن

ويتعهد سمو الأمير أن يتبع فى شرق الاردن فى الادارة والمالية وموارد الحكومة خطة من شأنها أن تكفل الاستقرار والتنظيم الصالح لحكومته وأمورها المالية

ويوافق على أن يجعل صاحب الجلالة البريطانية على علم بالتدابير المقترحة والمتخذة لانفاذ هذا التعهد على الوجه اللائق ويوافق فوق ذلك على أن لايغير طريقة مراقبة الأموال العامة فى شرق الاردن من غير موافقة صاحب الجلالة البريطانية

المادة ٦ ـ يوافق صاحب السمو الامير على أن يرجع الى مشورة صاحب الجلالة البريطانية فى قانون الميزانية السنوى وفى أى قانون يختص بالمواد التى تنطوى عليها نصوص هذا الاتفاق وفى أى قانون من الأنواع التالية وهى :

(١) أى قانون يمس نقد شرق الاردن أو له صلة باصدار أوراق نقدية (بنكنوت)

(٢) أى قانون يفرض رسوما متفاوتة

(٣) أى قانون يمكن أن يجعل الأشخاص المنتمين الى جنسية أية دولة من جمعية الأمم أو الى أية دولة وافق صاحب الجلالة البريطانيـة بموجب معاهدة على أن يضمن لها نفس الحقوق التى كانت تتمتع بها فيما لو كانت عضوا فى العصبة المذكورة ـ خاضعين أو مستهدفين لأى فقد أهلية لم يخضع ولم يستهدف له الأشخاص الذين هم من الرعايا البريطانيين أو الذين ينتمون الى جنسية أية دولة أجنبية

(٤) أى قانون خاص ينص على وراثة عرش الأمير أو على انشاء مجلس وصاية

(٥) أى قانون يمنح نفسه فيه أى أرض أو مال أو هبة أخرى أو عطية

(٦) أى قانون يمكن أن يتولى الأمير بمقتضاه السيادة على قطر خارج عن شرق الاردن

(٧) أى قانون يختص بحق المحاكم المدنية فى القضاء على الأجانب

(٨) أى قانون مغير أو معدل أو مضيف لتفاصيل أحكام القانون الأساسى

المادة ٧ ـ لايكون بين فلسطين وشرق الاردن أى حاجز جركى مالم يقع اتفاق بين البلدين والتعريفة الجركية لشرق الاردن يوافق عليها صاحب الجلالة البريطانية

تدفع حكومه فلسطين الى حكومة شرق الاردن المبلغ المقدر من الرسوم الجركية المفروضة على قسم البضائع الداخلة الى فلسطين من اقليم غير شرق الاردن ثم تدخل شرق الاردن فيما بعـد للاستهلاك المحلى ولـكن يحق لحكومة فلسطين أن تحجز من المبالغ التى تدفع على هذا الحساب المبلغ المقدر من الرسوم الجركية التى تفرضها شرق الاردن على ذلك القسم من البضائع التى تدخل شرق الاردن من أقاليم غير بلاد فلسطين ثم تدخل فلسطين فيما بعد للاستهلاك المحلى

وتلقى تجارة ومتاجر شرق الاردن فى الموانئ الفلسطينية من التسهيلات ماتلقاه تجارة فلسطين ومتاجرها على السواء

المادة ٨ ـ لاتوضع عقبة فى سبيل اتحاد شرق الاردن بمن تود من الممالك العربيـة المجاورة فى الجارك أو لمقاصد أخرى مادام ذلك يتفق مع الالتزامات الدولية لصاحب الجلالة البريطانية

المادة ٩ ـ يتعهد صاحب السمو الامير بقبول وتنفيذ ما يمكن أن يعـده صاحب

الجلالة البريطانية ضروريا من النصوص المعقولة فى المواد القضائية لصيانة مصالح الاجانب وستدمج هذه الشروط فى اتفاق على حدة يبلغ الى مجلس جمعية الامم وريثما يعقد اتفاق كهذا فلا يؤتى بأجنبي أمام محكمة اردنية من غير موافقة صاحب الجلالة البريطانية

يتعهد صاحب السمو بقبول وتنفيذ ما يمكن أن يعده صاحب الجلالة البريطانية ضروريا من النصوص المعقولة فى المواد القضائيـة لصيانة القانون وحق القضاء بشأن المسائل الناجمة عن العقائد الدينية للطوائف الدينية المختلفة

المادة ١٠ ـ يمكن لصاحب الجلالة البريطانية أن يحتفظ بقوات مسلحة فى شرق الاردن ويمكن أن ينشئ وينظم ويراقب فى شرق الاردن قوات مسلحة تكون فى رأيه ضرورية للدفاع عن البلاد ولتأييد صاحب السمو الأمير فى صيانة السلام والنظام

ويوافق صاحب السمو الأمير على أن لا ينشئ ولا يحتفظ فى شرق الاردن وأن لا يسمح بأن ينشأ أو يحتفظ بأى قوات عسكرية من غير موافقة صاحب الجلالة البريطانية

المادة ١١ ـ يعترف صاحب السمو الأمير بالمبدأ الذى يعتبر أن تكاليف القوات اللازمة للدفاع عن شرق الاردن عبء على واردات تلك البلاد ـ تستمر شرق الاردن عند نفاذ هذا الاتفاق على تحمل سدس تكاليف قوة الحدود لشرق الاردن وتتحمل كذلك ـ حالما تسمح موارد البلاد المالية ـ فرق الزيادة ما بين تكاليف القوات البريطانية المرابطة فى شرق الاردن وتكاليف هذه القوات فيما لو كانت مرابطة فى بريطانيا العظمى فى الدرجة التى تعتبر هذه القوات ـ فى نظر صاحب الجلالة البريطانية ـ مستخدمة فى شؤون شرق الاردن وحدها

المادة ١٢ ـ مادامت واردات شرق الاردن غير كافية لسد النفقات العادية للادارة التى تنفق بمصادقة صاحب الجلالة البريطانية ـ بما فيها أى انفاق على قوات محليه تكون شرق الاردن عرضة لها بموجب المادة ١١ ـ فيؤخذ بتدبير اعانة من الخزانة البريطانية على سبيل هبة أو قرض تعضيدا لواردات شرق الاردن ويتخذ صاحب الجلالة البريطانية التدابير لدفع فرق الزيادة من نفقات القوات البريطانية المرابطة فى شرق الاردن والمعتبرة عند صاحب الجلالة البريطانية انها مستخدمة من أجل شرق الاردن الى الحد والأوان اللذين تظل فيهما واردات شرق الاردن غير كافية لاحتمال زيادة كهذه

المادة ١٣ — يوافق صاحب السمو الامير على أن تتخذ وتسن جميع القوانين أو الأوامر والأنظمة التي يتطلبها صاحب الجلالة البريطانية من حين لآخر للقيام بمرامي المادة العاشرة وأن لاتقبل ولا تسن في شرق الاردن أية قوانين أو أوامر أو أنظمة قد تصطدم في رأي صاحب الجلالة البريطانية بمرمى تلك المادة

المادة ١٤ — يوافق صاحب السمو الأمير أن يتبع نصيحة صاحب الجلالة البريطانية بشأن اعلان الحكم العرفي في جميع شرق الاردن أو في أي جزء منها وان يعهد بادارة ذلك الجزء أوتلك الأجزاء التي قد توضع تحت الحكم العرفي في شرق الاردن الى دلك الضابط الذي قد يرشحه أو أولئك الضباط الذين قد يرشحهم صاحب الجلالة البريطانية من قوات جلالته البريطانية ويوافق صاحب السمو كذلك على اتخاذ قانون خاص — عند اعادة الحكومة المدنية — يبرئ فيه القوات المسلحة المحتفظ بها صاحب الجلالة البريطانية من تبعة أى تصرف أو اهمال أو تقصير وقع حلال الحكم العرفي

المادة ١٥ — يمكن لصاحب الجلالة البريطانية أن يتولى حق القضاء على جميع أعضاء القوات المسلحة التي يحتفظ بها أو يراقبها صاحب الجلالة البريطانية في شرقي الاردن ووفاء للغرض من هذه المادة والمواد الخمس السالفة فلفظة (قوات مسلحة) تعتبر شاملة للمدنيين الملحقين بالقوات المسلحة أو المستخدمين فيها

المادة ١٦ — يتعهد صاحب السمو الأمير بأن يقدم في كل حين كل تسهيلات لتنقل قوات صاحب الجلالة البريطانية — بما فيها استعمال اللاسلكي والخطوط البرية لمصلحتي البرق والهاتف وحق مد خطوط برية — ولنقل وخزن الوقود والعتاد والذخيرة واللوازم على طرق شرقي الاردن وسككها الحديدية ومعابرها المائية وموانيها

المادة ١٧ — يوافق صاحب السمو الأمير على أن يسترشد بنصيحة صاحب الجلالة البريطانية في جميع الشؤون المختصة بالامتيازات واستثمار المواد الطبيعية وانشاء وادارة سكك الحديد وعقد القروض

المادة ١٨ — ما من أرض في شرق الاردن يتنازل عنها أو تؤجر أو توضع بأية طريقة تحت مراقبة أية سلطة أجنبية وهذا لايمنع صاحب السمو الأمير من اتخاذ ما قد يكون ضروريا من التدابير لاقامة ممثلين أجانب ولتنفيذ أحكام المواد السالفة

المادة ١٩ ـ يوافق صاحب السمو الأمير على أنه ريثما تعقد اتفاقات خاصة بتسليم المجرمين تختص بشرق الاردن فمعاهدات تسليم المجرمين النافذة بين صاحب الجلالة البريطانية والدول الأجنبية تتناول شرق الاردن

المادة ٢٠ ـ ينفذ هذا الاتفاق حالما يبرمه الفريقان الساميان المتعاقدان بعد قبوله من جانب الحكومة الدستورية التي تؤلف بموجب المادة الثانية وتعتبر الحكومة الدستورية مؤقتة الى أن يصدق على الاتفاق على ذلك الوجه ولا شيء يمنع الفريقين الساميين المتعاقدين من النظر حينا بعد حين فى نصوص هذا الاتفاق بقصد أى تنقيح قد يلوح انه مرغوب فيه فى الاحوال التى توجد عند دلك

المادة ٢١ ـ لقد صيغ الاتفاق الحاضر فى لغتين الانكليزية والعربيــة وسيوقع مفوض كل من الفريقين الساميين المتعاقدين على نسختين انكليزيتين وآخرين عربيتين ويكون للصيغتين عين المقام من الاعتبار وانما عند الاختلاف بينهما فى تفسير مادة من مواد الاتفاق يكون للصيغة الانكليزية التقدم

وثقة بما تقدم فقـد وقع المندوبان المفوضان المذكوران على الاتفاق الحاضر فى القدس فى هذا اليوم العشرين من شهر فبراير سنة ١٩٢٨

(بلومر)　　　　(حسن خالد أبو الهدى)

دستور شرق الاردن

وعملا بما نص عليه فى متن المعاهدة وضع دستور هذه الحكومة بالاتفاق بين دار الامارة والسلطة البريطانية ونشر يوم ١٦ ابريل سنة ١٩٢٨ وهو فى ٧٢ مادة وقد جاء فى المادة ١٦ منه أن السلطات التشريعية والادارية مخولة للأمير عبد الله بن الحسين ولورثته من بعده وأن ولاية العهد فى الذكور من سلالة الأمير وفقا لقانون الوراثة الخاص

وعلى هذا المنوال تم انشاء هذه الأمارة نهائيا من وجهة نظر الحقوق الدولية واعترف باستقلالها ووجودها

٥

الحركة الوطنية فى شرق الاردن

لم يقابل وضع المعاهدة على هذا المنوال وسن دستور منبعث عن أحكامها بالارتياح فى البلاد الأردنية لما فيه من الافتئات على حقوق السيادة الوطنية ولأنه جاء مخالفا للعهود الشفوية المقطوعة لسمو الأمير عبد الله فى سنة ١٩٢١ وللتصريحات العديدة التى ألقاها الموظفون البريطانيون الرسميون فى شتى المناسبات فتنادى الوطنيون الى عقد مؤتمر عام يمثل البلاد وينطق بلسانها وقد عقد هذا المؤتمر فى عمان يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٨ وحضره ١٢٠ مندوبا من الزعماء والرؤساء والمفكرين فأنذر ماوقع ووضع الميثاق الوطنى الآتى ودعا البلاد الى التمسك به وتنفيذه وهو :

بالاستناد الى العهود المقطوعة للعرب عامة من جانب حليفتهم بريطانيا العظمى فى أثناء الحرب العامة

والى العهود الرسمية المقطوعة من قبلها لشرق الأردن خاصة والى المادة (٢٢) من عهد جمعية الأمم

والى مبادىء الرئيس ولسن الاربعة عشر التى اعترف بها الحلفاء ووعدوا رسميا بتحرير الشعوب المظلومة على أساسها

والى الوعد الرسمى الصادر عن وزارتى خارجية انكلترا وفرنسا سنة ١٩١٨ للبلاد العربية المحررة

قد اجتمعنا نحن ممثلى الامارة العربية الأردنية فى مؤتمرنا الوطنى المنعقد فى عمان بتاريخ ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٨ وقررنا ميثاقا وطنيا لبلادنا البنود الآتية :

١ ـ امارة شرق الأردن دولة عربية مستقلة ذات سيادة بحدودها الطبيعية المعروفة

٢ ـ تدار بلاد شرق الأردن بحكومة دستورية مستقلة برئاسة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله بن الحسين المعظم وأعقابه من بعده

٣ ـ لاتعترف بلاد شرق الأردن بمبدأ الانتداب الا كمساعدة فنية نزيهة لصالح البلاد وهذه المساعدة تحدد بموجب اتفاق أومعاهدة تعقد بين شرق الأردن وحليفة العرب بريطانيا العظمى على أساس الحقوق المتقابلة والمنافع المتبادلة دون أن يمس ذلك بالسيادة القومية

٤ ـ تعتبر شرق الأردن وعد بلفور القاضى بانشاء وطن قومى لليهود بفلسطين مخالفا لعهود بريطانيا ووعودها الرسمية للعرب وتصرفا مضادا للشرائع الدينية والمدنية فى العالم

٥ ـ كل انتخاب للنيابةالعامة يقع فى شرق الاردن على غير قواعد التمثيل الصحيح وعلى أساس عدم مسؤولية الحكومة أمام المجلس النيابى لايعتبر انتخابا ممثلا لارادة الأمة وسيادتها القومية ضمن القواعد الدستورية بل يعتبر انتخابا مصطنعا لاقيمة تمثيلية صحيحة له والأعضاء الذين ينتخبون على أساسه اذا فصلوا بحق سياسى أو مالى أو تشريعى ضار بحقوق شرق الاردن الأساسية لايكون لفصلهم قوة الحق المعترف به من قبل الشعب بل يكون فصلهم جزءا من أجزاء تصرف السلطة الانتدابية وعلى مسؤوليتها

٦ ـ ترفض شرق الاردن كل تجنيد لايكون صادرا عن حكومة دستورية مسؤولة باعتبار أن التجنيد جزء لايتجزأ من السيادة الوطنية

٧ ـ ترفض شرق الاردن تحمل نفقات أية قوةاحتلالية أجنبية وتعتبر كل مال يفرض عليها من هذا القبيل مالا مغتصبا من عرق عاملها المسكين وفلاحها البائس

٨ ـ ترى شرق الاردن مواردها اذا منحت حق الخيار بتنظيم حكومتها المدنية كافية لقيام ادارة دستورية صالحة فيها برئاسة سمو الأمير المعظم صاحب الامارة الشرعى أما الاعانة المالية التى تدفعها الحكومة البريطانية فان بلاد شرق الاردن تعتبرها نفقات ضرورية لخطوط المواصلات الامبراطورية وللقوى العسكرية المعدة لخدمةالمصالح البريطانية ليس الا لذلك فان هذه الاعانة التى يضاف اليها اليوم قسم من واردات البلاد لتحقيق غايات لامصلحة لشرق الاردن فيها كما هو الواقع لاتخول بريطانيا العظمى حق الاشراف على مالية شرق الاردن هذا الاشراف المركزى الضار الواقع اليوم ولهذا فاننا نعتبر الوضع

المالى الحاضر المبنى على سياسة تخفيف الاعانة المالية عن عاتق المكلف البريطانى على حساب المكلف الاردنى عبارة عن وضع ضار غير مشروع لاتتحمله موارد البلاد ومن الواجب ابطاله واستبداله بنظام يؤيد استقلال حكومة شرق الاردن المالى مقررين أن التصرف المالى الحاضر لايجوز صدوره عن حليفة غنية كبريطانيا بالنسبة لبلاد فقيرة كشرق الاردن

٩ ـ تعتبر بلاد شرق الاردن كل تشريع استثنائى لايقوم على أساس العدل والمنفعة العامة وحاجيات الشعب الصحيحة تشريعا باطلا

١٠ ـ لاتعترف شرق الاردن بكل قرض مالى وقع قبل تشكيل المجلس النيابى

١١ ـ لايجوز التصرف بالأراضى الأميرية قبل عرضها على المجلس النيابى وتصديقه عليها وكل بيع وقع قبل انعقاد المجلس يعتبر باطلا

وألف المؤتمر لجنة تنفيذية من ٢٦ عضوا لمتابعة قراراته والسهر على تنفيذها اختار لرئاستها حسين الطراونة رئيسه وأبلغ نص قراراته الى الأمير فسلمها الى المعتمد البريطانى فأرسل اليه يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٨ الكتاب الآتى :

١ ـ لى الشرف ياصاحب السمو أن أعيد مع هذا كتاب حسين الطراونة الذى تناولته من يد سموكم

٢ ـ أعترف بأنه مما يوجب خيبة الأمل وجود بعض أشخاص لايحبذون شكل الحكومة الحاضرة التى أقمتموها سموكم بالاتفاق مع الدولة المنتدبة

٣ ـ ان العمل الشاق الذى بذل والصعوبات الجة التى ذللت لجعل الادارة فى هذا المستوى من الكفاءة والجدارة والحكومة فى هذه الحالة ، لو فهمت جيدا لقدرها الجميع قدرها ولأدركوا أيضا أن انشاء مجلس خال من موظفى الحكومة للاشتراك فى العمل ، فى مثل هذه الآونة من تطور البلاد يكون مجلبة للكوارث

٤ ـ وعندى أنه من الخطل انشاء مجلس تنفيذى فى الوقت الحاضر والى مدة أخرى لايتألف من كبار موظفى الحكومة وفضلا عن ذلك فان البلاد لاتقدر الآن أن تتحمل رواتب أعضاء مجلس تنفيذى لا يتقلدون مناصب رؤساء مصالح

فاذا كان الذين قدموا هذا الكتاب الموقع من حسين الطراونة الى سموكم يطلبون

حقيقة خير بلادهم ونجاحها فأنا واثق كل الثقة بأن أحسن وسيلة لذلك أن يؤيدوا التدابير التي أعددتموها لحكومة هذه البلاد

٤ ـ ثم ان التقدم نحو الحكم النيابي لا يتم الا بعد ما يبرهن الشعب على قدرته لتحمل مسؤوليات أكبر

الوطنيون يحتجون

وفي أواسط شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ زار السرجون تشانسلور المندوب السامي البريطاني لفلسطين عمان فوضع الوطنيون المذكرة الآتية وأرسلوها اليه :

«لنا الشرف أن نقدم هذه المذكرة التي تعبر عن شعور البلاد وأمانيها وهي تتضمن الأمور الآتية :

١ ـ نعلن باسم الشعب الاردني احتجاجنا واستياءنا من المعاهدة المعروفة بعد ماأعلن هذا الشعب احتجاجه الوطني باجماع الأصوات ونذكركم بالعهود التي قطعت للعرب عموما ولأهل شرق الاردن بوجه خاص وبالدم الذي أراقه العرب في جانب الحلفاء طمعا في استقلالهم وحريتهم كما أننا ننتهز هذه الفرصة لاعلان اخلاصنا الدائم آملين أن نحصل على استقلالنا الحقيقي وحياتنا الدستورية في القريب العاجل

٢ ـ نحتج بشدة على كل تدخل يقوم به المعتمد البريطاني في شؤون حكومتنا ونعلن أن كل القوانين والأوامر والاتفاقيات التي تسنها وتعقدها الحكومة انما تقوم على القوة ولا ارادة للشعب بها

٣ ـ نحتج أيضا على قانون الانتخاب بكامل نصوصه وذلك لأن هذا القانون بعد تنقيحه خول للمائة والستين ناخبا حق انتخاب المجلس التشريعي الذي يمثل ٢٥ ألف ناخب ومنع عن بعض العشائر حق التمثيل . ومن المعلوم أن مجلسا تشريعيا تقاطعه أغلبية السكان لا يكون ممثلا للبلاد

٤ ـ نستنكر أعمال هذه الحكومة لانها سنت قوانين جائرة للضغط على حرية النشر وغير ذلك من الحقوق المعتبرة حقوقا طبيعية للانسان وتدخلت في حرية الحياة كما وسجنت أخلص الزعماء وأشدهم أمانة لبلادهم وخلقت وظائف لأعوانها ملأتها بالجهلة

وغير الا كفاء الأمر الذى نشأ عنه مضاعفة الضرائب وزاد الطين بلة المبالغ التى تنفق على الجواسيس وعلى بناء قصر فخم للمعتمد البريطانى بينما الحكومة نفسها من غير بناية خاصة »

اللجنة التنفيذية تقاطع الانتخابات

ودعت الحكومة الاردنية الشعب الى انتخاب المجلس التشريعى المقرر انشاؤه بحسب أحكام الدستور ففررت اللجنة مقاطعة الانتخابات ودعت الأمة الى عدم الاشتراك فيها وأرسلت فى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٨ البرقية الآتية الى جمعية الأمم :

« لما كانت المعاهدة المعقودة بين بريطانيا العظمى وسمو الأمير عبدالله والدستور الذى سن فى وزارة المستعمرات مجحفين بحقوقنا فقد احتج الشعب عليهما و بالرغم عن احتجاجاتنا الى الحكومة على قانون الانتخاب المخالف للاصول والموافق لرغائبها وخلاصته جعل ناخب ثانوى لكل ١٥٠ مكلفا فقد قامت بدعاية ضارة ترتكز على قوى موظفيها فى المقاطعات وسجلت بطرق متنوعة قسما من الشعب خلافا لرغائبه ومن السكان الذين لم يتجنسوا بالجنسية الاردنية بعد و بهذه الطريقة يعملون لجمع المجلس التشريعى لاقرار المعاهدة وتصديقها من مجلس هو وليد انتخابات ستة بالمائة من مجموع سكان شرق الاردن البالغ عددهم ٢٥٠ ألفا ونيفا فنحتج على ذلك ونطلب توسطكم لانشاء حالة دائمة تأتلف مع رغائب الشعب وروح الانتداب النزيه المقررة فى جمعية الأمم »

وقد فازت الحكومة بما أرادت واجتمع المجلس التشريعى فى سنة ١٩٢٩ وأقر المعاهدة

مؤتمرات اللجنة التنفيذية

وعقدت اللجنة التنفيذية مؤتمرها الثانى يوم الاثنين ١١ مارس سنة ١٩٢٩ فى عمان لدرس الموقف فأصدر القرارات الآتية لابلاغها الى جمعية الأمم بواسطة اللجنة التنفيذية وهى :

١ ــ ان الحكومة البريطانية لم يتصرف ممثلوها فى شرقى الاردن تصرفا ينطبق على

روح عهد جمعية الأمم بالنسبة لحقوق السكان ومصالحهم وضمان حرياتهم المشروعة

٢ ـ ان مشروع المعاهدة المعروض على شرق الاردن قد أجمعت البلاد على رفضه رفضا باتا لمخالفته أماني البلاد القومية وميثاقها الوطني ووعود انكلترا الخاصة للعرب وتعهدات الحلفاء بالمحافظة على حقوق الأمم الضعيفة أثناء الحرب العامة

٣ ـ ان المجلس التشريعي الذي يدعى على الاسس وبالطرق المار ذكرها لا يمثل بلاد شرق الاردن في شيء بل هو يمثل أشخاص أعضائه فقط ومقرراته لاتعبر عن رغائب الأمة ولا تلزم البلاد في شيء ـ بل تعتبر مقرراته جزءاً من اجراآت التسلط البريطاني غير المشروع

٤ ـ ان شرق الاردن تعتبر ميثاقها القومي أصلا في المطالبة بحقوقها الاستقلالية المشروعة ووضع دستورها على أساس السيادة القومية وهي تتنصل من كل مسؤولية تقع في البلاد من جراء تعنت ممثلي بريطانيا العظمى في خروجهم على روح عهد جمعية الأمم ازاء الشعب وفي عدم تقديرهم أن استرقاق الشعوب لم يعد جائزا في القرن العشرين بعد جهاد الانسانية جهادها العام في سبيل التحرر وبعد ان كانت انكلترا نفسها أول من نادى بابطال رق الافراد . بل انها تعتبر الحكومة البريطانية وحدها هي المسؤولة عن التقهقر الواقع في هذه البلاد من حيث التشريع والادارة والجباية المرهقة للفلاح الاردني حتى أصبحت شرق الاردن في موقف محزن من التقهقر الاقتصادي والاجتماعي لا يسعها السكوت عليه

٥ ـ باسم الحضارة والانسانية نلفت نظر جمعية الأمم المحترمة الى جميع الحقائق المؤلمة المتقدمة التي يوقعها ممثلو بريطانيا العظمى باسمها ونرجو اليها ايفاد لجنة حيادية نزيهة للنظر في هذه الأمور وتحقيق صحة هذه الشكاوى المؤيدة بالوثائق الرسمية

ثم عقد المؤتمر الثالث في اربد يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٣٠ وبعد ماعرض أحوال البلاد الارذنية سياسيا واداريا واقتصاديا وبعد المداولة في جميع هذه الموضوعات من كل نواحيها وفروعها وجد أن الحكومات التي تألفت منذ سنة ١٩٢١ حتى اليوم تألفت مجموعاوأفرادا خلافا للاصول الدستورية وقامت باعمال ومقررات تخالف القوانين المرعية والأصول التشريعية وان ماهو مشهود اليوم في شرق الاردن من الاضطراب السياسي والفوضى الادارية

والخبط القضائي والازمات الاقتصادية الحادة انما هو نتيجة محتمة لهذا الوضع الشاذ الذي عليه البلاد ولعدم استقرار حالة سياسية مرضية في البلاد تضمن سيادة الأمة وسلطانها ونتيجة للتذبذب الحكومي الذي شهدته البلاد والذي لايزال موجودا فيها منذ فصلها عن سورية حتى اليوم وتحقق أن تلافي هذا النقص واصلاح هذه الأخطاء لايأتي الا عن طريق حكومة دستورية مسئولة أمام مجلس نيابي ينتخب انتخابا حرا ولذا قرر مايأتي :

١ ـ تشكيل حكومة دستورية مسئولة أمام مجلس نيابي وكل حكومة تشكل على غير هذا الأساس لاتكون مشروعة

٢ ـ لاتعترف الأمة بمشروعية المجلس التشريعي الذي ألفته الحكومة غير المشروعة ولا تتقيد بمقرراته

٣ ـ لاتعترف الأمة بالتصرفات التي وقعت والتي ستقع من أي سلطة كانت قبل تأليف الحكومة النيابية المنشودة التي تنال ثقة الشعب أو تتمتع بالسيادة والسلطان القومي

٤ ـ ابلاغ صورة من هذا القرار للمقامات والسلطات المسؤولة

٥ ـ عند عدم تنفيذ هذا القرار يجتمع المؤتمر الاردني الرابع لاتخاذ الطرق السلمية المشروعة لتنفيذ أحكام هذا القرار

وعقدت اللجنة المؤتمر الرابع في عمان يوم ١٥ مارس سنة ١٩٣٢ فأصدر بعد البحث والمناقشة القرارات الآتية :

١ ـ عدم الاعتراف بالمعاهدة

٢ ـ المطالبة بانشاء حكومة دستورية مسؤولة

٣ ـ تخفيف الضرائب الى حد يتفق مع حالة البلاد

٤ ـ الاستغناء عن الموظفين المستعارين

٥ ـ الغاء القوانين الاستثنائية

٦ ـ مقاومة كل سعي يراد به ادخال الصهيونية الى شرق الاردن

٧ ـ مشاطرة البلاد العربية أمانيها

وعقدت اللجنة مؤتمرها الخامس في عمان يوم ٥ يونيو سنة ١٩٣٣ فأقر القرارات الآتية :

١ ـ تأليف حكومة وطنية ذات مسؤولية مشتركة على أساس الكفاءة والثقة العامة وتقوم هذه الحكومة بمفاوضات لتعديل المعاهدة بما يضمن حقوق البلاد

٢ ـ استنكار ماتقوم به الصهيونية من دعايات للانتقاص من حقوق شرق الاردن تحقيقا لمطامعها ووضع تشريع قاطع لمنع بيع الاراضى لليهود وتعاملهم مع شرق الاردن بأى شكل وأن يمنع كل يهودى من الاقامة الدائمة

٣ ـ الغاء القوانين الاستثنائية لمخالفتها روح التشريع كقانون النفى والابعاد وقانون منع الجرائم والعقوبات المشتركة

٤ ـ الاستغناء عن الموظفين المعارين لحكومة شرق الاردن حرصا على الوحدة الادارية

٥ ـ معالجة ماوصلت اليه البلاد من سوء الحالة الاقتصادية باتخاذ تدابير خاصة

٦ ـ اتباع سياسة مالية تكفل الاستقرار المالى فى موازنة الدولة

٧ ـ جباية الضرائب من الشركات الاجنبية صاحبة الامتيازات كما تجبى من الاهلين

٨ ـ منع التضخم فى تشكيلات الحكومة وارجاعها الى حد يتناسب وحالة البلاد ومقدرتها المالية

٩ ـ المطالبة باعادة ينابيع الحمة الى الاردن كما كانت فى السابق

١٠ ـ تشجيع رؤوس الأموال العربية بالقيام بمشروعات عمرانية واقتصادية لازدهار البلاد بالنسبة لمنح الامتيازات الاقتصادية

١١ ـ اعتبار الخط الحجازى وقفا اسلاميا كما هو وتسليم ادارة هذا الخط الى لجنة اسلامية لاستثماره والاشراف على شؤونه

١٢ ـ توسيع نظام التعليم الابتدائى بصورة تسد حاجة البلاد وتأسيس مدارس للعشائر

١٣ ـ توحيد الجهود مع البلاد العربية لدرء الأخطار الاستعمارية والصهيونية وتحقيق المبادئ القومية مع السعى لتقرير الاتحاد العربى اللامركزى على قواعد الاتفاق بين حكومات البلاد العربية على أن يحتفظ كل قطر بخصائصه الداخلية وشكل حكومة خاصة

رحلة الامير عبد الله الى لندن

ومع مابذلته اللجنة من جهود فلا يزال الانكليز متمسكين بموقفهم فى شرق الاردن ولا يزالون حتى الساعة معارضين فى تعديل بعض نصوص معاهدة سنة ١٩٢٨ رغم اشتراك الحكومة والمجلس التشريعى مع اللجنة فى هذا الطلب . وقد غادر الأمير عبد الله عمان يوم ٣ يونيو سنة ١٩٣٤ الى انكلترا لزيارة الحكومة البريطانية والسعى لتعديل المعاهدة ، ولا نعرف ماذا تسفر عنه رحلته هذه من نتائج


٢
فلسطين

١
نشأة الصهيونية
وعد بلفور واعتراف الدول به

كانت فلسطين حتى اعلان الحرب العظمى جزءا من بلاد العرب الخاضعة للامبراطورية العثمانية وكانت منقسمة من الناحية الادارية الى قسمين : يتألف القسم الأول من الأنحاء الشمالية ويلحق بولاية بيروت وهو عبارة عن لواء عكا ولواء نابلس وتتبع الأول أقضية صفد وطبريا والناصرة وحيفا وتتبع الثانى أقضية بنى صعب (طولكرم) وجاعين وجنين

ويشمل القسم الآخر الأنحاء الجنوبية ويتألف من لواء القدس المستقل (أى انه كان مرتبطا بوزارة الداخلية مباشرة) وتلحق به أقضية يافا وغزة وبئر السبع

ولم يكن لليهود امتياز أو تفوق فى خلال العهد العثمانى . وكانوا ينقسمون الى قسمين : قسم اليهود الوطنيين وهم متجنسون بالجنسية العثمانية . وقسم اليهود الأجانب وقد أخذ هؤلاء يهاجرون الى فلسطين فى أواخر القرن التاسع عشر عاملين على امتلاك الأراضى وانشاء المستعمرات مما لفت اليهم الأنظار فوضعت الحكومة العثمانية نظاما للهجرة الى فلسطين منعت بموجبه اليهود الأجانب - وكانوا يفدون بكثرة من روسيا ورومانيا - من الاقامة أكثر من ثلاثة أشهر

والواقع ان حركة الانتعاش اليهودى التى ظهرت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وترمى الى انقاذ اليهود وتحريرهم وتجديد ملكهم نمت واتسع نطاقها فى أوائل القرن العشرين بتأييد أغنياء اليهود ومفكريهم فسافر الدكتور هرتسل أحد زعمائهم يومئذ الى الاستانة (سنة ١٩٠٢) وقابل السلطان عبد الحميد وعرض عليه قرضا بمليونى جنيه يعقده أغنياء اليهود للحكومة العثمانية مقابل سماحها لليهود بالهجرة الى فلسطين واستيطانها بلا قيد ولا شرط فأبى السلطان الأخذ بهذا الاقتراح فعد المندوب خائبا . ونبهت

هذه الحركة الحكومة العثمانية الى ماوراء الهجرة اليهودية من أخطار فشددت فى مقاومتها ووضعت لها القيود والشروط واغتنم الاتحاديون فرصة الحرب العظمى فأرادوا أن يضربوا الحركة اليهودية فى فلسطين ضربة قاضية لما تبينوه من ميـل اليهود الى الحلفاء وتجسسهم لحسابهم فأعدموا عددا قليلا منهم بتهمة الجاسوسية ونفوا عائلات الى الاناضول ولم تغن وسائط هؤلاء ووسائلهم وقد اعتادوا أن يتوسلوا بها فى كل مناسبة لقضاء أوطارهم ولم تحمل جمال باشا على التساهل معهم وكان عازما على مقاومة الصهيونية والقضاء عليها [١]

نص وعد بلفور

وليس من قصدنا هنا التوسع فى الكلام عن منشأ الصهيونية التاريخى وغايتها فهنالك مطولات من الكتب والرسائل وضعها دعاتها فأسهبوا وأطالوا وحسبنا أن نقـول هنا ان الغاية الحقيقية منها هى انشاء دولة يهودية فى فلسطين تحيي مجد اسرائيل وتضم شمل اليهود فى العالم . ولقد كان أثر الحرب العظمى كبيرا فى تحول الصهيونية فشمر دعاتها لخدمة قضيتهم القومية مستغلين نفوذهم المالى والسياسى فى أوربا وأميركا فعملوا كثيرا وبذلوا جهودا لايستهان بها ففازوا بوعد بلفور الصادر يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ فـكان أول ثمرة مادية من ثمار جهادهم الوطنى كما كان حجر الزاوية فى بنيانهم القومى وقد صـدر بشـكل كتاب أرسله اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية الى اللورد روتشيلد وهذه ترجمته :

عزيزى

بسرنى جـدا ان أبلغكم بالنيابة عن حكومة جـلالة الملك انها تنظر بعين الرضى والارتياح الى المشروع الذى يراد به أن ينشأ فى فلسطين وطن قومى لشعب اليهود وتفرغ خير مساعيها لادراك هذا الغرض ، وليـكن معلوما انه لايسمح باجراء شىء يلحق الضرر بالحقوق المدنيـة والدينية التى للطوائف غير اليهودية الموجودة فى فلسطين الآن أو بالحقوق التى تتمتع بها اليهود فى البلدان الأخرى وبمركزهم السياسى فيها »

(١) كان اليهود حتى اعلان الحرب العظمى ينزلون من فلسطين منطقة القـدس ومنطقة يافا وحيفا وصفد وطبريا وكان مجموعهم ٥٤ ألفا

ونشرت جريدة الجويش كرونيكل اليهودية التى تصدر فى لندن هذا الكتاب يوم ٦ نوفبر وأذاعته شركة روتر فى الآفاق يوم ٨ منه فقابله اليهود بالارتياح وواصلوا السعى عند الحكومات الأوربية الأخرى لحلها على تأييده والاعتراف به . وكانت الحكومة الفرنسوية هى الثانية التى اعترفت به فقد نشر فى باريس يوم ١٤ فبراير سنة ١٩١٨ البلاغ الرسمى الآتى :

«استقبل المسيو ستيفان بيشون وزير الخارجية المسيو سوكولوف ممثل الجمعيات الصهيونية فأعرب له عن ارتياحه الى التضامن المشهود بين الحكومتين الفرنسوية والبريطانية فى قضية اسكان اليهود فى فلسطين »

وفى يوم ١٩ مايو سنة ١٩١٨ أبلغ المركيز امبريالى سفير ايطاليا فى لندن المستر سوكولوف باسم حكومته «انها مستعدة لتسهيل العمل الخاص باتخاذ فلسطين مقرا لليهود »

وفى يوم ٣١ اغسطس سنة ١٩١٨ أعرب الرئيس ولسن للحاخام ستيفان فيز أحد زعماء الحركة الصهيونية فى امبركا عن ارتياحه الى النجاح الذى أدركته الصهيونية فعد ذلك موافقة ضمنية منه على وعد بلفور

اللجنة الصهيونية واختصاصاتها

وألف اليهود فى سنة ١٩١٨ لجنة برئاسة الدكتور وايزمن تمثل جميع عناصرهم وحددوا اختصاصاتها وأغراضها بما يلى :

١ ـ تكون حلقة اتصال بين الحكومة البريطانية ويهود فلسطين

٢ ـ تسهل عودة المهاجرين والمنفيين الى فلسطين

٣ ـ تساعد على تعمير المستعمرات اليهودية وتنظيم أمور اليهود بالاجمال فى فلسطين

٤ ـ تساعد الجمعيات والمدارس والمعاهد اليهودية فى فلسطين لتستأنف أعمالها

٥ ـ توثق عرى المودة بين اليهود والعرب

٦ ـ تضع التقارير فيما يمكن عمله للاستعمار اليهودى

٧ ـ تنظر فى انشاء جامعة يهودية

اتصال اليهود بالامير فيصل

وفى شهر ابريل سنة ١٩١٨ وصل الى الاسكندرية وفد اللجنة الصهيونية برئاسة الدكتور وايزمن ويتالف من جوزيف كوين وليون سيمون واسرائيل سيف وسلفان ليفي لزيارة فلسطين والاشراف على الحالة فيها وصحبهم فى رحلتهم هذه الماجور اورمسبي جور من وزارة الحربية البريطانية ـ وزير المستعمرات بعدئذ ـ بصفة ضابط الارتباط السياسى البريطانى لدى اللجنة الصهيونية يساعده الكبتن جمس روتشلد فزاروا القدس واستقبلتهم السلطة البريطانية رسميا وأدب لهم المستر ستورس حاكم القدس يومئذ مأدبة رسمية

واغتنم الدكتور وايزمن الفرصة فقصد يوم أول يونيو سنة ١٩١٨ العقبة فزار الأمير فيصلا و بسط له أغراض الصهيونية ورغبتها فى التعاون مع العرب فكان الأمير كثير الحذر ـ كما تقول المصادر الصهيونية ـ ولم يبد رأيا حاسما

ولما رحل الأمير رحلته الأولى الى أوربا فى خريف سنة ١٩١٨ لحضور مؤتمر الصلح ونزل باريس جاءه المستر سوكولوف أحد زعماء اليهود مرحبا وطالبا منه أن يظهر عطفا على القضية اليهودية فصرفه بلطف

وسافر الأمير بعد ذلك الى لندن فزاره عظماء اليهود الانكليز وفى مقدمتهم السر الفريد موند والسر هربرت صموئيل واللورد بركنهد (وزير الحقانية البريطانية) وتظاهروا بالعطف على العرب وقضيتهم وأظهروا استعدادهم لتأييدها بنفوذهم وطلبوا اليه أن يوقع على بيان كتبوه باللغة الانكليزية وقالوا انه ينطوى على اظهار العطف على فكرة الوطن القومى ، فوقعه الأمير باللغة العربية بعد أن كتب عليه مانصه « مشترطا أن ينال العرب استقلالهم من رفح حتى طوروس وخليج العجم » ولما سأله بعضهم لماذا عجل فى التوقيع أجاب لقداشترطنا لتأييدهم انشاء مملكة عربية فاذا أنشئت فلايهمنا شىء

ويقول اليهود ان البيان الذى وقع عليه الأمير يومئذ ينطوى على الاتفاقية الآتية :

صاحب السمو الملكى الأمير فيصل يمثل ويعمل لصالح مملكة الحجاز العربية

والدكتور حايم وايزمن يمثل ويعمل لصالح الجمعية الصهيونية مع ذكرهما القرابة العنصرية والروابط القديمة الكائنة بين العرب واليهود وادراكهما أن أضمن وسيلة لتحقيق أمانيهم القومية هى التعاون لترقية الدولة العربية وفلسطين وبما أنهما يرغبان زيادة على ذلك فى تأييد التفاهم الطيب القائم بينهما اتفقا على المواد الآتية :

المادة الأولى ـ الدولة العربية وفلسطين فى جميع علاقاتهما وأعمالهما يجب أن يسودها التفاهم بأشد اخلاص وحسن ارادة ولهذه الغاية سيعين فى حينه وكلاء عرب ويهود موثوق بهم ومؤيدون فى البلدين المشار اليهما

المادة الثانية ـ تحدد الحدود النهائية بين الدولة العربية وفلسطين بواسطة لجنة يتفق عليها حالما تتم مفاوضات مؤتمر الصلح

المادة الثالثة ـ تؤخذ جميع التدابير وتعطى أفضل الضمانات لتطبيق تصريح الحكومة البريطانية الصادر يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ حين وضع دستور حكومة فلسطين

المادة الرابعة ـ تتخذ كل التدابير لتشجيع وتنشيط الهجرة اليهودية الى فلسطين بمقياس كبير وبالسرعة الممكنة لاسكان المهاجرين فى الأراضى وتصان حقوق الفلاحين العرب ويساعدون فى تقدمهم الاقتصادى

المادة الخامسة ـ لايوضع نظام أو قانون يمنع أو يحول بأية طريقة دون ممارسة الأديان بحرية كاملة . ويسمح أيضا بدون قيد ولاشرط بحرية العقائد والعبادات بدون تميز أوتفضيل وتمارس الحقوق المدنية والسياسية

المادة السادسة ـ تكون المقدسات الاسلامية تحت اشراف اسلامى

المادة السابعة ـ ترسل الجمعية الصهيونية الى فلسطين لجنة من الخبراء لدرس قابلية البلاد الاقتصادية وتقدم تقريرا عن أفضل الوسائل لتحسينها وتضع الجمعية الصهيونية هذه اللجنة تحت تصرف الحكومة العربية لدرس قابلية المملكة العربية الاقتصادية وتقديم تقرير عن أفضل الوسائل لتحسينها . وتستخدم الجمعية الصهيونية خير جهودها لمساعدة الحكومة العربية فى اعداد الوسائل لتحسين الموارد الطبيعية والقابلية الاقتصادية فى بلادها

المادة الثامنة ـ يوافق الفريقان المتعاقدان على العمل باتفاق وتآلف لضمان تحقيق هذا الاتفاق أمام مؤتمر الصلح

المادة التاسعة ـ تحكم الحكومة البريطانية فى كل خلاف يبدو خلال تطبيق أحكام هذا الاتفاق »

وتقول المصادر اليهودية ان الأمير وضع التحفظ الآتى على هذا الاتفاق :

اذا توطدت دعائم الحكومة العربية كما طلبت فى كتابى بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩١٨ الى وزارة الخارجية البريطانيــة فأقوم بما كتب فى هذه الاتفاقية واذا أجريت تبدلات فلا أكون مسؤولا عن عدم قيامى بما جاء فيها

وينفى الذين رافقوا الأمير فى رحلته الى لندن وحضروا الاجتماع فى فندق كارلتون الذى يقول الصهيونيون ان الاتفــاق وقع فيــه وجود هــذا الاتفاق بهــذا الشكل ويقولون ان الأمير وقع بيانا عاديا لايزيد فى مضمونه عما قلناه آنفا . وقد تحدى بعضهم الصهيونيين حينما أذاعوا هذا الاتفاق لنشر متنه مع توقيع الأمير فيصل عليه فلم يفعلوا

بيان للأمير ينفى الاتفاق

على أن جريدة الجويش كرونيكل وهى لسان الجمعية الصهيونية فى انكلترا نشرت يوم ٤ اكتوبر سنة ١٩١٩ بيانا للأمير فيصل نفسه عالج فيــه المسألة اليهودية بصراحة فقال : « يجب أن تظل فلسطين جزءا من سورية فليس بينهما حــد طبيعى ولا فاصل ومايؤثر فى الواحــدة يؤثر فى الاخرى ويجب أن يؤثر فيها فالعرب يرون فلسطين ولاية عربية ولايرونها بلادا قائمة بنفسها ونحن نسعى لننشىء امبراطورية عربية تتألف فى أقل مايكون من العراق وسوريا وفلسطين

« وقد قيل لى ان جميع اليهود يعتمدون على التصريح الذى فاه به المســتر بلفور ويتطلعون الى انشاء وطن قومى لهم فى فلسطين أى أن تصير فلسطين دولة يهودية ولاريب أن هذه الأمانى تناقض أفــكار العرب ولا ترضيهم فأناشد اليهود وهم ساميون قبل العرب طالبا معاونتهم اياانا فى انشاء المملكة العربية حتى اذا كثر عدد اليهود فى فلسطين تيسر أن تجعل ولاية يهودية من ولايات هذه المملــكة العربية »

فلو كان مايقوله الصهيونيون عن وجود ذاك الاتفاق صحيحا لما نشر هذا التصريح وهو يناقضه على خط مستقيم

اليهود ومؤتمر الصلح

ولقد كان من جراء مساعى اليهود ونشاطهم فى أوربا أن قرر مؤتمر الصلح سماع أقوال مندوبيهم والوقوف على آرائهم فى القضية الصهيونية فتكلم يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩١٩ أمام المؤتمر الدكتور ويزامن والمستر سوكولوف باسم الجمعية الصهيونية العالمية والمسيو اندره مسبيرو باسم الجمعية الصهيونية فى فرنسا والمسيو سيليفان ليفى الاستاذ فى كوليج دى فراس باسم اللجنة الصهيونية وهو عضو فيها والمسيو أوسيشكين باسم يهود روسيا وقد اتفقت كلمتهم جميعا على المطالبة بانشاء جمهورية يهودية فى فلسطين تحت وصايه جمعية الأمم

٢

العرب والحركة الصهيونية وبريطانيا

الجمعيات الاسلامية المسيحية والمؤتمرات الوطنية

ظلت فلسطين من ابتداء الحرب العظمى فى سنة ١٩١٤ حتى ختامها فى سنة ١٩١٨ ميدانا لنطاحن الجيوش المتحاربة فقد اتخذها الترك فى أول الأمر قاعدة لجيوشهم الزاحفة على قناة السويس فكانوا يغيرون منها على مراكز الانكليز فى الصحراء وعلى ضفتى القناة نفسها . وتبدل موقف الجيش البريطانى بعد سنة ١٩١٦ وبعد اعلان الثورة العربية واشتراك العرب فى الحرب الى جانب الحلفاء فصار مهاجما بعد ما كان مدافعا فكر على الترك فى فلسطين من الجنوب كما كر عليهم الجيش العربى من الجنوب الشرقى وظلا يقاتلانهم حتى أخرجوهم من فلسطين والشام فى أواخر أيام الحرب وساقوهم حتى حدود الاناضول

ولم تتح لعرب فلسطين الفرصة الكافية للاعراب عن رأيهم فى السياسة الجديدة التى يراد تنفيذها فى بلادهم ، بسبب حالة الحرب وما تستلزمه من تدابير استثنائية اعتمد عليها الانكليز بعد دخولهم البلاد ؛ اعتماد الترك عليها من قبل ، فظل وعد بلفور مكتوما عن عامة الشعب الفلسطينى بالاجمال حتى دخول الانكليز القدس يوم ٩ ديسمبر سنة ١٩١٧ او حتى وصول اللجنة الصهيونية فى ابريل سنة ١٩١٨ وهو الاصح

اول احتجاج على السياسة الجديدة

وربما كان المرحوم كامل أفندى الحسينى مفتى القدس فى تلك الايام هو أول فلسطينى احتج على السياسة البريطانية الجديدة المنطوية على وعد بلفور فقد شهد المأدبة الرسمية التى أدبها المستر ستورس حاكم القدس يوم ٢٧ ابريل سنة ١٩١٨ لوفد اللجنة الصهيونية وسمع مدار فيها من خطب عن المستقبل الذى يعدونه لفلسطين فاحتج وانسحب اما فى مصر فقد ... وفد من كبار ... بين المندوب السامى البريطانى محتجا على الوعد حين اعلانه

تاليف الجمعيات الاسلامية المسيحية

ولم يكد كابوس الحرب يختفي عن الانظار وتخف وطأة الأحكام العرفيــة حتى شمر عرب فلسطين للمقاومة ـ فألفوا فى كل مدينة من مدنهم جمعية ضمت كبار مسلميهم ومسيحييهم فقــد اتفق الفريقان على مقاومة الخطر الصهيونى الفاغر فاه لابتلاع فلسطين والقضاء على عربها وأطلقوا عليها اسم الجمعيات الاسلامية ـ المسيحية ولا تزال قائمة حتى الآن

واتجهت أنظار الفلسطينيين فى هذه المرحلة نحو دمشق لأنهم أدركوا أن مصلحتهم هى فى الانضمام اليها والاستعانة بها فبلادهم جزء لا يتجزء من سورية وعقدت الجمعيات الاسلامية المسيحية مؤتمرا فى يافا يوم ١٢ فبراير سنة ١٩١٩ اشترك فيه ٣٦ مندوبا فقرروا باتفاق ٣٠ رأيا ضم فلسطين الى سورية

فلسطين واللجنة الامريكية

وتجلت فــكرة الانضمام الى سورية فى أثناء زيارة اللجنــة الاميركية لفلسطين فى شهر يونيو سنة ١٩١٩ فقــد اتفقت الـكلمة على طلب الاســتقلال التام لفلسطين ضمن الوحدة السورية وعلى رفض وعد بلفور والانتداب البريطانى (راجع تقرير اللجنــة الامريكية فى الجزء الثانى ص ٥١ ـ ٨٣)

المؤتمرات الوطنية الفلسطينية

ورأى زعماء فلسطين ومفــكرها أن يستعينوا بالمؤتمرات الوصنية يعقدونه فى الظروف المناسبة للدفاع عن قضيتهم ولاسماع صوتهم ولوضع الخطط التى يسيرون عليها فى جهادهم فعقدوا سبعة مؤتمرات حتى الآن هذا موجز تاريخها

١ — المؤتمر السورى العام

ولما كانت فلسطين على اختلاف طوائفها وبلدانها قد اشتركت فى المؤتمر السورى العام المعقود فى دمشق يوم ٨ يونيو سنة ١٩١٩ اذ أرسلت اليه كل مدينة من مدنهم نوابا

يمثلونها وكان مما قرره رفض الهجرة الصهيونية وعدم الاعتراف بوعد بلفور فقد قرر الفلسطينيون اعتبار هذا المؤتمر أول مؤتمر وطنى عقدوه واتخذوا قراراته قاعدة للسياسة الوطنية التى يسيرون عليها فى نضالهم ولا نرانا فى حاجة الى اعادة نشرها فهى مندمجة فى قرار ٨ مارس سنة ١٩٢٠ التاريخى (انظر ص ١٣٠ - ١٣٣ من الجزء الثانى)

٢ — المؤتمر الفلسطينى الثانى

عقد هذا المؤتمر فى دمشق وفى دار النادى العربى يوم الجمعة ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٠ وبحث فى الشؤون الآتية :

١ ـ فلسطين والوحدة السورية

٢ ـ الحكومة الوطنية التى تنوى الحكومة المحتلة تأليفها وماذا يجب اتخاذه فى شأنها

٣ ـ الهجرة الصهيونية وماذا يجب اتخاذه لصد تيارها

٤ ـ علاقة فلسطين بالسلم العام

وقد اشترك فى هذا المؤتمر مندوبو اللجنة العليا للدفاع الوطنى بدمشق ومفوضو الأحزاب السياسية وهى الوطنى السورى والاستقلال العربى والاتحاد السورى والعهد السورى الدمقراطى والعهد العراقى والنادى العربى وجمعية النهضة الأدبية وزعماء الدنادشة وحوران والكرك وشيوخ بنى صخر وغيرهم فأقر أربع قرارات هذا نصها :

١ ـ ان أهالى سورية الشمالية والساحلية ماخطر لهم فى وقت من الأوقات أن يعتبروا سورية الجنوبية أى فلسطين قطعيا غير سورية وكما أثبتوا ذلك فى مقررات مؤتمرهم السورى فهم الآن يثبتون هذا القرار مرة ثانية

٢ ـ ان أهالى سورية الشمالية والساحلية اعتبروا ويعتبرون الخطر الصهيونى اذا تمكن فى فلسطين يبتلع كيانهم السياسى مع الزمن وهذا ماحملهم على المجاهرة برفض الهجرة الصهيونية أمام اللجنة الأميركية فهم الآن يثبتون مرة ثانية هذا القرار ويرفضون جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ويلتمسون من حكومتهم العربية أن ترفض رسميا هذا الوعد ولو صادقت عليه نفية حكومات الحلفاء والسعى لأجل ذلك ومقاطعة اليهود اقتصاديا فى مناطق سورية الثلاث

٣ ـ ان أهالى سورية الشمالية والساحلية يرفضون أى حكومه وطنية فى فلسطين قبل أن تعترف الحكومة المحلية بمطلبي الفلسطينيين اللذين قدموهما للجنة الأميركية من عدم فصلها عن سورية أولا ومنع المهاجرة الصهيونية ثانيا ويرفضون كل قرار يقرره الوطنيون فى الاجتماع الذى تعقده الحكومة المحتلة فى القدس لأن هذا القرار يعتبر أنه وقع بالضغط و بقوة الحراب

٤ ـ تتمة للقرارات الثلاثة السابقة ـ و بما أن الحركة الوطنية القائمة فى البلاد للمطالبة باستقلال سورية بحدودها الطبيعية و بما أن أوربا فى جميع تبليغاتها ومنشوراتها تفصل كلمة فلسطين عن سورية تغريرا للناس فلذلك أهل سورية الشمالية والساحلية دفعا لكل التباس فى مغزى أعمالهم السياسية يقررون أن هذه الحركة كما هى موجهة لاخراج المحتلين من الساحل كذلك هى موجهة أيضا لاخراج المحتلين من فلسطين وأن اللجنة الوطنية يرجى منها أن تدعى من الآن فصاعدا لجنة الدفاع الوطنى العربى عن سورية وفلسطين

٣ — مؤتمر حيفا الثالث

غادر مندوبو فلسطين فى المؤتمر السورى دمشق عائدين الى بلادهم بعد نكبة العرب الكبرى فى ميسلون و بعد ماخابت آمالهم من جهة الحكومة الفيصلية ولما كان لابد من وضع خطة للحركة الفلسطينية فى المرحلة الجديدة فقد اتجهت أنظار الزعماء والمفكرين الى عقد مؤتمر ينظم العمل و بعد مباحثات تم الاتفاق على أن يجتمع المؤتمر فى حيفا . فعقد يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٠ وأطلقوا عليه المؤتمر الثالث اضافة الى المؤتمر السورى العام والى المؤتمر الفلسطينى الثانى المعقودين فى دمشق

ودارت مباحثات فى هذا المؤتمر انتهت الاتفاق على المطالبة بالمواد الآتية .

١ ـ رفض انتداب بلفور

٢ ـ منع الهجرة اليهودية

٣ ـ انشاء حكومة وطنية لفلسطين

وقد اختار هذا المؤتمر لجنة تنفيذية تسهر عليه بالسعي لتنفيذ قراراته ومتابعة والاشراف على الحركة الوطنية واختار موسى كاظم باشا الحسيني رئيس المؤتمر رئيسا لها

كانت تتألف من السادة عارف الدجانى والشيخ سليمان الفاروقى وتوفيق حماد وابراهيم شماس والدكتور يعقوب برتقش ومعين الماضى وعبد الفتاح السعدى

٤ — مؤتمر القدس الرابع

ودعت اللجنة التنفيذية الى عقد مؤتمر رابع عقد فى القدس يوم ٢٥ يونيو سنة ١٩٢ لانتخاب وفد يسافر الى أوربا لبسط القضية الفلسطينية على مسامع الرأى العام المتمدن و بيان مايلحقه تنفيذ السياسة الصهيونية المندمجة فى وعد بلفور من شديد الضرر بفلسطين وأهلها وذلك قبل أن يبت رسميا فى الانتداب

وقد تم انتخاب هذا الوفد وتألف كما يأتى :

موسى كاظم باشا الحسينى رئيسا وتوفيق حماد وأمين التميمى ومعين الماضى وابراهيم الشماس وشبلى الجمل أعضاء وفى يوم أول يوليو سنة ١٩٢١ غادر الاسكندرية قاصدا لندن ليقابل ولاة الأمور فيها و بث دعاية طيبة لبلاده

اتحاد الوفدين السورى والفلسطينى وقرارهما

واتصل الوفد الفلسطينى وهو فى أوربا بوفد الاتحاد السورى وعقدوا يوم ٢٥ اغسطس من تلك السنة مؤتمرا (المؤتمر السورى الفلسطينى) فى جنيف استمر نحو ٢٥ يوما وضعوا فى ختامه بيانا مفصلا قدموه الى رئيس جمعية الأمم وأعضائها وطلبوا تحقيق المطالب الآتية :

١ ـ الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومى لسورية وللبنان ولفلسطين

٢ ـ الاعتراف بحق هذه البلاد فى ان تتحد معا بحكومة مدنية مسئولة أمام مجلس نيابى ينتخبه الشعب وأن تتحد مع باقى البلاد العربية المستقلة فى شكل ولايات متحدة يدارسبون

٣ ـ الغاء الانتداب حالا

٤ ـ جلاء الجنود الفرنسية و الانكليزية عن سورية ولبنان وفلسطين

٥ ـ الغاء تصريح بلفور

٥ — مؤتمر نابلس الخامس

عقد هـذا المؤتمر يوم الثلاثاء ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٢ بدعوة اللجنة التنفيذية لسماع أقوال الوفد العائد من لندن وتقرير الخطة السياسية الجديدة وتلى فيـه بيان الوفد وقد جاء فيـه أنه قصد لندن بطريق رومة فقابل قداسة البابا وشكره على دفاعه عن فلسطين ونال وعدا وثيقا بأنه لايفتر عن دفاعه . ثم أشار الى مادار بينه و بين الحكومة الانكليزية من مكاتبات ومراسـلات ومباحثات وختم تقريره بقوله ان سياسـة انكلترا الخاصة بالقضية الصهيونيـة لا تزال على حالهـا لم يحدث فيها تعديل جوهرى وان صك الانتداب جاء معززا لها . وقال ان الحكومة البريطانية لا تزال مصرة على تنفيذ سياستها غير ملتفتة الى عهودها للعرب ومصدر ذلك تفرق كلمة هؤلاء وتشتت شملهم وقال انه يرى الأخذ بالاقتراحات الآتية :

١ ـ تنمية التضامن بين العرب وتوطيده بطريقة عمليـة تأتى بالفائدة المنشودة واجتناء ثمرة تنشيط النهضة الاقتصادية وتوسيع نطاق العلم والزراعة

٢ ـ بذل الاهتمام لتوثيق عرى الاتحاد باخواننا العرب واعلان ذلك لدحض الزعم الفاسد بتشتت شملهم المبنى على الوهم بأن كل مقاطعة من مقاطعاتهم فى عزلة عن الأخرى فيقصر أمل الطامعين فى هذه الأمة و يعتقدون أنها ليست لقمة سائغة

٣ ـ ارسال برقية شكر الى جلالة الملك حسين لما أبداه و يبديه من العناية أولا وآخرا بالقضية العربية عامة والفلسطينية خاصة مع استمداد تلك العناية الهاشمية

٤ ـ ارسال وفد الى ملوك العرب وأمرائهم لايقافهم على الظلم الواقع والبحث عن فوائد الاتفاق والتفاهم

ووضع المؤتمر عند ختامه الميثاق الوطنى الآتى وقد أقسم جميع الأعضاء على التقيد به وتنفيذه وهو « نحن ممثلى فلسطين أعضاء المؤتمر العربى الخامس نقسم أمام الله والأمة والتاريخ بأن نواصل المساعى المشروعة لتحقيق الاستقلال والاتحاد العربى ورفض الوطن اليهودى والمهاجرة الصهيونية »

ووقف موسى كاظم باشا الحسينى رئيس المؤتمر فى الجلسة وقال بصوت جهورى

أعاهد الله والشرف والانسانية على مقاطعة المجلس التشريعى الذى قررت الحكومة انشاءه فهل تعاهدونى على ذلك فوقف جميع الأعضاء مع المستمعين صائحين اننا نعاهدك على ذلك ولنفقد الأولاد والأحفاد اذا لم نقاطعه

٦ — مؤتمر يافا السادس

دعت اللجنة التنفيذية الى عقد هذا المؤتمر فى يافا لتنظيم الحركة الوطنية طبقا للتحول الجديد الذى حدث على أثر رفض الأمة الاشتراك فى المجلس التشريعى كما سيأتى بيانه فعقد هذا المؤتمر صباح السبت ١٦ يونيو سنة ١٩٢٣ وتلى بيان الوفد الفلسطينى الى أوربا لحضور مؤتمر الصلح والدفاع عن قضية فلسطين و بسط مطالب أهلها [١] ثم بحث فى مشروع المعاهدة العربية ـ البريطانية لحل المشكلة الفلسطينية وتصفية عهود بريطانيا للعرب (سيأتى الكلام على هذا المشروع فى الباب الثالث عند البحث فى سقوط الدولة الهاشمية)فقرر رفضه وهذا نص القرار الذى قرره :

«قرر المؤتمر العربى الفلسطينى السادس المنعقد فى يافا والممثل للأمة رفض مشروع المعاهدة الانكليزية ـ العربية المقدم لجلالة الملك حسين والذى نشرت حكومة فلسطين خلاصته ، لأنه مخالف للعهود المقطوعة للعرب ولحقوق الشعب الفلسطينى والمطالبة بالغاء

(١) قررت اللجنة التنفيذية فى اجتماع عقدته فى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٢ ارسال وفد الى لوزان ولندن للدفاع عن قضية فلسطين حين اجتماع مؤتمر الصلح بين الترك والحلفاء لحل القضية الشرقية وقد رأس موسى كاظم باشا الوفد وتألف من أمين التميمى والحاج توفيق حماد وشبلى الجمل ووصل الى القاهرة يوم ٦ نوفمبر فاجتمع الى أعضاء اللجنة التنفيذية لمؤتمر السورى الفلسطينى وتم الاتفاق فى جلسة رسمية عقدت يوم ٧ منه على توحيد عمل الوفدين . [illegible] يوم ٨ منه غادر الوفد مصر الى تركيا فاجتمع الى أقطاب الترك ثم [illegible] دون دخوله المؤتمر وبسط قضيته فاكتفى بنشر [illegible] ثم [illegible] واتصل برجال الحل والعقد فيها [illegible]

السياسة الصهيونية وبانشاء حكومة وطنية نيابيـة مستقلة . ورفض كل مشروع لايضمن تحقيق مطالب الأمة »

.وأصـدر المؤتمر قرارات عديدة تدور فى هذه الدائرة وانفض تاركا للجنة مواصـلة العمل . وانتخب وفدا يسافر الى لندن على الفور ليكون فى جانب الدكتور ناجى الأصيل (مندوب الملك حسين) فى أثناء المفاوضات التى تدور بينه وبين وزارة الخارجيـة لعقد المعاهدة العربية والدفاع عن قضية فلسطين طبقا لقرارات مؤتمر يافا وقد رأس موسى كاظم باشا الوفد فبلغ لندن يوم ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٣ وظل فيها حتى ١٣ سبتمبر فعاد الى فلسطين بدون جدوى لاخفاق تلك المفاوضات

٧ — مؤتمر القدس السابع

اجتمع هذا المؤتمر يوم ٢٠ يونيو سنة ١٩٢٨ فى دار اللجنة التنفيذية وشهده ٢٥٠ مندوبا يمثلون جميع المناطق والأحزاب فقرر المطالبة بحكومة برلمانيـة وتحية الجمعية التأسيسية فى سورية وشكر الوفد السورى فى أوربا والاحتجاج على كثرة الموظفين الانكليز فى الحكومة الفلسطينية وعلى اعطاء امتياز البحر الميت لشركة أجنبية وعلى تفضيل العمال اليهود على العمال العرب فى الأشغال الحكومية والمطالبة بوقف سن القوانين ريثما تؤلف الحكومة البرلمانية

وأرسـل المؤتمر برقيـة الى جمعية الأمم يطلب فيها أن ينشأ فى فلسطين نظام حكم ديمقراطى برلمانى بعد أن دام الحكم الاستعمارى المطلق فيها عشر سنوات وقال ان فلسطين مساوية لجميع البلدان العربية المجاورة لها والمتمتعة الآن بنظام الحكم البرلمانى وان الفلسطينيين لايسعهم الصبر على نظام الحكم الاستعمارى المطلق

وقد اختار المؤتمر لجنة تنفيذية لمواصلة العمل برئاسة موسى كاظم باشا الحسينى

٨ — المؤتمر الثامن

وبذلت مساع جمـة لعقد المؤتمر الثامن لم تكلل بالنجاح حتى الآن لأسباب عديدة على أن اللجنة التنفيذية عقدت جلسة عامة يوم ٧ ابريل سنة ١٩٣٣ فى القدس وقررت بالاجماع توجيه الدعوة الى عقد المؤتمر الثامن يوم ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٤ لتنظيم اللجنة التنفيذية على أساس مالى جديد ووضع نظام داخلى لها

٣

الانتداب البريطاني لفلسطين

أنشأ البريطانيون على أثر احتلالهم لفلسطين حكما عسكريا صارما فكان لهم فى كل بلد ضابط عسكرى يحكمها وكان على رأس هؤلاء ضابط عسكرى كبير مقره فى القدس ويلقب بلقب الحاكم العام للمنطقة الجنوبية من أراضى العدو المحتلة ، يستمد السلطة والنفوذ من القائد العام للحملة المصرية .

ولما تم الاتفاق بين الفرنسويين والانكليز على اقتسام هذه البلاد وقد أسهبنا فى الكلام عن ذلك فى الجزء الثانى وأصدر مجلس الحلفاء الأعلى قراره يوم ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠ بانتداب انكلترا لفلسطين ، دعا حاكم القدس رؤساء الطوائف وأعيان البلاد الى اجتماع عقد فى داره يوم ٢٩ ابريل من تلك السنة وتلا عليهم البيان الآتى :

«قرر المجلس الأعلى انتداب دولة لفلسطين وأن يدمج عهد بلفور بانشاء وطن قومى لليهود فى معاهدة الصلح مع تركيا . وقد عرض هذا الانتداب على بريطانيا فقبلته وهى تحكم البلاد لخير سكانها . وأتلو عليكم وعد بلفور وأقول لكم ان ادماجه فى صك الانتداب يعنى عدم التعرض للعادات الدينية والأماكن المقدسة وعدم تقييد شىء من الحرية الدينية بشرط المحافظة على النظام والأمن العام ، ويسمح للمهاجرين بدخول البلاد على قدر حاجتها الى السمو والارتقاء وتسيطر حكومة بريطانيا على المهاجرة ولا يخرج أصحاب الأملاك الحاليون عن أملاكهم ولا تنزع منهم ولا تمنح امتيازات اقتصادية لأفراد أو جماعات اذا كان فى منحها ضرر لغيرهم . فالحكم سيكون للحكومة البريطانية ولا يسمح بحال من الأحوال لأقلية أن تسيطر على الأكثرية من السكان ومتى حان الوقت لانشاء شكل من أشكال الحكم النيابى ففى هذه الحالة تعقد الآمال العظيمة على زيادة اليسر لجميع سكان البلاد . وقد صدر هذا القرار بعد طول انتظار فيجب انهاء الخلافات السياسية والاضطرابات وعلى جميع الفلسطينيين الحقيقيين أن يتآزروا لخدمة فلسطين وخير الأجيال المقبلة »

الاحتجاج على فرضه الانتداب

وقد احتجت الجمعيات الاسلامية ـ المسيحية فى جميع أنحاء فلسطين على قرار المجلس الأعلى بفرض الانتداب خلافا للعهود المقطوعة للعرب و وضعت مضابط أرسلتها اليه ونكتفى باثبات الاحتجاج المرسل من جمعية القدس قالت :

«نحن أعضاء الجمعية الاسلامية ـ المسيحية الممثلة لجميع أهالى لواء القدس نحتج على القرار الصادر من مؤتمركم بخصوص مستقبل فلسطين ونرفضه رفضا باتا لما فيه من الاجحاف بحقوقنا المقدسة ونعلن أننا لا نتخلى عن مطالبنا المنحصرة فى استقلال سورية المتحدة من طوروس الى رفح ورفض الهجرة الصهيونية رفضا باتا وعدم فصل فلسطين عن سورية للأسباب الآتية :

١ ـ لاننا لم نقاتل الترك الذين تجمعنا واياهم الرابطة الشرقية ونحارب بجانب الحلفاء لنعطى بلادنا هدية لأناس أجانب عنها وليس لهم حق من حقوق التملك فيها بل لننال حقنا من الاستقلال فى الحياة

٢ ـ لان فصل فلسطين عن سورية يضر بمصالح البلاد الاقتصادية والعمرانية وبمصالح الوطنيين القومية والمحلية

٣ ـ لعدم كفاية أراضى البلاد لأهلها الوطنيين الذين هم فى ازدياد مستمر سيما وفى النية الاهتمام بأمر اسكان وتحضير القبائل البدوية القاطنة فيها

٤ ـ لان الهجرة ستزيد النفوس وتسبب المجاعات وتؤهل البلاد لحالة الشغب والثورة الدائمين

٥ ـ لو لم يكن دخول الأجنبي مضرا بمصالح البلاد الاقتصادية والأدبية لما منعت أرقى دول العالم وأشدها قوة واقتدارا كدولة بريطانيا وأميركا دخول الأجنبي الى بلادها فكيف بفلسطين المنهوكة القوى من الحرب الطاحنة فانها لا تتحمل هجرة أشد الشعوب طمعا وأكثرها أنانية

فلذلك نطلب من المجلس ان ينظر الى مطالبنا بعين الانصاف ويؤيد هذا الحق الطبيعى الذى لا حياة للبلاد الا به ونلقى تبعة كل ما يحدث فى البلاد مستقبلا على عاتق المؤتمر والسلام

انشاء الحكومة الفلسطينية

وبدأت الحكومة البريطانية بعد نيلها الانتداب لفلسطين ، بانشاء حكومة مدنية بدلا من الادارة العسكرية القديمة فعينت السر هربرت صموئيل من زعماء الحركة الصهيونية مندوبا ساميا لهذه الحكومة على أن ينفذ سياسة الوطن القومى

وصل المندوب السامى الجديد الى فلسطين لتقلد منصبه الجديد وفى يوم أول يوليو سنة ١٩٢٠ نودى بالحكومة الجديدة وتقلد السر هربرت صموئيل رئاستها رسميا وهذا نص البلاغ الرسمى الذى أذاعه :

الى أهالى فلسطين

انى مأمور من جلالة الملك جورج الخامس أن أبلغكم الرسالة الآتية :

ان الدول المتحالفة التى نالت الفوز الباهر فى هذه الحرب قد أودعت الى بلادى أمر الوصاية على فلسطين لكى تسهر على مصالحها وتكفل لبلادكم العمران السلمى الذى طالما كنتم تنشدونه

انى أذكر بافتخار العمل المجيد الذى قامت به جنودى تحت قيادة الفيلد مارشال اللورد اللنبي لتحرير بلادكم من النير التركى وسأسر حقيقة اذا وفقت أنا وشعبى أيضا أن نكون وسيلة لكم لتنالوا السعادة بوجود ادارة حازمة وصادقة

انى أرغب أن أؤكد لكم أن الدولة المنتدبة ستنفذ ما عليها من الواجبات بدون محاباة ... وحكومتى عازمة على احترام حقوق العناصر والمذاهب على اختلافها فى المدة التى تنقضى ريثما يصادق مجلس جمعية الأمم نهائيا على الانتداب وفى المستقبل عندما تكون الوصاية أمرا واقعا

ولا يخفاكم أن الدول المتحالفة قررت اتخاذ التدابير لتضمن انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين بالتدريج ، وهذه التدابير لن تؤثر قطعيا على حقوق الأهالى المدنية أو الدينية ولن تنتقص من الرقى الاقتصادى لجميع طبقات الشعب الفلسطينى

وانى واثق أن المندوب السامى الذى انتدبته لتنفيذ هذه المبادئ سيفعل ذلك بعزم ثابت وبنية صادقة ويسعى لاستنباط كل الوسائل التى تؤول لخير الشعب على اختلاف مذاهبه وسلالاته .

انه مدرك جيدا خطورة المهمة الملقاة على حكومة بلاد يقدسها المسيحى والمسلم واليهودى على السواء وسأحافظ بكل اهتمام وعناية على رقى البلاد التى ينظر العالم الى تاريخها باهتمام عظيم ـ اهـ

وأتبع المندوب السامى هذا المنشور ببيان مفصل عن الخطة التى يسير عليها فى انشاء الحكومة الجديدة فقال :

تفضل جلالة الملك فمنحنى منصب مندوب سام لرئاسة الحكومة المدنية التى تأسست الآن والمنشور الذى تلوته يتضمن المبادئ التى سنسير عليها فى ادارة البلاد

ان حدود البلاد شمالا وشرقا لم تقرر بعد وانى واثق اننا سنحصل على حل مرض بدون أدنى تأخير

وستكون لفلسطين حكومة منفردة تتصل بوزراء جلالة الملك فى لندن مباشرة . وعند ما يقرر الانتداب نهائيا تقوم الادارة المدنية على أساس ثابت مع ضمان أمر الاستخدام المبنى على الكفاءة وحسن السلوك وتخصص رواتب تقاعد لبعض الضباط وستكون أكثر الوظائف العليا بيد موظفين بريطانيين ريثما يأن الأوان لزيادة عدد الموظفين الوطنيين الحائزين على الصفات التى تؤهلهم للمناصب الرفيعة والقيام بما تتطلبه ادارة البلاد . أما بقية الوظائف فهى مباحة للفلسطينيين على اختلاف مذاهبهم

ان استقامة الموظفين هى أول شروط لانشاء حكومة صالحة وستنفذ الحكومة القوانين الصارمة فى كل شخص يعطى أو يقدم رشوة الى أى موظف من موظفيها أو الى أى عضو أو موظف كان فى مجلس بلدياتها وستنفذ القوانين نفسها فى كل موظف يرتشى بقطع النظر عن درجة وظيفته

وسأعين مجلسا للشورى قليل العدد تكون أكثريته من موظفى الحكومة ويضم عشرة أعضاء غير رسميين يختارون من الطوائف المختلفة ويجتمع هذا المجلس برئاستى فى فترات متعددة وتعرض عليه مشروعات القوانين الهامة مع الميزانية السنوية ليبدى رأيه فيها وتعطى الحرية للاعضاء غير الرسميين لطرح الأسئلة التى يودون سؤال الحكومة عنها وتعلن مناقشاته

وهكذا تكون الخطوة الأولى لترقية الحكم الذاتى فى جهات عديدة من المملكة

البريطانية وأعتقد انه مع تعاقب الأيام يحدث الارتقاء المنشود

وأدمج فى معاهدة الصلح مع تركيا شرط ينص على انشاء لجنة تختارها بريطانيا لدرس الشؤون الخاصة بالأديان المختلفة فى فلسطين وتسويتها . وحينما تؤلف هذه اللجنة تختار جمعية الأمم رئيسها . لقد حان الزمان الذى يمكن به تقدم البلاد الاقتصادى الذى تأخر بسبب الحرب وستساعد التدابير التى ستتخذ لتأسيس الوطن القومى مساعدة كبيرة فى تحقيق العمران المنشود

ان بيع الأراضى وكل ما يختص بمعاملاته سيعود الى ما كان عليه ويكون خاضعا لبعض قيود يراد بها منع المتاجرة بالاراضى وسيوضع قانون خاص

وانى عازم على تأليف لجنة للاملاك من موظف بريطانى وعضوين آخرين تكون موضع ثقة اليهود والمسلمين والمسيحيين ، ومن واجبات هذه اللجنة أن تحقق عن الاملاك التى تسويتها قريبة الحل وأن تسعى لترويج عمران البلاد وتضمن الانصاف والعدالة لكل المزارعين وأصحاب المراعى والملاكين . وتخطط الاملاك وتمسح عما قريب وتنشأ محكمة خاصة لحل كل الخلافات الناشئة عن الاملاك .والغاية من ذلك تقرير الحدود وحسم المنازعات التى كانت سبب اقلاق راحة الأهالى . وستؤسس مصارف لاقراض الفلاحين ما يلزمهم لآجال طويلة ولترويج الصناعات المدنية

وستتسلم الحكومة المدنية سكك الحديد عن قريب وتشرع فى الاصلاحات اللازمة لها قبل حلول فصل الشتاء كى لا يتكرر التعطيل الذى سبب خسائر ومتاعب جمة كما حدث فى الشتاء الماضى . وسيتم اصلاح السكة بين يافا واللد بتوسيعها وتصليح سكك أخرى

ولقد وضعت على بساط البحث قائمة كبيرة تشتمل على المشروعات العمرانية التى يراد القيام بها وهى تنطوى على اصلاح الطرق وشقها وترقية المواصلات التليفونية والتلغرافية وتعميم الكهرباء فى البلاد وانشاء مرفأ حيفا وتجفيف المستنقعات وغرس الغابات فى الاراضى الصالحة وسيؤجل بعضها وهو يحتاج الى نفقات عظيمة ريثما يتم اعداد الأموال الكافية . وأرجو أن أوفق الى عقد قرض مالى حينما يقرر مصير الانتداب نهائيا ليساعد على القيام بالأعمال التمهيدية لجانب من هذه المشروعات

تصريح المستر تشرشل

وفى أواسط شهر يوليو سنة ١٩٢٢ أذاع المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية بيانا مطولا فسر فيه سياسة حكومته فى فلسطين ومعنى الوطن القومى وأثبت تمسك بريطانيا بوعد بلفور وعزمها على تنفيذه رغم شكايات العرب وتظلمهم وهذا نصه :

نظر وزير المستعمرات من جديد فى الحالة السياسية الحاضرة فى فلسطين بروية صادقة للوصول الى حل المسائل المختلفة التى نشأ عنها ريب وقلق بين بعض أقسام من الأهالى . وقد وضع التصريح الآتى بعد استشارة المندوب السامى لفلسطين وفيه خلاصة الاجزاء المهمة من المخابرات التى دارت بين وزير المستعمرات ووفد الجمعية الاسلامية المسيحية فى فلسطين الذى مضى على وجوده فى انكلترة بعض الوقت وذكر النتائج التى صار الوصول اليها

ان التوتر الذى ساد فلسطين من وقت الى آخر يعزى معظمه الى مخاوف تجول فى خواطر بعض فرق من الاهالى العرب وبعض فرق من الأهالى اليهود . أما هذه المخاوف من جهة العرب فبعضها يبنى على تفاسير مبالغ فيها لمعنى التصريح الذى نطق به بالنيابة عن حكومة جلالة الملك فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وفيه استحسان انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . وقد ظهرت تصاريح غير رسمية بأن الغاية من ذلك جعل فلسطين يهودية بجملتها واستعملت جمل جاء فيها أن فلسطين ستصبح « يهودية كما أن انكلترا انكليزية » غير أن حكومة جلالة الملك تنظر الى هذه الآمال كغير قابلة التطبيق ولا ترمى الى مثل هذه الغاية وأنها لم تفكر فى وقت من الأوقات باخضاع أو محو السكان العرب أوقتل لغتهم وآدابهم فى فلسطين كما يتخوف الوفد العربى . وهى تلفت النظر الى الواقع بأن عبارات التصريح المذكور لا تشير الى تحويل فلسطين بجملتها الى وطن قومى لليهود وانما تعنى بأن وطنا كهذا يجب تأسيسه فى فلسطين . ومما يلاحظ بسرور فى هذه المناسبة أن المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى كارلسباد فى سبتمبر عام ١٩٢١ — وهو المجلس الأعلى المسيطر على الجمعية الصهيونية — اتخذ قرارا أعرب فيه رسميا عن الغايات الصهيونية ومما جاء فيه « ان الشعب اليهودى عقد النية على أن يعيش مع الشعب العربى باتحاد واحترام متبادلين وأن يسعى

معا لجعل هذا الوطن المشترك زاهرا حتى يضمن تجديده لكل من شعو به ورقيه القومى بسلام »

ولابد من لفت النظر الى أن اللجنة الصهيونية فى فلسطين المعروفة الآن باللجنة التنفيذية الصهيونية لم ترغب قط فى أن يكون لها — وليس لها نصيب مافى ادارة البلاد العامة ولا يخولها المركز الخاص الذى تشغله الجمعية الصهيونية بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب صلاحية تولى وظيفة كهذه . فان مركزها الخاص ينحصر فى التدابير التى تتخذ فى فلسطين وتتعلق باليهود ومساعدة البلاد فى تقدمها عموما ولكن لايخولها حق الاشتراك بصورة مافى حكومتها . وعلاوة على ذلك فانه يفكر فى جعل جنسية أهالى فلسطين فى نظر القانون الجنسية الفلسطينية ولم يقصد تاتا بأن يكون لهم أولأى قسم منهم أى جنسية

أما فيما يتعلق بسكان فلسطين اليهود فالظاهر أن بعضهم خامرهم الشك بأن حكومة جلالة الملك قد تتخلى عن سياستها التى تضمنها تصريح عام ١٩١٧ ولذلك كان من الضرورى التأكيد مرة أخرى أن هذه المخاوف لاأساس لها وان التصريح الذى عاد الحلفاء فتمموه فى مؤتمر سان ريمو وأيضا فى معاهدة سيفر لا يظن تغييره

وقد أعد اليهود فى أثناء الجيلين أو الثلاثة الاجيال الاخيره انشاء طائفة من فلسطين يبلغ عددها ٨٠٠٠٠ ربعهم مزارعون أو عملة فى الارض وأصبح لهذه الطائفة أدوات سياسية خاصة ومجمع منتخب لادارة شؤونها الداخلية ومجالس منتخبة فى المدن وجمعية لمراقبة مدارسها وحاخام باشى منتخب ومجلس حاخامين لادارة شؤونها الدينية . وتدار أشغال هذه الطائفة باللغة العبرانية كلغة وطنية ولها صحف عبرانية تقوم بحاجاتها وحياة عقلية تميزها عن سواها وقد أبدت حركة اقتصادية كبيرة . فهذه الطائفة اذا بسكان المدن والمستعمرات منها وجمعياتها السياسية والدينية والاجتماعية ولغتها وعوائدها وطرق معيشتها الخاصة لها فى الحقيقة مميزات قومية وعندما يسأل عن تقوية الوطن القومى اليهودى فى فلسطين يمكن الجواب بأن ليس معنى ذلك ارغام جميع أهالى فلسطين على قبول الجنسية اليهودية بل زيادة رقى الطائفة اليهودية الموجودة فيها بمساعدة اليهود الموجودين فى جميع أنحاء العالم حتى تصبح فلسطين موضوع اهتمام وفخر لجميع اليهود من الوجهتين الدينية والقوميه ولكن حتى يكون لهذه الطائفة أمل وطيد فى تقدمها الحر وحتى يتسنى للشعب اليهودى

فرصة تامة ليظهرمقدراته كان من الضروري أن تعلم بأن وجودها فى فلسطين هو بمقتضى حق وليس كمنة . وهـذا هو السبب الذى لأجله كان من الضروري ايجاد الوطن القومى اليهودي فى فلسطين بضمانات دولية وان يعترف رسميا بأنه مبنى على علاقات تاريخيـة قديمة .

هذا اذن هو ماتعنيه حكومة جـلالة الملك فى تفسير تصريح سنة ١٩١٧ و بناء عليه يرى وزير المستعمرات ان هذا التصريح لا يتضمن شيئا من شأنه أن يثير رعب عرب فلسطين أو يسبب استياء اليهود

ولأجل تطبيق هذه السياسة كان من الضروري تمكين الطائفة اليهودية فى فلسطين من زيادة عددها بالمهاجرة ولـكن هذهالمهاجرة لا يمكن أن تكون كبيرة الى حد يزيد على مقـدرة البلاد الاقتصادية فى قبول مهاجرين جدد . ومن الضروري التأكيد بأن المهاجرين لا يكونون عالة على أهل فلسطين وأن لايحرم بقـدومهم أى قسم من السكان الحاليين من أعماله وقد جرت المهاجرة حتى الآن على هذه الشروط فـكان عدد القادمين الى فلسطين منذ الاحتلال البريطانى ٢٥ ألف مهاجر

ومن الضروري أيضا التأكيد أن الاشخاص غير المرغوب فيهم لايسمح بدخولهم الى فلسطين وان الادارة اتخذت وتتخذ كل الاحتياطات لهذه الغاية

وفى العزم انشاء لجنة خاصة فى فلسطين مؤلفة من أعضاء المجلس التشريعى الجديد المنتخبين للبحث مع الادارة فى الطرق التى تتعلق فى تنظيم المهاجرة فاذا حدث خلاف فى الرأى بين هذه اللجنة والادارة يرفع الامر الى حكومة جلالة الملك وهى تعيره اهتماما خاصا وزد على ذلك فانه بمقتضى المـادة ٩٨ من قرار مجلس جلالة الملك أعطى لأى طائفة مذهبية أو أى قسم كبير من أهالى فلسطين الحق بأن يرفعوا بواسطة المندوب السامى أو وزير المستعمرات والى جمعية الأمم أى مسألة يرون أن حكومة فلسطين لاتجرى فيها على نصوص الانتداب

أما الدستور المنوى تطبيقه فى فلسطين والذى نشر مشروعه من قبل فيستحسن ايضاح بعض النقاط بشأنه . ففى الدرجة الأولى ليس الأمر كما يدعى الوفـد العربى من

حكومة جلالة الملك فى أثناء الحرب وعدت بانشاء حكومة وطنية حالا فى فلسطين . وهـذا الادعاء يستند معظمه الى كتاب مؤرخ ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥ من السر هنرى مكماهون المندوب السامى إذ ذاك فى مصر الى شريف مكة (ملك الحجاز اليوم) وغاية مافى هـذا الكتاب انه يتضمن وعـدا لشريف مكة بالاعتراف وتلبية استقلال العرب ضمن الحدود التى اقترحها الشريف ولكن هذا الوعد أعطى معلقا على احتياط كما جاء فى الكتاب نفسه وهو يستثنى خطة مايستنتجه من الأراضى قطعا من سورية تقع الى الغرب من مقاطعة دمشق . وهذا الاحتياط كانت تنظر اليه حكومة جلالة الملك دائما كشامل لولاية بيروت ولواء القدس المستقل و بناء عليه تكون فلسطين كلها من غربى الاردن خارجة عن وعد السر مكماهون . ومع ذلك فى عزم حكومة جلالة الملك تأسيس حكومة ذاتية واسعة النطاق فى فلسطين ولكنها ترتئى فى الظروف الحاضرة أن يكون ذلك تدريجا لاطفرة . وقد خطت الخطوة الأولى منذ تأسيس الادارة الملكية فعينت المجلس الاستشارى الحالى وذكر المندوب السامى وقتئذ ان هـذه هى الخطوة الأولى فى سبيل ترقيـة الحكم الذاتى وفى النية اليوم اتخاذ خطوة ثانية وذلك بتأسيس مجلس تشريعى تكون أكثرية أعضائه منتخبة . وقد اقترح فى مشروع الدستور أن يكون ثلث أعضاء المجلس غير موظفين يعينهم المندوب السامى ولكن بما أنه قدمت على هذا النص اعتراضات مبنية على أسباب مانعة فوزير المستعمرات مستعد أن يحذفه من المشروع . أما هذا المجلس فسيكون رئيسه المنـدوب السامى ويؤلف من اثنى عشر عضوا منتخبا وعشرة أعضاء موظفـين رسميين . ومن رأى وزير المستعمرات انه يجب أن يمر وقت قبل أن يعطى لفلسطين الحكم الذاتى التام وقبل أن تكون للمجلس صلاحية المراقبة على القوة التنفيذية لكى يتاح فى أثناء ذلك لادارات البلاد أن تترقى ولأمورها العالية أن تبقى على أساسات ثابتـة ولموظفى الحكومة أن يتـدربوا على طرق الحكم ويكتسبوا الاختبار اللازم وبعد سنوات قليلة يعاد النظر فى الحالة فاذا أسفرت التجربة عن نجاح يعطى إذ ذاك قسم أعظم من السلطة لنواب الشعب المنتخبين . ويريد وزير المستعمرات أن يلفت الانظار هنا الى أن الادارة الحالية لفلسطين قـد خولت لمجلس عال انتخبته الملة الاسلامية حق مراقبـة الأوقاف الاسلامية مراقبة تامة ومراقبة المحاكم الشرعية وانها منحت هذا المجلس باختيارها مداخيل

كبيرة لاوقاف كانت الحكومة التركية ضبطتها وأن للمعارف أيضا لجنة استشارية تمثل أقسام الأهالى . وان مصلحة التجارة والصناعة تشرك فى الأعمال معها غرف التجارة التى تأسست فى المراكز المهمة وفى النية اشراك أمثال هذه اللجان التمثيلية مع مصالح الحكومة المختلفة بصورة أوسع

ووزير المستعمرات يعتقد بأن سياسة مبنية على مثل هذه الخطط وفى تأييد أوسع معانى الحرية الدينية فى فلسطين والمحافظة التامة على حقوق كل طائفة فيما يتعلق بأماكنها المقدسة لا يمكن الا أن تكون مقبولة لدى فرق السكان المختلفة وان على هذا الأساس يمكن بناء روح الاشتراك فى العمل الذى يتوقف عليه رقى ونجاح الأراضى المقدسة فى المستقبل

صك الانتداب لفلسطين

وفى يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ أقر مجلس جمعية الأمم فى لندن الصك الذى وضعته بريطانيا لادارة فلسطين بعد تعديل المادة الرابعة عشرة منه وبذلك دخل الانتداب فى دوره الرسمى . وهذا نصه :

حيث ان دول الحلفاء الكبرى وافقت تنفيذا لنصوص المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم على أن تعهد الى دولة منتدبة تختارها الدول المذكورة لادارة شؤون فلسطين التى كانت تابعة للسلطنة العثمانية ضمن الحدود التى ترسمها الدول المذكورة

وحيث ان دول الحلفاء الكبرى وافقت أيضا على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤلة عن تنفيذ التصريح الذى صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ للشعب اليهودى مع البيان الجلى بأن لايفعل شىء يضر الحقوق الدينية والمدنية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة فى فلسطين ولا الحقوق أو المركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى

وحيث ان ذلك اعتراف بالصلة التاريخية التى تصل الشعب اليهودى بفلسطين والبواعث التى تبعث على اعادة انشاء وطنهم القومى فى تلك البلاد

وحيث ان دول الحلفاء العظمى قد اختارت الحكومة البريطانية لتكون الدولة المنتدبة لفلسطين

وحيث ان الانتداب لفلسطين قد صيغ فى النصوص الآتية وعرض على مجلس جمعية الأمم لموافقته عليه

وحيث ان الحكومة البريطانيـة قبلت الانتداب لفلسطين وتعهدت بتنفيذه بالنيابة عن جمعية الأمم طبقا للنصوص والشروط التالية

وحيث ان المادة ٢٢ الآنفة الذكر (الفقرة ٨) تنص على أن درجة السلطة أى السيطرة أو الادارة التى تكون للدولة يتفق عليها بين أعضاء جمعية الأمم فان مجلس جمعية الأمم ينص على ذلك نصا صريحا

فالمجلس بعد تأييد الانتداب المذكور يحدد شروطه ونصوصه بما يأتى :

المادة ١ — يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة فى التشريع والادارة الا حيث أقيمت لهما حدود فى نصوص صك الانتداب هذا

المادة ٢ — تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد فى أحوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومى اليهودى كما جاء فى ديباجة هذا الصك وترقية أنظمة الحكم الذاتى وضمان الحقوق المدنيـة والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الأجناس والأديان

المادة ٣ — يجب على الدولة المنتدبة أن تنشط الاستقلال المحلى على قدر ماتسمح به الأحوال

المادة ٤ — يعترف « بهيئة » يهودية صالحة (لائقة) كهيئة عمومية لتشير وتعاون فى ادارة فلسطين فى الشؤون الاقتصادية والاجتماعيـة وغير ذلك مما يؤثر فى انشاء الوطن القومى اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين وتساعد وتشترك فى ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها دائما

ويعترف بأن الجمعية الصهيونية هى هذه الهيئة المنصوص عليها فى ماتقدم مادامت الدولة المنتدبة ترى أن نظامها وتأليفها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض . وعلى الجمعية الصهيونية أن تتخذ مايلزم من التدابير بعد استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة فى انشاء الوطن القومى اليهودى

الماده ٥ — تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن عـدم التنازل عن شئ من أراضى

فلسطين أو تأجيره أو وضعه تحت حكومة دولة أجنبية

المادة ٦ ـ على حكومة فلسطين مع كفالة عدم الحاق الضرر بحقوق ومركز سائر طوائف الأهالى أن تسهل هجرة اليهود (الى فلسطين) فى أحوال مناسبة وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية المشار اليها فى المادة ٤ استقرار اليهود فى الأراضى الزراعية وفى جلتها الأراضى المدورة والأراضى البور (الموات) غير المطلوبة للأعمال العمومية

المادة ٧ ـ يتعين على حكومة فلسطين أن تسن قانونا للجنسية يتضمن نصوصا بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم على الرعوية الفلسطينية

المادة ٨ ـ ان امتيازات الأجانب وفى جلتها المحاكم القنصلية وحماية القنصليات ورعاياها وهى التى كان الأجانب يتمتعون بها بحكم الامتيازات أو العرف فى السلطنة العثمانية لاتكون نافدة فى فلسطين ولكن متى انتهى أجل الانتداب فان هذه الامتيازات تعاد برمتها أو مع التعديل الذى يكون قد تم عليه الاتفاق بين الدول صاحبة الشأن الا اذا كانت الدول التى ظل رعاياها يتمتعون بالامتيازات المذكورة فى أول أغسطس سنة ١٩١٤ قد سبقت فتنازلت عن حق رد تلك الامتيازات أو وافقت على عدم تطبيقها لأجل مسمى

المادة ٩ ـ الدولة المنتدبة مسئولة عن أن يكفل النظام القضائى الذى ينشأ فى فلسطين الحقوق القضائية للأجانب والوطنيين و يضمن تمام الضمان احترام الأحوال الشخصية والمصالح الدينية لجميع الشعوب والطوائف ولا سيما ادارة الأوقاف طبقا للشريعة الدينية وشروط الواقفين

المادة ١٠ ـ تكون المعاهدات المبرمة بين الدولة المنتدبة وسائر الدول الأجنبية عن تسليم الرعايا الأجانب المطلوبين من فلسطين مرعية الى أن تعقد اتفاقات خاصة بذلك على فلسطين

المادة ١١ ـ تتخذ حكومة فلسطين جميع التدابير اللازمة لصون مصالح الجمهور فى ماله علاقة بترقية البلاد و يكون لها السلطة التامة لتدبير مايلزم لوضع يد الحكومة أوسيطرتها على مورد ما من موارد البلاد الطبيعية أو الأعمال والمصالح والمنافع العمومية الموجودة أو التى ستوجد فيما بعد فيها بشرط مراعاة العهود الدولية التى قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها . وعليها أيضا أن توجد نظاما للأراضى يلائم حاجات البلاد مع مراعاة أمور أخرى

منها المنافع التى تنجم عن تشجيع اكثار المهاجرة واستغلال أعظم مايستطاع من الأرض

ويجوز لادارة البلاد أن تتفق مع الهيئة اليهودية المذكورة فى المادة الرابعة على أن تجرى أوتستثمر بشروط الانصاف والعدل الأعمال والمصالح والمنافع العمومية وترقى مرافق البلاد الطبيعية حيث لاتتولى الحكومة هذه الأمور مباشرة بنفسها . وانما يشترط فى هذه الاتفاقات أن الأرباح التى توزعها الهيئة القائمة بالعمل لاتتجاوز مباشرة أو غير مباشرة فائدة معتدلة لرأس المال . وكل مايزيد عن هذه الفائدة يستخدم لما فيه نفع البلاد على الوجه الذى توافق عليه حكومتها

المادة ١٢ — يعهد الى الدولة المنتدبة فى السيطرة على علاقات فلسطين الخارجية وحق اصدار البراءات الى القناصل الذين تعينهم الدول الأجنبية وللدولة المنتدبة الحق أيضا فى أن تشمل رعايا فلسطين وهم فى خارج بلادهم بحماية سفرائها وقناصلها

المادة ١٣ — تتقلد الدولة المنتدبة كل التبعة المختصة بالأماكن المقدسة والمبانى والمواقع الدينية فى فلسطين وهذا يشمل المحافظة على الحقوق الموجودة وضمان الوصول الى المواضع المقدسة والأماكن والمواقع الدينية وحرية العبادة مع المحافظة على مقتضيات الأمن العام والآداب وتكون الدولة المنتدبة مسئولة لدى جمعية الأمم دون سواها عن كل مايتعلق بذلك بشرط أن لا تحول نصوص هذه المادة دون اتفاق الدولة المنتدبة مع حكومة البلاد على ماتراه الدولة المنتدبة لازما لتنفيذ نصوص هذه المادة و بشرط أن لايفسر شئ فى هذا الانتداب تفسيرا يخول الدولة المنتدبة سلطة التعرض للأملاك الاسلامية أو التدخل فى ادارة المشاهد الاسلامية المقدسة المحفوظة الامتيازات

المادة ١٤ — تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتعيين الحقوق والدعاوى المتعلقة بالاماكن المقدسة والحقوق والدعاوى التى تختص بالطوائف الدينية المختلفة فى فلسطين . ويعرض الأسلوب الذى يتبع فى تعيين هذه اللجنة وتأليفها ووظائفها على مجلس جمعية الأمم ليوافق عليها ولاتعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها من غير موافقة المجلس

المادة ١٥ — يجب على الدولة المنتدبة أن تتحقق أن الحرية الدينية التامة وحرية القيام بجميع شعائر العبادة مكفولتان للجميع بشرط المحافظة على النظام العام والآداب فقط . ويجب أن لايكون هناك تمييز من أى نوع كان بين سكان فلسطين بسبب الجنس

أو الدين أو اللغة وأن لايحرم شخص مامن دخول فلسطين بسبب اعتقاده الديني فقط

يجب أن لا تحرم أى طائفة كانت من حق المحافظة على مدارسها لتعليم أبنائها بلغتها اذا كان ذلك مطابقا لشروط التعليم العمومية التى قد تفرضها الادارة (الحكومة)

المادة ١٦ ــ تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن القيام بما تقتضيه المحافظة على النظام العام والحكم المنتظم من الاشراف على الهيئات الدينية والخيرية التى لجميع المذاهب فى فلسطين . فاذا روعى هذا الشرط لايجوز أن تتخذ تدابير فى فلسطين لاعاقة أعمال مثل هذه الهيئات أو التعرض لها أو الاجحاف بأى ممثل لها أو عضو فيها بسبب دينه أو جنسيته

المادة ١٧ ــ يجوز لادارة (حكومة) فلسطين أن تنظم على قاعدة اختيارية القوات اللازمة للمحافظة على السلم والنظام وللدفاع عن البلاد أيضا بشرط أن تكون تحت اشراف الدولة المنتدبة ولكن لايجوز لادارة فلسطين استخدام هذه القوات لأغراض أخرى غير الأغراض المعينة فى ماتقدم الا بموافقة الدولة المنتدبة وفى ماعدا هذه الأغراض لايجوز لادارة فلسطين أن تجمع قوات عسكرية أو بحرية أو جوية ولا أن تبقيها عندها

وليس فى هذه المادة مايمنع ادارة فلسطين من الاشتراك فى نفقات القوات التى تكون للدولة المنتدبة فى فلسطين . ويحق للدولة المنتدبة فى كل وقت أن تستخدم طرق فلسطين وسككها الحديدية وموانئها لحركات القوات المسلحة ونقل الوقود والمهمات

المادة ١٨ ــ يجب على الدولة المنتدبة أن تكفل عدم التحيز فى فلسطين على رعايا أية دولة تكون عضوا فى جمعية الأمم (وفى جملة ذلك الشركات المؤلفة بحسب قوانين تلك الدولة) اذا قيسوا برعايا الدولة المنتدبة أو أية دولة أجنبية كانت فى الأمور المتعلقة بالضرائب أو التجارة أو الملاحة أو تعاطى الصنائع أو المهن أو فى معاملة السفن التجارية أو الطيارات الأهلية . وكذلك يجب أن لايكون هناك تحيز فى فلسطين ضد عروض يكون منشأها فى بلد من بلدان الدول المذكورة أو تكون مرسلة اليها . وتطبق حرية مرور المتاجر (الترانسيت) عبر البلاد المشمولة بالانتداب بشروط عادلة

ومع مراعاة ماتقدم وسائر شروط صك الانتداب هذا يجوز لادارة فلسطين أن تفرض باشارة الدولة المنتدبة من الضرائب والرسوم الجمركية ماتراه ضروريا وتتخذ من التدابير ماتظنه صالحا لزيادة ترقية الموارد الطبيعية فى البلاد وصون مصالح السكان . ويجوز لها أن

تعقد باشارة الدولة المنتدبة اتفاقا جركيا خاصا مع أى دولة كانت أملاكها كلها داخلة فى تركيا الأسيوية أو شبه جزيرة العرب فى سنة ١٩١٤

المادة ١٩ ـ تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن الادارة (ادارة فلسطين) على كل اتفاق من الاتفاقات الدولية العامة المعقودة حتى الآن أو التى قد تعقد بموافقة جمعية الأمم فى ما بعد من جهة الاتجار بالرقيق والاتجار بالسلاح والذخيرة أو الاتجار بالمخدرات أو تتعلق بالمساواة التجارية وحرية المرور (الترانسيت) والملاحة والطيران و بالمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية أو بالممتلكات الأدبية والفنية والصناعية

المادة ٢٠ ـ تعاون الحكومة المنتدبة بالنيابه عن ادارة فلسطين فى تنفيذ كل سياسة مشتركة تقررها جمعية الأمم لمنع انتشار الأمراض وفى جملتها أمراض النباتات والحيوانات ومكافحتها بقدر ماتسمح به الأحوال الدينية والاجتماعية وسواها من الأحوال

المادة ٢١ ـ تضع الدولة المنتدبة وتنفذ فى السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانونا خاصا بالآثار والعاديات ينطوى على الأحكام الآتيـة ويكون هـذا القانون ضامنا لرعايا كل الدول الداخـلة فى جمعية الأمم المساواة فى المعاملة فيما يتعلق بالحفريات والتنقيبات الأثرية :

١

يجب أن يفهم من لفظة « العاديات » كل ما نتج عن عمل البشر أو وضعهم قبل سنة ١٧٠٠

٢

ان التشريع لحماية العاديات يجب أن يكون أجدر بالتشجيع منه بالتهديد

ويجب على كل شخص يكتشف أثرا بدون حصول على الاذن المذكور فى الفقرة الخامسة أن يعلم السلطة ذات الشأن باكتشافه وينال مكافأة متناسبة مع قيمة ما اكتشفه

٣

لايمكن نقل ملكية شئ من العاديات الا لمصلحة السلطة ذات الشأن مالم تعدل هذه السلطة عن استحواذه

ولا يمكن اخراج شيء من العاديات من البلاد الا باذن تلك السلطة

٤

كل شخص يتلف أو يثلم قطعة من العاديات تعمدا أو اهمالا يجب أن يجازى جزاء معينا

٥

ممنوع كل حفر أو تنقيب لايجاد العاديات الا باذن من السلطة ذات الشأن والا غرم المخالف غرامة مالية

٦

توضع شروط عادلة للسماح بنزع الملكية مؤقتا أو دائما في الأراضي التي تحتوي فائدة تاريخية أو أثرية

٧

لاتعطى الرخصة باجراء الحفريات الا لأشخاص يقدمون أدلة كافية على اختبارهم الأثري . وعلى الدولة المنتدبة عند اعطاء هذه الرخص أن لاتستثني علماء أمة ما

٨

يمكن اقتسام محصول التنقيب بين الأشخاص الذين أجروه والسلطة ذات الشأن بالنسبة التي تعينها هي . فاذا تعذر الاقتسام لأسباب علمية يعطى للمكتشف تعويض عادل بدل قسم من محصول التعديل

المادة ٢٢ ــ تكون الانكليزية والعربية والعبرانية اللغات الرسمية في فلسطين فكل عبارة أو كتابة بالعربية على طوابع أو عملة في فلسطين تكرر بالعبرانية وكل عبارة أو كتابة بالعبرانية تكرر بالعربية

المادة ٢٣ ــ تعترف ادارة فلسطين بالأيام المقدسة (الأعياد) عند كل طائفة من طوائف فلسطين أيام راحة مشروعة لأفراد تلك الطائفة

المادة ٢٤ ــ تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الأمم تقريرا سنويا يرضي المجلس عن التدابير التي اتخذت في أثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب وترسل نسخ من جميع

الأنظمة والقوانين التى تسن أو تصدر فى أثناء السنة مع التقرير

المادة ٢٥ ـ يحق للدولة المنتدبة بسماح مجلس جمعيــة الأمم أن تؤجــل أو توقف تطبيق ماتراه من هـذه الشروط غير مطابق للاحوال المحلية الحاضرة فى الأملاك الواقعة بين نهر الاردن والحـد الشرقى لفلسطين كما سيعين فى آخر الأمر وأن تضع من التدابير لادارة هذه الأملاك ماتراه ملائما لتلك الأحوال بشرط أن لايعمل عمل يكون مخالفا لشروط المواد ١٥ و ١٦ و ١٨

المادة ٢٦ ـ توافق الدولة المنتدبة على أنه اذا وقع نزاع مابينها (الدولة المنتدبة) و بين عضو آخر فى جمعية الأمم يتعلق بتفسير شروط صك الانتداب أو تطبيقها يعرض هذا النزاع على المحكمة الدائمة للعـدل الدولى المنصوص عليها فى المادة الرابعـة عشرة من عهد جمعية الأمم اذا لم يمكن حله بالمفاوضات

المادة ٢٧ ـ يلزم موافقة مجلس جمعية الأمم على كل تعديل فى شروط صك الانتداب هذا

المادة ٢٨ ـ يتخذ مجلس جمعية الأمم من التدابير فى حالة انتهاء الانتداب المخول بموجب هـذا الصك للدولة المنتدبة مايراه ضروريا لصون استمرار الحقوق المكتسبة فى المادتين ١٣ و ١٤ على الدوام بضمان الجمعية ويستخدم نفوذه لأن يكفل بضمان الجمعية احترام حكومة فلسطين الاحترام التام للعهود المالية التى أخـذتها ادارة فلسطين على عاتقها فى عهد الانتداب وفى جملة ذلك حقوق الموظفين فى المعاش والمكافأة

تحفظ الصورة الأصلية لهـذا الصك فى محفوظات جمعية الأمم وترسل صور مصدق عليها بواسطة السكرتير العام لجمعية الأمم الى جميع أعضاء الجمعية ـ اه

وقد احتج الوفد الفلسطينى على قرار مجلس جمعية الأمم حين صدوره وكان فى لندن كما أضربت جميع مدن فلسطين وعطلت أعمالها احتجاجا . وتلقى الوفد برقيـة من اللجنة التنفيذية فى القدس تدعوه للرجوع وقطع كل مفاوضـة مع الحكومة البريطانيـة بسبب اصرارها على خطتها فغادر انكلترا فى النصف الأول من شهر اغسطس و بلغ حيفا يوم ٢١ منه وقصد نابلس على الفور فاشترك فى المؤتمر الخامس كما تقدم

دستور فلسطين

وفى شهر اغسطس سنة ١٩٢٢ أى بعد فرض الانتداب نشر دستور حكومة فلسطين الجديدة وقد بنى على وعد بلفور وصك الانتداب وهذا موجزه :

يعين رجل صالح لادارة حكومة فلسطين يعرف بالمندوب السامى والقائد العام ، ويخول السلطة اللازمة لتنفيذ جميع الواجبات المقترنة بوظيفته ، وتطبيق شروط الانتداب الذى منحته دول الحلفاء الى بريطانيا العظمى وتأسيس وطن قومى لليهود

ومنح المندوب السامى السلطة لتقسيم البلاد بموافقة الوزير الى مقاطعات أو أجزاء ادارية على أسلوب ملائم لأعمال الادارة ، وخول جميع الحقوق للتصرف فى الأراضى العامة أو فيما له علاقة فيها ، وفى جميع الحقوق لاستثمار المناجم والمعادن على اختلاف أنواعها واعطاء امتيازات شرعية لأى كان لاستخراجها ، وله الحق أن يهب الأراضى العامة والمعادن والمناجم ويؤجرها أو يسمح باستثمارها موقتا بالشروط التى يرتئيها ، وله الحق فى تعيين موظفى الحكومة بعد مراعاة أوامر الوزير بالأحوال التى يراها مناسبة ، وأن يعين واجباتهم ويبقى هؤلاء الموظفون فى مراكزهم مادام المندوب السامى راضيا عن أعمالهم

ويؤلف مجلس تنفيذى لمساعدة المندوب السامى على الطريقة التى تشير بها حكومة جلالة الملك

ويؤلف اعتبارا من التاريخ الذى يعينه المندوب السامى مجلسا تشريعيا لفلسطين يستعاض به عن المجلس الاستشارى ويكون له السلطة التامة لسن القوانين الضرورية للمحافظة على الأمن والسلام وانتظام الحكومة بشرط أن لايخالف التعليمات المعطاة من حكومة جلالة الملك ، وأن لايسن قانونا يمس الحرية الشخصية أو يقيد الحرية الدينية أو يميز بين سكان فلسطين بسبب الجنسية أو الديانة أو اللغة أو يخالف نظام الانتداب الموضوع لفلسطين

لاتنفذ القوانين التى يسنها هذا المجلس قبل أن يصادق عليها المندوب السامى وتقرها حكومة جلالة الملك

يحتفظ المندوب السامى بالقوانين التى أجازها المجلس التشريعى لموافقة جلالته عليها ويحتفظ أيضا بالأمور التى لها مساس بنظام الانتداب

ويحتفظ جلالة الملك لنفسه بحق رفض أي قانون قد يكون المندوب السامي وافق عليه في خلال سنة واحدة من تاريخ الموافقة عليه ويعلن رفضه اياه بواسطة كاتم السر العام

يؤلف المجلس التشريعي من ٢٢ عضوا عدا المندوب السامي منهم عشرة أعضاء من الموظفين واثنا عشر من غير الموظفين ، وينتخب غير الموظفين بموجب الأوامر التي تصدر من مجلس الملك الخاص، أو بموجب مايوضع من القوانين والأنظمة من حين الى آخر بشأن هذه الانتخابات ، ويكون الأعضاء الموظفون الأشخاص الذين يشغلون وظائف كاتم السر العام والنائب العام ومدير المالية ومفتش الشرطة والسجون ومدير الصحة ومدير الأشغال العامة ومدير المعارف ومدير الزراعة ومدير الجمارك ومدير التجارة والصناعة

تنشأ محاكم صلح في كل قضاء وناحية ويكون لها السلطة الخاصة بقانون حكام الصلح العثماني كما هو معدل بموجب القوانين والأنظمة السارية بالفعل الآن

وتنشأ محاكم مركزية في الأقضية التي يعينها المندوب السامي ولها الحق في رؤية جميع القضايا الحقوقية الخارجة عن اختصاص محاكم الصلح في ذلك القضاء والحق في رؤيه جميع القضايا الجنائية الخارجة عن وظيفة محكمة الجنايات

وتنشأ محكمة جنايات لها السلطة التامة في رؤيه جميع الجرائم المعاقب عليها بالقتل والجرائم الاخرى التي ينص عليها القانون الخاص

وللمندوب السامي أن يؤلف بأمر منه محاكم أراض كلما دعت الحاجة الى ذلك للنظر في المسائل المتعلقة بملكية الأموال غير المنقولة

وتؤسس محكمة تعرف بالمحكمة العليا وتعين صورة تأليفها بقانون خاص ويكون لها سلطة المحاكم الاستئنافية

وللمحاكم الشرعية الاسلامية وحدها الحق في رؤية الدعاوى المتعلقة بالأحوال الشخصية الخاصة بالمسلمين كالزوج والطلاق والنفقة وتصديق الوصاية الخ . وللمحاكم الطائفة اليهودية الدينية وحدها أن تنظر في سماع الدعوى المتعلقة بالاحوال الشخصية

وللمحاكم الطوائف المسيحية المختلفة وحدها أن ترى مسائل الزواج والطلاق والنفقة وتصديق الوصاية وتنظر في حقوق الاوقاف الخ

اذا شملت قضية تتعلق بالاحوال الشخصية أشخاصا من طوائف دينية مختلفة يجوز لأى خصم أن يقـدم طلبا الى قاضى القضاة وهذا يعين بمساعـدة مستشارين من الطوائف المختلفة المحـكمة التى لها السلطة فى استماع تلك القضية

واذا قامت شبهة حول قضية من القضايا الشخصية الداخلة فى اختصاص محكمة دينية تحال القضية الى محكمة خاصة يعين شـكلها بقانون خاص

ويجب أن تنشر باللغـة الانـكليزية والعربية وبالعبرية جميع القوانين والاعلانات الرسمية والنماذج التى تصدرها الحـكومة وجميع الاعلانات الرسمية التى تعلنها السلطات المحلية والبلديات فى المناطق التى يعينها المندوب السـامى بأمر منه . ويجوز استعمال اللغات الثـلاث فى المباحثات والمناقشات التى تدور فى المجلس التشريعى وفى دوائر الحـكومة ومحاكمها مع مراعاة الانظمة التى تسن من وقت الى آخر

يحق لجميع سـكان فلسطين أن يتمتعوا بالحرية الشخصية التامة والحرية الدينيـة المطلقة مع مراعاة حفظ النظام العام والآداب العامة ويحق لـكل طائفة دينية معترف بها من الحـكومة أن تتمتع بالاستقلال الذاتى لادارة شؤونها الداخلية بعد مراعاة نصوص كل قانون وأمر يصدره المندوب السامى

اذا رأت طائفة دينيـة أو فريق كبير من أهالى فلسطين أن شروط الانتـداب لاتنفذها حـكومة فلسطين كما يجب فلها الحق فى رفع مذكرة بواسطة عضو فى المجلس التشريعى الى المندوب السامى فينظر فى هذه المذكرة على الطريقة التى يعينها جلالة الملك وفقا للاصول التى وضعها مجلس جمعية الأمم

٤

مقاطعة الانتخابات ورفض التعاون

وعملا بما جاء فى الدستور الجديد دعت الحكومة الشعب الفلسطينى الى انتخاب أعضاء المجلس التشريعى المنصوص على انشائه فانبرت لها اللجنة التنفيذية ودعت الأمة الى مقاطعة هذه الانتخابات عملا بقرار مؤتمر نابلس الخامس لأن المجلس الجديد أقيم لتنفيذ سياسة الوطن القومى التى يستنكرها العرب وهذا نص البيان الذى نشرته يوم ٢ سبتمبر سنة ١٩٢٢ - :

أجمعت الأمة العربية الفلسطينية على رفض الانتداب ومشروع انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وذلك بعد أن تجلت لها نتائج هذه السياسة الرهيبة على حياتها القومية والاقتصادية . وأن من مقتضيات رفض الأصل أن ترفض الفروع لذلك الأصل ولهذا فقد قرر المؤتمر العربى الفلسطينى الخامس المنعقد فى نابلس يوم ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٢ رفض الدستور الجديد لفلسطين بمقاطعة الانتخابات المقبلة للمجلس التشريعى لانه وجد بعد البحث الدقيق أن الاشتراك فى تلك الانتخابات انما هو قبول ظاهر محسوس للانتداب ولتصريح بلفور الذى يقضى بجعل البلاد المقدسة وطنا قوميا لليهود

ولقد رفض الوفد العربى الفلسطينى فى لندن بلسان الأمة ذلك الدستور لأنه وجد فيه مخالفة أساسية لمطالب الأمة وأمانيها وفيه غبن فاحش لها ولمصالحها

ولا نحتاج لبيان ذلك الا أن نرجع الى الايضاح الذى نشرته الحكومة فى الجرائد المحلية فى البرهة الأخيرة اذ نرى أن :

(١) ليس للمجلس التشريعى سلطة تنفيذية مطلقا

(٢) ليس للمجلس التشريعى أن ينظر فى أى نقطة تخالف سياسة الحكومة الأساسية بتمهيد السبل لانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين

(٣) ان تنفيذ قرارات هذا المجلس تتوقف على ارادة المندوب السامى الذى عهد اليه بتطبيق تصريح بلفور للأمة اليهودية

(٤) يؤلف هـذا المجلس من احد عشر عضوا من موظفى الحكومة واثنى عشر عضـوا منتخبا لليهود منهم عضوان تحت رئاسـة المندوب السامى ويكون له صوتان وقد أوضحت الحكومة فى بيانها أن الأعضاء الموظفين مضطرون لأن يتمشوا فى المجلس طبق ارادة ورغبة الحكومة « فى المشروعات التى يعتقد بأنها تعرب عن خطة الحكومة »

فيكون فى المجلس مع هذه الحالة أربعة عشر صوتا ينادون بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وعشرة أصوات ينادون بضـد ذلك . وبما أن قرارات هـذا المجلس ستتخذ بأكثرية الأصوات فستكون كلها مخالفة لأمانى الأمة ومصالحها التى تناقض الأمانى والمصالح التى تتوخاها تلك الأكثرية

(٥) نص الدستور على أنه ستشكل لجنة من أعضاء المجلس المنتخبين لـكى تنظر مع الحكومة فى أمر المراقبـة على المهاجرة . وان هذه اللجنة ستكون مقيـدة بنظامات لاتتخطاها وأن تنفيـذ قراراتها يرجع الى المندوب السامى الذى نيط به أمر تمهيد السـبل بجميع الوسائط لهذه الهجرة التى علمت الأمة أنها هى التى ستلتهم البـلاد أخضر ويابسا . ولهذا فلن يكون لهذه اللجنة الا الموافقة على عدد المهاجرين الذين سوف يدخلون البلاد للقضاء على سكانها من الوجهة الاقتصادية والقومية

ومع ان للجنة التنفيذية ثقة تامة بأن أفراد الأمة على اختلاف الطبقات ساهرون على مصالحها عالمون بمايحتوى عليه هذا الدستور من المناقضات لمطالبها مصممون على تنفيذ مقررات مؤتمرها فقد قررت فى جلستها المنعقدة فى أول سبتمبر سنة ١٩٢٢ أن تنشر الأمة هذا البيان مظهرة مجمل الأسباب التى حدت بالمؤتمر أن يقرر رفض ذلك الدستور ومقاطعة الانتخابات المقبلة للمجلس التشريعى وهى على يقين أن الأمة ستقاطع هذه الانتخابات منذ بدايتها كما جرى ذلك فى نابلس بسكون وهدوء ومراعاة للقوانين والأنظمة المدنية والله ولى التوفيق ــاهـ

وفشلت الانتخابات بمقاطعـة الشعب الفلسطينى لها مقاطعة تـكاد تكون اجماعية فأعلنت الحكومة عدولها عنها وقالت انها ستؤلف مجلسا بالمعينين بدلا من المجلس المنتخب

وهذا نص البلاغ الرسمى الذى أذيع بالقدس يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٢٣

« حيث ان السواد الأعظم امتنع عن الاقتراع وترشيح الأعضاء للمجلس التشريعى استقر قرار الحكومة البريطانية على أن توقف الجزء الخاص فى مشروع الدستور بانشاء مجلس تشريعى وتجيز للمندوب السامى أن يعمل فى هذه الفترة بمشورة مجلس شورى وقد عين لهذا المجلس ثمانية أعضاء مسلمين وعضوين مسيحيين . أما العضوان اليهوديان فيعينان بعد استشارة اليهود الذين انتخبوا فى الاقتراع الأخير »

ورفضت اللجنة التنفيذية هذا المشروع أيضا وقررت مقاطعته لأنه لايحقق أمانى الأمة وأرسلت برقية الى وزارة المستعمرات تحتج فيها على تصرف المندوب . وعينت الحكومة الأعضاء العشرة وأذاعت فى شهر يونيو البلاغ الآتى :

« ان السياسة التى صرحت بها حكومة جلالة الملك ترمى الى ترقية أنظمة الحكم الذاتى فى فلسطين تدريجا ووفقا لهذه السياسة نشر فى شهر سبتمبر الماضى أمر صادر من جلالة الملك فى مجلسه الخاص ينص على انشاء مجلس تشريعى من اثنى عشر عضوا منتخبا واحد عشر عضوا موظفا ودعى الأهلون فى الوقت المضروب لانتخاب الناخبين الثانويين طبقا لقانون الانتخاب التركى الذى ألغوه غير أن بعض العرب امتنعوا عن الاشتراك فى الانتخاب فى لوائين من الألوية الأربعة التى قسمت اليها فلسطين . أما فى اللوائين الآخرين فقد كان الامتناع جزئيا وقد نشأ هذا الامتناع عن اختيار مئات الاهالى من جهة و بعض الجمعيات المعارضة للانتخاب من الجهة الأخرى . و بما أن الأهالى لم ينتهزوا الفرصة التى سنحت لهم للاشتراك فى أعمال الحكومة بواسطة نواب منتخبين فقد قررت حكومة جلالة الملك أن ترجئ تنفيذ ذلك القسم من الدستور الخاص بانشاء مجلس تشريعى الى أجل موقت وأن تخول المندوب السامى أن يعمل فى هذه الاثناء باستشارة مجلس استشارى كالسابق مماثل لتأليف المجلس التشريعى الذى كان ينوى تأليفه أى من ثمانية أعضاءمسلمين ومسيحيين ويهوديين وهذه أسماء الذين عينهم

عارف باشا الدجانى واسماعيل بك الحسينى و راغب بك النشاشيبى عن القدس وعبد الفتاح أفندى السعدى عن عكا وأمين بك عبد الهادى عن حيفا ومحمود أفندى أبو خضره عن غزة والشيخ فريج أبو مدين عن بير السبع وسليمان بك عبد الرزاق طوقان عن

نابلس . أما العضوان المسيحيان فهما سليمان بك نصيف عن حيفا وأنطون أفندى الجلاد عن يافا وسيعين العضوان اليهوديان بعد استشارة المنتخبين الثانويين اليهود الذين انتخبوا أخيرا وتعقد الجلسة الأولى قريبا

وقد احتجت اللجنة التنفيذية على هذا التدبير أيضا ببرقية الى وزارة المستعمرات باسم الأمة الفلسطينية ودعت الأعضاء الوطنيين الى عدم التعاون مع الحكومة فعقد هؤلاء اجتماعا فى القدس أرسلوا فى ختامه البرقية الآتية الى المندوب السامى : « قرر أعضاء المجلس الاستشارى الوطنيون أن لا يحضروا اجتماعات هذا المجلس قبل أن تنشر الحكومة بلاغا آخر غير البلاغ الذى نشرته تعلن فيه بأن هذا المجلس لايمثل الامة ولم يتألف على أساس الدستور والمجلس التشريعى المرفوضين من الأمة »

ودعى هذا المجلس الى الاجتماع يوم الخميس ١٣ يونيو سنة ١٩٢٣ فحضر اجتماعه سبعة من الأعضاء الوطنيين وتخلف ثلاثة و بعد افتتاح الجلسة وقف الأعضاء السبعة وأعلنوا استقالتهم تضامنا مع الأمة وانسحبوا و بذلك فشل المشروع وقضى عليه

مشروع الوكالة العربية ورفضه

وعرضت حكومة السرهربرت صموئيل، بعد ما فشلت فى انشاء المجلس التشريعى انتخابا وتعيينا ، على العرب مشروعا جديداً ظنت أنهم يقرونه فدعا المندوب السامى يوم ١٣ اكتوبر سنة ١٩٢٣ أربعين وجيها من وجهائهم الى شرب الشاى فى داره وقال لهم ماخلاصته لقد صدقت جمعية الأمم على صك الانتداب وأصبح نافذا ولا تزال حكومة جلالة الملك مصرة على تنفيذ وعد بلفور ولا يمكن أن تغير شيئا من الدستور الذى سنته

ولما كانت المادة الثانية من صك الانتداب تمنح اليهود وكالة صهيونية فان حكومة جلالة الملك تريد أن تمنحكم هذا الحق فيكون لوكالتكم ما للوكالة اليهودية من الحقوق والمزايا وأنا أعرض عليكم هذا الاقتراح وأدع لكم فرصة للاجابة عليه

وتداول المجتمعون برهة اتفقوا فى خلالها على رفض المشروع لأنه لايحقق الأمانى الوطنية ثم دعوا المندوب السامى من الغرفة الأخرى وأبلغوه رفضهم لما عرضه فقضى على المشروع وفشل

تصريح المستر ايمرى

وفى أواسط شهر ابريل سنة ١٩٢٥ زار المستر ايمرى وزير المستعمرات البريطانية فلسطين لدرس حالتها والاشراف على شؤونها فاستقبل فى دار الحكومة وفد اللجنة التنفيذية ووفد الحزب الوطنى العربى الفلسطينى فخاطب موسى كاظم باشا الوزير قائلا ان الحالة فى فلسطين حرجة جداً وان الاهالى العرب قلقون على مستقبلهم وقد سافرت وفود متعددة الى لندن لمقابلتكم ولكن قضيتهم لم تحل بعد فاسترحم أن تنظروا اليها بعين الاعتبار وأن تأذنوا لرئيس الحزب الوطنى الشيخ سليمان الفاروقى بأن يتكلم بالنيابة عن العرب فأفاض الشيخ فى الكلام عن علاقة بريطانيا بالعرب وعن حالة فلسطين الاقتصادية وعن نظام البوليس وعن الاشغال العامة وقال ان أهل فلسطين لايريدون أكثر من أن يعيشوا بسلام فى بلادهم كأصحاب البلاد لا كغرباء عنها وقد قدموا بعض مطالب عرفها العالم أجمع وهى انشاء حكومة وطنية فى البلاد تمثل جميع العناصر وتكون مسئولة امام برلمان وطنى . قال ونحن نطلب انشاء حكومة وطنية فى البلاد لأن صك الانتداب ينص على صيانة حقوق أهل البلاد وحفظها فاذا أعطى لفلسطين هذا الحق فلا خوف على المصالح البريطانية . وتكلم أيضا أمين التميمى عن نظام الحكم فى البلاد طالبا الغاءه لمخالفته للأمانى الوطنية وطلب انشاء حكومة دستورية مسؤولة أمام مجلس نيابى ينتخبه المسلمون والمسيحيون العرب وسن دستور من قبل مجلس وطنى ينص على السلطات التشريعية والاداريةوعلى أن تكون الاماكن المقدسة تحت حماية الاهالى وعلى المساواة فى الحقوق بين جميع الاهالى وحماية المصالح البريطانية ولاتخالف مصالح الأمة

ورد المستر ايمرى فقال

انى لمغتبط لتمكنى من زيارة فلسطين ومشاهدة شيء من البلاد والأهالى بعينى ، وانى شاكر موسى كاظم باشا لترحيبه بى بالنيابة عن هذا الوفد كما أشكر الشيخ سليمان التاجى الفاروقى لما أشار اليه من التعاون بين الأمة العربية والبريطانية سواء أيام الحرب أو فى سبيل المدنية فى المستقبل . ان الحكومة البريطانية قررت أن تستمر بحسن نية على هذا التعاون مع الأمة العربية — الأمة التى كان لها ماض عظيم والتى أؤمل أن يكون

لها مستقبل عظيم أيضا . وقد شاهدت بعيني شيئا من دلائل هذا التعاون السعيد فى العراق

ان الحكومة البريطانية ترى أنه لايوجد تناقض بين هذا التعاون مع الأمة العربية لتقدمها فى فلسطين كما فى العراق أو فى غير بلاد و بين تصريح بلفور

فصالح الأهالى العرب فى فلسطين نظر فيها بامعان تام قبل أن عزمت الحكومة البريطانية على اصدار هذا التصريح بأشهر عديدة وذلك القسم فى التصريح الذى يشير الى مصالح الأهالى الحاليين له من الأهمية ماللقسم الآخر منه . وقد نظرت فى هذا الأمر أولا الحكومة التى أصدرت التصريح ومن ثم أعيد النظر فيه أيضا من قبل حكومة المحافظين التى أنعمت النظر فى مطالب الوفود التى أرسلت من هذه البلاد ومن ذلك الحين أيدت هذا التصريح حكومة تنتمى الى حزب آخر يختلف بالكلية عن الأحزاب السابقة . وكذلك محصته ونظرت فيه جمعية الأمم الممثلة فى عصبة الأمم . ولذلك فانى على يقين من ان الذوات الموجودين هنا لاينتظرون حقيقة من الحكومة البريطانية أن تغير سياستها هذه

الا أننى أخشى أن يوجد سوء تفاهم وحبا فى اجتنابه أصدر مستر تشرشل فى سنة ١٩٢٢ بيانا أوضح فيه ماعنته الحكومة البريطانية بتصريح بلفور ولا ريب فى أن بيان مستر تشرشل هذا أصبح مغلقا ولا يسعنى الآن أن أبحث فيه مفصلا ولكنه أوضح بصراحة تامة أن تأسيس وطن قومى فى فلسطين لايقصد فرض جنسية يهودية بالمعنى السياسى على أهالى فلسطين . وليس فى النية قط الحط من شأن اللغة العربية والمدنية العربية أو الأهالى العرب أو جعلهم بأية صورة ما أدنى رتبة ومقاما من أى فئة أخرى من السكان . وقد ذكر الشيخ سليمان الفاروقى بأن الأهالى العرب يعاملون معاملة الأجانب وليس كوطنيين فى بلادهم . انى أستطيع أن أؤكد أن غاية الحكومة البريطانية أن تجعل فلسطين الوطن القومى للعرب بكل معنى الكلمة مع اعطاء الشعب اليهودى فرصة ليؤسس له فيها وطنا قوميا . وكما بين مستر تشرشل لاتعنى عبارة « وطن قومى لليهود » أى شئ آخر خلاف أن الطوائف اليهودية الحالية فى هذه البلاد تتمكن من تحقيق رغائبها فى أن تعيش بحسب تقاليدها الخاصة . وأن يعترف بها كحق وليس كمنة وأن السماح للطوائف اليهودية بتحقيق رغائبها يجب أن يعنى بأن لاتكون الهجرة الى فلسطين الى حد تتضرر منه

أحوال البلاد الاقتصادية بوجه عام والسكان العرب بوجه خاص . وانى أطلب اليكم أن لاتصغوا لما قد يكون فاه به الدكتور ايدر أو أى فرد آخر اذ لاعلاقة لذلك بسياسة الحكومة البريطانية التى تنظر أولا وقبل كل شئ آخر الى سعادة و رفاهية أهالى البلاد التى أكثرية سكانها من العرب . و يهمها فيما يختص بمسألة اسكان اليهود أن ترى أن اسكانهم يكون فى ظروف ملائمة

أما الآن فان الشئ الحقيقى الذى يجب عمله هو اغفال المخاوف المبنية عن سوء الفهم والنظر الى ماقامت به الحكومة بالفعل . انى قد تتبعت هذه المسألة فى انكلترا ومنذ أن وصلت الى هذه البلاد وقد اتضح لى أن الحكومة هنا كرست نفسها وعملت باخلاص لمصالح أهالى البلاد بوجه عام وليس من الصحة أن يقال كما ذكر الشيخ سليمان الفاروقى بان سياسة الحكومة ترمى الى غرض واحد هو ترقية و زيادة المهاجرة اليهودية . و بقدر ما أعلم لم ترم الحكومة مباشرة الى تأسيس أى مستعمرة يهودية أو الى استخدام أموال دافعى الضرائب لهذا الغرض . و بينما كنت مارا منذ بضعة أيام فى الغور رأيت الحكومة مهتمة بنقل الأراضى الأميرية الى المزارعين العرب . و رأيت أولئك المزارعين يشتغلون ببناء أقنية لتجفيف أراضيهم

وقد تكون أفضل تجربة لمعرفة ماذا كان سكان البلاد فى بحبوحة وتقدم هى النظر الى زيادة سكانها . فلو كان مايقال عن أن الأهالى المسلمين أو المسيحيين يجار عليهم واليهود يأتون بأفواج كبيرة الى البلاد لقل عدد سكان العرب وازداد عدد اليهود على حسابهم . ولكن قد اهتممت باجراء التحقيقات عن مقدار نمو الأهالى الحقيقى فى بضع السنوات الأخيرة و وضع لى احصاء باعتناء تام و بمقتضاه كان سكان هذه البلاد فى سنة ١٩٢٠ نحو ٦٧٣٠٠٠ منهم ٥٥٠٠٠ يهود ويقدر عدد السكان فى الوقت الحاضر بنحو ٨٠٦٠٠٠ منهم ١٠٨٠٠٠ يهود فمن ذلك يظهر أن عدد اليهود زاد فى الخمس السنوات الأخيرة نحو ٥٣ ألفا و زاد عدد السكان العرب نحو ٨٠ ألفا . ولذلك يمكنكم أن تحكموا بانه بموجب هذه الأحوال لايوجد خوف من أن يفوق عدد المهاجرين اليهود السكان الوطنيين

انى أظن أن هذه الأرقام تبين بان الحكومة البريطانية قد عملت مافى استطاعتها لمساعدة الأهالى الوطنيين . ولكنى لا أظن أن الفضل فى ذلك كله يعود الى الحكومة فان

قسما من هـذه الزيادة فى رقى الأهالى العرب وزيادة عددهم يرجع بلا شك الى رؤوس الأموال التى جلبها اليهود الى البلاد . وبصفتى وزير المستعمرات فانى أعالج أمور أربعين حكومة فى بلدان أكثرها غير راق والشئ الوحيد الذى تطلبه هذه البلدان دائما هو زيادة رؤوس الأموال والسكان وعليه فالمهاجرة اليهودية تجاب لكم هذه الأشياء التى يحتاج اليها كثيرا . وقد قلت ذلك لا حبا فى الجدل والمناقشة ولكنى أرغب فى أن تعتبروا بان مخاوفكم من الغاية التى ترمى اليها الحكومة البريطانية والخطر الذى يحدق بهذه البلاد من سياسة السماح لليهود بالمهاجرة لهذه البلاد هى مبالغ فيها

ان الحكومة البريطانية تنظر أولا وقبل كل شئ آخر الى الواجبات المعروضة عليها نحو أهالى البلاد عموما وتعتقد بأن السياسة التى تتبعها هى السياسة الوحيدة التى تجلب أكبر سعادة لمستقبل أهالى البلاد العرب الذين تعنى بشؤونهم فى الدرجة الأولى

أنا أوافقكم بان أفضل طريقة للحصول على آراء الأهالى ليس بتقديم قضايا من أشخاص منفردين الى المندوب السامى بل بطريقة دستورية نظامية يمكن بواسطتها الاعراب عن آراء الأهالى وأعترف مع ذلك بأنى مستغرب من شكاوى الشيخ سليمان الفاروقى وأمين بك التميمى وقولهما ان أهالى هـذه البلاد ليس لهم نصيب الآن فى سن القوانين ، وهنا يجب أن أذكركم انه كان فى البلاد مجلس استشارى قام بأعمال حسنة وكان واسطة لابلاغ آراء جميع طبقات الأهالى الى الحكومة وكانت الحكومة البريطانية مستعدة لاعطاء سلطات استشارية وتمثيلية أوسع من هـذه للأهالى ولكن مع الأسف أصغى الأهالى لنصائح سيئة أسديت لهم ولم يغتنموا الفرصة التى سنحت . ثم أعطيت للأهالى فرصة أخرى وهى الاستمرار على المجلس الاستشارى اذا كانوا لايرغبون فى تشكيل مجلس تشريعى . ولما لم يقبلوا ذلك أيضا عرضت عليهم فكرة الوكالة العربية التى يمكن بواسطتها أن تمثل مصالح الاهالى العرب

ولذلك أوضحت الحكومة البريطانية بأنها كانت دائما ترغب فى الحصول على تعاون العناصر العربية التمثيلية وأن تعمل بنصحهم وهى مستعدة دائما لذلك . والآن لا ننظر الى هذه المسألة بعد أن رفض ممثلو الاهالى قبول ما عرضناه عليهم من الامتيازات بأننا نطلب منهم معروفا . وقد أشار المتكلمون الى عدم تمثيل الاهالى فى الادارة أو البلديات.

وأن المندوب السامى قد أشار الى رغبته فى اعطاء هذا الحق للاهالى وانى مستعد لأن آخذ هذا الأمر بعين الاعتبار وسأدققه بكل عناية . ان الحكومة البريطانية ترغب وتريد فى كل حال أن تتعاون مع ممثلى الاهالى العرب فى فلسطين ولكننا لا نطلب تعاونهم كمعروف منهم بالنظر لما عرضناه عليهم فى الماضى وللموقف المخطئ الذى وقفوه . والذى أؤمل بأن ينظر اليه كخطأ ويجب علىّ بأن أوضح ذلك ايضاحا تاما

والآن أيها السادة قد تكلمت معكم بكل صراحة لأنى أظن أن من الاصوب والافضل أن أتكلم معكم بصراحة تامة . وأستطيع أن أؤكد لكم أن الحكومة البريطانية فى جميع الاحوال تستمر على اعتبار نجاح ورقى جميع أهالى فلسطين كواجبها الاول وبالطبع فان أكثرية السكان تنال نصيبها الكامل من عنايتها واهتمامها وستسترشد فى جميع ذلك برغبتها الصادقة فى تقدم الاهالى العرب اقتصاديا وعمرانيا وسياسيا وأظن أن نتيجة أعمالنا فى الخمس السنوات الاخيرة قد أثبتت بالاختبار ماعملناه للاهالى وأعتقد من الجهة الأخرى بأننا سنقوم بأكثر من ذلك فى السنوات القليلة المقبلة كما انى أعتقد أيضا بأن الذوات الذين اجتمعت معهم اليوم سيرون بأنفسهم أن ما فعلناه حتى الآن قد فعلناه برغبة واحدة هى ترقية ونجاح البلاد

أنتم تنتمون الى أمة كانت أمة عظيمة فى الماضى وسنحت لها فرصة الآن لان تكون أمة عظيمة مرة أخرى وانى أرى أن مستقبلكم يتوقف لا على توحيد قواكم لمقاومة ما أظنه مخاوف ليست صحيحة وما يحدق بكم من الاخطار من سياسة الحكومة بل بتوحيد قواكم لترقية شعبكم فى علومه ومعارفه وتقدمه وترغيبه فى تاريخه الخاص . وانى لمسرور أن أرى مثلا المجلس الاسلامى الاعلى يعانى المشقات فى ترميم مناظر الحرم الشريف الجميلة وفى اعادة غيرها من الآثار الى سابق عهدها . وفى هذا السبيل يجب أن تسعوا لترقية شعبكم وتأمين مستقبلكم ولافى توحيد قواكم لمقاومة ما اعتقده مخاوف باطلة

٥

الاضطرابات فى فلسطين

تقارير لجان توماس هايكرت ومشو وسمبسن

الآن وقد انتهينا من سرد التاريخ السياسى للقضية الفلسطينية وقد تبين منه بصراحة وجلاء أن الحكومة البريطانية لا تزال من الأول الى الآخر متمسكة بوعد بلفور فهو المحور الذى تدور حوله سياستها ، ننتقل الى الكلام عن الجزء الخاص بالاضطرابات التى وقعت فى تلك البلاد فى خلال هذه الفترة بسبب هذا الوعد الجائر فنصف المعارك التى دارت بين العرب واليهود والفتن التى شبت والنفوس التى هلكت مكتفين بايراد الحوادث الخطيرة لتعذر الاحاطة بالحوادث البسيطة كما لا يخفى

١ — اضطرابات القدس الاولى

كانت اضطرابات القدس فى شهر ابريل سنة ١٩٢٠ أول اضطرابات وقعت فى فلسطين بين العرب واليهود وخلاصة ماحدث أن صيدليا يهوديا اسمه كريمى بن مندل ، يدير صيدلية فى باب الخليل أهان المتظاهرين العرب القادمين من الخليل يوم الأحد ٤ ابريل لزيارة النبى موسى حسب المعتاد وحاول الاعتداء على علمهم فطارده المتظاهرون فلجأ الى صيدليته فهجموا عليه وضربوه حتى أدموه وجاء بعد ذلك شاب يهودى ومعه سبعة من الجنود الانكليز فحاول اختطاف العلم من يد حامله فأهوى أحد المتظاهرين على يديه بالسيف فقطعهما من الساعدين وتناولته أيدى المتظاهرين بالضرب حتى لفظ أنفاسه . وحاول الجنود السبعة الانتقام لصاحبهم فضربوا وأوذوا

وتدخلت الحكومة على الأثر فضربت نطاقا حول مدينة القدس القديمة (داخل السور) ومنعت الدخول والخروج

ودار قتال يوم الاثنين ٥ منه بين العرب واليهود بسبب اطلاق اليهود النار على الوطنيين حين مرورهم بحي الواد

وجاء سكان القرى المجاورة للقدس الى نجدة اخوانهم فنعتهم الحكومة من دخولها و بلغ عدد القتلى فى هذه الاضطرابات تسعة من اليهود و ٤ من الوطنيين وعدد الجرحى ٢٥٠ كما جاء فى بلاغ رسمى صدر يومئذ

٢ — حادثة بيسان

قبضت السلطة البريطانيـة فى بيسان يوم ٢١ ابريل سـنة ١٩٢٠ على الامير محمود الزنانى من أمراء عشائر الغور فهاج ذلك قبائله فتجمهرت وهجمت يوم الخميس ٢٢ منه على السجن بقيادة الامير بشير الغزاوى فأخرجت السجين بالقوة . وجاء الانـكليز على الاثر بقوة من حيفا وطبريا فطاردت العربان الذين ارتدوا الى الضفة الشرقية للاردن ولجأوا الى جبال عجلون واستنفروا العرب فنفروا معهم وجعوا جموعا غفيرة أغاروا بها على سمخ و بيسان و بعض القرى اليهودية فذعر اليهود وفروا لا يلوون على شيء

وانقطع سير القطارات على أثر هذا الحادث بين حيفا ودمشق وتعطلت المواصلات البرقية والتليفونية وأرسلت السلطة البريطانية طيارات للاستطلاع اطلقت النار على الثوار وتم بعد ذلك توطيد الامن واقراره

٣ — اضطرابات يافا الاولى

وقعت اضطرابات يافا الاولى يوم أول مايو سنة ١٩٢١ فقد اعتـدى اليهود أثناء احتفالهم بعيد العمال على عربى فنصر العرب أخاهم فـدار قتال فى الشوارع أسفر عن سقوط ٣٠ قتيلا من اليهود و ١٠ من العرب وجرح من الاولين ١٤٣ ومن الآخرين ٢٧ وأرسلت السلطة قوات كبيرة الى يافا . وألفت الحـكومة لجنة للتحقيق عن أسباب الثورة برئاسة المستر توماس هايكرافت قاضى القضاة فذهبت الى يافا وقامت بتحقيق دقيق ووضعت فى ختامه تقريرا مفصلا عن أسباب الثورة و بواعثها أكدت فيه أن سياسة الوطن القومى هى سر الاضطرابات وهذه ترجمته :

تقرير لجنة توماس هايكرفت

وجدنا فى البحث عن أسباب هـذه المشاغبات سببا أوليا مهما لكنه ليس كافيا لاثارة شغب عام بل قد يثير شغبا وقتيا خاصا لايتعدى أكثر من شارع واحد وعدد محدود من الأشخاص ، وكان بامكان شرطة يافا أن تمنعه فورا ، وهو الاصطدام الذى حصل أثناء المظاهرة التى قام بها حزب العمال الاشتراكيين مع موكب حزب العمال اليهودى البولشفيك

أما الشغب الحقيقى الذى نبحث عنه فليس شغبا اعتياديا لانه دام عدة أيام وهو يقع كلما تقابلت جماعات من المسلمين مع جماعات من اليهود ، وقد ازداد يوما بعـد يوم الى أن عم قضاء يافا بأجمعه ، وهوجمت المستعمرات اليهودية القريبة من يافا بشدة زائدة ، ولم يكن لسكان هذه المستعمرات سابق علاقة بالعمال الاشتراكيين البولشفيك ولاصلة لهم بهم غير أن مظاهرة البولشفيك كانت بالحقيقة الشرارة التى أضرمت نيران الثورة بين العرب واليهود فقاموا بعدها يطالبون الأخذ بالثأر بعضهم من بعض

وروى لنا بعض اليهود الذين شاهدوا تلك الثورة عن كثب أنه لاتوجد مسألة عداوة بين اليهود والعرب، بل جل ماهنالك ان هذه الحركة العدائية لليهود دبرت من قبل أشخاص يريدون أن يكيدوا المكائد للبريطانيين وأن يخلوا بالنظام والأمن لشىء فى النفس ، وسعوا أن يقنعونا بأن منشأ كل اختلال يقع فى البلاد يعود الى الدعاية العدائية التى يبثها هؤلاء الأشخاص الذين يأسفون كثيرا لزوال الحكم التركى ، لأن الادارة البريطانية الحالية قد قضت على منافعهم الشخصية العديدة وعلى امتيازاتهم الكثيرة التى كانوا يتمتعون بها فى العهد التركى القديم ، وقد اشترك معهم فى العمل بعض الغرباء وخصوصا سماسرة فرنسويون قدموا فلسطين لكى ينشروا الفتن بقصد سياسية ، وأكد لنا هؤلاء الشهود بصورة رسمية أنه لاعلاقة للصهيونيين بالمشاغبات التى حصلت فى يافا ، وصرحوا لنا أن العرب يتظاهرون بالعداء للصهيونيين واليهود ويضمرون العداء للبريطانيين وقد اتخذوا اظهار هذا العداء آلة للقضاء على الانتداب البريطانى

وثبت لنا بعد البحث الدقيق عدم صحة هذه الأقوال الا أننا لاننكر أن بعض بعض الأشخاص لأسباب عديدة أنه بامكانهم أن يستفيدوا من الوجهة السياسية من اثارة

الفتن ، ولاشك أن العـداء لليهود كان متأصلا فى نفوس جميع الوطنيين بصورة لاتقبل الجـدل ، وقد ظهر لنا أن الوطنيين ينفرون من الحـكومة لاتباعها سياسة انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وقد أساء العرب فهم كنه السياسة المتبعة هنالك كما أساء المدافعون عن هذه السياسة فى دفاعهم عنها وفى تفسيرهم اياها ، وانتشر الاعتقاد فى البلاد من أولهـا الى آخرها بان الحـكومة عرضة لضغط الصهيونيين عليها وهى لذلك تتحزب لليهود وتساعدهم فى جميع أعمالهم ومقاصدهم بالرغم من كونهم أقلية قليلة . وقد أكد لنا الكثيرون وتحققنا بأنفسنا أنه لولا وجود القضية اليهودية فى فلسطين لما لاقت الحـكومة أقل صعوبة فى ادارة الشئون المحلية ، ونعتقد أن كره العرب للبريطانيين نشأ عن مساعدة الحـكومة للسياسة الصهيونية

ولو اكتفى العرب بالاعتداء على المتظاهرين من اليهود دون سواهم لقلنا ان هذا التعرض بسيط ويحصل دائما فى جميع البلاد ، ولـكننا تحققنا أنهم حولوه عمدا الى نزاع قومى وسلـكوا مع خصومهم مسلـكا لا يمكن الاغضاء عنـه . وقـد اتبعوا سفك الدماء البريئة بنهب المحلات الأمينة ليلا ، وهذا مما يوجب الانتقاد فى نظر الأمم المتمدنة . ولا ننـكر أن اليهود أخـذوا بثأرهم سالـكين أيضا عين الطريقـة التى سلـكها خصومهم

ولو ظل اليهود أقلية كما كانوا أيام الترك وحافظوا على أدبهم واعتـدالهم لما عكر صفو عيشهم أحد ، ولـكن العرب لما رأوا أن اليهود أصبحوا أصحاب الـكلمة النافذة عند الحـكومة نقموا عليهم وأضمروا لهم الشر ، وباتوا ينتظرون أول حركة تبدر منهم ليهيجوا الرأى العام عليهم ، وقد أبدوا هذا الشعور مرارا عديدة بانتهاك حرمة كثير من شبان اليهود واهانتهم اياهم شر اهانة

وليس من شأننا ههنا أن نبحث فى المبادئ الصهيونية عامة الا أننا سنذكر بعض الأمور التى لها مساس بالشاغبات التى نحن فى صددها

ان المظالم التى يشكو منها العرب والتى كان لها دخل عظيم فى المشاغبات هى كما يلى :

(١) لان بريطانيا العظمى أسست الحـكومة الفلسطينية بحسب رغائب الصهيونيين واتبعت سياسة انشاء الوطن القومى ونزع منافع سكان فلسطين الأصليين

(٢) لأن الحكومة الفلسطينية استعانت بصورة رسمية تأييدا لهذه السياسة بلجنة صهيونية تساعدها فى أعمالها ، فما كان من هذه اللجنة الا أنها ألفت حكومة ثانية فى قلب الحكومة الفلسطينيه وأخذت تعنى بمصالح اليهود وتهمل مصالح الوطنيين

(٣) لأن عدد الموظفين اليهود كثير بالنسبة الى عدد نفوسهم

(٤) لأن برنامج الصهيونيين يقول بلزوم افعام فلسطين باناس أقدر وأمهر من العرب فى تعاطى التجارة والصناعة قصد الاستيلاء على موارد البلاد ونزعها من أيدى أبنائها

(٥) لأن قدوم المهاجرين خطر على أهل البلاد وعلى اقتصادياتها لأن المهاجرين يزاحمون الوطنيين فى جميع أعمالهم

(٦) لأن المهاجرين اليهود أساءوا الى السكان العرب بكبريائهم وحملوهم على بغضهم والتحزب عليهم

(٧) لأن نفرا من المهاجرين البولشفيك دخلوا الى فلسطين وأخذوا يزرعون بذور الشقاق ويبثون الروح البولشفيكية فى طول البلاد وعرضها وذلك لعدم اتخاذ الحكومة الاحتياطات اللازمة

فقد العرب ثقتهم بالحكومة رغم اخلاصها وذلك لوجود هذه الشكاوى والمظالم وصاروا ينظرون نظر الارتياب الى جميع التدابير التى تتخذها كقانون الأراضى الذى سن فى سنة ١٩٢٠ وخلاصته أنه يجب طلب موافقة الحكومة على اجراء جميع المعاملات الخاصة بالأشياء غير المنقولة ، ومنع فراغها لاناس لايقطنون فلسطين ، وادعوا أن هذا القانون وضع فى هذا الشكل لكى تهبط أثمان الأراضى وتصبح تحت رحمة اليهود ، وقد فسروا أيضا قانون منع تصدير الحبوب أنه وضع لتهبط أثمانها فينتفع من هذا الهبوط مهاجرو اليهود

ويزعم العرب أن السر فى وجود الموظفين اليهود فى دوائر الحكومة العالية هو أن كاتم سر الحكومة رجل يهودى مشهور بغيرته على اليهود عموما والصهيونيين خصوصا ، ويستشهدون لاثبات ذلك بادارة النافعة التى أصبحت مستعمرة خاصة باليهود ، ويدعون أن اليهود يقاطعون العرب ، فالتاجر اليهودى لايشترى شيئا من العربى اذا كان بامكانه

شراء ذلك الشيء من يهودى و يتهمون الموظفين اليهود بأنهم لايمكنون غير اليهود من أخذ الامتيازات أوعقد المقاولات العائدة للحكومة [١]

(١) يبين الجدول التالى عدد موظفى الحكومة وقد نقلناه باختصار عن تقرير الحكومة الرسمى الذى نشر فى يونيو سنة ١٩٢١

		المقامات السامية	الوظائف السائرة	المجموع
مسيحى	بريطانى	١٦٥	٧٦	٢٤١
	فلسطينى	٨٢	٩٦٧	١٠٤٩
	المجموع	٢٤٧	١٠٤٣	

		المقامات السامية	الوظائف السائرة	المجموع
يهودى	بريطانى	١٤	١٣	٢٧
	فلسطينى	٣٦	٥٥٣	٥٨٩
	المجموع	٥٠	٥٦٦	
مسلم		٦٣	٥٢١	٥٨٤

يوجد بموجب هذه الارقام ٢٦٨ موظفابريطانيا منهم ٢٧ يهوديا بريطانيا ، ويوجد ٥٨٩ يهوديا فلسطينيا و ١٦٣٣ موظفا فلسطينيا من غير اليهود . فتكون نسبة الموظفين الفلسطينيين اليهود للموظفين الفلسطينيين غير اليهود كنسبة واحد الى اثنين وثلاثةأرباع ، بينما نسبة نفوس اليهود لنفوس غير اليهود كنسبة واحد الى سبعة ، فيتضح لنا من هذا الجدول أن اليهود يشغلون وظائف تربو على ضعفى حقهم . هذا اذا اعتبرنا عدد السكان مقياسا لتوزيع الوظائف ، أما اذا اعتبرنا التعليم مقياسا لتوزيعها فلا نجد أن اليهود يشغلون وظائف أكثر مما يستحقون ، فمن المحال أن تحل هذه المسألة على سبيل الاحصاآت

وقدم المندوب السامى الجدول التالى مبينا عدد الموظفين فى إدارة النافعة فى أغسطس سنة ١٩٢١

ويقولون ان ادارة النافعة وادارة السكك الحديدية توظفان مهاجرى اليهود بنسبة لاتتفق مع عدد نفوسهم وتنحيان أبناء البلاد عن العمل . وبهذه الوسيلة صار المال الذى يجبى من أهل فلسطين يصرف فى سبيل ايجاد عمل لمهاجرى اليهود . أى يصرف فى سبيل تأسيس الوطن القومى اليهودى

ولاقت الهجرة اليهودية اعتراضات اقتصادية شتى من قبل العمال وأصحاب الصنائع ، والحق يقال انه لو كان المهاجرون يوزعون حين وصولهم على المستعمرات اليهودية الزراعية لما أثر مجيئهم على طبقة العمال فى يافا وسائر فلسطين ، ولا يخفى أن مجىء المهاجرين بكثرة الى أى بلاد كانت واشتغالهم بالاشغال العامة ومزاحمتهم لأهالى المدن تثير شعور القلق فى صدور السكان الوطنيين ، ولا سبيل الى افهام العرب ان اليهود ليسوا غرباء عن البلاد وانهم يعودون الى وطنهم القديم ، لان العرب يعتقدون ان هذه النظرية هى نظرية الصهيونيين ويقولون عن الصهيونيين انهم أناس من الروس والبولونيين والبولشفيك جاءوا ليزاحموا سكان هذه البلاد وينتزعوا اللقمة من أفواههم ، ويدعون أن الحكومة والجمعيات الخاصة تطعم هؤلاء المهاجرين مجانا الى أن تجد لهم عملا بخلاف العمال الوطنيين اذا لم يجدوا عملا لانفسهم يتضورون من الجوع ولا نصير لهم الا الله

ويؤيد جميع العرب نظرية العمال ويضيفون اليها القول ان المهاجرين اليهود يزاحمون أهل البلاد لافى الاشغال والاعمال اليدوية فقط ، بل فى الوظائف والامور الكتابية أيضا ، خصوصا بعد ان اعترف باللغة العبرية لغة رسمية . وتنحصر أهم انتقادات

		المقامات السامية	الوظائف السائرة	المجموع
مسيحى	بريطانى	١٢	٢	١٤
	فلسطينى	٠	١٥	١٥
	المجموع	١٢	١٧	
يهودى	بريطانى	١	٣	٤
	فلسطينى	٣	٤١	٤٤
	المجموع	٤	٤٤	
مسلم		١	١	٢

العرب فى الهجرة اليهودية من الوجهة السياسية ، وأول من قام بنشر الدعاية اليها هم رجالات الطبقة المتعلمة ولم يلبثوا أن تمكنوا من تعميم أفكارهم ومبادئهم بين جميع طبقات الأمة فصارت هذه الافكار حديث القوم فى المقاهى والحانات والحوانيت والقرى والشوارع والازقة الخ . وخلاصة هذه الدعاية هى أنه بسبب السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين بكثرة ستصبح مملكة يهودية ، ولم تجد الكتابات التى كتبها الصهيونيون فى كتابهم المدعو « قرن حيسود » لتسكين رعب الاهلين من الهجرة الصهيونية نفعا ، وقد قالوا فيه ان مهمة اليهود الذين أرسلوا الى فلسطين تنحصر فى تمهيد السبيل واعداد الاشغال للالوف والملايين من اليهود الذين سوف يتبعونهم[١]

وتوجد أسباب عديدة حملت سكان يافا على الاعتراض على الهجرة اليهودية وعلى اظهار العداوة واضرام الفتنة على اليهود : منها أن اليهود نساء ورجالا بدأوا بعد وصولهم الى فلسطين ينظرون الى السكان الوطنيين بعين الازدراء ، وصاروا يخالفون العادات القومية التى ألفها العرب منذ نعومة اظفارهم بسيرهم فى الشوارع والطرقات متأبطين بعضهم بعضا بمعاصم وسواعد ، ومرتلين الترانيل العبرية وناشدين الأناشيد القومية ، وبديهى أن انتقال اليهود من المعيشة الذليلة المزدحمة التى كانوا يعيشونها خارج فلسطين الى المعيشة الحرة التى ابتدأوا يتمتعون بها فى فلسطين أهاجت عواطفهم الى درجة قصوى ، بأتوا معها ثملين بخمرة الوطن القومى الذى طالما حنوا لرؤيته وحلموا بالعودة اليه ، فليس من الغريب أن نرى العرب يتكدرون من مجىء

(١) بلغ عدد المهاجرين الذين سمح لهم فى الدخول الى فلسطين حتى نهاية سنة ١٩٢٢ (٢٨٠٠٠) منهم نفر قليل كانوا فى فلسطين قبل الحرب وعادوا اليها فى هذه البرهة . وقد صرحت الحكومة مرارا عديدة أن عدد مهاجرى اليهود الذين دخلوا البلاد لم يكن بكثرة محسوسة تولد ضائقة اقتصادية ، وأنكر الصهيونيون قول العرب ان اليهود المهاجرين أخذوا الاعمال من أيدى العرب . وقد أدركنا بعد الاختبار أن اليهودى لا يشغل عنده غير يهودى . وان اتحاد اليهود وحبهم بعضهم بعضا يسهل عليهم ترتيب جميع مصالحهم ، وان شكوى العرب غير صحيحة

هؤلاء الناس ومن تحقيق أحلامهم ، وليس غرضنا فى هذا البحث أن نسيء الظنون بالناس بل أن ندرس الأمور التى سببت المشاغبات . وقد أردنا من ذكر هذه الامور أن تنير أذهان الموظفين الموكول اليهم أمر المهاجرين لكى يجبروهم على دخول الدور من أبوابها وعلى عدم التظاهر بالتظاهرات الحماسية التى من شأنها أن تمس شعور غيرهم

وأكد لنا كثير من العرب المتعلمين أنهم يقبلون على الرحب والسعة مجيء بعض اليهود الاغنياء من أصحاب الاعمال الذين يستطيعون أن ينهضوا البلاد الى مستوى الأمم الراقية بشرط أن لايفرقوا بين أبنائها . وقال الصهيونيون ان تحقيق سياسة الوطن القومى ستفيد العرب واليهود على السواء ، وتبين لنا من درسنا الخاص أن اللجنة الصهيونية التى تمثل الرأى الصهيونى العام فى فلسطين قصرت كل القصور فى تفهيم العرب صحة هذه النظرية ولذلك وجدناهم يتخوفون من الصهيونية والصهيونيين

وليس هذا التخوف حديث عهد بل يرجع فى تاريخه الى أيام الادارة العسكرية لما كان اليهود يتمتعون بتسهيلات خاصة حرمها الوطنيون كالحصول على جوازات السفر ونقل البضائع التجارية فى السكك الحديدية العسكرية الخ ، وهذه المساعدات كانت تمنحها السلطة العسكرية لليهود بواسطة اللجنة الصهيونية التى اعتبرتها وكيلة عنهم ، ولم يكن للعرب لدى السلطة لجنة مثلها ، ومع أن تبعة عدم المساواة بالمعاملة بين الفريقين لاتقع على عاتق اللجنة الصهيونية تولد عند العرب عداوة نحوها وأضمروا لها الكره فى الباطن ونحن نعتقد أن عدم المساواة بين الفريقين هى من الأسباب الرئيسة التى أدت الى الثورة فى يافا ، وقد اتضح لنا أن اللجنة الصهيونية كان بامكانها أن تستميل العرب اليها وأن تصيغ لهم وعد بلفور بصورة مقبولة لديهم أكثر من كل هيئة رسمية غيرها ، ولكن تنفيذ هذا العمل يتطلب مهارة وكياسة بالقول والعمل . وكان من الجدير بهذه اللجنة أن تصرف مساعيها فى تذليل هذه العقبات ولكنها لم تفعل ذلك ، وقد وجدنا العرب يتذمرون منها ويقولون انها لم تعترف بهم ولا اعتبرتهم عضوا عاملا فى البلاد وضحت بمنافعهم فى سبيل اليهود

وحصل استياء عام من تدخلها فى أمور موظفى الشرطة اليهود وغيرهم من صغار الموظفين ودفعها لهم مساعدات مالية علاوة على رواتبهم التى يتناولونها من الحكومة ، وقد

منع هذا التدخل فى سنة ١٩٢٠ . وتأكدنا بصورة خاصة أنها ضغطت على احد أصحاب الأراضى المعروف باسم « ريشون لوسيون » اليهودى لانه كان يستخدم عمالا وزراعا وطنيين فى أراضيه منذ حداثته ، وأكرهته على ابدالهم بعمال وزراع من اليهود ، وقيل لنا ان هذا الزارع لم يلب أمرها الا مكرها لسببين (أولا) عز عليه استبدال العرب بيهود لأنه ترعرع بين العرب وعرفهم وألفهم منذ طفولته (ثانيا) لأن الأجور التى يطلبها اليهود فاحشة بالنسبة الى الأجور التى يتقاضاها العرب وساعات العمل التى يشتغل فيها اليهود يوميا أقل من ساعات العمل التى يعمل فيها العرب ، لذلك صار هذا المزارع يخسر فى زراعته عوضا من أن يربح بعد دلك التبديل

وكان لتدخل اللجنة الصهيونية فى سن القوانين وتعيين الموظفين واعادة المأمورين المعزولين الى وظائفهم وقع سيء فى نفوس العرب ، وليس من شأننا أن نقول ان اللجنة الصهيونية كانت محقة أوغير محقة فى أعمالها ، لكننا تيقنا أنها سلكت مسلكا مهيجا لخواطر العرب وبهذه الصورة ساعدت فى ايجاد العوامل والأسباب التى أدت الى الاضطرابات والاختلافات العامة التى هى مدار بحثنا ههنا

ومما يلفت النظر أن جميع مايكتبه الصهيونيون ومحبوهم فى موضوع الصهيونية فى أوربا يصل فى حينه الى فلسطين ويقرأ لأهاليها فى المدن والقرى على السواء ، وقد روى لنا أحد الشهود من سكان طولكرم بينا كان يوضح لنا بعض الأمور عن حوادث الخضيرة حديثا للكاتب « ح . صيدبوتام » جاء فى كتابه « انكلترا وفلسطين » صفحة ٢٣٥ : من الأمور المرغوب فيها تشجيع الهجرة اليهودية بكل وسيلة ممكنة ومنع الهجرة العربية

وهدا الكتاب الذى نقل عنه هذا الحديث طبع فى سنة ١٩١٨ أى قبل مشاغبات يافا وقد ذكر الوطنيون لنا مرارا عبارات عديدة مهيجة لاتقل خطورة عن هذا الحديث نشرها جماعة الصهيونية أثناء اجتماعنا أى بعد اضطرابات يافا ونخص منها بالذكر العبارة الآتية التى نشرتها جريدة « الجويش كرونيكل » بصدر عددها رقم ٢٧٢٠ الصادر فى ٢٠ مايو سنة ١٩٢١ وهو

ان التفسير الحقيقى للقضية الفلسطينية هو اعطاء اليهود السلطة التامة لجعل فلسطين يهودية والاعتراف لهم بها أنها يهودية كما أن انكلترا انكليزية وكندا كندية . هذا هو

التفسير الصحيح للوطن القومى و يستحيل على اليهود تأسيسه ان لم يمنحوا مركزا يهوديا وطنيا خاصا

لم تعر لجنتنا أذنا صاغية ولا اهتمت لمثل هذه الأقوال ولا علمت مقدارها عند الصهيونيين قبلما تقابلت وتباحثت مع الدكتور « ايدر » الرئيس العامل للجنة الصهيونية الذى كان معتدلا بالنسبة الى غيره ، والذى لايرغب فى نشر أفكار تهييج العرب ، وقد أنارت شهادته وايضاحاته الطريق أمام لجنتنا وأوضحت لها بعض المسائل التى كانت غامضة عليها ، ولما سئل الدكتور ايدر عن بعض الأمور المهمة أجاب عليها بحرية زائدة وأظهر أمانى الصهيونيين بجرأة نادرة . ولم يقم وزنا للتفسير الذى فسر به المندوب السامى وأمين سر الحكومة معنى الوطن القومى ، وقال انه لايمكن الا ايجاد وطن قومى واحد فى فلسطين وهو الوطن القومى اليهودى ، ولايمكن المساواة بالحقوق بين العرب واليهود بل يجب أن يتغلب اليهود على العرب متى تكاثر عددهم ، وأبى أن يعترف أو يقبل بعبارة أن يكون لليهود سلطة أو سلطان قومى ووضع عوضا عنها عبارة أن يكون لليهود حق التسلط والتغلب . ولا يخفى أن الدكتور ايدر ـ وهو رئيس عامل للجنة الصهيونية ـ يحيط بأفكار الصهيونيين واعتقاداتهم الرسمية من جميع وجوهها لذلك تعتبر تصريحاته ذات شأن عظيم لأنه لاتوجد فيها محاورات أو مغالطات يقصد منها التمويه ، وقد قال أيضا بصريح العبارة يجب أن يسمح لليهود لا العرب بحمل السلاح ، وأكد أن تسايح اليهود يحسن العلاقات بينهم و بين العرب ، وقال أيضا يجب أن يسمح للهيئة الصهيونية أن تعترض على تعيينات الحكومة وأن تقدم اليها أسماء الذين ترغب فى ترشيحهم لمنصب المندوب السامى فتنتخب الحكومة منهم واحدا

نحن لانفسر أفكاره لان ذلك ليس من شأننا ولكن يهمنا من هذا التقرير أن نبين للملأ أجمع أن الرئيس العامل للجنة الصهيونية يطلب باسم اليهود بعض المطالب والحقوق التى هى فى الحقيقة أساس الاضطرابات الحاضره ويخالف روح السياسة التى صرح بها المندوب السامى فى فلسطين وصرح بها أيضا أمين سر الحكومة . ويتضح من هذه التفصيلات سبب سوء التفاهم الحاصل بين العرب واليهود كما يتضح سبب انهام العرب

لحكومة فلسطين انها حكومة صهيونية وسبب اتهام الدكتور ايدر لها انها حكومة عربية

اننا نشعر انه فى الامكان اخماد نار العداوة المتقدة بين الشعوب القاطنة فى فلسطين وذلك بأن ينتخب من تلك الشعوب أناس ذوو صفة رسمية يدعون للاجتماع معا والبحث فى المسائل المختلف عليها بحثا مشبعا بروح العدل والانصاف ، ويشترط قبل الدخول فى هذا البحث على العرب أن يقبلوا التصريح السياسى الذى صرحت به الحكومة بخصوص الوطن القومى اليهودى ، ويشترط على زعماء اليهود أن يطرحوا خلف ظهرهم جميع المطالب التى تخالف ذلك التصريح ، وأن يفهموا المهاجرين أنه مهما كانت علاقاتهم التاريخية والدينية فى فلسطين عظيمة يجب أن يدركوا أنهم قدموا هذه البلاد سعيا وراء ايجاد وطن لهم ، وهى ملأى فى الوقت الحاضر بالعرب فينبغى عليهم أن يسيروا سيرا حسنا وأن يسلكوا مسلكا مرضيا مع العرب ، وأن يظهروا لهم روح الصداقة والمسالمة ويجب على وجوه العرب واشرافهم أن يوضحوا للعرب بصريح العبارة أنهم اذا اعتدوا على أحد من اليهود بحال من الأحوال كسرقته أو نهبه أو قتله فيعرضون أنفسهم للجزاء الشديد ـ اه

٤ — اضطرابات القدس الثانية

وقعت هذه الاضطرابات فى أثناء المظاهرات التى أقامها الوطنيون يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ احتجاجا على وعد بلفور بمناسبة حلول ذكراه السنوية فدار قتال عنيف على طريق يافا سقط فيه خمسة قتلى من اليهود وعربى وجرح ٣٢ من الأولين و ٦ من العرب

٥ — اضطرابات يافا الثانية

حدثت هذه الاضطرابات فى يافا فى خلال شهر مارس سنة ١٩٢٤ ابان احتفال اليهود بعيد المساخر (بوريم) فقد كبر على الوطنيين مشاهدة الشبان اليهود يتزيون بزى رجال الدين الاسلامى ويبالغون فى ازدرائه واحتقاره فحاولوا صدهم وردعهم فلم يرتدعوا فدار بين الفريقين قتال اسفر عن سقوط عدد من القتلى والجرحى

٦ — فتنة فلسطين الكبرى

كانت الفتنة التي اتقدت في شهر أغسطس سنة ١٩٢٩ من أعظم الفتن التي شبت في فلسطين فعمت معظم مدنها وقراها بعكس الاضطرابات السابقة فقد كانت موضعية محلية

بدأت الفتنة في القدس يوم ١٥ أغسطس وهو يوم عيد خراب الهيكل عند اليهود فقد تجمهر عدد كبير منهم خارجها وساروا في مظاهرة كبيرة مخترقين الشوارع وقاصدين مبكى اليهود (البراق) وقد حملوا الاعلام والشارات الصهيونية وكان خطباؤهم يخطبونهم أثناء السير منادين بوجوب امتلاك (البراق) وانتزاعه من المسلمين ومنددين بهؤلاء ولما وصلوا اليه خطبتهم امرأة منهم منادية أن المكان لهم فيجب امتلاكه رغم أنف المسلمين والانكليز

وكان المسلمون يرقبون هذه الحركة وينظرون الى مايفعله اليهود وقد امتلأت قلوبهم غيظا وحقدا ولكنهم صبروا ورأوا أن لا يستعجلوا . ولما كان الغد يوم جمعة فقد تجمهر عدد منهم بعد الصلاة وجاءوا لزيارة البراق فوجدوه يغص باليهود وقد رفعوا عليه الاعلام الصهيونية ووضعوا المقاعد الخشبية فحاولوا انتزاع الاعلام والمقاعد فعارضهم اليهود ودار شجار بسيط

وأقام اليهود في الغداة (السبت ١٧ منه) حفلة للالعاب الرياضية أفلتت في خلالها كرة دخلت حقلا لفلاح عربي فلحق بها جمهور من اللاعبين وعبثوا في الزرع فانتهرهم الفلاح صاحبه فاعتدوا عليه وضربوه فانتصر له جيرانه وأنجدوه فتضاربوا وتراشقوا بالحجارة وجرح في هذا النضال ١٤ من العرب وخمسة من اليهود مات أحدهم وهو ابراهيم مزراحي بعد يومين فشيعت جنازته بموكب كبير وأقام له اليهود مأتما حافلا وأدخلوه في عداد شهدائهم . ودار بين الشعبين والبوليس شجار فجرح ٢٤ رجلا . وأقفلت المدينة على الأثر وتعطلت الأعمال وشعرت الحكومة بتحرج الحالة فاستقدمت نجدات عسكرية من مصر وصدر الأمر الى بعض وحدات الاسطول البريطاني بالسفر الى يافا وحيفا

وهاجم اليهود ظهر الجمعة ٢٣ منه قرية لفتا (ضاحية القدس) مغتنمين فرصة احتشاد رجالها في المسجد للصلاة فاعتدوا على الاطفال والنساء ووصل النبأ الى المصلين فأسرعوا للدفاع

عن ذويهم ودار قتال بينهم و بين اليهود مالبث ان سرى الى القرى المجاورة فاتسع نطاق الفتنة وشمل القرى والمدن وفى مقدمتها يافا وحيفا وصفد والخليل فقد بلغ عدد القتلى من اليهود فى الخليـل وحدها ٦٤ قتيـلا وجريحا وقد بدأت الحوادث هنا على أثر إشاعة شاعت عن مقتل العائلة العربية المنفردة فى الاحياء اليهودية فى القـدس مما هاج خواطر الناس وزاد على ذلك مبادرة اليهود لبعض العرب هنا بالشتم والتهـكم وخصـوصا بعض الطلاب من اليهود الاميركيين الذين اعتزوا أكثر مما يجب فى تلك الاوقات العصيبة بجنسيتهم فاستثاروا العرب . وقد أشاع اليهود أن العرب مثلوا بقتلى اليهود هنا فأرسلت الحـكومة لجنة طبية قوامها ثلاثة من أطباء العرب هم الدكتور توفيق كنعان وحسـين الخالدى وحسام الدين أبو السعود وثلاثة من الاطباء اليهود ومثلهم من الانـكليز فأخرجت يوم ١٢ سبتمبر جثث ٢٤ يهوديا من القبور وفحصتها فلم تجـد فيها أثرا للتمثيل فوضعت تقريرا مفصلا نفت به تهمة التمثيل عن العرب وقـد نشرت حكومة فلسطين التقارير الطبيـة رسميا لدحض الدعاية اليهودية

و بعكس ذلك فقـد أثبتت التقارير الطبية أن اليهود فى تل أبيب مثـلوا بعائلة عربية مسلمة فى تـكنة أبى كبير فقتلوا رب العائلة وهو صـديقهم ثم بقروا بطنه بمدراة الحصاد كما حطموا رأس ابن أخيه وزوجته وابنه وله من العمر ثلاث سنوات

أما فى صفد وقد قتل فيها ٩ من اليهود وجرح ٢٦ فقد بدأت الاضطرابات بمرور بدوى غريب بقرب الحى اليهودى فأطلق عليه اليهود الرصاص فقتـل فأحـدث اطلاق الرصاص اضطرابا فى البلدة وأطلق اليهود الرصاص على العرب المارين بقرب حيهم ولـما شاع ذلك اعتقـد العرب أن اليهود قرروا مهاجتهم فقاموا للدفاع عن أنفسهم فاندلعت نيران الفتنة ونهب اليهود ٣٠ مخزنا للمسلمين كانت فى داخل حيهم و بقربه

تدابير الحكومة وسكون الفتنة

فوجئت الحـكومة البريطانيـة بالاضطرابات فى فلسطين مفاجأة لم تـكن تتوقعها فشرعت فى ارسال القوى وحشد الجنـد ويقال انها أرسلت ١٢٠ طيارة و ٦ بوارج وخمسة آلاف جنـدى فقبضت بعـد عناء على ناصية الحال وسكنت الهياج وقـد

امتد نحو ١٥ يوما واصلت حكومة القدس خلالها اصدار البلاغات الرسمية يوميا عن سير الحوادث وصدر آخر بلاغ يوم ١٢ سبتمبر وفيه أنه بالنظر لسكون الحالة لاتصدر بلاغات أخرى الا اذا دعت الحاجة

عدد القتلى والجرحى

ويقول بلاغ رسمي صدر يوم ٣ سبتمبر ان عدد القتلى ٢٠٦ موزعون كما يأتى : من المسلمين ٨٧ ومن المسيحيين ٤ ومن اليهود ١١٩ وعدد الجرحى ٥٧٥ جريحا من أبناء الطوائف الثلاث

منشور المندوب السامى ورد اللجنة

وكان المندوب السامى البريطانى لفلسطين وهو السر جون تشانسلور غائبا بالاجازة فى لندن حين وقوع الاضطرابات فعاد على الفور الى فلسطين ، وقبل أن يدرس الموقف حق دراسته نشر يوم أول سبتمبر سنة ١٩٢٩ منشورا وزع بالطيارات فى أنحاء فلسطين حمل فيه على العرب فاحتجوا عليه وفندوا أقواله وهذا نصه مع رد اللجنة التنفيذية العربية عليه ــ قال :

« عدت فوجدت البلاد فى حالة اضطراب وفريسة لأعمال عنف غير مشروعة وهو أمر أحزننى جدا وقد استفظعت ماعلمت به من أعمال القسوة التى اقترفتها جماعات من السفاحين الظمآنين الى الدم والأشرار الذين ارتكبوا جنايات قتل وحشية ضد أشخاص آمنين من السكان اليهود على اختلاف أعمارهم وقد اقترنت [illegible] الجنايات كما فى [illegible] بأعمال همجية كحرق المزارع والمنازل فى المدن والريف مع سلب الممتلكات وتخريبها وهذه الجنايات جلبت على مقترفيها سخط جميع الشعوب المتمدنة فى [illegible]

« ان أول واجباتى هى اعادة النظام الى البلاد وانزال العقاب [illegible] تثبت عليهم تهمة ارتكاب أعمال العنف وستتخذ جميع التدابير اللازمة للوصول الى هذه الغاية و [illegible] جميع سكان فلسطين مساعدتى على تأدية هذه الواجبات

« وعملا بوعدى الذى قطعته مع اللجنة [illegible] فى يونيو الماضى شرعت فى مفاوضة وزير الخارجية البريطانية حينما كنت فى [illegible]

بشأن احداث تغييرات دستورية فى فلسطين ولكن نظرا الى الحوادث الأخيرة أوقفت الآن هذه المفاوضة مع الحكومة البريطانية حتى يثبت السلام

« وفى مايتعلق بالأقوال التى أذيعت فى العهد الأخير بشأن جدار المبكى (البراق) أروم الآن بموافقة الحكومة البريطانية أن أعلن أنى أنوى تنفيذ المبادئ المبينة فى الكتاب الأبيض بعد تقرير الاجراءات الخاصة بتطبيقها

وقد كان لنشر هذا المنشور أسوأ أثر فى نفوس العرب الذين سعوا ليحولوا دون اذاعته فلم يوفقوا . وقد ردت عليه اللجنة التنفيذية يوم ٣ منه بالرد الآتى :

« اطلع عرب فلسطين بدهشة عظيمة على منشوركم المؤرخ فى أول سبتمبر سنة ١٩٢٩ ولم يكن أحد منهم يتوقع اغفال الحقائق التى عرفها القاصى والدانى والتى اعترفت بها الحكومة وهى :

١ ـ ان أكثر اليهود كانوا مسلحين

٢ ـ ان الحكومة سلحت عددا منهم

٣ ـ انه لم يوجد فى قتلى اليهود تمثيل أو تشويه حتى فى الخليل كما يؤيد هذا تصريح ادارة الصحة العامة البريطانية فى فلسطين

٤ ـ وان بعض قتلى العرب قد مثل بهم

٥ ـ وان جموع اليهود قد قتلت نساء وأطفالا من العرب

٦ ـ وان اليهود هم الذين بدؤا بقتل النساء والأطفال من العرب

٧ ـ وان الجنود النظامية قتلت النساء والأطفال والرجال من العرب فى بيوتهم وعلى فرشهم فى قرية صور باهر وغيرها

٨ ـ وان اضطرابات فلسطين السابقة والحالية انما هى ناشئة مباشرة عن السياسة البريطانية الصهيونية التى ترمى الى افناء القومية العربية فى وطنها الطبيعى لكى تحل محلها قومية يهودية لاوجود لها

كل هذه الحقائق لم يكن أحد من العرب يتوقع اغفالها فى منشور صادر على عجل وسابق لأوانه . وتعلمون أن عرب فلسطين خسروا كل شئ من جراء هذه السياسة الصهيونية فلا يهمهم أى زيادة فى الخسارة وستجدهم الجنود البريطانية عزلا من السلاح

لتلقى أى ضربة تنزل بهم فاذا كان لم يزل ثمة عدالة يحق للعرب أن يطلبوا نصيبهم منها فهم يلحون بطلب اجراء تحقيق نزيه من قبل أشخاص من خارج فلسطين لايتأثرون أثناء قيامهم بواجبهم نحو العدالة بالنفوذ الصهيونى

«وان التحقيقين اللذين أجريا فى فلسطين فى ظروف مماثلة سابقة من قبل لجان بريطانية قد أظهرا للملأ مطالب العرب الحقة ومقاصدهم القومية النبيلة كما أظهر مصائبهم السياسية

« ان العرب يعتقدون كل الاعتقاد أن تحقيقات نزيهة كتلك سترو ى للعالم حكاية حالهم فى هذه الاضطرابات الحاضرة رواية أصح مما صورتموه للعالم فى منشوركم الصادر قبل اعطاء العرب فرصة لاستماع صوتهم وعندئذ يرى العالم أن اليهود الذين تجاوزوا التحرش السياسى الى الدينى ، والذين أصبح تحرشهم فى المدة الأخيرة مما لايحتمل ، كما صرحت بذلك الحكومة والذين كانت أعمالهم الفظيعة فى هذه الاضطرابات ينطبق عليها كلامكم فى منشوركم بحق العرب هم المسؤولون أولا عن الاضطرابات الحالية والسياسة التى تؤيدهم ثانيا

« وان مثل هذا المنشور كان ينبغى اصداره بعد اجراء التحقيقات التى ينشدها العرب لاقبل اجرائها فلذلك نحن نتأكد انكم لو أعدتم النظر فى الحالة الحاضرة لتوصلتم الى حكم عادل ــ اهـ

واحتج محامو العرب فى فلسطين أيضا على هذا المنشور فى بلاغ طويل أذاعوه يوم ٤ منه وقابل رئيس اللجنة التنفيذية وأمناؤها المندوب السامى يوم ٩ منه وبحثوا معه فى الحالة وقدموا له تقريرا مسهبا عن أسباب الاضطرابات وعواملها واحتجوا له على منشوره فقال لهم انه كتب فى منشوره الأول ما اعتقده صحيحا وان سوء الفهم الذى وقع فى تأويل المنشور الأول أصلح فى المنشور الثانى [1] قال وانه لايفرق فى معاقبة المجرمين بين العرب واليهود وطلب من الوفد ان يوزع منشورا فى المقاطعة الشمالية لتسكين الأفكار

(١) نشر هذا المنشور يوم ٤ منه وقد جاء فيه : ان حكومة فلسطين [illegible] تقضى بجمع الأدلة قبل انطباسها على ماإذا كانت الاضطرابات التى وقعت فى ٢٣ [illegible] كانت مدبرة أو بنت ساعتها وفى الوقت الذى تتعاون فيه الجنود البريطانية مع [illegible] ..

صدى الفتنة فى الشرق والغرب

ريع العالمان الاسلامى والعربى لهذه الفتنة فأقيمت المظاهرات فى دمشق وحمص وحماه وحلب و بغداد والموصل لتأييد فلسطين والعطف عليها فى محنتها وأرسلت البرقيات من شتى الجاليات الاسلامية فى القطر المصرى لتأييد الفلسطينيين . و بلغ الهياج فى سورية حده وشاعت اشاعات بأن القبائل العربية زحفت الى فلسطين للاشتراك فى الاضطرابات فاتخذت السلطات الفرنسوية على الحدود أشد التدابير لتحول دون سفرها مما قابله الانكليز بالشكر فقد جاء فى بلاغ رسمى نشر فى بيروت فى شهر اكتوبر أن ضابط الارتباط البريطانى زار المفوض السامى الفرنسوى وأبلغه شكر الحكومة البريطانية للسلطات الفرنسوية فى سورية على مااتخذته من تدابير ساعدت كثيرا على توطيد الأمن فى أثناء الاضطرابات الفلسطينية

وأرسل مسلمو الهند البرقيات العديدة الى حكومة لندن يطلبون فيها انصاف الفلسطينيين واعادة حقوقهم اليهم

واتخذت السلطات البريطانية على حدود شرق الأردن تدابير صارمة لتحول دون دخول سكانها الى فلسطين للدفاع عن اخوانهم فوقفت الطيارات والدبابات على طول خط الحدود ولم يستطع ولاة الأمور المحافظة على الأمن الا بشق الأنفس ومما يستحق الذكر أن

فسطين لاعادة النظام الى نصابه تتخذ السلطات المدنية تدابير فعالة لمحاكمة المجرمين وقد اعتقل كثيرون من المتهمين واتخذت ضدهم الاجراءات القانونية

«واحتاط ولاة الأمور احتياطا خاصا لتأليف مجالس منزهة للنظر فى القضايا التى يرجح أن تكون كثيرة . و بناء على طلب المندوب السامى لفلسطين أخذت وزارة المستعمرات تهتم بتعيين لجنة تحقيق وسيسافر أعضاؤها الى فلسطين فى هذا الشهر لكى يحققوا الأسباب المباشرة التى أدت الى الاضطرابات الحاضرة وهل حدثت عرضا أو كانت مدبرة وسيكون رئيس اللجنة السر ولترشو رئيس اللجنة القضائية فى تسوية المضيق ومعه ثلاثة أعضاء من البرلمان منتخبون من كل حزب من الأحزاب الثلاثة

الموظفين الانكليز اعتقلوا الشيخ مثقال الفايز شيخ بنى صخر مدة خمسة أيام ولم يطلقوا سراحه الابعد مانالوا منه ضمانات بأن يكف عن كل مامن شأنه تكدير صفو السلم

مذكرة الامير عبد الله

وأرسل الأمير عبد الله بن الحسين أمير شرق الأردن الى المندوب السامى البريطانى لفسلطين فى تلك الأثناء المذكرة الآتيـة يطلب انصاف العرب والعدول عن سياسة الوطن القومى قال :

قد شاع فى شرق الأردن أن جماعات كبيرة من سكان تل أبيب ركبوا السيارات فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٩ [1] فى الساعة والنصف مساء آمين القدس وأن عددهم يزيد على ألفى شخص مسلحين بقصد الاعتداء على العرب اعتداء جديدا لذلك ولأهمية هذه الشائعة ولما فيها مما يثير هياج الشعب ويجعله متأثر الأعصاب صعب القياد يخشى العاقبة على سكان فلسطين لم أجد بدا من تعجيل بيان أفكارى لفخامتكم فى هذا الصدد درءا لما يسفر عن أمثال هذه الاشاعات التى تذاع بصيغة وأسلوب محكمين غريبين لايخلوان من التأثير

لامشاحة فى أن صبر العرب فى فلسطين واقامتهم طيلة السنين التى عقبت وعد بلفور واعتدالهم فى غضون الحوادث الأخيرة التى أخذ فيها عاقلهم بشكيمة جاهلهم على قدر الطاقة فتحاشوا مع الأحوال الطارئة مدافعين عن أنفسهم غير معتدين ـ الدليل الناصع على محانة الشعب فى حوادث من شأنها التخريب والتقتيل بصورة لانشا كل ماجبلوا عليه من الرعاية للنزلاء فى بلادهم على الرغم مما يبدو من أولئك النزلاء من تحرش يعرب عن كمنهم فى كل فرصة عنت وسانحة أتيحت. ولعلى لا أخرج عن القصد وأكون من خففتة على طرف التمام اذا صرحت بعقم الأمنيه اليهوديه فى فلسطين بعد اوقاته الأخيرة التى تقضى على كل أمل فى امكان مجاورة هؤلاء الدخلاء للعرب فى بلاد وطن العنصر العربى منذ ١٣ قرنا متطاولة

---

(١) أشيعت هذه الشائعة بفلسطين فأسرعت الحكومة الى اصدار بلاغ ... اتخذت التدابير اللازمة لتحول دون وصول هؤلاء الى القدس

لقد ساورني القلق على الأمن فى فلسطين وخشيت اندلاع لهيب الفتنة الى مايجاورها من الأقطار العربيةالاسلامية منذ استطارت أخبار مؤتمر زوريخ الصهيونى[1] ومانجم فيه من التطرف والجشع وعدم رعاية الحالة النفسية لعرب فلسطين واخوانهم وفى جوارهم وتجاهل الحقوق العربية المحتة وقد اشتد ذلك القلق عندما وقع التشبث الأخير فى التعدى على المبكى لاستحازته من جانب اليهود فأرسلت للتو والساعة خبرا الى سعادة وكيل المعتمد البريطانى بعمان معربا عن تخوفى من استفحال الأزمة ومقدما أيضا ـ ابقاء القديم على قدمه ـ وأن أى تغيير يعتور الموقف التليد (ستاتوكو) سيؤدى حتما الى فتنة عنيفة وهياج عنيف ولم تك الا عشية أوضحاها حتى وقع ماوقع واضطرت الحكومة لحشد القوة المسلحة من برية وبحرية وهوائية فى فلسطين . وانى لأخشى اذا ظلت تلك الأزمة اليهودية قائمة على أساس العنف ومجاوزة المعقول فى الطلب والمظاهرات المنطوية على التحدى أن يفضى ذلك كله الى اتخاذ تدابير عسكرية دائمة تجعل مدبرى الفتنة يخشون عاقبة أعمالهم

وانى اذا استعرضت الاشاعات المتطايرة فى البلاد ووصول خبرها الىّ بين فترة وأخرى وتأملت فيما تحمل بين طياتها من الاستفزاز الدينى والضرب على الوتر الحساس لم أستغرب ماتجشمت من العناء فى حمل الأمة على الاخلاد للسكينة مع تسللهم من هنا وهناك ناقين هائجين ، ولقد لقيت فى سبيل ذلك من الصعاب فوق مااعترضتنى من مثلها فى خلال الثورة السورية ولقد كانت هذه حركة قومية سياسية أسست حول نطاقها وان طال أمرها وان المشكلة الفلسطينية أشد خطرا لارتباطها فوق ذلك أجمع بالشعور الدينى الذى يحمل

(١) افتتح هذا المؤتمر يوم ٢٨ يوليو وختم يوم ١١ أغسطس سنة ١٩٢٩ وجاء فى خطابه ومنه للدكتور وايزمن « لما أنشئت الجمعية الصهيونية لم يكن الوطن القومى لليهود سوى فكرة أما اليوم فانهم يستطيعون أن يقولوا بلا مبالغة انهم نجحوا نجاحا كبيرا فى تحقيق برنامج انشاء وطن قومى يهودى ومع ذلك لم يدركوا غرضهم فالمستعمرون والعمال اليهود قد رسخت أقدامهم فى فلسطين وصاروا الآن جزءا من السكان اليهود المقيمين فى البلاد وقد كان لهذا الأمر تأثير شديد فى العالم اليهودى كله وقد تحققوا أيضا بارتياح أن الافراد فى الهجرة انتهى »

المتحمسين وكثير ماهم على نسيان كل اعتبار فارفع الصوت بشدة أن لامندوحة لشرق الأردن من قوة احتياطية للجيش العربي ليقوم بواجب المسئولية فى حماية الأمن والقبض على ناصية الحال فى ما اذا تكررت الحوادث فى فلسطين لمنع غوائلها المخوفة حيال مفاجاءة لانعلم من ندهم من البلاد

أما قوة الحدود فقد ثبت أنها أخذت الى فلسطين وعدا هذا فتأثير القوى المحلية على نفسية الشعب لا تخفى على رجال الادارة

ان اليهود فيما يظن ويقال غير مقصرين فى تحديهم وقد يعقب هذه القلاقل من حب الأخذ بالثأر وايغار الصدور مايعود على مشكلة الوطن القومى بخشف وسوء كيل. ان اخماد الفتنة بقوة السلاح غير واف بالمرام فيما يخيل الى اذا لم يعزز ذلك بحل ينزع من النفوس ما اكتنفها من الأحقاد . وان الحكمة المأثورة عن حكومة بريطانيا العظمى لجديرة بذلك ان شاء الله . ولقد كتبت لفخامتكم بدافع التفاهم النزيه وقياما عما يقتضيه الحوار المرتبط بالمصلحة المشتركة من مصارحة — اه

ابن سعود والفتنة

وشاعت فى تلك الأثناء اشاعات بأن جلالة الملك عبد العزيز سعود يؤيد العرب الفلسطينيين ويعطف عليهم وأنه سيشد أزرهم فقابل مكاتب شركة روتر فى لندن يوم ٢ سبتمبر سنة ١٩٢٩ الشيخ حافظ وهبه وزير الحكومة السعودية المفوض هنالك وسأله عن سياسة حكومته فقال له : ان ابن سعود وشعبه يعترفان بأن فلسطين أرض مقدسة عند ثلاث ديانات كبيرة . ويرغب الملك من صميم فؤاده أن يعيش المسلمون واليهود والمسيحيون فيها بالاتفاق والوئام . وقال ايضا ان ابن السعود صديق لبريطانيا العظمى ومن المؤكد أنه لا يحاول أن يوجد لها مشكلات جديدة فى فلسطين وغيرها أو أن يوسع شقة المشكلات الحالية . ويعتقد ابن سعود أن بريطانيا تقبض بيدها على قسطاس العدل بين اليهود والعرب وكل فكرة يذيعونها عن ميل ابن سعود الى [illegible] المضادة لليهود خارجة عن الموضوع الذى نحن بصدده

وفى ٦ منه عاد الشيخ فكرر لمندوب روتر بان [illegible]

العظمى وقال ان له ثقة بعدالة الحكومة البريطانية ولايتدخل بأى وجه كان فى شؤون فلسطين ولا يوجد مشكلات للحكومة البريطانية ويعتمد عليها فى دفع المظالم عن المسلمين

ولما وصلت هذه التصريحات الى بلاد العرب أرسل جلالة الملك عبد العزيز الى اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى بالقاهرة البرقية الآتية :

« تعلمون ولا شك حكم الاسلام فى حقوق أهل الأديان التى تقدمته وانه من المستحيل أن نعترف أو نقر بما لم يحكم به مهما كانت الدواعى والظروف

« ونحن مازلنا ولا نزال نتمنى لبنى قومنا العرب ولبلادهم كل خير وسعادة يؤلمنا مايؤلمهم ويسرنا مايسرهم فى كل وقت وحين »

وأرسل جلالته أيضا فى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٩ البرقية الآتية بواسطة الوكالة السعودية بمصر الى اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى ـ الفلسطينى والى المجلس الاسلامى الأعلى بالقدس قال :

بلغنا الآن ما كان من اعتداء نفر من اليهود فى المسجد الأقصى على المسلمين يوم جمعتهم وقتل عدد منهم . وقد كانت هذه الفاجعة مدعاة للألم العظيم والكدر الشديد فى قلوبنا وأنا وسائر من فى الجزيرة من العرب والمسلمين لنشارك سكان المسجد الأقصى ومن حوله فيما أصابهم من هذا العمل المنكر الذى وقع عليهم فى صلاتهم بمسجد المسلمين الحرام وانا لواثقون بأن الحكومة البريطانية بما نعهده من تقاليدها ستعامل بأقصى أنواع الشدة أولئك الآثمين لاسيما الذين قترفوا ذلك الاثم المبين . وانا فى هذا الموقف الذى امتلات فيه النفوس ألما وكدرا نقدم للعرب وللمسلمين عامة تعزيتنا عمن فقد فى ذلك المسجد الحرام من أصابين »

ويقال أيضا ان جلالته أرسل بهذه المناسبة كتابا خاصا الى جلالة ملك الانكليز يطلب فيه انصاف العرب ورد حقوقهم اليهم

الجفاء بين العرب واليهود

وقد اشتد الجفاء على أثر هذه الحوادث بين العرب واليهود من سكان فلسطين فتقاطعوا وجلا المسلمون الذين كانوا يسكنون فى الاحياء اليهودية أو على مقربة منها الى الاحياء الاسلامية وحذا حذوهم اليهود فجلوا الى الاحياء اليهودية وأمسك اليهود عن معاملة العرب وعن الشراء منهم وأعلنوا عليهم حربا اقتصادية شعواء

ولابد لنا من القول أن التحقيق الرسمى أثبت أن الحكومة سلحت جانبا كبيرا من اليهود بالسلاح الحكومى للدفاع عن أنفسهم فاستعملوا سلاحهم فى قتل العرب والاعتداء عليهم كما أثبت أيضا أن بعض اليهود لبس لباس الجند البريطانى وأطلق رصاصه على العرب فقتل عددا منهم

ومما يؤثر عن الدكتور وايزمن قوله غداة وقوع الفتنة : اننا سنرسل الى فلسطين ألف يهودى مكان كل يهودى قتل

واحتج اليهود فى العالم على انكلترا ووصفوها بأشنع التهم وزعموا أنها هى التى حرضت العرب عليهم

لجنة شو وتقريرها

وفى يوم ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٩ وصلت الى القدس لجنة التحقيق البرلمانية البريطانية وهى مؤلفة برئاسة والترشو للبحث عن أسباب الاضطرابات فعقدت أول جلسة يوم ٢٤ منه وألقى رئيسها حين افتتاحها كلمة استهلها بقوله : ان الحوادث المحزنة التى وقعت أخيرا فى فلسطين أقلقت العالم أجمع وهددت بتوقيف تقدم العمران السامى فى هذه البلاد وقد أسفت لها جميع طبقات الشعب التى اتحدت وطلبت اجراء تحقيق نزيه عن أسبابها لتجنب تكرار وقوعها . وان وزير المستعمرات وقد وضع نصب عينيه هذه الغاية عين هذه اللجنة للتحقيق فى الأسباب المباشرة التى أدت الى وقوع الاضطرابات والاشارة الى [illegible] الواجب اتخاذها لمنع تكرارها فلذلك يقضى علينا الواجب بمقتضى شروط اختصاصنا أن نجرى تحقيقا وافيا تاما نزيها وقد صممنا على ذلك »

وقال أيضا ان لجنته ليست لجنــة قضائية وانما هى لجنة للتحقيق فى بعض الحوادث وانها ستسلك الطريق الذى تعتقــد أنه يوصلها الى غايتها لتشير على الحكومة بما يجب عمله

وقضت اللجنة فى فلسطين ثلاثة أشهر وخمسة أيام درست الحالة درسا مفصلا وجابت معظم المدن والقرى واجتمعت الى كثيرين وسمعت أقوالهم وفى يوم ٢٨ ديسمبر غادرتها عائدة الى لندن بعــد ما أذاعت البيان الآتى :

« فى أول جلسة عمومية عقدناها أملنا أن نلقى فى تحقيقنا أكبر مساعدة ممكنة من الذين يرغبون فى اظهار الأسباب الحقيقية لاضطرابات اغسطس الواسعة

« والآن ونحن على أهبة السفر نشعر بأن أملنا قد تحقق بواسطة ذوى الشأن من الممثلين الذين أمدوا اللجنة بكل المعلومات التى تتعلق بمهمتها

« ان الشهود الذين سمعنا افاداتهم كانوا من مختلف طبقات الطوائف ومن أكثر أنحاء البلاد وقد لقينا من كل فريق أكبر مقدار من المساعدة والتعاون فى العمل ونعتقد أننا نعود الآن حاملين معنا لاسجلا للوقائع المحزنة التى شوهت تاريخ هــده البلاد فقط بل المــادة التى ستــكون أكبر مساعد على تحليلنا أسباب تلك الحوادث مع الاقتراحات القيمة التى أدلى بها أشخاص وهيئات تمثيلية عن الاحتياطات التى يجب اتخاذها لمنع تــكرر الاضطرابات

« ان وقتنا محدود فلم نتمكن من زيارة كل البلاد ولكن فى الزيارات التى قمنا بها تمكنا من سماع آراء من قابلناهم ونحن على ثقة بأن المعلومات التى جمعناها عن البــلاد وأهلها ستكون ذات فائدة عظيمة فى اعداد تقريرنا

«ان المهمة التى عينتها لنا حكومة جلالة الملك تنطوى على شقين وقد أنجزنا الشق الأول وهو التحقيق المحلى وفى القسم الشاق الباقى لنا فى تحديد الأسباب ووضع التواصى للمستقبل نشجعنا فكرة ان الجميع فى هذه البلاد ممن كانت لهم علاقة بالتحقيق وقد عاونونا فعليا وسيكونون على استعداد للمعاونة أيضا فى اتباع السياسة المستقبلة التى تقررها حكومة جلالة الملك بناء على توصيتنا

ه . سنل　　　هنرى بترسون　　　هو يكه مورس　　　ولتر س . شو

ومما يستحق الذكر أن العرب هم الذين ودعوا اللجنة يوم سفرها وهتفوا لها وقد امتنع اليهود عن تشييعها لانهم أدركوا ان رجالها فهموا الحقائق ولم يؤخذوا بالأساليب التى اعتاد الصهيونيون أن يأخذوا بها بعض الرجال الرسميين،ولم يكفهم ذلك بل دبروا حملة فى صحف انكلترا ضدها

تقرير لجنة شو

وفى يوم أول ابريل سنة ١٩٣٠ نشر تقرير اللجنة ، وقد تبين بعد ذلك انها انتهت من كتابته يوم ٦ مارس وان تأخير نشره نشأ عن محاولة التوفيق بين آراء أعضائها فالأكثرية منهم كانت ضد وعد بلفور وسياسة الوطن القومى ولم يشذ سوى المستر سنل مندوب العمال فقد أظهر ميلا الى تأييد السياسة الصهيونية فلم تأخذ اللجنة بآرائه واليك خلاصة تقريرها

« اتفق أعضاء اللجنة على القول انهم استنتجوا من تحقيقهم ان الاضطراب بدأ بهجوم العرب على اليهود بغير مسوغ وهجم اليهود على العرب بضع هجمات كانت فى الغالب من باب أخذ الثأر ومقابلة الشئ بمثله

« ولم تقم بينة ماعلى أن المفتى أو اللجنة التنفيذية العربية فى فلسطين تعمدت هذه الاضطرابات أو نظمتها قبل وقوعها كما زعم البعض وما كان الاضطراب ضد السلطة البريطانية ولا قصد به أن يكون كذلك

« وليس عند اللجنة انتقاد خطير توجهه الى سلوك حكومة فلسطين وما اتخذت من التدابير سواء قبل وقوع الحوادث أو بعد وقوعها بل ترى اللجنة ان حكومة فلسطين أدت مهمتها الشاقة فى خلال الحوادث كلها بأقصى ما يمكن من الكفاءة وحافظت على النزاهة وعدم التحيز الى شعب من الشعبين فى حين أن زعماء الفريقين لم يظهروا ميلا يذكر الى تسوية الخلاف وفض النزاع

« وترى اللجنة أن نشاط اليهود وهجرتهم ـ حين يتجاوزان مقدرة البلاد على تحمل القادمين اليها من الخارج ـ [illegible] على فلسطين [illegible] العرب [illegible] .
أما فى مايتعلق بالهجرة فأعضاء اللجنة يرون أن ولاة لأمور اليهود [illegible] من المعاملات

والمبادئ التي وضعت في سنة ١٩٢٢ والتي تعلمها الجمعية الصهيونية وان مزاعم الصهيونيين ودعاويهم انشأت في نفوس العرب خوفا من ضياع أسباب معيشتهم واستعبادهم استعبادا سياسيا

«ولفتت اللجنة النظر الى نفر من الزراع العرب أخرجوا قسرا وعنوة من الأراضي التي كانوا يزرعونها بعد ما بيعت تلك الأراضي ولم تدبر لهم أرض سواها لزرعها ولم تشك اللجنة من شركات الأراضي اليهودية فانها في بعض الحالات تدفع تعويضا نقديا وكانت تعمل ماتعمله بعلم الحكومة واطلاعها ولكن مع ذلك نشأت مشكلة دقيقة حادة وصارت في فلسطين طائفة مستاءة متبرمة افرادها من الذين لا يملكون أرضا لزرعها ووجود هذه الحال قد يصير منشأ خطر فاللجنة تحض على تدبير علاج لها

« وقد استنتجت اللجنة أن فلسطين لا تستطيع أن تطعم عددا من السكان الزراعيين يزيد على عدد من فيها الآن من دون احداث تغيير جوهري في أساليب الزراعة والانتاج . وعندها أن الصعوبات التي تعانيها حكومة فلسطين تتفاقم بما يشعر به العرب من النفور لعدم تمتعهم بشيء من الحكم الذاتي وليس لهم وسيلة مباشرة للاتصال بالحكومة بخلاف اليهود . وترى اللجنة أن الحكومة البريطانية أفرطت في تخفيض الحامية في فلسطين وشرقي الأردن وعندها أن العلة الاساسية في حوادث الاضطرابات عداوة العرب لليهود بسبب خيبة أمل العرب وعدم تحقيق أمانيهم السياسية والقومية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي

«أما الاسباب المباشرة في حدوث ماحدث فتكرر وقوع حوادث بصدد البراق. ونشر مقالات مهيجة في صحف الجانبين وبث الدعوة بين غير المتعلمين من العرب وضعف القوة العسكرية وقوة البوليس وعدم وفائهما بالحاجة واعتقاد العرب أن حكومة فلسطين تتأثر بالاعتبارات السياسية

وفي رأس ما أشارت به اللجنة ان تصدر الحكومة في الحال بيانا سياسيا في فلسطين وتجاهر بعزمها على تطبيق هذه السياسة وتنفيذها بكل ماعندها من القوى والوسائل ويزيد في قدر تصريح كهذا وقيمته اذا حوى تفسيرا جليا من جانب الحكومة البريطانية لفقرات في صك الانتداب تكفل بها حقوق الطوائف غير اليهودية واذا نص

على تعليمات واضحة لارشاد حكومة فلسطين فى سياستها فى المسائل الجوهرية كمسألة الهجرة ومسألة الأراضى . وهذا الذى تشير به اللجنة يقوم أكثره على فرض أن تحديد السياسة المقترح ينص على أن حقوق غير اليهود تحمى حماية وافية

وتشير اللجنة باذاعة تصريح جلى بشأن السياسة التى تتبع فى المستقبل فى أمر هجرة اليهود الى فلسطين واعادة النظر فى الاداة الادارية واصلاحها لمنع الافراط فى الهجرة كما أفرط فيها فى سنة ١٩٢٥ و ١٩٢٦

ويجب ايجاد وسيلة أو أداة لاستشارة المصالح غير اليهودية فى أمور الهجرة

وتقترح اللجنة اجراء تحقيق علمى للبحث فى تحسين وسائل الزرع فى فلسطين وحينئذ يمكن وضع السياسة الخاصة بالأراضى فى ضوء هذا التحقيق

« والى أن يتم هذا يجب اتخاذ تدابير لمنع ما هو واقع من طرد الفلاحين والزراع من الأراضى التى اعتادوا زرعها وفلاحتها وعلى الحكومة أن تبحث عن وسائل التسليف فتزود المزارعين بما يلزم لهم من المال

ولم تشر اللجنة بشئ صريح فى ما يختص بالمسألة الدستورية ولكنها لفتت النظر الى رأيها الذى أثبتته فى تقريرها وهو نفور العرب واستياؤهم من عدم نيلهم قسطا من الحكم الذاتى وان هذا النفور يضاعف الصعوبات والمشكلات

واقترحت اللجنة تأليف لجنة مهمتها تعيين الحقوق والدعاوى فى صدد البراق وأن ينظر فى أمر زيادة الرقابة على بث الدعوة بواسطة الصحف وأن تجاهر الحكومة البريطانية مرة أخرى بأن المقام الخاص المسموح به للجمعية الصهيونية لا يخولها حق فى أن تكون لها نصيب من حكم فلسطين

وفد فلسطيني فى لندن

وانتدبت اللجنة التنفيذية جمال الحسينى سكرتيرها للسفر الى لندن لملاحقة القضية الفلسطينية عن كثب وبث الدعاية لها وتفنيد دعاوى اليهود وسافر اليها فى شهر ... وبذل جهداً مشكوراً فى خدمتها واتصل بأقطاب فلسطين من أحرار الانكليز ومنصفيهم

وقابل عددا من رجال الحكومة وأقطابها وأعد المعدات اللازمة لقدوم وفد فلسطيني كبير يتصل برجال الحكومة و يسعى لحل القضية بما يصون حقوق العرب

وأتمت اللجنة التنفيذية تأليف الوفد يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٣٠ وقوامه موسى كاظم باشا الحسيني رئيسا والحاج أمين الحسيني وراغب النشاشيبي والفريد روك أعضاء على أن ينضم اليهم فى لندن جمال الحسيني بصفة عضو ويكون عونى عبد الهادى سكرتيرا لهذا الوفد وقد حددت اللجنة اختصاصات الوفد بما يأتى « يكون للوفد ملء الحرية باستعمال ما يراه من الوسائل لنيل العرب فى فلسطين حقوقهم السياسية والقومية والاقتصادية على أن يرجع الى الامة فى البت نهائيا فى الحلول التى تصل اليها مجهوداته »

وفى يوم ٢١ مارس غادر الوفد القدس الى لندن فبلغها يوم ٣٠ منه فاستقبلته الجالية العربية و بعض الانكليز من أنصار فلسطين بالحفاوة وفى يوم ٣١ مارس قابل المستر مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية واللورد باسفيلد وزير المستعمرات مقابلة استمرت ساعتين فعرض قضية فلسطين وقدم مذكرة مكتوبة طلب فيها وقف المهاجرة وسن تشريع خاص لمنع بيع الاراضى الصهيونية وتأسيس حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابى وتحديد اختصاصات الحكومة فى شؤون البلاد الداخلية وصلاحيتها فى الأمور الخارجية مع القيام بالالتزامات العادلة التى تعهدت بها حكومة جلالة الملك فى المعاهدات الدولية

المستر مكدونلد يذيع بيانا عن سياسة حكومته

وفى يوم ٣ ابريل سنة ١٩٣٠ ألقى المستر مكدونلد بيانا فى مجلس النواب عن سياسة حكومته فى فلسطين هذا نصه :

ان الحكومة البريطانية ستستمر على ادارة شؤون فلسطين بمقتضى صك الانتداب كما وافق عليه مجلس جمعية الأمم . وهذا التزام دولى لا يمكن الرجوع عنه

وتقضى شروط الانتداب على الحكومة البريطانية بالمساعدة على انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين مع عدم اتيان شئ من شأنه الاضرار بما للطوائف غير اليهودية الموجودة فيها من الحقوق المدنية أو الدينية أو بحالة اليهود السياسية فى البلدان الأخرى

فهنالك وعد مزدوج لليهود من جهة ولغير اليهود فى فلسطين من الجهة الأخرى والحكومة البريطانية عازمة عزما أكيدا على أن تنفذ التصريح بالمساواة نحو كل من الفريقين وتعامل بالعدالة على السواء كل طوائف السكان فى فلسطين

وهذا هو الواجب الذى لا تحجم عنه والذى ستستخدم كل ما عندها من الوسائل للقيام به

وتقرير لجنة التحقيق يتناول نطاقا واسعا وقد عينت هذه اللجنة للبحث فى الاسباب المباشرة للحوادث الموجبة للاسف والتى وقعت فى شهر أغسطس الماضى واقتراح وسائط لمنع تكرارها ولابد أن اللجنة فى محاولتها أداء مهمتها بأمانة وجدت صعوبة فى تعيين خط فاصل بالتدقيق والحكومة تدرس الآن الاقتراحات المختلفة التى أشارت اليها اللجنة لمعالجة الأسباب المباشرة للحوادث ومنع تكرارها وتشاور المصالح ذات الشأن . وانى أريد أن يفهم أن هذا البيان يشمل اعداد القوة اللازمة من البوليس لحفظ النظام فى الأحوال الحاضرة »

وقد كان لهذه التصريحات أسوأ أثر فى النفوس لأنها دلت على تمسك الحكومة البريطانية سياستها التقليدية فى فلسطين وعلى أنها لاتبغى العدول عنها متأثرة بما لليهود من كبير النفوذ فى الدوائر البريطانية العليا . وقد أبرق الكثيرون الى الوفد طالبين اليه أن يعود ولكنه أبى الرجوع وواصل العمل حتى يوم ١٢ منه فتوقفت المفاوضات على أثر ماظهر للوفد وهو أن الحكومة البريطانية لا تود انصاف العرب وأرسل (الوفد) البرقية الآتية الى فلسطين ومصر :

عينت الحكومة البريطانية فى الاثنى عشرة سنة الأخيرة ثلاث لجان تحقيق للبحث فى أحوال فلسطين وتضع تقريرا عنها وقد أبانت هذه اللجان جميعا أن السياسة الصهيونية كانت السبب فى جميع المتاعب وأظهرت اللجنة الاخيرة أن فلسطين فى حالتها الحاضرة لاتتسع للمزيد من المهاجرين اليها وأن الأراضى التى يمتلكها العرب غير كافية لاعالتهم فضلا عن ضرورة الاستعداد لزيادة عدد السكان الطبيعية وأن العرب مجمعون على طلب الحكومة الديمقراطية

وقد انتدبنا كوفد للبحث فى المسألة مع الحكومة البريطانية [illegible]

اللجنة وحقوقنا الثابتة المبنية على مبدأ تقرير المصير فقدمنا الطلبات الآتية :

١ - وجوب وقف المهاجرة الى فلسطين وأن تكون ملكية الأراضى التى فى يد العرب غير قابلة للنقل

٢ - وجوب تأليف حكومة دمقراطية يشترك فيها أهل البلاد بنسبتهم العددية

فرفضت الحكومة طلباتنا العادلة وأبلغتنا أنها سترسل خبيرا لدرس مسألتى الأراضى والهجرة وأنها ستدخل تغييرات دستورية فى نظام الحكم وهذا دون ماطلبنا بكثير ونحن نعتقد أن اعادة البحث فى مسألتى الأراضى والمهاجرة بعدما قتلتها اللجنة فحصا وتمحيصا معناها الشك فى صحة حقوقنا

وبالنظر الى هذه العقيدة ختمت المباحثات وسيعود الوفد الى وطنه وهو معتقد أن الحكومة البريطانية لاينتظر أن تحل قضية عرب فلسطين بالعدل والانصاف لتغلب نفوذ الصهيونيين عليها

ولما كنا مقتنعين بأن الاستمرار فى هضم حقوقنا اكراما للسياسة الصهيونية يؤدى الى ابادتنا كافة وأخيرا ملاشاتنا واجلائنا عن بلادنا وأن المسألةعندنا هىمسألة حياةأوموت فنعتقد أن شعبنا سيكافح هذه السياسة بجميع الوسائل السلمية

ونحن واثقون من أن كل عربى فلسطينى يؤثر الموت دفاعا عن حقوقه الطبيعية وعن كيانه على الخنوع للضيم

ولما كان أهل البلاد العربية والاسلامية شركاء فى فلسطين بات واجبا علينا أن نخطرهم بالحالة الخطيرة التى تهدد كيان بلادهم المقدسة واخوانهم الساكنين فيها وعندنا من الأسباب مايحملنا على الاعتقاد بأن الجمهور البريطانى يعطف على قضيتنا رغم موقف الحكومة

وفى يوم ١٣ منه أذاعت الحكومة البريطانية فى لندن البلاغ الآتى :

بسط الوفد الفلسطينى وجهات نظره فى عدة موضوعات وخصوصا فى مسألتى الأراضى والمهاجرة ومنح دستور فأخذت حكومة جلالةالملك علما بذلك وقد أفهمالوفد أن التغييرات الدستورية الشاملة التى يطلبها لايمكن قبولها كلها لأنها تعرقل عمل حكومة جلالته فى القيام

بالتزاماتها بمقتضى الانتــداب وقد افهم أنه لا سبيل للنظر فى أى اقتراح كان لاينطبق على مقتضيات الانتداب »

تصريح للمستر مكدونلد

وفى يوم ٢٠ منه زار الوفد الفلسطينى المستر مكدونلد مودعا فقال للوفد انه مسرور بأنه تناقش فى المسألة الفلسطينية هو والوفد وقــد أصغى بعناية الى ايراد وجهــة النظر العربيــة

ثم قال : «ان حقوق العرب لايمكن صرف النظر عنها ولابد من المحافظة عليها وطلب من الوفد أن يخــبر العرب أن الحـكومة البريطانيــة أصغت بانتباه ودونت كل آرائهم وسيساعد ذلك على اجراء العدل . ومثل هذه المناقشة تؤثر فى الحـكومه البريطانية أكثر من كل شيء آخر وطلب من الوفد أن يتعاون والحـكومة فى ادارة شؤون فلسطين »

وفى يوم ٢٠ مايو أذاعت حكومة فلسطين البلاغ الآتى :

«ان المحادثات التى جرت فى لندن بين بعض وزراء حكومة جلالته والوفد الفلسطينى العربى انتهت الآن . وقد أعرب الوفد عن آرائه بشأن عــدد من المسائل ولا سيما مسائل الأراضى والمهاجرة ومنح دستور للبلاد وأخذت حكومة جلالته علما بآرائه فى هذه المسائل وأوضحت له أن التغييرات الدستورية الواسعة النطاق التى طلبها غير مقبولة برمتها اد أنها تجعل من المستحيل على حكومة جلالته القيام بجميع المسئوليات الملقاة على عاتقها بصفتها الدولة المنتــدبة على فلسطين . وبما أن الوفد لم ير سبيلا لتغيير موقفــه رغم الايضاحات والتأكــيدات التى أبداها له وزراء جلالتــه فقد ظهر جليا أنه ليس من فائدة ترجى من متابعة البحث فى هذه المسألة . و بناء على ذلك انتهت المحادثات التى كانت فى جميع أدوارها صريحة وودية الا أنه قيل للوفد ان حكومة جلالته بعد أن أخذت علما بوجهة نظر العرب ستلجأ فى نور المعلومات التى نالتها مباشرة من هذه المحادثات الى حل مسألة صيانة مصالح الطوائف غير اليهودية فى فلسطين حــلا يتناسب من كل الوجوه مع الالتزامات والعهود المترتبة عليها بموجب صك الانتداب وهى مصممة على عدم السماح باتباع سياسة فى فلسطين من شأنها أن تعرض مستقبل تلك الطوائف للخطر ولهذا السبب ونظرا لمشورة لجنة شو

أوفد السر جون هوب سمبسن للتحقيق فى مسألتى الأراضى والمهاجرة ورفع تقرير عنهما . ورغبة فى عدم الحاق أى حيف بمصالح غيراليهود من جراء التأخير الذى لامندوحة عنه قبل أن يكون فى الاستطاعة اتخاذ قرارحاسم فى نور تقرير السر جون هوب سمبسن ينعم النظر الآن فى اتخاذ تدابير خصوصية لأجل اتخاذ الاجراءات السريعة لحماية مصالح الطبقة الزراعية من الأهالى كما أنه اتخذت التدابير الموقتة التى تضمن تنظيم المهاجرة فى خلال هذا التأخير بحيث لايعرض مستقبل البلاد الاقتصادى للخطر

« أما المخاوف التى أعربت عنها بعض الدوائر من أن سياسة حكومة جلالة الملك قد تعرض كيان الشعب العربى فى فلسطين للخطر فلا مسوغ لها ومن الأهمية بمكان أن تذاع ـ لمصلحة أهل فلسطين عموما ـ ان كل محاولة يقوم بها أشخاص مخدوعون لاذاعة أخبار مضللة بشأن نيات حكومة جلالتـه مما يخـل بالقانون والنظام فى فلسطين عموما سيعاقب عليها أشـد العقاب وان فى نيـة حكومة جلالته كما أعلن رئيس وزارة بريطانيا العظمى فى مجلس النواب يوم ٣ ابريل أن تستعمل جميع الموارد التى تحت تصرفها للقيام بالواجبات المفروضة عليها بصك الانتداب ـ اهـ

الكتاب الابيض البريطانى

وفى ٢٧ مايو أصـدرت الحكومة البريطانيـة كتابا أبيض فى القضية الفلسطينية يحتوى على تصريحات المستر مكدونلد رئيس الوزارة أمام مجلس النواب يوم ٣ ابريل وأقوال المستر هندرسن وزير الخارجية البريطانية أمام لجنة الانتدابات يوم ١٥ مايو وهى لاتختلف عن تصريحات المستر مكدونلد وقال ان الحكومة موافقة اجمالا على قرار لجنة التحقيق المرسلة الى فلسطين بشأن قضية الاضطرابات وأشار الى شكوى الصهيونيين من مفتى بيت المقدس والجمعية التنفيذية العربية والحكومة كما أشار الى شكاوى العرب الثانوية . وقال ان الحكومة لاتعتبر أن تقرير اللجنة يقتضى القيام بعمل خاص لمشاكل المهاجرة والأراضى وهى حيوية لفلسطين ولذلك لا يمكن البت فيها بسرعة فيجب والحالة هذه أن ينتظر تقرير السر جون سمبسن . ويحال فى خلال ذلك دون انتزاع ملكية الأراضى من أيدى الفلاحين العرب وتنوى الحكومة أن تصدر بيانا أوضح من هـذا عن سياستها حالما يرفع اليها تقرير السر جون سمبسن »

عودة الوفد الى فلسطين

وفى يوم ٢٣ مايو غادر الوفد لندن عائدا الى فلسطين بعد ماأقام فيها سبعة أسابيع عمل فى خلالها بجد ونشاط لخدمة القضية الفلسطينية والدفاع عنها واذا كان لم يوفق الى اقناع الحكومة البريطانية بالعدول عن سياستها وانصاف العرب فما ذلك الا بسبب ماللبهود من نفوذ كبير فى الدوائر السياسية البريطانية العليا فقد بذلوا جهدا عظيما فى حمل الحكومة البريطانية على اهمال تقرير لجنة شو وعدم الأخذ به ففازوا

تقرير سمبسن

وعملا بمـا جاء فى تقرير لجنة شو أذاعت وزارة المستعمرات البريطانية يوم ٢ مايو بلاغا رسميا بأنها عينت السر جون هوب سمبسن ليسافر الى فلسطين بمهمة وقتية هى مفاوضته مع المندوب السامى لفلسطين وتقديم تقرير الى الحكومة عن المسائل المتعلقة بتعمير الأراضى وتوسيع نطاق المهاجرة

ووصل هـذا الى القدس يوم ٢٠ مايو وجاء فى بلاغ رسمى أذاعه المندوب السامى البريطانى يومئذ « انه قادم للبحث مع المندوب بشأن مسائل الأراضى والمهاجرة وترقيـة اقتصاديات البلاد ورفع تقرير عنها الى حكومة جلالته »

وفى يوم ٢٨ منه ذهب الى يافا وعقد مع أعيانها اجتماعا ثم زار جنين والعفولة وبيسان وطبريا وصفد وحيفا والناصرة وعكا وطاف معظم القرى واجتمع الى كثيرين من العرب واليهود والموظفين ومديرى الشركات ورجال الأعمال الاقتصادية ودرس الحالة عن كثب ووضع عنها تقريرا مفصلا رفعه الى وزارة المستعمرات التى انتدبته وهو مطبوع ومنشور باللغتين العربية والانكليزية وهذه خلاصة القواعد التى قام عليها :

١ ـ أثبت أن الأراضى التى بيد العرب (لغاية تاريخ وضع تقريره فى شهر يونيو سنة ١٩٣٠) لاتكفى لسد حاجاتهم وخاصة اذا ظلت الأساليب الزراعية عندهم تسير على النمط الحالى

٢ ـ أثبت أنه ليس عند الحكومة [illegible]

٣ ـ أثبت أن الأراضى التى بيد اليهود تزيد عن حاجتهم زيادة كبيرة وقال انهم يحتاجون الى مدة طويلة لاستثمار الأراضى التى بأيديهم

٤ ـ أثبت ان طريقة الاستعمار اليهودى مخالفة بأساليبها وكيفيتها لمبادئ العدل وقال ان الأراضى التى تنتقل من عربى الى يهودى لاتعود الى العرب بحال من الأحوال

٥ ـ أثبت فساد الأساليب التى تسير عليها الحكومة والوكالة اليهودية فى فتح أبواب المهاجرة لليهود . وقال انه فضلا عن المهاجرين من ذوى الأصناف المصرح بها لمن يرومون الاستيطان من اليهود فى فلسطين يدخل البلاد سنويا عدد وافر من الناس بصفة سياح ولا تنتبه الحكومة الا للقليل منهم . ويدخل ايضا عدد ليس بالقليل بطريق التهريب والتخلص من المراقبة الواقعة على الحدود فمن الواضح اذن ان الوكالة اليهودية هى المسؤولة عن جميع هذه الحوادث المخالفة للقانون

٦ ـ وأوصى الحكومة فى ختام تقريره بأن تنهض بمشروع عمرانى كبير تكون الغاية منه تحسين الأساليب الزراعية وتحويلها الى شكل تتحسن به الزراعة

اعدام الشهداء الثلاثة

بلغ عدد العرب الذين صدرت عليهم أحكام بسبب الاضطرابات الأخيرة ٧٩٢ منهم ٢٠ حكم عليهم بالاعدام مقابل الحكم على ٩٢ يهوديا منهم واحد حكم عليه بالاعدام واسمه هانكيز وهو من رجال الشرطة الفلسطينية فقد ثبت عليه أنه فتك بأسرة عربية وهو يضع شارة الحكومة ويتسلح بسلاحها

واستأنف العرب أحكام الاعدام الى مجلس الملك الخاص فى لندن ومع أن محاميا عنهم ذهب وترافع أمام المجلس الا أنه قرر عدم اختصاصه

واتجهت الأنظار نحو المندوب السامى لفلسطين لانه وحده يملك حق العفو فارسلت اليه برقيات من جميع الأنحاء والهيئات بطلب تخفيف الحكم فأصدر فى أول يونيو قرارا

أبدل فيــه عقوبة الاعدام بالسجن المؤبد على المحكوم عليهم ماعدا ثلاثة منهم وهم عطا أحمد الزير ومحمد خليل جمجوم من خليل الرحمن وفؤاد حسن حجازى من صفد وقرر بأن يعدموا شنقا يوم الثلاثاء ١٧ يونيو ســنة ١٩٣٠ فى سجن عكا

وزارت اللجنة التنفيذية المنــدوب طالبــة تخفيف الحــكم عن الثلاثة أسوة بالآخرين وأبرق البطاركة ورجال الدين اليه كما أبرقوا الى ملك الانــكليز فلم يجد ذلك نفعا ونفذ حكم الاعدام بالثلاثة فى الموعد المحــدد فأعدم المرحوم فؤاد فى الساعة الثامنة صباحا والمرحوم عطا فى الساعة التاسعة والمرحوم أحمد فى الساعة العاشرة

وقد لبست فلسطين ثياب الحــداد على شهدائها وأضربت يوم اعدامهم ولزم الناس المساجد والبيع يسألون لهم الرحمة . ومما يستحق الذكر أن اليهود من سكان عكا غادروها فى ذاك اليوم خوفا على حياتهم وأرسلت الحكومة قوات عسكرية كبيرة أحاطت بها ومنعت الدخول والخروج منها

وصلى عليهم صــلاة الغائب فى جميع المساجد وأعلنت وفاتهم فى المآذن واستمر الاضراب ثلاثة أيام أقيمت فى خلالها مظاهرات عديدة وصــدرت الصحف الفلسطينية مجللة بالسواد ولبس الناس شارات الحداد ٤٠ يوما

وأبت السلطة الرسمية أن تسلم جثث الشهداء لذويهــم كما أبت أن تسمح لأهل عكا بدفنهم فقابل وفد من اللجنة التنفيذية المندوب فوافق على تسليم الجثث بشرط أن تدفن بهدوء ويزور الناس قبورهم بلا انقطاع ويحجون اليها مستمطرين لهم الرحمة

أما اليهودى المحــكوم عليه بالاعدام فقد خفض حكمه الى سجن ١٥ سنة

لجنة البراق

وفى شهر يونيو سنة ١٩٣٠ وصلت الى القدس جمعية لدرس مسألة البراق واصدار حكم فيها وقد بدأت اللجنة عملها يوم ٢٣ منه وافتتحها رئيسها المستر [illegible] بخطبة شكر فيها لممثلى العرب واليهود استعدادهم لمعاونته ثم قال انها عينت [illegible] اقتراح لجنة تحقيق شو وبموافقة جمعيه الأمم على أن تكون مؤلفة من غير بريطانيين [illegible] فى

قضية البراق . وقال ان خير الطرق للوصول الى الحقائق هو أن تتبع اللجنة أصول المحاكمات القضائيـة ثم طلب من الفريقين أن يساعدوه فى اقرار العدالة . وقال ان اللجنة مستعدة لاستماع مايعرض عليها شفاها وكتابة وانها لم تأت للتحقيق فقط بل للحكم والفصل

وقد تقاطرت الوفود من جميع أنحاء العالم الاسـلامى الى القدس للدفاع عن البراق واعلان تمسك المسلمين فيه فسافر وفد من مصر قوامه أحمد زكى باشا ومحمد على علوبه باشا وزير الأوقاف المصرية السابق والأستاذ الشيخ محمد الغنيمى التفتازانى وجاء وفد من سورية وجاوه والمغرب كما أرسلت بقية الأقطار برقيات تعلن تضامنها و بعد طول بحث اصدرت اللجنة قرارها وهو يقضى بكون البراق ملـكا للمسلمين وبان يسمح لليهود بزيارته والصلاة فيه من دون اقامة مقاعد ومعنى ذلك انها ابقت القديم على قدمه

٦

النضال بين الفلسطينيين والانكليز

اجتماع يافا ومظاهرات شهر اكتوبر سنة ١٩٣٣

سكنت ريح الحوادث فى فلسطين وهدأت هدوءا نسبيا نحو سنتين بسبب الشقاق الذى اشتد بين رجال العرب بفعل الدسائس اليهودية ـ الانكليزية فخلا الميدان لليهود فطبقوا خططهم وأساليبهم المعروفة بمساعدة الحكومة البريطانية وقد أعرضت عن أقوال لجان التحقيق وتقاريرها وكلها فى مصلحة العرب ولم تنفذ شيئا مما جاء فيها

ورأى مفكرو العرب أن يكون النضال فى المرحلة الجديدة موجها ضد الانكليز مباشرة باعتبارهم المسؤولين عن السياسة التى ترمى الى محوهم وابادتهم وباعتبارهم حماتها ومنفذيها فلولا مساعدتهم لها وأخذهم بعضد اليهود وتأييدهم لهم لما استطاعوا البقاء فى فلسطين ولما ثبتوا فيها ولما طمعوا فى انشاء دولة يهودية فى ربوعها ومعنى ذلك أن الحركة الوطنية فى هذه المرحلة اتجهت الى مكافحة الانكليز بعد ما كانت خلال خمس عشرة سنة منجهة الى مقاومة الصهيونية نفسها

ووضع الفلسطينيون أساس السياسة الجديدة فى اجتماع عقدوه فى يافا فى شهر فبراير سنة ١٩٣٣ فألفوا وفدا من رجالهم قابل المندوب السامى البريطانى يوم ٢٤ [illegible] محتجا على تدفق تيار الهجرة اليهودية خلافا لكل عهد وميثاق وطالب بوقفها ومنع بيع الاراضى لليهود فرد عليهم بأن الهجرة تجرى طبقا لمقتضيات اقتصادية وبأن منع البيع يعتبر اعتداء على الحرية الشخصية فقرر المجتمعون [illegible] الدعوة الى عقد اجتماع عام فى يافا ضربوا له موعدا يوم الأحد ٢٦ مارس سنة ١٩٣٣ للنظر فى التدابير التى يجب على الفلسطينيين التوسل بها [illegible] على كيانهم . [illegible] الاجتماع [illegible]

فلسطيني فقرر بعد الدرس والبحث تطبيق مبدأ عدم التعاون مع الانكليز باعتبارهم مسؤلين مباشرة عن نكبة فلسطين على أن ينفذ تدريجا وذلك بعدم تلبية دعوات الحكومة ومقاطعة البضائع الانكليزية واليهودية

مظاهرة القدس

وفى يوم ٨ اكتوبر سنة ١٩٣٣ عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا درست فيه الموقف وأصدرت القرارت الآتية :

١ - اعلان سخط الامة العربية فى فلسطين التى بليت بالاستعمار البريطانى على عبث الحكومة البريطانية بحقوق أصحاب البلاد وتحديها لعواطفهم الوطنية واستهتارها بكيانهم الوطني ومصالحهم الاقتصادية والاجتماعية بفتحها أبواب البلاد للهجرة الصهيونية وتسهيلها انتقال أراضى العرب الى أيدى اليهود واستبدادها بالحكم المباشر

٢ - دعوة الأمة الكريمة الى الاضراب برا وبحرا فى جميع مدن فلسطين وقراها يوم الجمعة ١٣ اكتوبر الجارى

٣ - اقامة مظاهرة كبرى فى اليوم المذكور فى مدينة القدس على أن يكون على رأسها رئيس اللجنة وجميع أعضائها الحاضرين فى هذا الاجتماع والغائبين وذلك فى الساعة الواحدة بعد الظهر على أن تبتدىء من باب الحرم وتنتهى فى باب العامود وعلى مقربة من دار الحكومة التى يقيم فيها المندوب السامى ويتلى بيان على المتظاهرين يبين فيه حالة البلاد الحاضرة وسياسة الحكومة التى ترمى الى «تهويد» فلسطين على مرأى العرب ومسمعهم . وبعد ذلك يتفرق المتظاهرون بكل سكون وهدوء

٤ - بعد انتهاء هذه المظاهرة يذهب جميع أعضاء اللجنة التنفيذية الى دار اللجنة حيث يقررون حالا القيام بمظاهرة ثانية فى مدينة أخرى من مدن فلسطين على أن تتلو هذه المظاهرة مظاهرات أخرى فى أيام قريبة فى المدن والقرى حتى لاتبقى مدينة ولا قرية فى فلسطين لم تقم بمظاهرة ويجب أن تقام هذه المظاهرات على التوالى وتضرب جميع البلاد اضرابا عاما فى كل حين تقام فيه احدى المظاهرات

٥ - ان جميع أعضاء اللجنة مطلوب منهم الاشتراك فى كل مظاهرة تقام وأن يكونوا

على رأسها وكل عضو يتخلف عن هـذا الواجب فان اللجنة تبحث فى أمره ولها الحق فى فصله

٦ ـ ان مظاهرة القدس التى ستقام يوم الجمعة المقبل لا تخاطب الحكومة فى شأن الترخيص بها وكذلك الحال فى المظاهرات الأخرى التى ستقام ويجب على المتظاهرين أن يقوموا بمظاهراتهم مهما كلفهم الأمر

٧ ـ ان عرب فلسطين قد يئسوا يأسا تاما من الحكومة فهم لايخاطبونها فى شىء ولا يطلبون منها شيئا

٨ ـ العدول عن سياسة الاحتجاجات والخطب غير المجدية

ولما اتصل الخبر بالحكومة أذاعت بلاغا رسميا يوم ١١ منه قالت فيه انها لاتسمح بالقيام بأى مظاهرة أوموكب . فلم تعبأ اللجنة بمنعها وتجمهر الناس فى الحرم وخرجوا بموكب عظيم يتقدمهم موسى كاظم باشا الحسينى فى الوقت المضروب وساروا من الحرم الشريف متجهين الى كنيسة القيامة ثم خرجوا من السور ولما بلغوا الطريق الجديد هاجت قوات الشرطة المظاهرة محاولة منعها عن مواصلة السير وتفريقها فلم تمتنع ولم تتفرق بل واصلت السير الى باب العامود فدار شجار بين رجالها والشرطة أصيب فى خلاله موسى كاظم باشا بشبه اغماء لكثرة الازدحام فنقل الى المستشفى الفرنسوى ثم الى داره وأصيب جمال الحسينى برضوض فى كتفه وصدره وفخذه لأنه كان يتقدم المظاهرة وكسرت ذراع فريد فخر الدين عضو اللجنة التنفيذية

وقامت سيدات القدس فى ذاك اليوم بمظاهرة كبيرة وأقفلت فلسطين [illegible] . وجرح ٣٥ من المتظاهرين و ٥ من رجال الشرطة ومنعت الحكومة الصحف الفلسطينية من نشر أى شىء عن هذه المظاهرة

وعقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا فى المساء بدار رئيسها بعد ما استرد قواه قررت فيه أن تقوم فلسطين بمظاهرة ثانية فى يافا يوم الجمعة ٢٧ أكتوبر وأن تستمر البلاد فى هذه المظاهرات كل أسبوع فى بلدة الى أن تنزل الحكومة [illegible] على مطالب الأهلين [illegible] الهجرة اليهودية ومنع بيع الأراضى و[illegible] [illegible] الماسية وقطاعها فى [illegible]

مظاهرة يافا

وحاولت السلطة منع هذه المظاهرة كما حاولت منع مظاهرة القدس فلم تفلح وأقبل الناس من كل حدب وصوب الى يافا للاشتراك فى المظاهرة وفى مقدمتهم رجال اللجنة التنفيذية واستعدت السلطة استعدادا كبيرا فنصبت الأسلاك الشائكة فى الشوارع و بثت القوى فى منافذ الأحياء

واجتمعت اللجنة التنفيذية قبل الصلاة فى دار الجمعية الاسلامية ــ المسيحية وعقدت جلسة رسمية وكانت يافا تموج بالناس كأنها فى يوم حشر وجاء سرب من سيدات العرب فى السيارات فحياهن الجمهور وهتف لهن ووصل وفد من شباب دمشق وآخر من شرق الأردن ووفد الحولة وعلى رأسه أمير عرب الفضل

و بعد الصلاة جعلت الجماهير تتدفق من باب الجامع الجنوبى فسارت المواكب وعلى رأسها موسى كاظم باشا رئيس اللجنة وعلت أصوات الأهازيج والتكبير والأناشيد الوطنية ولما بلغ الموكب ساحة البوابة هاجمته خيالة الشرطة وعلى رأسها الخوذ الفولاذية و بأيديها الهراوات الغليظة محاولة تفريقه فوقع الاصطدام وأطلقت النيران واشتد الهول والرعب ودامت الحال نحو ساعة ونصف ساعة

وفى الساعة الرابعة مساء أذاعت السلطة فى يافا البلاغ الآتى : « اعتبارا من مساء هذا اليوم والى اشعار آخر يجب على جميع الأشخاص الذين يقطنون ضمن منطقة يافا وتل أبيب أن يكونوا فى منازلهم من الساعة السادسة مساء الى الخامسة صباحا »

وأصدرت حكومة فلسطين مساء الجمعة بلاغا رسميا جاء فيه :

أعلنت اللجنة التنفيذية العربية عزمها على اقامة مظاهرة سياسية بيافا يوم ٢٧ اكتوبر الجارى فقابل المندوب السامى رئيس اللجنة التنفيذية العربية وأعضاءها وأبلغهم أنه لايسمح باقامة موكب سياسى أو مظاهرة سياسية فى يافا ولكن يسمح لأعضاء اللجنة التنفيذية بأن يتوجهوا الى دار الحكومة ليقدموا احتجاجا أو بيانا خطيا لحاكم اللواء ليقدمه الى المندوب السامى فلم يقبلوا وأقيمت المظاهرة الخ

ومنعت السلطة السيدات العربيات من القيام بمظاهراتهن ولما أرادت اللجنة

التنفيذية أن تجتمع بعد المظاهرة لبحث الحالة جاء ضباط انكليز الى دارها وفضوا الاجتماع بالقوة واحتلوا المكان واعتقلت السلطة عددا كبيرا من الشبان ومن أعضاء الهيئات السياسية لاشتراكهم فى المظاهرة

وعاد رجال اللجنة التنفيذية الى القدس مساء الجمعة فعقدوا اجتماعا قرروا فيه مقابلة المندوب السامى صباح السبت للاحتجاج على تصرفات الشرطة الشاذة فى يافا كما قرروا تأليف ثلاث لجان موقتة : لجنة للاعانات ولجنة قضائية ولجنة لتشييع الشهداء واسعاف الجرحى

وأضربت فلسطين برمتها يوم السبت ٢٨ منه وذهب وفد فقابل المندوب محتجا على ماجرى وطالبا توقيف الهجرة ومنع بيع الأراضى وتأليف حكومة نيابية واطلاق سراح الموقوفين وكانت أجوبة المندوب أن البلاد تتدرج فى مراحل الحكم النيابى وأن الاضطرابات تحول دون تقدمها . وأصدرت اللجنة التنفيذية يوم السبت ٢٨ منه البيان الآتى :

قررت اللجنة التنفيذية العربية اقامة مظاهرة سلمية فى مدينة يافا لاظهار استيائها من تدفق الهجرة وبيع الأراضى فاجتمعت فى الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة فى دار الجمعية الاسلامية ـ المسيحية بيافا وذهب الأعضاء لاداة صلاة الجمعة فى الجامع الكبير ثم خرج الموكب يتقدمه رئيس اللجنة التنفيذية موسى كاظم باشا الحسينى وأعضاء اللجنة ووفد سورية ووفد شرق الأردن وأمراء عرب الفضل ووفد الحولة وأعضاء الجمعية الاسلامية ـ المسيحية وأعضاء مكتب مؤتمر الشباب العربى وعدد كبير من [illegible] ن ووجوه فلسطين ومدينة يافا وسار فى الطريق المؤدية الى حى العجمى الذى لا [illegible] لعرب [illegible] تقدم الموكب واتجه نحو شارع العجمى للذهاب الى مركز الجمعية الاسلامية ـ المسيحية فاجأه مشاة البوليس وفرسانه بالضرب ضربا مبرحا [illegible] على [illegible] ورؤوسهم [illegible] الأهلون وتفرقوا ولم يكتف البوليس بتفريق الجمهور [illegible] فى الشوارع والأزقة [illegible] فدافع البعض عن أنفسهم بعصى بسيطة [illegible] اطلاق الرصاص [illegible] سبب قتل أكثر من ثلاثين عربيا وجرح [illegible] [illegible] ذلك اليوم اجتمع أعضاء اللجنة التنفيذية و[illegible] [illegible] من يوم الجمعة

١٠ المقبل وفى اعانة عائلات الشهداء وأيتامهم والاشتراك بجنازاتهم وفى أثناء البحث دخلت الجمعية الاسلامية المسيحية كوكبة من الجند البريطانى على رأسهم عدد من الضباط العرب والانكليز وفضوا اجتماع اللجنة التنفيذية بالقوة واحتلوا المكان واعتقلوا السادة يعقوب الغصين ، سعيد الخليل ، صليبا عريضة ، أدمون روك ، وفريد فخر الدين ، ومن أعضاء اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب ثم أعلنت الأحكام العرفية فى يافا واعتقل مساء السادة جمال الحسينى عونى عبد الهادى ، عزت دروزة ، من أعضاء اللجنة التنفيذية العربية ثم ألقت الحكومة القبض على عدد كبير من الأهالى وقد اعتدى البوليس على السادة الموقوفين أعضاء لجنة مؤتمر الشباب بالضرب الشديد فى دائرة البوليس وحدثت بعض حوادث مؤلمة فى نابلس وحيفا سببها البوليس بقسوته بخروجه على القوانين المدنية

فاللجنة التنفيذية تستنكر هذه الأعمال القاسية التى اقترفتها الحكومة ضد شعب أعزل من السلاح لا يقصد الا اظهار استيائه واستنكار ماحل به من ظلم الانتداب وما يرمى اليه من افناء الشعب العربى واجلائه واغراق البلاد بشذاذ الآفاق من اليهود وتحتج على ذلك جميعه واللجنة تؤاسى ذوى الشهداء والأمة فى شهدائها وتدعو الشعب العربى الى الصبر والثبات ومد يد المساعدة للمنكوبين فى هذه الظروف العصيبة والله ولى الصابرين

محاكمة الاحرار

وأقامت حكومة فلسطين الدعوى أمام محكمة يافا على بعض الأحرار الذين دبروا المظاهرة وقادوها فحوكموا أمام القاضى دولى البريطانى وبعد مرافعات ومدافعات اشترك فيها معظم محامى فلسطين أصدر القاضى يوم ١٩ مارس سنة ١٩٣٤ قراره وهو يقضى بالسجن عشرة أشهر مع الأشغال الشاقة على كل من عونى عبدالهادى وجمال الحسينى وعزة دروزة والشيخ عبد القادر المظفر ويعقوب الغصين وأدمون روك وصليبا عريضة وسعيد الخليل وسليم عبدالرحمن وفريد فخرالدين . وبالسجن خمسة أشهر مع الأشغال الشاقة على كل من محمد على الفيض وعز المصرى ورفيق مباع وخاشو كركوريان

وقد كان لاصدار هذا الحكم أسوأ تأثير فى نفوس الفلسطينيين خاصة والعرب عامة فاحتجوا عليه واستنكروه ورفع المحكوم عليهم الأمر الى محكمة الاستئناف للنظر فيه ولم تبت حتى الآن

٣

الدولة الهاشمية فى الحجاز

١

كيف تأسست الدولة الهاشمية

ظل الحجاز حتى اعلان الثورة العربية فى شهر يونيو سنة ١٩١٦ جزءاً من أراضى الدولة العثمانية تشمله سيادة السلطان وتصدر الاحكام فيه باسمه ، فلما جاهر الشريف بخلع طاعته ، ونقض بيعته ، اتجهت الانظار الى انشاء دولة جديدة تحل محل الدولة القديمة وتدير شؤون البلاد وتمثلها

ولم يشأ الشريف أن يعجل بالعمل مع انه قبض فعلا على زمام الحجاز ، ماخلا المدينة المنورة ، بل ظل يوقع رسائله ومنشوراته باسم شريف مكة وأميرها ويخاطب الدول بهذه الصفة ، حتى ختام أول موسم للحج فى العهد الجديد وزوال كل خطر عن الثورة فجرت البيعة بالملك يوم الخميس ٦ المحرم سنة ١٣٣٥ و ٣ ديسمبر سنة ١٩١٦ فجاء الحسين من القصر الملكى الى مدرسته الخاصة الملاصقة للكعبة فدخلها يحف به آله وذووه والعلماء والكبراء ولما استقر بهم المقام سلم الشيخ عبد الله سراج مفتى الحنفية فى مكة الشيخ عبد الله الخطيب كتاب البيعة فتلاه على الجماهير المحتشدة فى الحرم . ثم قام الشيخ ابن سراج فبايع الحسين بالملك ولقبه ملك البلاد العربية وتبعه الناس بالمبايعه

وفى الغداة أصدر الحسين المرسوم الآتى بتأليف أول وزاره

حضرة العالم الكامل الشيخ ابن سراج :

انه لما كانت مصالح الرعايا وانتظام شؤون المجتمع وتوفر أسباب العمران لا بد لها من دواوين يتوزع عليها النظر فى الحكومة وما هو فى معنى ذلك من المصالح العامة والخاصة ويتعين بها أساس الوظائف التى تبنى عليه المسئولية وتكوين حكومة بلادنا [illegible] ، وبالنظر الى ما تحققناه فيكم من الكفاءة والاستعداد عزمنا [illegible] الاسم [illegible] عز وجل

على توجيه منصب قاضي القضاة لعهدتكم وتعيينكم وكيلا عن رئيس الوكلاء العظام [١]
وقد اخترنا لبقية الوكالات حضرات الذوات الآتية أسماؤهم وهم ولدنا عبد الله بن الحسين
لوكالة الخارجية ويكون وكيلا عن وكيل الداخلية [٢] وعبد العزيز بن على « المصرى »
رئيس أركان حرب ووكيل رئاسة الجند مع ترفيع درجته عن رتبته الحاضرة . والشيخ
على مالكى وكيلا للمعارف والشيخ يوسف بن سالم رئيس البلدية سابقا وكيلا للمنافع
العمومية والشيخ محمد أمين مدير الحرم الشريف سابقا وكيلا للاوقاف مع بقائه فى نظارة
أمور الحرم وكل ما يتعلق بوظيفته الشريفة والشيخ أحمد بن عبد الرحمن باناجه وكيلا
للمالية وذلك لما توسمنا من درايتهم واستعدادهم للسهر على مصالح البلاد وأهلها على
ما يرضى الله . واننا ننتظر منكم المبادرة الى تأسيس الدوائر والدواوين الرسمية وتعيين
العمال والموظفين لها . وأرجو الله سبحانه أن يجعلنا مظهر توفيقه وهداه فى كل ما يحبه
ويرضاه »

وأصدر فى اليوم نفسه مرسوما آخر بانشاء « مجلس الشيوخ الأعلى » يكون
كبرلمان للحكومة الجديدة وهو :

بما أننا قد استنسبنا تعيين هيئة أطلقنا عليها اسم « مجلس الشيوخ » وجعلنا وظيفة
هذا المجلس النظر فى كل ما يتعلق بمنافع البلاد والمراقبة على أعمال الدواوين والدوائر
الرسمية وابداء الرأى فى ما تعرضه الدوائر على مقام رئيس الوكلاء وسيقرر فى ما بعد
اختصاص هذا المجلس العالى . وقد جعلنا رئيساً له جناب الفاضل الأجل فاتح بيت الله
الحرام الشيخ محمد الشيبى وأعضاءه حضرات الأفاضل الاجلاء مفتى الشافعية السيد عبد الله
بن محمد صالح الزواوى ومفتى المالكية الشيخ عابد بن الحسين والشيخ عبد القادر بن على
الشيبى ونائب الحرم السيد ابراهيم بن على ووكيل شيخ السادة السيد محمد بن علوى
السقاف والشيخ عبد الله على رضا والشيخ على بن عبد الله الشرباصى والشيخ أبا بكر

---

(١) رئيس الوكلاء هو الأمير على بن الحسين وكان مشغولا بالحرب

(٢) وكيل الداخلية هو الأمير فيصل بن الحسين وقد كان مشغولا بالحرب

ابن محمد خوقير وذوى السيادة والشرف حمزة بن عبد الله الفعر وفتن بن محسن وسليمان ابن أحمد بن سعيد وناصر بن شكر »

وفى اليوم نفسه أرسل الأمير عبد الله بن الحسين وكيل الخارجية الجديد البلاغ الآتى الى وزارات خارجية الحلفاء والمحايدين مترجما الى اللغة الفرنسوية وهو :

« بملء السرور أبلغ سعادتكم أن أفاضل البلاد ووجهاءها وعلماءها وكافة طبقاتها قد اجتمعوا فى صباح هذا اليوم وأقروا باتفاق الرأى مبايعة حضرة صاحب الجلالة والسيادة مولاى الشريف الأعظم حسين بن على بالملك على الأمة العربية ، فهو اليوم ملك العرب الأعظم بناء على ماتحققته البلاد من كفاءته واخلاصه الحقيقى للوطن ورغبته الصادقة فى نشر ألوية العلم والعدل فى جميع أرجاء هذه البلاد العربية التى غادرتها عصابة الاتحاد والترقى المعروفة لدى العالم بأسره بالمساعى والمقاصد المخالفة لكل شريعة ونظام ولتعمدها استئصال كيان البلاد المادى والمعنوى ، المشهودة آثاره فى طائفة غير قليلة من مسلمين ومسيحيين ودروز ممن لاذنب لهم غير وطنيتهم الصادقة ونجابتهم العلمية وان الأمة العربية لتود من سعادتكم اعتبارها عضوا عاملا فى الهيئة الاجتماعية كما شيدت ذلك بعناية الله وتوفيقاته الصمدانية

وتفضلوا ياحضرة الوزير بقبول فائق توقيراتى الجزيلة وانى على الدوام محبكم المخلص »

وفى يوم ١١ منه أرسل الأمير عبد الله بلاغا مطولا الى المندوب بمصر عن الحكومة الجديدة وتأليفها نشرناه على الصفحة ٣٢٦ من الجزء الأول

ولقد اعترضت الحكومتان الانكليزية والفرنسوية على لقب الملك اجمالا . ثم عدلتا فاعترفتا بعد أخذ ورد طويلين به ملكا على الحجاز فقط . كما اعترفتا ومعهما روسيا باستقلال الدولة العربية الجديدة فى الحجاز . وقد فصلنا ذلك كله بإسهاب فى الجزء الأول

الحكومة الجديدة ورجالها

على هذا المنوال تألفت الحكومة الجديدة فى الحجاز وحسين هو رئيس [illegible] وكبير أنجاله الأمير على رئيس الحكومة (رئيس هيئة الوكلاء) ونجلاه الآخران [illegible]

وفيصل تقلدا الخارجية والداخلية ولئن جلس الأمير عبد الله فى دار وزارة الخارجية وأشرف على شؤونها بضعة أيام فلم يتح ذلك للأمير على فقد كان حين انشاء الحكومة الجديدة يدير حركة القتال فى الميدان الجنوبى وظل فيه حتى استسلام المدينة المنورة فى يناير سنة ١٩١٩ فدخلها وعين أميرا لها . وأول مرة عاد فيها الى مكة بعد سفره منها فى سنة ١٩١٥ كانت فى أواخر سنة ١٩١٩ ولم يطل الاقامة بل عاد الى مقره فى طيبة ولم يتقلد هذا المنصب الذى اختاره له والده فى وقت من الأوقات . وكذلك كان شأن الأمير فيصل فقد اختير لوكالة الداخلية وهو فى ميدان القتال ولم يعد الى الحجاز بعد سفره منه فى سنة ١٩١٥ الا وهو ذاهب الى العراق سنة ١٩٢١ فأقام بضعة عشر يوما فقط . واعتزل الأمير عبد الله العمل فى وزارة الخارجية نهائيا بعد سفره الى بلاد الشام سنة ١٩٢٠ ورجع الى الحجاز بعد ذلك غير مرة لا للعمل بل للزيارة

لقد أردنا من سرد هذه البيانات التاريخية اقامة الدليل على أن الحكومة التى أنشأها الحسين فى الحجاز وحباها بكل ماللحكومات من مظاهر خارجية فجعل لها مجلس نظار ومجلس شيوخ — لم تكن سوى حكومة اسمية مجردة من كل نفوذ وسلطان اذ حصر كل شىء بشخصه وجعل نفسه الكل فى الكل نعم انه عين الشيخ عبد الله سراج نائبا لرئيس الوكلاء كما عين نائبا لوكيل الخارجية وآخر لوكيل الداخلية ، ولكن هؤلاء الوكلاء جردوا أيضا من كل سلطان ونفوذ لان الملك كان يصرف جميع الشؤون بنفسه من دون أن يطلع أحدا على شىء. وعقد مجلس الشيوخ جلسات فى السنة الأولى ثم انقطع عن الاجتماع نهائيا اذ لم تعرض عليه قضية من القضايا الداخلة فى اختصاصه للنظر فيها ولا ريب أن استئثار الحسين بالحكم وتفرده بالعمل ومحاولته ابقاء كل قديم على قدمه وتجاهله روح العصر واهماله اعداد القوى والمعدات ان ذلك كله عجل فى القضاء على دولته فلم تعش سوى تسع سنوات

٢

علاقات الحكومة الهاشمية بالامارات العربية

كان فى جزيرة العرب حين اعلان الحرب العظمى أربع امارات مستقلة استقلالا داخليا تضيق دائرته وتتسع تبعا للظروف والأحوال : امارة آل الرشيد وعاصمتها حايل ، وامارة آل سعود وعاصمتها الرياض وكلتاهما فى نجد وقد استحكمت بينهما العداوة فهما فى نزاع مستمر ونضال دائم

وكانت الامارتان الأخريان فى الجنوب (اليمن) : الأولى فى الجبال وهى امارة الزيود أو امامتهم وعاصمتها صعداء وسلطتها روحية والثانية فى تهامة وعاصمتها جيزان وهى أحدث الامارات عهدا وأقربها الى الحجاز وأكثرها صلة به

وكان الحسين يرجو بعد ماعاهد الانكليز واتفق معهم وأعلن الثورة فى الحجاز أن يحل محل الدولة العثمانية فى الجزيرة ويرثها فتنتقل اليه السيادة على هذه الامارات ويسيطر عليها

على ان الحال تحول فى خلال السنة الأولى للحرب فانضم الادريسى الى الانكليز وعاقدهم فاعترفوا بامارته وسلطانه وأمدوه بالأموال والسلاح فحمل على ابها وحصرها . وفعل فعله ابن سعود ايضا فعقد مع الانكليز يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ معاهدة [illegible] فاعترفوا فيها « بان نجدا والحسا والقطيف وجبيلا وتوابعها هى بلاد ابن سعود وآبائه من قبل كما اعترفوا بابن سعود حاكما عليها مستقلا ورئيسا مطلقا على قبائلها وبانتقاله وخلفائه بالارث من بعده »

ورفض الامام يحي الدخول فى مفاوضات مع الانكليز [illegible] نالـه من الترك بمعاهدة دعان

وانضم آل الرشيد الى الترك وأقاموا على الولاء لهم [illegible] ويأخذون منهم الأموال والسلاح . ومعنى ذلك أن الشريف [illegible]

مبرمة حينما نهض لقتال الترك فقد سبقه الادريسي وابن سعود فى الاتفاق مع الانكليز ومحالفتهم وسدا عليه طرق التدخل فى شؤونهما . أما عبد العزيز الرشيد فقد علق مصيره بمصير الترك وانضم اليهم قلبا وقالبا لاعتقاده أن بقاء امارته يتوقف على انتصارهم بعد ما نظم خصمه عبد العزيز السعود صلاته مع الانكليز

١ — العلاقات بين الحسين وابن سعود

ولم تكن العلاقات ودية قبل اعلان الحرب العظمى بين الشريف حسين و بين عبد العزيز سعود ، فقد انصرف هذا منذ بلغ الحجاز سنة ١٩٠٩ قادما من الاستانة لتقلد منصب شرافة مكة الى مقاومة الدعاية الدينية التى كان يبثها ابن سعود بين قبائل الحجاز خوفا من أخطارها ونتائجها

وجهز الحسين حملة قوية فى سنة ١٩١٠ تتألف من عساكر بيشه وعكيل والقبائل الموالية له وفى جملتها عتيبة وسار ومعه محمد بن حميد شيخ عتيبة وأبو العلا شيخ العصما وعدد كبير من الشيوخ والرؤساء حتى الخرمة على حدود نجد فهاجم قبائل الدواسر فى أسفل وادى الخرما فقاوموه وكان بينهم سعد بن عبد الرحمن الفيصل شقيق عبد العزيز سعود وقد جاء على رأس قوة لصد الحسين فأسره وهزم من كان معه فخضعت له قبائل البقوم ومطير وغيرها فتغلغل فى نجد حتى وصل الى قرب القصيم وتوسط محمد بن حميد للاصلاح فتم الاتفاق على أن لا يتعرض ابن سعود لقبائل عتيبة والبقوم وسبيع ومطير الضاربة على الحدود الحجازية النجدية ولا للقبائل الداخلة فى المنطقة الحجازية حتى الشعراء (شفانجد) ونال بذلك عهدا مكتوبا من عبد العزيز عاد به الى مكة بعد ما أطلق سراح الأمير المأسور

واستقرت الحالة فى شرقى الحجاز على أثر هذا الحادث وتحسنت العلاقات بعض تحسن بين هاتين الامارتين فلم يقع مايكدرها وساير الجار جاره حتى أعلن الشريف الثورة فأرسل الى ابن سعود الهدايا والتحف كما كان يفعل سلاطين آل عثمان فأرسل اليه بالمقابلة هدايا مثلها حملها اليه وفد نجدى تألف من محمد العبد الرحمن الفيصل شقيق الأمير عبد العزيز وعبد العزيز بن تركى ومشارى بن جلوى ومحمد بن ناصر الفرحان فاستقبلاهم حين دخولهم مكة فى حج سنة ١٣٣٦ الشريف عبدالله باشا بن محمد والشريف شرف قائمقام مكة ورحبا بهم

باسم الملك ونزلوا فى ضيافته . ودار حديث بين الوفد والملك فى الشؤون السياسية فطالب الوفد بتحديد الحدود نهائيا بين نجد والحجاز والاعتراف بنجد ومصالحها فكلف الملك الوفد أن يقول لموفده هذه الجملة « كل ماأنت عليه فهو لك » وانقضت أيام الحج وعاد الوفد الى بلاده من دون أن ينال منالا أو يحل مشكلة

وكاتب ابن سعود الانكليز بعد عودة الوفد طالبا منهم أن يحددوا موقفهم ازاءه وازاء الحسين فتعهدوا له بان لا يسمحوا لهذا بان يتدخل فى شؤون نجد ولا يمكنوه من الكلام باسم العرب

و وصل فى أواخر سنة ١٩١٧ الى الرياض وفد بريطانى للاصلاح بين ابن سعود و بين الحسين وازالة ماهنالك من سوء تفاهم ولاستنهاض همته لمهاجمة ابن الرشيد حليف الترك ونصيرهم ، وللتشديد فى مراقبة تهريب الأرزاق والمؤن والذخائر من طريق الخليج الفارسى والكويت الى البلاد العثمانية فأقام فيها أياما وكان المستر فيلبى من جملة أعضائه ثم عاد وقد فشل فى مهمته فيما يختص بالجزء الأول بسبب عناد الفريقين ونجح من جهة حمل ابن السعود على قتال آل الرشيد فقد حمل عليهم فى صيف سنة ١٩١٨ وقاتلهم

وتجدد الخلاف بينهما والحرب العظمى توشك أن تلفظ أنفاسها وظهر بمظهر جديد منشؤه الخارجى التنازع على ملكية تربه والخرمة وهما واحتان واقعتان الى شرق الطائف وراء جبل حضن فى وادى سبيع يقطنهما جماعة من سبيع والبقوم . أما منشؤه الحقيقى فهو التنافس على السيادة والتنازع عليها . وقد اغتنم ابن سعود فرصة انتقاض الشريف خالد بن لؤى أمير الخرما على الحسين فجاء لمناصرته وتأييده

و بين الرواة اختلاف فى تعليل هذا الانتقاص والرأى الأرجح هو [illegible] بينه و بين ناصر بن شلوع من شيوخ قبيلة الروقه ([illegible]) [illegible] اشتراكهما فى حصار المدينة المنورة وكانا فى جيش الأمير عبد [illegible] فى الطائف، فأمر الأمير بفسجن أياما ثم أطلق [illegible] فى الرحيل فأشار الشريف شاكر بن زيد [illegible] على الأمير [illegible] فأجابه من هو حى أخشاه وأذن له [illegible] بل قصد الخرمة بطريق [illegible] جمع رجاله فيها [illegible]

وأخذ ينشر دعوته الدينية بين القبائل فاتصل ذلك بالحسين فكتب اليه يأمره بالحضور فأرسل يعتذر و يقول ان هنالك أسبابا تقضى ببقائه . وعين الملك فى تلك الأثناء قاضيا للخرمة فقصدها ونزل على خالد فأكرم مثواه وأبقاه نحو شهر ثم أعاده مع كتاب الى الشيخ عبد الله بن سراج قاضى القضاة فى مكة يقول فيه انه أعاده بسبب الظروف الحاضرة ولانه يحب الجدل و يتدخل فى مالا يعنيه وحمل القاضى بنفسه هذا الكتاب الى صاحبه

وكرر الملك الطلب وكتب الى خالد يلح عليه بالحضور فأبى فأرسل اليه الرسل فأجاب انه مستقل لايحضر فأمر بعزله وعين أحد أبناء عمه مكانه وهو شريف من أهل الخرمة فكتب هذا الى الملك يستعفيه و يقول ان خالدا لم يبق له نفوذا ولا هيبة

وجهز الملك حملة بقيادة الشريف حمود بن فواز سلحها بمدفع جبلى و رشاشتين وسيرها الى الخرمة للقبض على خالد و بلغ هذا خبرها فكمن لها مع رجاله فى بطن نخل قرب الخرمة و وضعوا السيف فى رقابها وشتتوا شملها وغنموا أسلحتها وأسلابها

وجهز الملك حملة ثانية من الف بدوى وسلحها بأربعة مدافع و رشاشات ولما اقتربت من الخرمة بيتها خالد عند الفجر فأبادها وأصيب قائدها برصاصتين فى فخذه

وأعد الحسين حملة ثالثة عقد لواءها للشريف شاكر بن زيد معظم رجالها من عتيبة فسلكت طريق مران ، وطريق نجد وما كادت تتوسطه حتى هاجمها خالد بقبائل عتيبة فانفض رجال شاكر من حوله ومعهم السلاح والذخائر وانضموا الى اخوانهم فعاد الى مكة بعد ماخسر كل شىء

وجهز حملة رابعة من قبائل بنى سفيان وهذيل وثقيف و بنى سعد وحرب الحجازيه مع جانب من عساكر بيشه وولاها صهره الشريف عبد الله باشا بن محمد وأرفقه بالشريف شاكر بن زيد فسارت حتى جبل حضن وعدد رجالها يتفاوت بين ٣ - ٤ آلاف مقاتل وحدد مهمتها بتأديب قبائل البقوم وحماية العربان الموالين للحكومة . وفى حضن تلقت أمرا من الملك بالتزام مواقفها وعدم القيام بأى حركة انتظارا لتعليمات جديدة فأقامت نحو شهرين فانتشرت الحمى بين رجالها ومات عدد غير قليل منهم وأصبح الباقون بحالة لا تساعدهم على الاشتراك فى الحركات العسكرية

وكانت الحرب العظمى قد انتهت والمدينة المنورة قد استسلمت فأصدر الحسين أمره الى ولده الامير عبد الله بالرحيل مع جيشه الى عشيرة « وهى نقطة متوسطة بين المدينة والطائف ومكة وحضن الى الثانية أقرب وتبعد عن الثالثة ثلاث مراحل » فجاءها بطريق أبيار وكان والده فيها وكان جيش الامير يتألف من ٧٠٠ جندى نظامى و ٣٠٠ خيال و ١٧ مدفعا جبليا وهاوتزر و ١٤ رشاشة وبدو من عكيل وعتيبة وبيشة لا يقلون عن ثلاثة آلاف . وكذلك جاءت الى عشيرة القوات التى كانت مرابطة فى حضن بقيادة عبد الله باشا وجاء أيضا شرف بن راجح أمير الطائف وشاكر بن زيد والاشراف من آل ناصر وآل هزاع والحارث فعقدوا مؤتمرا برئاسة الحسين استمر ثلاثة أيام

ووصل الى العشيرة والمؤتمر مجتمع فيها حسين روحى سكرتير المعتمد الانكليزى فى جدة يحمل كتابا من هذا الى الملك فسلمه إياه يدا بيد فلما فضه وقرأه قال بصوت عال « اذهب وقل لهم انه ليس لهم حق التدخل فى شؤوننا واننا نفعل ما نريد » وصرفه من دون أن يكتب جوابا، وقيل يومئذ فى مكة ان حكومة لندن أرسلت بواسطة معتمدها تنصح الحسين بالاعتدال وعدم الايغال فى العداء والرجوع الى الطائف فيوافيه ابن سعود ويجرى الصلح والتفاهم . وقد أرسلت أيضا بمثل هذا الى الرياض وحذرت صاحبها من قتال الشريف ونصحته بلزوم التفاهم معه

وتحرك الامير عبد الله بعد ختام المؤتمر متجها الى الشرق ونزل فى حضن وأرسل يدعو القبائل الى الطاعة وكان يميل الى التأنى وعدم التورط فى معركة حاسمة . ولماطال به المقام كتب اليه والده يستحثه على الزحف والاسراع فى العمل فلم ير بدا من الرحيل فقصد تربة ودخلها بلا عناء بعد ضربها بالمدافع وكان خالد ومن معه قد رحلوا الى نجد

ووصل الى مخيم الأمير فى تربة وفد من الرياض حمل اليه كتابا من ابن سعود يسأله فيه عن صحة ماشاع عن ازماعه الزحف على نجد ويدعوه الى التوسط لاصلاح ذات البين وحجب الدم فكتب اليه يطمئنه ويقول انه يعمل للاصلاح والتوسط وعاد الوفد بعد ما أكرمه

وقبيل الفجر من ليلة ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٧ [illegible] جيش الامير عبد الله وكان مستغرقا فى النوم [illegible]

فأخذ يضرب بعضه بعضا وتمزق الجيش وارتدت فلوله الى الطائف[1]

ولما وصلت هذه الاخبار الى مكة اتصل الشيخ ابن سراج تليفونيا من ثكنة جرول بمعتمد انكلترا السياسى فى جدة ـ وذلك للمرة الاولى منذ تقلده الحكم فى سنة ١٩١٦ ـ وخاطبه بما وقع فأجابه لقد أرادت بريطانيا من الاول أن تنهى المسألة سلما بعقد اتفاق يزيل أسباب الخلاف فلم يصغ الحسين اليها . ووعده بمخاطبة حكومته وابلاغه جوابها وطلب منه اعداد مكان فى جدة لنزول طيارات انكليزية فأعد ووصلت طيارتان

وبعد يومين أبلغ المعتمد الشيخ بأنه تلقى أمرا من لندن بان يبلغ ابن سعود أن يعود الى بلاده وقال انه أعد له كتابا بهذا المعنى وقد أرسل هذا الكتاب اليه بواسطة الحكومة الحجازية فتسلمه فى تربه يوم ١٥ رمضان سنة ١٣٣٧ وبعد ماتلاه عاد بقومه الى نجد وهذا مضمون الكتاب :

« أمرتنى حكومة جلالة الملك أن أبلغكم بأن تعودوا الى نجد حالما يصلكم كتابى هذا وتتركوا تربة والخرمة منطقة غير مملوكة حتى مفاوضات الصلح وتحديد الحدود . واذا أبيتم الرجوع بعد الاطلاع على هذا الكتاب فحكومة جلالة الملك تعد كل معاهدة بينكم وبينها ملغية وتتخذ ما يلزم من التدابير ضد حركاتكم العدائية . وبالعكس فهى تقدر عملكم اذا عدتم وتعتبر أنكم قمتم بحقوق الود والولاء وأخذتم بنصائحها الودية لأنها تعد الجميع أصدقاء لها وهى تأسف أشد الأسف لما وقع بين أصدقائها سواء كان النصر فى جانبكم أو فى جانب الحسين »

مباحثات جديدة بين الحسين وابن سعود

وعقبت هذه الحوادث فترة ساد فيها السكون حتى سنة ١٣٤٠ هـ فقصد الحجاز الشيخ أحمد بن ثنيان موفدا من قبل الأمير عبد العزيز سعود ومعه مندوب بريطانى من أبناء رحمة العراقيين ندارت مباحثات اسفرت عن سماح الحسين للنجديين بالحج فى ذلك

(١) فصلنا أخبار هذه المعركة فى كتابنا ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم ص ٣٤٠ ـ ٣٤٩ فمن أراد زيادة بضاح فليرجع الى ما كتبناه هنالك

العام وأرسل السلطان عبد العزيز مع مساعد بن سويلم أمير الحج النجدى الكتاب الآتى الى الامير على بن الحسين قال :

«من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود الى جناب صاحب السمو الملكى الاخ المكرم الأمير الجليل على نجل صاحب الجلالة الهاشمية الوالد المحترم الملك حسين بن على أدام الله عزهما آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وبعد أرجو من البارى تعالى أن يحظى كتابى هذا لديكم وسموكم بسعادة وهناء

لما رأيت تفضل صاحب الجلالة الوالد المعظم ببذل عنايته بالرخصة وبالسماح لأهالى نجد لأداء فريضة الحج حيث برهن على حسن عواطفه فى اظهار فضيلته أحببنا أن نرخص لبعض رعايانا مختصرا من الحاضرة لزيارة بيت الله الحرام بصحبة خادمكم مساعد بن سويلم فاتخذت هذه خير وسيلة وأعظم فرصة لاهدى حضرتكم جزيل السلام ولا عبر لسموكم عن عظيم اشتياقى وخالص نواياى لتشديد عهود الصداقة وتمكين الصلات الحسنة والمناسبات الودادية المشتركة اللائى تربط القطرين الاسلاميين العربيين غير ملتفت الى ماقدر الله رغم ارادتنا أن يقع فيما مضى بين الطرفين من الحوادث التى طالما أوجبت تأسفاتى وادارى أرجو من البارى سبحانه وتعالى أن يوفقنا واياكم لتحقيق هذه الامانى ويعيننا على كل عمل من ورائه خير وسعادة يشملان المملكتين المتجاورتين. هذا وفى الختام أهدى جزيل التحية والاكرام لسموكم كما أن من عندنا أولادكم سعود وفيصل واخوانهما يقدمون خلوصهم واحترامهم لسموكم والسلام عليكم كما بدئ فى ١٤ ذى القعدة ١٣٤٠ »

عبد العزيز

آل السعود

ولما أزمع الحج النجدى الرجوع أرسل الحسين الكتاب الآتى الى ابن سعود رد على كتابه لولى عهده قال :

الحضرة الكريمة !

بعد السلام والتحية والاكرام . انه فى أهنأ الساعات وصلنا كتابكم بيد وكيلكم الشيخ مساعد بن سويلم [illegible] حجاج أهل نجد وسرنا [illegible] وحمدنا الله تعالى

على ماعلم من دوام محبتكم نسأله سبحانه وتعالى أن يسبل على الجميع سوابغ نعمه . أما ماأشرتم اليه وصرحتم به من حسن ظنكم بنا واحلالنا فى المنزلة والمكانة التى أشرتم اليها لجزاكم الله خيرا وهو المسئول سبحانه وتعالى أن ينور منا ومنكم البصائر ويجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولامضلين . وكان بودنا أن كل ماجرى وكان مما قدره الله أن لايكون ولكن له فى خليقته مايشاء وعلى كل حال فانك ياعبد العزيز تجدنى فى الموقف الذى تركتنى فيه لاتغيرنا الحوادث ولا تؤثر علينا البواعث فان الجريمة هى فى الجسم كيفما كان أمرها والنقيصة هى عين ذلك وماصرحت للشيخ أحمد بن ثنيان فى محررى لحضرتك برفقه ترانى عليه اليوم ياصاحب الحرمة والمكانة لاغرض لنا ولا قصد الا عزكم ومجدكم وسؤددكم يابنى يعرب وانى أقسم لكم بمن فطر السموات والارض ومن فيهن انه لايهمنى الا ذلك وانى مستعد لتسليمك البلاد بكل انشراح وارتياح لسلامتها ونجاتها وسلامة ونجاة أبنائها من كل ماأدركتموه ومما لا أشك أنكم ستدركونه وقد أبلغت وافدكم الشيخ مساعد بن سويلم المذكور بكل ماينبغى وان كل ذلك حقيقة لايأتيها التبدل ولا يعتريها التزلزل بحوله تعالى وقدرته وأنها مجردة من كل قصد وغاية لا أريد بها الا عزكم وسعدكم بقدرة الله ياابناء البلاد وستراها وستشاهدها ولم يبق للتجارب وقت نظرها فيك وعلى رأيك والله يتولاها واياك بما فيه الخير والخيرة لنا ولك وللبلاد وأبنائها أسأله توفيق الجميع لما يحبه ويرضاه ويتولانا برعايته واعانته والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »

مؤتمر الكويت

ولما جاء الحسين الى عمان زائرا فى شهر يناير سنة ١٩٢٤ قصده السر هربرت صموئيل المندوب السامى لحكومة فلسطين والسر جلبرت كليتن السكرتير العام لهذه الحكومة وبحثامعه فى التوفيق بينه وبين ابن سعود ، واقترحا عليه الاشتراك فى مؤتمر الكويت ــ فوافق على ارسال ابنه الأمير زيد ليمثله فيه بشرط أن يرسل ابن السعود أحد أمراء بيته الى المؤتمر

وزيادة فى البيان نقول ان هذا المؤتمر عقد جلسته الأولى فى الكويت يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ بحضور مندوبى العراق ونجد فرأسه الكولونيل نوكس رئيس

المندوبين البريطانيين فى خليج فارس فدار البحث على مصير قبائل شمر اللاجئة الى العراق واعادة المنهوبات وغيرها وفى يوم ٢٤ منه اتفق الفريقان مبدئيا على الشؤون المعروضة للبحث ولما أراد النجديون تحرير الاتفاق طلب العراقيون ادخال الشرط الآتى : « لايعمل بمضمون هذا الاتفاق الا بعد حل الخلاف بين نجد والحجاز » فأبى النجديون قبول هذا الشرط

واشترك مندوب شرقى الأردن (على خلقى) فى جلسة المؤتمر السادسة يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وقدم المذكرة الآتية

١ ــ انى باسم حكومتى أشكر الحكومة البريطانية لمساعدتها بادىء العرب فى استقلالهم كما قررته مع صاحب الجلالة الهاشمية و بقبولها أيضا التوسط فى عقد مؤتمر الصلح مع حكومة نجد والسعى لمنع الاضطرابات الدائمة فى جزيرة العرب

٢ ــ بما أن حكومة شرقى الأردن جزء من ثمرات النهضة العربية فانها تتمسك بالقرارات الأساسية المتفق عليها بين حكومة بريطانيا وحكومة جلالة ملك الحجاز وهى لزوم احترام جلالته ومن معه احترام الصلات العهدية فى زمن الدولة العثمانية بين بريطانيا ومشايخ العرب الكائنة بلادهم فى خليج فارس ولذلك فانها تطلب أن تكون الحدود بينها و بين نجد مبنية على الاعتبار المتقدم

٣ ــ ان حكومة شرقى الأردن مستعدة أن تكون الحدود بينها و بين نجد حسب العهود والحدود القديمة وحسب المعاهدة التى ابرمتها حكومة نجد مع بريطانيا العظمى يوم ١٨ يوليو سنة ١٩١٦ على أن تتخلى الحكومة النجدية عن الجوف وسكاكه ومايتبعهما لابن شعلان لتكون تلك الأمارة مصونة بذاتها وأيضا فهى ضرورية للمستقبل للمواصلات بين شرق الأردن والعراق ولذا فلابد من جعل هذه الأماكن تحت اشراف حكومة شرق الأردن

٤ ــ يمكن تعيين وكلاء مفوضين يقيمون فى عاصمتى الحكومتين ليكونوا واسطة للمخابرة بين حكومتيهما

٥ ــ يجب أن تتعهد كل من حكومتى شرقى الأردن ونجد بمنع الغزو بعضهما على بعض وعند وقوع شىء من ذلك فان الحكومة التى تقع الغزو من عشائرها مجبورة على

اعادة المنهوبات عينا أو بدلا أو تعويضا بدفع ثمنها ودفع ديات القتلى ان وقع قتل

٦ ـ لايجوز لعشائر أي طرف من حكومتى شرقى الأردن ونجد أن يجتازوا الحدود جماعات وجموعا مسلحين أصلا واذا اقتضى دخول رجل واحد أورهط لايتجاوز عدده العشرة مسلحين أوغير مسلحين فعليهم أن يكونوا حائزين على وثيقة من حكومتهم يؤشر عليها معتمد الحكومة المراد الدخول الى بلادها واذا اقتضى الأمر دخول أكثر من ذلك فيجب أن يتقرر ذلك بين الحكومتين بعد المخابرات ولايجوز لاحدى الحكومتين مخابرة شعب أوعشائر الحكومة الأخرى مباشرة ماعدا المخابرات الودية والخصوصية والمجرم السياسى الملتجىء الى احدى الحكومتين لايجوز تسليمه لأى حكومة تطلبه عربية أوغيرها

ان حكومة نجد قبل سنة ونصف أرسلت جيشا الى شرق الأردن هاجم قرية في جوار عمان وذبح من أهلها نحو ثلاثين رجلا فيجب دفع دية القتلى حسب أصول العشائر

وفى جلسة ٢٦ منه رد الوفد النجدى بما يأتى :

ان حكومة نجد الحاضرة التى أقام دعائمها وشيد أركانها السلطان عبد العزيز ليست بحكومة حديثة العهد بل يرجع أساسها الى مدة طويلة لايجهلها الواقفون على تاريخ نجد الحديث فلو صح لنا الاستناد على نظريات ممثل شرق الأردن لجاز لنا أن نطالب بأمور شتى يطول شرحها وفوق ذلك فاننا لانعرف صفة خاصة لملك الحجاز أو أمير شرق الأردن تخولهما حق الكلام أو التدخل فى شؤون الامارات العربية التى لم تكن لها أدنى رابطة بالحجاز أو بشرق الأردن ولذا فاننا نرفض النظر فيما طلبه ممثل شرق الأردن بهذا الخصوص

لاحق لمندوب حكومة شرق الأردن فى الكلام عن ابن شعلان الذى هو أحد رعايانا . انحكومة شرق الأردن تريد أن تتكرم عليه بجزءمنمملكتنا (الجوف وسكاكه وتوابعها) وهذا تغافل عن الروابط التى تربط الرولة بنجد . ان الجوف وسكاكه ووادى السرحان بأكمله كانت تتبع التطورات والتقلبات التى تطورتها نجد فى حين أن تشكيلات الأردن الادارية والجغرافية لم تكن سوى أقضية تابعة للكرك والقدس ولم يعرف أن تلك الجهات كانت خاضعة اداريا وسياسيا لها ولهذا نرفض طلب مندوب شرق الأردن بالتنازل عن الجوف وسكاكه ولانقبله بوجه من الوجوه . ان البحث فى المعاهدة المعقودة بين نجد

والحكومة الانكليزية وطرق باب الخوض فيها من جانب حكومة شرق الأردن التي لم يكن لها وجود حين عقدها انما هو افتئات صريح وتدخل غير مقبول فى شؤون نجد وعلاقتها الخارجية . فلهذا نحتج بشدة على هذا التدخل

ان ماعتبره مندوب شرق الأردن أساسا للاتفاق لايمهد طريق الصلح ولا يزيل الخلاف الواقع بين الحكومتين فلكى نزيل العراقيل من سبيل المفاوضات نطلب :

١ ـ أن يتكلم مندوب شرق الأردن باسم حكومته فقط ولايتعرض لشؤون غيرها

٢ ـ أن يحدد نقط الخلاف الواقع بين نجد وشرق الأردن

٣ ـ اذا كان مندوب شرق الأردن يصر على طلباته التى اعتبرها أساسا للاتفاق فاننا نأسف لهذا العناد الذى يبعد الصلح ويوسع شقة الخلاف

٤ ـ اذا سحب ممثل شرق الأردن المواد التى اعتبرها أساسا فان الاتفاق على باقى المواد لانرى فيه صعوبة

وفى يوم ٢٧ منه طلب الوفد النجدى المطالب الآتية :

١ ـ ان وادى السرحان والجوف كانا تابعين لنجد من أيام دولة السعود الأولى ولما انشطرت هذه الدولة الى امارات تبعت هذه الأماكن امارة حايل التى شغلها الرشيد . ولما أعاد الامام فيصل بن تركى دولة السعود واسترد حايل ضمن ما استرده من امارات آبائه تبعت حايل الخاضعة لآل سعود وكذلك لما استرد السلطان ما اغتصب من أمارات أجداده تبعت الجوف ووادى السرحان حايل وخضعت العشائر الضاربة فى وادى السرحان لنفوذ آل سعود لذلك نطلب اخلاء قريات الملح لانها جزء حيوى للجوف وأن حكومة نجد تتوقف عن استردادها من يد حكومة شرق الأردن العاصبة الا لان الحكومة الانكليزية وعدت بأن هذه المسألة يمكن حلها بالطرق السامية

٢ ـ اننا لانوافق مطلقا على اتصال حكومة شرق الأردن بالعراق بل لابد أن تكون حدود نجد متصلة بسورية لتكون تجارتها فى مأمن ونحفظا لكيانها الاقتصادى وحماية لروحنا التجارية نطلب أن يكون الاتصال بسورية هو الأساس فى تعيين الحدود بين نجد وبين شرق الأردن

١٠ - ١٠ - ١٠ ش

٣ ـ العشائر المستوطنون فى الجوف ووادى السرحان تابعون لنجد وهم : الشرارات والحوازم وبعض بنى عطية وقسم من الحويطات

٤ ـ اذا اجتازت احدى عشائر نجد حدود شرق الأردن أو بالعكس فالحكومة المجتازة أرضها تطبق على العشائر المجتازة قوانينها وشرائعها الداخلية مادامت فى أراضيها

٥ ـ التعهد بدفع المنهوبات أو بدلها وتسليم ديات المقتولين

وفى جلسة ٢ يناير سنة ١٩٢٤ تلا مندوب شرق الأردن المذكرة الآتية :

١ ـ تكلم حضرات مندوبى نجد عن كيفية انشاء حكومة شرق الأردن وبما أنى رأيت الكلام هنا زائدا فيجب أن نترك مثل هذه المسائل للتاريخ

٢ ـ أنكر حضرات مندوبى نجد صفة جلالة ملك الحجاز الخاصة بالعرب والعربية وعليه أقول :

ان جميع الحكومات العربية فى البلاد العربية تكونت وظهرت بعد ظفر الحلفاء وانتصارهم على المتفقين وأن جلالة الملك حسين ومن كان معه من قومه كانوا يحاربون مع الحلفاء جنبا الى جنب وكانت أعمالهم من أكبر عوامل النصر وغايتهم من ذلك استقلال العرب فى بلادهم

ان الملك حسينا حينما قام بنهضته اتفق مع الحلفاء وبالأخص مع الحكومة البريطانية على أمور لازوم لبيانها هنا وكان من جملة بنود الاتفاقات وجوب احترام الأمارات العربية الموجودة على خليج فارس وفى داخل البلاد العربية اللاتى كن امارات اسمية خاضعات للقوانين العثمانية . وكان هذا الاتفاق باسم العرب عامة وبما أن شرق الأردن وغيرها من الحكومات العربية هى بعض ثمار النهضة الهاشمية ومعاونة الحلفاء لها فلا يمكنها الانفصال عن تلك المعاهدات

الجوف وسكاكة وتوابعهما من الأراضى السورية التى تبدأ حدودها من مدائن صالح وتمرى خط الطول الأربعين وتنتهى عند البوكمال على نهر الفرات وحكومة شرق الأردن هى قسم من سورية فيجب أن تكون الجوف وسكاكة تحت ادارتها كما سبق شرح ذلك فى مذكرتى الأولى وان الجوف وسكاكة ووادى السرحان هى مرعى ومسرح لجميع العشائر التابعة لشرق الأردن وهى الرولة والشرارات وأتباعها مثل الحوازم والسرحان

والفقراء و بنى عطيه والحو يطات و بنى صحر والعدوان . وبم يعرف ان الرولة والحو يطات والشرارات كانت تابعة لنجد فاطلب أن يبدأ الحد من مدائن صالح و يمر من شرقى تيما الى أن يصل الى هوجا ومن هنالك ينعطف مشرقا الى جبل داف ثم يلتقى بخط الطول الأربعين و بعد أن يترك الجوف وسكاكة ينتهى فى جبل عنزة

٤ ـ بما أنى مندوب حكومة ومقيد بتعاليمها فلا يمكننى الخروج عن تلك التعاليم كما لايسعنى السكوت عما أمرت أن أقوله وعليه فاسمحوا لى أن اصرح لحضراتكم بانه اذا لم تتخل حكومة نجد عن الجوف وسكاكة و وادى السرحان جميعه وعن الأراضى الحجازية التى احتلتها مثل تربة والخرمة وحائط وحويط وخيبر و وادى بيشه و وادى شهران وأقسام بلاد بنى شهر و بالمحمر و بالسمر وتجعل تحديد الحدود بين الحجاز ونجد على أن يكون الحد الفاصل هو الصحراء القاحلة فلا يمكن أن يحصل بيننا اتفاق

٥ ـ ان بحثى عن المعاهدة المعقودة بين نجد والحكومة الانكليزية لايقصد منه الا ايضاح الحدود المعترف بها لحكومة نجد

٦ ـ اذا تم الاتفاق على المواد الأساسية يسهل بعد ذلك الاتفاق على الأمور الثانوية ومن الممكن أن يتفق على مادة تقضى باعادة المنهوبات واعطاء ديات القتلى على أن يكون ذلك بمعرفة لجنة من الطرفين على أن يثبت كل منهما منهو باته وقتلاه و يؤيدها بالحجج والبراهين والزمان والمكان

ولما انتهى من تلاوة مذكرته وقف رئيس المؤتمر الكولونيل نوكس وألقى البيان الآتى : أرى انه لا يحق لأهل العراق أو شرق الأردن الكلام عن الحدود [illegible] البريطانية لاتقبل مطلقا الكلام عن ابن الرشيد ولما قبل سلطان نجد الاشتراك فى المؤتمر اشترط شرطا أساسيا قبلته الحكومة الانكليزية وهو انه لايحق لأى حكومة من الحكومات أن تشترك فى بحث مايتعلق بالحكومات الأخرى . والتعليمات التى عندى هى أن يكون البحث فى الحدود فقط ولا أستطيع أن أقول لكم كل شئ ولكنى أقول انه لابد من أخذ تعليمات جديدة لمندوب شرق الأردن

وأوقفت جلسات المؤتمر [illegible]

الى الاجتماع عند ورود تعليمات جديدة وانتظارا لوصول مندوب الحجاز وقد وعد الحسين الحكومة البريطانية بارساله كما قلنا آنفا

وعاد المؤتمر الى الاجتماع يوم ١٨ يناير سنة ١٩٢٤ فأعلن الوفد العراقى ان حكومته تنازلت عما سبق فاشترطته من أن الاتفاق لايكون نافذا الا بعد الاتفاق بين نجد والحجاز . وخطب رئيس المؤتمر فى جلسة ١٩ منه فقال «ان جلسات المؤتمر لايجوز أن تطول بدون حاجة وانه يقترح على الوفدين العراقى والنجدى أن يوقعا اتفاقا بالأمور التى اتفقوا عليها ولكل وفد من الوفدين الحرية التامة فى بيان ملاحظاته وآرائه حول كل مادة لم يتم الاتفاق عليها يوضح فيها رأيه ومقدار أهمية ذلك فى نظر حكومته

«ان الحكومة البريطانية لاترغب أن تحمل أحدا على قبول أمر لايرغبه ولا يرتضيه وبناء على الحاحى فى توسطها فى المواد المختلف عليها كحكم بين الطرفين أخذت منها البرقية الآتية :

«عطفا على برقيتكم المؤرخة فى ٢١ ديسمبر اننا لانرغب أن نكون حكما بين مندوبى الحكومتين فى الأمور المختلف عليها ولكنهم اذا اعتمدوا على توسطكم كرئيس للمؤتمر ومندوب من الحكومة البريطانية و بقى خلاف بينهم على بعض نقط واتفقوا على أن يحكموا الحكومة البريطانية فنحن لانرفض ذلك اذا قدموا طلبا تحريريا بذلك موقعا عليه منهم كلهم على أن يقبلوا أن الحكم الذى تحكم به الحكومة يكون قطعيا ونافذا على الطرفين»

وفى يوم ٢١ يناير طلب أعضاء الوفدين العراقى والنجدى تأجيل أعمال المؤتمر الى ٥ مارس فيرجع كل منهما الى حكومته فقال رئيس المؤتمر انه أبرق بهذا الاقتراح الى حكومته وانه لايوافق على سفر الوفدين قبل ورود جوابها وان المسألة خطيرة وان الواجب يقضى بانتظار رأى حكومة الحجاز فى شأن ارسال مندوب عنها وانتظارا لتعليمات شرق الأردن النهائية على ان المؤتمر مالبث أن انفض ودارت فى أثناء انفضاضه مكاتبات بين الحكومات ذات الشأن انتهت بالاتفاق على عقده

وضرب يوم ٢٥ مارس موعد لاجتماع المؤتمر فى دوره الثانى وغادر المندوبون العراقيون بغداد قاصدين الكويت ولما بلغوا البصرة وصلت أنباء الى الحكومة العراقية

بأن القبائل النجدية أغارت على العراق فاستدعت الحكومة وفدها على الأثر وقطعت المفاوضات مع نجد ولم يحضر الأمير زيد الى السدويت لان ابن سعود رفض ارسال أحد من أمرائه بحجة انهم لم يعتادوا الاشتراك فى المؤتمرات السياسية واقتصر الأمر فى هذه المرحلة على مندوب شرق الأردن ومندوبى نجد فقط

ولما اجتمع المؤتمر يوم ٢٥ مارس وقف مندوب شرق الأردن وقال بما أنه تعين مندوب خاص لحكومة الحجاز فنقتصر فى هذه الجلسة على مايتعلق بشرق الأردن فنكرر بهذه المناسبة الطلب الواقع فى جلسة ٢ يناير الماضى بشأن الحدود وهو يتضمن أن يكون بدء الحدود من مداين صالح الى أن يمر من شرقى تيما ويضم عشائر ولد سليمان الى أن يصل الموجا ومن هنالك ينعطف شرقا الى الشمال الى جبل داف ثم يلتقى بخط الطول الأربعين وبعد أن يترك الجوف وسكاكة منها ينتهى فى جبل عنزة فاذا تم الاتفاق على هذا الطلب الأساسى الذى لايمكننا الحياد عنه يسهل بعدئذ الاتفاق على المواد الثانوية

فرد الوفد النجدى بان الأخلاق والعادات وطرق المعيشة التى عليها أهل وادى السرحان تتفق تماما مع أخلاق وعادات ومعيشة أهل نجد وارتباطهم بحكومة نجد أشهر من أن يذكر. ومن جهة أخرى فان حكومات نجد سواء أكانت من أهل السعود أم الرشيد كانت لها السيطرة على هذه البلاد و[illegible] سمع أن حكومة سورية شغلت هذه البلاد اداريا بمعنى انها أرسلت اليها موظفين اداريين، وآخر عهد هذه البلاد [illegible] حايل كان محمد بن طلال حاكما لها. أما علاقة ابن شعلان بالجوف فقد كانت علاقة المغتصب و[illegible] التطورات التى حدثت بعد الحرب العالمية فى جزيرة العرب تجعل لسلطان بن سعود [illegible] للاحتفاظ بهذه المنطقة ولا يقبل البحث فى أمر التنازل عنها

وقال رئيس المؤتمر بما أن الجدال قد طال من دون أن [illegible] الى نتيجة [illegible] أعرض عليكم ثلاثة حلول لتنظروا فيها :

١ ـ استفتاء الأهالى

٢ ـ تقسيم وادى السرحان الى قسمين : الجنوبى [illegible] والشمالى [illegible]

٣ ـ تكون البلاد مستقلة ومحايدة بين الحكومتين وتكون [illegible] للشعلان

وقبل الوفد النجدى فى جلسة ٢٦ منه مبدأ الاستفتاء بشرط أن يعمل به فى الاماكن المتنازع عليها بين نجد والحجاز أى فى تربة والخرمة ، وأرجئ المؤتمر ريثما يراجع مندوب شرق الأردن حكومته ويتلقى تعليماتها . وفى يوم ٩ ابريل استؤنف المؤتمر فقال المندوب انه رغبة فى الوفاق والسلام يوافق على أن يكون الجوف وسكاكة ووادى السرحان منطقة حياد يحترمها الفريقان بشرط أن تحترم حدود سورية الطبيعية وتبقى حدودنا من الجنوب كما بينا سابقا . وبما أن طريق المواصلات بين مصر وفلسطين وشرق الأردن وبين العراق تجتاز أراضى شرق الاردن ووادى السرحان وبما أن حكومة شرق الأردن هى المسئولة فى الدرجة الأولى عن تلك المواصلات فيجب أن تكون مشرفة على هذا الطريق . وكذلك فيجب أن تعاد امارة الرشيدى وآل عايض فى عسير وتتخلى الحكومة النجدية عن جميع الأراضى الحجازية لتوطيد الامن والسلام فى الجزيرة

وقال الوفد النجدى اننا لا نرفض مطالب شرق الأردن فقط بل نحتج على هذه المداخلة التى لا يسوغها حق دولى أو قانون شرعى واننا نعتبر أن هذه الطلبات لايقصد منها سوى عرقلة المساعى التى تبذل فى سبيل الصلح

وانفض المؤتمر على أثر ذلك وانقطعت المفاوضات وفشلت المساعى

٢ — علاقاتها بالامارة الادريسية فى عسير

ما كان الحسين ينظر بارتياح الى قيام هذه الامارة فى عسير وتهامة على حدود الحجاز الجنوبية ، وقد نشأت فى نفس الوقت الذى تولى فيه شرافة مكة تقريبا ، ففى سنة ١٩٠٨ قدم السيد محمد الادريسى صبيا ونزل فى مسجد جده السيد أحمد بن ادريس المدفون فيها ، ولما كان على جانب من الذكاء والدهاء فقد أخذ يتدخل فى شؤون البلاد مستغلا فرصة الاضطرابات الداخلية ، وكان اليمانيون من أهل الجبال يقاتلون الدولة ويناوئونها ، فبلغ أمره سعيد باشا متصرف عسير وقائدها العسكرى يومئذ فحمل عليه بقوة ولما اجتمعا أفهمه السيد بأنه من رجال الاصلاح الدينى وأنه من أبعد الناس عن السياسة فوثق به وعينه قائمقاما على صبيا وجيزان فزاد ذلك فى نفوذه الدينى والسياسى وأكسبه مقاما فى عيون القبائل فالتفت حوله فأطمعه ذلك فجهز قوة كبيرة برئاسة ابن

عمه السيد مصطفى وذلك فى سنة ١٩١٠ وأرسلها لفتح ابها (عاصمة عسير السياسية والعسكرية فى زمن الترك) لخاصرها وهم بفتحها فسيرت الدولة قوات من الحديدة لانجاد حاميتها فعادت بالفشل فلجأت الى شريف مكة فجهز حملة كبيرة قادها بنفسه ومعه الاميران عبد الله وفيصل من أنجاله وسار حتى ابها فهزم قوى الأدارسة المحاصرة ودخلها و بعد أن وطد الامن فى تلك البلاد عاد الى عاصمته . ولجأ السيد محمد على الى جبال فيفاء ولكنه مالبث أن ظهر فى السنة التالية مغتنما فرصة وقوع الحرب بين الدولة العثمانية وايطاليا فوصل حبله بحبل الطليان جيرانه فى مصوع فأمدوه بالسلاح والمال فعاد الى قتال الدولة واحتل جيزان وصبيا وأبو عريش بمساعدة الأسطول الايطالى ، وجهز شريف مكة فى أواخر سنة ١٩١١ حملة لقتاله بقيادة نجله فيصل تقدمت حتى القنفذة فى طريقها الى عسير ووقفت فيها لانتشار مرض الملاريا بين رجالها وقد أصيب بها قائدها وظل طريح الفراش أشهرا وعادت فى ربيع سنة ١٩١٢ من دون أن تنال منالا

وأعلنت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ والحالة غير مستقرة فى عسير فاشتركت فيها الدولة العثمانية الى جانب الالمان وتنفس الادريسى الصعداء حينما نزل الانكليز الى العمل فى البحر الأحمر فاتصل بهم وعقد معهم فى سنة ١٩١٥ معاهدة اعترفوا فيها بامارته و باستقلاله وأمدوه بالسلاح والمال فزاد ذلك فى نفوذه ومقامه ، فنهض لمحاربة الترك فى ابها وحاصرهم ثانية ولكنه لم ينل منهم منالا ، وتقدم رجاله فى صيف سنة ١٩١٦ فاحتلوا القنفذة بمعرفة الانكليز ومساعدتهم فأزعج ذلك الشريف وكان ذلك فى ابتداء ثورته وأكثر من الاحتجاج لأنه كان يعد القنفذة حجازية ودارت مكاتبات [illegible] بينه و بين الانكليز بشأنها انتهت باعادتها اليه وقد فصلنا ذلك فى الجزء الأول (انظر ص ٢٩٥) . وعقد الادريسى معاهدة ثانية مع الانكليز فى سنة ١٩١٧ اعترفوا له بالسيادة على تهامة من اللحية حتى القنفذة وتعهدوا بحمايته من أى اعتداء خارجى [illegible] علاقات تجارية أو سياسية مع غيرهم

وأطلق الأسطول الانكليزى قنابله على الحديدة فى [illegible] الحرب العظمى واحتلها عسكريا ورأى الانكليز بعد ذلك [illegible] فى الاحتفاظ بها [illegible] وسلموها الى السيد الادريسى [illegible]

الحـديدة على أن سير الحوادث أثبت أن هـذا التوسع كان شؤما على هـذه الامارة وو بالا عليها

حروب آل عايض وتحالف الادريسي وابن سعود

ووالى الحسين بعد ختام الحرب العظمى آل عايض أمراء عسير السراة وقد تفردوا بالحـكم فى ابها بعـد رحيل الدولة العثمانيـة فى ختام الحرب العظمى وأصبحوا أصحاب الأمر والنهى فى عسير السراة ، وكان أحـدهم حسن بن على بن محمد بن عائض معاونا لسليمان شفيق باشا متصرف عسير وقائدها العسكرى قبل الحرب العظمى وأمدهم بالسـلاح والمال فاقلق ذلك السيد الادريسى جارهم وأزعجه فرأى أن يستعين بابن سعود جار آل عايض من ناحية الشرق ومنافسهم وخصم الملك الحسين وعدوه . فيضرب بعض هؤلاء ببعض ويستريح فـكاتب ابن سعود وأرسل اليه الهدايا وهدم قبة جده الأكبر أحمد بن ادريس فى صبيا تقربا من النجديين الذين يمقتون القباب ، وعقد معه معاهدة يوم ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٣٨ وأغسطس سنة ١٩٢٠ هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله

يعلم به الناظر اليه والواقف عليـه بأن الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصـل حفظه الله لما أمرنا بالقدوم على الامام محمد بن على بن ادريس لعقد الأخوة الاسلاميـة الخالصة وجمع الـكلمة على دين الله ورسوله ودعوة الناس الى ذلك فى التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر والجهاد فى سبيل الله وأن تـكون اليد واحدة على أعداء الدين فلما قدمنا على الامام المذكور سره ذلك وأحبه حرصا على الخير والتعاون عليه فاتفقت الحال منا ومنه على عقـد الأخوة بين الامامين المذكورين على مثل ماذكر أعلاه فحيث كان فى مملـكة الامام محمد بن على من القبائل والبلدان فى اليمن ما هو فى ملك آل سعود سابقا تركه الامام عبد العزيز له لأجل محبته للخير ومعاونته عليه وحسن سيرته فعلى هذا لابد من تعريف القبائل وتحديدها ليقوم كل منهما بما أوجب الله عليـه فيمن تحت يده من الرعيـة فصار الذى للامام عبد العزيز من القبائل جميع يام ووداعة ومن

تبعهم من جماعته وسحار وشريف وقحطان ورفيدة وعبيدة منهم بنو بشر و بنو طلق وشهران و بنوشهر وغامد وعسير غامد وجميع قضاء محايل منهم بنو نوعه وأهل بارق وترقش وأهل الريش وغيرهم ممن تبعهم وجميع قبائل حلى المذكورون فى ولاية الامام عبد العزيز وصار للامام محمد بن على الادريسى تهامة سوى ماذكر وغير ذلك مما هو تحت يده وله رجال المع من عسير خاصة ولايعارض كل منهما من تحت يد الآخر وماذكر لعبد العزيز بن عبد الرحمن من القبائل فى السراة وتهامة ويام وغيرهم فالمراد به قرى و بوادى فى جبل وسهل وعليهما فى ذلك التناصح والتعاون و بذل الجهد فيما أوجب الله عليهما مما يلزم فى دين الله فيمن تحت أيديهما

هذا ماصدر وحرر وقرر منا بانواب الامام حيث كنا قائمين مقامه ومن الامام محمد بن على الادريسى بحضوره وامضائه صدر العهد والميثاق منا ومنه ومن نكث فانما ينكث على نفسه والله ولى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١٦ ذى الحجة سنة ١٣٣٨ محمد بن على الادريسى

فيصل عبد العزيز المبارك عبد الرحمن بن محمد الراشد ناصر بن حمد الجار الله

ونهض السلطان عبد العزيز فجهز حملة كبيرة بقيادة ابن عمه عبد العزيز بن مساعد حلت على العائضيين فدارت بينهم و بينها معركة بين ابها وخميس مشيط انتهت بفوز النجديين فلجأ آل عايض الى تهامة فأسر الادريسى بعضهم ونزل مكة [illegible] واستسلم حسن ومحمد ابن عمه لابن مساعد فعادهما الى الرياض [illegible] عبد العزيز فعادا الى ابها ورجعا الى قتال النجديين فجهزوا عليهما حملة كبيرة فى سنة ١٩٢٢ قادها الأمير فيصل السعود فدخلت ابها [illegible] وألحقتها بنجد نهائيا وقبضت على الأمير حسن [illegible] فيها . ولجأ بعض أبناء عمه الى الحجاز [illegible] الأدارسة والسعوديين . ومما يستحق الذكر [illegible] ١٩٢٤ كانت للحسين قوات فى عسير [illegible] فى

الأسر ومعنى ذلك أن الحسين ظل حتى أواخر حكمه عدوا للامارة الادريسية يكيد لها ولم تنفع وساطة المتوسطين فى اصلاح ذات البين

٣ — علاقاتها بالامامة الزيدية فى اليمن

لم تكن هنالك علاقات مباشرة بين الحسين والامام يحيى لبعد الشقة من جهة ولأن الحسين ما كان يطمع فى اخضاع الزيود لسلطانه وجل ما كان يريده منهم أن يخضعوا له خضوعا اسميا وأن يحل فى اليمن محل الدولة العثمانية فتكون له الرئاسة العليا ويدير أهل اليمن شؤونهم الداخلية بأنفسهم

ولتحقيق هذه الفكرة أوفد فى سنة ١٩٢٢ السيد محمد بن علوى السقاف شيخ السادة الأشراف الى صنعاء لمفاوضة الامام والسعى فى انشاء تحالف بينه و بين حكومة مكة وقد ارتاح الامام مبدئيا لهذه الفكرة فأوفد فى السنة الثانية حج ١٣٤٢(يونيو١٩٢٣) السيد محمد زبارة الى مكة فقابل الحسين وحادثه فى المشروع فصرح له بما يأتى :

« انى لا أريد ولاقصد لى ولاغاية الا تلك الأمنية المقدسة (اتحاد العرب) . وانى شهد الله على هذا وأن يدى ممدودة لحضرتك اذا أردت أن تقوم بالأمر . وانى أكرر قسمى واشهادى لله وملائكته وكتبه ورسله على قولى هذا وانى أول من يقاتل تحت راية من يتعهد بهذا الأمر وتقبله الأمة فلا تتخذونى بأى صورة كانت مانعا وان هذه غايتى التى أدين الله بها وأشهده وأشهد حملة عرشه عليها وانى عليها أحيا وعليها أموت أنا وأولادى وكل من هو على رأيى »

ولما جاء دور وضع الأسس التى بنى عليها الاتفاق اقترح الحسين الاقتراحات الآتية :

١ ــ أن يعلن أئمة صنعاء بمنشور يصدره ملك الحجاز بصفته رئيس الدولة العربية

٢ ــ أن تدير وزارة خارجية مكة الشؤون الخارجية لبلاد العرب وتمثلها رسميا

٣ ــ ان يعقد اتفاق بريدى وجمركى بين الحكومتين

٤ ــ أن يعقد اتحاد عسكرى بين الحكومتين يقضى بتعاونهما

ولما حمل السيد محمد زبارة هذه الاقتراحات الى الامام أهملها لأنه لم ير فيها مصلحة له فوقف المشروع عند هذا الحد ولم تعش حكومة الحسين بعد ذلك طويلا

٤ — علاقاتها بامارة آل الرشيد

كان الحسين يرى فى آل الرشيد منافسين أقوياء ينافسونه على الأمارة فى قلب الجزيرة وكان يعتقد أن مصلحته هى فى التخلص منهم والقضاء عليهم ، وما كان يأبه للسعوديين فى أول الأمر لظنه أن أمرهم سهل بالنسبة لآل الرشيد جيرانه الادنين وقد كانوا يمالئون الترك ويؤيدونهم وينصرونهم فى سياستهم وقد ظلوا على ذلك حتى ختام الحرب العظمى

واغتنم ابن سعود فرصة جلاء الترك عن بلاد العرب وبقاء آل الرشيد بدون حليف قوى يستندون اليه فحمل على الرياض فى سنة ١٩٢٠ فكاتب محمد بن طلال أمير حائل يومئذ الحسين طالبا امداده بالسلاح والمال لقتال السعوديين وحذره عاقبة التوانى والتواكل وقال له اذا لم تسرع لاغاثتى اليوم — فهم مهاجموك فى الغد ، فتغافل الحسين وتصام عن تلبية النداء فمكن ذلك ابن سعود من خصمه فاستسلم له يوم ٢٩ صفر سنة ١٣٤٠ و ٢ نوفبر سنة ١٩٢١ وبذلك قضى على امارة آل الرشيد فى حايل وأرسل الأمير محمد بن طلال الى الأسر فى الرياض ولا يزال فيها مع بعض أبناء قومه وفر بعض هؤلاء الى العراق وهم يقيمون فيها وذهبت امرتهم ضحية اختلافهم وشقاقهم وتحاسدهم فقد مات معظم أمرائهم مقتولين بعضهم بيد بعض

تلك كانت حالة الجزيرة فى أواخر سنة ١٩٢٣ فلا در [illegible] فى حضن ابن سعود وقد أقلقه طمع جاريه فيه (الحسين ويحيى) ونفوذ نجد يتسع اتساعا [illegible] التهمت عسير السراة وامارة حايل والجوف ووادى السرحان ووضعت يدها [illegible] فى الحجاز ، والعلاقات عادية بين الحسين والامام و [illegible]

٣

العلاقات بين الحسين والانكليز

سعى الانكليز لتصفية عهودهم للعرب

تركنا الجفاء والفتور يغشى العلاقات بين الحسين والانكليز وتركناه يتهمهم بعدم الوفاء ويهدد بالاستقالة والانسحاب ويقول انهم أحرجوا مركزه أمام قومه ورجال عشيرته (راجع الفصل الثانى عشر من الجزء الأول ص ٢٨١)

ووضعت الحرب العظمى أوزارها ودخل الجيش العربى دمشق فاتحا والجفاء لايزال مستمرا ولما تقرر عقد مؤتمر الصلح فى باريس دعا الانكليز وسميا الحسين الى ارسال ممثل يمثله فى المؤتمر فأبرق الى نجله الأمير فيصل وكان فى حلب بأن يسافر الى أوربا فغادر بيروت يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٨ بالبارحة البريطانية غلوسستر فأقلق ذلك الفرنسويين وأزعجهم لاعتبارين أحدهما سرى والآخر علنى :

أما الاعتبار العلنى فخلاصته أنهم لم يستشاروا فى ارسال الدعوة الى الحسين ولا فى اختيار الأمير فيصل ولم يؤخذ رأيهم فى برنامج سفره ، ولذلك قرروا (انظر ص ١٥ من المجلد الثانى) أن يعاملوه حين وصوله الى بلادهم معاملة قائد من قواد الحلفاء وأن يوصدوا فى وجهه أبواب المؤتمر

وأما الاعتبار الخفى فلانهم كانوا يعدون قضية بلاد العرب منحلة باتفاق سايكس - بيكو وكانوا يلحون على الانكليز فى تطبيقه ، وكان هؤلاء يماطلونهم وينتحلون مختلف الأعذار ، ورأى الفرنسويون فى رحلة الأمير فيصل الى باريس واشتراكه فى مؤتمر فرسايل ومطالبته بالاستقلال التام لبلاد العرب وبالغاء اتفاق سايكس - بيكو لانه من أشد الاتفاقات السرية خطرا على سياستهم و « مناورة » انكليزية فحاولوا احباطها واتقاءها باقامة العقبات فى وجه الأمير فأخذوا الى ليون والألزاس واللورين وبذلوا جهدهم فى اقصائه عن

أبواب المؤتمر ولكنهم فشلوا أمام ضغط الانكليز والأميركان ـ وقد استعان بهم هؤلاء واضطروا أن يقبلوا مندوبين اثنين للعرب لامندوب واحد ووقع الاختيار على رستم بك حيدر رئيس ديوان الأمير فشهد حفلة الافتتاح

وعاد الأمير فيصل بعد ذلك الى سورية وكان والده يتتبع عن كثب سير الحركة السياسية ويقابل مندوبي الفرنسويين والانكليز في جدة ويحضهم على الوفاء للعرب بما عاهدوهم عليه وكانت جريدة القبلة تكتب في تلك الأيام الفصول الطوال منتقدة تصرفات الفرنسويين وأساليبهم السياسية في سورية . ولا يخفى أن الحسين نفسه كان يحرر المقالات الرئيسية في تلك الجريدة

اعتراض على مشروع الانتدابات

وأقر مندوبو الدول العظمى في مؤتمر فرسايل عهدجمعية الأمم وجعلوه جزءا لايتجزأ من معاهدة فرسايل واعتبروا جميع الدول التي قاتلت في جانب الحلفاء وفي جملتها الحجاز أعضاءمؤسسة لجمعية الأمم بشرط أن توقع على هذه المعاهدة وتقر نصوصها . وأبى الحسين توقيع المعاهدة حينما عرضت عليه لانها أقرت مبدأ الانتداب لبلاد العرب ولا يتفق مع العهود الصريحة المقطوعة له باستقلالها

ولما عقد مؤتمر الحلفاء في لندن في شهر مارس سنة ١٩٢١ لدرس حالة الشرق الأدنى مثل الأمير فيصل والده في هذا المؤتمر وتلا الجنرال حداد باشا بيانا مطولا بسط فيه حالة البلاد العربية بسطا وافيا وانتقد مبدأ الانتدابات وقال انه مخالف لما عهد عند الحلفاء والده وقد نشرنا البيان برمته (انظر ص ٨٨ من الثورة العراقية في الجزء الثاني)

لورانس يزور جدة ويسعى للتوفيق

ولما صحت عزيمة الحكومة البريطانية في سنة ١٩٢٠ على انصاف العرب والوفاء لهم انسحب الكولونيل لورانس من عزلته وقبل منصب مستشار لوزارة المستعمرات في الشئون العربية ورافق المستر تشرشل وزير المستعمرات يومئذ في رحلته الى البلاد العربية فزار مصر والقدس في شهر مارس سنة ١٩٢١ وبعد انتهاء المهمة التي جاء لها قدم تقريرا الى

بلاده وقصد لورانس عدن وأقام فيها مدة ثم جاء جدة فقابل الحسين وكان يحمل مشروع معاهدة يريد من الملك اقرارها وقد صحبه فى رحلته هذه الجنرال حداد

وجاء الملك الى جدة لمقابلة لورانس ومعه نجلاه الأميران على وزيد والشيخ فؤاد الخطيب وكيل الخارجية وعدد من الحاشية

وافتتح لورانس الحديث فقال للملك ان هنالك دينا يراد توفيته ولا يتيسر دفعه برمته الآن ولكن يدفع منه قسط غير قليل على أن ينظر فى تسديد الباقى فى المستقبل فأجاب الملك أنت شرفت ولا بد من البحث والمناقشة وأهلا وسهلا

واستؤنف الاجتماع فى اليوم التالى وعرض لورانس على الملك مشروع المعاهدة فناقشه الملك وطلب أن ينص فى متنها على أن فلسطين مستقلة وداخلة فى الوحدة العربية فاعتذر لورانس عن قبول هذا الطلب وقال انه خارج عن حدود اختصاصه ثم ناقشه فى مواد أخرى وأصر فى الختام على تنفيذ العهود المقطوعة للعرب بحذافيرها فأفهمه لورانس أن هذا غير مستطاع فى الوقت الحاضر فقال انه لايقبل المشروع ولا يرفضه

وقال له لورانس فى أثناء المناقشة ان فلسطين لاتريدكم فأجابه ان هذا لايهمنا فأنا لاأطلب هذا لنفسى ولا لأولادى وكل مانطلبه هو أن تبر بريطانيا بوعودها للعرب واذا فعلت ذلك فأنا وأولادى نهاجر من بلاد العرب اذا لزم الأمر

وبعد أخذ ورد طويلين وافق لورانس على أن تضاف الى المعاهدة مادة ينص فيها على أن هذه المعاهدة لاتنقض أى عهد أو وعد قطع للعرب فى أثناء الحرب فلم يرض ذلك الملك واشترط تنفيذ العهود بحذافيرها على أن ينظر فى حالة سورية مع فرنسا على حدة

واجتمعت كلمة حاشية الملك على ضرورة قبول المشروع وألحت على الملك بتوقيعه واشتركت فى الالحاح أسرة الملك بما فيها الملكة وظل هو لوحده يصر على الرفض ، ولما ضايقوه بالحاحهم صعد الى سطح المنزل الذى كان يقيم فيه واتجه نحو الكعبة وأقسم بربها انه لايوقع معاهدة لاتحقق ماوعد به من وعود وانزوى لوحده فلما رأى أهله ذلك عدلوا عن مباحثته واتفقوا مع لورانس على أن يزور الأمير عبد الله فى عمان ويبت معه المشروع فيوقعه باسم والده ثم يرسله اليه فيقره وينتهى الأمر

وسافر لورانس الى عمان وأقام فيها أياما اتصل فيها بالأمير عبد الله ودرسا

مشروع المعاهدة على ضوء التعديلات التى أدخلت فى جـدة وعدل الأمير ماراًى الحاجة ماسة الى تعديله ثم وقعه وأرسله الى والده ضمن كتاب يرجوه فيه أن ينتدبه بعـد الاطلاع على المشروع لتوقيعه باسمه فأبى تسلم الظرف وأعاده مختوما الى ولده كما جاءه و بذلك قضى على هذا المشروع . وهذا نصه :

لما كان صاحب الجلالة الهاشمية الملك حسـين الناهض بالعرب مؤسس الدولة الهاشمية ومليـكها حامى حى بلد الله الأمين ومدينة جده سيد المرسلين من جهة وجلالة ملك البلاد المتحدة البريطانية وارلندا والاملاك البريطانيـة فيما وراء البحار وامبراطور الهند من جهة أخرى بالاصالة عن نفسيهما و بالنيابة عن ورثائهما وخلفائهما مدفوعين بالرغبة الخالصة لتوطيد وتقوية عرى الصداقة والولاء المؤسسة بين بلاديهما فى أثناء الحرب التى افتتحاها معا على الدول الجرمانية وتركيا ، ومحمولين أيضا برغبـة تمـكين مصالحهما وتأييد السلام الدائم والاتحاد بين الشعوب العربيـة

ولما كان صاحب الجلالة الهاشمية قـد سمى وعين صاحب السمو الملـكى الأمير عبد الله مفوضا من قبل جلالته لعقد معاهدة مع صاحب الجلالة البريطانيـة للوصول الى هذه الاغراض ولما كان صاحب الجلالة البريطانية قد سمى وعين المستر ف . ا . لوراس مفوضا من قبـل جلالته لعقد معاهدة للوصـول الى هذه الأغراض مع صاحب الجلالة الملك حسين

فقد اتفق صاحب السمو الملـكى الأمير عبد الله ومستر لورنس على مواد [illegible] وتعاقدا عليها

المادة الأولى ــ سيكون السلام والمودة دائمين بين صاحب الجلالة الهاشمية وصاحب الجلالة البريطانية وورثائهما وخلفائهما وقد اتفق كل من الفريقين المتعاقدين [illegible] على استعمال جميع الوسائل التى تبيحها قوانينهما [illegible] حركات موجهة ضد مصالح الآخر الحالية والمستقبلة [illegible]

المادة الثانية ــ تتعهد الحكومة البريطانية [illegible] والنفعية الميسرة لديها وخصوصا [illegible] الجلالة الهاشمية من المطامع [illegible]

المادة الثالثة ـ يتعهد جلالة الملك حسين بان يعمل مافى جهده لتنشيط استمرار صلات المودة والسلام بين جلالته وجيرانه الذين بينهم و بين صاحب الجلالة البريطانية صلات معاهدة و يمنع فى مناطق نفوذ جلالته وما تسرى عليه تابعية من الممالك كل ما يضر بمصالحهم مادة ومعنى ومصالح أحكامهم كما أنه على حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى استعمال نفوذها فيما اذا احتيج الى ذلك فى تسوية أى خلاف كان عند أى مسألة كانت بين صاحب الجلالة الهاشمية وأحد جيرانه الذين بينهم و بين صاحب الجلالة البريطانية صلات معاهدة

المادة الرابعة ـ قد بلغ مع هذا لجلالة الملك حسين المعاهدات المعمول بها بين حكومة بريطانيا والسيد محمد بن على الادريسى و بينها و بين السيد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود

المادة الخامسة ـ يعترف بهذا جلالة الملك حسين بالمعاهدات المذكورة فى المادة الرابعة الموجودة الآن بين الحكومة البريطانية والسيد محمد بن على الادريسى وكذا بينها و بين السيد عبد العزيز السعود

و يتعهد جلالته أن يحافظ على استمرار علاقات المودة التى كانت بين جلالته و بين هؤلاء الحكام قبل النهضة العربية وأن يحترم الصلات والحدود المتفق عليها سابقا فيما بينه و بينهم شرطا أن لا تغاير هذه الصلات والحدود مضمون المعاهدات المذكورة فى المادة الرابعة

المادة السادسة ـ اتفق وتواعد كل من الفريقين المتعاقدين العاليين على قبول معتمد الآخر والاعتراف به فيجوز لجلالة الملك حسين أن يعين معتمدا للحكومة العربية الهاشمية فى لندن ولصاحب الجلالة البريطانية أن يعين معتمدا بريطانيا يقيم فى جدة وأى مدينة أخرى على ساحل بلاد صاحب الجلالة الهاشمية ولا يعين صاحب الجلالة البريطانية معتمدا بريطانيا فى مكة والمدينة احتراما لصفتهما المأثورة وكذا سيكون لجلالة الملك حسين اذا أراد ذلك أن يعين وكيلا قنصليا فى انكلترا والقطر المصرى والهند ولصاحب الجلالة البريطانية أن يعين وكيلا قنصليا فى جدة وفى موان أخرى لصاحب الجلالة الهاشمية التى تراها الحكومة البريطانية من آن لآخر مناسبة ويتمتع هؤلاء المعتمدون والوكلاء القنصليون بالامتيازات السياسية والقنصلية المعتادة

المادة السابعة — يعترف بهذا جلالة الملك حسين بالاحتياطات المؤقتة الكورنتينات التى اتخذتها الحكومة البريطانية فى قمران كما تقتضيه شروط الاحتياطات الطبية المسنونة فى العقد الصحى الدولى العام سنة ١٩١٢ أو أى عقد صحى آخر يكون مقيداً للحكومة المذكورة

ومن جهة أخرى فان بريطانيا توافق على الاعتراف بالاحتياطات التكميلية التى يلزم اتخاذها فى جدة وفى موانئ أخرى من بلاد صاحب الجلالة الهاشمية تطبيقا للنصوص الطبية الواردة فى الاتفاقات أو الاتفاقيات المذكورة وذلك بمقتضى لوائح يصدرها جلالة الملك حسين

المادة الثامنة — تتعهد الحكومة البريطانية العالية بأن لا تتدخل بأى حال من الأحوال فى الاجراءات التى يتخذها جلالة الملك حسين لراحة الحجاج والاعتناء بهم داخل بلاد جلالته الهاشمية مع مراعاة ماجاء فى المادة العاشرة

ويتعهد جلالة الملك حسين من جهته بأن يساعد كل مجهود يبذله الرعايا البريطانيون المسلمون أو الأشخاص أو الجمعيات المشمولون بحماية صاحب الجلالة البريطانية للاشتراك فى سبيل رفاهية الحجاج فى الحجاز وصحتهم وتموينهم كما يفعل جلالته فيما يختص بعين زبيدة

المادة التاسعة — قد اتفق كل من الفريقين العاليين المتعاقدين على أن يحدد مبلغ معين على كل حاج بصفة رسوم وأن يعين مقدار لغاية أول يوم من جمادى الأولى من كل سنة وذلك للاحتياطات الصحية التى يتخذها كل منهما وستكون هذه الرسوم شاملة لمصروفات جميع الاحتياطات الصحية حتى يوم نزول الحجاج الى البر وتكون داخلة فى ثمن التذكرة التى تصرف من شركات الملاحة المختلفة وستولى جلالة الملك حسين على الرسوم المفروضة للاحتياطات التى تتخذ فى موانئ جلالته الهاشمية وبالمثل تستولى الحكومة البريطانية على الرسوم المفروضة على الاحتياطات التى تتخذ فى جزيرة (قمران)

المادة العاشرة — وافقت الحكومة البريطانية على أن تعترف بالتبعية الهاشمية لجميع رعايا جلالة الملك حسين الذين يوجدون فى أى وقت كان داخل بلاد صاحب الجلالة البريطانية والبلاد المشمولة بالحماية البريطانية أو الواقعة تحت الانتداب البريطانى شرط أن يكون هؤلاء

الرعايا الهاشميون حائزين على أوراق صادرة من جلالة الملك حسين تثبت التابعية الهاشمية لحاملها ووافق جلالة الملك حسين من جهته على أن يعترف بالتبعية البريطانية لجميع البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة فى بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانئ التى يمكن أن يعين صاحب الجلالة البريطانية وكيلا وقنصلا فيها

المادة الحادية عشرة ـ وافق جلالة الملك حسين على أن ممتلكات الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المختصين بحماية صاحب الجلالة البريطانية تسلم فى حال موتهم فى بلاد صاحب الجلالة الهاشمية الى الممثل البريطانى فيها أو الى أى سلطة يعينها لهذا الغرض ليتصرف فيها حسب القوانين التى تنطبق على الحالة ويراعى ممثل بريطانيا فى البلاد المذكورة أن الرسوم والضرائب الواجبة على تلك الممتلكات بمقتضى الشرائع الهاشمية تسدد فى حينها .

المادة الثانية عشرة ـ وافق بهذا صاحب الجلالة الملك حسين على أنه فى جميع القضايا التى تنشأ فى البلاد الهاشمية ويكون أحد الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية بريطانيا مدعيا فيها أو مدعى عليه يحضر ممثل قنصلى بريطانى فى المحاكم الهاشمية فى أثناء سماع القضايا وفى الأحوال التى يظهر فيها المعتمد البريطانى رغبة لأسباب عادلة فى اجراء مخابرات سياسية فى شأن القضايا مع صاحب الجلالة الهاشمية فتؤجل الأحكام ولا تنفذ خلال مدة المذاكرة ولا يجرى تنفيذ الحكم الصادر فى أى قضية كانت الا بعد الاذن من صاحب الجلالة الهاشمية

ولا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة فى بلاد صاحب الجلالة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانئ التى يمكن أن يعين صاحب الجلالة البريطانية وكيلا قنصليا فيها

المادة الثالثة عشرة ـ وافق جلالة الملك حسين على أن يسلم الرعايا البريطانيين أو المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية المقبوض عليهم بأمر من الحكومة الهاشمية أو السلطة القنصلية البريطانية فى الأحوال التى تضمن فيها السلطة المذكورة احضارهم متى طلبتهم منها الحكومة الهاشمية ولا تسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين الذين

يقيمون عادة فى البلاد الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانئ التى يمكن أن يعين فيها وكيل قنصلى بريطانى

المادة الرابعة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن تنظر السلطة البريطانية فى القضايا التى تقع بين الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية والتى لاتمس مصالح الرعايا الهاشميين . ولا تسرى أحكام هذه المادة فى الأحوال التى يرغب فيها الفريقان المتقاضيان أن يرفعا القضية الى المحكمة الهاشمية كالمنصوص فى المادة الثانية عشرة وكذا لاتسرى أحكام هذه المادة على الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المشمولين بحماية صاحب الجلالة البريطانية الذين يقيمون عادة فى البلاد الهاشمية خارج جدة والموانئ التى يمكن أن يكون فيها القنصل البريطانى أو وكيله

المادة الخامسة عشرة — وافق صاحب الجلالة البريطانية على أن يتنازل فى بلاد صاحب الجلالة الهاشمية عن جميع الامتيازات والاستثناءات التى يتمتع بها الآن الرعايا البريطانيون أو الأشخاص المشمولون بحماية صاحب الجلالة البريطانيـة بمقتضى الامتيازات الأجنبية بين بريطانيا العظمى والحكومة العثمانية الا ماذكر فى هذه المادة

المادة السادسة عشرة — وافق جلالة الملك حسين على أن يشعر المعتمد البريطانى فى جميع الأحوال التى يحتاج فيها الى نفى أحد الرعايا البريطانيين أو شخص متمتع بحماية صاحب الجلالة البريطانية من بلاد جلالته وأن المعتمد يكون مسئولا عن نفى الشخص المعين فى مدة معقولة

المادة السابعة عشرة — يعترف جلالة الملك حسين بموقف صاحب الجلالة البريطانية الخصوصى فى العراق وفلسطين ويتعهد أنه فى المسائل الواقعة تحت نفوذ جلالته الهاشمية فى البلاد يبذل استطاعته لمساعدة صاحب الجلالة البريطانية

المادة الثامنة عشرة — ثبت بهذا اعتراف الحكومة البريطانية بعلم صاحب الجلالة الهاشمية شرطا أن المراكب غير مراكب الحكومة التى ترفع العلم المذكور تكون مسجلة فى جدة أو ينبع أو فى أى ميناء محدود معلوم من بلاد صاحب الجلالة الهاشمية وأن تكون حائزة على أوراق صادرة من جلالة الملك حسين وتنطبق بصفة عامة على الشهادات والأوراق الرسمية التى تعطيها عادة الممالك البحرية الرئيسية لمراكبها

ويثبت جلالة الملك حسين من جهته بهذا اعترافه بالأعلام التى ترفعها المراكب التابعة لأى قسم من أملاك صاحب الجلالة البريطانية أو البلاد المشمولة بالحماية البريطانية أو الواقعة تحت الانتداب البريطانى بشرط أن المراكب التى ترفع هذه الأعلام تكون حائزة على الشهادات والأوراق الرسمية التى تعطيها عادة الدول البحرية الرئيسية لمراكبها

المادة التاسعة عشرة ـ يصرح بهذا كل من الفريقين المتعاقدين أنه أثناء مدة هذه المعاهدة لايدخل فى أية معاهدة أو اتفاقية أو تفاهم مع فريق ثالث يكون الغرض منه موجها ضد مصالح الفريق الآخر المتعاقد الحالى

المادة العشرون ـ لاينقلب أى شرط من الشروط الواردة فى هذه المعاهدة على أنه قيود تكون قد قيدت أو ستقيد فى المستقبل أحد الفريقين المتعاقدين بأحكام عهد عصبة الأمم أو بأى عهد آخر يمكن لعصبة الأمم أن تتخذه وأن يدخل فيه أحد الفريقين

المادة الواحدة والعشرون ـ يعمل بهذه المعاهدة من تاريخ التوقيع عليها من قبل صاحب الجلالة الهاشمية وصاحب الجلالة البريطانية وتبقى نافذة المفعول مدة سبع سنوات من ذلك التاريخ واذا لم يخبر أحد الفريقين العاليين المتعاقدين الآخر قبل مضى السبع السنوات المذكورة بستة أشهر بعزمه على فسخ المعاهدة فتستمر معمولا بها حتى مضى ستة شهور من اليوم الذى يرسل فيه أحد الفريقين المتعاقدين اعلانا بهذا

حررت هذه المعاهدة باللغتين العربية والانكليزية وستحفظ صورة كل منهما فى سجلات الحكومة الهاشمية والحكومة البريطانية . وقد وقع عليها فى عمان المفوضان المذكوران بعاليه فى اليوم الثامن من شهر ديسمبر سنة ألف وتسعمائة وواحد وعشرين ميلادية الموافق لليوم التاسع من شهر ربيع الثانى سنة ألف وثلاثمائة وأربعين

الحسين ومؤتمر لوزانه

ولما انتصر الترك على اليونان انتصارهم العظيم فى الأناضول فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٢ وتقرر أن يعقد مؤتمر دولى فى لوزان لحل مشكلات الشرق انتدب الحسين الدكتور ناجى الأصيل مندوبه فى لندن للسفر الى لوزان وتمثيله هنالك ومطالبة الحلفاء

بانصاف العرب وهذا نص البرقية التى أرسلها اليه [١]

« سافر الى لوزان لتبليغ رؤساء وأعضاء المؤتمر الموقر احتشاماتى وتعظيماتى وبأن لى الابتهاج أن أسترعى تأمل شهامتهم فى أبسط مستند وهو برقيـة وزير خارجية بريطانيا العظمى باللسان الآتى مآله أدناه الذى يسـتدل منه على درجة تعهد الحلفـاء للعرب أمام قيامهم ووقوفهم الحربى المشهودة نتائجـه ومصابهم بعد ذلك بالقنوط من حلفائهم الذى يمثله درجة التماسهم اليوم الوسائل الساذجة البسيطة للعيان والوفود على الانقرويين لتأمين بلادهم وأرواحهم

« ثم أورد هنا نص برقية وزير خارجية بريطانيا وهى منشورة بنصهـا فى الصفحة ٣١٤ (ج ١) ثم قال :

« فهل من مقتضى الشرف والشهامة الادبيـة أن يتنصل مما تفرضه عليـه هذه التصريحات والتعهدات وخلف أحكامها بكل ماأصاب العرب من بعد الهدنة وجعلهم اليوم أمام الاتفاقات التى تريدها يد أنقرة بكل وسـيلة ، هذا عائد على شرف وأخلاق حلفائهم والعالم الأوربى . ونحن يكفينا شرفا وفخـارا أننا أصحنا قربان الثقة بالحلفـاء وضحية الاعتماد على شرف عهدهم ووعدهم وانا نجهل نتيجة واقعـة قنوط جهور العرب وموقفهم بعد تلك الثقة والاعتماد »

(١) قدم الدكتور ناجى الأصيل ـ وهو عراقى تخرج فى الكلية الأميركية ببيروت وانضم الى الجيش العربى فى أثناء الثورة ـ جدة فى أوائل سنة ١٩٢٢ مندوبا عن المورد [illegible] صاحب شركة البنسولار اورينتال البريطانية الشهيرة للملاحة [illegible] اقتصادية لشركة المورد وأفهمه فى أثناء الحديث [illegible] مساعدة العرب ، فقال له [illegible] لندن ليسعى عند المورد . واجتمع مؤتمر [illegible] البرقية المذكورة فى شهر [illegible] سنة ١٩٢٢

مفاوضات ناجي الاصيل في لندن

وسافر الدكتور ناجي الأصيل الى لوزان واتصل باللورد كرزن وزير الخارجية البريطانية يومئذ ورئيس الوفد البريطاني الى المؤتمر فدارت مفاوضات طويلة بينهما انتهت بوضع مشروع لمعاهدة تعقد بين الحسين وبريطانيا لتصفية العهود القديمةوتنظيم العلاقات السياسية على منوال جديد

وغادر الدكتور ناجي لندن يوم ١٥ ابريل سنة ١٩٢٣ يحمل متن المشروع فبلغ القاهرة في ٢٥ منه وفي الغد سافر الى السويس وجدة فمكة فاستقبل الملك مندوبه بالحفاوة وتسلم منه المشروع

اعلان المشروع في مكة

واغتنم الحسين فرصة حلول عيد الفطر السعيد لسنة ١٣٤١ - ١٧ مايو سنة ١٩٢٣ وقدوم المهنئين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذا العيد المبارك لاشك في تضاعف يمنه حيث صادف قبول المراجع الايجابية لجميع المطالب العربية فلا ريب في أنه يوم اجتمع فيه عيدان : عيد الفطر السعيد وعيد الاعتراف باستقلال العرب ووحدتهم وهو يعلن ذلك للأمة العربية حاضرها وباديها ثم وقف رئيس الديوان الهاشمي العالي وألقى البيان الآتي:

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

نصرح في هذا العيد المبارك بمآل المعاهدة العربية البريطانية المؤسسة علىمقرراتنا الأساسية والتي يعترف بها صاحب الجلالة البريطانية لنا باستقلال العرب بجزيرتهم وسائر بلادهم وتتعهد لنا حشمته الملوكية بالمعاضدة الفعلية لتأسيس الوحدة العامة الشاملة لكل هذه البلاد بما فيها العراق وفلسطين وشرق الأردن وسائر البلاد العربية في جزيرة العرب ماخلا عدن فنأمر أن يعتبر هذا اليوم المبارك عيد الاعتراف باستقلال الأمة العربية والله ولي التوفيق

ثم ألقى الدكتور ناجي الأصيل الخطبة الآتية :

مولاي

نحمده تعالى ونشكره على هذه الوقفة الفريدة التي مننتم يامولاي علي بها لأقف

بين يدى جلالتكم فى هـذا اليوم العظيم لأقول كلمتى عن المعاهدة العربية البريطانيـة التى انتهت بحمد الله باعـتراف بريطانيا باسـتقلال العرب فى جزيرتهم وسائر بلادهم و بتعهد جلالتكم بالمعاضدة الفعلية لتأسيس الوحدة العربية

ان بداية هـذا الانقلاب الـكبير فى تاريخ الأمة العربيـة ظهر يوم نادى جلالتـكم بأمته مستصرخا اياها للنهوض وفك القيود لاعادة حريتها واستقلالها المغصوب . فيالها من نهضة مباركة قامت لحطمت سلاسل الاغلال القديمة والاستعباد وجاءت اليوم بالاسـتقلال والاتحاد وسيعرفها التاريخ بفتوحها العظيمة ومجدها المشيد . فالأمة العربية مدينة لـكم يامولاى فى العهود التى قطعتموها لحفظها وصيانتها من مصائب الحرب ونتائجها ، مدينـة لـكم فى هذا الاعتراف باستقلالها ووحدتها فـكما آنى ماقت الابواجب الوطن يوم لبيت النداء فتركت الجيش التركى والتحقت بجيوش جلالتـكم لأشـترك فى لدفاع عن استقلال بلادى العربية فى تلك المعركة الـكبرى فاليوم أيضا يامولاى بذهابى الى لوزان حسب أمر جلالتـكم للدفاع عن القضية العربية أمام المؤتمر ومن ثم الى عاصمة بريطانيا لمطالبتها بايفاء العهود لم أقم الا بنفس ذلك الواجب السامى الذى يفديه كل عربى صميم بروحه وماله وما تملـكه يداه أسأله تعالى أن يؤيد جلالة مولاى المنقذ الأكبر ويبقيه ذخرا للأمة العربية وأن يجعل هذا اليوم بدء كل خير لصالح الأمة العربية

وفى يوم ٢٧ مايو سنة ١٩٢٣ وصل الدكتور ناجى الأصيل الى القاهرة عائدا من مكة يحمل مشروع المعاهدة بعد ماوقعه الملك وأدخل عليه تحفظات جديده وفى يوم أول يونيو سافر الى لندن لا كمال مفاوضاته

ومع أنهم كتموا فى مكة ولندن نصوص المشروع ولم يذيعوها خوفا مما يحدثه نشرها من نتائج الا أن حكومة فلسطين مزقت حجاب الصمت فنشرت بموجب بلاغ رسمى أذيع فى القدس يوم ٥ يونيو سنة ١٩٢٣ خلاصة وافية للمعاهدة وهى :

هذه خلاصة المعاهدة التى جرت المفاوضة بشأنها بين حكومة جـلالة ملك بريطانيا وجلالة ملك الحجاز . وهى لم تبرم حتى الآن وقد اقترح جلالة ملك الحجاز ادخال تعديلات طفيفة عليها لم تعرف تفاصيلها تماما والبحث جار فيها

١٩٦٨

المادة الأولى ـ تنص على وجود سلم بين الحكومتين وعلى منع استعمال بلاد الحكومة الواحدة مرسحا للأعمال العدائية ضد الحكومة الأخرى

المادة الثانية ـ تنص على أن جلالة ملك بريطانيا يتعهد بالاعتراف باستقلال العرب فى العراق وشرق الأردن والولايات العربية فى شبه جزيرة العرب ماخلا عدن وأن يعضد هذا الاستقلال . أما فى مايتعلق بفلسطين فان صاحب الجلالة البريطانية يتعهد بأن لايجرى شيء فى هذه البلاد يمكن أن يجحف بحقوق أهلها العرب المدنية او الدينية . أما اذا أبدت احدى هاته الحكومات أوكلها رغبة فى عقد اتفاق جمركى أو خلافه بقصد ايجاد حلف عربى نهائى فان صاحب الجلالة البريطانية يسعى لتعضيد رغبتهم اذا طلب اليه ذلك أحد المتعاقدين ذوى الشأن

ويعترف صاحب الجلالة الهاشمية بالمركز الخاص الذى للجلالة البريطانية فى العراق وشرق الأردن وفلسطين ويتعهد بأن يبذل غاية جهده فى التعاون مع جلالته البريطانية على القيام بتعهداته فى المسائل التى تقع ضمن نفوذ جلالته الهاشمية بشأن هذه البلاد

المادة الثالثة ـ يتعهد جلالة ملك الحجاز باقامة العلاقات الودية التى وجدت قبل الحرب بين جلالته وحاكم عسير وحاكم نجد

المادة الرابعة ـ يتعهد صاحب الجلالة الهاشمية بأن يسعى فى تسوية المنازعات بشأن الحدود بين بلاده وبلاد حاكم عسير ونجد بمفاوضات ودية . ويتعهد صاحب الجلالة البريطانية بأن يسعى فى تسوية منازعات كهذه عند من يرغب فى ذلك

المادة الخامسة ـ يتعهد صاحب الجلالة البريطانية أن يعضد بجميع الوسائل السلمية والممكنة دفع أى اعتداء يقع على بلاد صاحب الجلالة الهاشمية ضمن الحدود التى قد تقرر نهائيا

المادة السادسة ـ تنص على تعيين وكيل من قبل جلالته الهاشمية فى لندن وعلى تعيين وكيل للجلالة البريطانية فى جدة أو أى مدينة ساحلية أخرى . ويجوز لصاحب الجلالة الهاشمية أن يعين قناصل من قبله فى انكلترا والهند . ويتمتع هؤلاء الوكلاء والقناصل بالامتيازات السياسية والقنصلية العادية

المادة السابعة ـ يعترف صاحب الجلالة الهاشمية بالترتيبات الصحية (الكورنتينات)

الموضوعة موقتا من قبل صاحب الجلالة البريطانية فى قمران قياما بنصوص الاتفاق الصحى الدولى الموضوع فى سنة ١٩١٢ ويتعهد صاحب الجلالة البريطانيـة أن يعترف بالتدابير المتممة التى قد تتخذ فى جـدة أوغيرها من المرافىء الواقعة فى بلاد صاحب الجلالة الهاشمية طبقا لأنظمة تصدرها جلالته

المادة الثامنة ـ يتعهد صاحب الجلالة البريطانية بان لايتدخل فى التدابير التى يتخذها صاحب الجلالة الهاشمية للعناية بالحجاج و يتعهد صاحب الجلالة الهاشمية أن يعضد المساعى التى يبذلها الرعايا البريطانيون المسلمون لمساعدة الحجاج فى الحجاز

المادة التاسعة ـ تنص على تعيين مبلغ محـدود يدفعه كل حاج وعلى نشر المبلغ المعين سنويا

المادة العاشرة ـ تنص أيضا على الاعتراف بالصفة الهاشمية التى لرعايا جلالته الهاشمية فى بلاد صاحب الجلالة البريطانية وكذلك تنص على الاعتراف من قبل جلالته الهاشمية بالصفة البريطانية التى لرعايا صاحب الجلالة البريطانية فى بلاد جلالته الهاشمية

المادة الحادية عشرة ـ تنص على تسليم أموال الرعايا البريطانيين الذين يموتون فى بلاد جلالته الهاشمية الى المعتمدين البريطانيين فى تلك البلاد . ويتصرف بتلك الأموال وفقا للقانون النافذ فى مثل هذه الأحوال

المادة الثانية عشرة ـ تنص على حضور قنصل بريطانى فى محاكم جلالته الهاشمية حين نظر المحاكم فى قضية يكون فيها أحد الرعايا البريطانيين متهما أو مدعى عليه وعلى تأجيل أى حكم اذا رغب المعتمد البريطانى فى اجراء مفاوضات بشأنه مع [illegible]

المادة الثالثة عشرة ـ تنص على تسليم صاحب الجلالة الهاشمية [illegible] من الذين تقبض عليهم السلطات الهاشمية الى القناصل البريطانيين [illegible] باحضارهم عند اللزوم ولا تسرى نصوص هذه المعاهدة على الرعايا البريطانيين المقيمين بصورة دائمة فى بلاد الحكومة الهاشمية خارج جدة وغيرها من الموانىء التى قد يعين صاحب الجلالة البريطانيـة قناصل فيها

المادة الرابعـة عشرة ـ تنص على رؤية قضايا الرعايا البريطانيين التى [illegible] رعايا الحكومة الهاشمية من قبل قناصل بريطانيا

المادة الخامسة عشرة ـ تنص على تنازل صاحب الجلالة البريطانية عن جميع الامتيازات والاستثناءات خلاف المنصوص عليها فى هذه المعاهدة التى كان الرعايا البريطانيون يتمتعون بها بمقتضى نظام الامتيازات بين بريطانيا وتركيا

المادة السادسة عشرة ـ تنص على اعلام صاحب الجلالة الهاشمية المعتمد البريطانى عند مايرغب جلالته فى ابعاد أحد الرعايا البريطانيين

المادة السابعة عشرة ـ تعالج الشروط التى يعترف بموجبها صاحب الجلالة البريطانية بعلم جلالته الهاشمية

المادة الثامنة عشرة ـ تصرح بأنه لايجوز لاحد الفريقين الساميين أن يعقد أية معاهدة أواتفاق مع فريق ثالث ضد مصالح الفريق المتعاقد السامى الآخر

المادة التاسعة عشرة ـ تنص على أنه لاشىء فى هذه المعاهدة يبطل تعهدات تعهد بها أوقد يتعهد بها فى المستقبل أحد الفريقين الساميين بمقتضى عهد جمعية الأمم

المادة العشرون ـ تنص على تصديق هذه المعاهدة وأنها نافذة المفعول لمدة سبع سنوات اعتبارا من اليوم الذى توضع فيه موضع العمل

صدى المعاهدة واحتجاج الفلسطينيين

وقد أحدث نشر هذه الخلاصة دويا شديدا فى فلسطين لأنها لا تحقق آمال أبنائها ولا تنقذهم من الخطر الذى يهددهم ، فأرسل موسى كاظم باشا الحسينى كتابا الى الحسين لفت فيه نظره الى مخالفة المعاهدة للعهود المقطوعة للعرب فتلقى الرد الآتى :

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : كتابكم رقم ١١ شوال سنة ١٣٤١ وصل وأدخل علينا مزيد السرور وهو المسئول سبحانه وتعالى أن يوفق الجميع لما فيه سعادة الدارين .

مولانا أؤكد لكم بهذا أيضا ان عزمنا الاساسى المؤملين تاييده بقدرة الله لا يمكن أن تتأخر عن واجباته مقدار شعرة وأملوا أنها حركة عليها نحيا وعليها نموت . والحقائق كما ذكرت تصلكم عقبه فكونوا واثقين بانه لا يعترينا فتور أوكسل فى سبيل تلك الغاية الشريفه التى لا نريد بها الا خدمة بلادنا وأبنائها اخواننا

فى ٢١ شوال سنة ١٣٤١ و ٧ يونيو سنة ١٩٢٣

المعاهدة والمؤتمر الفلسطينى السادس

وعقد الفلسطينيون مؤتمرهم السادس فى يافا يوم ١٦ يونيو سنة ١٩٢٣ لبحث مشروع المعاهدة فقرر باتفاق الآراء رفضها لأنها تناقض العهود المقطوعة للعرب ولحقوق الشعب الفلسطينى والمطالبة بالغاء السياسة الصهيونية [١] الخ

واختار المؤتمر فى أثناء اجتماعه وفدا للسفر الى لندن والاشتراك فى المفاوضات التى تدور بين مندوب ملك الحجاز والحكومة البريطانية للاتفاق على صيغة المعاهدة النهائية باسم فلسطين وتألف الوفد من موسى كاظم باشا الحسينى رئيسا وأمين بك التميمى ووديع أفندى البستانى وغادر فلسطين يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٣ الى لندن وظل فيها حتى ١٣ سبتمبر من تلك السنة

تصريح جديد للحسين عن المعاهدة

واشتد اللغط فى تلك الأيام حول مشروع المعاهدة وقيلت أقوال فاغتنم الحسين فرصة حلول موسم الحج وألقى بيانا على كبار الحجاج عن المعاهدة هذا نصه :

يهمنى من جميع الأقطار العربية ما يهمنى من أمر بيت الله الحرام وقد عرضت على الحكومة البريطانية معاهدة وجدت فى بعض موادها ما لا يتفق مع العهود المقطوعة لى فعدلت تلك المعاهدة تعديلا هاما نصصت فيه على استقلال فلسطين استقلالا تاما مطلقا يخول الفلسطينيين إدارة بلادهم بأنفسهم واختيارهم طريقة الحكم التى يريدونها وبذلك جعلت وعد بلفور فى حكم أنه لم يصدر وقضى عليه بالموت وفوق ذلك فانى طلبت فى التعديل أنه بعد عقد المعاهدة يؤمر المندوب السامى لفلسطين أن يصرح ـ بحضور مندوب من قبلى أمام ممثلى فلسطين ـ باستقلال الاقطار الفلسطينية استقلالا تاما مطلقا ودخولها صراحة فى الوحدة العربية صيانة للعهود البريطانية المقطوعة لى ، وأؤكد لكم أنه اذا لم تقبل الحكومة البريطانية التعديلات التى طلبتها فلا يمكن أن أوقع على المعاهدة بل أرفضها رفضا باتا وكونوا على ثقة أنه لا يمكن أن يذهب شبر من أراضى فلسطين وأنا

(١) نشرنا نص هذا القرار فى بحث القضية الفلسطينية

٤

الحسين فى شرق الاردن

وبر الحسين بوعده للفلسطينيين فغادر مكة يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ الى جدة ثم زار ينبع والمدينة المنورة ثم جاء العقبة ومنها قصد عمان للاجتماع برجال فلسطين ومفاوضتهم فى مشروع المعاهدة واتخاذ قرار حاسم فوصلها يوم ٨ يناير سنة ١٩٢٤

وانتدبت اللجنة التنفيذية العربية فى القدس وفدا برئاسة موسى كاظم باشا الحسينى قوامه أمين التميمى وحافظ طوقان وشكرى التاجى وعونى عبد الهادى فجاء الى عمان وقابل الملك وباحثه فى المشروع وأبلغه نص قرار المؤتمر الفلسطينى السادس فقال الحسين انه لا يعاهد عهدا ولا يبرم أمرا بشأن فلسطين ومصيرها قبل أخذ رأيهم ونيل موافقتهم وقال لهم انه ينزل على ارادتهم ويتبع قراراتهم بشرط أن لا تخرج عن دائرة الحكمة والروية واقترح عليهم أن يضعوا ميثاقا وطنيا يضمنونه خلاصة مطالبهم وأمانيهم ليعمل على تحقيقه . وجاء السر هربرت صموئيل المندوب السامى البريطانى لفلسطين والسر جابرت كلايتن السكرتير العام لهذه الحكومة وفاوضاه فى اشتراك الحجاز بمؤتمر الكويت وألحا عليه بضرورة ارسال مندوب اليه فامتنع بادىء بدء محتجا بأن المؤتمر مؤلف من حكومات مشمولة بالنفوذ البريطانى وهى نجد والعراق وشرق الاردن خلافا للحجاز المستقل استقلالا تاما وبعد تردد طويل وافق على انتداب نجله الامير زيد ليمثله فيه بشرط أن يحضره أحد أمراء السعوديين وعلى أن تكون مهمة مندوبه بسط وجهة النظر الحجازية وهى تقوم على عدم الاعتراف بما طرأ على الجزيرة من تبدل سياسى وجغرافى بعد الحرب واعادة الحالة الى ما كانت عليه سنة ١٩١٤

مفاوضات مع اليهود

وانتدبت اللجنة التنفيذية الصهيونية وفدا قوامه الكولونيل كش وكبير حاخامى اليهود فى فلسطين حمل مضبطة الى الملك لتسليمها اليه وتحيته باسمها وخطب الأول بين يديه مرحبا بقدومه ومتمنيا أن يتم الاتفاق بين العرب واليهود على يده فرد عليه بما يأتى :

ياحضرة الكولونيل

لقد قلت ما يجب أن يقال فى معنى الجواب على خطابكم والعريضة المرسلة الىّ من اللجنة التنفيذية الصهيونية على يدكم والتى تليت بحضورى الآن فى جواب قيل لحضرة خام باشى الموقر ولكن علاوة على ما سبق أقول لكم الآن انى أشكر اهتمام الهيئة التى بعثتكم بكتابها الى هنا وأزيد عليه بقولى ان من الواجب علينا خدمة البشرية والسعى للمساواة بين أبنائها الذين جعلهم الله فى ذمتنا وتحت رعايتنا واننا كما تعلمون لسنا ممن ينكرون ما كان بيننا و بين الأمة التركية من الصلات والروابط القديمة القوية التى قاتلنا فى سبيلها العرب بالعرب لأجل تحكيم تلك الروابط ولاعتقادنا بأن سلامة العموم منحصرة فى تقوية هذه الروابط وأهمها الاسلامية وأن ذلك الشعور لم يكن عن سدى بل هو حقيقة قائمة فى نفوسنا ولكن لما دعتنا بريطانيا العظمى لانتهاز الفرصة فى الحرب العامة للسعى للمحافظة على حقوقنا القديمة واستقلالنا الفعلى الذى لايشوبه أى شئ أقدمنا على ذلك العمل العظيم وأخذنا على عاتقنا مسئوليته أمام الله والتاريخ وخصوصا علمنا بما يقال ـ فى معنى حربنا فى ذلك الوقت الحرج مع تلك الدولة الاسلامية ولمجرد حفظ كيان قوميتنا وتحقيق آمال شعبنا لذلك أقول ياحضرة الكولونيل يجب أن تعلموا كيف تتحتم الاستماتة فى سبيل مااستهدفنا اليه وأن نضحى من أجله كل عزيز ولا نسمح بالنكوص عن ذلك والرجوع عنه . ومع هذا فانكم اذا أحببتم الدخول علينا ومواطنتنا على الطريقة التى تدخل بها الأمم على الأمم فاننا نرحب بكم ونحترمكم ونساعدكم وتساعدوننا يابنى اسرائيل خصوصا وانا نحن العرب أحرص الناس على الشهامة والوفاء وهاهم الاسرائيليون بين ظهرانى العرب عندنا يتمتعون بكل مايتمتع به سواهم من السكان فى الحقوق وكافة مقتضيات العدل والانصاف فى المعاملات ولا فرق عندنا بين النصارى واليهود فى الأديان »

والمفهوم أن اللجنة الصهيونية اقترحت على الملك فى كتابها أن تحل القضية الفلسطينية على المنوال الآتى :

١ ـ انشاء حكومة عربية فى فلسطين يرأسها الأمير عبد الله
٢ ـ تكون العربية والعبرية لغة هذه الحكومة
٣ ـ يخضع اليهود لهذه الحكومة ويساعدون على انشائها
٤ ـ تحدد الهجرة الصهيونية الى فلسطين بنسبة الحاجة
٥ ـ يساوى بين العرب واليهود فى الوظائف

وقد رفض الملك مبدئيا قبول هذه الشروط قاعدة للمفاوضة لانها تحقق وعد بلفور وتشد بنيانه

مبايعته بالخلافة

وجاءت الأخبار وهو فى عمان بأن الترك ألغوا الخلافة وطردوا سلائل الخلفاء من بلادهم فسعى الأمير عبد الله لأخذ البيعة لأبيه بالخلافة فتم له ماأراد وجرت البيعة يوم ١٢ مارس سنة ١٩٢٤ فى عمان ، وغادر الملك عمان يوم ٢٠ منه عائدا الى مكة يحمل لقبا جديدا هو لقب الخلافة

نداء الحسين الى الشعب البريطانى
ورد رئيس الوزراء عليه

وبينما كان الحسين يعد معدات الرحيل الى عمان لمقابلة زعماء فلسطين والاتفاق معهم على الخطة التى يسير عليها وجه نداء الى الشعب البريطانى صدر من مكة يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٣ فترجم فى مصر الى الانكليزية وطبع فيها وأرسل الى رئيس الوزارة البريطانية والوزراء وعدد من النواب واللوردات والصحف ونشر فى لندن يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وهذا نصه العربى :

الى الأمة البريطانية

من الحسين بن على

بناء على مااشتهر به الشعب البريطانى الكريم من الثبات والنزاهة وهى الصفات المعروفة لى شخصيا رأيت أن أعرض على ضميره الصادق وحكمه السليم آرائى فى الحيف الذى أصاب قومى العرب فى بلدانهم المختلفة

لقد لبيت دعوة حكومة جلالة الملك لانى كنت أعتقد أن فى دعوتها منافع مادية وأدبية متبادلة وهو اعتقاد أعترف بان الحكومة البريطانية كانت تشاطرنى اياه

ولم تكن تلبيتى لهذه الدعوة تتنافر مع شئ من العواطف القومية أو الدينية بدليل ماجاء فى منشوراتى الرسمية العديدة فقد نهضت مع شعبي بعد نيل ضمانات تضمن مصالحهم ومستقبلهم وخضت غمار القتال جنبا الى جنب وكنت وطيد الايقان باننا نحارب فى جانب شرف الأمة البريطانية كلها لافى جانب أفراد تفصم العرى التى تربطنا بزوالهم ومثلى يعنى بشرف الأمة البريطانية وشهامتها وعظمتها فأقدمت على خوض القتال وأنا ممتلئ ثقة فى حين كانت فيه كفه الخصم راجحة فى كوت الامارة والقنال والدردنيل وجميع ساحات الحرب فى أوربا وواصلت اشتراكى وشعبي الى النهاية والى ان تقشعت السحب السوداء المتلبدة وكانت تنذر بحرب دينية فى الشرق تكون بعيدة المدى والعواقب وضربت المثل الأعلى للعالم فى سعة الصدر والتسامح والدفاع عن المبادئ السامية فلبى العرب دعوتى فى العراق وسورية وفلسطين وكانت بيدى وثائق الساسة المسئولين وتصريحاتهم الرسمية والخصوصية التى فاهوا بها على رؤوس الاشهاد وكلها مجمع على أن العرب سيفوزون بوحدتهم واستقلالهم مكافأة لهم على ولائهم وأن مصائبهم ومحنهم ستزول وقد وضعوا ثقتهم وآمالهم بعد الله فى شرف الأمة البريطانية . ومما يشهد بذلك ويثبته أيضا أنهم أبوا صلحا منفردا يعقد مع العدو الذى عرض عليهم أن ينيلهم استقلالهم وقطع لهم المواثيق الرسمية والضمانات المؤكدة وذلك لان العدو أخذ يشعر بتأثير الصدمة الشديدة الأدبى والمادى من جراء قتال العرب فى جانب بريطانيا العظمى وحلفائها

وكان من نتائج هذا الولاء والوفاء تلغراف رسمى ورد من وزير الخارجية البريطانية

يؤكد به وحـدة العرب واستقلالهم وتصميم الحلفاء على تحقيقها وأنه يستحيل أن يعقدوا صلحا الا اذا نص فى شروطه الأساسية على حرية شعوبنا واستقلال بلدانهم وقد أرسـل هـذا التلغراف باسم حكومة جلالة الملك البريطانيـة وأبلغه المعتمد فى جـدة يوم ٨ فبراير سنة ١٩١٨

فلهذه الأسباب ألفت نظر الأمة البريطانية الى ماحل بحلفائها العرب الذين لايزالون يعدون أنفسهم حلفاءها على قلة مافى العالم من الحلفاء الحقيقيين اليوم فقد مزقت وحدتهم وقطعت أوصالها وتفـكـكت بلدانهم وصارت محتلة وأخذالعالم الاسلامى خاصة والسواد الأعظم من قومى يرميانني بتهمة أنى بعت بلدانهم لبريطانيا العظمى وحلفائها وهى فرية تـكفى لتلطيخ كرامة بيتى وتسويد تاريخه و وصمة لايصبر عليها حتى الذين تجردوا من كل معانى الشرف وكرم الشيم ولا أعرف أن العرب ارتـكبوا مايستحقون أن يعاملوا لأجـله هـذه المعاملة الا ثقتهم المطلقة ببريطانيا العظمى ووفاؤهم لها ان صح أن يعد هذا جناية حقيقية

فالعرب المدفوعون بآخر شرارة فى جوانحهم من الوفاء لحليفتهم العظيمة و بما فطر عليه جنسهم من عرفان الجميل والوفاء بالعهود يرغبون الى أن أبلغ الشعب البريطانى انهم لايبغون بهذه الأقوال أن يباهوا بفعلهم أو يمنوا بمساعدتهم أو ينـكروا على بريطانيا العظمى حقها فى ضمان مصالح شعبها أو يعارضوا فى صـدق وطنية الأمة البريطانية ولـكنهم يرون من الانصاف ألا تنحصر هذه الصفات فيها بل أن تـكون فى سواها أيضا . وقد جاء فى الحديث الشريف « حب الوطن من الايمان » فالعرب والحالة هذه حائرون كيف يوفقون بين وطنيتهم و وفائهم لحلفائهم .

ولهذا أرغب فى أن أصف فى رسالتى هذه دهشتى وحالتهم الحاضرة للشعب البريطانى الـكريم لئلا يقع عليهم لوم ما اذا توسـلوا بوسائل أخرى الى درء هـذا الذل العظيم الذى يسود تاريخهم المجيد غير مكترثين للعواقب مهما كانت والا انطبق عليهم حق المثل القائل « فر من الموت وفى الموت وقع » وهـذه أبسط تهمة يلصقها بهم أعداؤهم إذ يحق لهم أن يخاطبوهم بقولهم « لو بقيتم كما كنتم قبلا لنجوتم من جميع هذه البلايا والرزايا »

أما الحجاز فقد كان متمتعا بامتيازاته واستقلاله فى الماضى . و يستحيل الصبر على موقف الأمة العربيـة فى عيون العالم الاسـلامى والشرق عامة فى عيون أنفسهم وفى مرآه

تاريخهم وأن ينظر اليهم كخونة ظالمين . ان هـذا الموقف الشائن مما يستحيل قبوله والتسليم به

ولست فى ماأقول منذرا ولـكنى مذكر ، فقد كانت شهرة بريطانيا العظمى أساس عظمتها فى الشرق وهذه الشهرة أعظم نفوذا من أساطيلها العظيمة ومن جيوشها الجرارة فهى فى حاجة الى تجديد مكانتها أقول ذلك بصراحة العربى واخلاصه

وعلى بريطانيا العظمى أن تبدأ بمعاملة العرب الذين حالفوها ووالوها الى يومنا هذا مع كل ماطرأ من الطوارئ من اليوم الذى كانت فيه الحرب حقيقة بادية للعيان الى أن صارت خفية مستورة ولا أطيل الـكلام فى هذا الصدد ولـكنى أرجو أن تشرع الأمة البريطانيـة فى أن تلقى عن عاتقها جميع هـذه الأعباء وأن تنصف العرب حلفاءها الأوفياء وخير لها أن يكون لها حليف متحد قوى مستقل من أن يكون هـذا الحليف ممزقا مقطع الأوصال ذليلا كما هى حالة العرب الآن ولا يعلم الا الله الى أين يسوقهم قنوطهم بعد ماطفح الـكيل

أقول ماتقدم مدفوعا اليه بعامل الاخلاص والوفاء لما علىّ من العهود والواجبات

البلاط الهاشمى بمكة ـ ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٣

مفاوضات لندن الجديدة

وتفسير وعد بلفور

وصل الدكتور ناجى الأصيل الى لندن فى شهر يوليو سنة ١٩٢٣ يحمل تحفظات الملك حسين على المشروع الذى حمله اليه وقد وصف الحسين تحفظاته بقوله « ولقد عدلت المشروع تعديلا هاما ونصصت فيـه على استقلال فلسطين اسـتقلالا تاما مطلقا يخول الفلسطينيين ادارة بلادهم بأنفسهم واختيارهم طريقـة الحـكم التى يريدونها وبذلك جعلت وعد بلفور فى حكم أنه لم يصدر وقضيت عليه بالموت » وأخذ يفاوض ولاة الأمور البريطانيين لاقناعهم بقبول تحفظات الملك الشيخ وقبل أن تقترن محادثاته بنتيجة سقطت وزارة المحافظين وقامت وزارة العمال برئاسة المسترمكدونلد وأعلن فى لندن يوم ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٣ بطريقة شبه رسمية ان المفاوضات الدائرة بين وزارة الخارجية ومندوب ملك الحجاز انتهت وان الحكومة البريطانية تخير العرب بين أمرين :

فاما أن تدخل فلسطين فى المعاهدة وينص فيها على قبول وعد بلفور بعد تفسيره تفسيرا رسميا بأنه لا ينطوى على انشاء حكومة يهودية فى فلسطين التى تسكون موطنا عاما لليهود يلجأون اليه متى شاؤا وذلك طبقا للكتاب الابيض الذى نشرته الحكومة البريطانية فى هذا الشأن

« واما اخراج فلسطين نهائيا من المعاهدة والسكوت عنها وانشاء الاتحاد العربى من العراق وشرق الاردن والحجاز »

وأضافت وزارة الخارجية على ذلك « ان الأمر أصبح بين يدى الحسين فاذا قبل أحد المشروعين ـ وهو كل ما تستطيع الحكومة البريطانية أن تمنحه ـ انتهى الخلاف ووقعت المعاهدة » ونحن فى غنى عن القول انه ما كان على استعداد لقبول مثل هذا المشروع بعد مارفض المشروعات العديدة التى عرضت عليه وهى لا تختلف عنه الا من جهة الصيغة

ولجأ الحسين الى طريقة ديبلوماسية لانقاذ الموقف فابرق من عمان فى يناير سنة ١٩٢٤ الى المستر مكدونلد رئيس الوزارة ووزير الخارجية طالبا افتتاح مفاوضات جديدة وارسال مندوب بريطانى الى الحجاز أو قبول مندوب حجازى فى لندن فرد عليه ببرقية قال فيها « ان معتمد بريطانيا فى جدة هو الواسطة المثلى للمخاطبات بين الحكومتين وقال انه لا يمكن الحكومة البريطانية أن تعامل مندوبا آخر يرسله الحجاز معاملة المندوبين السياسيين قبل التوقيع على المعاهدة »

وفى يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٢٤ وصل الدكتور ناجى الأصيل الى بورسعيد قادما من لندن وسافر الى مكة يحمل النص النهائى للمشروع كما أقرته الحكومة البريطانية فلم يقبله الملك ووضع عليه تحفظات جديدة تقضى بانشاء حكومة دستورية فى فلسطين لزيادة كفالة حقوق أهلها وقال انه مستعد لقبول آراء بريطانيا العظمى فى أمور أخرى اذا قبل اقتراحه .

وغادر الدكتور ناجى مكة فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٤ بطريق العقبة وعمان ثم جاء القاهرة وفى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٤ غادر القطر المصرى الى لندن لاتمام المفاوضات وقبل أن يصلها وردت الأخبار بمهاجمة السعوديين للحجاز واحتلالهم الطائف وتلا ذلك ماتلاه

من تنازل الملك حسين وسقوط مكة فقطعت الحكومة البريطانية المفاوضة مع الدكتور ناجى وأذاعت يوم ١٥ اكتوبر سنة ١٩٢٤ بلاغا قالت فيه «انه بالنظر لتنازل الحسين عن الملك فليس فى وسع الحكومة البريطانية أن تواصل المفاوضة فى شأن مشروع المعاهدة مع الحجاز كما عدله الملك الحسين »

وقد رد الدكتور ناجى الأصيل على هذا الاعلان بمذكرة رسمية سلمها الى وزارة الخارجية البريطانية وقال فيها ان الملك عليا لم يشاطر قط الملك الحسين رأيه فى ماأدخله على المشروع من تعديلات ولذلك تعتبر كأنها لم تكن وتبقى المعاهدة كما كانت فى شهر يونيو الماضى عند ما وافقت الحكومة البريطانية عليها مبدئيا . وأصرت الحكومة البريطانية على رأيها ولم توافق على فتح باب البحث مع الملك علىّ لعقد المعاهدة لأنها اعتبرت نفسها فى حل من العهود التى قطعتها للحسين ولعلها حسبتها عهودا شخصية تزول بزوال الشخص المقطوعة له مع أنها فى الواقع عهود سياسية قطعت للعرب كلهم لا للحسين وحده يؤيد ذلك ماصرح به المستر لويد جورج فى جلسة مجلس النواب البريطانى يوم ٢٠ مارس سنة ١٩٢٣ فقد طلب من الحكومة البريطانية أن تنشر جميع المستندات والاوراق المتعلقة بالعراق والقضية العربية وفى جلتها اتفاق سايكس ـ بيكو وقال ان العرب اعتمدوا على قوة العهود المقطوعة لهم ومتانتها وليس فى الطاقة نقض هذه العهود ونكثها فان عهد امبراطورية عظيمة ليس قصاصة ورق . وأيد المستر اسكويث (رئيس الوزارة البريطانية التى قطعت العهود للعرب فى عهده) المستر لويد جورج فى طلب النشر فوعدتهما الحكومة ولم تفعل

الحالة فى الطائف ــ وكان المهاجمون قطعوا الأسلاك البرقيـة . فسلك طريق عثمان وأدرك الأمير على عنـد الظهر أن وجوده داخل السور لايفيد فخرج فى الساعة الرابعة بعد الظهر مع بعض رجاله قاصدا وادى المحرم للاجتماع بقواه التى وصلت اليها على أن يكر بها على الطائف فينقذها و يطرد المهاجين ، وقد فشلت هذه الخطة بسبب الاضطراب الذى ساد بعد سفره . وقد لحق به على الأثر صبرى باشا والشريف شرف بن راجح القائمقام فهجم بعض الموظفين والسكان على الأبواب وفتحوها عنوة معلنين انهم لايريدون الحرب وهددوا الجند بالضرب ان لم يكف عن القتال حفظا لأرواحهم وخوفا من خراب ديارهم فغادر الجند البلدة ليلا بعد ما عطل المدافع والرشاشات . ودخل النجديون البلدة فى صباح ٧ منه بعد مارفع سكانها العلم الأبيض شارة التسليم ونهبوها وفتكوا بسكانها الذين وقعوا فيما حاذروه . وقد أنكر ابن سعود على رجاله مافعلوه وتبرأ منهم وجاء فى بلاغ شبه رسمى أصدرته حكومة نجد عن هذا الحادث مانصه :

«لما صارت القوة المهاجمة على أبواب الطائف وجدت قوات الحسين تغادرها على جناح السرعة فدخلتها ودخلها البدو الحجازيون ولم تمض ساعة حتى امتلأت بهم واختلط الحابل بالنابل والعدو بالصديق وأنكر الابن أباه والأخ أخاه . وقد قام البـدو الحجازيون الذين كانوا يحاربون مع الشريف بأعظم أدوار السلب والنهب»

وتبدل الموقف العسكرى بعد سقوط الطائف و بعد تشتت القوى التى كانت فى داخلها ولم يعد فى استطاعة قوات الأمير على أن تهاجمها ولذلك قرر أن يحشد جوعه فى الهـدى وتبعد خمس ساعات عن الطائف غربا وتعلو على سطح البحر ١٦٠٠ متر وتسيطر على وادى المحرم فارتد اليها صباح ٧ منه

وفى صباح ٨ منه غادرها بأمر والده وكان يدير حركات الجيش من مكة الى بازان فى جوار عرفات فبلغها صباح ٩ منه وأقام فيها يستعد للقيام بغارة جديدة

وفى صباح ٢١ منه غادرت القوة بازان الى الهدى ثانية وذلك بطلب عربان ذاك الجوار الذين ألحوا على الملك بارسالها ليشتركوا معها فى استرداد الطائف كما قالوا ، وكان الملك ينتظر ورود قبائل حرب فتسلك طريق اليمانية لحمايتها فلم تحضر وبذلك ظل هذا الطريق مفتوحا

وما كان عدد الأشراف الحرث الذين يدافعون عنه يزيد عن الخمسين بقيادة الشريف على ابن الحارثية

وقعد العربان عن تأييد القوة وشد أزرها خلاف ما وعدوا ، وشعر الأمير بذلك وأدرك أن معظم القبائل انضم الى السعوديين وانها قد تضرب من الوراء فأحكم موقفه فى الهدى وحصنه للدفاع عن مكة . ورأى قادة الجيش السعودى وكانوا يطلعون على حركات الجيش الهاشمى بواسطة عربان الديرة الذين كانوا يبلغونهم كل حادث فى حينه أن يعجلوا فى الاستيلاء على الهدى فاعدوا عدتهم بالاتفاق مع عربان طويرق النازلة فى الهدى وحملوا حملة صادقة فى منتصف ليلة ٢٦ صفر من القلب والجناحين ولما كانت الليلة حالكة السواد وكان دليلهم من أبناء الديرة فقد بلغوا الأماكن الأمامية لخط الدفاع الأصلى من دون أن يراهم أحد أو يشعر بهم أحد . وفاجأهم الجند حينما أصبحوا على مسافة ٥٠ مترا فاستمرت الحرب الليل بطوله وفى الصباح انسحب الجند من الخط الأمامى الى الخط الأصلى وأصلى المهاجين نارا حامية من الرشاشات ففتك بهم

وظهر لقيادة الجيش حينما طلعت الشمس أن عربان الديرة انضمت الى السعوديين وانها تقاتل فى جانبهم وان بعضها اعتصم بالجبال وأخذ يطلق الرصاص على الجيش من الوراء فقررت الانسحاب خوفا من قطع خط الرجعة ولئلا يقع الجند بين نارين وقد انقلب الانسحاب الى هزيمة بعد ذلك لان بدو الديرة كانوا يطلقون الرصاص على الجيش فى تراجعه و بلغ بازان فى الغداة فخيم فيها وأخذ يجمع صفوفه وقواه

وقد كان لارتداد الجيش على هذا المنوال أسوأ تأثير فضعفت القوى الأدبية فى نفوس الحجازيين وكثر المنضمون الى السعوديين وفى جملتهم بعض الأشراف وعلى رأسهم الأشراف الحرث الذين أخذوا يهددون طريق مكة ــ جدة

ولما وصلت الحالة الى هذه الدرجة من الخطورة جمع الحسين الأشراف وسألهم عن رأيهم فى الحالة فقرروا الانسحاب الى جده وبدأوا فأرسلوا النساء والأطفال و بينهم عائلة الحسين نفسه

آحمد حماد . محمد سرور الصبان . عابد مفادى . عبد الرحمن باجنيد . عثمان باعثمان . امين سفباوه . حسين محمد نصيف . أحمد بن عبد الرحمن

فأجاب الحسين على هذه البرقية ببرقية وجهها الى جميع موقعى التلغراف السابق كل باسمه :

لابأس وقد أشرنا لكم بقبول التنازل بكل ارتياح وانا ليس لنا رغبة الا فى سكينة البلاد وراحتها وسعادتها فالآن عينوا لنا مأمورين ليتسلموا البلاد والشغل بكل سرعة ونحن نتوجه فى الحال وان أخرتم من يتسلم البلاد ووقع حادث فأنتم المسؤولون عنه والأشراف عندكم كثير موجودون أرسلوا أحدا منهم أو سواهم وعلاوة على هذا اذا قبل منكم ابنى على الأمر فعينوه رأسا

فردوا عليه بالبرقية الآتية :

الحالة حرجة جدا ولا وقت للمخابرات فان كنتم لاتتنازلون للأمير على فنسترحم ملسان الانسانية أن تتنازلوا جلالتكم حتى تتمكن الأمة من تشكيل حكومة موقتة حقنا لدماء الأبرياء من المسلمين ويمكنها المخابرة مع من يرون طريقة لسجانهم ليعينوا من شاءوا واذا تأخرتم عن اجابة هذا فدماء المسلمين ملقاة على عاتقكم والرجا نزولكم على رأى الأمة

فأجاب الحسين تليفونيا :

أتشكر عن رغبتكم فى تنازلى ولكن لغير الأمير على وهذا ماأصرح لكم به وأرجوكم الافادة سريعا ولا عندى غير هذا بصورة قطعية ومسئوليته على" ومؤاخذته عائدة على" فكأنى لم أفعل شيئا وانى بكل رجاء أرغبكم أن تعينوا شخصا غير على بكل سرعة حتى يتم المقصود وهذا أول وآخر ماأقوله بكل ممنونية وارتياح هذا اذا كان لكم شفقة حقيقة على البلاد

ثم أرسل البلاغ الآتى الى الأعيان بواسطة قائمقام جدة

تصميمى على الاعتزال أؤكد لكم بهذا أيضا طلب تعيين من يتسلم البلاد ومعاملاتها فى يومنا هذا بكل سرعة فان الفوضى التى ذكرتموها فى برقيات طلبكم اعتزالى الأمر وقعت الآن بداعى اشهاركم رغبة تنازلى وانى لا أقبل أى مسؤولية تقع اذا لم تسارعوا اليوم

فى تعيين من يقبض على البلاد ومعاملاتها لاتوجه فى الحال الى الجهة التى يختارها لى المولى على طريق جدة وهــذا ليس فرارا من أى شىء تتصورونه كلا ثم كلا بل لئلا تتضاعف التصورات والظنون بنا حين جواب الهيئة

بيعة الملك على

وعلى أثر ذلك اجتمع الناس فى دار الحكومة بجــدة وجاء سمو الامير على فجرت بيعته بالملك وذلك يوم ٥ ربيع الأول وألقى السيد طاهر الدباغ الخطبة الآتية :

بناء على طلب الأمة قدتنازل جلالة والدكم وذلك بموجب برقيته المؤرخة فى ٤ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ رقم ٦٩ وقررت الأمة نهائيا البيعــة لجلالتــكم ملــكا دستوريا على الحجاز فقط على شريطة أن تنزلوا على رأى الأمة فى تحقيق آمالهم ورغائبهم فى اصــلاح شؤون البلاد المادية والمعنوية وأن يكون للبــلاد مجلس نيابى وطنى ينتخب أعضاؤه من عموم الأقطار الحجازية بموجب قانون أساسى تضعه جمعيــة تأسيسية كما هو جار فى الأمم المتمدنة ومهمته ادارة الأمور الداخلية والخارجية بواسطة وزارة دستورية مسئولة أمام المجلس وحيث ان الوقت ضيق الآن عن تشــكيل المجلس الوطنى النيابى فقد رأت الأمة أن تشــكل هيئة لمراقبــة أعمال الحكومة حيث لا يمكن لها اجراء أى عمل بدون تصــديق الهيئة وموافقتها واننا نبايعك على ذلك وعلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله »

وعلى أثر انتهاء حفلة المبايعة أرسل السيد طاهر الدباغ البرقية الآتيه الى الحسين :

بحمد الله ومساعى مولاى قد تمت البيعة لجلالة نجلــكم المعظم وقد فاوض جلالتــه من يلزم فى تسلم البلاد وادارة شؤونها فالمنتظر من مولاى مبارحته البلاد بكل احترام تهدئة للاحوال

ولما وصلته هذه البرقية أجاب عليها بالبرقية الآتية وقد أرسل نسخا منها الى أعضاء هيئة جده كلا باسمه :

مع الممنونية والشــكر . هذا أساس رغبتنا التى أصرح بها منذ النهضة والى تاريخه وقد صرحت قبله ببضع دقائق انى مستعد لذلك بكل ارتياح اذا عينتم ذاتا غير على وانى منتظر هذا بسرعة وارتياح لأنه ليس لى غاية الا راحة البلاد وسكانها وكل مايستلزم سعادتها.

ولما اطلع الحسين على خطبة البيعة وما نص فيها من وضع دستور للبلاد وانشاء مجلس نيابى منتخب أرسل الى قائمقام جدة الكتاب الآتى :

وقفت على بلاغ فخامة قاضى القضاة نائب رئيس الوكلاء البرقى الصادر فى ٥ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ وعدد ٤ لقائمقام القصر العالى المتضمن أن هيئة جمعية جدة تشير الى رغبة اعتزالى عن المصلحة الأمر الذى صرحت بانفاذه عند رغبة الأهالى أو أبسط مقتضى بكل ارتياح وانشراح من أول عام نهضتنا ولم أزل أصرح به الى تاريخى وان رغباتى ومقاصدى هى محصورة فى سبيل راحة عموم البلاد ورفاهيتها وسعادتها باستقلالها التام ولا يهمنى تقليد أمر رياستها لأى شخص كان واها وجهت مقامها لانى على شرط أن يكون أمر حكومتنا الحجارية ونفوذها محصورا فى منطقة الحجاز فقط وأن تكون حكومته دستورية وعليه واسكون نهضتنا مؤسسة أولا على استقلال البلاد العربية المصرح بحدودها ثم والعمل فى أقطار الحرمين الشريفين باحكام كتاب الله وسنة رسوله فتحديد سلطه الحجار الجارى مخابرات أولى الشأن معه الى هذه الساعة فى شئون استقلال العرب سلادهم ولو لم يكن فى هذا التحديد الا تأملنا فى مساعى الحضرة السعودية باستيلائها على حائل قاعدة امارة الرشيد والجوف مقر آل الشعلان وتشبثه فى ضبط الكويت وتعرضه لغير امارة آل عايض بل تجاوزه على مكة المكرمة ومساعى امام صنعاء لضم بلاد (حاشد) وتهامه والشوافع وحضرة الادريسى على الحديدة وما حولها وجعله أى الحجاز حكومة دستورية ينبذ فيها العمل سيما الحرمين الشريفين بأحكام كتاب الله وسنة رسوله للعمل فيها بالقوانين البشرية مما تأباه شعائر الاسلام وفرائض الدين والاخلاق الشريفة مادة ومعنى وهذا علاوة على مخالفة ذلك لأساس نهضتنا التى سفك فى سبيلها الحجار حصوصا والعرب عموما دماءهم وأموالهم وأنفسهم لنيل هاتين العائدين الشريفتين المقدستين

وعليه تبلغوا هيئة الجمعية الموقرة المذكورة وكل من يقتضى ابلاغه احتجاجى القطعى أولا على تحديد نفود الحجار كما ذكر بما يشأ عن قطعه العرب وحرمانهم من حقوقهم الحيوية الاساسية

والثانى ما فى ابدال العمل بكتاب الله وسنة رسوله ولذا فانى أحفظ حقوق اعتراضى وانكارى الماده والمعنى بكل ماذكر ولذا تحرر

هيئة جدة وقناصل الدول

وأرسلت هيئة جدة يوم ٤ منه الى قناصل انكلترا وفرنسا وهولندا والسوفيت وايطاليا وايران البلاغ الآتي :

نحيط علم سعادتكم نظرا لما وصلت اليه حالة البلاد من سوء السياسة والادارة المستمرة وحيث ان الخطر محدق من كل جهة وثبوت عجز الحكومة المركزية عن كل تدبير قد اتفق جميع أهالى الحجاز على طلب تنازل جلالة الملك حسين عن مركزه وذلك لاتخاذ التدابير اللازمة وحقن دماء الابرياء ولكن الملك حسينا مصر على عدم التنازل وقد كررنا عليه الطلب مرارا فلم يقبل

فعليه يكون فى علمكم أن المسؤولية عائدة على شخصه فيما سيلحق البلاد والأهالى من الخطر على أن حقوق الانسانية تقتضى التوسط فى حقن دماء الأبرياء بالاتفاق مع الامير ابن سعود على ما يصون الارواح والأموال وأقبلوا فائق الاحترام

ثم أرسلت أيضا الى القناصل نصوص المكاتبات الرسمية التى دارت بينها و بين الحسين بشأن تنازله

انشاء الحزب الوطنى الحجازى ومبادئه

انشىء هذا الحزب يوم ٢ ربيع الأول (أى قبل بيعة الملك على) فى اجتماع عقده رجال جده ووضعوا له المبادىء الآتية :

١ ــ السعى بكل الوسائل لحفظ البلاد من الكارثة الساحقة المحدقة بها

٢ ــ السعى لجعل البلاد دستورية اسلاميه سالمه من شوائب الدسائس والنفوذ الأجنبي

٣ ــ النزول على مايرتأيه العالم الاسلامى لمصلحة البلاد والعباد وكيفية اداره البلاد

وهذه أسماء هيئة الادارة : الشيخ محمد الطويل رئيسا ومحمد طاهر الدباغ سكرتيرا عاما وقاسم زينل جاره [illegible] عبد الله رضا [illegible] صالح شطا و عبد الرؤوف الصبان والشيخ شرف ابن راجح وسليمان قابل ومحمد نصيف ومحمد صالح نصيف ومحمود شلهوب ومحمد كردى أعضاء

ووزع الحزب منشورين على الأمة : الأولى يوم ٩ ربيع الأول جاء فيها أن المأزق

الحرج الذى وقعت فيه البلاد دفع الأمة الى التفكير فيما يجب عمله لدرء الخطر الداهم وأن تتولى أمر نفسها بنفسها وأن تسعى بكل الوسائل لحفظ البلاد والعباد ولأجل أن تكون الأعمال فى يد قادة صالحين للعمل مفكرين فيما يجب عليهم نحو وطنهم المحبوب تشكل حزبنا الوطنى الحجازى من ذوى الأفكار السامية والنظر الثاقب وانتخبوا من بينهم ١٢ عضوا للقيام بالأعمال التى توجبها الحالة الحاضرة وقد باشروا ولله الحمد عملهم وسيسيرون على مبادىء الحزب القويمة التى يتفانون لأجلها وقد عاهدوا الله سبحانه وتعالى وأقسموا بعظيم آياته أن لايدعوا صغيرة ولا كبيرة من الأعمال العائدة لمصلحة البلاد الا فعلوها بقدر استطاعتهم وكل مايرغبونه من الأمة الحجازية أن تتدرع بالصبر وأن تضع ثقتها فى الحزب ورجاله المخلصين »

وجاء فى النشرة الثانية أن الحزب يقوم بالنيابة عن الأمة فى الوقت الحاضر والمستقبل

بيان الحزب الوطنى الى العالم الاسلامى

وفى يوم ٥ ربيع الأول و ٤ اكتوبر سنة ١٩٢٤ أرسل الحزب الوطنى البيان الآتى الى صحف مصر وقد وقعه محمد طاهر الدباغ سكرتيره :

« بما أن الشعب الحجازى بأجمعه الواقع الآن فى الفوضى العامة من فناء الجيش المدافع وعجز الحكومة عن المحافظة على الأرواح والأموال وبما أن الحرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد الحجازية عامة مستهدفة لخطر ماحق . وبما أن الحجاز بلاد مقدسة يعنى أمرها عموم المسلمين لذلك فان الأمة قررت نهائيا وأجبرت الشريف حسينا على التنازل عن عرشه وسيسحب الى حيث يرغب من البلاد لاقامته وبالنسبة لما يخشى حدوثه من الاضطرابات الداخلية وهياج الرأى العام فقد رأت الأمة أن تبايع صاحب الجلالة عليا الأول ملكا دستوريا على الحجاز فقط على شرط أن ينزل على رأى الأمم الاسلامية فى مايؤول اليه صلاح هذا البلد الأمين وقد أرسلت الأمة الخطابات الى الامام ابن سعود للمفاوضة وأن الشعب الحجازى بعد هذا التبليغ والاجراء يلقى كل مسئولية على عاتق المسلمين اذا لم يسارعوا فى انقاذ البلاد بايقاف جيوش الامام ابن السعود عند آخر منطقة

وصلت اليها وارسال المندوبين بكل ما يمكن من السرعة لاتمام المفاوضة واتخاذ الاجراءات الفعالة لحفظ البلاد »

الحزب يتوسط عند ابن سعود

وفى يوم ٥ منه أرسل الحزب الوطنى الكتاب الآتى الى عظمة السلطان عبد العزيز سعود فى الرياض :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز بن سعود

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاننا معاشر العرب أمة واحدة شرفنا الله بدين الاسلام وان البلاد الحجازية التى هى منبع النور الاسلامى هى البلاد المقدسة عند عموم الناس أجمعين وفيها حرمه الأمين وقبلة المسلمين والمشاعر العظام وقد حدث بينكم و بين الشريف الحسين من النفور والمنازعات بأسباب عائدة لشخص الشريف وليس للأمة والبلاد أدنى دخل فى الأمر لأن السلطة المطلقة كانت فى يده ولا يعمل الا بما يريده بل قد احتكر الكلام عن لسان أهلها بما لا يريدونه ونسب لهم ما لايوافقون عليه وأوجد العداء بينهم و بين الأمم المجاورة لهم من سكان نجد وخلافها بلا سبب مع اتحادهم فى الدين والمذهب حتى أدى ذلك الى سفك الدماء البريئة فلما بلغ السيل الزبى هب الشعب الحجازى المجتمع فى جدة من أهلها وأهل مكة والطائف والأشراف والأعيان والعربان من عموم الطوائف الاسلامية الموجودة فى الحجاز وكلفوا الشريف حسينا بالتنازل عن ملكه لما ظهر من امتناعه عن تلافى هذا القتال بالطرق السياسية و بايعوا ابنه سمو الأمير عليا ملكا على الحجاز فقط بشرط أن ينزل على رأى الأمم الاسلامية فبلسان هذه الأمة وباسم الاسلام الذى قمتم لنصرته وأوقفتم حياتكم لرفعة شأنه وعلو مكانته نخاطبكم ونرغب من شهامتكم العربية الأمر بايقاف الجيوش عند آخر نقطة وصلت اليها والموافقة على ارسال المندوبين من طرفنا للمفاوضة معكم فيما يجب عمله نحو هذه البلاد المقدسة لحفظ الأرواح والأموال وتأمين البلاد التى قال فيها سبحانه وتعالى « أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا » وقال فيه صلى الله عليه وسلم « إِنَّ مَكَّةَ

حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَماً أَوْ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً » الى آخر الحديث أو كما قال .
وقد قال صلى الله عليه وسلم لعتاب بن أسيد حين ولاه مكة « أَتَدْرِي عَلَى مَنْ وَلَّيْتُكَ ؟ وَلَّيْتُكَ عَلَى أَهْلِ اللهِ فَاسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْراً » ونحن نقر بما تقرون به من الايمان والاسلام والتوحيد والتمسك بالكتاب والسنة وترك البدع والمنكرات وكل ماخالف التعاليم الاسلامية الصحيحة الواردة فى الكتاب والسنة ونشهد أن الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله وقد رفعنا الأمر الى جميع الأمم الاسلامية واحتكمنا اليها فيما ستكون عليه حالة الحرمين الشريفين . هذا ونلتجيء الى الله تعالى ثم الى عدلكم وشهامتكم أن تأمر باجابة رغائب الأمة الحجازية المستعدة لقبول طلباتكم العادلة والله على مانقول وكيل واننا نحمد الله اليكم أولا وآخرا والسلام »

وأبطأ وصول الجواب من السلطان فأبرق له الحزب برقية بما حواه الكتاب فأرسل اليه يوم ٢٦ منه البرقية الآتية :

«وصل تلغرافكم العمومى أما رسالتكم الرسمية الخاصة المتعلقة بالصلح فلم تصل ، لايمكن نشر روح السلام فى الجزيرة مطلقا مادام الحسين وأولاده حكام الحجاز . لانقصد الطمع فى امتلاك الحجاز والتسلط عليها ولهذا فهى تترك للعالم الاسلامى وهذا ماراه من البداية بتلك البلاد المقدسة واذا خرج الحسين وأولاده فأنتم آمنون فى بلادكم ولقد أرسلنا التعليمات المتعلقة بذلك الى رؤساء جيشنا »

٧

عهد الملك علي

قبل الملك علي البيعة في جدة يوم ٤ ربيع الأول بموافقة والده ورضائه وعاد الى مكة يوم ٧ منه بعد ما أرسل يبلغ ابن سعود ماوقع ويطلب وقف القتال ، فأقام في جوار والده حتى يوم ١٠ منه ففيه غادر هذا مكة قاصدا جدة وظل فيها أربعة أيام وفي يوم ١٤ منه غادرها بالباخرة الرقمتين الى العقبة ومعه عائلته وخدمه وأمير الألاى عثمان بك التركي مدير الشرطة بعد ماطلب الى نجله ترفيعه الى رتبة أمير لواء ففعل

الحسين لم يستنجد بالانكليز

وأعلن الحسين قبل سفره من جدة أنه لم يستنجد بالانكليز ولم يطلب مساعدتهم في القتال الدائر بينه و بين ابن سعود وقال ان كل ما في الأمر هو أنه كلف وكيله في لندن أن يلفت نظر ولاة الأمور البريطانيين الى أعمال ابن سعود ليقابلوها بما كانوا يقترحونه عليه من عدم ازعاجه أو مبادئته بالعدوان

الملك علي يجلو عن مكة

وساءت الحالة بعد خروج الحسين من مكة وزاد اعتداء العربان وتواترت الأخبار بأن الجيش السعودي يتقدم الى مكة من طريق السيل وما كانت قوات الحكومة تزيد عن ٣٠٠ جندي نظامي يضاف اليها ٢٠٠ شرطي وقسم من بيشه وعكيل عددها ٤ مدافع جبلية و٥ رشاشات خفيفة و٣ رشاشات ثقيلة . ومع أن هذه القوة ما كانت تكفي لأي عمل عسكري فقد أرسلت بأمر الملك الجديد الى وادي فاطمة لضرب الأشراف الحرث وتأديبهم فأدت مهمتها وسكنت بهم وقتلت شقيق الشريف علي زعيمهم وقتلت أخا ثالثا له وقادته هو الى مكة

وغادر اللواء صبري باشا وكيل الحربية مكه يوم ١٣ منه الى جدة للاشراف على

الحالة فليجتمع الى رجال الحزب الوطني (هيئة جدة) فأبلغوه أنهم يرون الجلاء عن مكة فلا يسفك دم في منطقة الحرم ولما أبلغ هذا القرار الى جلالة الملك وافق عليه فغادر مكة يوم الاثنين ١٤ ربيع الاول فبلغ جدة ليلة ١٦ منه مع رجاله واستقر فيها وفي يوم ١٧ منه وصلت فرقة النصر المؤلفة في عمان بقيادة تحسين الفقير فانضمت الى القوى الموجودة وأخذت تعمل في اقامة خطوط الدفاع حول البلدة وتعد معدات القتال

الحزب الوطني يستصرخ العالم الاسلامي

وعلى أثر دخول السعوديين الى مكة وعودة الملك على الى جدة أرسل رئيس الحزب الوطني البرقية الآتية يوم ١٨ منه الى رجال العالم الاسلامي

« سحبت الجيوش الى جدة احتراماً للحرم وحقنا للدماء ودخلت الجيوش السعودية مكة بسلام نؤمل اهتمام العالم الاسلامي بارسال الوفود وان وساطة المسلمين هي غاية ماترجوه الأمة . نكرر استنجادنا بالمسلمين الغيورين على الحرمين »

الحزب يرسل وفدا الى مكة

ورأى أقطاب الحزب الوطني في جدة أن يتصلوا بقيادة الجيش السعودي بعد دخولهم مكة ويتبادلوا معهم الرسائل علهم يصلوا الى حل فارسلوا اليهم يوم ٢١ منه الكتاب الآتي:

من عموم أهل جدة وأهالي مكة الموجودين بجدة الى حضرة الأمير خالد بن منصور ابن لؤي قائد الجيوش السعودية :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصل الينا كتاب الامام عبد العزيز ابن سعود الذي يخاطب به جميع أهل مكة وجدة ويؤمنهم فيه على أرواحهم وأموالهم [1]

هذا نص الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى كافة من يراه من اخواننا أهل مكة وجدة وتوابعها من الأشراف والأعيان والمجاورين والسكان وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه آمين

فاما ماذكره عن الشريف حسين وماهو واقع بينهما فنفيدكم أن المذكور قدتنازل عن الملك اجابة لطلب الامة وبرح البلاد وبايع الناس ولده الشريف على لما يعرفونه من حسن أخلاقه وحبه للمسالمة لعموم من فى جزيرة العرب واشترطوا عليه النزول على رأى المسلمين فيما يقررونه لسعادة البلاد واستقرارها وحيث ان الامام عبد العزيز قد ذكر فى كتابه أنه سيجعل أمر هذه البلاد المقدسة شورى بين المسلمين فقد اتفقنا والحمد لله نحن واياه فى نقطة واحدة لا شك أن فيها المصلحة العامة لهذه البلاد المحترمة المقدسة فنرى أنه لم يبق موجب للقتال وسفك الدماء وأصبح الحل المطلوب من الطرفين واضحا جليا وحيث الأمر كما ذكر نكلف سيادتكم بالموافقة على ارسال مندوبين من طرفنا اليكم يكونون فى أمان الله وأمان الامام عبد العزيز بن سعود وأمانكم لعقد هدنة توقف القتال ونصون

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فان الموجب لهذا الكتاب هو شفقتنا على المسلمين لصلاح أحوالهم وأمر دينهم ودنياهم ولم نزل نكرر على الحسين النصائح ونحرضه على مايجمع شمل العرب لتكون كلمتهم واحدة ولكن الطمع غلب التطبع ولا يحتاج تطويل الشرح عما انطوى عليه لان اكبر شاهد على ذلك مارأيتموه منه وشاهدتموه من أقواله وأفعاله فى هذه البقاع المباركة التى هى مهبط الوحى مما يسكره عقل كل مسلم وعلاوة على ذلك ينكره كل من يحب المسلمين ولو لم يكن منهم . فالرجل ترك مزايا الانصاف وهى ماانتسب فى هذا البيت الكريم وأهمل حقوق هذه البقعة المباركة عليه فى عدم ركوب طريقة السلف الصالح التى هى شرفه وشرف المسلمين خصوصا وشرف العرب عموما ولا شك انه من ترك ما كان عليه النبى عليه الصلاة والسلام وخلفاؤه وأصحابه وهو يتسمى باسم الاسلام وبالخصوص ان كان من أهل البيت الشريف وطمح الى غيرها من الزخارف التى هى أكبر شؤم على الاسلام خصوصا وعلى العرب عموما ـ فهو لاخير فيه ، فمد دخل الحجاز جعل أكبر همه الايقاع بنجد والنجديين وقد تظاهر بذلك واضحا منذ أن تفرد بالحكم ، وقبض على زمام الأمور فيها وقد بلغ من التهور أن منع أهل نجد قاطبة من حج بيت الله الحرام وهو أحد الأركان الخمسة ، فضلا عما يأتيه هو وعماله من المظالم والمعاملات الفاسدة تجاه حجاج بيت الله الحرام الذين يأتون من مشارق الارض ومغاربها

الطرفين من سفك الدماء الى أن تحضر الوفود التى طلبنا حضورها من جميع الاقطار الاسلامية وعلى الخصوص من جمعية الخلافة بالهند وقد ورد جوابها بأنها أرسلت المندوبين و بعد اجتماع الوفود ننزل على ما تقرره وتراه . هذا ما ندعوكم اليه ونكلفكم بقبوله طبقا لما جاء بكتاب الامام عبد العزيز ولاشك انكم توافقون عليه والله ولى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »

وفى يوم ٢٢ منه تلقى الحزب الرد الآتى :

من خالد بن منصور بن لؤى الى محمد طويل وكافة الأعضاء :

ومن هذه المدة قد تركنا التدخل فى أمور الحجاز لأجل احترام هذا البيت ورجاء للسلم والامان ، ولكن مع الأسف اننا لم نحظ بذلك منه . وفى هذه الأيام الماضية فى سفره الى الأردن بانت نواياه ومقاصده للسلمين نحونا ، حينما طلب تجزئة بلادنا وتشتيت شملنا حتى لقد يئسنا من الوصول الى حسن التفاهم معه لجمع كلمة العرب ، ووالله لا نعلم شيئا له من المنقم علينا الا كما قال تعالى (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)

ولكننا ولله الحمد لسنا متأسفين على شئ اذا سلم لنا شرفنا فى أمر ديننا ودنيانا فليس لنا قصد فى زخارف الحسين وأتباعه لا فى ملك ولا خلافة ، ولكن غاية قصدنا وما ندعو اليه هو أن تكون كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر ويسلم شرف العرب ، فلذلك لحقتنا الغيرة الاسلامية والحمية العربية أن نفدى بأموالنا وأنفسنا ما يقوم به دين الله ويحمى به حرمه الشريف الذى أمر الله بتطهيره وتعظيمه واحترامه كما قال تعالى (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) وقد أرسلنا سرية من المسلمين لاحتلال الطائف لأجل القرب للتفاهم بيننا وبين اخواننا ، فأحببت أن أعرض عليكم ما عندى فان اجتمعونا فنعم المطلوب وان أبيتم فهذا الذى يعذرنا عند الله وعند المسلمين ، وأبرأ الى الله أن أتجاوز شيئا مما حرمته الشريعة خصوصا فى هذا الحرم الشريف الذى قال الله تعالى فيه (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) وحرمة هذا البيت معلومة حتى عند المشركين الأولين كما قال الشاعر :

ان الفضول تعاقدوا وتعاهدوا　　أن لا يقر ببطن مكة ظالم

السلام على عباد الله الصالحين أما بعد خطكم وصل وفهمنا مضمونه بعده من طرف بيت الله الحرام واتباعه جاء الله به عنوة للمسلمين والذى يبغى يتعلق بالحسين بصحبة ومعاونة ماله عندنا الا المقاومة بحول الله وقوته وان بنى على بن الحسين الامان فيقبل ويواجهنا مأمون والمجالس والمخابرة لها راعى وهو الامام عبد العزيز حفظه الله ورعاه. ومع وصول الخبر يستوى علم زين ومقام على عندكم من غير مواجهة بيننا وبينه نتيجة الفساد يكون معلوم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

وفى يوم ٢٣ منه أرسل الحزب الوطنى الكتاب الآتى الى خالد بن لؤى : وصل كتابكم وجميع ما به علم وسنرسل لكم غدا أربعة أشخاص بالنيابة عن جميع

وأما الأمر الذى عندى لكم فهو أنى أقول عليكم يا أهل مكة وأتباعها من الأشراف وأهل البلد عموما والمجاورين والملتجئين من جميع الاقطار عهد الله وميثاقه على أموالكم ودمائكم ، وأن تحترموا بحرمة هذا البيت كما حرمه الله على لسان خليله ابراهيم ومحمد عليهما أفضل الصلاة والتسليم ، وأن لا نعاملكم بعمل تكرهونه ، وأن لا يمضى فيكم دقيق ولاجليل الا بحكم الشرع لا فى عاجل الامر ولا فى آجله ، وأن نبذل جدنا وجهدنا فيما يؤمن هذا الحرم الشريف وسكانه وطرقه والوافدين اليه الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وأن لانولى عليكم من تكرهونه ، وأن لا نعاملكم معاملة الملك والجبروت بل نعاملكم بمعاملة النصح والسكينة والراحة ، وأن لا يكون أمر هذين الحرمين الشريفين الا شورى بين المسلمين ، وأن لا يمضى فيهما أمر يضر بهما أو بشرفهما أو بأهلهما الا ما وافق عليه المسلمون . وأمضته الشريعة

فهذا الكتاب شاهد لى وعلى عند الله ثم عند جميع المسلمين وعلى ماقلته أعلاه أيضا عهد الله وميثاقه ، فهذا الذى يلزمنا ولا بد ان شاء الله تعالى أن تروا ما يسر خواطركم أكثر مما ذكرنا ، ونرجو أن الله يهدينا واياكم لما يحبه ويرضاه ، ويصلح بنا وبكم البلاد وان شاء الله يجعلنا واياكم هداة مهتدين ، ويمنعنا واياكم من سوء الفتن ، وأن ينصر دينه ويعلى كلمته ، ويذل أعداء دينه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

٢٢ صفر سنة ١٣٤٣

بالأهالى الموجودين بجدة السلام عليكم وافهامكم الحقائق وأخذ الحقائق منكم رأسا وأما ما ذكرتموه من المحبة والتعلق بالرجل فليس عندنا من هذا شئ . ولا لنا تعلق الا بما فيه مصلحة المسلمين والله على ما نقول وكيل »

سفر الوفد واخفاقه

ورغم ما جاء فى الكتاب فقد غادر الوفد جدة يوم ٢٣ منه الى مكة وقد تألف من الشيخ محمد نصيف رئيسا ومن المشايخ عبد الرءوف الصبان وعلى سلامة وسليمان عزاية ومحمود شلهوب وصالح شطا يحمل توكيلا من الحزب يخوله المفاوضة فى كل ما يحقن الدماء ولما قابل خالد بن لؤى خيرهم بين ثلاث : اما أن يقبضوا على الملك على واما أن يجبروه على الخروج من الحجاز وان لم يقدروا لضعفهم فلديهم قوة من البدو المتطوعين فى الجيش السعودى تساعدهم على ما يريدون وقال انه غير مستعد للتساهل مطلقا

وعاد الوفد الى جدة يحمل الشروط فبلغها مساء السبت ٢٦ منه فدعا أعضاء الحزب وأعيان الأمة على الفور وأبلغهم ما جاء به وقال لهم ان لهم مهلة عشرة أيام فقال أناس بوجوب الذهاب الى دار الملك وحمله على التنازل والسفر وقال غيرهم بالانتظار والتريث وأخيرا تم الاتفاق على ارجاء الأمر الى غد ، وعقد الاجتماع فى الغداة فوقف رئيس الحزب وأعلن أن مهمة الحزب انتهت وعلى ذلك تقرر الغاؤه وحله وكان ذلك يوم ٢٧ ربيع الأول . وقد قبض بعد ذلك على بعض أعضاء الوفد وسجنوا بتهمة انهم كانوا ضالعين مع السعوديين وانهم عملوا فى سبيل استيلائهم على الحجاز

الملك على يقرر الدفاع

ولابد لنا من الاشارة هنا الى الدعاية التى بثت تلك الأيام فى جدة للعدول عن الدفاع وحمل جلالة الملك على مغادرة البلاد وتسليمها الى الجيش الزاحف . وقد وضع بعض أهل الحجاز مضبطة يوم ٢٣ ربيع الأول رفعوها الى رئيس الوكلاء فى الحكومة الحجازية يطلبون فيها التوسل عند جلالة الملك على باسم الانسانية بأن ينزل على رأى المسلمين الحجازيين بالرجوع عن الدفاع الذى استعد له . ولما رفعت المضبطة اليه أجاب أنه لا بد له من الدفاع عن بلاد آبائه وأجداده . وهدد دعاة التسليم بالعقاب الشديد . وعلى أثر ذلك

أرسل الحزب الوطنى الكتاب الآتى ليلة ٢٥ منه الى وفده وكان فى مكة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعد فقد تقدمت المضبطة بامضاء الاهالى بطلب عدم الدفاع وكان الجواب اليوم نهائيا بانه لا بد من الدفاع ولا سبيل لغير ذلك وبعد عجزنا عن اقناعه بالنسبة لضعفنا وقوته طلبنا منه أن يكتب كتابا للامير خالد بامضاء الملك بالموافقة على توقيف الحرب والأخذ فى أسباب التفاهم بينه وبين الأمير خالد ان كان مفوضا وان لم يكن مفوضا يمهلنا بدون حرب وبدون حركة من الجانبين بحيث يبقى كل فى محله الى حين حضور الامام عبد العزيز بن سعود وبعد وصوله يحصل التفاهم معه وان لم يوافق أيضا على هذا فالذى هنا أخذ فى أسباب الدفاع بكل همة ونشاط ولايرجع عن هذه الفكرة مهما كانت النتيجة وعلاوة على هذا يؤمل أن يصله عسكر ودبابات وطيارات فبعد وقوفكم على هذه الحقيقة تعرفوا أن الأمير خالدا يوافق على هذا كان بها وان لم يلزم تأخذوا فى أسباب رجوعكم الى جدة حالا قبل وصول كتاب الملك للامير خالد والحذر من التأخير والاهمال والأمر لله ولكم وقد أوقفنا كم على الحقيقة فاتبعوا ما فيه سلامتكم وتوكلوا على الله بسرعة التوجه والله يرعا كم . وتحرر هذا بحضور عموم الهيئة »

كتاب الملك على الى ابن لؤى

ولما ذاع أمر المكاتبات الدائرة بين الحزب الوطنى وخالد بن لؤى فى مكة أرسل الملك على الى هذا الكتاب الآتى :

اطلعنا على كتب منكم لأهالى جدة عموما وخصوصا وفيها التهديد والوعيد وحيث ان هؤلاء محكومون بحكام رؤوساء ليس فى استطاعتهم تنفيذ ما تطلبونه منهم وليس من شيمتهم اجراء ذلك لذلك رأينا ان نحرر لك كتابنا هذا نسألك ان كنت مفوضا من قبل حضرة الأخ السلطان عبد العزيز فى المذاكرة فيما يختص بحقن دماء المسلمين وبدفع السحق والمحق عن البلاد فعين لنا مندوبين من طرفك ومندوبين من طرفنا نعينهم ويجتمعون عندك فى مكة او بحرة وان كنت غير مفوض من الأخ سلطان نجد فتخبر عظمته بعوضك أو يفوض من يراه للمذاكرة فى ذلك وتكون الحركات الحربية موقوفة من طرفك ومن طرفنا الى أن يأتى الجواب من حضرة الأخ السلطان عبد العزيز . وان قلت لا هذا ولا هذا فالأمر مفوض لمن بيده العزة والقدرة فى كل حال

بين فؤاد بن سعود والقناصل

أرسل معتمدو حكومات انكلترا وايطاليا وهولندا وايران وفرنسا الكتاب الآتى الى فؤاد ابن سعود فى مكة وهو :

نحن الموقعين أدناه اعتبارا للحوادث الحربية الواقعة بالقطر الحجازى ونظرا لوجود عدد عظيم من رعايانا القاطنين بهذه الأراضى المقدسة نرى من واجباتنا ومن حقوقنا أن ندعوكم حكوماتنا الى احترام أشخاص رعايانا وأموالهم فى أى مكان وأى وقت كان . ولهذا الباعث نرى لزوم اعلامكم أن حكوماتنا لا يسعها الا أن ترمى على عاتق جيشكم وعاتق كل من هو عامل باسمكم مسئوليه جميع مايقع من قتل ونهب يمسان رعايانا والسلام »

وقد رد عليهم هؤلاء يوم ١٥ ربيع الأول بالكتاب الآتى :

أما بعد فقد وصلنا كتابكم وعلمنا مافيه ولا يخفا كم انا معشر العرب لم نقصد ملككم ولا رعاياكم بل قصدنا محاربة من حال بيننا وبين هذا البيت الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا وهو شرف العرب عموما ونبذل فى سبيل حمايته ان شاء الله أموالنا وأنفسنا ، وأهل مكة وسكانها مؤمنون على دمائهم وأموالهم وجدة وأقطارها مالنافيها الغرض فان حصل على شئ منها تعد فعرفونا نمنعه يكون معلوم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم »

وأرسلوا أيضا بعد ذلك بأيام الى معتمدى الدول المذكورين الكتاب الآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن منصور بن لؤى وسلطان ابن بجاد الى حضرات قنصل بريطانيا وفرنسا وهولاندا وايطاليا وايران

أما بعد صار لديكم علوم ان ليس لنا فى رعاياكم بغى سوى مسئلة مكث على بن الحسين فى جدة وهو ساع علينا وعلى رعايانا بالفساد ولا محالة ويوشى حرب (أى قبيلة حرب) على قطع السبل ومنع الارزاق بين مكة وجدة الآن ان كان لكم قدرة على اخراجه من جدة فأخرجوه والا ميزوا رعاياكم ومن التحق بهم وعرفونا بمحلهم ونحنا به أبصر (أى نحن أعرف به) ومنشور السلطان عبد العزيز بن السعود الى أهل جدة

بعزلة الحسين وتقديم ولده على مضمونه انه لا يقبل الحسين ولا أولاده والمنشور لابد أن يصل بجدة عن قريب والجواب مطلوب بحال السرعة ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على محمد وآله وصحبه

ولما تلقى القناصل هذا الكتاب أرسلوا ردهم عليه وهو :

جدة فى نوفبر سنة ١٩٢٤

الى خالد بن منصور بن لؤى وسلطان ابن بجاد

بعد الاحترام : وصلنا كتابكما ولا يخفا كما أن حكوماتنا ملتزمة الحياد التام فى الحرب القائمة بين نجد والحجاز . وعلى ذلك فنحن محايدون ولا يمكننا التدخل بأى وجه كان فى هذا الخصام وقد أخذنا علما بتصريحكما بأن ليس لكما نظر فى رعايانا ونؤيد مضمون كتابنا الأول المختص بهم والسلام

كتاب الملك على الى ابن سعود

وأرسل الملك على يوم ٢٧ ربيع الأول كتابا الى ابن سعود يقترح فيه عقد الصلح وحقن الدم ولم يتلق جوابا عليه . وهذا نصه :

بعد السلام والاحترام أعلم عظمتكم بأن الشعب الحجازى العربى محب للسلام ولدفع الشقاق بين العرب ونظرا لثقته التامة بمبادئ الموافقة لمبادئه قد بدل شكل حكومته وأقامنى ملكا عليه

وبما أن أمانة الملك قد أودعت لشخصى فلا بد لى من ايفاء واجبات هذه الأمانة بكل شرف فعليه وانقيادا لأوامر الخالق عز وجل وحبا باتحادنا وكرها لسفك الدماء بين أمة واحدة واتباعا للرأى العام الاسلامى والمراجعات الواردة الى من الأقطار العربية الموافقة لمبادئى الأساسية قد قررت أن أتوسل بجميع ما يمكن لعقد صلح شريف يزيل جميع الموانع والمشاكل الموجودة بين الطرفين وللدخول فى عهد جديد يؤمن مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة ولذلك انسحبت من مكة بدون حرب لحفظ بيت الله الحرام ولمنع تكرار فظائع الطائف ولانتظار جواب مراجعتى الأولى فى جدة وبما أن الجواب لم يأتنى للآن ولم يوجد أحد برأس جيشكم يمكننى المفاوضة معه اضطررت أن أراجعكم ثانيا وأنا أنشر مراجعتى هذه علنا بين جميع المسلمين

أبلغ عظمتكم هذا والبلاد قد أصبحت بحالة عسكرية يمكنها أن تستطيع رجيع ماأضاعته باذن الله فاذا وافقتم على هـذا التكليف الأخير أرجو لحين المباشرة بالمفاوضات أن تبلغوا قائد جيشكم بمكة رفع ممنوعية أداء فرائض الدين من قبل الأئمة الثلاثة حالا وانى خوفا من مضايقة بلدة بيت الله بالمعيشة قد أذنت لمن يريد العودة الى مكة من سكانها المهاجرين وسمحت بدولم سير القوافل رحمة بالفقراء والمساكين انتظارا لجواب عظمتكم الأخير ولى من الأمل ان تقابلونى على حسن نياتى والا فبعد الاتكال على الله سترونى وشعبي معا قائمين بجميع مايترتب علينا من واجب الشرف وحفظ الأمانة لمقاومة تعرضات جيشكم للدفاع عن البلاد وتخليصها ورد الأذى والتعدى عنها و بالطبع مسؤولية الدماء البريئة ستقع على المتسبب»

وبدلا من أن يجيب ابن سعود الملك عليا مباشرة أرسل يوم ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٣٤٣ من الرياض الى أهل جدة الكتاب الآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود الى كافة أهالى جدة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فلا بد أنه بلغكم أن أغلب العالم الاسلامى قد أبدى رغبته وعدم رضاه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين وأولاده واننا حبا فى سيادة السلام وحقن الدماء نعرض عليكم انكم فى عهد الله وأمانه على اموالكم وأنفسكم اذا سلكتم مسلك أهل مكة وبالنظر الى وجود الأمير على بين أظهركم وخروجه على الرأى العام الاسلامى فاننا نعرض عليكم الخروج من البلد والاقامة فى مكان معين أو القدوم الى مكة سلامة لأرواحكم وأموالكم أو الضغط على الشريف على بن الحسين واخراجه من بلادكم فان فعلتم غير ذلك بمساعدته أو موالاته فنحن معذورون أمام العالم الاسلامى وتبعة مايقع من الحوادث تكون على المتسبب ودمتم

الوساطات لوقف القتال

لم تذهب صيحة الحجازيين فى العالم الاسلامى واستصراخهم اياه للتوسط بينهم و بين ابن سعود سدى ولقد كان المجلس الاسلامى الأعلى لفلسطين أول هيئة اسلامية لبث الدعوة

فأرسل يوم ٤ اكتوبر برقيات الى جميع الحكومات والجمعيات الاسلامية طالبا ارسال وفود من قبلها الى جدة للتوسط بين المتحاربين وقال انه سيوفد بعض أعضائه بمجرد تسلمه جواب القبول كما أبرق الى ابن سعود يطلب وقف القتال فرد عليه يوم ٢٣ منه يقول :

« يسوءنى أن وساطتكم جاءت بعد أوانها فقد جربنا فى السنوات السبع الماضية كل وسيلة فى مصالحة الحسين وفى احلال السلام والوفاق محل الجفاء والخصام فضاعت مساعينا أدراج الرياح . و بقدر ما كنا نظهر من الميل الى الاتفاق كان الحسين يزيد فى تغاليه وعناده ودلت منشوراته فى شرق الاردن على أنه يطمع بلا شك فى تقسيم بلادنا وتقطيع أوصالها وقد منع مواطنينا من تأدية شعائر الحج مدة ست سنوات واستمر يدس الدسائس فى بلادنا وفى عسير وفى كل مكان . وفى الواقع أن أعماله ومعاملته لحجاج بيت الله الحرام وتصرفاته معهم قد استفحلت بعجزه عن صون الأمن فى مكة والمدينة وعن المحافظة على سلامة الحجاج المسلمين بهذين المكانين ، فلكل هذه الأسباب التى يطول شرحها قد اضطررنا لاتخاذ التدابير الشديدة لتهدئة الحالة فى الحجاز ولضمان مستقبل بلادنا

ولما كان هذا هو غرضنا الوحيد و رغبتنا فى أن لايتكرر وقوع ماوقع نريد أن توجد فى الحجاز ادارة تضمن حقوق المسلمين على الوجه المرغوب وتكفل راحة الحجاج وتزيل كل مايشكون منه »

وعاد المجلس الاسلامى فأرسل يوم ٢١ سبتمبر البرقية الآتية الى ابن سعود « باسم الأمة الاسلامية والعربية نطلب حقن الدماء وصون حرمة البيت الحرام وحل الخلاف بالمفاوضة »

و رد شوكت على باسم جمعية الخلافة فى الهند على برقية المجلس الاسلامى الأعلى قائلا « نرغب فى حقن دماء البلاد المقدسة ، ايجاد السلام متوقف على ترك كل شئ لمؤتمر اسلامى عام »

وأرسلت الحكومة الايرانية تلغرافا الى قنصلها فى دمشق قالت فيه انها قبلت الدعوة التى عرضت عليها للتوسط لوقف الحرب وطلبت منه ابلاغ ذلك لابن سعود

وقصد جدة فى شهر نوفمبر من تلك السنة السيد طالب النقيب والمستر فيلبى وأمين الريحانى وتجمعهم بابن سعود جامعة صداقة و ود للتوسط عنده لوقف الحرب وأقاموا فيها حتى وصل الى مكة ليلة الجمعة ٤ ديسمبر سنة ١٩٢٤ (٨ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣) فدخلها

عربيا فاتصلوا به ودارت بينه و بينهم محادثات لم تثمر ثمرة لتمسكه بخطته القائمة على اخراج آل الحسين من الحجاز

و بعد مرور سنة أو أكثر على وقوع هذه الحرب أرسل الامام يحيى يوم ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٤٤ برقية الى السلطان ابن سعود فى مكة والى الملك على فى جدة بطلب وقف القتال قال :

قد علمتم ماحل ببلاد الأماكن المقدسة من الكوارث من نتائج الحرب التى اشتعلت نارها بينكم ووصل الاستصراخ من الأهالى وعموم المسلمين لعموم ذوى العلاقة من المسلمين بالحرمين الشريفين ومشاعر الحج فلا جرم اذا رأينا من الواجب علينا اجابة نداء المستصرخين بالتداخل فى طلب انهاء الحرب بصلح يرضاه الله ورسوله وتقر به عيون المسلمين وقد حملنا على ذلك ماتعتقده فيك من حسن الظن بنا والثقة بمساعينا ووضوح انكم من أصدقائنا واندفاع مايظن مريد الانكساح فى سعينا . ولا ثمرة فى اطالة البيان أن نصون مهبط بقاع النزاع ومافى ذلك من تكرر الكوارث بلا انقطاع وانقاء الضرر بالبلاد والعباد حالا ومستقبلا وفى ذلك توكلت على الله وصممت على ارسال وفد مكلف بالاصلاح بينكم والثقة العظمى اذا وجد بها العمل فى أس طلبكم لمساعينا الخيرية بالقبول بوجودنا بصفة الحكم فيما يعنيكم واستردادكم السقطات فى البادرات وقبولكم لما يقصر معاناة الاختلاف والى مايحبه الله ويرجح فضله الى مافيه حفظ الكرامة . وأفيدوا بالجواب السار فنحن فى انتظاره ، وفقنا الله جميعا والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته

فرد عليه الملك على يوم ٣ ربيع الثانى بالبرقية الآتية :

لقد كان لبرقيتكم أكبر وقع فى نفوس أبناء الحرمين وانشرح لها الخاطر وقرت بها العين ولا نستكثر تلك الغيرة على البيت الحرام من فخر آل البيت عليهم السلام فرحبنا بالوفد الذى صممتم على ارساله و بالغرض الشريف الذى يؤمل من رجاله وسيرون بأعينهم صورة أخرى من أعمال المعتدين تسوغ استصراخ المسلمين فى أقطار العالمين وانه فرض لاحول لهم عنه وانكم فى الحقيقة أجدر من ينتصر لقوله تعالى (واخراج أهله منه أكبر)

واننا والله يعلم أننا ندافع عن دينه القويم وعن حرمات بيته الكريم وعن حياض الأوطان فان حبها من الايمان ولنا أسوة حسنة بجدنا وجدكم الامام فى مثل هذا المقام فذلك

هو المأمول من عواطفكم الدينية والسلام على الامام ورحمة الله و بركاته

ورد ابن سعود على برقية الامام يحي بمثل مارد به على برقية المجلس الاسلامى الأعلى وافهمه أنه لافائدة من ارسال وفده

مصر تتوسط

وأصدر جلالة الملك فؤاد أمرا الى الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى رئيس المحكمة الشرعيـة العليا بمصر يومئذ ان يسافر الى الحجاز للاصلاح والتوفيق فغادر السويس يوم ١٠ ستمبر سنة ١٩٢٥ ومعه عبد الوهاب طلعت من موظفى الديوان العالى فقابل الملك عليا فى جدة فأعرب عن استعداده لقبول الوساطة وأجابه ابن سعود بأنه لاغاية له فى الحجاز وأنه لا يبغى سوى اخراج آل الحسين وطلب انتداب لجنة من البلدان الاسلامية التى تهتم بأمر الحجاز على أن تصدر الدعوة لتأليفها من جلالة الملك فؤاد . ثم تسافر الى الحجاز وتكون برئاسة المندوب المصرى فتدعو الشعب الحجازى الى انتخاب حاكم من غير آل الحسين وذلك بعد جلاء الفريقين المتحاربين عنه

و بذلت عدا ذلك وساطات قنصلية وأرسلت جمعية الخلافة الاسلامية وفدا الى جدة فلم تغن ذلك شيئا لاصرار ابن سعود على خطته

الرجوع الى القتال

وفى يوم ٩ يناير سنة ١٩٢٥ زحفت قوات ابن سعود من مكة الى جدة لاحتلالها وكانت الحكومة الهاشمية قد حصنتها فى خلال مدة المفاوضات وأنشأت حولها سلسلة من الحصون ثبتت فى وجه المهاجمين وردتهم . وأرسل السعوديون سرايا أخرى احتلت القنفذة والليث ورابغا من موانىء الحجاز كما أرسلوا قوات أخرى حاصرت المدينة وهكذا بسطوا نفوذهم على معظم أقطار الحجاز

٨
الحسين فى العقبة وقبرص

نزل الحسين العقبة بعد مغادرته جدة واتخذها دار مقام له وانصرف الى مساعدة حكومة جدة ، ماليا بما ادخره من أموال زمن حكمه ، وعسكريا بما كان يؤلفه من فرق المتطوعين يجمعهم من هنا وهنالك ويرسلهم بحرا الى جدة فأقلق ذلك ابن سعود وأزعجه فكاتب الانكليز طالبا اليهم اخراج الحسين من العقبة وقال انه لايحجم عن الغارة عليها واخراجه منها

واغتنم الانكليز الفرصة للتخلص من الحسين واخراجه من العقبة وكانت تعد من أملاك الحجاز حتى ذاك الوقت ـ وان كانت بادارة سموالأمير عبد الله شخصيا ـ وقد بسطنا الأدوار التى مرت بها قضية العقبة فى الفصل الأول من هذا الجزء (راجع ص ٢٤) فأرسلوا يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٢٥ الانذار الآتى الى الحسين وقد حمله اليه قائد البارجة البريطانية فورن فلاور وهو :

« الى جلالة الملك حسين من وكيل خارجية بريطانيا العظمى »

بلغت حكومة جلالة ملك بريطانيا أن عظمة سلطان نجد هيأ قوة لمهاجة العقبة . ويفهم من هذا أن الباعث هو جلالتكم وحكومة الحجاز التى جعلت مركز معان والعقبة بحالة عسكرية ضد ابن سعود . ولايخفى أن حكومة جلالة ملك بريطانيا مسؤولة عن الأمن العام بفلسطين وشرق الأردن مع معان التى تعد تحت انتدابها فعند ما أتيتم الى العقبة كلفت حكومة جلالة الملك على والأمير عبد الله بتعيين الحدود الفاصلة بين الحجاز والشرق العربى

ومع ذلك رأت العظمة البريطانية بان المثابرة على المداكرة فى مثل هذه الأوقات الحرجة غير ممكنة بالنظر لحالة الحجاز الراهنة وعليه فقد أجلت حكومة بريطانيا المداكرة فى هذا الموضوع لفرصة أخرى

ولكن هنالك نقطة متخذة من قبل جلالة ملك بريطانيا ولا يمكنه أن يتساهل فيها وهي أن يبقى أو يسمح بصورة ما بدوام الحالة الحاضرة ولذلك بدأت باظهار سلطة حكومة الشرق العربي فى الأماكن التى هي مسئولة عنها أمام جمعية الأمم وهي تحتوى على معان والعقبة وتدعوكم أيضا لمغادرة العقبة لكى لاتكونوا سببا لحصول مشاكل جديدة بين بريطانيا وسلطان نجد

وفى هذه المناسبة تصر بالحاح بوجوب مغادرتكم العقبة قائلة لا يمكنها أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع

ولما تلقى الحسين هذا الانذار قال للذين كانوا حوله :

« تقابل بمزيد الشكر والامتنان الأمور التى يختارها لنا المولى وأنا على كل الأحوال لانجرى أية حركة تخالف رضاه وتكون مجلبة لغضب أقوامى . نعم نعم ياأعزائى نحن ضعفاء وليس عندنا مايقوينا على دفع هذه المعاملة التى يأباها الشمم لكن أمرنا الله سبحانه وتعالى بالصبر ووعدنا بالنصر »

الحسين يرسل جوابه و يرفض السفر

و رد الحسين على الانذار البريطانى بكتاب رفض فيه الاذعان والتسليم هذا نصه :

« انى منذ ابتداء النهضة العربية حتى هذه الساعة وأنا مخلص فى ولائى لحكومة جلالة ملك بريطانيا ثابت على مبدئى اعتمادا على شرفها و بناء على عهودها ومواثيقها الرسمية التى اقتطعتها على نفسها بشأن محافظتها على حقوق العرب وتأمين الوحدة العربية والتصديق على استقلال العرب ومنحها الحرية للشعب العربى الذى اشترك مع حليفته جنبا الى جنب وسفك دماء زهرة الشبيبة من أبنائه وضحى بالنفس والنفيس فى سبيل الحصول على تلك الغاية الشريفة والوصول الى ضالته المنشودة كما وانى وأقوامى العرب حريصون أشد الحرص على تنفيذ أحكام تلك العهود والمواثيق التى كانت أساس النهضة العربية دون أن تخل بما يوجب مسئوليتنا أمام محكمة الضمير النزيه وانى ضحيت بكل شئ وتخليت عن الملك وغادرت وطنى حبا بالسلم وحقن الدماء وأتيت العقبة لأبرهن للعالم أجمع بأن لامطمح

لى سوى اسعاد أقوامى وتحرير بلادى بعد أن قمت بواجباتى ولم آل جهدا فى سبيل المحافظة على حقوق العرب والسعى وراء الوحدة العربية والتمسك بنص المعاهدة وانتظار تنفيذها ولم ينقطع الأمل من الحكومة البريطانية بشأن انجاز وعدها والوفاء بعهدها استناداً على شرف تقاليدها وها انى اليوم مقيم فى احدى قرى الحجاز معتزلا عن العالم ومبتعداً عن كل مامن شأنه أن يوجب الشغب وسوء التفاهم ولما كان هذا الاعتزال والابتعاد لم يخلصنى من أمثال تلك الشوائب فلا شك بانى أينما ذهبت لايخلو الأمر من حدوث شىء كما فى التبليغات الأخيرة وربما كانت أشد هولا من موقفى الحالى إذ لاأضمن هياج الشعب العربى وقتئذ وحدوث مالاتحمد عقباه نحو الخليفة وغيرها ولهذا فانى لا أرى مندوحة عن بقائى فى مكانى وان شاءت حكومة جلالة الملك فلتبعث بى الى عالم المريخ فانى مستعد لانفاذ رأيها فى هذه البعثة فى أول دقيقة التبليغ أو انها اذا نسيت ورأت عظمتها ان تبعث احدى وسائطها الحربية لتهلكنى وعائلتى وخلاص الجميع من هذه الغوائل ، فلتفعل لانى آليت على نفسى بأن لاأحجم عن مساعدة أبناء وطنى وقومى وانى أفتخر أمامكم بكونى مازلت ولن أزال أساعد الحكومة الحجازية بمالى الخاص الذى ادخرته لمستقبلى المجهول لان من لا خير فيه لوطنه لا يرجى منه الخير لحلفائه وأصدقائه. ولى الشرف أيضا بكونى ثبت على مبدئى وأخلصت فى عملى وقمت بواجباتى لما على من غيرى فيما اذا لم يف بوعده ولم يقم بانجاز عهده ونفذ مطامعه بقوة مدرعاته وبرؤوس حرابه فهناك يكون الحكم لمن غلب . وان القوى الموجودة فى معان هى لأجل المحافظة على الخط الحجازى والمدافعة عن المدينة مع ملحقاتها تجاه كل طارىء أو معتد كما ان ابن السعود قد هاجم شرقى الاردن غير مرة فى أواخر العام المنصرم دون أن يكون لحكومة الحجاز أو لحامية معان أقل دخل فيها فلماذا لم تعرفه حده لتوقفه عنده . وفضلا عن ذلك فانى لم أعترف بالانتداب على البلاد العربية من أساسه ومازلت أحتج على الحكومة البريطانية التى جعلت فلسطين وطنا قوميا لليهود وشمالى سورية تحت الانتداب ومأوى للأرمن وانى لاعجب من تغافل الحكومة البريطانية عما حل بالحجاز بل بمكة المكرمة من السحق والمحق فى الأموال والأنفس والدمار الذى لايمكن تلافيه الا بعد عشرات من السنين ثم اهتمامها بمحافظة معان والعقبة الأمر الذى لايبقى محل لاطالة البحث فيه لان ذلك كاف لأقل تأمل . وعليه فانى أكرر

جوابي النهائي بكوني لا أعترف بذلك الانتداب من أساسه ولا يمكنني مغادرة العقبة الا بعد ابلاغي لنجوه و بعدئذ أذهب الى حيث تريد حكومة جلالة الملك بشرط أن يكون محل اقامتي ضمن البلاد العربية وأن لا أكون مسئولا عما عساه قد يحدث من شغب أو هياج شعب تطمح نفسه لرفع نير الاستعمار وتجديد النهضة فيما اذا مست الحاجة والا فانى لا أبرح العقبة مهما كانت النتيجة ولو أدى الأمر لهلاكى ومحو عائلتي من الوجود وانى لا أقصد بهذا معاداة بريطانيا وسواها وانما هي فى سبيل انقاذ وطني و بني قومي وكلما تفعله بي الحكومة البريطانية لما يزيدني شرفا وفخرا بين شعبي وأقوامي حيث يسجل التاريخ لكل منا عمله وفى هذا بلاغ »

وقد ترجم هذا الجواب الى اللغة الانكليزية على أن يكون المعول على النص العربي

وقبل انتهاء المدة المضروبة بالانذار وصلت البارجة دلهي البريطانية الى العقبة فانضمت الى زميلتها وزار ربانها الملك . وجاء أيضا سمو الأمير عبد الله من عمان وسعى لاقناع والده بقبول الانذار بعد ما رفضه رفضا باتا وأخذ يستعد للنضال والمقاومة فوافق بعد أخذ ورد طويلين على السفر الى قبرص إجابة لرغبة ولده ـ بعد ماطلب أن يسمح له بالاقامة فى يافا أو حيفا فرفضوا . وفى يوم الخميس ١٨ يونيو سنة ١٩٢٥ نزل الى البارجة دلهي فأبحرت به الى قبرص فنزل فى ليماسون يوم ٢٢ منه ومما يؤثر عنه أنه صرح لبعض الذين قابلوه فى السويس حين سفره من العقبة الى قبرص وصحبوه حتى بور سعيد أنه يعترف بأنه كان مخطئا وانه لم يكن يعرف أخلاق الأوربيين وما ينطوون عليه وقال انه يشهد الله أنه فعل مافعله عن حسن نية

وقد بقى فى جزيرة قبرص حتى أواخر شهر مايو سنة ١٩٣١ فاشتد عليه المرض فنقل الى عمان وتوفى فيها يوم ٤ يونيو من تلك السنة

الحسين يحتج الى بريطانيا وعصبة الأمم

وما كاد الحسين يستقر فى قبرص حتى شاع فى الصحف انه أسير حرب فى يد الحكومة البريطانية فأرسل يوم ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ كتابا الى المستر بلدوين رئيس الوزارة البريطانية شكا فيه من هذه الاشاعة وما يترتب على صحتها من القلق له ولذويه وتناول

شؤونا شتى ومما قاله « ثم انى أستأذن فى أن ألفت نظر فخامتكم الى مابدا بين القبائل العربية من الدهشة والاستغراب ، لما رأوا ابن السعود يجمع جيشا عظيما لمهاجمة الحجاز فهل بمقدرة ابن السعود أن يجيش مثل هذا الجيش من دون أن ينال من المساعدة مايعينه على ذلك . ان الحالة المشتتة التى كان عليها ابن السعود بعد تلك الهزيمة التى أصيب بها خلال الحرب العامة لم تزل حية فى أذهان الأمة العربية فمن المفهوم أن ابن الرشيد هاجم ابن السعود خلال الحرب العامة وهزمه فى ذلك الهجوم الكبير على جراب وتمت هذه الهزيمة فى الكويت حيث فر ابن السعود تاركا للعدو كل مايملكه من سلاح ورجال . وفى ذلك الحين استنجد بى فأرسلت اليه ولدى عبد الله على رأس نجدة كافية فوصلت اليه بعد ماأصبحت الهزيمة أمرا مقضيا فخمته ومنعتهمن أن تتناوله هجمات ابن الرشيد فمكث ولدى شهرا ومعه جنوده فى قرية شعره تمكن بها من اكراه ابن الرشيد على التقهقر فى حدود بلاده »

وأسأل الله تعالى أن يهديكم سبل الرشاد ويجعل ما يتوق اليه العرب من السلم والارتقاء محققا بتدخلكم الحكيم المشبع بالعطف والسلام »

رد رئيس الوزارة البريطانية

وفى يوم ٢٧ اكتوبر أرسل اليه المستر بلدوين الرد الآتى :

« لا بد لى من أن أشكر جلالتكم على كتابكم بتاريخ ٢٢ أغسطس الماضى . وقد كان هذا الكتاب موضوع عناية دقيقة بالاشتراك مع رجال حكومة جلالة الملك المشتغلين بالشؤون العربية

«انى آسف كل الأسف للقلق الذى أصاب جلالتكم من جراء أنباء ظهرت فى الصحف المصرية فحواها أنكم فى قبرص بصفة أسير حرب . والحقيقة كما ذكرتها جلالتكم وهى أن هذه الانباء غير صحيحة . ولم يخطر لحكومة جلالة الملك قط فى بال أن جلالتكم تعاملون من أى وجه كان سوى معاملة فرد اختار بناء على دعوتها أن يقيم فى قبرص . وعند ما دعتكم حكومة جلالة الملك لمغادرة العقبة لم تضع امامها سوى مصالحكم الخاصة ومصالح العنصر العربى التى ترى حكومة جلالة الملك أن قبول جلالتكم للاقامة فى قبرص قد خدمها

خير خدمة . فهى ترى والحالة هذه أنه ليس من الضرورى اجراء أي تحقيق عن الاحوال التى تركتم فيها العقبة . ويعزز هذا الرأى أنكم سلمتم فى كتابكم بأن معان والعقبة استخدمتا لحشد الجنود التى تستخدم ضد سلطان نجد ونقلها . فليس فى وسع حكومة جلالة الملك سوى ان تعد هذا التسليم مبررا لقولها بأن جلالتكم والحكومة الحجازية كانا يقومان فى ذينك المكانين باعمال ضد نجد

وقد نظرت حكومة جلالة الملك فى طلب اجراء ما يمكن اجراؤه لانهاء الحرب الحاضرة فى الحجاز . وطلب جلالة الملك على طلبا كهذا فعند ماتلقت حكومة جلالة الملك هذا الطلب سألت عظمة سلطان نجد هل يقبل وساطتها للسعى الى تسوية الاختلافات بين الحجاز ونجد ؟ ولكن عظمته جاوب أنه لا يستطيع أن يقبل هذا التوسط فاضطرت حكومة جلالة الملك مع الأسف الى الامتناع عن كل سعى آخر الى التوسط . فاذا لم يكلفها الفريقان والحالة هذه أن تفعل ذلك فانها لاتستطيع أن تساعد فى اعادة السلام

وترى حكومة جلالة الملك أن فقرة أخرى فى كتابكم تتعلق بالأحوال التى تنازلتم فيها عن العرش قد تحمل من يطلع عليها ولا يكون واقفا على حقيقة الحال على الظن أن حكومة جلالة الملك بذلت نفوذها لحملكم على التنازل . ولا شك أن جلالتكم لم تشأ ايجاد مثل هذا الظن الذى لا يطابق الواقع ولكن بما أن كتابكم قد انتشر وربما نشأ منه مايثير الظنون فحكومة جلالة الملك ترى من الواجب ان تذكر بصفة جازمة انها لم يكن لها أى تاثير فى تنازل جلالتكم ولم يكن لها أى شأن فى هذا العمل لا بطريقة مباشرة ولا بطريقة غير مباشره »

وفى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٦ أرسل الكتاب الآتى الى رئيس جمعية الأمم فى جنيف والى الدول العظمى ونصه :

عن قبرص فى نوفمبر سنة ١٩٢٦

ياصاحب الرئاسة

انتى أنا الموقع بذيله أدناه الملك حسين بن على ملك الحجاز وعضو مؤسس فى جمعية الأمم وحليف الحلفاء فى الحرب الكبرى أعلن لجنابكم ما يأتى :

أولا ـ ان جمعية الأمم لم تخلق ولم تقبل باتحادها الدول المتحالفة والمحايده أيضا الا

لأمن واحد وهو منع تعدى اية دولة مستقلة أو مملكة مستقلة أو امارة مستقلة على دولة أو مملكة أو امارة مستقلة مثلها وان هى لم تتمكن بالذات من هذا المنع أجبرت الدول العظمى الداخلة فى عضوية جمعيتها على التعاون عصبة واحدة لدفع الضرر ومنع المعتدى من التمادى فى تعديه وهذا هو السبب الذى من أجله خلقت جمعية الأمم وقانونها الأساسى ومن الغريب المدهش أنه لم يطبق هذا القانون الأساسى فى مسئلتى مع الوهابيين الذين اجتاحوا بلادى وبلاد آبائى وأجدادى حتى محمد بن عبد الله النبى الهاشمى العربى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ولذلك فانى أحتج أشد الاحتجاج أولا على هذا العمل من قبل قائد الوهابيين . ثانيا ـ على الجمعية لعدم معاملتى بموجب قانونها الأساسى وانى أطلب بالحاح من الجمعية الموقرة اخراج الوهابيين من بلادى بقوة الدول أعضاء جمعية الأمم متفقة التى أتشرف بأن أكون عضوا مؤسسا فيها واعادة ملك آبائى وأجدادى الىّ . وأرى من العبث أن أعين لرئاستكم المواد القاضية لى من قانون الجمعية بهذا الحق الصريح

ثانيا ـ تتذكر جمعية الأمم بان قادة الوهابيين قبل اجتياح الحجاز كانوا قد دخلوا امارة الكويت مما حمل الدولة البريطانية على ارسال الجنود الانكليزية المقيمة فى العراق مع طياراتها ودباباتها وسياراتها المسلحة الى الكويت وارجاع الوهابيين بالفشل عن مقاصدهم

ثالثا ـ لما فشل الوهابيون ولم يفلحوا فى هجومهم على الكويت وغزوتها ولما اقتحموا مملكة شرق الأردن بمجموع عصاباتهم هناك وقف فى وجههم ولدى الأمير عبدالله حاكم هذه المملكة وقاومهم بكل ماعنده من القوات الحربية والرجال الأشداء وانضمت اليه فرق من الجنود الانكليزية بطياراتها ودباباتها وسياراتها المسلحة فتغلب على هذه العصابات وردها وقد رأى وشاهد بالعين بعض كبار القوم وهم شهود عدول بأن الوهابيين بعد فرارهم كانوا اذا وجدوا جريحا ترجلوا عن خيولهم وأغمدوا خناجرهم فى قلبه

رابعا ـ أما أنا الموقع بذيله ملك الحجاز وعضو جمعية الأمم وحليف الدول الحلفاء العظماء والمنتصرين فى الحرب الكبرى لم أعن بشأن هذه العصابات عناية الخائف من

تعديها علي ملـكي، لأني كنت أدري باننا لسنا اليوم فى العصور الوسطى ولأنى كنت على أكثر من اليقين بانهـا لا تتجاسر أن تهاجم بلادا يقدسها ثلاثمائة مليون من المسلمين الموحدين ويصلون الى قبلتها ويحجون الى كعبتها من كل صوب وحدب وتضمن استقلالها جمعية الأمم وتحمي وتحترم هذا الاستقلال جميع دول الحلفاء وما كنت لأظن بأن واحدة من هـذه الدول العظمى توعز الى رجال هـذه العصابات بواسطة بعض ساستها الأغبياء فيدخلون الأراضى المقدسة ويدمرون الاضرحة والمعابد والمشاعر الدينية

أجل انى ما كنت لأتصور أن الحليفة الـكبرى تأتى من وراء أكبر حليف لها فى الشرق وأعظم ساعد لها فى الحرب الكبرى وعلى الاخص عند فتحها القدس باعتراف قائد جيوشها الاكبر فتطعنه فى ظهره دون أن يكون لها ضمير يوبخها أو مروءة ووفاء يمنعانها عن هذا العمل الفظيع الظالم أما الحليفة الكبرى فانها شعرت بفظاعة عملها هذا على الأخص عند مارأت اشمئزاز الرأى العام الانـكليزى منه أو بالحرى اشمئزاز الشعب البريطانى النبيل من سياستها المتخبطة المضطربة بل السقيمة الخرقاء ومن حرمان الانـكليز وأقـدس البلاد الاسـلامية من حليف شريف وملك عريق فى الحسب والنسب ومسالم لم يفـكر قط فى الاضرار بالآخرين

أجل ان رجال الحـكومة الانـكليزية الذين أتوا هذا الغلط الفاضح وهذا الخطأ الفادح يقفون مطئطئى الرؤوس خافضى العيون أمام الرأى العام الانـكليزى النبيـل الذى سيحاسبهم أشد الحساب عنـد عودة افتتاح البرلمان الانـكليزى والذى سيطلب منهم اعادة الأمور الى ما كانت عليه قبـل هـذا الانقلاب الظالم بكل واسطة أو شـكل أو نوع والا سخط عليهم وكان سخطه عظيما وما نحن ببعيـد عن سخطه المؤلم على رجال من أعاظم حكامه رفعهم الى قمم المجد والفخر ولما رأى سوء تدبيرهم وسـوء نياتهم أنزلهم الى حضيض المذلة والمهانة بعد أن سحب كل ثقة منهم

خامسا ـ اننى أطلب من جمعية الأمم الموقرة اخلاء البلاد المقدسة والاقطار الحجازية من الوهابيين واستفتاء أهاليه الذين يعتبر حجازهم الى اليوم كعضو مؤسس فى جمعيـة الأمم وكحليف للدول العظمى لـكى ترى بأن ما فوق التسعين فى المائة من هؤلاء الاهالى يصوتون ضدهم

انى أطلب اطلاق يدى فى العمل لاعادة ملكى وملك آبائى وأجدادى المغتصب ورفع حكم رجال الحكومة الانكليزية الجائر وضغطهم عنى

انى أطلب ابلاغ صوتى الشاكى من منفاى فى جزيرة قبرص بواسطة جمعيتكم المحترمة الى جميع رجال الدول العظمى وعلى الأخص الى كافة الشعب الانكليزى النبيل لأفهمهم الحقيقة بكل صدق وصراحة بأن سياسة حكومته غير الشريفة نحوى لاتثمر غير الضغائن والبغضاء بين المسلمين الأصحاء والانكليز أقول المسلمين الأصحاء أى عامة المسلمين الذين يغارون على دينهم وعلى نبيهم وآله ولا عبرة بأفراد لا يعدون الا القليل من المسلمين الذين هم جهلة أغبياء يضللهم المضللون وعمال السوء فلا يعلمون من دينهم شيئا ولا يسيرون على النهج الذى أوصاهم به الكتاب العظيم وهم مسلمون بالاسم فقط ولو كانوا أصحاء الاسلام لاحترموا آل نبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقد أوصاهم بهم خيرا ولوقفوا جميعا وقفة واحدة كوقفة البطل المغوار والمسلم الصحيح المغفور له ساكن الجنان محمد على باشا كبير العائلة العلوية الكريمة فى مصر وباقى أركان الدولة المصرية عند مابعث بأولاده ثم ذهب بالذات الى الحجاز لقتال الوهابيين واخراجهم من الأراضى المقدسة الحجازية من بدعهم فى الدين

انى أكتب هذا الاحتجاج الشديد لرئاسة جمعيتكم لكى تعلم الدول كافة ويعلم الشعب الانكليزى النبيل خاصة بواسطتكم أن أعمال رجال حكومته فى الحجاز غير العادلة وغير الحقة تحط من مقامها ومن مقامه السامى فى أعين عامة المسلمين الاصحاء خصوصا فى الهند وفى جميع المستعمرات البريطانية والدولية أيضا لأن هؤلاء يريدون بكل قواهم المحافظة على شعائرهم الدينية فى أراضيهم المقدسة ويحجون من كل فج سحيق الى هذه الأراضى من أجل هذه الشعائر والعبادات المحترمة منهم . نعم فليعلم الشعب الانكليزى النبيل هذه الحقائق وليتحرك من جوده وليقف موقف المنقذ العادل الشريف ليضع حدا بين الظالم والمظلوم فيرفع الظلامة التى سببتها حكومته عن المظلوم . وعندئذ فقط يجوز أن نقول بان الشعب الانكليزى هو نبيل عادل ويحب العدالة والحق وأن الدول العظمى تحترم رعاياها المسلمين وتحترم شعائرهم الدينية

وانى فى الأخير أطلب من جمعيتكم المحترمة كعضو مؤسس فيها أن تتدخل الجمعية بكل قواها المستمدة من الدول المتحالفة العظمى فى مسألة الحجاز ووضعها فى جدول أعمالها وبحثها بحثا دقيقا وعادلا ومساعدتى مساعدة فعلية لاستعادة ملكى وملك آبائى وأجدادى وارجاع الوهابيين الى بلادهم فتكسب بذلك حب عامة المسلمين الأعضاء فى العالم واعزازهم لها واحترامهم لأحكامها وتكون مطمئنة الضمير بانها فعلت الواجب الذى من أجله تأسست جمعيتها وخلقت عصبتها وانها فاعلة ان شاء الله

مغتنما هذه المناسبة ياجناب الرئيس لتقديم احتراماتى الفائقة الحد لشخصكم المحترم ودمتم

الحسين بن على

٩

انهيار الدولة الهاشمية

استفرغ الملك على جهده واستنفد قواه الأدبية والمادية فى الدفاع عن جدة وفى المقاومة فلم يجده ذلك فتيلا فجنح الى التسليم والجلاء بعد حصار استمر نحو ١١ شهرا

فني يوم الخميس ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ تم الاتفاق على تسليم جدة للسعوديين على الشروط الآتية :

١ - بالنظر لتنازل الملك على ومبارحته للحجاز وتسليم بلدة جدة يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والحربيين والأشراف وأهالى جدة عموما والعرب والسكان والقبائل وعائلاتهم سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم

٢ - يتعهد الملك على أن يسلم فى الحال جميع أسرى الحرب الموجودين فى جدة

٣ - يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يمنح العفو العام لكل من المذكورين أعلاه

٤ - يجب على جميع الضباط والعساكر أن يسلموا فى الحال الى السلطان عبد العزيز بجميع أسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطيارات وخلافه وجمع المهمات الحربية

٥ - يتعهد الملك على وجميع الضباط والعساكر ألا يخربوا أو يتصرفوا فى أى شىء من الأسلحة والمهمات الحربية جميعها

٦ - يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يرحل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون فى العودة الى أوطانهم ويتعهد باعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم

٧ - يتعهد السلطان عبد العزيز أن يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بجدة خمسة آلاف جنيه

٨ - يتعهد السلطان عبد العزيز أن يبقى جميع موظفى الحكومة الملكيين فى مراكزهم الذين يجد فيهم الكفاءة فى تأدية واجباتهم بأمانة

٩ - يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح الملك عليا فى أن يأخذ معه الأمتعة الشخصية التى فى حوزته بما فى ذلك أتومبيله وسجاجيده وخيوله

١٠ - يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية فى الحجاز بشرط أن تكون هذه الممتلكات فضلا من الموروثة ولا تشتمل على الاملاك الثابتة المحولة من الأوقاف بمعرفة الحسين الى شخصه ولا على المبانى التى يكون الحسين قد بناها فى أثناء ملكه لما كان على الحجاز

١١ - يتعهد الملك على أن يبرح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساء

١٢ - جميع البواخر التى فى ملك الحجاز وهى الطويل ورشدى والرقتين ورضوى تصير ملكا للسلطان عبد العزيز ولكن السلطان يصرح ان لزم الأمر للباخرة الرقتين أن تستعمل لنقل الامتعة الشخصية التابعة للملك على المتنازل ثم ترجع

١٣ - يتعهد الملك على ورجاله وسكان جدة بألا يخربوا أو يتصرفوا فى أى شئ من أملاك الحكومة مثل اللنشات والسنابيك وخلافه

١٤ - يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح جميع السكان والضباط والعساكر الموجودين فى ينبع جميع الحقوق والامتيازات المذكورة بعاليه الا فى ما يختص بتوزيع النقود .

١٥ - يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح العفو للاشخاص المذكورة أسماؤهم أدناه أيضا ضمن العفو العام وهم عبد الوهاب ومحسن وبكرى أبناء يحيى قزاز وعبد الحى ابن عابد قزاز وأحمد وصالح أبناء عبد الرحمن قزاز واسماعيل بن يحيى قزاز والشيخ محمد على صالح بناوى واخوته ابراهيم وعبد الرحمن بناوى أبناء محمد على صالح بناوى وأبناؤهم وأبناء عمهم حسن وزين بناوى وأبناء محمد نور والشيخ يوسف خشيرم والشيخ عباس ولد الشيخ يوسف خشيرم والشيخ ياسين بسيونى والسيد أحمد السقاف وعوائل وأموال جميع المذكورين آنفا

١٦ - اذا خالف الملك على أو رجاله فى حال من الأحوال أو قصر فى تنفيذ أى مادة من المواد المذكورة بعاليه فان السلطان عبد العزيز لايعتبر نفسه فى تلك الحالة مسئولا عن تأدية ماعليه من هذه الاتفاقية

٤

القضية السورية

من مبسلون سنة ١٩٢٠ الى الثورة الكبرى سنة ١٩٢٥

١
عهد التقسيم والتجزئة

بدأ الفرنسيون عملهم فى سورية بحل الجيش الوطنى والاستيلاء على سلاحه وذخائره ومدافعه غنيمة عسكرية ولما سقطت وزارة علاء الدين الدروبى على أثر مصرعه فى حربة الغزالة يوم ٢١ أغسطس ـ وسنفصل ذلك فيما يأتى ـ أعيد تأليف الوزارة برئاسة جميل الالشى وزير الحربية فى الوزارة الدروبيسة السابقة ، بعد الغاء وزارة الحربية كما ألغوا وزارة الخارجية عند تأليف الوزارة الدروبية يوم ٢٦ يوليو فأصبح مجلس الوزراء يتألف من ست وزارات وهى الداخلية والمالية والعدلية والمعارف والنافعة والتجارة بدلا من ثمان وأصبح المندوب السامى فى هذا العهد مصدر كل سلطة فى الدولة فهو الذى يعين رئيس الوزارة والوزراء ويقيلهم وهو الذى يسن القوانين والأنظمة وينشرها فتلاشت بذلك السيادة الوطنية وكانت تمثل فى مجلس النواب القديم (المؤتمر السورى) وفى الحكومة الوطنية التى كانت تستمد ثقتها منه ومن العرش وكان رمز الاستقلال وعنوانه ولم يكتف الفرنسيون بذلك بل أصدر المفوض السامى الفرنسوى بلاغا ألغى به جميع القوانين والأنظمة التى وضعت فى العهد الفيصلى وقال بوجوب الرجوع الى العمل بالقوانين العثمانية القديمة وبالأنظمة الجديدة التى وضعتها المفوضية العليا نفسها [1]

(١) فى يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٠ أرسل رئيس البعثة الفرنسوية فى دمشق كتابا الى رئيس الوزارة هذا نصه : « لقد علمت أنه ابان احتلال الحكومة العربية للمنطقة الشرقية القديمة من بلاد العدو المحتلة نشر الأمير فيصل قوانين جديدة وعدل بعض القوانين العثمانية المرعية فى البلاد فبموجب المادة ٤٣ من اتفاق الهاى المؤرخ ٢٩ يوليو سنة ١٨٩٩ يحظر احداث قوانين جديدة وتبقى قوانين البلاد القديمة مرعية زمن الاحتلال . وفى هذه الحالة فالقوانين المذاعة أو المعدلة من قبل الأمير فيصل تكون غير شرعية ومغايرة للاتفاقات

وأسرع الفرنسيون على أثر احتلال دمشق فعينوا بعثة رسمية للاشراف على أعمال الحكومة السورية وتنفيذ تعليمات المفوضية العليا وتطبيقها . وقد عهدوا بادىء بدء الى الكولونيل طولا برئاستها وهذه أسماء أعضائها و بيان اختصاصاتهم كما وردت فى كتاب رئيسها الى رئيس الوزراء فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٠

أتشرف بأن أبعث اليكم فيما يلى بيانا باختصاص كل عضو من أعضاء البعثة الحاضرين وذلك لأجل تسهيل الصلات بين المصالح الرسمية و بينها :

١ ـ القسم العسكرى : يدير الكولونيل كوس هذا القسم وهو مكلف بدرس الشئون الخاصة بوزارة الحربية وله السلطة على مديرية الشرطة العامة والأمن العام وادارة العشائر وكل مايرجع الى وزارة الداخلية

٢ ـ القسم الادارى : رئيس هذا القسم هو المسيو شوفلر وأعضاؤه المسيو ميليان والكومندان فيريه والمسيو فلوريمون والدكتور شابو

يرجع فى كل الأمور الادارية الى المسيو شوفلر ويتولى شخصيا شؤون وزارة الداخلية ويرجع اليه فى شؤون المعارف ريثما يحضر الاختصاصى قريبا وتتناول سلطه المسيو ميليان وزارة المالية والأوقاف . وينظر القائد فيريه فى الأمور المختصة بوزارة النافعة (ماعدا مديريات الزراعة والتجارة والصناعة) وله السلطة الموقتة على ادارة البرق والبريد ريثما يحضر الاختصاصى لها

ويتفرغ المسيو فلوريمون لمديريات الزراعة والتجارة والصناعة وادارة البيطرية. وأما الدكتور شابو فيتفرغ للمسائل الخاصة بمديرية الصحة العامة وأمور الاسعاف

٣ ـ القسم العدلى : ان جميع الشئون العدلية هى من اختصاص المسيو بويش رئيس هذا القسم

وعاد فأرسل كتابا قال فيه انه يجب أن تعرض قرارات الوزارة عليه قبل موافقتها عليها

الدولية ولا يجوز تطبيقها من الآن . ولذلك أرجوكم أن تتفضلوا فترسلوا لى كشفا بالقوانين الجديدة أو المعدلة وأن تصدروا الأوامر الى المحاكم والمجالس فى ادارتكم بأن لايعتدوا بها وأن يبقى تنفيذ الأحكام الصادرة بموجب هذه القوانين معلقا

انشاء دول وحكومات

١ — دولة لبنان الكبير[1]

ونفذ الفرنسيون بعد ذلك برنامجهم الاستعمارى القديم ففصلوا لبنان عن سورية وأنشأوا دولة لبنانية مستقلة عاصمتها مدينة بيروت بعد ماضموا اليها أقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا من أعمال حكومة دمشق ومدينة طرابلس حتى النهر الكبير فى الشمال وصيدا وصور ومرجعيون فى الجنوب ومعنى ذلك ان لبنان صار يتألف فى الدور الجديد من المقاطعات الآتية :

جبل لبنان القديم

لواء بيروت ويتألف من أقضية صيدا وصور ومرجعيون

طرابلس مع قضاء عكار وحده

الأقضية الشرقية وهى بعلبك وحاصبيا وراشيا والبقاع

وجعلوا بيروت عاصمة للدولة الجديدة وأطلقوا عليها اسم « لبنان الكبير » وفى يوم أول سبتمبر سنة ١٩٢٠ وقف الجنرال غورو فى قصر الحرش فأعلن استقلالها بضمانة فرنسا وتحت حمايتها . وقد احتجت الحكومة السورية رسميا على فصل الأقضية الأربعة عن دمشق والحاقها بلبنان من دون مسوغ

٢ — دولة حلب

فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٢٠ استسلمت حلب للجنرال دى لاموط بدون حرب ولا قتال ، فدخلها الجيش الفرنسوى

وعين الجنرال دى لاموط قائد الجيش المحتل كامل باشا القدسى واليا لحلب وجاء له بأمر من حكومة دمشق ، على أن هذا مالبث أن أعلن انفصاله عن حكومة دمشق وقطع كل صلة بها وأخذ يسير طبقا لتعليمات الفرنسويين. فأنكرت عليه هذه تصرفاته واحتجت على

(١) صارت دولة لبنان بعد ذلك جمهورية ومثلها دولة دمشق وقد وصلنا أخبار تحولهما فى الصفحات الآتية

أعماله وطلبت من الفرنسويين ايقافه عند حده وحمله على احترام أوامرها وتعليماتها فلم يأبهوا لها . واليك نص قرار أصدره مجلس الوزراء الدمشقي يوم ١٩ أغسطس سنة ١٩٢٠ بهذا الشأن :

تبين من المعاملات الجارية أن الفريق كامل باشا القدسي ينتحل لنفسه حق تنحية الموظفين ونصبهم فى حلب بدون ان تكون له صفة رسمية تخوله ذلك الحق ولذلك تقرر عدم اعتبار الموظفين الذين يعينهم كامل باشا القدسي فى حلب وملحقاتها واعتبار جميع الموظفين الذين أقالهم باقين فى وظائفهم مع دوام دفع رواتبهم . وأما الموظفون الذين عينوا أو يعينون مجددا ولم يتمكنوا من مباشرة العمل بسبب معارضته فتعتبر مباشرتهم من تاريخ وصولهم الى حلب ويستحقون الراتب من التاريخ المذكور »

ورغم هذا الاحتجاج وهذا التدبير فقد أصدر المفوض السامى يوم ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٠ قرارا أعلن فيه فصل حلب فصلا نهائيا عن دمشق وانشاء دولة مستقلة تسمى دولة حلب

٣ — دولة العلويين

وفى يوم ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٠ أيضا أصدر المفوض السامى أمرا ثالثا بانشاء دولة العلويين على أن تكون مدينة اللاذقية عاصمة لها وعلى أن تتالف من المناطق الآتية :

لواء اللاذقية القديم ويضم أقضية صهيون وجبلة وبانياس

قضاء احصن الأكراد وصافيتا من لواء طرابلس القديم مع ناحية طرطوس

قضاء مصياف من أعمال حماه

٤ — دولة دمشق

ظلت الحكومة القائمة فى دمشق تحمل اسم الحكومة السورية حتى يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ففى ذلك اليوم استقال جميل الالشى من رئاسة مجلس الوزراء وعين حقى العظم مكانه وأصدر على الفور قرارا بقلب الوزارات الى مديريات عامة ولقب نفسه بحاكم دولة دمشق فأقر الفرنسويون ماوقع وفقدت دمشق بذلك ميزتها الطبيعية وأصبحت عاصمة من جملة العواصم العديدة التى ظهرت فى العهد الجديد

٥ — دولة جبل الدروز

استمال الفرنسويون فى زمن الحكومة الفيصلية بعض شيوخ جبل الدروز بما بذلوه لهم من أموال وافرة فتطوع بعضهم فى الجيش الفرنسوى وكان على رأس هؤلاء فارس الأطرش شيخ قرية ذيبين ومتعب الأطرش شيخ رساس ومصطفى نجم الأطرش شيخ امتان وطاهر القنطار ونسيب نصار وغيرهم

ولما سقطت الحكومة الفيصلية وانصرف الفرنسويون الى تنظيم الحكم فى سورية دارت بينهم و بين شيوخ الجبل مباحثات للاتفاق على النظام الادارى الذى ينفذ فى جبلهم فعقد الدروز مؤتمرا فى السويدا يوم ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٠ أقروا فيه القرارات الآتيـة وأبلغوها الى السلطة الفرنسوية طالبين تنفيذها :

١ ـ حكومة جبل الدروز هى حكومة شورية مستقلة استقلالا داخليا

٢ ـ تقبل حكومة الجبل الانتداب الفرنسوى بشكل لايمس استقلالها

٣ ـ تسمى هذه الحكومة مشيخة جبل حوران ويدخل ضمنها كامل وعرتى اللجاه والصفا وتمتد الى حدود الدير على من الجهة الشمالية والى حدود الأزرق من الجهة الجنوبية

٤ ـ يرأس هـذه الحكومة حاكم أهلى ، ينتخبه الأهالى ، وفقا لقانون خاص مرة كل ثلاث سنوات ، ويكون لها مجلس استشارى كبير ينتخب أعضـاؤه وفقا لقانون خاص مرة كل ثلاث سنوات أيضا

٥ ـ يقوم هذا المجلس مقام المجلس الملى ولايقل أعضاؤه عن الثلاثين عضوا

٦ ـ تحدد وتعين صلاحيـة ووظيفة كل من الرئيس والمجلس بقانون خاص يوافق عليه أهل البلاد بجمعية عمومية

٧ ـ تستمد حكومة الجبل ماتحتاج اليـه من المساعدة المالية والفنية والاقتصادية من الحكومة المنتدبة

٨ ـ لايحق للحكومة المنتدبة ، المداخلة بأمور الجبل الداخلية ، ولا تجنيد أهالى جبل حوران ولا نزع الأسلحة منهم ضمن المنطقة الفرنسوية

٩ ـ يعهد بأمور الجبل السياسية الخارجية لمأمورى الحكومة المنتدبة السياسيين

ولا يكون للحكومة الوطنية مأمورون سياسيون الا فى دمشق وفلسطين وجبل لبنان

١٠ – واردات هذه الحكومة تكون أولا مما يصيبها من حصة الجمارك السورية والفلسطينية . وثانيا مما يصيبها من واردات مصالح اثرى وكاف . وثالثا من دخل أملاك الدولة التى ستدخل ضمن حدودحكومة الجبل . ورابعا مما يطرحه المجلس الملى من الأموال عند الاحتياج المبرم على أنه لايحق لهذا المجلس أن يقرر استيفاء ضريبة الأعشار من حاصلات الأراضى انما الأموال التى يجوز له أن يقرر استيفاءها من الأراضى يجب أن تكون مقطوعة ومصدقا عليها من عموم أهل البلاد بجمعية عامة

١١ – اذا خالف رئيس الجبل منافع الجبل العامة ومصالحه الحيوية وأخل بالقوانين الأساسية الموضوعة وقرر المجلس تنحيته واستحصل على فتوى من مشايخ العقل بذلك فحينئذ ينحى وينتخب خلافه

١٢ – ينصب مشائخ العقل مدى الحياة ولا يعزلون ولا يحق للحكومتين الوطنية والمنتدبة التدخل بوظائفهم الدينية »

وأرسل المؤتمر الدرزى وفدا الى دمشق برئاسة سليم الأطرش يحمل هذه القرارات لابلاغها الى البعثة الفرنسوية فدارت مفاوضات بينهما انتهت يوم ٤ مارس سنة ١٩٢١ بالاتفاق الآتى :

١ – تنشأ فى جبل دروز حوران ، حكومة وطنية مستقلة استقلالا إداريا واسعا تحت الانتداب الفرنسوى . وتعين حدود هذه الحكومة لجنة ثم تقرها الدولة المنتدبه

٢ – تكون هذه الحكومة وطنية ويعين موظفوها من أبناء البلاد ويكون طرز ادارتها منطبقا على العوائد المحلية وتقدم الحكومة المنتدبة مستشارين فرنسويين يقيمون عند الحكومة الوطنية لتدريبها على الأمور القانونية والادارية ويرجعون الى رئيس البعثة بدمشق . أما اسم هذه الحكومة فيحتفظ به الآن ريثما يتفق عليه مع المندوب السامى

٣ – يرأس هذه الحكومة حاكم أهلى ينتخب بواسطة ممثلى الشعب القانونيين لمدة أربع سنوات بموجب قانون خاص يسن فيما بعد ولا يصح انتخابه نهائيا الا بعد مصادقة الدولة المنتدبه

٤ – يساعد الحاكم فى مهامه مجلسان ، يدعى الاول مجلس الحكومة والثانى اللجنة

الادارية وينتخب مجلس الحكومة لمدة ثلاث سنوات ممثلو الأمة الشرعيون وفقا لقانون خاص يوضع فيما بعد ويلتئم هذا المجلس مرة فى السنة لتدقيق ميزانية الحكومة والموافقة على الحسابات الماضية ويقدم اقتراحات فيما يتعلق بالمصالح العامة كالأشغال العمومية والصحة والاسعاف والمعارف الخ . أما اللجنة الادارية فيكون اجتماعها بصورة دائمة وتكون مؤلفة من موظفين يعينهم الحاكم ومندوبين ينتخبهم مجلس الحكومة

٥ ـ ينظم قانون خاص تعين به وظائف الحاكم وصلاحيته وصلاحية مجلس الحكومة واللجنة الادارية وكيفية تأليفهما ويعهد بتنظيم هذا القانون الى لجنة خاصة ولايصبح نافذا الا بعد مصادقة الدولة المنتدبة عليه

٦ ـ ان الحكومة المنتدبة وحدها دون سواها تقدم لحكومة جبل الدروز المساعدة الفنية والمالية والاقتصادية والعسكرية التى قد تحتاج اليها

٧ ـ تتعهد الحكومة المنتدبة باستثناء سكان جبل الدروز من الخدمة العسكرية الاجبارية أما قوات الدولة والشرطة اللازمة لحفظ النظام العمومى فيصير تشكيلها بطريقة التطوع ويسمح لسكان الجبل بابقاء الأسلحة بين أيديهم داخل حدود الحكومة الدرزية . أما فى خارج هذه الحدود فيجب على السكان المذكورين الخضوع للأحكام الموضوعة بخصوص حمل السلاح

٨ ـ ان الحكومة المنتدبة هى موكلة وحدها بمصالح الحكومة الدرزية وتمثيلها فى الخارج أما فى داخل المنطقة الفرنسوية فتقبل الحكومة المنتدبة معتمدين لحكومة الجبل لأجل المصالح الاقتصادية

٩ ـ تتعهد الدولة المنتدبة ، بعدم اجبار حكومة جبل الدروز على الدخول فى الوحدة المحتمل حصولها فيما بعد بين البلاد السورية الافيما يختص بالمسائل الاقتصادية العائدة منفعتها على الحكومة الدرزية وسائر المقاطعات السورية

١٠ ـ مصادر الايراد لميزانية جبل الدروز هى الآتية :

١ ـ الضرائب والرسوم المختلفة التى يعرضها مجلس الحكومة

٢ ـ الرسوم التى تفرض على المناجم المعدنية المحتمل اكتشافها فى أراضى هذه الحكومة

٣ ــ ولوردات أقسام الأراضى السنية العائدة للحكومة العثمانية والمحتمل ادخالها ضمن منطقة جبل الدروز الجديدة ولا يصير دفع اعشار فى هذه الحكومة

١١ ــ لاتصبح ميزانية جبل الدروز نافذة الا بعد مصادقة المندوب السامى للجمهورية الفرنسوية فى سورية عليها

١٢ ــ لاتقام حواجز جركية بين حكومة الجبل وحكومة مقاطعة دمشق انما يحق لحكومة جبل الدروز أن تأخذ حصتها من واردات الجارك السورية فيما لو ترتبت حصص لباقى المقاطعات السورية

١٣ ــ يمكن لمجلس الحكومة ان يطلب من الدولة المنتدبة فى الأحوال المذكورة فى القانون الخاص المتعلق بصلاحية الحاكم ووظائفه اقالة الحاكم وتتخذ الحكومة المنتدبة قرارا بهذا الشان بعد استشارة رؤساء الدين

١٤ ــ ان الحكومة المنتدبة ومجلس حكومة الجبل واللجنة الادارية لا تتدخل على الاطلاق فى الأمور الدينية ولا يجوز للسلطة المدنية عزل أوتنحية رؤساء الدين

١٥ ــ تتعهد الحكومة المنتدبة وحكومة الجبل المحلية بالمحافظة على حقوق الأقليات داخل حكومة الجبل هذه

فضل الله هنيدى . سيب الأطرش . سليم الأطرش . توفيق أبو عساف . عقلة القطامى . قفطان عزام . فخر الدين الشعرانى . مسعود غانم . جبر شلغين . نايف أبو فخر . ضمرى شلغين . دخل الله أبو فخر . سيب الحسينى . حسين آبو فخر

بالاصالة والنيابة عن المشايخ الروحانيين أقر وأعترف بذلك

محمود أبو فخر

الرئيس الروحى

مصدق

رو بردى كيه

المفوض السامى فى سورية وكيليكية بالنيابة فى ٤ مارس سنة ١٩٢١

وفي يوم ٥ ابريل سنة ١٩٢١ اعترفت الحكومة المنتدبة بدولة جبل الدروز وفي ٢٠ منه أصدر الجنرال غورو أمرا الى الأمير سليم الاطرش بإنشاء الحكومة الجديدة في الجبل وفي يوم أول مايو من تلك السنة عقد زعماء الدروز اجتماعا في السويدا فانتخبوا الامير سليم حاكما للدولة الجديدة وفي يوم ٦ مايو تم انتخاب مجلس الدولة الجديدة وعينت السلطة المنتدبة الكومندان ترانكا مستشارا لها فجاء الجبل وهو أول ضابط فرنسوي دخله . وفي يوم ٥ ابريل سنة ١٩٢٢ أعلن استقلال الدولة الجديدة رسميا واتخذ ذلك اليوم عيدا رسميا يحتفلون بحلوله كل عام

٦ — لواء اسكندرونه

ظل لواء اسكندرونه [١] جزءا من دولة حلب حتى صيف سنة ١٩٢٤ فأصدر المفوض السامي قرارا قال فيه «يتمتع لواء اسكندرونه مع بقائه تابعا للدولة السورية بنظام اداري ومالي خاص وتعتبر اللغة التركية لغة رسمية كالعربية والفرنسوية ويعين متصرف لواء اسكندرونه من قبل رئيس الدولة السورية بناء على اقتراح مندوب المفوض ويكون له كل السلطة المخولة لمتصرفي الالوية وله علاوة على ذلك النظر في شؤون المعارف والاشغال العامة »

ولما جرت الانتخابات على قاعدة اللواء في عهد المسيو دي جوفنيل — وسنفصل ذلك حين الكلام على الثورة — اجتمع مندوبو اسكندرونه في ٢٤ يناير سنة ١٩٢٦ وقرروا فصل لوائهم عن سورية اداريا وربطه رأسا بالمفوضية العليا مع توسيع سلطة مندوب المفوض السامي . على أنهم عادوا فاجتمعوا يوم ١٢ يونيو من تلك السنة وقرروا الغاء القرار الخاص باستقلال اللواء وابقائه في داخل الوحدة السورية على قاعده اللامركزية ويكون تعيين شكلها راجعا الى المرجع الاختصاصي بالتفاهم مع المفوض السامي

---

(١) يتألف هذا اللواء من مدن اسكندرونة وانطاكية وبيلان وقرقخان وهو مجاور لتركيا

دساتير هذه الدول

وفي يوم ١٤ مايو سنة ١٩٣٠ نشر المفوض السامي مجموعة الدساتير التي وضعها للدول السورية وهي جمهورية دمشق وجمهورية دولة لبنان وحكومة جبل الدروز وحكومة العلويين ولواء اسكندرونه وأرسلها الى جمعية الأمم بواسطة وزارة الخارجية الفرنسوية فأقرتها وهي نافذة ومعتبرة حتى الآن

٢

انشاء الاتحاد السورى والغاؤه

رغم السكون الذى شمل البلاد السورية بعد حوادث ميسلون ورغم خمود الحركة الوطنية وتشتت زعمائها ورجالها فقد قابلت الامة التجزئة التى أقدم عليها الفرنسويون بأشد مظاهر الاستياء والاستنكار لانها ما كانت تجهل الغاية منها وهى تثبيت أقدام الاستعمار وانهاك البلاد بفادح النفقات

ورأى الجنرال غورو ان يعدل مشروع التجزئه تعديلا ظن انه يرضى الشعب فأصدر يوم ٢٢ يونيو سنة ١٩٢٢ قرارا بانشاء اتحاد بين دول دمشق وحلب والعلويين جاء فى المادة الأولى منه انه قد أنشىء اتحاد بين الدول السورية المؤلفة من دولة حلب ودولة دمشق وأراضى العلويين المستقلة وجاء فى الثانية ان من أراد الانضمام الى هذا الاتحاد من الدول أو الاراضى الأخرى الواقعة تحت الانتداب الفرنسوى يجب عليه قبول الشروط المدرجة فى هذا القرار ثم يتخذ رئيس الاتحاد قرارا يصادق به على هذا الانضمام ويحدد عدد الممثلين الذين تنتدبهم عنها لدى مجلس الاتحاد الدولى التى قبل انضمامها

ان الدول الواقعة تحت الانتداب الفرنسوى داخلة كانت فى الاتحاد ام لم تكن يكون لها عين النظام فيما يتعلق بالنقود والمعاملات الجركية ولا يمكن أن يفصل بينها بأدنى حاجز جركى

وجاء فى الرابعة أن السلطة التنفيذية تخول لرئيس الاتحاد الذى يمكنه تكليف حكام الدول بالنيابة عنه تنفيذ قرارات المجلس الاتحادى وان هذا الرئيس ينتخب من جانب المجلس بالاكثرية المطلقة ويكون انتخابه لسنة كاملة . وجاء فى الخامسة « يساعد رئيس الاتحاد فى مهام وظيفة مديرون من الدول المتحدة ومجلس الاتحاد وهذه المديريات المشتركة بين الدول تكون بصورة مؤقتة كما يأتى : مدير المالية ومدير الاشغال العامة ومدير العدلية ويرشد

هؤلاء المديرين مستشارون فرنسويون . وجاء فى السادسة ان قرارات رئيس الاتحاد لاتنفذ الابعد مصادقة المفوض السامى عليها

وجاء فى المادة السابعة : يؤلف المجلس الاتحادى من خمسة ممثلين لدولة دمشق وخمسة لدولة حلب وخمسة لبلاد العلويين وينتخب هؤلاء الممثلون لمدة سنة من قبل مجالس الحكومات حينما تؤلف على الطريقة الانتخابية على أنه لا يجب ضرورة أن يكون أعضاء المجلس الاتحادى من أعضاء مجلس الحكومة الذين ينوبون عنها بل يجرى تعيينهم موقتا من قبل حكام الدول

وجاء فى الثامنة «يلتئم المجلس الاتحادى بالمناوبة تارة فى دمشق وتارة فى حلب فى كل منهما سنة واحدة وتؤلف دائرة تمثل فيها كل بعثة مؤلفة من رئيس أول ورئيسين ثانيين

وفى يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩٢٢ اجتمع أعضاء المجلس الاتحادى فى حلب ووقف الجنرال غورو فأعلن انشاء الاتحاد السورى رسميا وخطب خطبة طويلة قال فى مستهلها اننى أعلم ان هذا الاتحاد لم يقابله الاهالى فى كل مكان بعواطف واحدة غير انه من المحتمل أن القرار الذى أوجده لم يترجم على وجه الصحة أو لم ينقل بالضبط لهذا أرى أن يتلى عليكم بنصه فتلى فعلا

واجتمع المجلس يوم ٢٩ منه فانتخب صبحى بركات أحد مندوبى حلب رئيسا لمجلس الاتحاد ثم انفض على أن يدعى الى الانعقاد فى دورة أخرى وقد اجتمع بعد ذلك فى دمشق وقرر أن تكون عاصمته الدائمة

اقرار الانتداب وصكه

وعملا بقرار مجلس الحلفاء الأعلى الصادر فى سان ريمو يوم ٢١ ابريل سنة ١٩٢٠ بمنح الانتداب على سورية لفرنسا أقر مجلس جمعية الأمم حين اجتماعه فى لندن يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ صك الانتداب الذى وضعته الحكومه الفرنسوية لسورية ولبنان وهذا نصه :

مجلس جمعية الأمم :

لما كانت دول الحلفاء العظمى متفقة على ان أراضى سورية ولبنان التى كانت فى ما

مضى جزءا من السلطنة العثمانية يعهد بها ضمن حدود تعينها الدول المشار اليها الى دولة منتدبة موكول اليها نصح الاهالى ومعاونتهم وارشادهم فى ادارتهم وفقا لنص الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم

ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد قررت أن الانتداب على البلاد المذكورة يعطى لحكومة الجمهورية الفرنسوية التى قبلته

ولما كان صك هـذا الانتداب المبين فى المواد المذكورة فيما بعد قد وافقت عليه حكومة الجمهورية الفرنسوية وعرض للتصديق على مجلس جمعية الأمم

ولما كانت حكومة الجمهورية الفرنسوية تتعهد باجراء هـذا الانتداب باسم جمعية الأمم طبقا للمواد المذكورة

ولما كانت نصوص المادة الثانيـة والعشرين الآنفة الذكر (الفقرة الثانيـة) تقضى بأنه لما كانت درجـة السلطة والمراقبة والادارة التى تجريها الدولة المنتـدبة لم يتفق عليها سابقا بين أعضاء جمعية الأمم فالمجلس هو الذى ينظم ذلك

يضع نصوص الانتداب كما يلى موافقا عليه :

١ ــ تضع الحكومة المنتدبة فى برهة ثلاث سنوات اعتبارا من تاريخ تنفيذ هـذا الانتداب دستورا نظاميا لسورية ولبنان

يصاغ هذا الدستور بالاتفاق مع السلطات الوطنية وتراعى فيه حقوق عموم السكان القاطنة فى هذه البلاد ومصالحهم . وستشرع الحكومة المنتدبة فى ايجاد الوسائل التى من شأنها أن تسهل تقـدم سورية ولبنان ورقيهما كحكومتين مستقلتين وتسيرهما بموجب روح هذا الصك الى أن يتم الشروع فى تنفيذ ذلك الدستور

ويجب على الدولة المنتدبه أن تنشط الاستقلال المحلى قدر ماتسمح به الاحوال

٢ ــ يمكن الحكومة المنتدبة أن تبقى جنودها فى البـلاد للدفاع عنها ، وقـد خولت حق تنظيم جنـد من المليس المحلى قصد المحافظة على الامن والدفاع عن البـلاد كما تقتضيه الأحوال وذلك حتى تنفيذ الدستور واعادة الامن الى نصابه ، وتنظم جنود المليس المحلى من سكان البلاد فقط

ترتبط هذه الجنود فيما بعد بالادارات المحلية تحت اشراف الدولة المنتدبة ولا يجوز ـ

استخدامها لأغراض أخرى سوى الإغراض المعينة فيما تقدم الا بعد موافقة الدولة المنتدبة

لامانع يمنع سورية ولبنان من الاشتراك فى نفقات القوات التى تضعها الدولة المنتدبة فى البلاد

يحق للدولة المنتدبة فى كل حين أن تستعمل الموانى والخطوط الحديدية ووسائل النقل الموجودة فى سورية ولبنان لسوق جنودها ونقل جميع المواد والمهمات والوقود اللازمة لها

٣ ـ يعهد الى الدولة المنتدبة بالسيطرة على جميع علاقات سورية ولبنان الخارجية ولها حق اصدار البرا آت الى القناصل الذين يعينون من قبل الدول الأجنبية ، وتشمل الدولة المنتدبة بحمايتها السياسية والقنصلية الرعايا السوريين واللبنانيين الذين يعيشون خارج هذه البلاد

٤ ـ الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن أى جزء من أجزاء سورية ولبنان وعن عدم تأجيره أو وضعه تحت تسلط دولة أجنبية

٥ ـ ان اعفاء الأجانب من الأمور الواجبة وتمتعهم بالامتيازات الأجنبية و بقضاء القنصلاتو وحمايته التى كانوا يتمتعون بها أيام الدولة العثمانية لا تطبق فى سورية ولبنان ، غير أن محاكم القنصلاتو الاجنبية تداوم على القيام بوظيفتها الى أن يتم تنفيذ النظام الجديد المنصوص عنه بالمادة السادسة

ان الدول التى كان أتباعها يتمتعون بالامتيازات الاجنبية المبينة أعلاه لأول أغسطس سنة ١٩١٤ والتى لم تتنازل عن هذه الامتيازات أو توافق على عدم تطبيقها لأجل محدود ، ستمنح ثانية جميع الامتيازات أو بعضها بعد انقضاء أمد الانتداب بالصورة التى يتم عليها الاتفاق بين الدول ذات الشأن

٦ ـ تضع الحكومة المنتدبة فى سورية ولبنان نظاما قضائيا يصون حقوق الوطنيين والاجانب على السواء

يحافظ على أحوال الناس الشخصية وعلى مصالحهم الدينية وخصوصا ادارة الاوقاف التى تدار وفقا للشريعة ولارادة الوقف

٧ ـ تكون معاهدات تسليم الرعايا الاجانب المبرمة بين الدولة المنتدبة و بين سائر

الدول الاجنبية مرعية فى سورية ولبنان الى أن يتم عقد اتفاقات خاصة بهذا الشأن

٨ – تضمن الدولة المنتدبة للجميع حرية الضمير وحرية القيام فى جميع شعائر العبادة التى لا تخل بالامن ولا بالآداب العامة ولا يكون تمييز من أى نوع بين سكان سورية ولبنان بسبب الجنس أو الدين أو اللغة

تنشط الحكومة المنتدبة التعليم العام ويكون هذا التعليم بلغة البلاد المحلية ، لا تحرم جميع الطوائف حق المحافظة على مدارسها وتعليم أبنائها بلغتها متى كان ذلك مطابقا لقانون التعليم العام الذى تعينه الحكومة

٩ – تتجنب الحكومة المنتدبة التدخل فى أعمال المجالس الادارية وفى ادارة الطوائف الدينية وفى ادارة المعابد المقدسة التى تخص احدى الطوائف وقد تكفلت بالمحافظة على هذه المعابد

١٠ – تحدد سلطة الدولة المنتدبة فى مراقبة البعثات الدينية فى سورية ولبنان لاجل محافظتهم على الامن وعلى الحكم بطريقة مرضية ، ولا تحصر الدولة المنتدبة مساعى هذه البعثات بصورة من الصور ولاتقيد أعضاءها بقيود بسبب قوميتهم مالم تخرج أعمالهم عن أصول الدين

يمكن لهذه البعثات الدينية أن تشتغل بأمور الاسعاف والتعليم تحت مراقبة الدولة المنتدبة أو الحكومة المحلية

١١ – يجب على الحكومة المنتدبة أن لا تميز بالمعاملة فى سورية ولبنان بين أتباعها وبين أتباع غيرها من الدول الداخلة فى عضوية جمعية الامم وتشمل هذه المعاملة الجمعيات والشركات الاجنبية على اختلافها ، وان لا تميز أيضا بين اتباع أى دولة أجنبية وبين اتباعها فى الأمور التى لها مساس بالضرائب والتجارة والملاحة وتعاطى الحرف والمهن أو فى معاملة السفن البحرية أو الوسائط الهوائية وكذلك الأمر يجب أن لا يكون تمييز فى سورية ولبنان بين البضائع التى يكون مصدرها أو محط رحالها بلاد تلك الدول المذكورة ويجب اطلاق حرية المرور التجارية عبر المنطقة المشار اليها بشروط عادلة

يمكن للحكومة المنتدبة بعد مراعاة ماذكر أعلاه أن تفرض الضرائب والرسوم الجركية التى تراها ضرورية أو أن توعز للحكومات المحلية أن تفرضها ، ويمكن للدولة

المنتدبة أو للدولة المحلية التابعة لمشورتها أن تعقد لاسباب جوارية اتفاقا جمركيا خاصامع البلاد المتاخمة لها

ويمكن للحكومة المنتدبة عملا بشروط البند الاول من هذه المادة أن تتخذ الوسائل الفعالة التى تعتقد صلاحها لترقية موارد البلاد الطبيعية مع المحافظة على مصالح السكان

تمنح الامتيازات لترقية هذه الموارد الطبيعية لمن شاء دون تمييز فى تابعية الاشخاص الداخلة دولهم فى عداد أعضاء جمعية الامم بشرط أن لا تمس هذه الامتيازات سلطة الحكومة المحلية ، ولا تمنح الامتيازات بصفة احتكار عام . لا تمس هذه الفقرة بتحديد سلطة الدولة المنتدبة فى ايجاد الاحتكارات المالية التى من شأنها أن ترقى مصالح سورية ولبنان وتحفظ مواردها المالية والمحلية ، ويمكن للحكومة أن تسعى لترقية هذه الموارد الطبيعية مباشرة أو بواسطة شركة خاصة تعمل تحت اشرافها بشرط أن لا يوجد هذا العمل لا عمداً ولا بالواسطة احتكارا خاصا بالدولة المنتدبة أو برعاياها ، أو يمنحهما ميزة فى الأمور الاقتصادية والتجارية والصناعية التى تقرر فيها المساواة بين الجميع

المادة ١٢ ــ تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن سورية ولبنان على كل اتفاق دولى عام عقد حتى الآن أو ربما يعقد فيما بعد بموافقة جمعية الأمم بخصوص الاتجار بالرقيق ، وبالعقاقير وبالسلاح ، والمعدات الحربية ، وبالمساواة التجارية ، وحرية العبور ، والملاحة والطيران والمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية ، وباتخاذ الوسائط اللازمة لحماية الصنائع والآداب والفنون

المادة ١٣ ــ تصون الدولة المنتدبة بقدر ماتسمح لها الاحوال الاجتماعية والدينية اتحاد سورية ولبنان فى الأمور ذات الفوائد العامة التى تقرها جمعية الأمم لمنع الأمراض ومقاومتها وفى جملتها أمراض الحيوان والنبات

المادة ١٤ ــ تتضمن هذه المادة بحثا طويلا فى قانون الآثار لا فائدة من نشره وهو شبيه بالمادة الخاصة بالآثار فى صك الانتداب لفلسطين فليرجع اليها

المادة ١٥ ــ عندما يتم تنفيذ الدستور المنصوص عليه فى المادة الأولى يوضع ترتيب بين الحكومة المنتدبة والحكومات المحلية تدفع بموجبه هذه الحكومات جميع النفقات التى أنفقتها الحكومة المنتدبة لأجل تنظيم الادارة وترقية الموارد المحلية والقيام

بالمشروعات العامة التى أفادت البلاد افادة خاصة وترسل نسخة عن هذه الترتيبات الى مجلس جمعية الأمم

المادة ١٦ – تكون اللغة الفرنسوية واللغة العربية اللغتين الرسميتين المستعملتين فى سورية ولبنان

المادة ١٧ – تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الامم تقريرا سنويا حسب طلبه تبين فيه التدابير التى اتخذتها أثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب ويرسل مع هذا التقرير نسخ عن جميع القوانين والانظمة التى تسن سنويا

المادة ١٨ – يجب أن يوافق مجلس جمعية الامم على كل تعديل يحصل فى شروط هذا الصك

المادة ١٩ – يستعمل مجلس جمعية الامم نفوذه عندما تنتهى مدة الانتداب لتحافظ حكومة سورية ولبنان فى المستقبل على علاقاتهما المالية ومنها الرواتب القانونية التى منحتها ادارة سورية ولبنان أيام الانتداب

المادة ٢٠ – توافق الدولة المنتدبة اذا حصل نزاع بينها وبين دولة ثانية داخلة فى عضوية جمعية الأمم بخصوص تفسير شرط فى صك الانتداب أو تطبيقه على عرض هذا النزاع على محكمة العدل الدولى الدائمة المنصوص عليها فى المادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الأمم هذا اذا لم يمكن حل النزاع بين الدولتين بواسطة المفاوضات (١)

المجالس التمثيلية للدول الجديدة

بعد أن أتم الفرنسويون عملية التجزئة وأقاموا فى كل ناحية دولة أنشأوا مجالس تمثيلية لهذه الدول . ففى يوم ٣٠ أغسطس سنة ١٩٢٣ أصدر المفوض السامى قرارا بانشاء مجلس تمثيلى لدولة دمشق يتألف من ٣٠ عضوا على أن تكون صلاحيته (اختصاصاته) محدودة بالنظر فى الميزانية والضرائب والتشريع والادارة ويكون له الحق أيضا فى تعيين

(١) رغم اقرار الانتداب، يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ فانه لم يوضع موضع التنفيذ رسميا الا يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ وذلك بسبب معارضة ايطاليا . وأول تقرير قدمته فرنسا الى جمعية الأمم عن الحالة فى سورية كان فى اكتوبر سنة ١٩٢٤

تمثلي الدولة في المجلس الاتحادي وفي طرح الأسئلة على الحاكم وابداء التمنيات

وصدر قرار بانشاء مجلس كمثل هذا لدولة حلب وآخر لدولة العلويين . أما في لبنان وجبل الدروز فقد أنشئا من قبل

وقد احتجت دمشق على انشاء هـذا المجلس وعلى اختصاصاته الضـيقة وقاطعت انتخاباته وأضربت عن العمل عشرة أيام احتجاجا على انشائه بيد أن ذلك لم يحل بين السلطة و بين اتمام ماشرعت فيـه فأكملت الانتخابات وأخرجت النواب الذين اختارتهـم فقاطعهم الشعب وازدراهم فعينت الحـكومة شرطيين لحراستهم خوفا من فتـك الشعب ونقمته .

الغاء الاتحاد السوري وانشاء الدولة السورية

لم يعش الاتحـاد السوري طويلا لانه لم يرض الشعب السوري الذي ظل يواصـل الاحتجاج مطالبا بالوحدة الصحيحة وبالحـكم النيابي الدمقراطي الحر وبالاستقلال الـكامل فلم ير الجنرال فيجان وهو الذي حلف الجنرال غورو بدا من الغائه فأصدر يوم ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٤ قرارا بالغاء الاتحاد السوري وانشاء وحـدة بين دولة دمشق ودولة حلب وابقاء حكومة العلويين فى خارج الدولة الجديدة وهذا نص قراره :

١ ــ تتحد دولتا حلب ودمشق اعتبارا من أول يناير سـنة ١٩٢٥وتؤلفان دولة واحدة تسمى (الدولة السورية)

تؤلف الدولة السورية ضمن الحدود الحالية لدولتي دمشق وحلب دولة مستقلة عاصمتها دمشق على أن يحتفظ بحقوق وواجبات الحـكومة المتدنة

٢ ــ يتولى السلطة التنفيذية رئيس حكومة يسمى (رئيس دولة سورية) وينتخبه المجلس التمثيلي بأكثرية الآراء المطلقة . وان كان من أعضاء المجلس التمثيلي تزول منه هذه الصفة يوم انتخابه ويتحتم استبداله بغيره

٣ ــ يتولى رئيس دولة سـورية القيام بوظائف رئيس الاتحـاد للدول السورية وبوظائف حكام الدول وفقا للقرارات المعمول بها

وهو يعين كبار موظفي الدولة وفقا لأحكام القوانين والأنظمة التي بها يتعين دستور

هؤلاء الموظفين وسيصدر فيما بعد قرار التمييز بين كبار الموظفين وغيرهم ولتعيين سلسلة مراتبهم

٤ ـ يؤازر رئيس الدولة وزراء يناط به أمر نصبهم واستبدالهم وتعود الى الوزراء الادارة العليا لجميع مصالح الدولة المربوطة بدائرة كل واحـد منهم ويضمن كل بما تعلق به تطبيق أحكام القوانين والأنظمة ويسمون الموظفين الذين لا يعود أمر تسميتهم لا الى رئيس الدولة كما نصت عليـه المادة الثالثة من هـذا القرار ولا الى المتصرف أو الوالى وفقا لأحكام القوانين المعمول بها

٥ ـ الوزارات خمس ـ وزارة الداخلية : وبها تربط مصالح الشرطة المحلية ومديرية الدرك الثابت ومديرية الصحة والاسعاف العام

وزارة العدلية

وزارة المالية : وبها تربط مديرية المصالح العقارية . ومديرية أراضى الدولة

وزارة المعارف العامة

وزارة الاشغال العامة والزراعة والاصـلاح الاقتصادى : وبها تربط مديرية البرق والبريد

٦ ـ تبقى على حالها ادارة الألوية والأقضـية والنواحى والبلديات ويسمى لواء حلب (ولاية حلب) ويقوم واليها بوظائف المتصرفين وفقا للقوانين والأنظمة المعمول بها

٧ ـ ان وظائف مجلس كل من دولتى حلب ودمشق التمثيليين ووظائف المجلس الاتحادى يقوم بها فى الدولة السورية مجلس يطلق عليه اسم (المجلس التمثيلى لدولة سورية)

والقواعد التى اتبعت فى انتخاب أعضاء المجالس التمثيلية لدولتى حلب ودمشق هى القانون المرعى فى انتخاب أعضاء المجلس التمثيلى لدولة سورية مالم يصدر قانون انتخاب جـديد

٨ ـ تقوم بالسلطة القضائية المحاكم البدائية والاستئنافية ضمن الشروط المنصوص عليها فى القوانين الاتحادية المحددة وظائف هذه المحاكم وكيفية تأليفها وسير أعمالها

٩ ـ ينتهي ارتباط لواء اسكندرون بولاية حلب وتبقى أدارته جارية وفقا للأحكام الخاصة المنصوص عليها في القرار رقم ٩٨٧ المؤرخ ٨ أغسطس سنة ١٩٢١ والقرار رقم ١٨٨١ المؤرخ ٤ مارس سنة ١٩٢٣ وتناط برئيس الدولة السورية وظائف حاكم دولة حلب فيما يتعلق بادارة هذا اللواء

١٠ ـ تتمتع ولاية حلب بالامتياز المالي المحدد كما يلي :

تجمع الواردات التي تجبى في أراضي الولاية باسم ضرائب بلا واسطة (مباشرة) وضرائب بالواسطة (غير مباشرة) ورسوم وكل دخل من أي نوع كان مما أجيزت جبايته وفقا للأصول وكذلك كل المبالغ المخصصة للولاية باسم الأموال التابعة للتوزيع

وتجمع أيضا :

١ ـ النفقات التي تصيب الولاية من أعباء الادارة المركزية للدولة

٢ ـ كل النفقات التي تستوجبها رسميا مصالح الدولة الكائنة في أراضي الولاية

٣ ـ النفقات المتأتية عن القيام في أراضي الولاية بأشغال عامة أوذات نفع محلي أوالنفقات التي تستلزمها أعمال الاصلاح من الوجهة الزراعية والاقتصادية أو الاجتماعية مما له فائدة محلية

٤ ـ مايصيب الولاية من النفقات التي يستوجبها القيام باشغال عامة ذات نفع عام أو بأعمال الاصلاح من الوجهة الزراعية والاقتصادية أو الاجتماعية مما له نفع عام تكون قد استفادت منه الولاية ويخصص الزائد من المداخيل لأشغال عامة ذات فائدة محلية أو لأعمال لها ذات الفائدة من شأنها تحسين الزراعة والاقتصاد والأحوال الاجتماعية

١١ ـ يمثل المفوض السامي لدى الدولة السورية مندوب يساعده مندوبون معاونون

١٢ ـ ان سلطة المفوض السامي وممثله هي التي نصت عليها القرارات والتعاليم المعمول بها وان المقررات التشريعية والتنظيمية التي يصدرها رئيس دولة سورية تعرض للتصديق على المفوض السامي . وكل تعيين يجريه رئيس الدولة يستدعي تصديقه من المفوض السامي

وينبغي أن يقر المفوض السامي انسحاب رأس الدولة وله أن يعلن زوال سلطته لأسباب تتعلق بالمصلحة العامة

١٣ - ينبغى أن تصدق أعمال رئيس الدولة السورية من قبل المندوب لدى حكومته متى كان التصديق غير عائد للمفوض السامى أو متى خول المفوض السامى مندوبه حق التصديق

وكل تعيين للوظائف التى يتقلدها الوزراء والمديرون ينبغي تصديقه من مندوب المفوض السامى

وفى الملحقات حيث يكون مندوب معاون تصدق مقررات الحكومة المحلية من قبله

١٤ - يتألف أول مجلس تمثيلى للدولة السورية من اجتماع أعضاء المجلس التمثيلى لدولتى حلب ودمشق

١٥ - رئيس دولة سورية هو الرئيس الحالى لاتحاد دول سورية الذى انتخبه مجلس الاتحاد فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وسينتهى عهده قانونا فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٧

١٦ - تقوم الدولة السورية مقام دولتى حلب ودمشق فيما يختص بالحقوق والواجبات المتعلقة بهاتين الدولتين وتقوم مقام اتحاد دول سورية تقسم يعين فيما بعد من الحقوق والواجبات المتعلقة بذلك الاتحاد

٢

نشاط الحركة الوطنية وانتعاشها فى الداخل

فتنة حوران وأعمال العصابات

ظن الفرنسيون خطأ أن اسقاط الحكومة الفيصلية وتشريد رجالها وأخذ البلاد بالشدة يمكنهم من اخماد الحركة الوطنية ومن حكم سورية على الطريقة التى يختارونها فلم يترددوا فى فرض الغرامات المالية الباهظة ونشر الاحكام العسكرية و وضع رقابة على الصحف القليلة التى ظهرت فى أوائل هذا العهد ، لأن الصحف التى كانت تصدر فى العهد الفيصلى أغلقت وغادر أصحابها البلاد خوفا من الفتك والانتقام

وطرأ على الحركة الوطنيه جمود فى ابتداء هذه المرحلة بسبب سفر معظم المشتغلين بها فقد تفرقوا غداة ميسلون فى الاقطار العربية المجاورة فنزل بعضهم فلسطين وقصد آخرون مصر ورحل غيرهم الى الحجاز وسافر فريق الى أوربا وأميركا ليواصل النضال والكفاح فى سبيل بلاده

ولقد كان لنشاط هؤلاء وجهادهم أعظم الاثر فى ايقاظ النفوس وتحريك الهمم كما كان للاساليب التى سار عليها الفرنسيون فى حكم البلاد أثر لاينكر فى استفزاز الشعب فقاطع الدين مالأوهم والتف حول الوطنيين فاستؤنف النضال فى هذه المرحلة على منوال جديد فبعد ما كان بين الحكومة السوريه والفرنسيين أصبح بين الشعب السورى و بين هؤلاء و بعد ما كان سريا وسلبيا فى ابتداء هذه المرحلة صار علنيا وايجابيا فى ختامها وتقلد الشعب السلاح وقام يدافع عن كرامته و يعمل لاسترداد استقلاله وحقوقه

وتنقسم الاعمال الوطنية التى عملت فى خلال هذه المرحلة الى قسمين : قسم قام به الشعب نفسه فى داخل البلاد وقسم قام به الاحرار من أبنائه فى خارجها فقد أسمعوا العالم

صوته وأطلعوه على قضيته و بسطوا شكاياته ولم يدخروا وسعا فى خدمته وفى الدفاع عن حقوقه والمطالبة بإنقاذه وإغاثته

ونبدأ بالكلام عن الحوادث التى حدثت فى داخل البلاد ثم نتبعه بإيراد ما جرى فى خارجها لما بينهما من ارتباط وثيق وصلة متينة

١ — فتنة حوران

كانت فتنة حوران أول فتنة اضطرمت فى العهد الجديد فجرد الفرنسيون القوى لاطفائها والقضاء عليها

و بيان ما وقع أن حكومة علاء الدين الدروبى وقد تألفت غداة ميسلون دعت شيوخ حوران وزعماءها الى زيارة دمشق لمباحثتهم فى الغرامة التى فرضها الفرنسيون على أهل سورية والاتفاق على الجزء الذى يصيب حوران فأبوا الحضور فرأت أن توفد وفدا من أعضائها للتفاهم معهم

وغادر الوفد دمشق صباح الجمعة ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٠ بقطار حوران وكان يتألف من علاء الدين الدروبى رئيس الوزارة وعبد الرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى وعطا الأيوبى وزير الداخلية والشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ عبد الجليل الدرا وأبلغت حكومة حوران الأمر وطلب اليها أن تجمع الشيوخ فى درعا ليقابلوا الوفد. وازدحمت محطة خربة الغزالة وتبعد نحو ٢٥ كيلو مترا عن درعا بجمهور كبير من الحورانة جاء يبحث عن الوزراء للفتك بهم انتقاما منهم وتأديبا لغيرهم من الذين والوا الفرنسويين

وغادر علاء الدين الدروبى الصالون الذى كان يركبه واندس بين ركاب عربات الدرجة الثالثة وفعل فعله معظم الذين كانوا معه ، وركض عبد الرحمن اليوسف الى دار المحطة وأقفل عليه الباب فلحقه الثوار وأطلقوا عليه الرصاص وقتلوه و بحثوا بين ركاب الدرجة الثالثة عن الدروبى فاهتدوا اليه وقتلوه أيضا ونهبوا القطار وقتل فى أثناء الحادثة أيضا وحيد عبد الهادى من نابلس وكان بين المسافرين لانه حاول الفرار وضابط ايطالى وقد ظنوه فرنسويا وكاهن مسيحى وجنود فرنسويون

وعطل الجمهور سكة الحديد وقطع المواصلات البرقية والتيلفونية فجهزت السلطة الفرنسوية حملة عسكرية كبيرة لاخضاع حوران زحفت من دمشق فى أواخر شهر أغسطس فلاقاها الحوارنة فى الكسوة وتبعد عن دمشق نحو ١٥ كيلو مترا من جهة الجنوب فدارت معركة شديدة انتهت بتغلب الحملة فواصلت تقدمها فصدمها الثوار فى السمية فشقت طريقا لها فعادوا الى قتالها فى غباغب

وفى يوم أول اكتوبر وصلت الى درعا وقد قطعت المسافة بينها وبين دمشق فى شهر وبضعة أيام بعد ما اشتبكت مع الحوارنة فى معارك عديدة فأعلنت حوران خضوعها للسلطة الفرنسوية وقبلت الشروط الآتية

١ ـ اعادة المنهوبات التى نهبت من القطار يوم ٢٠ أغسطس

٢ ـ دفع دية الوزراء المقتولين وقدرها ١٠ آلاف ليرة ذهبا عن كل وزير و ٧ آلاف للضابط الايطالى و ٢٥٠٠ ليرة للكاهن ومثله لوحيد عبد الهادى و ٥٠٠ عن كل عسكرى مقتول

٣ ـ اعطاء الضمانات الكافية بعدم ارتكاب اعتداءات جديدة

٤ ـ دفع مئة الف ليرة عثمانية ذهبا غرامة

وضربت الطيارات الفرنسوية قرى حوران بقنابلها فى أثناء زحف الحملة وخربت البيوت كما أحرق الجيش البيادر والبيوت ونهبها ولما اطلعت لجنة الاتحاد السورى بمصر على هذه الأعمال أرسلت يوم ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٠ الاحتجاج الآتى الى رؤساء حكومات الحلفاء ومجالسها النيابية وجرائدها المشهورة ورئيس الولايات المتحدة ومجلس الشيوخ فيها ووزعته على كبريات الصحف فى العالمين الشرقى والغربى

«ذهل السوريون لقراءة البلاغات الفرنسوية الصادرة بتاريخ ٢٣ أغسطس وأول سبتمبر سنة ١٩٢٠ المنبئة بتدمير الجيش الفرنسوى تدميرا منظما لمقاطعة حوران الزراعية التى هى أهراء سورية . الطيارات تخرب القرى بأكملها قاتلة للنساء والاولاد بلا رحمة . نحن نستصرخ الأمم المتمدنة ومنها الامة الفرنسوية ضد هذه الاعمال الوحشية التى يقصر عنها الوصف وتورث الاحقاد باطالة زمن القتال»

وفى يوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٢ أعدم فى دمشق ثلاثة من الحوارنة وهم عوض

صلاح الدين المصرى وحسين الحاج يوسف عيسى وزعل يوسف بتهمة اغتيال الوزراء يوم خربة الغزالة

٢ — عصابات الشمال

نشطت العصابات التى كانت تعمل فى شمالى سورية لمحاربة الفرنسويين على أثر سقوط الدولة الفيصلية فانتشرت فى جهات انطاكية وحارم والعمق وأدلب والمعرة وجسر الشغور بقيادة ابراهيم هنانو واتخذت جبل الزاوية قاعدة لاعمالها واستولت على عدد من الحواضر كالمعرة وادلب وجسر الشغور وهزمت الفرنسويين فى معارك شتى . وكانت على اتصال بعصابات الشيخ صالح العلى التى كانت تقاتل الفرنسويين فى منطقة اللاذقية وقد بسطت نفوذها على صهيون ومعظم القرى وهددت مدينة اللاذقية نفسها

وجهزت السلطة العسكرية الفرنسوية قوات كبيرة لمطاردة العصابات فى الشمال فقد جاء فى بلاغ فرنسوى رسمى صدر فى بيروت يوم ٢ ستمبر سنة ١٩٢١ وبتوقيع الجنرال غورو عن أعمال الحملة الفرنسوية فى منطقة العلويين من شهر مارس سنة ١٩٢١ حتى شهر يوليو مانصه

« منذ شهر مارس حتى شهر يوليو سنة ١٩٢١ كان عدد كبير من الكتائب يعمل بملء النشاط ويقاوم بدون انقطاع عددا شديد المراس من العصابات مسلحا فى أراض جبلية وينازله فى معارك كبيرة تنتهى بالانتصار حتى استتبت السكينة وانتظمت الأمور الادارية وطاردت الجيوش بين ٦ ابريل و٢٣ مايو سنة ١٩٢١ عصابتى ابراهيم هنانو والشيخ صالح العلى وكانتا متحالفتين ولم تدع لها وقتا للراحة فتفرقت العصابتان منسحبتين نحو الشرق وقد أفضت هذه المعارك الشديدة الى احتلال البلاد وانشاء مراكز ثابتة فى كفر تخاريم ودركوش وجسر الشغور ومعرة النعمان . ومن ثم زحفت قوى الكولونيل نيجر العديدة — بعد ماوضعت الحواجز من البحر الى نهر العاصى وطافت بلاد العلويين من الشمال الى الجنوب واشتبكت فى معارك طويلة من ١٠ مايو حتى ١٥ يونيو حيث نشبت معركة بالقدموس وانتهت هذه المعارك العنيفة بطاعة العلويين وهزيمة الشيخ صالح العلى وقد تخلى عنه معظم أعوانه

وجاء فى بلاغ فرنسوى آخر مانصه : فى ١٢ مايو خرجت حملة من اللاذقية بقيادة

الكولونيل نيجر فتوجهت الى جبلة والمرقب حيث مركز العصابات . وفى يوم ١٣ منه زحفت حملة أخرى من محردة « محطة من محطات سكة الحديد بين حمص وحماه » بقيادة الكولونيل دوم . وسارت فى الوقت نفسه حملة ثالثة من الجدانية « محطة من محطات سكة الحديد بين حماه وحلب » بقيادة الكولونيل فيك . ومشى الجنرال غوبو قائد اللواء الثالث من حلب على رأس لوائه لتأديب العصابات فبلغ معرة النعمان يوم ١٥ منه. ودخلت قوة الكولونيل فيك فى اليوم التالى الى حيط وتقدمت قوة الكولونيل دوم فاستولت على جسر الشغور وزحفت قوة أخرى بقيادة الكولونيل فونيه على قلعة المضيق فاحتلتها

«ودارت معركة عنيفة فى جسر الشغور بين الثوار وحملة الكولونيل جران كور انتهت بانسحاب الثوار والاستيلاء على البلدة »

وقد ارتدت العصابات أمام هذه القوات العظيمة ولا يقل عدد رجالها عن ثلاثين ألف مقاتل ، فغادر ابراهيم بك هنانو مقره فى جبل الزاوية يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٢١ ومعه ٥٥ جنديا وضباطا قاصدا عمان فلاقاه الفرنسويون شرقى سلمية يؤيدهم الاسماعيليون ودارت معركة بينه و بينهم انتهت بأسر أربعة من ضباطه أما هو فواصل السفر فوصل الى عمان يوم ٢١ منه .

اعتقال هنانو فى القدس وارساله الى حلب

وفى شهر أغسطس ذهب الى القدس لزيارتها فاعتقلته السلطة البريطانية بطلب القنصل الفرنسوى فهاج العرب فى شرقى الأردن وماجوا واعتدوا على قائد الدرك وهو بريطانى . واحتج الأمير عبد الله رسميا الى الحكومة البريطانية طالبا اطلاق سراح ضيفه ، فلم تفد هذه الاحتجاجات وأرسل مخفورا الى بيروت وسلم الى السلطة الفرنسوية فأرسلته الى حلب حيث حوكم امام مجلس عسكرى فرنسوى فبرأه وأطلق سراحه .

أما الشيخ صالح العيلى فقدظل متواريا حتى يوم ٦ يونيو سنة ١٩٢٢ ففيه أذاعت السلطة الفرنسوية بلاغا رسميا بأنه خضع لها

٣ — حادث القنيطرة

فى يوم ٢٣ يونيو سنة ١٩٢١ غادر الجنرال غورو دمشق الى القنيطرة لزيارة الأمير محمود الفاعور ومعه رئيس أركان حربه والضابط المترجم برانيه وحقى العظم حاكم دولة دمشق فلما أصبحوا على مسافة ١٢ كيلو مترا من القنيطرة ظهرت امامهم عصابة مؤلفة من ١٤ فارسا فأطلقت عليهم ١٥ عيارا ناريا فاصيب الجنرال بطلق فى كم يده المتورة وأصيب حقى العظم برصاصة فى فخذه وأخرى فى ذراعه وثالثة فى شفته وقتل الضابط المترجم برانيه .

وسير الفرنسويون على الأثر حملة كبيرة بقيادة الكولونل ركرو غادرت دمشق يوم ٢٣ يونيو فدمرت قرى ومنازل كثيرة . وهذا نص البلاغ الفرنسوى الذى أذاعه قلم المطبوعات بدمشق عن أعمالها :

« فى يوم ٢٣ يونيو ظهرت على طريق القنيطرة عصابة قادمة من شرق الأردن وبعد أن قضت مأربها عادت فى اليوم نفسه الى عجلون وهذه نتائج التحقيق والعقوبات :

« زحفت حملة بقيادة الكولونيل ركرو من دمشق يوم ٢٣ يونيو فوصلت الى القنيطرة يوم ٢٦ منه فدمرت بأمر المندوب السامى قرى حماتةالخشب — المشية — عوفانى — طرنجه — الأحمر — تل الشيخة لأنها آوت مجرمى القنيطرة فأصبحت شريكة لهم فى الجناية وقد حجزت أموال أهاليها وحكم فوق ذلك على كل قرية بغرامة من خمسين جنيها الى مئة جنيه ذهبا ودمرت الحملة نفسها ١٧ مزرعة فى جماتة الخشب وارطابيا وترانك وفى ٢٩ منه زحفت على مجدل شمس وجباتا الزيت وفى ٣٠ منه عادت الى القنيطرة حيث باعت الأموال المحجوزة»

ولا يفى هذا الوصف سوى جزء قليل من المظالم التى ارتكبت فقد أوغلت الحملة فى أعمال القسوة مع اعتراف البلاغ الفرنسوى بان الجناة جاؤا من شرق الأردن أى انهم ليسوا من أهل البلاد الذين صب عليهم الغضب

ويقال ان بين الذين أطلقوا الرصاص على الجنرال غورو خليل على مربود ومحمود

موفق حسين بجباتا الخشب وشريف شاهين من جباتا الزيت ومحمد ظاهر من شبعا وصادق حمزة وأدهم خنجر وهم من الذين لجأوا الى شرق الأردن على اثر نكبة ميسلون

٤ — عصابات الفرات

وظهرت فى تلك الأيام عصابات قوية فى الفرات استولت على ديرالزور وقضت على نفوذ الفرنسويين فى ربوعه فسيروا يوم ٢٨ سبتمبرسنة ١٩٢١ حملة قويةمن حلب لقيادة الكولونيل دى بيوفر دخلت دير الزور يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٢١ بعد قتال شديد واستولت على خنادق الثوار وأكرهتهم على التقهقر عبر الفرات كما اعترف بذلك بلاغ فرنسوى رسمى

٥ — حوادث المستركراين

فى يوم ٢ ابريل سنة ١٩٢٢ وصل الى دمشق المستركراين رئيس اللجنة الاميركية التى جاءت سورية للاستفتاء (انظر ص ٥٥ من الجزء الثانى) فزار الدكتور عبدالرحمن شهبندر وقال له « لقد قدمت الى هنا بقصد التحقيق وذلك ان مجرى السياسة اليوم يطلب اظهار تقريرنا المشترك الذى كتبناه مع احواننا أعضاء اللجنة الاميركية التى استفتت بلادكم سنة ١٩١٩ فهل كانت استعلاماتنا صحيحة ياترى ؟ أريد منك ان تجمعنى بأبناء هذه البلاد ولا سيما المشايخ منهم لأرى هل حصل شىء من التبدل فى آرائكم وهل كنا مصيبين فى أخبارنا التى جمعناها فى تقريرنا »

وعقد فى اليوم نفسه اجتماع كبير فى بستان الحيات حضره كثير من أولى الرأى ووجاء المستركراين مصحوبا بالدكتور شهبندر فسأل الحاضرين عن أحوالهم وهل لا يزالون على الآراء التى بسطوها له فى سنة ١٩١٩ فقالوا نعم . ثم تكلم كل واحد منهم على انفراد واصفا الحالة الحاضرة وساردا أسباب الشكاوى وكان المستركراين يدون مايسمعه

وفى يوم ٤ منه لبى المستركراين دعوة حى الميدان فاجتمع الناس فى حديقة حسن الحكيم فبسط الحاضرون شكاويهم وأبانوا مساوىء الدور الجديد وأفاضوا . وذهب فى اليوم نفسه الى حى المهاجرين فزار نساء الشهداء فى منزل المرحوم شكرى العسلى وسمع منهن نفس الأمانى الوطنية التى سمعها فى المرة السابقة

وفى يوم ٥ منه لبى الدعوة الى حى القصاع واستمع الى مطالب المجتمعين وهم كثيرون . وجاءه طلاب مدرسة الحقوق ـ وبينهم مؤلف الكتاب وعدد من زملائه يذكر منهم الشهيد فايق العسلى وشفيق سليمان بك ومنير مردم بك وصبرى العسلى وحلمى أبو خضرة وغيرهم وقالوا انهم باسم اخوانهم يؤيدون الأمة فى مطالبها

وفى صباح ٦ منه أزمع المستر كراين الرحيل فاجتمع كثيرون لوداعه فى بهو الفندق فودعهم فردا فردا وخاطبهم قائلا : ما أشد سرورى برؤيتكم وأسفى لاضطرارى الى مغادرة مدينتكم وسيكون الدكتور كنغ زميلى فى لجنة الاستفتاء مسرورا جدا من نتيجة تحقيق . لقد أتيت هذه البلاد فى وقت لايسمح لى فيه سنى بالسفر ولكننى شئت أن أرى البلاد التى زرتها مع أصدقائى سنة ١٩١٩ ولايمكنكم أن تقدروا السرور الذى يصيبهم من نتيجة هذه التحقيقات البديعة . تمسكوا بقضيتكم فانها عادلة وتوسلوا اليها بالوسائل العصرية لابالطرق القديمة »

وتجمهر الناس حول سيارته وتعالى الهتاف للحرية والاستقلال ، ونادى الناس بسقوط الوصاية ، وجاء عبد الوهاب عفيفى وهو شاب مصرى فوقف على مقدم السيارة وخطب خطبة حماسية فالهب العواطف وأنشد الناس نشيد :

نحن لا نرضى الحمايه لا ولا نرضى الوصايه
نحن أولى بالرعايه لبنى العرب الكرام

ومشت سيارة المستر كراين فى موكب من فندق داماسكوس بالاس حتى فندق فيكتوريا والناس حولها يهتفون للحرية وينادون بسقوط الخونة والانتداب وهنالك وقفت السيارة والتفت الدكتور شهبندر الى المستر كراين وخاطبه بالانكليزية قائلا :

« التفت الى ورائك ياسيدى واحفظ هذه الصورة التاريخية فى قلبك وستمر على أوربا وأميركا فترى فيها أفرادا ضمائر حرة لايزالون يحبون الانسانية ويغارون على الحرية فاذكر لهم هذا المنظر الغريب واشرح لهم المعانى التى تقرؤها »

واضطرب ولاة الأمور لهذا الحادث ، وهو الأول يقع من نوعه بعد الاحتلال الذى قضى على كل نأمة حرة وأخذ كل شعور وطنى ، وكبر عليهم أن تتحرك المدينة وأن يدوى فى ارجائها الهتاف للحرية ، فقرروا التذرع بسياسة الشدة والارهاب واعتقال زعماء المظاهرة

ولهيب الحركة الوطنية . ونفذوا خطتهم الجديدة فى الغداة فقبضوا يوم الجمعة ٧ منه على الدكتور شهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر ومنير شيخ الارض وعبد الوهاب العفيفى فساء ذلك الناس فاجتمعوا فى الجامع الاموى لأداء صلاة الجمعة فخطب فيهم توفيق الحلبي وخالد الخطيب ومحمد الشريقى ثم خرجوا بمظاهرة وساروا الى دور القناصل يطلبون الافراج عن المعتقلين وقبض فى مساء الجمعة وصباح السبت على توفيق الحلبي وخالد الخطيب والدكتور محمود حمدى حموده الأستاذ فى مدرسة الطب وعادل حتاحت وسعاد شلبى وخليل خطاب وتوفيق الحلبي وثروت الجعفرى وتوفيق القيسى ورشدى ملحس وتوفيق عجم أوغلى وحسن الزنبركجى وصبرى الديوى ومحمد الخطيب وكاتب هذه السطور فاضطربت دمشق لهذا الحادث وهاجت وماجت وكثرت الاجتماعات وأقيمت المظاهرات فأعلنت يوم ٩ منه الاحكام العرفية وجاءت السلطة بقوات عسكرية جديدة لتعزيز الحامية

وفى صباح ١٠ منه أضربت دمشق احتجاجا وعطلت الاعمال كما أضرب طلاب المدارس وجرت مظاهرة فى سوق الحميدية قرب الظهر ، وعند الساعة الرابعة خرجت مظاهرة السيدات وكن يهتفن للاستقلال والحرية ويطالبن باطلاق سراح المعتقلين

وأقيمت مظاهرة كبيرة يوم ١١ منه حاول الجند تفريقها بالسلاح فقاومه الجمهور فقتل طالبان وجرح ستة من الشبان فنزلت على أثر ذلك الجنود الفرنسوية الى المدينة وأذيع البلاغ الآتى :

وفقا للقرار الصادر بوضع دمشق تحت الاحكام العرفية يعلن الكولونيل غودى قائد جيوش دولة دمشق الاهلين بما يأتى :

١ ــ يمنع التجمع فى الطرق العامة ويقمع ذلك بالسلاح

٢ ــ يمنع التجول فى شوارع المدينة من الساعة السابعة مساء حتى الساعة السادسه صباحا

٣ ــ يطلب من الاهالى أن يعودوا الى أعمالهم كالمعتاد

٤ ــ كل من يخالف هذه التعليمات يحال الى الديوان العرفى

وفى الساعة الواحدة من ليل الثلاثاء ١٨ ابريل نقل الدكتور شهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر ومنير شيخ الارض وتوفيق الحلبى وعبد الوهاب العفيفى والدكتور

خالد الخطيب من سجن القلعة بحراسة ثلة من الدرك الفرنسوى الى محل نظارة الشرطة فى الطابق الاسفل من بناية العابد لمحاكمتهم أمام الديوان العرفى الفرنسوى وأطلق سراح بقية المعتقلين ما عدا رشدى ملحس وسعاد شلبي وتوفيق عجم أوغلى والشيخ أحمد السورى وكاتب هذه السطور فقد أخذت عليهم العهود بأن يغادروا دمشق بعد ٤٨ ساعة فسافروا فى الوقت المعين . وقصد كاتب هذه السطور مصر وتديرها ولم يسمح له بزيارة سورية الا فى سنة ١٩٢٨ على أثر اعلان العفو العام

وفى يوم ١٩ منه بدئ بمحاكمة المعتقلين أمام الديوان العرفى الفرنسوى وكان مؤلفا من الليوتنان كولونيل لاريث رئيسا والكومندان جانيس والكبتن غورى والليوتنان برساى أعضاء

وتألفت هيئة الدفاع من اللازمين جيمس وشفاليه والين وقد انتدبهم ديوان الحرب للدفاع عن المتهمين عملا بأحكام القانون الفرنسوى وتألفت هيئة دفاع وطنية من المحامين الوطنيين

وهذا نص مضبطة الاتهام :

١ ـ انهم المعتقلون بتدبير مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مشفوعة بالعمل ومحاولة العمل لاعداد التنفيذ

٢ ـ بالتحريض على مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مع ايقاع اضطرابات لأن المؤامرة أعقبها العمل أو المباشرة به لاعداد التنفيذ

وتنطبق هذه الأفعال على المواد ١٧ و ٨٧ و ٨٩ من قانون الجزاء الفرنسوى وعلى المادتين ٢٤ و ٢٥ من قانون المطبوعات الفرنسوى المؤرخ ٢٩ يوليو سنة ١٨٨١ وعلى المادة ٨ من قانون ٩ أغسطس سنة ١٨٤٩ الفرنسوى المعدل بقانون ٢٧ ابريل سنة ١٩١٦ الفرنسوى بشأن الادارة العرفية

ثم ألقى الرئيس أسئلة على المعتقلين فى التهم المسندة اليهم فأجابوا بجرأة ورباطة جأش واعترض الدفاع على اختصاص المحكمة (صلاحيتها) قائلا انه لا يحق لها رؤية قضية يتهم فيها سوريون وتقع فى أرض سوريه فردت اعتراضهم وقررت أنها مختصة ثم جئ بشهود الاثبات وهم من الشرطة والدرك ودعى شهود النفى وكان عددهم ١٥٠

فأ كتفت المحكمة بسماع ثلاثة منهم وقالت لو جئنا بسكان دمشق كلهم لشهدوا فى مصلحة المعتقلين وختمت المحاكمة ودعا الرئيس المحامين وأبلغهم أن الحكم صدر كما يأتى :

الدكتور شهبندر	بالسجن عشرين سنة	بأكثرية الآراء
حسن الحكيم	« عشر سنوات	« «
سعيد حيدر	« خمس عشرة سنة	باتفاق «
عبد الوهاب العفيفى	« عشرين سنة	بأكثرية «
منير شيخ الارض	« عشر سنوات	« «
الدكتور خالد الخطيب	« « «	باتفاق «
توفيق الحلبى	« خمس «	بأكثرية «

وفى منتصف ليل ٢٠ ابريل أعيدوا الى سجنهم فى قلعة دمشق . وفى منتصف ليل ٢١ منه اركبوا ثلاث سيارات سارت الى بتدين (بيت الدين) فى لبنان ثم نقلوا بعد ذلك الى أرواد . وظلوا فيها حتى منتصف ليلة الجمعة ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٢٣ فأطلق سراحهم

وقد كان لهذا الحكم القاسى أثر عميق فى البلاد فتجددت المظاهرات والاحتجاجات وساد الاضطراب دمشق وأضربت أسبوعا كاملا (٢٢ – ٣٠ ابريل)

وأرسلت السلطة الشرطة فى الاسواق يدعون الناس الى معاطاة أشغالهم وعلقت فى الشوارع البيان الآتى : «ليكن فى علم الجمهور أن كل من لا يفتح دكانه ويعود الى معاطاة أشغاله يغرم بثلاثين ليرة سورية بدون محاكمة ولا يسمع له اعتراض» فلم يغن عنها ذلك فتيلا فعمدت الى الشدة فقبضت على كثيرين من التجار والضباط المتقاعدين والشبان بحجة أن لهم ضلعا فى تدبير المظاهرات والحض على الاضراب وأخرجتهم خارج دمشق . وقد روت جريدة العمران الدمشقية فى عددها الصادر يوم ١٧ يونيو سنة ١٩٢٢ أنه بلغ عدد الذين سجنوا ونفوا وحكم عليهم فى خلال تلك الحوادث من ابريل حتى يونيو ٤٤١ شخصا

ويضيق بنا المقام لو أردنا نشر أسماء جميع الذين اعتقلوا أو حكم عليهم فى هذا

الدور أو أخرجوا خارج البلاد فنكتفي باثبات بعضهم :

عثمان الشراباتي وعارف الادلبي ونزيه المؤيد ومصطفى عمار ومحمد سعيد عبيد وشفيق العطري ورشيد بقدونس ومحمد الشريقي ومسلم العطار وعادل العظمة ويحيى حياتي وسليمان القصار وتوفيق مغربيه وأديب خير وعبد الهادي دياب والحاج ياسين دياب ونسيب سليق وياسين الخانجي وحسني العمري ومحمد العوا والشيخ حمدي السفرجلاني وصبري فريد البديوي وثروت الجعفري وعبد الهادي المالكي ورفعت العوا ونوري الزين وحسام الدين العمري وزكي الطرابيشي وحسن الطرابيشي وخليل خطاب وغيرهم

وفي ٣ أغسطس سنة ١٩٢٢ حكم ديوان الحرب في دمشق على الشبان : منير بن خالد مردم بك وأحمد سيب السكري ومحمد شفيق بن حسني سليمان بك وعبد الغني بن حسن عمر باشا بسجن كل منهم خمس عشرة سنة بتهمة التواطؤ مع الدول الأجنبية أو ممثلي هذه الدول ودعوتها للقيام بأعمال عدائية واشهار الحرب على حكومة دمشق أو الدولة المنتدبة مع السعي لاعداد الوسائل اللازمة ولتدبيرهم الدسائس لتغيير شكل حكومة دولة دمشق والدولة المنتدبة لها . والثلاثة الاول من طلاب السنة الأولى بمدرسة الحقوق والرابع من طلاب المدرسة التجهيزية . وقد اتهموا بأنهم يطبعون مناشير ويوزعونها وحكم الديوان العرفي في الجلسة نفسها بسجن صهيب العطار خمس سنوات وتغريمه ثلاثة آلاف فرنك لاثارته الخواطر

وحوكم أيضا الاخوان نديم ظبيان وبديع ظبيان أمام الديوان العرفي وكانت التهمة الموجهة اليهما : القيام بمخابرات سياسية مع الدول الأجنبية وملوك العرب ضد الانتداب الفرنسوي وتأليف جمعية سرية غايتها البطش والاغتيال فحكم على الاول بالسجن أربع سنوات وعلى الثاني بالسجن خمس سنوات وتغريم كل منهما ثلاثة آلاف فرنك وقد أرسلا الى أرواد وقبض أيضا على الصحافي نجيب الريس وأرسل الى أرواد

وسرت حركة الأستياء الى المدن السورية الأخرى فأقيمت مظاهرات احتجاجية عنيفة في حمص وحماه وطرابلس وحلب وكانت مظاهرة حمص شديدة انتهت بقتل أربعة وجرح ٣٠ وأقفلت على أثرها مدرسة التجهيز بحمص وحكم على عدد كبير من الطلاب بالطرد والسجن

ولما وصلت هذه الأنباء الى مكة تجمهر فريق من أبنائها أمام القصر الملكى للاعراب عن شعورهم القومى نحو اخوانهم السوريين فألقى عليهم الحسين خطبة قال فيها : «واذا لم تجد الوسائل السلمية نفعا فهناك نكون نحن وأنتم فى حل من أية مسئولية تنجم عما يقضى به الشرف » وقد تبرع جلالته بألفى جنيه لاعانة المنكوبين والمعتقلين والمنفيين بهذه الكارثة

صدى هذه الحوادث فى مصر واوربا

وقد كان لهذه الحوادث أبلغ الأثر فى نفوس السوريين فى مصر فاحتجت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى الى جمعية الأمم والى رؤساء الحكومات الكبرى فى باريس ولندن وواشنطن وروما والى رؤساء وفود الدول فى مؤتمر جنوى والى كبريات الصحف الأوربية والأميركية على ماوقع ببرقية هذا نصها :

أصبحت الحالة فى سورية لاتطاق : ضرائب فادحة وادارة استبدادية ومراقبة شديدة ومحاباة فى المعاملات الرسمية وتبذير فى أموال الأمة . انتهز الأهالى فرصة زيارة المستر كراين الرئيس السابق للجنة الاستفتاء الأميركية فأظهروا استياءهم من السلطة المحتلة وسوء ادارتها ورغبتهم فى الاستقلال التام بصفة مظاهرة عند توديع المستر كراين فألقت السلطة الفرنسوية القبض على زعماء الحركة واعتقلتهم فى مكان مجهول فهاج الشعب وقام بمظاهرات عامة مناديا بالاستقلال واسقاط الانتداب فكافحهم الجند بأفتك آلات الحرب من الدبابات والرشاشات وقنابل اليد فقتل أناس وجرح آخرون فأقفلت المدينة ووقفت حركة التجارة وسائر المعاملات فيها والهياج مستمر من أسبوع وقد أعلنت الأحكام العرفية

«فاللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى ـ الفلسطينى الممثلة لجميع الأحزاب الاستقلالية السورية تحتج على هذا الاعتداء على حقوق الشعب وكل حرية بشرية وتشهد العالم المدنى على الآلام التى تقاسيها سورية وتكرر اعلانها لرفض الانتداب المخالف لرغائب الشعب وتناشد ضميركم تأييد قضيتها العادلة حقنا للدماء وتأمينا للسلام »

وعقد لفيف من السوريين بالقاهرة اجتماعا يوم ١٠ ابريل وقرروا ارسال البرقية الآتية الى جمعية الأمم والى رؤساء الدول الكبرى وهى :

«زار دمشق المستر كراين رئيس اللجنة الأميركية التى انتدبها مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ للوقوف على رغائب أهالى سورية وبمناسبة الاحتفال به أظهر الأهالى استياءهم من الحالة السياسية والمالية الحاضرة طالبين استقلال البلاد ووحدتها رافضين الانتداب فقبضت السلطة الفرنسوية على الزعماء الذين تكلموا باسمهم وعلى أثر ذلك أقفلت دمشق وقام الأهالى بمظاهرة عطف وتضامن مع الزعماء الوطنيين ففرقتهم السلطة الفرنسوية بقوة السلاح فالسوريون المجتمعون اليوم اجتماعا عاما فى مصر يحتجون على هذا الاعتداء على الحرية الشخصية والضغط على حرية الرأى العام ويطلبون نشر تقرير لجنة الاستفتاء الأميركية وارسال لجنة دولية للتحقيق»

وقد اهتمت الصحف الأوربية والأميركية لهذه الحوادث ونشرت عنها الفصول الطوال وكان مكاتبوها يترددون بدون انقطاع على مكتب اللجنة التنفيذية فى القاهرة فيمدهم بالمعلومات المفصلة عن حالة سورية فيرسلونها الى صحفهم

٦ — حادث ادهم خنجر

فى ١٧ يوليو سنة ١٩٢٢ قصد الشهيد ادهم خنجر [١] من قادة العصابات فى جبل عامل، وقد ورد ذكره مرارا فى المجلد الأول، قرية «القرية» لزيارة سلطان باشا الأطرش وما كاد يطأ داره، وكان سلطان باشا غائبا — حتى أسرع رجال الحكومة الى اعتقاله — وكان متهما باطلاق الرصاص على الجنرال غورو أيضا — وأرسلوه الى السويدا (قاعدة حكومة جبل الدروز)

وعاد سلطان باشا الى بيته وعلم بما وقع فثارت فى نفسه النخوة العربية وعز عليه أن يؤخذ ضيفه فأرسل أحد أشقائه الى السويدا وبعث معه برقية الى الأمير سليم الأطرش حاكم الجبل يومئذ وكان فى دمشق — طلب فيها من الحكومة أن تحافظ على التقاليد

(١) هو من عائلة آل الأسعد الشهيرة فى جبل عامل وقد لجأ الكثيرون من المسيحيين فى أثناء حوادث سنة ١٨٦٠ الى منزل جده فحماهم وأكرمهم

بالالوقة ويختمها بقوله « صحب عليّ اهانة قاصدى ، الحل الوحيد اطلاق سراح الرجل ولا أتأخر عن كل ما يرضى الفرنسو يين »

ولما لم تجد الوساطة أرسل الى الجنرال غورو المندوب السامي البرقية الآتية :

« مع الأسف لم يراع البند القائل [1] « ان فرنسا تحافظ على تقاليدنا وعوائدنا » ومعلوم أن الضيف والقاصد هما واحد فى نظر عشائرنا فرجال حكومتنا الوطنية لم يراعوا هذا البند وسعادة المستشار ترانكا يؤيد اصراره . أطلب من حلمكم وعدلكم أن لا تجعلنى مضغة فى أفواه العرب وأن اتخصص بالاهانة عن أمثالى فى سورية و بعد هذه ترونى أعترف بحلمكم واؤدى واجب الشكر لفخامتكم ، غير مجهول ان موتى واهانة ضيفى سيان فى عوائد السوريين . الرجل يطلب منى أن أتوسط له عفوا من فخامتكم، حلمكم انقاذا لشرفى ووطنى »

وجاء من أبلغه أنه تقرر نقل أدهم خنجر من سجنه فى السويدا الى دمشق فذهب مع شقيقيه مصطفى وزيد وصديقه حمد البربور و بعض أتباعه و رابط فى تل الحديد ،وهو واقع على الطريق بين السويدا وازرع لابد للمسافرين من المرور به ، لانقاذ ضيفهم فنقله الفرنسيون بالطيارة الى بيروت وأعدموه حالا وأرسلوا ثلاث دبابات من دمشق الى السويدا فهاجمها سلطان باشا برجاله وعطلها وقتل قائدها وأربعة من جنودها وأسر خمسة فريع الفرنسيون للموقع فأرسلوا طياراتهم الى « القرية » قرية سلطان باشا فضربتها بالقنابل وسارت قوة أخرى حرقت داره فرحل الى شرق الأردن ووضع أسرته فى مكان أمين وعاد مع رجاله الى الجبل ثانية لمقاتلة الفرنسويين

ووقعت مناوشات بينه و بينهم وأوفدوا اليه مندوبا يعجم عوده ويعرض عليه الاتفاق والرجوع الى قريته فقال انه يطلب شروطا فاقترحوا عليه أن يأتى الى داخل حدود الجبل للمناقشة فأتى وهو حذر من المباغتة . وجاء من أخبره انهم يكيدون له و يسعون لاعتقاله فثار ثائره وحمل على القوى المرسلة لاعتقاله فطاردها وعاد الى مقره فى شرق الأردن

(١) اشارة الى اتفاق جبل الدروز المعقود بين الدروز وفرنسا سنة ١٩٢١ وقد نشرناه على الصفحة ٢٢٧ من هذا الجزء

وكاتب المندوب السامي الفرنسوي في بيروت زميله البريطاني في فلسطين طالبا القبض على سلطان باشا وتسليمه أو اخراجه من أراضي شرق الأردن عملا بالاتفاقات المعقودة فسيرت حكومة عمان قوة لمطاردته وعادت من دون أن تشتبك به

وكتب اليه بعض أقاربه يقول ان الفرنسويين مستعدون للتساهل معه اذا عاد وألحوا عليه بالرجوع الى قريته ووعدوه بالانضمام اليه اذا حاولوا الفتك به فاشترط ارجاع ماشيته وأمواله وتعويضه عما الحقته به الطيارات من خسارة واصدار عفو عام عن جماعته وأن لا يكلف الذهاب الى السويدا ولا الى أي مكان توجد فيه قوة فرنسوية فقبلوا شروطه فعاد الى قريته مرفوع الرأس موفور الكرامة

٧ — عصابات الشوف

في صيف سنة ١٩٢٣ ظهرت عصابات قوية في الشوف أقلقت الفرنسويين وأزعجتهم فسيروا القوى لقتالها . ولم تستقر الحالة في الشوف الا بعد ماجهز الفرنسويون قوات كبيرة طاردت العصابات وشتت شملها

٨ — حوادث بعلبك

حدثت حوادث بعلبك في شهر يوليو سنة ١٩٢٤ وقد نشأت عن اغتيال احدى العصابات لضابط فرنسوي فأرسلت السلطة الفرنسوية على الاثر قوات كبيرة هاجمت قريتي حورتعلا وبريتال كما طارت الطائرات الفرنسوية فوقهما فأمطرتهما وابلا من قنابلها وطوقهما الجند وقبض على النساء والاطفال والذراري ومن صادفه من الرجال كما صادر الماشية وهي نحو ٥٥٠٠ رأس وأرسلها الى بيروت ولجأ الرجال والشبان الى الجبال استعدادا للنضال والمقاومة

وقد احتجت دمشق الى جمعية الامم على هذه الاعمال ودارت معارك شديدة بين ملحم قاسم ورجاله انتهت باعلان العفو عنهم فاستسلموا

٩ — العصابات التركية

وكانت هنالك عصابات تركية قوية تعمل على الحدود السورية وتقلق الفرنسويين وتزعجهم وقد اضطرتهم الى حشد كثير من القوى في تلك الجهات

٣٥ ثورة في سنة واحدة

ولعل أبلغ ما نختم به هذا الفصل هو ما كتبه الجنرال سرايل (ثالث مندوب سام لسورية وقد جاء بعد الجنرال فيجان سنة ١٩٢٤) ردا على مقالة للكاتب الفرنسوى الشهير هنرى بوردو جاء فيها : لقد كانت سورية هادئة ساكنة فى عهدى غورو وفيجان فقال ما نصه : «ان هذا الكاتب يجهل كل شئ أو يكذب . فقد قامت فى سورية وحدها سنة ١٩٢٢ خمس وثلاثون ثورة ودفن فيها من الجيش خمسة آلاف جندى »

وأبلغ من قول الجنرال سرايل ماقاله سلفه الجنرال فيجان فقد خطب خطبة طويلة فى حفلة ازاحة الستار عن النصب التذكارى الذى أقيم فى بيروت لقتلى جيش الشرق الفرنسوى وفرقة البحرية الفرنسوية فى شهر يوليو سنة ١٩٢٤ فقال ما نصه : واضطرت فرنسا بعد الهدنة وبعد ما صمتت المدافع فى أوربا حيث كانت الامهات الفرنسويات يعتقدن انهن سيرين أبناءهن بقربهن الى ارسال أبنائهم الى ساحات القتال فى مرعش واورفا وميسلون فأنتم الذين رأيتم مجهودات جنودنا وقد بلغ عدد القتلى تسعة آلاف جندى و ٢٥٠ ضابطا يمكنكم أن تذكروا ذلك لأولادكم

٣

العمل السياسى فى مصر وأوربا

انتقل مقر الحركة الوطنية من دمشق الى القاهرة بعد ميسلون فاستقر معظم الاحرار فى الثانيــة فوحدوا قواهم ونظموا صفوفهم للنضال والـكفاح فى هذا الدور بعد ما تسلط الاجنبي على بلادهم واستولى على أوطانهم ومحا كل أثر للسيادة القومية وللاستقلال

١ — الاحتجاج على التجزئة

ولما وصلت الاخبار الى مصر بأن الفرنسويين نفـذوا مشروعهم الخاص بتقسيم سورية الى دول وحكومات وطبقوا مشروعهم الاستعمارى أرسل الأحرار ثلاث برقيات احتجاجية يوم ١٣ اكتوبر سنة ١٩٢٠ الى جمعية الامم لتتلى فى أول اجتماع عام تعقده : الاولى باسم الاتحاد السورى وقد وقعها الامير ميشيل لطف الله والثانية باسم المؤتمر السورى وقد وقعها رئيسه السيد رشيد رضا والثالثة باسم المحكوم عليهم من الاحرار . وقد أرسلت صور هـذه البرقيات الى الملك حسين والى معتمدى الدول بمصر والى الصحف العربية والافرنجية :

— ١ —

ان لجنة حزب الاتحاد السورى المركزية تحيي باسم السوريين المضطهدين أول اجتماع تعقده جمعية الأمم التى تطلع لفجر عصر جديد فتضع فيها الأمم المظلومة آمالها لتحقيق العدل فى العالم بوضع آخر حد لعصر سيادة القوة على الحق . وتلفت أنظار جمعيتكم المحترمة الى أعمال الدول الاستعمارية التى داست بالأقدام وعود الدول العظمى الصريحة المعطاة لشعوب تركيا المظلومة ناطقة باعطائها حق تقرير مصيرها . فالدول عاملت سورية كغنيمة حربيـة وتقاسمتها بينها وجزأتها أجزاء متعددة فحالت الرسة السياسية متداعية والوحدة الوطنية ممزقة وأمانى الشعب بعيدة التحقيق

فالسوريون يفضلون حتى حكم الأتراك المكروه والمجحف بهم مع ضمان وحدة بلادهم على نظام التقسيم الحالى

— ٢ —

بمناسبة اجتماع هيئتكم اجتماعها عاما نحن أعضاء المؤتمر السورى نواب الأمة السورية بالانتخاب القانونى الذين اضطرتنا القوة الفرنسوية الى الالتجاء الى مصر نتشرف بأن نلفت نظركم الى استقلال سورية الذى أعلنته عهدة جمعية الأمم فى المادة ٢٢ منها وأيدته معاهدة سيفر ونحتج على قلب حكومة دمشق الوطنية وعلى السلطة العسكرية التى تمزق وحدة بلادنا منشئة فيها عدة حكومات متباينة جاعلة استقلال سورية بعيد التحقيق رامية الى تحقيق المبادىء الاستعمارية بالقوة القاهرة . ولدينا البراهين العديدة على مانقوله

فنحن نلتمس من هيئتكم أن تمنع تحقيق السياسة الاستعمارية وتجزئة سورية المتحدة غير المتجزئة بحجة واهية وهى اجابة رغائب عدد قليل من الشعب . ونطلب تحقيق استقلالنا ووحدتنا التى أعلنها المؤتمر السورى فى جلسة ٨ مارس سنة ١٩٢٠

— ٣ —

نتشرف نحن الموقعين أدناه بأن نلفت أنظار مجلس جمعية الأمم الى أمر لم يعرف العهد الحديث له مثيلا فقد تألفت محكمة عسكرية فرنسوية فى دمشق عقب احتلالها وحكمت على ٣٦ شخصا من الوجهاء والأدباء بالاعدام وحجز أملاكهم وأموالهم لقيامهم بأعمال وطنية بحتة قبل نشوب القتال السورى ـ الفرنسوى واستندت فى الحكم على قانون فرنسوى وضع لمعاقبة فرنسويين

فنحن نحتج على هذا الحكم الذى لايجيزه نظام والصادر من محكمة لاسلطة لها فيه ونسأل جمعية الأمم أن لاتترك مصير سورية المستقلة فى أيد قوية لا تحترم الحق

٣ — الاحتجاج على فصل فلسطين عن سورية

وفى يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على تحديد الحدود الفاصلة بين سورية وفلسطين ووقعت بينهما معاهدة بذلك فعقدت لجنة الاتحاد السورى جلسة فى ٢٧ منه ووضعت برقية احتجت فيها على ماوقع وارسلتها الى جميع الصحف ونصها

«ان اللجنة المركزية لحزب الاتحاد السوري المجتمعة اليوم بجلسة فوق العادة للنظر فى الاتفاق الجديد بين انكلترا وفرنسا الموقع عليه من المسيو ليج واللورد هاردنج بشأن الحد الفاصل بين سورية وفلسطين قد قررت بالاجماع الاحتجاج بكل قواها على ذلك مستندة على الحقوق الشرعية لأمتنا الحية برفض كل حد يفصل فلسطين عن سائر سورية وعلى كل تجزئة فى البلاد وتغتنم هذه الفرصة للمطالبة بالاستقلال التام وللاحتجاج على أى احتلال»

٣ — المطالبة بمندوب عربى فى مؤتمر لندن

ولما عقد الحلفاء مؤتمرا فى لندن لاعادة النظر فى معاهدة سيفر (شهر مارس — فبراير سنة ١٩٢١) عقد مندوبو الأحزاب الاستقلالية اجتماعا قرروا فيه أن يطلبوا من الحلفاء قبول مندوب عربى فى المؤتمر يبسط القضية لأعضائه لكى تحل على أساس الحق والعدل وهذا نص البرقية التى أرسلت :

ان مندوبى جميع الأحزاب العربيــة من سورية وغيرها المجتمعين اليوم فى جلسة خاصة بمركز حزب الاتحاد السورى بمصر بمناسبة قرب اجتماع مؤتمر لندن الخاص باعادة النظر فى معاهدة سيفر وحل مسائل الشرق الأدنى قد قرروا بالاجماع :

١ — تكرار الاحتجاج على تجزئة بلادهم الى مناطق مزقت وحدتها القومية وأقامت حكومات استعمارية فيها تحت ستار الانتداب خلافا للعهود الصريحة والتصريحات العديدة للامم المظلومة المنفصلة عن تركيا بتحريرها واستقلالها وجعل حق تقرير مصيرها بيدها

٢ — طلب تمثيل أمتهم فى المؤتمر الذى سيقرر مصيرنا ليضع لها الحل الاخير المطابق على قواعد الحق والعدل ومصالح السلم فى الشرق الاوسط

٤ مؤتمر جنيف

ولا ريب أن المؤتمر السورى الفلسطينى الذى عقد فى جنيف كان من أجل الاعمال التى عملت فى ذلك العهد لخدمة القضية الوطنية وتحريرها

ظهرت الفكرة لعقد مؤتمر فى الاجتماع الذى عقده لجنة حزب الاتحاد السورى

يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٢٩ ومدارها عقد مؤتمر من جميع الاحزاب الاستقلالية لتوحيد المساعى فى جميع الانحاء التى يسكنها السوريون وايجاد كتلة يصح أن تمثل رأى السوريين فى ما يريدون لبلادهم

ولما اختمرت فى الرؤوس قررت اللجنة تنفيذها ونشرت يوم ٩ ابريل سنة ١٩٢١ المنشور الآتى :

«الى جميع الاحزاب والجمعيات المطالبة باستقلال سورية ووحدتها تحية وسلاما : وبعد فان لجنة حزب الاتحاد السورى المركزية بمصر واثقة انكم كنتم وما زلتم مواظبين على مبادئكم القويمة الوطنية ومساعيكم الشريفة الى أن تكلل بالنجاح ويتحرر الوطن المحبوب ويصبح كما يريد أبناؤه الاحرار العاملون وطنا حرا مستقلا زاهرا برجاله ناهضا بهممهم سائرا كل يوم الى الامام بفضل ما يبذله هؤلاء الاحرار العاملون فى سبيله من التضحيات العديدة والمساعى الجليلة

«وبعد فقد رأت لجنة حزب الاتحاد السورى التى كانت ولا تزال تجاهد بجميع الطرق المشروعة للحصول على الاستقلال التام للبلاد الذى هو أمنية كل سورى أبى النفس أن تتآزر جميع الاحزاب والجمعيات السورية التى تعمل لغاية الاستقلال التام ووحدة البلاد سواء فى سورية نفسها أو فى المهاجر البعيدة المتفرقة وتتفاهم فيما بينها على أسس المبادئ والمساعى معا وترفع صوتها فى وقت واحد للعالم المتمدن بأسره بجميع الطرق المشروعة طالبة الحصول على حقها الوطنى الطبيعى المؤيد بكثير من العهود والوعود من أقطاب السياسة فى العالم المتمدن

«ولما كان مجلس جمعيه الأمم سيجتمع قريبا وينظر فى شروط الوصاية المفروضة على سورية وغيرها من البلاد المنفصلة عن تركيا فقد قررت لجنة حزب الاتحاد السورى أن تدعو الجمعيات والاحزاب السورية الى عقد مؤتمر سورى عام فى جنيف مركز جمعية الامم فى ١٠ يونيو المقبل لتبرهن بكل مالديها من الوثائق والحجج والادلة على ما لسورية من الحق فى الحرية والاستقلال وتتوسل بالوسائل المشروعة لدى مجلس جمعية الأمم لسماع رأى البلاد قبل ابرام الحكم عليها فلجنة حزب الاتحاد السورى تدعو سائر الجمعيات السورية للاشتراك فى هذا المؤتمر وترجو منكم اشعارها بأسماء مندوبيكم وبميعاد سفرهم

وبما ترغبون الاشتراك فيه من نفقات المؤتمر العامة »

وانتدبت اللجنة الاستاذ توفيق اليازجى فسافر الى جنيف لتهيئة أعمال المؤتمر وجمع المعلومات اللازمة واستقبال الوفود القادمة ونشر الدعوة لمبادئ الحزب وانشاء مكتب . وفى خلال ذلك رأت اللجنة أن تؤجل عقد المؤتمر حتى انعقاد الهيئة العامة لجمعية الأمم لما فى ذلك من الوسيلة لبسط القضية لمندوبى الدول فاذاعت منشورا ثانيا أعلنت فيه تأجيل المؤتمر الى أول سبتمبر سنة ١٩٢١ وفى يوم ١١ أغسطس غادر وفد الاتحاد القاهرة الى جنيف وجاءت الوفود الاخرى

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٢٥ أغسطس عقد المؤتمر جلسة تمهيدية فى دار بلدية بلانفاله فى جنيف وبعد أن ذكر كاتب اللجنة التحضيرية برنامج الاعمال تلا برقيات ورسائل متعددة واردة من مندوبين ما زالوا فى طريقهم الى جنيف ولا يستطيعون الوصول قبل ٢٦ منه فقرر تأجيل الجلسة الى ٢٧ منه وفيه افتتحها الأمير ميشيل لطف الله بالنيابة عن حزب الاتحاد السورى صاحب الدعوة قائلا :

باسم الاتحاد السورى أشكر لكم أيها السادة اجابة دعوتنا الى عقد هذا المؤتمر قادمين من وراء البحار تاركين عائلاتكم وأعمالكم ايثارا لخدمة وطنكم على مصالحكم الخاصة وأشكر أحزابكم الوطنية الصادقة التى ندبتكم للنيابة عنها فى هذا المؤتمر

علمتم أن الغرض من هذا المؤتمر هو توحيد الاحزاب الاستقلالية وتنظيمها للتعاون على السعى فى الطرق السياسية لاستقلال أمتنا ووحدة وطننا الذى مزقت شمله وفرقت أهله المطامع الاستعمارية لغير ذنب جناه الا تصديق وعود الحلفاء له خاصة وللشعوب عامة بالحرية والاستقلال اذا هم ظفروا فى الحرب الكبرى الفاصلة بين سلطان الحق والعدل وسلطان القوة والقهر . واخترنا لعقد مؤتمرنا هذه المدنية الحره مركز جمعيه الامم لنتمكن من اطلاعها على حقيقة قضيتنا واسماع صوت أمتنا الحادث فى وطننا بالضغط الاستعمارى الى جميع الشعوب الحره وفى مقدمتها أحرار بريطانيا العظمى و[illegible] لعلها اذا علمت بحقيقتها تساعدنا على الوصول الى حقنا الطبيعى فى الحريه والاستقلال لدى حكوماتها وبواسطه جمعية الأمم التى هى الملجأ الوحيد الأمين للشعوب المهضومه حقوقها المغلوبه على أمرها ، وأن هون كثير من رجال السياسة أمرها وضعف ما يناط بها من الآمال [illegible]

شأن نفوذ رجال الاستعمار فأدعو الله العزيز الحكيم أن يأخذ بيدنا ويكلل بالنجاح [illegible] الوطن العزيز. وأنا أعلن افتتاح المؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف باسم الله وباسم الوطن ولتحي سورية حرة مستقلة

وهذه أسماء الذين اشتركوا في المؤتمر:

الأمير ميشيل لطف الله رئيس اللجنة المركزية لحزب الاتحاد السوري ومندوبها والسيد رشيد رضا رئيس المؤتمر السوري العام في دمشق ونائب رئيس الاتحاد السوري ومندوبه والحاج توفيق حماد رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية في نابلس ومندوب المؤتمر الفلسطيني والأمير شكيب أرسلان مندوب حزب الاستقلال العربي وسليمان كنعان عضو مجلس لبنان الاداري واحسان الجابري مندوب حزب الاستقلال العربي وأمين التميمي عضو الوفد الفلسطيني ووهبه العيسى رئيس اللجنة الفلسطينية بمصر ومندوبها وشبلي الجمل مندوب الوفد الفلسطيني وسكرتيره وأحد أعضائه ورياض الصلح مندوب حزب الاستقلال العربي ونجيب شقير مندوب حزب الاستقلال العربي وصلاح عز الدين مندوب الجمعية السورية الوطنية في بوسطن وطعان العماد مندوب الحزب الوطني العربي في الارجنتين وجورج يوسف سالم مندوب حزب تحرير سورية في نيويورك وتوفيق اليازجي مندوب حزب استقلال سورية ووحدتها في سنتياغو (شيلي)

وقد انتخب المؤتمر الأمير ميشيل لطف الله رئيسا له والسيد رشيد رضا والحاج توفيق حماد وكيلي رئيس والأمير شكيب أرسلان سكرتيرا عاما

وعقد المؤتمر ١٧ جلسة وفي يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢١ ختم أعماله وانتخب لجنة تنفيذية عهد اليها بملاحقة قراراته وقد تألفت كما يأتي: الأمير ميشيل لطف الله رئيسا والسيد رشيد رضا وكيل رئيس ونجيب شقير سكرتيرا عاما وتوفيق اليازجي وأسعد داغر أعضاء

ووضع المؤتمر نداء مطولا قدمه باللغة الفرنسوية الى المجمع الثاني لجمعية الأمم ووزعه على أعضائها في جنيف وقال في مقدمته:

الى سعادة هـ. ا. فان كارنبك رئيس المجمع الثاني العام لجمعية الأمم

والى حضرات مندوبي الدول في هذا المجمع

ياحضرة الرئيس و ياحضرات الأعضاء

اننا نحن الموقعين أدناه ممثلي الأحزاب والفرق السياسية فى سورية ولبنان ومعتمدى أهالى فلسطين من المسلمين والمسيحيين الناطقين بلسان أهالى هذه البلاد نتشرف بأن نلجأ الى سلطة جمعيتكم العليا باسم المؤتمر السورى الفلسطينى المنعقد الآن فى جنيف فى بسط الحالة السيئة التى آلت اليها أمتنا واستمداد معونتكم لها بجعل حقوقها محترمة ومعترفا بها

نقرع باب جمعيتكم واثقين بالمبادىء التى كانت أساسا لبناء جمعية الأمم ، والتى أنعشت فى جميع الأقطار آمالا مشروعة ، ألا وهى احترام القوميات وحق الأمم فى تقرير مصيرها ، واقامة العدل ومراعاة الشرف فى العلاقات الدولية ، ونبذ سياسة الفتح ، والدقة فى رعاية العهود فى الصلات المتبادلة بين الشعوب المنظمة

نلجأ الى جمعيتكم عالمين أنها بموجب الخصائص التى خولها إياها عهد جمعية الأمم الموقع عليه فى فرسايل فى ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ مرجع لقضيتنا هذه ولها فيها حق النظر والحكم وفقا لروح هذا العهد

ان سورية وفلسطين ولبنان تسألكم بادىء بدء الالتفات اليها والاعتراف بحقها فى طلب الاستقلال التام المطلق بمقتضى القواعد العامة لحقوق الشعوب والعهود الخاصة المقطوعة لها فى السنوات الأخيرة

ان الحرب الطويلة التى وضعت أوزارها وأحدثت جمعية الأمم كانت صراعا بين فكرتين ـ فكرة القوة والغصب وفكرة الحق والحرية ـ فالأمم التى كانت تناضل تحت لواء الحق وضعت مبدأ استقلال الشعوب فى طليعة مقاصدها من الحرب وكان كبراء رجال الأمم المتحالفة يعلنون واحدا بعد آخر على منابر مجالسهم النيابية أن الحرب لن تؤدى الى فتوحات جديدة أو الى ضم أقطار جديدة ، وانما يجب أن تسفر عن [illegible] الحضارة واستقلال الشعوب

ولقد سمع الشعب السورى هذه [illegible] ، وخاصة ما يضمن منها للشعوب الخاضعة لسلطة التركية السلامة [illegible] حياتهم وحرية الارتقاء بدون عائق

(مواد الرئيس ولسون الأربع عشرة)

فالشعب السورى المؤيد [illegible] الأمم [illegible] ومقومات [illegible]

أن يطالب بالاستفادة من تلك التصريحات وبالاعتراف بسيادته وفقا للمبادىء التى كان لها الفوز

واذا كان تعريف الأمــة ــ هو كما قرر كثير من كبار المشترعين ــ مجموع أفراد من عنصر واحد ولغة واحدة وحضارة واحدة أولى إرث تاريخى شامل عام وشعور بارادة تأليف جماعة سياسية واحــدة فان سورية اذاً أمة واذا كان تحديد القومية هو الشعور بأخوة متينة واشــجة العروق وحب متوارد لمسقط الرأس فالأمــة السورية هى ذات شعور قومى

ان وحدتى السلالة واللغة مؤكدتان بكون السحنة واحدة فى جميع البــلاد وبكون اللسان العربى لسان الجميع . والغرباء الذين فى البلاد لايتجازون واحدا فى المائة ، كما ان الحضارة العربية هى السائدة فى البلاد وهى احد فروع شجرة المدنية الذى كان مع الفرعين اليونانى والرومانى أصل الهيئة الاجتماعية الحاضرة وسبب ازدهارها . ثم انها لم تقف فى سيرها فالتعليم العربى منتشر فى جميع البــلاد بعشرات من المدارس العليا ومئات من المدارس الثانوية وألوف من المدارس الابتدائية ، وهناك مدرستان جامعتان و ٦٢٠ مدرسة مختلفة الدرجة من مؤسسات الأجانب تضم مجهوداتها الى عمل المدارس الوطنية . وكان نحو من مائة جريدة تصدر فى انحاء سورية الى حين انفجار الحرب العامة . ويقدر عدد القارئين والكاتبين فى أكثر المقاطعات ستين فى المائة . وأما الطبقة المستنيرة من أدباء وشــعراء ومؤلفين وحقوقيين وأطباء ومهندسين فعدد رجالها عظيم ، وكثيرون منهم نالوا شهاداتهم من أوروبا ، ولهم فى البلاد مركز رفيع . كما ان فى البلاد جما غفيرا من الضباط المتخرجين من مدارس الحربية فى الاستانة وفى أوروبا قد أثبتوا كفاءتهم فى تنظيم مصالح الأمن العام ولما جلا الترك فجأة عن البــلاد قام أهالى سورية بمهمة تنظيم بلادهم المحررة وتشكلت فى الحال لجان ادارية فى كل ناحيه فوطدت أركان النظام والأمن العام الى أن احتلت جنود الحلفاء البلاد . ولما ألقيت بعد ذلك مقاليد الادارة فى المنطقة الداخليــة الى حكومة وطنية كان الأمن والنظام فيها أثبت وأتم منه فى المناطق المحتلة كما شهد بذلك الأجانب الذين زاروا البلاد فى تلك الاثناء

ان تراث مجد السوريين المشترك لغنى عن الاشارة اليه . أية مدنيــة كانت أبهى

وأبهر من حضارة عصر عبد الملك بن مروان وهارون الرشيد وصلاح الدين الايوبى وخلفائهم . ومن ذا الذى لايتذكر تألق أنوارها على سواحل بحر الروم ولايشهد تأثيرها العالق بناصية الحمراء وبقباب كنائس بلرم (صقلية) الى اليوم . ولا يمكن انكار مافى شعبنا من الكفاءة السياسية والادراك السياسى حتى ان حياتنا الاقليمية وتقاليدنا المحلية ظلت باقية لنا فى عهد الحكم التركى نفسه

وفى سنة ١٩٠٨ أعلن الانتخاب العام (فى السلطنة العثمانية) فتمتع السوريون بجميع حقوقه فكان عدد نواب العرب فى الندوة العثمانية يتجاوز ثلث أعضائها وكان لهم دور مهم فى جلساتها وفى لجانها . وكانت سورية قبل الحرب تقوم بنفقات ادارتها بل كانت الضرائب التى تدفعها تزيد عنها فتفيض على ميزانية السلطنة العامة

ان شعور سورية القومى لم يزل ينمو منذ أوائل هذا العصر ، وكانت الدعوة اليه تبث بنشاط من قبل الصحف والجمعيات الوطنية ، وقد جاد فريق كبير من كبراء البلاد بأرواحهم على مشانق الترك تكفيرا عن جرم التفكير فى استقلال وطنهم

وان القومية السورية متجلية فيما وراء الحدود والبحار أيضا فهناك جاليات سورية عديدة منتشرة فى جميع القارات ولا سيما فى العالم الجديد ولها صحفها وجمعياتها وأنديتها

وعند نشوب الحرب أعلن جلالة الملك حسين الاول استقلال العرب بالاتفاق مع معظم الجمعيات السياسية فى سورية ، ومنذ سنة ١٩١٦ قامت القوات العربية بمساعدة الانكليز على هدم السلطنة التركية

وكان المقاتلة من العرب واثقين بأنهم يسعون لاستقلالهم لأن الحلفاء كانوا يعلنون أنهم يكافحون دفاعا عن حقوق الشعوب ولم تكن آمال هؤلاء المقاتلة مبنية على تصريحات رجال السياسة فقط بل على الوعود الصريحة التى قطعها للملك حسين السرهنرى مكماهون العميد البريطانى فى مصر باسم انكلترة احدى دول الحلفاء سنة ١٩١٥ وقد ضمنت هذه الوعود الاعتراف باستقلال بلادنا . فكل تلك الوعود والدماء التى أريقت فى سبيل الغاية المشتركة كانت تعزز الآمال بانشاء دولة سورية قائمة على النظام والحرية والسلام

ولكن لم يتم لسوء الحظ شيء مما كنا نؤمله حتى ان لبنان الذى كان يتمتع باستقلال ذاتى تام تضمنه الدول العظام قد سلب منه استقلاله ــ فطفق الشعب السورى ينظر الى

ماضيه والخيبة ملء فؤاده» ثم أشار النداء الى عهود أوروبا للعرب و بسطها وقال :

نوجه اليكم هذه العريضة بأصدق عزيمة وأرسخ ايمان بأنكم سترون من الوقائع التى نبسطها لكم مايجعلكم تعرفون الى أى حد قضى الانتداب الذى ينفذون حكمه فينا على استقلالنا وكيف أصبح يهوى بنا الى دركة مستعمرة من مستعمرات المتدبين علينا

جاء فى الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين التى تعين حدود الانتداب المختص بالجماعات العثمانية مايأتى :

(١) ان هذه الجماعات قد بلغت درجة من الارتقاء يصح معها الاعتراف بكونها أمة مستقلة

(٢) ان مهمة المنتدب قاصرة على المساعدة والنصح

(٣) ان رغائب الجماعات يجب أن توضع أولا موضع الاعتبار عند اختيار الدولة المنتدبة

وسترون كما ترى ان هذه القيود المعينة فى الانتداب لم يحترم شىء منها وأن استقلالنا ليس سوى لغو من القول

لقد قسمت بلادنا الى مناطق كما ذكر آنفا عملا بمعاهدة سايكس ـ بيكو المؤيدة باتفاق لويد جورج وكليمانسو فى سنة ١٩١٩ فأخذ الانكليز فلسطين والساحل الفلسطينى وأخذ الفرنسيون ساحل سورية الشمالية واحتفظ الأمير فيصل بالمنطقة الداخلية ـ فاسفرت هذه الوقائع عن إحراج صدور الأهلين والتأم فى دمشق مؤتمر سورى عام فى شكل مجلس مؤسس يتألف من مندوبين انتخبوا من المناطق الثلاث ـ وقد عقد هذا المؤتمر برغبة الرأى العام الشديدة جلسة عامة وأعلن بالاتفاق مع الزعماء السياسيين والرؤساء الروحيين من جميع الملل والنحل فى ٨ مارس سنة ١٩٢٠ استقلال سورية التام بحدودها الطبيعية أى مع فلسطين ولبنان ونادى بالأمير فيصل ملكا دستوريا على البلاد وانصرف الى سن القوانين وتنظيم الحكومة الوطنية التى كان لديها ممثلون للحكومات الأجنبية . على أن هذه السيادة على المنطقة الداخلية مالبثت أن انتزعت فى صيف سنة ١٩٢٠ كما تعلمون . وختم المؤتمر نداءه قائلا :

فالمؤتمر السوري الفلسطيني يطلب اذا منكم أيها الرئيس والأعضاء الكرام مايأتى :

(١) الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومى لسورية وللبنان ولفلسطين

(٢) الاعتراف بحق هذه البلاد فى أن تتحد معا بحكومة مدنية مسئولة أمام مجلس نيابي ينتخبه الشعب وأن تتحد مع باقى البلاد العربية المستقلة فى شكل ولايات متحدة (فيدراسيون)

(٣) اعلان إلغاء الانتداب حالا

(٤) جلاء الجنود الفرنسوية والانكليزية عن سورية ولبنان وفلسطين

(٥) إلغاء تصريح بلفور المتعلق بوطن قومى لليهود فى فلسطين

فاذا لم يكن لدى جمعية الأمم الاستنارة الكافية وأرادت أن توقن أن مابسطناه هو رغائب الشعب الحقيقية فنحن نرجوها أن ترسل الى سورية ولبنان وفلسطين لجنة تحقيق ذات سلطة كافية لتتمكن من اجراء تحقيق نزيه . وأن يعطى أهالى سورية من جمعية الأمم ضمانا بأن يكونوا آمنين من انتقام المحتلين واضطهادهم اذا أبدوا آراءهم بحرية ، وذلك بأن تأمر بجلاء الجنود التى تضغط على الأهالى . وتفضلوا أيها السادة الرئيس والأعضاء بقبول فائق احترامنا

وفد المؤتمر ولجنته

وألف المؤتمر لجنة من أعضائه على أثر ختامه تظل فى جنيف لملاحقة القضية أمام جمعية الأمم . كما قرر تأليف لجنة تنفيذية لمواصلة العمل وتنظيمه فى دائرة المبادىء التى وضعها على أن يكون مقرها فى القاهرة وأن تضم ممثلى الأحزاب التى اشتركت فى المؤتمر ويكون عدد أعضاؤها سبعة أوخمسة أوثلاثة ويكون رئيس المؤتمر رئيسا دائما لها . وأن تبدأ العمل فى أول شهر ديسمبر سنة ١٩٢١

وألفت اللجنة التنفيذية فى جلستها المعقودة فى القاهرة يوم ٢ مايو سنة ١٩٢٢ الوفد السورى وأرسلت الى أعضائه وهم الأمير شكيب ارسلان واحسان الجابرى وسليمان كنعان تبلغهم ذلك وتفوضهم العمل باسمها ثم قررت فى جلستها يوم ٢٨ منه أن تضم

وتيسلمه الأمير ميشيل لطف الله الى الوفد وأرسلت بذلك كتاب اعتماد الى وزارات خارجيات الدول العظمى

مذكرة الوفد الى مؤتمر جنوى

وتلقى أعضاء الوفد كتاب الاعتماد فى نفس الوقت الذى اجتمع فيه المؤتمر الاقتصادى الدولى فى جنوى فوضعوا مذكرة مفصلة قدموها يوم ١٢ مايو سنة ١٩٢٣ الى السنيور فاكتا رئيس المؤتمر ورئيس وزراء ايطاليا والى الرفيق تشيشرين وزير خارجية روسيا ورئيس وفدها فى المؤتمر والى كل من توسموا فيه الخير فى معرفتهم حقيقة هذه القضية وهذا تعريبها :

ياصاحب السعادة

فى حين اجتماع مندوبى معظم الدول القديمة والحديثة للتعاون على تعمير أوربا الاقتصادى ، وبما أن شعبنا لم يعترف بالحكم الحالى الذى وضع عليه بالقوة ، نتشرف بصفتنا ممثلين منتخبين من الأحزاب السورية واللبنانية بأن نتقدم من مجمعكم المحترم لنطلعه على شكاوى مواطنينا وماحكم عليهم به من التعاسة والألم . ان روح العدل والتراضى ـ الذى يهتدى به فى الأعمال العظيمة القائم بها المؤتمر ـ ضمانة لنا على أن صوت الضعفاء لابد أن يجد صدى مرضيا

لما كانت المسائل السياسية والاقتصادية متصلة بعضها ببعض اتصالا وثيقا ، وكان من الواجب وضع حل لمسألتنا المموهة بالمتناقضات والأغلاط والأكاذيب ، وحبا بالمساعدة فى البحث عن وسائل تأخذ بيد لبنان وسورية اللذين هما قسم حساس وعامل قوى فى الحياة الاقتصادية فى الشرق ، سنتأذن فى اعادة ذكر الوقائع السياسية التى كان لها التأثير الأكبر فى ايجاد الحالة الحاضرة فى بلادنا بقطع النظر عن الأزمة العامة التى يتخبط فيها العالم

ان سورية ولبنان من أرقى بلاد الشرق الأدنى ، والحالة فيهما تؤثر على البلاد المجاورة لها ، فاذا ساد فيهما السلم أوعمت الفوضى لابد من انتشار ذلك الى الجوار بينما لأوربا مصلحة كبيرة فى صيانة النظام فى هذه البلاد . ان أهالى سورية ولبنان قد بلغوا

تدريجة من الحضارة ترابأ بهم عن المجازفات والمغامرات ، ولكنهم متمسكون باستقلالهم الاقتصادى والسياسى تمسكا يجعلهم لايطيقون تحمل التحكم الأجنبي طويلا ، فيكونون بسكوتهم مساعدين على القضاء على بلادهم

ان أهالى سورية ولبنان يرون – والاستياء ملء نفوسهم – أن معظم الأقطار التى فصلت عن تركيا كالبانيا والحجاز وأرمينية والأقطار التى فصلت عن روسيا تتمتع باستقلال يعترف به العالم مع أنها أحط منهم درجة فى الرقى ، فى حين انه قد حكم عليهم حكما مناقضا لرغائبهم ، وللوعود والضمانات التى وضعوا ثقتهم فيها

لقدكان لبنان بفضل موقفه الخاص يقاوم دائما جيع الفاتحين وكان أبناؤه مستعدين دائما لاهراق دمائهم فى سبيل استقلالهم ، فاذا انفردوا فى ما مضى بعدم استقبال الفرنسويين كاعداء عند نزولهم الى سورية فما ذلك الا لأنهم كانوا يثقون ثقة تامة بوعود الحلفاء أثناء الحرب وبتصريحات ولسن وبصداقة فرنسا وعدلها . وكان حينما يتسرب شيء من الشك الى نفوسهم لايلبث أن تزيله منشورات قائد جيوش الاحتلال . ولم يدر فى خلدهم ان رغائبهم وحرياتهم الموروثة تصطدم بمطامع المستعمرين ، وأن نير الاستعباد سيوضع على أعناقهم ، وتؤخذ عليهم جيع السبل لتعزيز الحكم الحاضر فى بلادهم ، وان نداءهم فى طلب الحرية يخنقه الارهاب والدسائس

ان ماجنيناه من الاختبار منذ ثلاث سنوات حتى الآن لايجعلنا نتفاءل خيرا بمستقبل بلادنا ، وان ايجاد مجلس كالمجلس التمثيلى فى لبنان محددة سلطته تحديدا تجعله أقل مرتبة من مجلس استشارى ، ليس سوى وسيلة لمخادعة الرأى العام واعطاء مظهر قانونى لتحكم المفوضية العليا فى سورية . وقد جرى هذا الأمر الاغراق فى التحكم بالشعب ، وحمله على الاعتراف بالأمر الواقع ، وهو حلقة جديدة أضيفت الى سلسلة العبودية التى يرسف بها الشعب

يستطيع المستعمرون ولا ريب أن يشتروا أعوانا لتأليف هذا المجلس ، وتسميته برلمانا وتنفيذ ارادتهم فيه . وسيموهون به على الشعب الفرنسوى وجمعية الأمم وينادون بان لبنان يتمتع باستقلال تام

ولكننا نستأذنكم فى القول بأننا لن نستسلم بعد الآن للخادعة، وانا لن ننفك ولن ينفك أولادنا عن الجهاد فى سبيل حريتنا، وسيكون لنا من مضاء العزيمة فى السعى للحرية مثلما كان لجميع الشعوب على مر الزمان، ويعضدنا فى ذلك عطف كل شعب كريم. وقد يهولنا أن نوقد النار فى الشرق الأدنى ونخلق المشاكل للدول الأوربية ولكن هذا الأمر لا يوقفنا لاننا غير مسئولين عنه مادمنا قاصرين فى أعمالنا على طلب حق فى الحياة يريد المستعمرون وأصحاب الأموال أن يحرمونا منه

لقد أعرب السوريون اعرابا صريحا عن رغائبهم أمام لجنة التحقيق الأمريكية التى ذهبت الى سورية يوم كان مؤتمر الصلح ملتئما، فاتفقت أكثريتهم الساحقة على طلب الاستقلال التام، والا مساعدة ودية من الولايات المتحدة لا تمس الاستقلال. وقد عادوا الآن مرة أخرى الى الاعراب عن هذه الرغائب بمظاهرات عمومية بمناسبة مرور مستر (كراين) رئيس تلك اللجنة فى ديارهم، غير مبالين بما استعمله المحتلون من الارهاب والرشاشات والدبابات. ان أهمية الحركة التى ذكرتها برقيات مصر والجرائد الانكليزية فى ١٥ ابريل ظاهرة لمن يعرف عدد الجنود الفرنسوية فى سورية وتصرفها القاسى الفظيع فى قمع أدنى حركة والذهب المبذول للاغراق فى نشر الدعوة ومنع العالم عن معرفة حقيقة مايجرى فى بلادنا. أما نحن فنرى أن العمل لايزال فى بدايته، لأن العداوة شديدة حتى فى صدور العنصر المارونى اللبنانى الذى وثق منذ عهد بعيد بصداقة فرنسا

ان احتلال لبنان قد فاجأنا بعد آلام الحرب الهائلة وفتكات الجوع الذريعة التى أهلكت نحو ثلث اهالى لبنان فليس من الغريب أن لايقوم مواطنونا فى وجه الاحتلال وهم على ماهم عليه من مضاء العزيمة، فضلا عن أن تقاليد فرنسا وتصريحات الحلفاء أثناء الحرب ومبادىء الرئيس ولسن قد جعلتهم يتفاءلون خيرا بالمستقبل

ولكن الحال قد تغيرت منذ ذلك الحين فاذا كانت آلام الحرب لم تخف عن لبنان فان أبناءه قد عرفوا أن النير الأجنبي أشد هولا من الحرب نفسها

وان خيبة آمال اللبنانيين واستياءهم من الغاء الحكم الذاتى الذى تمتعوا به منذ ١٤٠٠ سنة قد زاد فى عداوة السوريين للاحتلال الفرنسوى

ان سلطة الحكام الفرنسويين فى سورية ولبنان قائمة :

(١) على عجز الأهالى أمام ستين ألف جندى فرنسوى فى سورية

(٢) على التقسيمات الادارية بايجاد حكومات سميت مستقلة فى البلاد منعا لعمل عدائى عام

(٣) على نفوذ العنصر المسيحى الذى يعتبره المحتلون مخلصا لمقاصدهم

(٤) على قوة المخصصات السرية واساءة استعمالها

وعليه نبدى هذه الملحوظات :

(١) ان ضعف السوريين هذا سوف لايدوم . وان القومية العربية هى الآن أوسع دائرة من أن تتحمل حكما أجنبيا ، فتعلقها بحكومة الأمير فيصل فى دمشق ومقاومتها المسلحة فى الغالب للاحتلال الفرنسوى والاضطرابات المستمرة فى المنطقة الفرنسوية فى سنتى ١٩١٩ و ١٩٢٠ والضحايا العظيمة التى قامت بها لأجل بلوغ الغاية القومية حتى فى زمن الحكم العثمانى ، كل هذا هو أحدث عهدا من أن ينسى

ان قوه احتلالية مهما كانت كبيرة لا تستطيع خنق عاطفة الحرية الراسخة فى قلوب السوريين

وسيعرف الشعب الفرنسوى الحقيقة عاجلا أو آجلا ويتأكد أن لافائدة من الضحايا التى يتحملها اجابة لرغائب العسكريين ومصالح أصحاب الأموال ولا بد يوما من اخلاء البلاد

(٢) ان تقسيم سورية الى دول متعددة لا يؤدى الى الغرض المطلوب ولابد أن تحبط الخطة التى اختطها السلطة فى تقسيم البلاد واثارة المنافسات المحلية بين الأهالى ليتم لها تطبيق مبدأ « فرق تسد » وذلك التقسيم هو أحد الأسباب العظمى لاستياء السوريين . وان ايجاد دول مستقلة بعضها عن بعض فى بلاد صغيرة حتى من وجهة الاقتصاد وصيانة الأمن لابد أن يقلق الأمن ويجهز على التجارة والحياة الاقتصادية العامة فيؤدى ذلك بطبيعة الحال الى تعزيز الروابط بين أجزاء سوريه المختلفة

(٣) ان سلطة الاحتلال لاتستطيع الاتكال على العنصر المسيحى لاستعداد اخوانه المسلمين اذ لم يكن قط للدين الاعتبار الأول فى جميع الوقائع التى يعرفها تاريخ سورية ولبنان . واذا كان الجو قد تعكر بين الجماعات الدينية فى القرن الماضى فلم يكن ذلك الا

بتأثير دعوة أجنبية وأعمال البعثات الدينية أخصها بالذكر الجزويت ، ولم يرحن اللبنانيون موارنة ودروزا مرارا عديدة على اتحادهم القوى ورأيناهم في أواخر القرن السادس عشر والخطر يهدد استقلالهم يتفقون على تولية الأمير فخر الدين المعنى عليهم مع أنه من الأقلية الدرزية و يعترفون لذريته بالوراثة . وعند ماتلاشت أسرته اختاروا أميرا مسلما من آل شهاب

ان سياسة حماية المسيحيين في السلطنة العثمانية لم يكن لها تأثير على نصارى لبنان فان اللبنانيين بعد ماآزروا ابراهيم باشا المصرى على الترك عادوا فانقلبوا عليه لانه أراد انتهاك حرمة استقلالهم . ولم تمنعهم من ذلك نصائح الدول التى أوجدت مبدأ حماية المسيحيين والتى عضدت ابراهيم باشا

وهكذا ظل اللبنانيون متحدين للمحافظة على استقلالهم وعلى الاتحاد الاقتصادى مع سورية ، ومازالوا على خير صلات بجميع اخوانهم السوريين

(٤) ان المخصصات السرية (١٠ ملايين فرنك) التى تستخدم الآن لمشترى الضمائر لن تجدى فائدة أمام حركة الثورة التى يتعاظم شأنها يوما عن يوم

ان تظاهرات الولاء للفرنسويين التى دبرتها المفوضية العليا عابثة بثقة المسيحيين ، وتوزيع الأسلحة على بعض القرى ، وتنظيم العصابات ضد المسلمين ، والاعتسافات الأخرى التى ارتكبتها السلطة المحتلة ، قد خلقت حالة مخيفة غير طبيعية . وأوجدت تراخيا بين المسيحيين والمسلمين ، ثم زال كل ذلك عند ماشعر الفريقان بالنير الأجنبى

وكانت مقاصد المحتلين تتجلى يوما فيوما ، فعاد المسيحيون عن خطأهم بعدماشعروا بانهم كانوا ألعوبة ، وصاروا هم والمسلمون سواء فى الغيرة على استقلالهم . وبما أن السوريين لايعارضون فى استقلال لبنان فاخلاء بلادنا من الجنود الأجنبية يعيد الى سوريه ولبنان جميع ما كانا يتمتعان به من السكينة والسلام . وجميع السوريين واللبنانيين متفقون على تنظيم اقتصادياتهم على قاعدة مشتركة

ولا نرى بدا من القول مرة أخرى باننا لم نسرد هذه الوقائع الا لما لها من العلاقة بالموقف الاقتصادى الذى سنشرحه فى مايلى . وقد اغتنمنا هذه الفرصة لنظهر اتساع مسافة

التالف بين حالتنا الحاضرة ومقتضيات عهود الحلفاء وتصريحاتهم قبل الحرب وفى زمن الحرب ومبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها ومواد ولسن الأربع عشرة الخ الخ

وتكلم التقرير بعد ذلك عن الحالة الاقتصادية فى سورية ولبنان بعد الحرب وقال انها كانت قبلها أفضل . ثم قال :

كان السوريون فى زمن السلطنة العثمانية عثمانيين يتمتعون بنفس مايتمتع به الترك من الحقوق ، فكانوا يشغلون المناصب فى جميع فروع الادارة التركية،وكان لهم نواب منهم البرلمان العثمانى بلغ عددهم ثلث أعضاء مجلس النواب

أما الآن فانهم فى منزلة سكان المستعمرات الافريقية الذين تحميهم دولة أجنبية

وقالوا فى الختام :

نحن نستصرخ مافى العالم من العدل ، ومافى نفوس البشر من الشوق الى السلام والرقى . نستصرخ الحرية التى قاتلت شعوبكم لأجلها قتالا يعرفه التاريخ . نستصرخ الشعورالشريف الذى دفعكم الىالقيام بالعمل الكبير الحاضر لاعادة تعمير العالم.ونلتمس منكم أن تسمعوا صوت ملايين من الناس يتألمون فى حياتهم المادية وشعورهم الوطنى

وان مطالبنا تلخص فيما يأتى :

(١) الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومى للبلاد

(٢) جلاء الجنود الأجنبية

(٣) أن يكون للأهالى حرية انتخاب مجالسهم التأسيسية ، وأن يختاروا شكل الحكومة التى توافقهم

واتصل الوفد مدة اقامته فى رومة برجال السياسة الايطاليين ولا سيما الحزب الفاشستى وذلك قبل أن يقبض السنيور موسولينى على زمام الحكم فاستصدر منهم قرارات باستنكار تصرفات الفرنسويين وبالاعتراض على فرض الانتداب الفرنسوى

ثم عاد الى جنيف لملاحقة قضيته حين اجتماع مجلس جمعية الأمم وللنظر فى ما يجب اتخاذه من تدابير فقابل السكرتير العام لجمعية الأمم محتجا على أعمال السلطة الفرنسوية فى سورية ولبنان المخالفة للعهود والاتفاقات الدولية ومعلنا باسم الشعب رفض الانتداب ووضع

تقريرا مفصلا عن مجمل الحالة في سورية ومطالب السوريين قدمه الى مجلس الجمعية بواسطة لجنة الانتداب الدائمة قال في مقدمته :

نتشرف نحن الموقعين على هـذا التقرير مندوبي المؤتمر السوري الفلسطيني وممثلي الأحزاب والجمعيات السورية واللبنانية الاستقلالية بأن نتقدم من لجنتكم لتأكيد القرارات التي قدمها المؤتمر السوري الفلسطيني في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢١ الى الجمعية العمومية الثانية لجمعية الأمم وهي :

١ ــ الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومي لسورية ولبنان وفلسطين

٢ ــ الاعتراف بحق هذه البلاد في أن تتحد معاً بحكومة مدنية مسؤولة أمام مجلس نيابي عام ينتخبه الشعب

٣ ــ اعلان الغاء الانتداب حالا

٤ ــ جلاء الجنود الفرنسوية والانكليزية عن سورية ولبنان وفلسطين

٥ ــ الغاء تصريح بلفور المتعلق بوطن قومي لليهود في فلسطين

ثم اننا مكلفون من قبل أبناء وطننا أن نحيطكم علما بما يأتي :

لقد دلت السنوات الثلاث التي انقضت على الادارة الفرنسوية على انها ادارة استعمار بحت يسعد في البلاد رغم الدعوة الواسعة النطاق لمسخ الحقيقة تجاه الرأي العام في العالم

ان الحالة الحاضرة في سورية قد تفاقم أمرها تفاقما شديدا فقد أخفت صوت الشعب اخفاتا والغيت حرية القول والطباعة والاجتماع وانزلت أحكام التوقيف والسجن والجلد والاعدام والنفي بالوطنيين والكبراء من أهل البلاد ، وبكلمة واحدة فان الادارة العرفية بالغة أشدها

فهل هذا هو معنى الانتداب ؟

أهذا هو « الخير » الذي وعد به عهد جمعية الامم ؟

أهذه هي « المهمة المقدسة » التي تكلمت عنها المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم ؟

لقد وعدونا بتحريرنا في الحرب العامة ، وأجزلوا لنا التصريحات ، وقطعوا عهودا صريحة لشعبنا العربي ولجميع الشعوب المظلومة . ولكن موقف الدول العظمى في بلادنا مناقض لوعودهم وعهودهم

كانت سورية فى زمن الترك تتمتع بحريات وحقوق واسعة . ولكن عطف سورية على قضية الحلفاء فى زمن الحرب قد كلفها آلاما لاتوصف، وضحايا لامثيل لها . ثم انها أعلنت استقلالها بعد الهدنة ، ونادت بالأمير فيصل ملكا فى دمشق ، معتمدة على حقوقها الثابتة فى تقرير مصيرها . ولكن الحكومة الفرنسوية — التى تضمر فكرة الفتح فى سورية — لم يرق لها هذا العمل فأسرعت الى القضاء على الحكومة الوطنية ، واجتياح عاصمة المملكة السورية . وما زالت منذ سنتين تحكم فى البلاد سلطة عسكرية جائرة ، وذلك بعد أن مزقتها وأضعفتها وأعملت فيها حكم الارهاب

لقد أعلنوا أن الغرض من الانتداب منحصر فى انهاض بعض الجماعات واعدادها للحكم الذاتى ، ولم يقتصروا على الاعتراف بأن الشعب السورى بلغ درجة من التقدم والأهلية ، بل أكدوا أن سورية بلاد متبسطة فى الحضارة ، متقدمة تقدما يميزها عن سائر الجماعات التى كانت تتألف منها السلطنة العثمانية . ورأوا من العدل الاعتراف باستقلال كل هذه البلاد ، بل زادوا على ذلك قيامهم بالمساعى لعقد أواصر الصداقة مع الاناضول وتوقيع المعاهدات مع حكومتها ، فى حين أنهم يسعون لاستعمار سورية واتخاذها سلعة للمقايضة

ان الدول العظمى أعربت غير مرة عن رغبتها فى منح الاستقلال لجميع الشعوب المستعبدة ، ولكنها لم تقتصر على نكث عهودها ، بل سلبت الشعوب المستقلة حريتها كما نرى فى أمر لبنان ، فقد كان يتمتع بحكم ذاتى واسع النطاق اعترفت به دول الحلفاء نفسها وضمنته ، وكاد يكون مستقلا استقلالا تاما قبل حصول كثير من الدول الحاضرة على استقلالها . ولكن حريته لم تدم وياللاسف فقضى الانتداب على استقلاله قضاء تاما . فمن ذا الذى يصدق بعد هذا المثال أن الحرية والاستقلال يعطيان بسخاء للشعوب التى تطلبهما من طريق السلم . الحقيقة أن من الواجب الجهاد للحصول عليهما ، فالقوى لايسلم بحق الضعيف الا مرغما

ولا نريد أن نقف هنا لذكر المدعيات الكثيرة تبريرا لحلول فرنسا فى سورية ، فتلك مدعيات وضعت لنشر الدعوة اقناعا للشعب الفرنسوى . وانما نلفت الأنظار الى تصريح مسيو ليج رئيس الوزارة الفرنسوية السابق الذى أجاب على سؤال عن مدة الاحتلال فى سورية بقوله :

ـــ دائما ، والى الابد » ..

وقال مسيو بريان فى مجلس النواب الفرنسوى : « ليست سورية بلاد أمة واحدة ، ففيها عشرة شعوب تحتاج الى من يجمع بينها »

وهو قول غريب ، عار من كل أساس ، وليس من الممكن تأييد هذا الرأى الذى يجهله السوريون أنفسهم . فمن الممكن أن مسيو بريان اعتبر الطوائف الدينية شعوبا قائمة بذاتها وهو خطأ فادح ، لأن المعروف بالبداهة أن سورية تسكنها أمة واحدة يجمعها التاريخ والتقاليد والعادات واللغة والشعور والمصالح المشتركة

اذا كانت لجنة الانتدابات لاترى من سلطتها رفع نظام الانتداب أو الغائه ـ كما صرح مستر بلفور ـ وان مهمتها قاصرة على مراقبة تنفيذ الانتداب كما وضع ، والسهر على صحة العمل بمواده ، فنحن نرجو التحقيق عن الموقف فى بلادنا والنظر فى شكاوينا ضمن حدود سلطتكم ، واننا نحتفظ بحقوقنا فى مطالبة الدول والمجلس الأعلى بالغاء الانتداب والاحتجاج عليه »

ثم سرد الوفد شكاوى سورية من أعمال الفرنسويين وختم بيانه قائلا : اننا نقدم اليكم هذا التقرير واثقين ثقة تامة ونحن نعلم أنكم أنصار المبادىء المدونة فى عهد جمعية الامم ونظن أنه لايمكن لعضو فى جمعية الامم أن يقوم بمهمته حق القيام اذا لم يكن من شأن هذه المهمة الا اسدال الستار على مطامح الفتح والاستعباد ونلتمس منكم أن تهتموا بالاستعلام عن حقيقة الحالة

الوفد ومجلس جمعية الامم

وفى أوائل شهر يوليو سنة ١٩٢٢ وصل الى لندن الأمير ميشيل لطف الله لملاحقة القضية عند مجلس جمعية الامم وقد ضرب يوم ١٥ منه موعدا لاجتماعه وكان داخلا فى برنامجه النظر فى تقرير الانتدابات فاتصل بالوفد الفلسطينى ووحد الفريقان العمل

ولما اجتمع مجلس جمعية الامم أرسل الوفد اليه يوم ١٧ منه البيان الآتى :

ان المؤتمر السورى الفلسطينى الممثل لجميع أهالى فلسطين من العرب ولجميع الاحزاب السورية الاستقلالية ـ كان قد عرض على مجلسكم الموقر نداء فى شهر سبتمبر الماضى بمناسبة اجتماع الهيئة العامة لجمعية الامم فى سنتها الثانية

و بما أن المجلس مجتمع الآن للنظر فى قضيتنا أتينا بهذا الكتاب لنذكركم بمطالبنا المبينة فى النداء السالف الذكر راجين أن تضعوا هذه المطالب موضع الاعتبار التام وواثقين بأنكم توافقون عليها لمصلحة العدل والحق والسلم فهى منطبقة تمام الانطباق على المبادىء التى وجدت لاجلها جمعية الأمم

ونحن مستعدون فى كل حين لاعطاء تصريحات أو فى اذا كنتم ترومون ذلك »

وألحق الوفد بيانه مطالب السوريين المعروفة

وفى يوم ٢٢ منه أرسل الوفد مذكرة الى مجلس جمعية الامم هذا نصها :

نتشرف نحن الموقعين على هذا مندوبى اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى بان نلفت أنظار مجلسكم المحترم باسم الشعب السورى الى حالة بلادنا السيئة التى تستفز الشعب للثورة دفاعا عن حقوقه المقدسه

ان مطالب الشعب السورى تنحصر فيما يلى :

١ ــ الاعتراف باستقلال سورية بضمان جميع الأمم و بسيادة الشعب السورى وحقه فى تعيين شكل حكومته ووضع دستوره

٢ ــ ان تضمن للشعب السورى حريته باشراف جمعية الأمم الفعلى لانتخاب جمعيته التأسيسية ولتمتعه بحقوقه تمتعا حرا

٣ ــ جلاء الجنود الاجنبية عن سورية

واننا فى مطالبنا هذه نعتمد على المبادىء الآتية :

١ ــ الحق الطبيعى لكل شعب مدنى فى الاستقلال

٢ ــ أهلية سورية الادارية والسياسية التى برهنت عليها من سنين عديدة ولا سيما منذ اعلان الدستور العثمانى

٣ ــ عهود انكلترا فى سنة ١٩١٥ لجلالة الملك الحسين باسم العرب

٤ ــ التصريحات العلنية التى صرح بها الحلفاء عن غاياتهم من الحرب الخ

احتجاج الوفد على اقرار الانتداب

ولما عرف الوفد من الصحف أن مجلس جمعية الامم أقر صك الانتداب الفرنسوى

لسورية ولبنان أرسل الى رئيسه يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٢ الاحتجاج الآتى :

بما أن وفد المؤتمر السورى الفلسطينى قد اطلع فى الصحف على أن مجلس جمعية الأمم المجتمع أخيرا فى قصر سان جمس بلندن أيد مواد الوصاية الفرنسوية على سورية ولبنان

ولما كان هذا التأييد مخالفا :

١ ـ للمادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الأمم

٢ ـ ولمبدأ حق تقرير المصير

٣ ـ ولرغائب أهالى سورية ولبنان المشروعة التى ذكرت وأعلنت مرارا

٤ ـ ولوعود الحلفاء وتصريحاتهم العلنية زمن الحرب

٥ ـ وللعهود والاتفاقات المقطوعة للعرب فى سنة ١٩١٥

٦ ـ ولنظام لبنان الذى وضع سنة ١٨٦١ وضمنته الدول دون أن يلغى فيما بعد

٧ ـ وللمبادىء المقبولة فى القانون الدولى

فالوفد يحتج احتجاجا شديدا على ذلك القرار الاستبدادى الجائر ويعلن أن أهالى سورية ولبنان يعتبرون القرار المذكور كأن لم يكن وان كل رزية تصيب بلادنا البائسة من جرائه تقع تبعتها على عاتق الذين وضعوا ذلك القرار الجائر »

الوفد فى جنيف

ورجع ثانيه الى جنيف وافتتح أعماله بتقديم مذكرة يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٢٢ الى مجلس جمعية الامم الذى التأم فى ذلك اليوم استهلها بقوله : اننا نذكر مجلسكم المحترم بندائنا واحتجاجاتنا المؤرخة فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢١ و ٢٠ مايو و ١٨ و ٢٢ و ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٢ ثم قال انه يلفت نظر المجلس الى النقط الآتية:

١ ـ ان المادة الثانية والعشرين تؤكد صراحة أن الغرض الجوهرى من نظام الانتداب هو خير الاهالى الا آن المجلس علق تنفيذ هذا النظام على اتفاق يعقد بين فرنسا وايطاليا بدون أن يحسب حسابا للمصالح السورية

٢ ـ ان المادة الاولى من صك الانتداب السورى التى تؤجل وضع النظام الاساسى

فسورية الى ثلاث منطقات يناقض الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين من العهد لأن الاعتراف باستقلال سورية ولو موقتا كما تنص عليه تلك الفقرة هو أمر مقرر نهائيا لا يمكن اعادته الى البحث

ثم ان الفقرة الثالثة من المادة المذكورة التي تنص على « تحييد الاستقلالات المحلية » وفقا لظروف تمس هذا الاستقلال أشد المساس

٣ ـ ان قرار المجلس مناقض أيضا للفقرة الثانية من المادة الاولى من عهد جمعية الامم التي تقول « كل حكومة أو مستعمرة مستقلة أو مستعمرة حرة فى حكمها الذاتى . . . أن تصير عضوا فى جمعية الامم » مع أن لبنان الذى كان يتمتع باستقلاله الداخلى التام المضمون من سبع دول وفقا لبروتوكول سنة ١٨٦١ لم يقتصر أمره على أنه ليس عضوا فى جمعية الامم بل قد سلبت حريته وأنظمته التقليدية وأخضع مع سورية للوصاية الفرنسوية

٤ ـ ان الفقرة الثالثة من المادة الثانية من صك الانتداب تقول « لاشىء يمنع سكان سورية ولبنان من الاشتراك فى نفقة اعاشة قوات الدولة المنتدبة » فسورية التى ليست مهددة ولا معادية لجيرانها والتى لا ترجو الا أن تعيش بسلام وتتمتع بحريتها لاحاجة بها الى الاشتراك فى نفقات جيش أجنبى يحتلها ويبيد استقلالها

٥ ـ ان المادة الثالثة من صك الانتداب تحرم سورية من حقها فى التمثيل الخارجى فليس لبلادنا أن تدعى الاستقلال بدون أن تتمتع بهذا الحق المعترف لها به فى الفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين

فبناء على ماذكر ولما كانت نصوص الانتداب تضع سورية تحت ادارة مباشرة وتعرقل حرية تقدم البلاد فنحن نتقدم منكم راجين أن تضعوا موضع اعتبار دقيق مطالبنا المشروعة المطبقة على مبادىء جمعية الامم الاساسية

نداء الوفد للجمعية العمومية

واجتمعت الهيئة العمومية لجمعية الامم يوم ٤ سبتمبر سنة ١٩٢٢ اجتماعها الثالث فأرسل اليها الوفد نداء مطولا استهله بقوله :

نتشرف نحن الموقعين أدناه ممثلى الاحزاب والفرق السياسية فى سورية ولبنان

وبمقتضى أهالى فلسطين المسلمين والمسيحيين والناطقين بلسان أهالى هذه البلاد بتقديم نداء فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢١ لجأنا به الى سلطة الجمعية العمومية الثانية و بسطنا لها حالة أمتنا التاعسة وطلبنا منها العون والمساعدة باسم الحق

ها قد انقضت سنة على ذلك ونحن الآن مضطرون الى تقديم نداء جديد من أجل سورية فالحالة التى لم تكن لتتحسن قد ازدادت سوءاً وأصبحت آمالنا مؤسسة على وعد الدول العظمى وتصريحات الحلفاء المتعلقة بحقوق الشعوب بل على نص عهد جمعية الامم نفسه ـ بعيدة المنال تسير كل يوم خطوة نحو الخيبة والفشل

فنحن نتقدم منكم والثقة ملء نفوسنا مقتنعين انكم لاتريدون وأنتم مندوبو خمس وخمسين شعبا حرا وأنصار المثل الاعلى لجمعية الامم والمدافعون عن المبادىء الصريحة المدونة فى عهد الجمعية والضامنون لها ورجال النزاهة والاستقامة أن تظل المطالب العادلة باستقلال الشعب الذى نمثله رسالة مهملة . انكم لا تريدون أن يصبح نظام الانتداب الذى جعل فى العهد مهمة مقدسة من مهام التمدن الحديث ذريعة فى أيدى الاقوياء للاستعمار الهمجى والفتح بقوة السلاح

ثم أفاض البيان بعد ذلك فى ذكر شكاوى السوريين والاسباب التى يتذرعون بها للمطالبة بحقوقهم ولا تخرج فى روحها عن البيانات السابقة

الوفد ومؤتمر لوزان

ولما انجلت الحرب الاناضولية عن انتصار الترك وتقرر عقد مؤتمر فى لوزان لحل قضايا الشرق وتنظيمها اغتنم الوفد السورى فرصة وجوده فى رومة فاتصل بجلال الدين عارف بك مندوب الحكومة الكمالية هنالك وباحثه فى العلاقات بين الشعبين العربى والتركى وأبان له أن من مصلحة الترك أن يؤيدوا السوريين فى سعيهم للاستقلال فنصح لهم بأن يسافروا الى الاستانة ليكونوا على صلة برجال تركيا فسافر الامير شكيب أرسلان واحسان الجابرى اليها فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٢ ومكثا فيها بضعة أيام سعيا فيها للحصول على تأكيدات من الترك بأن لا تتنازل دولتهم عن السيادة على بلاد العرب المنفصلة عنها الا لأهل البلاد أنفسهم

وعاد الوفد الى لوزان ليكون على مقربة من رجال المؤتمر فاجتمع بعصمت باشا رئيس الوفد التركى يوم ٢٢ نوفمبر و سط له الامير شكيب مطالب السوريين وأعرب عن أمل الوفد بأن يظل الترك متمسكين بميثاقهم القومى ازاء البلاد العربية فقال له ان الميثاق هو دستور العمل لمندوبى الترك

وفى يوم ٢٣ نوفمبر طلب الوفد من مؤتمر لوزان السماح له يبسط القضية رسميا ولما لم يتلق جوابا أرسل يوم أول ديسمبر سنة ١٩٢٢ مذكرة كرر فيها رجاءه بأن يسمع المؤتمر بياناته حين البحث فى حدود تركيا الجنوبية والجنوبية الشرقية وقال « ومما يؤيدنا فى هذا تعهدات انكلترا للعرب بوجه عام والتصريح الانكليزى الفرنسوى الذى نشر للشعب السورى الفلسطينى يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ والميثاق الوطنى التركى الذى يؤيد حقنا فى تقرير مصيرنا (١)

فمؤتمر لوزان المحترم لايستطيع أن يرفض سماع بيانات ممثلى شعب يجرى البحث فى مستقبله

ولما كانت معاهدة سيفر قد بطلت فليس من الممكن الاصرار على تكرار نفس المنهج الذى انتهج نحو تركيا وكان تجربة فى شعب صديق للحلفاء ولكنها تجربة جرت الوبال على الانسانية (٢)

(١) هذا نص المادة الاولى من الميثاق الوطنى التركى وقد وضعه مجلس النواب فى الاستانة يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٠ « تتنازل الدولة العثمانية عن الأراضى المأهولة بأكثرية عربية على أن يقرر مصيرها بحسب ارادة سكانها . وأما القسم المأهول بالترك المتحدين اتحادا دينيا وقوميا فيتألف منه مجموع لا يتجزأ »

(٢) سلم مجلس الحلفاء الاعلى معاهدة سيفر الى مندوبى الترك يوم ١١ مايو سنة ١٩٢٠ فى حفلة رسمية جرت فى دار وزارة الخارجية الفرنسوية وترأسها المسيو ميلران وقال للصدر الأعظم توفيق باشا ان عنده مهلة شهر لتقديم ملاحظاته عليها . وفى يوم ١٠ اغسطس سنة ١٩٢٠ وقع الفريق هادى باشا الفاروقى ورشاد خالص بك مستشار وزارة الخارجية عليها باسم الحكومة العثمانية ولم يلبث الكماليون أن مزقوها بسيوفهم

واتصل الوفد السوري مدة اقامته في لوزان بمندوبي الدول كلها على انفراد و بسط لهم قضية سورية ولم يسمح له بدخول المؤتمر

ولما عقدت الهيئة العامة لجمعية الأمم اجتماعها السنوي المعتاد في شهر سبتمبر سنة ١٩٢٣ قدم اليها الوفد مذكرة مطولة بسط فيها حالة سورية وفعل مثل ذلك في سنة ١٩٢٤ وكان يلاحق القضية في كل مكان و يعمل لتعزيزها ، ومثله كانت اللجنة التنفيذية في مصر فما كانت تدخر وسعا في خدمتها وبذل الوسع في تعزيز شأنها والدفاع عنها . وكانت على أتم صلة بالعاملين في الداخل يوافونها بما يقع من وقائع فتذيعها وتنشرها

وجاء في الباب الثاني من هذه المعاهدة ان حدود تركيا الغربية تبتدي من الشاطىء جنوبي اطنه وتسير شرقا من جنوبي مرعش وديار بكر الى الحدالحالي الشرقي في الجنوب الغربي من أورفة

ونص في الباب الثالث على استقلال كردستان الذاتي وعلى الاعتراف بدولتي الحجاز وأرمينية الجديدتين وعلى الانتداب لسورية والعراق والجزيرة وفلسطين وعلى اقرار وعد بلفور الخ

٥
الثورة السورية الكبرى

٤

فى طريق الثورة

كان التذمر من أعمال الفرنسويين واستئثارهم بمرافق البلاد على أشده حينما استدعت الحكومة الفرنسوية يوم ٢٨ نوفمبر سنه ١٩٢٤ الجنرال فيجان المندوب السامى فى بيروت وأبدلته بالجنرال سرايل الماسونى عدو الاكليروس

ووصل المندوب السامى الجديد الى بيروت يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٤

وكان أول فعله أنه دعا المجلس التمثيلى اللبنانى الى انتخاب ثلاثة مرشحين من الوطنيين ليختار واحدا منهم لمنصب حاكم دولة لبنان بدلا من حاكمها الفرنسوى ولما عجز المجلس عن الاتفاق على اختيار المرشحين المطلوبين أصدر المندوب يوم ١٣ يناير سنة ١٩٢٥ قرارا بحله على أن تنتهى الانتخابات لمجلس جديد فى خلال ستة أشهر وعلى أن ينتخب هذا الحاكم ويشترط أن يكون من الوطنيين . وفى يوم ١٥ منه أصدر أمرا بالغاء الأحكام العرفيه وكانت مبسوطة على البلاد من سنة ١٩٢٠ وبالعفو عن نحو ٥٠ محكوما من المحاكم العرفية الفرنسوية

وأصدر بلاغا آخر قال فيه : ان أبوابه مفتتحة وانه مستعد لسماع مطالب البلاد فألفت دمشق وفدا كبيرا من رجالها قصد بيروت وقابله يوم السبت ١٧ يناير سنة ١٩٢٥ وسلمه المضبطة الآتية وهى تحمل كثيرا من التواقيع :

نحن الموقعين أدناه من مختلف طبقات الشعب السورى قد أنبنا عنا الوفد الحامل لهذه المطالب ليبلغها الى الجنرال سرايل المفوض السامى للجمهورية الفرنسوية وليعرب له عن أمانى الأمة التى تطلب تحقيقها وهى :

(١) نطلب أن تكون البلاد السورية بحدودها الطبيعية التى كانت عليها قبل الحرب العامة بما فيها بلاد العلويين وجبل الدروز ولواء الاسكندرونة والأراضى الملحقة بلبنان الصغير وطنا واحدا فى اللغة والقومية

(٢) دعوة الجمعية التأسيسية وأن تنتخب انتخابا حرا لتضع للبلاد قانونها الأساسي وحل المجالس التمثيلية الحالية لانها لاتنطبق على القواعد النيابيـة وحصر حق التشريع بالمجلس النيابي والغاء القوانين الاستثنائية الصادرة بشكل قرارات ارادية

(٣) لما كانت سورية بلادا معترفا باستقلالها فى العهود الدولية فنطلب تأييد قاعدة مسئولية الحكومة أمام البرلمان والغاء الادارة العسكرية ومنع تدخـل المستشارين حتى فى الأمور الجزئية

(٤) الحرية الشخصية حق طبيعى لكل فرد وهى مقدسة فى نظر الشرائع العامة فى جميع البلاد المتمدنة فليس ما يبرر عمل السلطة فى تضييق نطاق هذه الحرية ولذلك نطلب احترام الحرية الشخصية بجميع أنواعها لانها من الحقوق الطبيعية المقدسة

(٥) بما ان السلطات السابقة اعتقلت بعض الوطنيين وأبعدت آخرين بلا محاكمة أو اثبات اسـتنادا الى وشاية الجواسيس الذين يصمون الوطنيين بأنهم صنيعة الدول الأجنبية فنطلب وضع حـد لهذه الأعمال المنافيـة للقوانين واصدار عفو عام عن جميع المحكومين والمبعدين السياسيين

(٦) توحيد القضاء بالغاء المحاكم الأجنبية واحترام صناعة القضاء واستقلال المحاكم وجعل اللغة العربية لغة المحاكم الرسمية فقط

(٧) لما كانت الأوقاف والمؤسسات الخيرية الدينية المحضة للأعمال الخيرية والشعائر الدينية وكانت أوقاف بقيـة الطوائف غير المسلمة تدار بمعرفة الطائفة نفسها وكانت الادارة السابقة قد ضمت ادارة الأوقاف الاسلامية الى المفوضية العليا فلم تحترم بذلك ارادة الواقفين حتى انها استولت على الخط الحديدى الحجازى الذى هو أعظم وقف اسـلامى وسلمته الى شركة أجنبية رغما عن احتجاج الأهلين فانا نطلب اعادة هذه الادارة الى الطائفة الاسلامية وارجاع الخط الحجازى الى استقلاله السابق

(٨) منع الهجرة الأرمنية الى البلاد السورية

(٩) توحيد أسعار النقد وجعـل الذهب أساسا لجميع المعامـلات الرسمية وغير الرسـمية

(١٠) الغاء الزيادة الجمركية واتباع قاعدة الحماية تبعا للحالة الاقتصادية والاسراع

فى عقد اتفاقات جزئية مع الحكومات المجاورة بالاشتراك مع الحكومة المحلية والغرف التجارية

(١١) جعل الشركات ذات الامتيازات تابعة لمراقبة الحكومة المحلية وحصر حق اعطاء الامتيازات بالحكومة الوطنية والغاء مصلحتى احتكار الدخان والديون العامة

(١٢) توحيد الأنظمة الادارية والغاء قانون العشائر الاستثنائى

(١٣) الاقتصار على استخدام أهل البلاد فى الوظائف الرسمية

وقال الجنرال للوفد بعد التعارف « يظهر لى انكم تمثلون الطبقات المختلفة وأنا سعيد جدا بمقابلتكم ويظهر أن لكم ثقة بى وآمل أن نتحد معا على العمل لتحقيق مطالبكم واذا كانت المعلومات التى اتصلت بى صحيحة فأنتم تمثلون الفكرة النيرة الحرة وأعتقد انكم تستطيعون أن تساعدوا على جعل الثمرة ناضجة فى بلادكم » ولما دار الكلام على الوحدة قال انكم تطلبون الوحدة وهى فى يدكم فاتفقوا أولا بعضكم مع بعض عليها ثم طالبونى بتطبيقها. فقالوا له ان الوفود كلها مجمعة على المطالبة بها وما عليه الا اجراء استفتاء فيتبين أن الامة كلها فى جانبها . فقال لهم وحدوا صفوفكم أولا

وألفت حلب أيضا وفدا برئاسة احسان الجابرى فصد بيروت وقابل المندوب وسلمه طلبات حلب وهى لا تختلف عن طلبات دمشق وناقشه فيها فأعاد عليه القول بتوحيد الصفوف ثم زار الوفد دمشق وقضى فيها أياما واتصل بالعاملين رجالها وتم الاتفاق على توحيد العمل وعاد الى بلدته عندما أذاع البيان الآتى :

« ان الوفد الحلبى لم يقصد الى دمشق عاصمة الامويين ومصدر روح القومية والاستقلال الا توحيد العمل لتحقيق آمال الامة وتنظيم الصفوف كما طلب الجنرال سرايل وقد لاقى فى مقدمه كل حفاوة تجلى فيها عطف اخوانه رجال الوطنية ثم اطلع على أعمالهم السديدة واتحد واياهم فى الفكرة والعمل فهو يحمل كل بشرى تقوى العزم ويهدى من أعماق قلبه الشكر الى من جمع الكلمة ورفع شأن الشباب الناهض والمبادىء المقدسة »

انشاء حزب الشعب

وكانت الخطوة الكبرى التي خطاها الوطنيون في هذا العهد هي انشاؤهم حزب الشعب وهو أول حزب سياسي أنشيء رسميا في سورية بعد الاحتلال الفرنسوي ، لقيادة الحركة الوطنية وتنظيمها . وهذه أسماء أعضاء لجنته الادارية :

حسن الحكيم ولطفي الحفار وفوزي الغزي وسعيد حيدر واحسان الشريف وتوفيق شامية وفارس الخوري وعبد المجيد الطباخ وأبو الخير الموقع وأديب الصفدي

وأسندت زعامة الحزب للدكتور عبد الرحمن شهبندر وتولى حسن الحكيم أمانة السر العامة وأبو الخير الموقع أمانة الصندوق

وأنشيء لهذا الحزب فرع في حلب وآخر في حمص وثالث في حماه واتصل باللجنة التنفيذية في مصر و بالوفد السوري في أوربا كما اتصل برجال سورية العاملين في الساحل وبزعماء جبل الدروز وبذوي الراي والفكر من أبناء البلاد فانتعشت الحركة الوطنيـة على يده

زيارة اللورد بلفور لدمشق

و بينما كانت البلاد السورية تغلي كالمرجل وقد نشأت فيها روح جديدة على أثر ظهور الحزب جاءت الأخبار بأن اللورد بلفور صاحب الوعد المشهور اعتزم زيارة الشام قادما من فلسطين فقامت دمشق وقعدت لهذا النبأ واحتشد أبناؤها ورجالها يوم ٨ ابريل سنة ١٩٢٥ أمام محطة القنوات للتظاهر ضده فعلموا أن السلطة أنزلته في محطة القدم وانه قصد الى فندق فيكتوريا فلحقته الجماهير وهي تنادي بسقوطه وسقوط الصهيونيـة والانتداب الفرنسوي وتهتف للحرية والاستقلال ، وأرسلت الحكومة قواها فاصطدمت بالمتظاهرين ودارت معركة حامية بين الفريقين أسفرت عن سقوط عـدد من الجرحى وقبض على ٢٣ شابا . وأضربت دمشق في الغداة (الخميس) وازدحم الناس في الجامع الأموي عند الظهر فأدوا الصلاة وخرجوا بمظاهرة كبيرة منادين بسقوط بلفور ووعده والانتداب وحكومته ، و بتحية فلسطين وأهلها ولما وصلوا الى قرب الفندق صدمهم الجند ودار شجار عنيف فاطلق الجند

الرصاص على المتظاهرين فصرع اثنان وجرح نحو ٢٠ وحدث شغب خطير نخافت السلطة العاقبة وأوفد الجنرال سرايل وكان فى دمشق مندوبا الى الفندق أقنع اللورد بالسفر حالا خوفا على حياته فأخرج من باب خلفى وركب سيارة درجت به الى بيروت تحت حماية الشرطة والدرك فاستقرت الحالة . وكانت هذه أول مظاهرة وطنية عنيفة فى دمشق بعد حوادث كراين فى سنة ١٩٢٢ . وكتب الجنرال سرايل فى مذكراته عن هذه الزيارة يقول « لقد استقبلت دمشق اللورد بلفور بالاحتجاجات التى اشترك فيها بعض العناصر المسيحية التى لاتستطيع الكف عن عاداتها فى ادخال الديانة فى كل شيء . وقد وزعت فى المدينة مناشير كثيرة بعنوان فلسطين للعرب . بلاد العرب للعرب مما دل على أن هذه الحملة ضد اليهود تخفى وراءها أشياء كثيرة

« وقد كانت زيارة اللورد بلفور مقدمة لمظاهرات عديدة ليست خطيرة النتائج اقتصرت على اغلاق الحوانيت وصدور الصحف بالاطارات السوداء واضراب طلاب المدارس ولم تحدث حركة ما فى الشوارع الا بعد الخروج من المسجد فعمدت الى اخمادها بسرعة دون شيء من الشدة كما أشيع هنا وهنالك »

المسيو برونه ودستور سورية

ووصل الى سورية فى شهر مايو سنة ١٩٢٥ المسيو برونه النائب فى البرلمان الفرنسوى لمقابلة المفوض السامى والبحث فى أسس الدستور الذى قررت الحكومة الفرنسوية وضعه لسورية عملا بصك الانتداب فهو وصوله الرأى العام وقابلته وفود الشعب مطالبة بالوحدة وبأن يعهد الى جمعية وطنية تأسيسية فى وضع الدستور بدلا من اللجنة التى الفتها وزارة الخارجية الفرنسوية يومئذ برئاسة المسيو بول بونكور وعهدت اليها بهذه المهمة . وعاد المندوب الى فرنسا بعد ما أقام نحو شهرين فى سورية و بعد ماأعلن بانه لايسع الحكومة الفرنسوية العدول عن رأيها فى سن الدستور وزاد ذلك فى استياء الشعب ونقمته

سفر الكبتين كاربيه بالاجازه

وفي يوم ١٧ مايو من تلك السنة نال الكبتن كاربيه حاكم جبل الدروز اجازة للسفر الى فرنسا فوجد الدروز في سفره بابا للفرج ووسيلة لتجديد شكاويهم من أعمال هذا الطاغية

دخل كاربيه جبل الدروز يوم ٤ يوليو سنة ١٩٢٣ خلفا للكبتن ترانكا فتقلد منصب مستشار لأمير الجبل ، وكانت الامارة يومئذ للأمير سليم الأطرش ، ولما توفي هذا يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٣ اجتمع المجلس النيابي للجبل واختاره وكيلا للحاكم لمدة ثلاثة أشهر فقط ريثما يتم الاتفاق على اختيار الحاكم الوطني ، وقد تم ذلك بدسائس كاربيه وتدابيره . ولم يكتف بذلك بل حل المجلس نفسه فأصدر يوم أول اكتوبر سنة ١٩٢٤ قرارا باختياره حاكما للجبل وأقر الجنرال فيجان هذا الاختيار بقرار أصدره يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٤ فصار الحاكم الرسمي

ولما اتصل ذلك بزعماء الجبل وشيوخه عقدوا اجتماعا سريا في قرية عرى ووضعوا عرائض يعلنون فيها أنهم يرفضون تعيين فرنسوي لمنصب الحاكم ويطلبون تعيين وطني مكانه عملا بالاتفاق المعقود بينهم و بين فرنسا وحمل حسين الأطرش ومتعب الأطرش هذه العرائض الى السلطة الفرنسوية في دمشق وشكيا من تصرفات كاربيه وأعماله وطلبا اقالته فساء ماوقع هذا وأمر بوضع عرائض بتأييده وكان يطوف بها على الناس ويحملهم على توقيعها كما انصرف من الناحية الأخرى الى الانتقام من بني الأطرش وأنصارهم ومواليهم وعمل على اذلالهم وقهرهم

ويضيق بنا المقام لو رحنا نسرد ماعمله من أعمال في أثناء ولايته على الجبل فقد منع الناس من زيارة آل الأطرش ومن التردد عليهم بل ومن القاء السلام وكان يعاقب المخالف بالسجن كما كان يغرم كل قرية يذهب الى زيارتها ولايخرج جميع أهلها لاستقباله بغرامات باهظة . وأبلغ أن الدرزي اذا تنحنح فانما يقصد من نحنحته لعن من يمر به من غير طائفته وشتمه في دينه فكان يقبض على كل من يصادفه في هذه الحالة ويلقيه في غياهب السجن واستاء مرة من فهد الأطرش قائمقام صلخد فضربه بيديه ورجليه وبالسياط على مرأى

من جميع الناس وأمره بتكسير الجصين والأحجار وفعل مثل ذلك بسليمان نصار شيخ قرية سالة وعميد أسرة نصار وهي من أسر الجبل الكبرى وبالشيخ صالح طربيه وهو علم في التقى والصلاح . وشكا الدروز هذه الأعمال الشاذة الى ولاة الأمور الفرنسويين فألفوا الأبواب مغلقة فزادهم ذلك يأسا كما زاد الحاكم طغيانا وظلما . على أنهم استبشروا حينما جاءت الأخبار بان الجنرال سرايل سيزور الجبل للاشتراك في حفلة عيد استقلاله (٥ ابريل سنة ١٩٢٥) فاختاروا وفدا من الأمير حمد الأطرش ونسيب وعبد الغفار ومتعب الأطرش وغيرهم من الزعماء والشيوخ لمقابلة الجنرال وابلاغه مطالبهم ولما طلبوا منه تحديد وقت لاستقبالهم أشار عليهم بأن يحضروا الى دمشق فجاءوا ولما دخلوا عليه قال لهم ما ذا تريدون فاجابوه اننا نطلب ما يأتي :

١ ـ تطبيق الانتداب في الجبل طبقا للشروط المتفق عليها بيننا وبين فرسا والمصدقة من الجنرال غورو

٢ ـ فتح أبواب المفوضية لسماع شكوانا من تصرفات بعض الموظفين الذين يخرجون بتصرفاتهم عن طريق العدل والانصاف

٣ ـ ازالة كل اعتداء يعتديه الكبتن كربيه على الزعماء وابداله بحاكم وطني حسب ماهو مصرح في الاتفاق وانشاء تفاهم بين الشعب الدرزي والانتداب

وسألهم الجنرال عن ماهيــة الاتفاق الذي يشيرون اليـه فأجابه عقلة القطامي أنه اتفاق صدقت عليــه المفوضية العليا بشخص المسيو روبير دي كيه يوم ٤ مارس سنة ١٩٢١ فقال انه لايعرف شيئا عنه

وقال عبـد الغفار باشا ان نص الاتفاق هو معنا وأخرجه وسلمه اياه فاحتده وقرأه وقال لهــم :

هــذا الاتفاق هو حبر على ورق ، لا يعمل به ولا أعتبره ولا أتقيد بوثائق وقعها غيري [١]

(١) يقول الجنرال سرايل في مذكراته عن هذا الاتفاق ما نصه : « ولقد أراني أحد زعماء الجبــل « معاهدة » بتوقيع روبير دي كيه تنص على وجوب تعيين حاكم وطني وموقعة في سـنة ١٩٢١ ولكن بأي صفة وقعها روبير دي كيه أبأمر الجنرال غورو ؟ ولماذا لم يعتبرها ويجان ؟ ثم ان وزارة الخارجية لا علم لها بها . فماذا لم نعلم ؟ هذا سر ؟ »

وقال الجنرال للوفد وهو يتكلف الغضب لاأسمح لكم بالبقاء في دمشق أكثر من ساعتين ومن يتأخر أرسله الى المنفى حالا . و بعد مناقشات قصيرة خرج الوفد غاضبا وقبض على عقلة القطامى (شيخ قرية خربا وزعيم مسيحي جبل الدروز) وأرسل منفيا الى تدمر وعاد الشيوخ والزعماء الى الجبل وهم يضطرمون غيظا واتصل ماجرى بكر بيه فزاده جبروتا ولقب نفسه بامبراطور الصحراء و بالسلطان عبد الحميد

مقدمات الحوادث فى الجبل الدرزى

وفى يوم ١٨ مايو سنة ١٩٢٥ وصل الى السويداء الكبتن رينو ليقوم مقام كر بيه المسافر باجازة شهرين فتنفس الدروز الصعداء وألفوا لجانا لتوحيد الصفوف وازالة ما هنا لك من سخائم وأحقاد فكانت اللجنة العليا فى السويدا برئاسة سلطان باشا وتحتها خمس لجان فرعية فى المجيدل وشهباء وثعلة وقيصما وسالة فعقدت هذه اللجان اجتماعات عديدة ووضعت مضابط وقعها سكان الجبل طالبين فيها ابدال الكبتن رينو بكر بيه لما شهدوه من الفرق بين أعمال الاثنين وكان هذا يشجع الحركة سرا وعلنا أملا فى الحصول على منصب كر بيه . ووضع موظفو حكومة الجبل كتابا أرسلوه الى سرايل وقالوا فيه « نرجو من الجنرال أن يقبل استقالتنا اذا رفض ابدال كر بيه لاننا لا نستطيع العمل معه »

وأرسلت اللجنة العليا برقية الى المسيو برونه تطلب منه أن يحدد وقتا لمقابلتها فضرب يوم ١٦ يونيو موعدا فى دمشق لجاء ٣٠ من شيوخ الجبل ورؤسائه وقابلوه وسلموه مضبطة قالوا فيها :

«ان جبل الدروز جزء لايتجزأ من سورية تجمعه بها جامعة اللغة والجنس وتربطه بها روابط اقتصادية مستحكمة الحلقات فدمشق تأخذ دنانيرها من الجبل وهو يستورد منها جميع حاجياته ، فالجبل مدخر واسع ودمشق معين لاينضب وهما مرتبطان من عصور طويلة بروابط لاتنفصم عراها والجبل لايحيا بدون الصحراء والصحراء لاتعيش بدون الجبل ولذلك فان جبل الدروز يريد المحافظة على شكل حكومته واستقلاله الادارى فى جميع أوضاعه الحاضرة

« اننا نريد أن يسود القانون في البلاد فتحترم الحرية الشخصية فلا يسجن أحد ولا يعاقب أحد ولا ينفى أحــد الا بقرار تصدره المحاكم العدليــة وفقا للقوانين المتبعة في بلاد العالم عامة والمشمولة بالانتداب خاصة على الأقل . ونريد حرية الكلام وحرية الشكوى واذا ما شكا أحــدنا أمره الى المرجع الفرنسوي فلا يعاقب على شكــواه على الأقل كما سبق وحصل مرات عديدة في بلادنا وذلك من قبل الحاكم كربيه فقد كان لايجرؤ أحد على الشكوى . نريد أن تلتفت المراجع الفرنسوية العليا الى شكوانا وتسمع نداءنا وتصغى لمطالبنا فلا يحل بنا العقاب الشديد كما حل بنا من الكبتن كربيه لشكوانا ، ولأننا عرضنا حقيقة أمرنا على منــدوب المفوض السامي في دمشق فرفض مطالبنا . نريد أن ينصفنا الجنرال فيستبدل رينو بكربيه وكلاهما فرنسويان »

وأجابهــم المنــدوب بعد ما ناقشهم فى طلباتهم ومذكرتهــم أن أمر التعيين والعزل هو من اختصاص الجنرال لامن مهمته ووعدهم بأن يساعدهم عنده

وأرسل الوفد في اليوم نفسه برقية الى سرايل فى بيروت هذا نصها « الوفد الدرزى الممثل بشخص الزعماء والشعب وجهته بيروت يلتمس مقابلة فخامتكم »

ولما وصلوا الى بيروت رفض الجنرال مقابلتهم وأرسل اليهم من يقول لهم عند ماألحوا فى طلب المقابلة بأنه سيرسلهم الى المنفى اذا لم يرجعوا حالا (١)

(١) دافع سرايل عن تصرفاته المنكرة فى مذكراته قائلا : " ظنت عائلة الأطرش عنــد ما وصلت الى سورية أنني جئتها لأهدم سياسة سلفي تدريجا وأعين لهم فى الجبل حاكما وطنيا يختارونه فأخذوا يترقبون ذلك أما أنا فلم أجد أي مبرر لمثل هذا العمل

وبغتة اغتنموا فرصــة غياب كربيه فى فرنسا وقاموا يطلبون اقالته وتعيين سواه

وقد حدث بعد ثلاثة شهور أن طلبت عائلة الأطرش وسواها من عائلات الجبل أن ترسل الى فرنسا قسما من الجيش .. ، وأكدت حبها ومحبتها الى فرنسا

وانى لا آسف لشيء أسفي على اساءتي السكانيين كاربيه فى الجبل

وعقدت النية على مخاطبة كاربيه فى الأمر عند عودته من فرنسا واطلاعه على الحملات التي تقام ضده ، وكنت أرغب فوق هذا أن أبدله بضابط أفضل منه ، ولكني انتظرت أن يعود

وسمح للوفد بعد توسط زعماء دروز لبنان بمقابلة السكرتير العام للمفوضية فقال لهم ارجعوا الى جبل الدروز واذا كانت لكم شكاية على كربيه فأبقوها حتى يعود وعندها تنظر فيها المفوضية فأجابوه انهم يشكون من تصرفاته من سنتين ولامن مجيب ودارت بينهما محاورة طويلة انتهت برجوع الوفد خائبا

واجتمع نحو ٤٠٠ شاب درزى فى السويدا باسم الجمعية العمومية وبرئاسة سلطان باشا على أثر عودة الوفد فاشلا وبعد مادرسوا الموقف قرروا مايأتى :

١ — تضحية كل غال وثمين فى سبيل الاستقلال

٢ — مواصلة السعى لابدال كربيه برينو

٣ — تذكير كل عضو من أعضاء المجلس النيابى بانه بصفته ممثلا للأمة يجب عليه أن ينفذ ماتقرره الأمة . وبما أن الأمة تطلب عزل كربيه وتعيين رينو فعلى النواب أن يقرروا ذلك

٤ — كل نائب ينفر ولا يعمل بقرارات الأمة يهان ويضرب ويرجم

٥ — على أعضاء الجمعية العمومية بذل دمائهم فى سبيل مساعدة أى فرد من أفراد الجمعية . والسير على خطة معتدلة بطريقة قانونية

ودعى المجلس النيابى الى الاجتماع يوم ٣ يوليو ، فعقد أعضاء الجمعية الوطنية اجتماعا فى دار حسين مرشد وقرروا الاتصال بالنواب ودعوتهم الى اصدار قرار بتنحية كربيه وتعيين رينو عملا بارادة الأمة فتعهد لهم الأعضاء بذلك ولم يشذ منهم سوى فارس الأطرش شيخ ذيبين وهو مشهور من الأول الى الآخر بموالاة الفرنسويين ومماشاتهم فأجابهم أنه لابد له من انتحاب كربيه فهجم عليه الشبان وضربوه وأهانوه وكان المجلس النيابى معقودا فى تلك الساعة برئاسة وكيل الحاكم

واتصل الخبر بالملازم موريل وهو من أشد أنصار كربيه فذهب الى محل اجتماع

الى السويداء أولا ، كيلا يقال ان حملات عائلة الأطرش أثرت على ، فيؤثر هذا على مركز فرنسا وسمعتها . فقد لاحظت فى هذه البلاد أن أفضل حل يجب الالتجاء اليه فى مثل هذه الظروف هو أن « لايخضع الانسان للشاغبين » !

الشبان وهجم عليهم بسوطه النحاسى فضربه حسين مرشد بالعصا على أنفه وأطلق يوسف الأطرش نجل عبد الغفار باشا عيارا ناريا فى الفضاء ففر الملازم والحجارة فى قفاه ولجأ الى دار الحكومة وطلب نجدة عسكرية من القلعة للتنكيل بالمتظاهرين فتدخل الكبتن رينو وحال بين الجند و بين المتظاهرين وحسما للنزاع أصدر القرارات الآتية :

١ – يعتذر الشيوخ والزعماء للملازم عن الاهانة التى لحقت به

٢ – تدفع السويدا ٢٠٠ ليرة عثمانية غرامة

٣ – ينفى عشرة من آل مرشد الى صلخد

٤ – تهدم الطيارات الفرنسوية دار حسين مرشد (هو الذى ضرب الملازم بعصاه)

وقبل الدروز المطالب الثلاثة الأولى ونفذوها وطلبوا العدول عن تنفيذ المطلب الرابع وأبلغوا السلطة انها اذا أصرت على هدم الدار فلا بد من اعلان الثورة فاكتفت بالاعتذار و بالمال

محقق فرنسوى جديد (١)

ولما وصلت هذه الأخبار الى دمشق أصدر الجنرال يوم ٥ يونيو أمرا الى الكومندان تومى مارتان بأن يسافر الى السويدا ويمهد لعودة الكبتن كربيه بالاتفاق مع الحزب المؤيد له (هو حزب بنى عامر) فوصل فى ٦ منه ونزل فى دار الحكومة وطلب من الدروز تقديم مطالبهم خطيا وقال انه قادم للتحقيق فقالوا انهم لايطلبون سوى ابدال كربيه . ثم قدموا له البيان الآتى لابلاغه الى الجنرال سرايل وقد ضمنوه شكاويهم من أعمال كربيه وتصرفاته :

(١) أصدر الجنرال سرايل أمرا باستدعاء رينو على أثر تقريرين أرسلهما اليه يوم ٢ و ١٧ يونيو وأوضح فيهما خطورة حركة الجبل وطلب الى المندوب السامى ملهجة الالحاح أن يقابل الوفد الدرزى و يصغى الى شكواه فأبى ذلك وأصدر أمرا الى مندوب المفوض السامى باقالة رينو « لان حالته النفسية كما يظهر من تحريره المؤرخ فى ٢ يونيو لاتلائم الظروف والأحوال الحاضرة وعليكم أن تعينوا ضابطا آخر بدلا منه »

ياحضرة القائد :

ان سوء التفاهم وحصول ما حدث والخوف من حصول خلافه مسبب عن الأمور الآتي بيانها التي لحقت بالدروز مدة حكم الكابتن كاربيه :

(١) فتح آذانه للجواسيس مثل حسن الخطيب وجود أبي حمرة ويحيي دليقان وسامي افندي وحسيب افندي والشرطي فهمي افندي والحرمة نسيمة و بنتها زكية ومعلمي المدارس الذين يلفقون الأخبار الكاذبة حتى لحق بالأبرياء مالحقهم من الضرب والاهانة بأجرة يتقاضاها الجواسيس عن كل خبر بانفراده

(٢) مخالفة النظام عند جنود الدرك الذين لايعرفون من الوظيفة الا العصي التي يحملونها حتى انك لاتجد جنديا من الفرسان والمشاة الا و بيده عصا لمس شرف الوجهاء وسوقهم سوق البهائم

(٣) ان حامد قرقوط من ذيبين سجن خمسة شهور وكسرت أضلاعه ومزق جلده من ضرب السياط لوشاية وشاها حسود وقد اتضح ذلك فيما بعد

(٤) ان حسن كسبول من قرية (ريمة الحف) تمزق جلده من ضرب السياط لمجرد مروره بالطريق العام من غير أن يتنبه لالقاء السلام على الكابورال دي بوشيل

(٥) أحضر سامي أفندي المستخدم في المستشفى العام بعض نساء الدروز للايقاع بهن فشعر بذلك حسين مرشد المجاور للمستشفى فنصحه وردعه ولكن ذلك أساء سامي أفندي فوشى به لليوتنان موريل وادعى أنه ضربه فوضع في أعماق السجن وقد اغتنم سامي حبسه مدة عشرة أيام فكان يأتيه كل يوم في الصباح والظهر والمساء ويضربه بالسياط على رأسه المكشوف مع تشغيله طول النهار حاسر الرأس حافيا بتكسير الحجارة وحبسه ليلا في عرفة الفحم ولم يكفه ذلك بل شهد عليه أنه في تلك الجلبة شهر مسدسه على الليوتنان مع أنه لم يكن حاضرا وكان أعزل من السلاح

(٦) اغفال التحقيق عن كل الدعاوي — يعني وشايات المخبرين المذكورة أسماؤهم أعلاه وحلافهم — واعتبارهم مخبرين صادقين حتى ان وشاية حسن الخطيب أدت الى سجن الشيخ سعيد طربيه وأخيه سلمان وفارس مفرج أخصاء سلطان باشا الاطرش وغازي الصعدي مدة شهر ونصف مع تكسير الحجارة والضرب المؤلم دون سبب

(٧) توقيف أولاد صوعه وأولاد حاتم وتغريمهم ثلاثة وعشرين ليرة ذهبا لمجرد وشاية هؤلاء المخبرين بدون تحقيق

(٨) توقيف وهبة القشفوش لأنه امتنع عن ايجار داره وضربه ضربا مبرحا حتى بقي شهرا لايقدر على الوقوف على قدميه

(٩) اطلاق العبارات النارية على محمد بك الحلبي مدير العدلية (الحقانيــة) أطلقها الـكابورال دي بوشيل من غيران يسأل عنها أو يجازى عليها

(١٠) ضرب أمين حديفه من قرية الـكفر وحبسه تسعة أيام في غرفة الفحم بدون أ كل وشرب ومن غير سبب معروف

(١١) توقيف حسين حديفه خمسة عشر يوما لأنه كان غائبا في ملاقاة الـكابتن كربيه يوم زار القرية وغرم الأهلون لاجل ذلك عشرين ليرة عثمانية وذهبا

(١٢) وضع غرامة عشرين ليرة ذهبا على أهالي (عرمان) لعــدم تنظيم ملاقاة لائقة به

(١٣) توقيف قائم مقام صلخد فهد الاطرش وضربه ضربا أليما لمجرد وشاية المفسدين ومن غير تحقيق عما أسند اليه

(١٤) توقيف اولاد الحياني سبعة أيام في غرفة الفحم وضربهم ضربا مبرحا وسقيهم ماء الملح لمجرد وشاية تدعي أنهم قتلوا شقيقتهم وقد ظهرت حية تجري على قدميها ولم يجاز المفترون أرباب الغايات الشخصية الدنيئة

(١٥) سجن حمـد بن جبر حيدان وضربه ضربا مبرحا من غير مدع شخصي ولا سبب بل لوشاية مفسد

(١٦) ايداع السجن ثلاثة من المسيحيين من أهالي (خربة) نجهل أسماءهم أبقوا في السجن ثلاثة عشر يوما وعوملوا نفس المعاملة يعني بالضرب المبرح

(١٧) سجن شاهين شروف من قنوات وتشغيله بالأعمال الشاقة وضربه ضربا مبرحا

(١٨) توقيف فارس اسماعيل أبي عسله وضربه ضربا مؤلما لغير ماسبب

(١٩) « قاسم عمر وضربه ضربا مؤلما لغير ما سبب

(٢٠) ضرب غرامة عن ثمن مصباح البلدية المسروق الذي ظهر أخيرا عند اسيمه

الجاسوسة والبالغ ثمنه سبعة قروش ونصفا . عرم الجوار سبب هذه السرقة المكدو به ثلاثة عشر جنيها ذهبا عثمانيا

(٢١) ضياع هرة الليوتنان موريل وفرض غرامة عشر ليرات عثمانية على جميع أهل السويداء

(٢٢) ضرب الكابورال دي بوشيل شاهين الباروكي حتى بقي ثلاثة أيام بحالة العدم لولا ان أحياه الله مرة ثانية ولم يسأل الكابورال عنه

(٢٣) توقيف سليمان بك نصار مدير ناحيــة سالة وطرده من الوظيفة وتشغيله بالاشغال الشاقة مدة نصف شهر لوشاية مفسد معروف

(٢٤) توقيف جد عامر من (عرى) وتشغيله بالاشغال الشاقة لوشاية مفسد هو معلم المدرسة الذي اتخذ التجسس مثل أكثر زملائه بدلا من التعليم

(٢٥) توقيف حضره الشيخ حسن صالح طربيه شيخ العقل وفارس أفندى عزت واسماعيل أفندى مزهر ورفقائهم من أعيان السويداء لوشاية وشاها فهمى أفندى الشرطى وتشغيلهم بتكسير الحجارة

(٢٦) ان الموقوف الذى تبرؤه المحكمة اذا طلب باخلاء سبيله عند انتهاء مدة حبسه يضاف عليه مدة خمسة عشر يوما لقاء استدعاء وحوالات الاستدعاآت الموجودة فى قلم العدلية

(٢٧) تغريم المستنطق لأسباب لامحل لذكرها واجباره على تأدية عشرين ليرة ذهبا عثمانية لزوجته بدون مسوغ شرعى أو قانونى وخصمهم من راتبه

(٢٨) ان محمد رضوان لم يتنبه لمرور أحد الضباط الفرنسويين فيأخذ له السلام لذلك سجن ١٥ يوما مع الاشغال الشاقة وضرب ضربا أليما وطرد من وظيفته

(٢٩) أدخل حسيب الخورى الجاسوس الفرية الآتية فى ذهن بعض رجال البعثة وهى أن كل درزى يسعل فانه يعنى بذلك أنه يلعن من يراه فى الطريق من خلاف مذهبه ولما كان الانسان لا يستغنى عن السعال فى بعض الأحيان فقد أدت هذه الفرية الى ظلم كثير من المساكين الذين أودعوا السجن وضربوا ضربا أليما ومن جملتهم خزاعى الحلبي الذى بقى فى السجن شهرين تقريبا

(٣٠) طرد الوكيل عبد الكريم أفندى حرب المشهود له بالامانة والصدق والمتخرج فى مدرسة الدرك بدمشق وسبب طرده وشاية مخبر لأخذ وظيفته وقد سجن خمسة عشر يوما مع الأشغال الشاقة وطرد من وظيفته

(٣١) توقيف هلال نخله مدة خمسة وستين يوما نهارا بالأشغال الشاقة وليلا فى غرفة الفحم و بقى فى أول الأمر خمسة أيام من غير أكل ولا شرب بل على الماء والملح الى أن أشرف على الموت . وقد هدده الليوتنان موريل والمسدس بيده كى يشهد على بعض الموظفين انهم يتناولون الرشوة

(٣٢) ان معلمى المدارس الذين يتقاضون الرواتب الباهظة من صندوق الحكومة لتعليم الأولاد تركوا واجبهم هذا ودخلوا فى سلك الجاسوسية المريع تحت رياسة جاسوسهم الأكبر فيليب حتى معلم صلخد واستبد كل معلم بقريته واتخذ لنفسه صفة الحاكم وعدا يضرب ويسجن ويغرم حتى ضجرت النفوس

(٣٣) أصدر الكابتن أمره بمنع الاهالى من دخول بيوت الزعماء واحتقاره الرؤساء وتطاوله عليهم بالشتم والقذف وتهديده رئيس محكمة البداية وضربه العضو النيابى كل ذلك مما آلم النفوس وأحفظها

(٣٤) احتكاره جميع الصلاحيات المعطاة لرؤوساء الدوائر والدرك حتى ان العدلية أصبحت اسما من غير مسمى اذ لم يكن لها حكم الا بعد صدور الارادة الكاربية

(٣٥) سجن مختار قرية عاهرة فياض الطرودى ستة أشهر وصفا من غير أن يعلم جرمه وذلك لوشاية مفسد وقد قضى جميع هذه المده فى الأشغال الشاقه . انتهى

الجنرال يميل الى الغدر

وفى يوم ١١ يوليو أرسل الجنرال سرايل الى مندوبه بدمشق الكتاب السرى الآتى :

«أرجو منكم أن تدعو الى دمشق المحرضين (الدروز) وبينهم حمد بك وسليم بك ومتعب بك وعبد الغفار وسلطان باشا الأطرش بحجة انكم تريدون استماع شكواهم ومطالبهم حتى اذا حضروا أعلمتموهم انى أعدهم مسئولين عن كل اضطراب يقع فى الجبل

وأبقيهم ضمانا عندى فى مكان يحتم عليهم الاقامة وستعنون أنتم بابلاغى اسم المكان الذى يختار لهذا الغرض »

وعملا بهذا الأمر أبلغ الكومندان تومى مارتان الأمير حمد وعبد الغفار ونسيبا أن الجنرال يرغب فى مقابلتهم فلما بلغوا دمشق قبض عليهم وأرسلوا منفيين الى تدمر . ثم قبض بعد أيام على كل من برجس الجود وعلى الأطرش وحسنى صخر وعلى عبيد ويوسف الأطرش وأرسلوا منفيين الى الحسحة

الغدر بسلطان باشا

وأرسل الكومندان تومى مارتان ـ عملا بأمر الجنرال سرايل ـ الى سلطان باشا يدعوه الى زيارته فأجاب معتذرا لأنه أدرك أنه اذا ذهب لا يعود فكرر الطلب فكرر الرفض والاعتذار فارسل اليه أربعة صباط فرنسويين مع قوة صغيرة بقيادة الكبتن نورمان لاقناعه بالقدوم وللقبض عليه اذا استطاعوا ـ ولما وصلوا اليها كان سلطان باشا فى قرية رساس وهو على تمام الاهبة وقد جمع حوله كثيرا من الرجال أثناء طوافه القرى ـ استعدادا للنضال

وحاول الفرنسويون دخول قرية « القرية » مقر سلطان باشا فحذرهم شقيقه على من خطر التورط فرحلوا الى الكفر ونزلوا على مائها ـ وكان عددهم ١٩٠ جنديا ـ وأخذوا فى غسل ثيابهم واصلاح شؤونهم فأنذر أسعد مرشد شيخ الكفر الكبتن نورمان قائد الحلة ثلاث مرات بوجوب الحذر ومغادرة المكان فترفع الى مكان وعر مستدير يشرف على الطرقات وأبى الخروج

٥

معارك الجبل الاولى

الهجوم على دار البعثة فى صلخد ـ معركة الكفر ـ يوم المزرعة

لما جاءت الاخبار الى الجبل بأن السلطة اعتقلت الزعماء ونفتهم وانها شارعة فى اتخاذ تدابير عسكرية وعازمة على اعادة كربيه بالقوة ، بدأ سلطان باشا الاطرش يطوف القرى لجمع الجموع واضرام الحماسة فى الصدور فزار أم الرمان فامتان فلح وكان يصف رجاله عند وصوله الى القرية التى يقصدها ويرتبهم ترتيبا يلفت الانظار ثم ياخذون جميعا فى اطلاق العيارات النارية فى الفضاء ويهزجون أهازيجهم الحماسية فتستقبلهم القرية بأكملها وينضم اليهم رجالها وشبابها

وقصد قرية عرمان وهى من قرى الدروز الكبرى فانضم اليه أبناؤها وساروا تحت لوائه فقرر الزحف على صلخد لحرق دار البعثة الفرنسوية فيها وكانت خالية من الموظفين الذين أسرعوا باللحاق الى السويدا فنفذ القرار وأحرقت الدار

وعلم وهو فى صلخد أن الجنود زحفت فى طلبه وانها ارتدت الى قرية الكفر وعسكرت فيها فأسرع بمن معه الى لقائها وهاجمها برجاله من ناحيتين وحملوا عليها بالسلاح الأبيض فقضوا عليها بسرعة ولم يفلت منها سوى أفراد وصلوا الى السويدا وقصوا على تومى مارتان ماوقع . وخسر الثوار أربعين شهيدا منهم مصطفى الأطرش شقيق سلطان باشا واسماعيل نجل جاد الله الأطرش

وأسرع تومى مارتان فحمل المال ولجأ الى قلعة السويدا مع عدد من الموظفين الفرنسويين ونسائهم وانضم اليه ثلاثة من الدروز أقاموا على الولاء لفرنسا ودخل سلطان باشا السويدا وضرب الحصار على القلعة

معركة المزرعة

اضطرب الجنرال سرايل حينما جاءه نبأ الكارثة التى نزلت بحملة نورمان وبحصار السويداء فأمر بتعبئة حملة عسكرية كبيرة فى اذرع (احدى محطات سكة الحديد بين درعا ودمشق) وتبعد عن هذه ١٠٣ كيلو مترات جنوبا وهى مناوحة للسويدا من جهة الغرب و بينها ٣٥ كيلو متراء للزحف على الجبل والقضاء على الحركة الجديدة. وعهد بالقيادة العامة للحملة الى الجنرال مشو وجهزها بالطيارات والدبابات والمدفعية القوية

وغادرت يوم أول أغسطس سنة ١٩٢٥ أذرع الى السويدا ولا يقل عدد رجالها عن ثلاثة آلاف مقاتل فوصلت الى ماء نجران فى المساء فنزلت عليه ، فصدمها بعض الدروز وحاولوا منعها فلم يفوزوا فارتدوا الى قراهم . والتقى عند المساء ما بين قريتى الدور وقصر الحرير عدد من الدروز لا يزيدون عن المائتين ، بساقة الحملة حيث الذخائر فى الطنابر وعلى ظهور البغال تحرسها الفرقة السورية فانقضوا عليها انقضاض الشواهين وأعملوا السيف فى رقابها والحراب فى نحورها ، وفتكوا بها فتكا ذريعا واستولوا على البغال والطنابر والذخائر واستاقوها أمامهم الى القرى القريبة مبشرين بالنصر والظفر وا كتساب الغنائم فشجع ذلك سكان هذه القرى وأضرم فى صدورهم نار الحماسة كما حرك فيهم شهوة حب الكسب والربح فاندفعوا فى الصباح لمنازلة الحملة وكانت قد بلغت المزرعة فى تقدمها وهى على ١٧ كيلو مترا من السويدا

وصدم فرسان الدروز الحملة صدمة شديدة فذعر رجالها ولجأوا الى متاريس أقاموها للدفاع عن أنفسهم واشتد القتال وأعوزت الجند الذخائر وكانت فى يد الدروز كما اشتد عليهم العطش والماء قليل فى الجبل بطبيعته، واليوم من أيام أغسطس الشديدة الحر، فانهزموا شر انهزام تاركين أسلحتهم ومعداتهم وعادوا الى ادرع سابق أقصاهم أدناهم ولايقل عدد الذين قتلوا منهم فى ذلك اليوم عن الف وخمسماية غنم الدروز سلاحهم وذخائرهم ومعداتهم وكل ما كان معهم

واستشهد من الزعماء فى هذا اليوم حمد البربور من أم الرمان وكان من أخلص أنصار سلطان باشا وكان آية فى الشجاعة وأخوه أجود وابن عمه أحمد وسليمان العقبانى من

قرية السجن فقد كان ينفرد عن اخوانه ويكرعلى فرسه فى أثناء المعركة ويقول اشهدوا اشهدوا ثم يكر على الجند .فيضرب الواحد منهم بسيفه ضربة كثيرا مابترت عنقه أوشطرته شطرين وقد قتل بهذه الطريقة ١٨ منهم الى أن أصابته رصاصة نخر صريعا . و بلغ عدد قتلى الدروز ٢٥٠ وحطم فرسان الدروز فى هذا اليوم أيضا خمس دبابات فرنسوية حرقوها وقتلوا سواقيها ومساعديهم بالمسدسات من كواها أثناء هجومها عليهم كما عطلوا عددا غير قليل من المدافع الضخمة ذات عيار ٥ : ١٠ و ٥ : ٧ واستولوا على عدد كبير من الرشاشات وكميات كبيرة من البنادق . ولم ينج الجنرال ميشو نفسه الا نشق الأنفس على متن دبابة

وأسقط فى يد الجنرال سرايل حينما جاءه نبأ فشل الحملة وكان يعلق على فوزها أعظم الآمال ، فأبرق الى باريس يطلب نجدات بسرعة لانه لم تبق لديه قوات تذكر كما حاول كتم الخبر عن المناطق السورية ، وانصرف من الجهة الأخرى الى التفاهم مع الدروز فارسل يوم ١٢ أغسطس وفدا من دروز لبنان وصل الى السويدا وقابل الزعماء داعيا للصلح والسلام وقضى معهم أياما ثم عاد الى بيروت يحمل شروطهم الى الجنرال سرايل وهى:

١ ــ اقالة الكبتن كربيه
٢ ــ يقبل الدروز حاكما فرنسويا بشرط أن يختاروه بانفسهم
٣ ــ لايعاقب أحد بتهمة العصيان ولا تصادر أسلحته
٤ ــ يوضع دستور خاص لجبل الدروز

و بعد مااطلع على هذه الشروط قال انه مستعد لوقف الأعمال العسكريه ضمن الشروط الآتية :

١ ــ أن يدفع الدروز خمسة آلاف جنيه انكليزى تعويضا عسكريا
٢ ــ أن يعوضوا على تجار السويدا مالحق بهم من خسارة بسبب الحوادث الأخيره
٣ ــ أن يعيدوا ماغنموه من سلاح

وأطلق الجنرال سرايل على الأثر سراح الدروز الذين كانوا معتقلين فى تدمر والحسجة فعادوا الى الجبل واشتركوا فى الأعمال الجديده

٦

دمشق وثورة الجبل

كان هنالك اتصال وثيق بين زعماء دمشق وزعماء جبل الدروز وكانت بينهما عقود ومواثيق تقضي بتعاونهما فى العمل لانقاذ البلاد وتحريرها

و بيان ذلك أنه لما يئس الدروز من الفرنسويين وأدركوا أنه لاأمل فى تبديل سياستهم وجهوا وجههم شطر دمشق فجاء الأمير حمد الأطرش فى أول شهر مايو سنة ١٩٢٥ واجتمع سرا بالدكتور عبد الرحمن الشهبندر زعيم حزب الشعب فى منزل قاسم الهيمانى فدار البحث على حالة سورية وموقف الفرنسويين ومايجب عمله لانقاذ البلاد فأظهر الدكتور رغبته فى الاجتماع باخوان الأمير وأبناء عمه وذوى الحل والعقد فى الجبل فجاء منهم عبد الغفار ونسيب ومتعب الأطرش والشيخ يوسف العيسمى وغيرهم كثيرون وعقدوا اجتماعين سريين فى منزل الدكتور و بعد البحث والمداولة تحالفوا بأقدس الأيمان وتعاهدوا وهم وقوف على أن يدافعوا عن استقلال بلادهم حتى النفس الأخير ، ورجع الدروز بعد ذلك الى جبلهم لاعداد معدات الثورة كما انصرف الدكتور الى تهيئة أسبابها واعداد المعدات لها متعاونا مع اخوانه وأنصاره

دمشق ترسل وفدا الى الجبل

ولما وقع ما وقع فى الجبل وهزمت حملة ميشو وتشتت وأرسل الفرنسويون وفد دروز لبنان الى الجبل ليسعى للصلح والتوفيق ، انتدب حزب الشعب فى دمشق ثلاثة من رجاله هم أسعد البكرى وتوفيق الحلبي وزكى الدروبى للسفر الى الجبل والاتصال بزعمائه وابلاغهم أن دمشق وسورية مستعدة لتأييدهم فى ثورتهم طبقا للاتفاق القديم ، ولكى يحولوا دون انشاء تفاهم بين الفرنسويين والدروز فوصلوا الى السويدا يوم ١٧ أغسطس فى نفس الساعة التى وصل فيها الكبتن رينو مندوب الجنرال سراى ليفاوض الزعماء فى عقد الصلح

فقابلوا هؤلاء وأقنعوهم بوجوب مواصلة النضال واتفقوا معهم على أن يزحفوا صباح ٢٣ أغسطس الى الكسوة وتبعد من دمشق ١٨ كيلو مترا من جهة الجنوب فيخرج ٢٠٠ فارس من هذه وينضمون اليهم ويدخلونها معا

وعاد المندوبون الثلاثة الى دمشق يوم ١٨ منه فأبلغوا زعماء الحركة ماتم الاتفاق عليه بينهم و بين الدروز فعقد هؤلاء اجتماعا فى منزل الحاج عثمان الشراباتى ليلة ٢١ منه دام الليل بطوله وانتهى باتفاق الكلمة على توحيد العمل مع الدروز والاشتراك فى الثورة وعلى أن يخرج قادة الحركة الوطنية صباح ٢٣ منه الى الكسوة للقاء فرسان الدروز القادمين . وقد حضر هذا الاجتماع التاريخى الدكتور عبد الرحمن شهبندر وفوزى ونسيب البكرى وحسن الحكيم وجميل مردم بك وغيرهم

وفى مساء ٢٢ منه غادر الدكتور شهبندر دمشق ومعه نزيه المؤيد العظم الى قرية حوش متبن حيث تقرر أن يجتمع قادة الحركة ويقصدوا الكسوة فى صباح ٢٣ منه فلم يوافه سوى القائد يحيى حياتى والظاهر أن الباقين تأخروا لضيق الوقت مما اضطر الدكتور أن يغير خطته ، خوف الوقوع فى شرك الفرنسويين فذهب مغربا حتى بلودان ، وتبعد عن دمشق ٣٥ كيلو مترا ، ومن هنالك عاد الى جبل الدروز بطريق غوطة دمشق فالتقى بجميل مردم وسعد الدين المؤيد فى الحوش فقصدوا الجبل واجتمعوا يوم ٢٥ منه بسلطان باشا واخوانه فى قرية كفر اللحى واتحد الكل فى العمل وكان من القواعد التى تم الاتفاق عليها أن لايعقد الجبل صلحا منفردا عن دمشق ولاتعقد دمشق صلحا لوحدها

الفرنسويون يطاردون حزب الشعب

تلقى الفرنسويون من جواسيسهم فى جبل الدروز تفاصيل مادار بين مندوبى دمشق و بين زعماء الجبل وعرفوا أنهم هم الذين أحبطوا خططهم وتدابيرهم فأصدر الجنرال سرايل يوم ٢٦ أغسطس أمرا باعتقال الهيئة الادارية لحزب الشعب ومصادرة أوراقه واغلاق ناديه فقبض على فوزى الغزى وفارس الخورى واحسان الشريف وعبد المجيد الطباخ من رجال الهيئة وأرسلوا فى العداة الى ارواد وقبض أيضا على توفيق شامية وعثمان الشراباتى وعمر الطيبى وأرسلوا يوم أول ستمبر بسيارة الى الحسكه (دير الزور) أما حسن

الحكيم وسعيد حيدر فأفلتا من الشرك وسافرا الى زحلة وغادراها متنكرين الى جبل الدروز فانضما الى الدكتور شهبندر وجميل مردم . ولحق بهم على الأثر فوزى ونسيب وأسعد البكرى

الهجوم على دمشق

قلنا آنفا ان الاتفاق تم بين مندوبى دمشق وزعماء الجبل على أن يجرد هؤلاء حملة تصل الى الكسوة صباح ٢٣ أغسطس فيستقبلها المجاهدون الدمشقيون ويعودوا معها الى دمشق ويدخلوها ونقول الآن ان خبر هذا الاتفاق وصل الى السلطة الفرنسوية فأعدت المعدات لاحباطه فنصبت الأسلاك الشائكة فى شوارع دمشق وأحيائها وبثت التراليوزات فى الأسواق كما حشدت القوى وسيرتها لمنازلة المغيرين . ولما جاء هؤلاء فى الوقت المعين وكان عددهم قليلا لأن سلطان باشا لم يوفق الى حشد عدد أكبر التقوا قرب جبل المانع بقوات الفرنسويين فدار قتال بينهما اشتركت فيه الطيارات الفرنسوية وانتهت بعودة القادمين الى الجبل وأصدر قلم المطبوعات الفرنسوى يوم ٢٧ أغسطس بلاغا قال فيه ان قوة يتجاوز عددها الألف والخمسمائة من الدروز والبدو زحفت على دمشق ولما وصلوا صباح ٢٤ منه الى ضواحى قرية « العدلية » فوجئوا بسماع ازيز الطيارات الفرنسوية فطارت فوق رؤوسهم وأمطرتهم قنابلها كما هاجمتهم فرقة الخيالة المراكشيين وردتهم فعادوا الى جبلهم بعد ماحبطت خطتهم

وانصرف الزعماء فى خلال الأسبوع الأول من شهر سبتمبر الى اعداد حملة كبيرة تزحف الى دمشق يقودها يحيى حيانى وكان من رأيه أن تنقسم الى ثلاثة أقسام فتدخل العاصمة من ثلاث جهات وأن لايقل عدد رجالها عن الخمسمائة فارس . وحال دون تنفيذ هذه الخطة عدم اجتماع العدد المطلوب

٧

طلبات الثورة وأغراضها

بلاغات سلطان باشا ومنشوراته

لما أصبحت الثورة حقيقة واقعة وتم الاتفاق على توحيـد العمل بين دمشق والجبل أذاع سلطان باشا الأطرش يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٥ النداء الآتى الى السوريين كافة :

— ١ —

الى السلاح الى السلاح

يا أحفاد العرب الأمجاد ! هـذا يوم ينفع المجاهدين جهادهم ، والعاملين فى سبيل الحرية والاستقلال عملهم، هذا يوم انتباه الأمم والشعوب فلننهض من رقادنا، ولنبدد ظلام التحكم الأجنبي عن سماء بلادنا . لقد مضى علينا عشرات السنين ونحن نجاهد فى سبيل الحرية والاستقلال ، فلنستأنف جهادنا المشروع بالسيف بعد أن سكت القلم ولا يضيع حق وراءه مطالب

أيها السوريون ! لقد أثبتت التجارب أن الحق يؤخذ ولا يعطى فلنأخذ حقنا بحد السيوف ، ولنطلب الموت توهب لنا الحياة

أيها العرب السوريون

تذكروا أجدادكم وتاريخكم وشهداءكم وشرفكم القومى ، تذكروا أن يد الله مع الجماعة ، وأن ارادة الشعب من ارادة الله وان الأمم المتحدة الناهضة لن تنالها يد البغى . لقد نهب المستعمرون أموالنا واستأثروا بمنافع بلادنا ، وأقاموا الحواجز الضارة بين وطننا الواحد وقسمونا الى شعوب وطوائف ودويلات وحالوا بيننا و بين حرية الدين والفكر والضمير وحرية التجارة والسفر حتى فى بلادنا وأقاليمنا

الى السلاح أيها الوطنيون ، الى السلاح تحقيقا لأمانى البلاد المقدسة ، الى الســلاح

تأييداً لسيادة الشعب وحرية الأمة ، الى السلاح بعد ماسلب الأجنبي حقوقكم واستعبد بلادكم ونقض عهودكم ولم يحافظ على شرف الوعود الرسمية وتناسى الأماني القومية

نحن نبرأ الى الله من مسئولية سفك الدماء ، ونعتبر المستعمرين مسئولين مباشرة عن الفتنة، ياويح الظلم ، لقد وصلنا من الظلم الى أن نهان فى عقر دارنا فنطلب استبدال حاكم أجنبي محروم من المزايا الانسانية ، بآخر من بنى جلدته الغاصبين فلا يجاب طلبنا بل يطرد وفدنا كما تطرد النعاج

الى السلاح أيها الوطنيون ولنغسل اهانة الأمة بدم النجدة والبطولة ان حربنا اليوم هى حرب مقدسة ومطالبنا هى :

١ ـ وحدة البلاد السورية ساحلها وداخلها والاعتراف بدولة سورية عربية واحدة ، مستقلة استقلالا تاما

٢ ـ قيام حكومة شعبية ، تجمع المجلس التأسيسى لوضع قانون أساسى على مبدأ سيادة الأمة سيادة مطلقة

٣ ـ سحب القوى المحتلة من البلاد السورية وتأليف جيش ملى لصيانة الأمن

٤ ـ تأييد مبدأ الثورة الفرنسوية وحقوق الانسان فى الحرية والمساواة والاخاء

الى السلاح ولنكتب مطالبنا المشروعة هذه بدمائنا الطاهرة كما كتبها أجدادنا من قبلنا

الى السلاح والله معنا والانسانية معنا ولتحي سورية حرة مستقلة

سلطان الأطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

— ٢ —

منشور عام الى اخواننا السوريين

باسم الوطن السوري المقدس ، و باسم استقلاله المبارك ، أحييكم وأحي فيكم العروبة الصادقة ، والأنفة القومية . وأستصرخ منكم أمة عربية مشت على مناكب الدهر محمية الذمار ، ماحلت عارا ولا كان بحماها قرار . وأستنفركم لحومة الجهاد الوطني ياخير من حمى الوطن وكنتم عنه زادة أبطالا ، ونفرتم الى موطن الشرف القومي خفافا وثقالا . وأناديكم

من معاقل الجبل المنيع ، وهو داركم وسلاحكم ، وحرزكم وملاذكم، أن هبوا الى المنافحة عن أوطانكم ، أوطان آبائكم وأجدادكم ، وحطموا أغلال الاستعمار فى دياركم ، فقد هبت رياحكم فاغتنموها ، ودرت ضروع أيامكم فاحلبوها :

وبعض الحلم عند الجهل للذلة إذعان
وفى الشر نجاة حين لاينجيك احسان

أما بعد أيها المواطنون العرب : ان ثورتنا الدموية هذه هى بعروتها وزرها ثورة القائم لتحرير البلاد من المغتصبين المستعمرين . هى ثورة سورية بعيدة المدى شريفة الغاية . نصابها النفوس والأرواح ، والسلاح والعزمات الصادقات ، خالصة لوجه الاستقلال العربى ، ففى سبيل استقلال بلادنا السورية حياة الأعزة نحيا ، وفى هذا السبيل موت الكرام نموت

لقد أوقدنا نار هذه الثورة الاستقلالية ، بعد أن رزحت البلاد تحت كابوس الاستعمار أعواما خمسا ثقالا ولسنا بتاركين من أيدينا سلاحا ، ولاباغين من الفرنسيس سلما ولا اصطلاحا ، حتى نبلغ بحد الحسام تمام المراد ، وهو تخليص كامل البلاد السورية العزيزة من احتلال المحتلين ، ونحن على مثل اليقين أن الوصول الى هذه الغاية من السهل المستطاع ولا سيما وهى الغاية التى تفتديها الأمة بما عز لديها وهان . فلذلك أدعو سائر البلاد السورية ، ساحلا وداخلا ، سهلا وجبلا ، لقدح زناد الثورة العامة فى وجه الفرنسيس . فمن أجاب هذه الدعوة الوطنية وسارع الى القيام بهذا الواجب فهو العربى المخلص الأمين ومن تقاعس عن ذلك فهو الخائن لأمته و بلاده وسيلقى جزاء الخائنين

فهيا أيها العرب الأماجد ، أهل النجدة والنخوة ، وحدوا مساعيكم ، وتعاقدوا بقلوبكم ، وتقلدوا سلاحكم ، وانشروا ألويتكم ، واركبوا خيولكم ، وصابحوا العدو الجاثم خلال دياركم ، ببارود الثورة ، وخذوا عليه الطرق ، وارصدوا له فى المكامن وقطعوا الأسلاك ، وانسفوا الجسور ، واهبطوا على مخافره فى كل مكان ، واقتلوه حيث ثقفتموه ، واغنموا سلاحه وأعتاده ، وكونوا عليه جميعا يدا واحدة ، واصبروا فى القتال والجلاد ان الله مع الصابرين

لقد جاء اليوم الذى جاد الدهر به علينا لتنحية بلادنا ، بلاد أولادنا وأحفادنا من

بعدنا ، من العدو الذى قد كفى ما أنزل بالبلاد من شر وخسارة ، وبوار تجارة ، وارهاق وتعذيب ، وقتل وتغريب ، وهو اليوم فى بلادنا أضعف منه غدا ، وأقل سلاحا وجندا ، فقد توالت بميادين المغرب هزماته ، ونكست فيها اعلامه وراياته ، وهو اليوم فى الوطن السورى على حال أرق من الخيال ، وأقرب ما يكون من الزوال، ودوام حال من المحال ، فسارعوا الى يومكم فهذا هو اليوم وهذا هو المجال ، فالثورة العامة منجاة البلاد والعباد من الاستعباد

وقد بلغنا الى الآن من هذه الثورة العربية مبلغا عظيما محفوفا بالنصر مؤيدا بالظفر فطردنا الفرنسيس من ديار الجبل وجواره ، ونجد لدركهم فى مفرهم ومحو آثارهم ، وقد كان لنا معهم معارك دموية ما الكلام عنها بمثل العيان

فقتلنا جند العدو تقتيلا ، وغنمنا أسلحته وذخائره ، وأسرنا ضباطه وقواده ، وأسقطنا من أعالى الجو طياراته،وافترسنا بالفوارس العربية دباباته ، وأعلنا الحكومة العربية الموقتة لتقوم بتدبير البلاد ، ريثما يتم طرد العدو فيجتمع اذ ذاك مجلس تأسيسى ليعين شكل الحكومة الذى تختاره الأمة ، ورفعنا العلم العربى المربع الألوان على (السويداء) قاعدة الجبل ، وفى السويداء رجال ، وأقمنا الحكم ، ووطدنا الأمور والآمال ، بقوة من المولى المتعال

وها قد أجمعنا أمرنا وأعددنا عدتنا وواصلنا الزحف على قوات العدو فى كل جهة هو فيها حتى تأتى عليه ، فلا نذره الا أثرا بعد عين

وهذا بلاغنا الى جميع الموظفين على اختلاف درجاتهم ومراتبهم ، أن يكونوا أمناء على وظائفهم وأعمالهم على شريطة ألا يعاونوا السلطة المحتلة معاونة قلت ماقلت فى جمع ضرائب ولا تجنيد ولا سوق عسكرى ، ولا فى أى خدمة تكون للعدو نوعا من المدد والعون ، فمن اقدم من أصحاب الوظائف الملكية أوالعسكرية على هذا ، عد خائنا للبلاد يعاقب عقاب الخيانة الكبرى

ثم يجب على أولى الامر بذل الجهد فلا يدعوا فى هذه الآونة العصيبة التى تجتازها البلاد فى حريق الثورة واضطرامها مجالا لوقوع الاعتداءات ، فيجب صيانة الأموال والنفوس ورعاية المصالح و [illegible] الأوقات

وتظل القوانين الحالية سارية مرعية الحرمة ، ومن يجسر على ارتكاب الخيانة للبلاد وللثورة يحاكم عسكريا

فالى اليوم الذى لاح صبحه وفيه تتحرر البلاد السورية العربية يأباة الضيم وعياف الذل الى اليوم الذى تتوحد فيه البلاد مستردة استقلالها المسلوب

سلطان الاطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

— ٣ —

الاستقلال يؤخذ ولا يعطى — الحرية والمساواة والاخاء

يابنى الوطن

لا تنافس فى الاهواء، ولا خصومات ولا أحقاد طائفية بعد اليوم، انما نحن أمة عربيه سوريه، أمة مستضعفة قوية فى الحق، قد انتبهت الى المطالبة بحقها المهتضم، أمة عظيمة التاريخ نبيلة المقاصد قد نهضت تريد الحياة والحياة حق طبيعي وشرعي لكل الامم قد قسمها الاستعمار الاجنبي فوحدتها مبادىء حقوق الانسان واعلام الحرية والمساواة والأخاء ، نعم ليس هناك درزى وسني وعلوى وشيعي ومسيحي ليس هناك الا ابناء أمة واحدة ولغة واحدة وتقاليد واحدة ومصالح واحدة ليس هناك الا عرب سوريون

يابنى الوطن : ليس لكم بعد الآن على اختلاف [illegible] والمشارب الا عدو واحد هو الحكم العسكرى الجائر والاستعمار الاجنبي فانفروا الى انقاذ البلاد من [illegible] وارفعوا علم الاتحاد والتضامن والتضحية ، ان حركتنا اليوم هى حركة [illegible] المطالبة بالحريه والاستقلال وضمان حقوق البلاد على مبدأ سياسة الامة [illegible] والسني والعلوى والشيعي والمسيحي اتحادا [illegible] ولبؤلف [illegible] ويحمى الوطن ولتكن ارادتنا ارادة حديدية واحده

ان قائد جيوش الثورة الوطنيه السوريه [illegible] :

(١) اعلان الاخاء الوطنى بين كافة الطوائف

(٢) [illegible] (الخارات) فى كل مدينة [illegible] عند دخول جيوش الثورة [illegible]

(٣) تاليف دوريات ومخافر وطنية يمشى على رأسها الزعماء المخلصون المحترمون من الأمة لتأسيس الاتصال الداخلى لحفظ الامن وصيانة الاموال ومنع التعدى

(٤) ارسال قوة محلية من المتطوعين الى خارج المدينة أو القرية لاستقبال كتائب الثوار الوطنيين بالاهازيج الحماسية عند وصولهم باعتبار جميع الأمة جيشا واحدا لهذه الثورة المقدسة

هذه هى التعليمات التى يجب أن يتبعها الشعب العربى السورى فى المدن والقرى تأييدا للاخوة القومية والثورة الوطنية : ولتحى سورية حرة مستقلة

سلطان الاطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

— ٤ —

وألقت الطيارات الفرنسوية يوم ٢٩ أغسطس رسالة بامضاء الكبتن رينو أجاب عليها سلطان باشا بالجواب الآتى :

تتهمنا الرسالة اننا لم نف بالوعد بقولها اننا استسلمنا للنفوذ الأجنبي فقبلنا فى منطقتنا عصابات مسلحة وشاركناها بالهجوم على دمشق : اننا لا نسمح لأى نفوذ أجنبي مهما كان نوعه أن يمتد الى منطقتنا لأننا من طلاب الاستقلال ، وطلب الاستقلال لايتفق بوجه من الوجوه مع صلب النفوذ الأجنبي ، واذا عبرت منطقتنا بعض العصابات المسلحة فانما هى عصابات [illegible] سمعت بالضيم المشين الذى أصابنا من أمثال الكابتن كرديه فخفت لمساعدتنا وهى عادات العرب تنفر لرفع الضيم عن ذويها منذ ألوف السنين

وأما كون الدمشقيين الذين هم أكبر أنصار الحرية والاستقلال هزأوا بنا وانسلخوا عنا فهو كلام الواشي الذى يريد القاء بذور الشقاق بين أفراد الاسرة الواحدة .

تتهمنا الرسالة بالابطاء والمماطلة وهى تهمة خلية من البراهين ، لأن كل من عرف أحوال الجبل ووعورة مسالكه وصعوبة مواصلاته يدرك تعذر انجاز الاتفاقات بالسرعة الواجبة ، وأما اطلاق النار على الطيارات فليس بالأمر الغريب ، لأن أولادنا الذين هم شعب بالرماية لا يملكون نفوسهم عن الرمى حين يرون مثل هذه الآلات الغدارة التى هدمت اسم المدنية الحديثة هزءا وسخرية تحلق فى سماء الجبل الآمن — ثم — ان شتم العمال

الذين جاءوا لدفن الموتى فى ساحة القتال هو أمر لا نعلم منه شيئا . بل نحن بالعكس
من ذلك مستعدون فى كل آن لتسهيل دفن هؤلاء المساكين الذين ذهبوا فى سبيل المطامع
الاستعمارية. وذكرت الرسالة تخريب خط الهاتف بين بصرى وأذرع ومهاجمة محطة خربة
الغزالة ، ان تخريب خط الهاتف ليس بمستغرب بل بقاؤه فى بلاد تلاشت السلطة منها هو
من الغرابة بمكان ، ونحن لم نأمر أحدا قط أن يتعرض لخربة الغزالة أو لغيرها واذا جرى
شىء من ذلك فيكون على أيدى العصابات التى تسرح فى طول تلك البلاد وعرضها

وقالت الرسالة ان دولة فرنسا المعروفة فى التاريخ بالانسانية والشرف والرحمة
مستعدة ان تعفو ، اننا نرد كلمة العفو ردا مطلقا لأننا طلاب عدل وانصاف والذين طلبوا فى
بادىء الأمر تغيير موظف فرنسوى أجمع أهل الأرض والسماء على فساد سيرته الشخصية
والعمومية وتعيين موظف فرنسوى آخر مكانه لا يستحقون كلمة العفو بل يستحقها الذين
سببوا بما أسدوه من النصائح الطائشة للجنرال سرايل سفك هذه الدماء البريئة على
جانبي الطريق المؤدية الى موقع المزرعة . ثم تذكر الرسالة رغبة كاتبها فى حقن الدماء بين
أمتنا والأمة الفرسوية وتسألنا هل لنا مصلحة حقيقية فى دوام الحرب ؟ اننا من
أحرص الناس على السلم وأكرههم للحرب مالم يكن لها مبرر شريف كالمبرر الذى ألجأنا
الى امتشاق الحسام بعد ما ضفح الكيل بل صرنا لا نحجم عن أن [illegible] لمن يمد لنا
يده بعد ما يعترف بحقوقنا الصريحة المشروعة المشهورة فى بياناتنا . وقد علمتنا الاختبارات
الماضية أن العهود قصاصات تلقى تحت الارجل فهل تقدم لنا الضمانات الكافية [illegible]
نحن عاهدنا وعقدنا الاتفاقات التى تضمن مصلحة الطرفين اننا نطلب مثل هذه [illegible]
مذاكرات الصلح ، وما دام هذا الشك فى الانفس فلا يتيسر [illegible] ولا [illegible]
المتبادلة فعلينا أن نواجه الحقائق كما هى ونستكشف الدواء الناجع [illegible] التى
أدت الى الحالة الحاضرة المؤسفة

ان كل تدبير موقت سينتهى بالفشل ولابد من وضع [illegible]
ارضاءا تاما من جهة ولا تضير دولة الجمهورية من جهة [illegible]
وراءه حسن النية واعطاء الضمانات [illegible]
[illegible]

— ٥ —

وأرسل سلطان باشا يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٥ برقيات الى رئيسي الوزارة الايطالية والبريطانيةورئيس مجلس النواب الفرنسوي ووزير خارجية الولايات المتحدة و بعض الجرائد الأوروبية هذا نصها :

الدروز وعموم السوريين يقاسون أشد آلام الحكم العسكري الفردي والظلم الافرنسي منذ الاحتلال بصورة تهدد السلام دائما وتشعل نار الأحقاد بين الشرق والغرب

ان القوات الفرنسوية التي تساق اليوم لخراب بلادنا وقتل الحرية ومبادىء حقوق الانسان تضرب النساء والأطفال والشيوخ والقرى الآمنة بقنابل طياراتها ظلما و بغيا وهذا ما يضطرنا للدفاع عن كياننا وشرفنا حتى الموت . نحمل رجال فرنسا وحدهم مسئولية سفك الدماء البريئة . نستنجد بالأمم المتمدنة أن تبطل رق الشعوب بعد أن أبطلت رق الأفراد

— ٦ —

ورد يوم ٢١ سبتمبر على نشرة ألقتها الطيارات الفرنسويه بالبيان الآتي :

تناولنا اليوم دعوتكم الكريمة الى السلم مع القنابل المتفجرة من الطيارات فلم يزدنا هذا التناقض الغريب علما بالوضعية الحاضرة [1]

---

(١) هذا نص الدعوة : « من الحكومة المنتدبة الى سكان جبل الدروز

أيها الدروز

اقتربت الساعة التي تعرفون فيها قوى جيشنا والتيستتحملون فيها نتائج ثورتكم

لقد اختبرتم مضاء سلاحنا في معركة المسيفرة وانه لواجب أن نذكركم أن فرنسا لاتقاتلكم وهي مدفوعة بعامل البغض ولكنها تعاقب المجرمين كلا بحسب جرمه

ان الأشخاص ذوي البصيرة الذين يتركون منذ الآن السلاح و يقدمون خضوعهم سيكونون في مأمن على حياتهم فيما اذا سلموا الى أحد مخافرنا

وكذلك نضمن الحياة للشيوخ الذين يأتون الى دمشق لتقديم خضوعهم

أيها الدروز

عودوا الى رشدكم وقدموا خضوعكم اذ لايزال لديكم وقت للخضوع

ألقوا سلاحكم وتقلدوابدلا منه المحراث لانبات أرضكم فذلك خير لكم واستقبلكم

ان ماجاء فيها من التهديد المشرب بروح العطف يلفت الأنظار ، لأن الجيش الذى اقتحمتم به سورية هو كطياراتكم من عادته عند سنوح الفرصة أن ينفذ صامتا خطط الفتح من غير التفات الى عويل الأطفال و بكاء الأمهات

تقولون قد اقتربت الساعة التى نعرف فيها قوى جيشكم ونتحمل فيها نتائج الثورة : ان انكار بسالة الجيش الفرنسوى حينما كان يدافع فى الحرب العامة عن كيان فرنسا وحريتها هوانكار الشمس فى رابعة النهار ، ولكن الجيش القادم الى جبل الدروز لتأمير الكبتن كربيه ومن حذا حذوه وتأييد الاستعمار بأفظع معانيه فى أمة آمنة كأمتنا هو غير الجيش الفرنسوى ، ومن انقض على خصومه فى « الكفر » و « المزرعة » كما انقضضنا لايأبى أن يتحمل نتائج الثورة

تذكرون مضاء سلاحكم فى معركة « المسيفرة » ولم تذكروا مضاء العزائم التى اغتنمت هذا السلاح فى عقر استحكاماتكم وسحبت الخيول من أيدى أصحابها المقتولين فى سبيل الفتح والاستعمار ، واذا كانت فرنسا كما تقولون لاتقاتل مدفوعة بعامل البغض بل تعاقب المجرمين بحسب جرمهم فثقوا اننا لا نقاتل الا دفاعا عن الشرف القومى الذى عبث به موظفوكم والحرية التى مات تحت أقدامها رجال ثورتكم الباهرة . أما مسئلة المجرمين ـ الذين سودوا وجه الانسانية بسيرتهم الخصوصية والعمومية وجعلوا اسم الانتداب عارا وشنارا ـ فالأجدر أن نتركها الى يوم الحساب

تقولون ان الأشخاص من ذوى البصيرة الذين يتركون منذ الآن السلاح يكونون فى مأمن على حياتهم . ان بين البصيرة وترك السلاح تناقضا ما كنا لندركه لو لم يكن له سابقة على عهد الحكومة الوطنية السورية لما آمنت بمواعيد أسلافكم فلت جيشها فى أواخر يوليو سنة ١٩٢٠ وحكم على زعمائها بالموت فى أوائل أغسطس

ان المؤمن لايلدغ من جحر مرتين ، وقبل الوقوع فى مثل هذا الفخ عليكم أن تبيضوا الصفحات السود وتعيدوا الى الشرق حسن السمعة التى كنتم تتمتعون بها قبل أن تطأ أقدامكم هذا الوطن المقدس

تدعوننا الى القاء السلاح وأن نتقلد بدلا منه المحراث ، اننا ماحملنا السلاح الا دفاعا عن

هذا المحراث الذى هو فخرنا . اننا نريد أن نحمل المحراث لنحصد منه الخير لنا ولأولادنا ، ولكن اذا كانت ثمرة اتعابنا تذهب الى بطون رجال أمثال من غرمونا آلاف القروش لفقد هرة فى « السويداء » وصفعوا أشرافنا وخيارنا لاستنزاف أموالهم فان السلاح يكون خيرا لنا من هذا المحراث

اننا نرغب فى السلم من صميم الفؤاد واذا آنسنا فى خصومنا اليوم هذه الرغبة الأكيدة فاننا نمد اليهم أيدينا ـ نمدها ولكن على الشروط التى أذعناها للملأ فى منشوراتنا السابقة .

٨

المعارك الاولى فى الجبل والغوطة

أعد الفرنسويون على أثر هذه الحوادث معدات الدفاع فى درعا واذرع ودمشق وحصنوا محطات سكة الحديد فى حوران وجاءوا من الشمال بكل ما كان عندهم من قوى ورجال

وغادر الجنرال سوليه دمشق سيارة ومعه الكبتن دوكوتل لتفقد حالة الجند بين دمشق ودرعا ولما وصل الى قرب قرية المرجانية اعترضت سيارته حجارة فى الطريق فوقف السائق لازالتها فظهرت كوكبة من الفرسان وأطلقت نيرانها على السيارة فأمعنت فى الفرار ولكنها لم تكد تبلغ مرتفعا هنالك حتى ظهر أمامها رجال آخرون وجهوا اليها نيرانهم فجرح الجنرال فى فخذه الأيمن والكبتن فى ذراعه وفخذه وأصيب السائق بكتفه ورغم ذلك فقد واصل السير حتى محطة المسمية فركب الجنرال القطار وعاد الى دمشق . وأرسلت السلطة على الأثر قوة عسكرية دمرت القرية وأحرقتها فلجأ سكانها الى جبل الدروز

استدعاء الجنرال ميشو

وفى يوم ٣ سبتمبر أذاعت وزارة الحربية أنها استدعت الجنرال ميشو من سورية للاطلاع على بعض التفاصيل وأنها عينت الجنرال غاملان قائدا عاما للجيش الفرنسوى فى الشرق (١)

ويقول الجنرال سرايل فى مذكراته عن الجنرال ميشو انه ارتكب اخطاء وانه كان

(١) كانت العادة عندهم قبل ذلك أن يجمعوا بين منصب المندوب السامى وقائد الجيش العام فى شخص واحد وقد جروا على ذلك فى عهدى غورو وفيجان وفى أوائل عهد سرايل فلما وقع ماوقع انتزعوا منه القيادة وعينوا لها الجنرال غاملان

مثقلا بالمسئوليات . ولو كان لديه ثلاث فرق كالفرق التى نعرفها فى الحرب العامة ، والتى يستخدمها المارشال ليوتى فى المغرب الأقصى لتبدل تاريخ الثورة ولكان الجنرال ميشو من مشاهير قواد فرنسا

وفى يوم الاحد ١٣ سبتمبر وصل الجنرال غاملان الى بيروت على ظهر مدفعية يحمل تعليمات تقضى عليه بالزحف الى السويدا والقضاء على الثورة قبل أن يتسع نطاقها فسافر الى دمشق يوم ١٤ منه وعرض الحامية . وفى يوم ١٦ منه سافر الى اذرع وتقلد قيادة الحملة المهيأة فيها

معركة المسيفرة

وعرف قادة الثورة فى الجبل ما يدبره الفرنسويون وأحاطوا علما بخططهم وكان بعض الوطنيين فى دمشق و بيروت يوافيهم يوميا بتقارير مفصلة عما يحدث فعقدوا اجتماعا فى قرية عرى لبحث الموقف و بعد تردد وافقوا على أن يبيتوا الجيش الفرنسوى المرابط فى قرية المسيفرة من قرى حوران صباح ١٧ سبتمبر

وقد نفذت هذه الخطة واشترك فيها نحو ٥٠٠ مجاهد ، وما كان عدد قوى الفرنسويين فى المسيفرة يقل عن الألفين بقيادة الكبتن ناكيه

وتقدم المجاهدون فى الوقت المضروب وقد اتفقوا فيما بينهم على أن لا يأتوا بحركة من شأنها تنبيه العدو الا أن رصاصة أطلقها ابراهيم الأطرش وهو من المشكوك فى اخلاصهم للثورة لسابق صلته بالكبتن كربيه ، قبل وصول المجاهدين بخمس دقائق نبهت الحرس الفرنسوى فأطلق الأسهم النارية فى الفضاء فأنار الظلماء

وانقض فرسان الدروز على الجند فأجلوهم عن مواقعهم واضطروهم الى التوارى فى داخل البيوت وتغلغلوا فى وسط القرية واحتلوا القسم الشرقى منها

وأشرقت الشمس والمعركة دائرة وتلقى الفرنسويون امدادات جديدة من هنا وهنالك ولجأ معظمهم الى دائرة عميقة حولها الاستحكامات ومن ورائها السيارات المصفحة تدور لحمايتها وكانت قذائف الفريقين تصل الى بئر القرية فتحول دون وروده

وسكر المجاهدون بخمرة النصر فكف بعضهم عن القتال وانصرف الى جمع الاسلاب

والغنائم لاعتقاده أن المعركة انتهت ، بيد أن وصول الطيارات الفرنسوية واشتراكها في القتال غير اتجاه المعركة فقد ألقت قنابلها على المجاهدين المنتشرين هنا وهنالك فذعروا وتشتتوا وتراجع الذين أحاطوا منهم بالقرية كما تحصن الذين دخلوها فى البيوت حتى المساء فخرجوا متسترين بستار الظلماء ، وفقد الفرنسويون فى هذه المعركة نحو ٩٠٠ قتيل وخسر المجاهدون نحو ٢٠٠ ولولا ماارتكبوه من هفوات فى هذه المعركة لتم لهم اجلاء الفرنسويين عن حوران كلها ولتبدل شكل الحرب

معارك السويدا وعرى والمجيمر ورساس

فى يوم ٢٣ سبتمبر مشى الجنرال غاملان بجيشه من اذرع قاصدا السويدا فرأى قادة الثورة أن يستدرجوه فدخلها ظهر يوم ٢٤ وأنقذ حاميتها

وكانت الطيارات تموّنها بما تلقيه اليها يوميا

وأرسلت الحلة قوة مؤلفة من ٤٠ جنديا مغربيا لورود الماء فى قرية أم صاد فقبض عليهم الثوار وقطعوا الماء عن السويدا وبدأوا باطلاق الرصاص عليها فى الظلام فخاف الجنرال غاملان العاقبة وظن أن هنالك خطة مدبرة وخصوصا بعد ما جاءته الاخبار بظهور العصابات فى الغوطة وانتشارها حول دمشق . فغادر السويدا خلسة ومعه تومى مارتان والحامية تاركا كل ما كان معه من عتاد ثقيل وسلاح كبير وجاء فخيم فى المسيفرة واتخذها قاعدة لأعماله العسكرية فى الدور الجديد

وبعد ما استراح نحو أسبوع زحف صباح ٢ اكتوبر بقوة من المسيفرة وتتألف من بضعة آلاف مقاتل تعززها ١٨ دبابة وطيارات ومدفعية قوية الى قرية عرى وتقدم بلا مقاومة حتى قرب المجيمر فدنت ميمنتهم منها بينما كان قلب جيشهم يزحف نحو تل الحبس بين عرى والمجيمر ونحو عرى نفسها

ولما لم تكن القوة الدرزية فى جهة المجيمر كافية للقيام بحركة واسعة لا كتناف ميمنة الفرنسويين ، فقد قررت قيادتهم تمكين العدو من التوغل فى الانفراج الكائن بين عرى والمجيمر ثم مهاجمته فى الوعور والهضاب الكثيرة الواقعة فى شرقهما لأن الأراضى الواقعة فى الغرب سهلية لاتصلح لحرب العصابات

وابتدأ القتال فى الساعة ٩:٤٠ من صباح ٣ منـه بعد تمهيد عنيف بالمدافع فصب الفرنسو يون قنابلهم من الطيارات والمدفعية على أماكن الثوار فثبتوا فيها وأصلوا أعداءهم ناراحامية من تل الجيمر المشرف على السهل ومن تل عشان الواقع فى الجنوب ورابطت قوة صغيره منهم فى تل الحبس. ولما صدت ميمنة الفرنسو يين فى الجيمر عدل الجيش عن دخولها واتجه نحو تل الحبس فاحتلها كما احتل عرى نفسها وحمى الثوار نبع عرى و يبعد عنها ٤ كيلو مترات شرقا

وشغل الثوار الجيش ليـلة ٤ منـه باطلاق رصاصهم على معسكره من شمالى عرى وغربيها ومن الجيمر والوعور الغربية. ولما أصبح الصباح تقدم فرسان الجيش فى الساعة الثامنة لاحتلال نبع عرى فصدهم الثوار وردوهم عنه وكانوا شديدى الحاجـة الى الماء. وفى الساعـة العاشرة أخذت قوى الثوار تدنو من عرى قادمة من الشمال والغرب فجلا الفرنسو يون عن تل الحبس وتجمعوا فى عرى وأخـذ جيشهم يمتـد شرقا نحو رساس متجنبا فى زحفه الاماكن الوعرة ثم اتجه نحو الشمال قليلا ليـكون زحفه فى السهل المنبسط بين رساس والسويدا فبلغ الأولى ودخلها بلا مقاومة. وهاجم الثوار ساقة الجيش وأرسلوا قوة من الفرسان بقيادة نسيب الاطرش للاستيلاء على عرى ولتهديد خط رجعـة الجيش فقتل قائد القوة بعـد ما استولى على عرى وغنمت قوة من الثوار بقيادة زيد الأطرش غنائم كثيرة مما كان يرسله الفرنسو يون الى جيشهم

واستسلم للحملة الفرنسو ية عند دخولها عرى الأمير حمد الاطرش خوفا على داره وأثاثها فهدر آل الأطرش دمه بعـد ما عزلوه من الامارة ونادوا بالامير حسن نجـل يحي الأطرش مكانه

ودخل الفرنسو يون قرية رساس ودمروا دار شيخها متعب الاطرش. وصمد لهم الثوار فى خارجها وحالوا بينهم و بين احتلال الهضاب القريبة منها ما خلا تل رساس الواقع فى شرقها الجنوبى، وفى صباح ٥ منه زحفت قوة من فرسان الجيش لايقل عدد رجالها عن الخمسمائة الى كنا كر لورود الماء لأن قلته فى رساس ضايقتهم فصدمها الثوار وهى عائدة صدمة شديدة وغنموا منها خيلا فلزم الفرنسو يون مراكزهم فى رساس

ورأى الجنرال غاملان أن بقاءه هنا يعرض جيشـه لخطر كبير فقرر الرجوع الى

حوران وبدأ تراجعه فى صباح ٨ منه بحماية المدرعات والطيارات فتركه الثوار يسير حتى بلغت مقدمته قرية كناكر فصبوا عليها نيرانا حامية من مسافات قريبة لا يزيد بعضها عن ٣٠٠ متر كما أصلته مدفعيتهم نارا حامية وحملت عليه قوة كبيرة من الخلف فوقع الذعر فى الساقة وانقلب الانسحاب الى هزيمة فرأى الجنرال أنه ليس فى امكانه بلوغ بصرى اسكى شام كما كان مقررا فاتجه الى الشمال فأمسك عليه الثوار الطرق المؤدية الى أذرع وبصرى الحرير ولم يتركوا له سوى طريق المزرعة . فانتهى به التسيار الى قرية الثعلة فقضى ليلته فيها. وغادرها فى صباح ٩ منه متجها الى الشمال فبلغ ماء المزرعة بلا مقاومة.ولما أراد أن يسلك طريق بصرى الحرير وجدها مسدودة ورأى قوى الثوار محدقة به من الجوانب الثلاث ووجد نفسه بين أمرين فاما أن يشق لنفسه طريقا الى الأمام واما أن يعود الى الثعلة فاختار الأول فصده الثوار فعاد الى الثعلة ونظم فيها قواه وغادرها على جناح السرعة الى المسيفرة ومنها ذهب فى الغداة الى درعا ثم قصد طفس

ولا بد لنا من القول ان انتقاد ثورة حماه يومئذ كان فى مقدمة العوامل التى اضطرته الى التراجع عن الجبل فقد اعتقد أن هنالك خطة عسكرية مدبرة يراد بها القضاء على الجيش فرجع مسرعا الى حوران

حروب الغوطة الاولى

ما كاد صوت الثورة يدوى فى أرجاء سورية حتى هرع الكثيرون الى الجبل للانضمام اليها والقتال فى صفوفها ـ وكان بين القادمين ـ غير من ذكرنا ـ القائدان فؤاد سليم وسعيد العاص وسرحان أبو تركى الديرى والشيخ محمد حجاز وحسن الخراط وابراهيم صدقى وجميل البيك وبشير الهنداوى وغيرهم من الوطنيين الاشاوس

ولما بدأ الفرنسيون الزحف على الجبل رأى قادة الثورة وزعماؤها أنه لا بد من توسيع نطاقها فتشمل غوطة دمشق وجبل قلمون والمناطق الشمالية لتخفيف الضغط عن الجبل فغادر نسيب البكرى الجبل الى الصفا لتجنيد عربانها الغياث والزحف بهم لقتال الفرنسويين

وغادر حسن الخراط الجبل الى الغوطة وكان قد جاءه مع آل البكرى فانضم اليه أبو عبده ديب الشيخ وأبو صلاح العربجا فألفوا عصابة قوية رابطت فى زور بالا على مقربة

من دمشق فسيرت السلطة قوة من الدرك السورى لقتالها بقيادة الكبتن رفيق العظمة فاشتبكت مع العصابة بمعركة شديدة يسميها الثوار « وقعة الزور الأولى » انتهت باندحار الدرك تاركين قتلاهم وأسر الثوار ضباطهم وغنموا منهم ٢٩ حصانا

ودارت معركة الزور الثانية يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٥ قرب قرية المليحة واشترك فيها ٨٢ من المجاهدين فقد خرج الفرنسيون بقوات كبيرة و بعد قتال استمر ٦ ساعات ارتدوا منها فصدمهم محمد عز الدين من قادة الثورة الدرزية وقد جاء الغوطة لتأييد ثوارها فى جوار قرية جرمانا وضربهم وظل يطاردهم حتى أدخلهم دمشق . وجرح حسن الخراط فى كتفه هذا اليوم واستشهد غدرا بين اثنين من الشراكسة فى وقعة يلدا يوم ٢١ ديسمبر بعد ما ذاعت شهرته وأبلى أحسن بلاء

وتتابعت بعد ذلك المعارك فى الغوطة واتسع نطاقها وكان من أثرها دخول الثوار مدينة دمشق وضربها مما سنفصله

٩

ثورة حماة

فى الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٥ وصل الى جبل الدروز بطريق شرق الأردن الشابان مظهر السباعى ومنير الريس يحملان صورة اتفاق أمضاه بعض كبار حماة لاشعال نار الثورة فى تلك المدينة ومن مقتضاه أن تحصل مناوشات تمهيدية فى الغوطة فى أول شهر اكتوبر وأن تتقدم قوة من الجبل الى جهات القريتين لاتقل عن مئة فارس فينضم اليها فوزى القاوقجى ومن معه من الجند وأن تعلن الثورة فى حماة يوم ٢ اكتوبر وأن لايعقد الجبل صلحا منفردا بل يكون الصلح مشتركا باسم سورية

وسلم القادمان نص الاتفاق الى الدكتور شهبندر فرأى من الضرورى الاسراع فى قبوله لتخفيف الضغط عن الجبل فركب على الفور فى طلب سلطان باشا فاجتمع به فى قرية رساس وتباحثا مليا فى المشروع وقبلاه ووقعه سلطان باشا باسم الدروز وتسلمه نزيه المؤيد ومظهر السباعى وعادا به الى الغوطة وأرسلاه الى حماة مع الدكتور خالد الخطيب

وكتب فوزى القاوقجى عن اعلان ثورة حماة يقول [١]

«لما تقرر أن تبدأ ثورة حماة مساء الاحد ٤ اكتوبر سنة ١٩٢٥ طلبت من الكومندان كوستيلير المستشار الادارى لحماة أن أخرج للتفتيش على البدو لمنع اضرارهم عن القرى فسمح لى فخرجت مع قوة من الخيالة التى كانت بقيادتى فطفت بين العشائر داعيا رجالها للثورة فاتفقت مع بعض الشيوخ على الانضمام اليها وخصصت لكل واحد منهم

---

(١) كان فوزى ضابطا فى الجيش السورى الذى أنشأه الفرنسيون ورتبته كابيتن (يوزباشى) وكان حائزا على ثقة الفرنسويين واعتمادهم وقد عينوه مساعدا للمستشار الادارى فى حماة فلما رأى مارآه من أعمال الفرنسويين وتصرفاتهم التى لا تطاق انضم الى اخوانه الثوار وقاتل معهم وصار من أبرز قواد الثورة

راتبا وعملا معينا يتولاه غداة اعلانها وأتممت الاستعدادات فى خلال خمسة أيام ولما دنت ساعة العمل أصدرت التعليمات المفصلة لجميع الزعماء وفى نحو الساعة الثامنة من مساء ٤ منه دخلنا حماة وهاجمنا المخافر وتسلمنا أسلحتها وقبضنا على رجالها من الشرطة والدرك ثم سرنا الى دار الحكومة حيث ترابط قوة من الجيش المختلط مع الدرك والشرطة فهاجمناها واستولينا عليها بعد معركة امتدت حتى الساعة الثانية بعد نصف الليل وقتلنا من فيها من الجند ثم أخذنا نستعد لمهاجمة المواقع العسكرية الحصينة . وخرج فرسان العدو فى الصباح من الثكنات لمقاومتنا فرددناهم بعد معركة دامت نصف ساعة على جسر السرايا ثم طوقنا الثكنات فبدأت المعركة تشتد والنجاح حليفنا وخسارة العدو تتزايد وجنده يستسلم

ووصلت طيارات العدو فأخذت تلقى قنابلها على المدينة فأسقطنا منها طيارتين وقبيل الظهر جاءت نجدات قوية فانقذت المحصورين بعد معارك دامية وتوالى وصول النجدات وزاد عددها زيادة كبيرة فاحجم كثير من زعماء حماة عن الاشتراك فى الثورة خلافا لعهودهم وجبنوا وخافوا . ولما أصبح الاستيلاء على الأماكن العسكرية المملوءة جنودا غير مستطاع انسحبنا ليلة ٧ منه الى خارج المدينة باتجاه الشمال لمباشرة الأعمال العسكرية بالاشتراك مع البدو . وما كانت خسارة العدو تقل عن أربعمائة قتيل وجريح أما خسارتنا فما زادت عن ٣٥ قتيلا وجريحا وحملنا عربان الموالى على مهاجمة الفرنسويين المتحصنين فى مركز قضاء المعرة واشتبكنا معهم فى معركة دامت أربع ساعات خسروا فيها ثلاثة ضباط وسبعين جنديا وخسرنا بدويا واحدا وغنمنا ٣٥ حصانا و ٤٢ بندقية»

ووضعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى تقريرا مطولا فى شهر فبراير سنة ١٩٢٦ عن ثورة حماة أرسلته الى جمعية الأمم وقد جاء فيه :

فى الساعة التاسعة من مساء الاحد ٤ اكتوبر سنة ١٩٢٥ هاجم الثوار دار الحكومة وأرادوا الاستيلاء على السلاح المدخر فى مستودع الدرك فقابلهم الجنود المحافظون برصاص بنادقهم ، وبعد مقاومة دامت زهاء ساعتين استولى الثوار على دار الحكومة وصادروا السلاح الموجود فيها ، وكان قسم من الثوار قصد مخافر الشرطة وجرد رجالها من أسلحتهم بدون مقاومة وقد انضم بعض رجال الشرطة اليهم . وبعد احتلال دار

الحكومة والمخافر هاجم الثوار الثكنتين العسكريتين ، وكانت القوات الموجودة فيهما أغلقت الأبواب وأخذت تقاوم الثوار باطلاق القنابل اليدوية وبرشاش المتراليوزات ، ودام الحصار واستمرت المقاومة العنيفة حتى آخر الليل

ولما استولى الثوار على دار الحكومة وتغلغلوا فى أروقتها كان لايزال بضعة أفراد من جنود « المليس » والدرك فى الطابق العلوى يطلقون الرصاص من المنافذ وقد شعروا بأن الطابق السفلى سقط فى أيدى الثوار فأشعلوا النار فى الطابق العلوى بقصد احراق السراى بمن فيها من الثوار ثم ركنوا من ناحية أخرى الى الفرار فامتد لهيب النار من دائرة الى أخرى حتى عم جميع دوائر الحكومة وشعباتها وقبل أن يتصل لسان اللهيب بادارة السجن أحس السجناء بالخطر وكانت الأبواب قد خلت من الحراس فحطموا الأبواب وخرجوا جميعا

وقبل شروق الشمس خرجت القوة العسكرية المحاصرة فى (خان الموقف) (احدى الثكنتين المحاصرتين) حيث كانت أصوات الرصاص انقطعت فى ذلك الوقت ، وجعلت تقبض على من تراه من الأهلين فى الطريق وتعمل فى أقفيتهم ضربا بكعاب البنادق . غير أن الثوار أعادوا الكرة على هذه القوة وهاجوها ففرت من أمامهم ودخلت الثكنات وعادت الى حصارها كما كان فى الليل المنصرم واشتد الحصار والمقاومة الى قبيل الظهر وكان الجنود المحصورون يلقون القنابل اليدوية المشتعلة من أعلى الجدران ومن نوافذ الثكنة بدون أن يسددوها الى جهة معلومة . وأخيرا جعلوا يرمون تلك القنابل المشتعلة على المخازن المجاورة للثكنة فشبت النار فى تلك المخازن واندلعت فيها السنتها والجنود تطلق القنبلة تلو الأخرى على المخازن بدون انقطاع . فلما رأى أصحاب تلك المخازن أموالهم تأكلها النيران وهى كل مايملكونه من حطام الدنيا ألقى بعضهم بنفسه الى مخزنه تحت وابل الرصاص والقنابل وحاول الوصول الى انقاذ شيء من ماله فلم يتمكن وكانت الجنود الافرنسية كلما رأت أحدا يحاول التقرب من دكانه تلقى عليه قنبلة فينجو بروحه وعيناه ترى وتشاهد ماله تلتهمه النيران ، حتى ان رجلا يدعى (حسن شاكر) لم يطق الصبر على مشاهدة ماله يحترق فتقدم الى مخزنه وكانت النيران لم تصل اليه بعد ففتحه وانتشل دفاتره والنقود الموجودة فى صندوقه و بينما هو كذلك رماه جندى من أعلى الثكنة بقنبلة أصابته

وهو فى داخل مخزنه فأردته قتيلا وشبت النار فى المخزن فلم تبق على شىء منه

وهكذا ظلت النار تأكل من المخازن وتمتد من واحد الى الآخر حتى أتت على ١١٧ مخزنا بما فيها من بضائع وأموال ونقود وأصبح أصحابها بعد أن كانوا أغنياء بأموالهم ، فقراء لايملكون شروى نقير

و بعد ظهر الاثنين وصلت قوة من الجند السنغالى والفرنسوى فدخلت المدينة بمدافعها ودباباتها ورشاشاتها وجعلت تطلق النار على الطرقات والشوارع كيفما سارت وعلى أى شخص تراه فى طريقها من الأهلين فأخلت المواقع المرتفعة من المدينه وصبت نيران بنادقها ورشاشاتها على المنازل الآهلة بالسكان دون ما تمييز بين الثوار والآمنين ، فخلت الطرق من الناس والتجأ الأهلون الى منازلهم فلم تغنهم منازلهم شيئا حيث زهقت نفوس كثيرة وهى فى بيوتها آمنة مطمئنة برصاص بنادق الجنود المصوبة من شاهق . وفى تلك الساعة الرهيبة اشتد البلاء وعظمت النكبة فلم يعد الأخ يشعر باخيه ولا الأب بابنه ولا الأم بطفلها والناس فى بيوتهم حائرون مضطربون وأعظم الناس مصيبة هم الذين كانت بيوتهم قريبة من المواقع المرتفعة التى احتلها السنغاليون حيث لم يبق بيت إلا أصيب من سكانه برجل أو امرأة أو صبى

ثم وصف التقرير الأعمال الشاذة التى ارتكبت فى خلال الاضطرابات وعدد ثلاث عشرة حادثة منها حادثة مصرع الدكتور صالح قنباز فقال انه ظل سحابة يوم ٥ اكتوبر يعالج الجرحى و يذهب الى بيوتهم حاملا الأضمدة والأدوية لايمنعه شىء عن القيام بواجبه الانسانى

وعاد الى منزله فى المساء فسمع صوت استغاثه صادر من مكان مجاور لمنزله ففتح الباب فرأى ابن عمته مطروحا على الأرض والدم يتدفق من رأسه وأبوه واقف بالقرب منه لايجسر على الدنو منه فصاح به الدكتور هاته الى ولم يكد يلفظ هذه الكلمة حتى فاجأته رصاصتان من بندقية سنغالى أصابتاه فى رأسه فلفظ أنفاسه

وظلت جثته مطروحة على الأرض زهاء ساعتين حتى خرجت النساء وحملنها الى المنزل . وعند الصباح احتل السنغاليون المنزل ونهبوا ماوصلت اليه أيديهم من نقود ورياش وكتب تقدر قيمتها بالف جنيه وقبضوا على أخويه محمد وعبد الحميد فذعر النساء

واخذن ملاءاتهن وحلن جثة عزيزهن وفررن بها الى أحد المساجد فألقينها فيه وأخذن فى الندب فاجتمع بعض الاصدقاء وحفروا له فى المسجد قبرا ودفنوه فيه

ويقول التقرير ان الجنود السنغاليين كانوا يقتحمون البيوت والمنازل المجاورة لمواقعهم فان وجدوا فيها رجالا سلبوهم ما معهم من دراهم وان لم يجدوا رجالا اعتدوا على النساء وسلبوهن أقراطهن وحليهن وشكا بعض الاهالى الى القائد العسكرى من هذه الاعمال الشائنة فاجابه ان حدوث مثل هذا أمر طبيعى من جنود ظافرة فى مدينة ثائرة

وفى يوم الثلاثاء ٩ منه أذاع القائد بلاغا رسميا بأن المدينة أصبحت تحت حكم السلطة العسكرية وأن التجول محظور من الساعة السادسة مساء حتى السادسة صباحا وان الاجتماعات العامة والخاصة ممنوعة منعا باتا وان الرصاص سيطلق على كل من يرى فى الطريق أيا كان فى الاوقات الممنوع التجول فيها

وفى يوم الأربعاء ١٤ اكتوبر سنة ١٩٢٥ انذرت السلطة أهالى المدينة بانهم اذا لم يسلموا فى خلال ٢٤ ساعة مئة بندقية مع قذائفها تأمر باطلاق القنابل على أحياء المدينة بلا استثناء ، فلم يتمكن الاهلون من ايجاد العدد بكامله بل نقص أربع بنادق فالتمسوا من المستشار الفرنسوى أن يمد الأجل ليستطيعوا تدارك مابقى من خارج المدينة فقبل بشرط أن يضاعف العدد أى أن يسلموا مائتى بندقية حتى عصر ذلك النهار فقط ، وعند ماحل الأجل المضروب ولم يستطيعوا تدارك العدد المضاعف صبت المدافع والطيارات قنابلها على أحياء المدينة بلا انقطاع فخربت بيوتا ومخازن كثيرة وقتلت أشخاصا عديدين من نساء ورجال واشتد البلاء على الناس فكان صياح النساء وبكاء الاطفال يفتت الاكباد فهرع فريق من الأهلين الى القائد وتضرعوا اليه أن يوقف الضرب فقال أمرت باطلاق ١٥٠ قنبلة وقد بقى منها أربعون لا بد من اطلاقها وبعد ذلك يمكننى ايقاف الضرب على أن تأتونى بمئة بندقية أخرى حتى عصر ذلك اليوم فان لم تأتونى بها أعيد الضرب كرة أخرى ، وهكذا استمر الضرب وذاق الاهلون الامرين حتى استطاعوا أن يتداركوا العدد المطلوب من البنادق مع قذائفها بشرائها من العساكر الفرنسوية نفسها وتوريدها للسلطة

وقبض بسبب هذه الحادثة على نحو ٢٠٠ من رجال حماة وأعيانها وشبابها وموظفيها

وكانوا يأتون بالمعتقل الى السجن العسكرى ويطرحونه فيه فراشه الأرض وغطاؤه السماء محروما من الأكل خمسة أيام يشغلونه بالاشغال الشاقة المهينة كالكنس والرش وطرح الاقذار وقد تفننوا فى تعذيبهم وضربوهم ضربا مبرحا

ضرب القرى وتدميرها

ودمرت السلطة العسكرية بعض القرى بسبب حوادث حماه وفى مقدمتها قرية كفرزيتا فقد ضربتها بالقنابل وساقت أهلها الى السجن لأنهم لم يطردوا بعض البدو حين مرورهم بقريتهم . وكانت الطيارات الفرنسوية تلقى قنابلها على كل بدوى تصادفه وتضرب خيام البدو بقنابلها وقتل منهم كثيرون

احتجاج سيدات حماه

ولما مر المسيو دى جوفنيل المندوب السامى الجديد ـ وقد حل محل الجنرال سرايل ـ بحماة يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ بطريقه الى حلب قدمت اليه سيدات مدينة حماه كتابا احتججن فيه على مالقين من العذاب والتنكيل وقلن فيه :

« غضبت المقادير ياسعادة المندوب على هذه البلاد بسبب سوء معاملة حكامها وأولى الأمر فيها حتى أصبحت هى وسكانها طعاما لألسن النيران وفريسة للفوضى والاستعباد ولم تأت بذنب يستحق هذا العقاب الذى لم يسطر له التاريخ مثالا فى القرون الاولى

« انا لنذكر لسعادتك طرفا مما قاسته حماه تلك البلدة الصغيرة الهادئة التى صمتت صمتا طويلا عن ظلمها والاستبداد باهلها اذ لم يكن فى ابان تلك الحوادث الدامية سامع أو راحم

١ ـ أباحت السلطة لجنودها القتل والنهب فكانوا اذا تخيل لهم أحد فى نافذة بيته أوفى الطريق أردوه قتيلا ذكرا كان أو أنثى وكم من شيوخ وأطفال ونساء قتلوا بلا ذنب ولا جريمة

٢ ـ توالى القاء القبض على الناس من أى طبقة كانوا فكل من يجدونه خارجا من بيته يسوقونه الى السجن ويوسعونه ضربا و يشغلونه بالأشغال الشاقة . فلما رأى السكان

ذلك أخذوا يفرون لاخوفا على أنفسهم من السجن بل من المعاملة القاسية التى كان يعامل بها المعتقلون ـ تلك المعاملة التى قلما شهد مثلها التاريخ

٣ ـ واذا دخلوا منزلا للتفتيش عن رجل أو للتنقيب عن أوراق نهبوا ماوجدوه من متاع ودراهم والحقوا بنسائه كل أنواع الأذى والامتهان حتى أصبحوا وياللعار يسوقون السيدات المصونات بدلا من أزواجهن الفارين

وكل ماذكرناه ياحضرة المندوب السامى من تشويه وجه الفضيلة وتسويد صحائف التاريخ وعدم مراعاة القانون والنظام لايساوى شيئا بجانب الأطفال الذين كاد أن يقضى عليهم رعبا وذعرا من القاء القنابل واطلاق المدفع التى كانت تصب نارها على البلدة من دون سابق انذار والتى كانت تنهال على السكان انهيالا مريعا لانهم لم يكملوا تسليم عدد البنادق التى فرضت عليهم فى مدة ساعتين فقط فكم من منازل عامرة خربت ونفوس بريئة قتلت فمن المسئول عن هذه الفظائع ياترى الخ

١٠

تدمير دمشق

اتسع نطاق حرب العصابات فى الغوطة اتساعا اقلق بال الفرنسويين فنقلوا جانبا من قواهم الكبرى فى حوران الى دمشق وأرصدوه لقتال العصابات ومطاردتها وأقاموا الأبراج حول المدينة للدفاع عنها

ودارت معارك عنيفة بين رجال العصابات والجند أحرق الفرنسويون فى خلالها قرى جرمانا والمليحة وزبدين وداريا ودير محدل فلجأ الشيوخ والأطفال من أبنائها الى دمشق وانضم الشبان الى رجال العصابات طلبا للثأر والانتقام فازدادت العصابات قوة كما ازداد الاضطراب فى دمشق فما كان سيل المهاجرين من القرى ينقطع أبدا

وازدادت الحالة حراجة يوم ١٤ اكتوبر فقد عادت القوات الفرنسوية التى خرجت الى الغوطة لمطاردة رجال العصابات ومعها ٢٤ جثة من جثث القرويين وقد قبضت عليهم فى رجوعها بعد انكسارها ، وأعدمتهم رميا بالرصاص ثم شدتهم على ظهور الجمال ودخلت بهم المدينة لتلقى الرعب فى القلوب ، فزاد ذلك فى الاستياء خصوصا بعد ما قال الذين عاينوا هذه الجثث انها مؤلفة من أخلاط لا علاقة لها بالثورة والعصابات وانما أراد قواد القوة من نقلها سترفشلهم وقد طيف بهذه الجثث فى أسواق دمشق ثم عرضت فى ميدان الشهداء وكان منظرها من أفظع المناظر وأشدها هولا ورعبا

ووصل الى دمشق يوم ١٨ اكتوبر الجنرال سرايل قادما من بيروت فقصد اذرع مباشرة فزار ومعه الجنرال غاملان مراكز الجيش وعاد فى الاصيل الى دمشق . وعلم الثوار بوصوله فقرروا أن يقبضوا عليه حيا بأى طريقة كانت ـ ولما كان من عادته أن يزور قصر العظم فى البزورية فقد دخلت عصابة حسن المقبعة الشاغور وتسلل رجالها

الى البزورية للقبض على الجنرال[1] فاشتبكوا مع الحامية التى أقيمت للدفاع عن القصر بمعركة حامية فقد بادرهم هؤلاء بالنار حينما رأوهم فقابلوهم بالمثل واضطرمت النار فى القصر بسبب اطلاق الرصاص . وقد استشهد فى هذه المعركة حسن المقبعة زعيم العصابة وكانت وفاته فاتحة المعارك التى حدثت بعد ذلك وأدت الى ضرب دمشق واحراقها

وبلغ عـدد الثوار الذين انتدبوا للعمل فى دمشق ٤٠٠ ربعهم من دروز الجبل والباقون من الغوطة وكانوا بقيادة نسيب البكرى . وانضم اليهم بعض أهـل الشاغور وباب السلام بزعامة حسن الخراط ومحمود سـلام وأبى عبـده ديب الشيخ وحسن المقبعة وقد أشرنا الى استشهاده

واشتد القتال فى أسواق دمشق الداخلية ولاسيما فى الأحياء الجنوبية أى فى الميدان والشاغور وباب السريجة بين الثوار والفوات الفرنسوية ودارت الدائرة على هؤلاء واستسلم رجال الدرك والشرطة للثوار فجردوهم من أسلحتهم . وبلغ الثائرون فى تقدمهم باب الجابية (وسط المدينة) وهددوا دار الحكومة والقلعة فلجأ الفرنسويون رجالا ونساء الى حى

(١) جاء فى مذكرات الجنرال سرايل عن هـذا الحادث ما نصه : « زار الجنرال سرايل الجبل ومعه الجنرال غاملان ثم عادا الى دمشق وقد رافق وصول القطار الى دمشق مناوشات شديدة فى الأحياء وكان ازيز الرصاص يصم الآذان فالتفت سرايل الى غاملان وقال :

ـ أتسمع الرصاص ؟ .. هذا ماأسميه أنا « الاستقبال الحافل » ؟

وأراد الجنرال سرايل أن يذهب تواً الى قصر العظم ـ تحت ازيز الرصاص ـ فتقدم اليه الليوتنان بيرو وقال له :

ـ ألا يريد الجنرال أن يعرف ما يجرى فى مركز القيادة أولا ؟

فقال الجنرال :

ـ ليكن ماأردت . . معك حق !

وذهب الجنرال الى مركز القيادة ، واذا بالثوار يهاجمون قصر العظم ، ويدخلون الجناح المعد لاقامة الجنرال

ولولا اشارة الليوتنان بزيارة مركز القيادة أولا لتبدلت الحالة

الصالحية وأقاموا حوله المتاريس والأسلاك الشائكة وأوقفوا الدبابات لحمايته . وحشدوا الجند للدفاع عنه ، ولما أدركوا أنه لاقبل لهم باخراج الثوار حربا أخذوا باطلاق القنابل على الجانب الذى يحتله الثوار فدمروه واضطروهم الى الجلاء عنه والرجوع الى الغوطة خوفا على المدينة من التهديم

ولما انتشرت أخبار هذه الكارثه المريعة فى العالم ريع واضطرب ونشر وصف ماوقع نقلا عن مكاتب جريدة التيمس اللندنية فى مصر فقد زار دمشق على الفور ووصف كارثتها بما نحمله بما يأتى قال :

« ان الانكسارات التى أصيب بها الفرنسويون والمقاومة التى لاقوها فى جبل الدروز قد أحدثت اضطرابا عاما فانتشر الثائرون خارج دمشق وانصرف الفرنسويون الى معالجة القرى التى أشتبهوا بأنها تلجىء رجال العصابات . ومنذ أسبوعين أحرق الفرنسويون قرى عديدة فى الجنوب الشرقى من دمشق وجلبوا ٢٤ جثة وطافوا بها على ظهور الجمال فى شوارع دمشق الرئيسية وعرضوها فى ساحة المرجه (الشهداء) وكانوا يقصدون من هذا المنظر الذى يثير كوامن الصدور أن يحذروا العناصر المقلقة ولكنه أفضى الى احداث تأثير يعاكس التأثير المقصود منه على خط مستقيم فقد هاج غضب الجمهور وسخطه . ومما زاد الطين بلة ان كثيرين من القتلى الذين عرضت جثثهم هم من أهالى دمشق . وبعد ثلاثة أيام من هذا العمل وجدت خارج «باب شرقى» اثنتا عشرة جثة من جثث الشراكسة الذين يستخدم الفرنسويون كثيرين منهم فى القتال كجنود غير نظاميين . فهذا الجواب على عمل الفرنسويين يدل على الروح السائد بين الذين أراد الفرنسويون أن يرهبوهم

وفى ليل ١٧ اكتوبر هوجم جنود من الفرنسويين وقتلوا فى أحد الاحياء المتطرفه وبعد قليل أطلقت النار على عدد آخر من الجنود وفى صباح اليوم التالى ظهر فى حى الشاغور ستون ثائرا وبعد قليل ظهرت عصابة من دروز جرمانا (قرية واقعة فى غوطة دمشق غير متصلة بجبل الدروز) فى حى الميدان وذهبت العصابتان الى الأسواق فى وسط المدينة وشجعهما على ذلك ان أناسا من أحياء أخرى هاجموا البوليس وجردوه من سلاحه

وجعلوا يطلقون بنادقهم فى الفضاء فبثوا الرعب والدعر ولم يكن أحـد يعرف فى الحقيقة ما كان يجرى . وكان عـدم الوقوف على حقيقة الحال سببا فى ازدياد القلق ويظهر ان الفرنسويين كانوا يعتقدون من قبل أن الجهور يوشك أن يقوم بحركة مهمة وان القوات التى تعمل ضدهم أكبر مما هى فى الحقيقة . على أن الذين راقبوا الحال مراقبة دقيقـة يرون ان عدد المغيرين لم يزد قط على خمسمائة

« وفى ظهر اليوم الثامن عشر من شهر اكتوبر أرسـل الفرنسويون الدبابات فجعلت تخترق الأسواق بسرعة هائلة وتصب نيرانها ذات اليمين وذات اليسار . وفى الساعة السادسة مساء بدأ الفرنسويون بضرب المدينـة العريقة فى القدم . ويؤخذ مما عرف حتى الآن انهم لم يستعملوا هذه المرة سوى القنابل الخالية من القذائف . ولـكن هذا الضرب لم ينقص قلق الجهور وذهوله واستمر الضرب الليل بطوله

«وفى صباح اليوم التالى سحبت جميع الجنود فجأة من المدينـة ومن جلتها احياء المسيحيين وحشدت فى حى الصالحية . ونقلت جميع عائلات الفرنسويين الى هـذا الحى ثم شرعت المدفعية من الساعـة العاشرة صباحا الى مدة أربع وعشرين ساعة تطلق القنابل المحشوة بالقذائف على المدينة وجعلت الطيارات فى الوقت نفسه تمطر القـذائف وتطلق الرشاشات

« وفى ظهر اليوم العشرين من اكتوبر انقطعت النيران وهى الهدنة التى تسمى هدنة الاربع والعشرين ساعة

« وقد تركت قذائف المدفعيات وأعمال المغيرين آثارا لا تمحى . ورأيت هذه الآثار فى كل ناحية فاحدثت كآبة فى نفسى . فجميع المنطقة الواقعة بين سوق الحيدية والشارع المسمى المستقيم (سوق مدحت باشا) أصبحت خرابا وجميع ما فى السوقين من المخازن قد دمرته نيران الدبابات أو قذائف المدفعيات مخزنا بعد مخزن . وأصيب حى الشاغور باضرار عظيمة وكاد سوق الخراطين يصبح كله كومة رماد . وترى المنازل منزلا بعد آخر على وشك الدمار لأن القنابل قـد خرقت جدرانه ولا شـك انها قنابل المدافع الفرنسوية . على أن الجامع الاموى العظيم قد نجا لحسن الحظ من النار ولـكن جامع السنانية الجميـل أصابت

احدى القنابل قبتــه ففتحت فيها فوهة عظيمة ومرت القنابل الأخرى فى نوافذه الجميلة المصنوعة من الفسيفساء . أما الخسارة التى لا تعوض فهى قصر آل العظم فلم يبق فيــه شئ ما من كنوزه فقــد نهب بعضها وأتلف البعض الآخر ولم تترك منــه قذائف المدافع سوى جــدران مكان الحريم . وتحول الى خراب . وأصيب سوق الــبزورية باضرار عظيمة . ودمرت منازل العائلات المشهورة كعائلات الركابى والبــكرى والقوتلى تدميرا تاما . فالألفاظ تعجز عن الاحاطة بالمعانى التى يوصف بها المنظر الذى تظهر به الآن تلك المدينة المقدسة

« ومن الصعب تقــدير الخسائر التى وقعت من جراء تدمير الأبنية . وكثيرون من الثقات من كل نزعــة يقولون انها تتراوح بين مليون ومليونين من الجنيهات التركية الذهبية .

«ولم يعرف من القتلى الأجانب سوى رجلين طرابلسيين ورجل انــكليزى واحد جريح

«واذا كانت الجاليات الأوربية قد استطاعت النجاة بسهولة فما ذلك بفضل الفرنسويين وحسن تصرفهم بل بتوسط المسلمين وخدماتهم الطيبة فقد سلــكوا ســلوكا باهرا وجعلوا يبادرون بأنفسهم الى توطيد النظام والسهر على الراحة فى حى المسيحيين بعد ما انسحب منه الجنود . وجوه من كل من حاول أن يدخل اليــه بقصد النهب . وبادر بعض رجال البوليس من المسلمين وأخــذوا الأوربيين الى أماكن يأمنون فيها . فجميع الأوربيين الذين لقيتهم يمتنون كل الامتنان من هذه المساعدة التى لقوها من المسلمين . وفى حين أن الاوربيين فى دمشق لايستطيعون أن يعبروا عن كل مايخالج نفوسهم من الامتنان للمسلمين تراهم يظهرون استياء عظيما من ضرب مدينــة مفتوحة كدمشق ذات أماكــن معروفة رسميا بانها مأهولة بالاوربيين ومع ذلك ضربت بالقنابل . وقد سحبت جميع الجنود من أحياء المسيحيين وضربت أماكن الاوربيين بدون أقل انذار سابق

« والظاهر أن السلطة الفرنسوية قابضــة على زمام الحالة ولــكن لم ير الى الآن مايدل على عودة الحال الى مجراها الأصلى . نعم انه فى وسع الفرنســويين أن يحتفظوا عنوة بالسلام فى دمشق ولــكن مفتاح الحالة كلها فى سورية هو جبل الدروز ، فما دامت الحالة لم تستقر فيــه فستستمر القلاقل من وقت الى آخر أو تزداد . ويرى العارفون أن

فرنسا تحتاج الى قوات أكبر من القوات الحالية لاخضاع الجبل والاحتفاظ بالسلام فى بقية البلاد التى كثرت فيها العصابات الآن . ومع ذلك فى الامكان تذليل العقبة فيما يتعلق بجبل الدروز من دون التجاء الى وسائل القمع لان هذه العقبة انما قامت لان الفرنسويين لم يقدروا حالة الدروز النفسية حق قدرها وأصروا على اخضاع شعب اشتهر بعزة النفس والرجولية ، فاذا استطاعوا معالجة الأمر بحكمة أمكنهم تحويل الدروز من خطر مقيم الى حلفاء »

صدى الكارثة فى فرنسا

ولما وصلت تفاصيل الكارثة الى باريس اضطربت لها الدوائر السياسية وعالجتها الصحف وكتبت عنها المقالات . وننقل بعض ما كتب لتأييد مدعانا فقد أنشأت جريدة الماتان مقالة عنوانها « ان الفضائح فى سورية قد طال وقتها » وأخرى عنوانها «ان الجنرال سرايل لعجزه عن متابعة سياسة رشيدة يضر كثيرا بسمعة فرنسا » وقالت فيها ان فى العالم الآن تناقضا يضر بمكانة فرنسا وكرامتها ، فبينما جمعية الأمم برياسة فرنسا تعمل لاجتناب وقوع حرب اذا بالجنرال سرايل المعهود اليه فى ادارة بلاد وكلت جمعية الأمم امرها الى فرنسا يثير بسلوكه على فرنسا حملة عداء عامة . نعم انه يوجد صحف سرها أن تحمل على فرنسا وتردد الأخبار الغريبة المبالغة التى تذيعها جمعيات عربية فى فلسطين والعراق ، وقد سأل مندوبو الصحف المسيو بانليفه أمس عن حوادث سورية فلم ينفها وقال ان الحالة دقيقة جدا ولم يكن فى وسعه أن يزيد على ذلك شيئا لان الجنرال سرايل فى تقاريره يتكلم عن حالة الجو وغلاء المعيشة ويرى فيما يتعلق بالحوادث أن يكتفى بكتابة سطرين فى اطلاع الحكومة الفرنسوية على الحوادث العظيمة الخطورة

«لقد كان من الواجب طبعا حماية مدينة دمشق من الدروز ولكن الدروز ما كانوا زحفون الى دمشق لولا الأساليب الادارية المكروهة التى اتبعها الجنرال سرايل. ولما بلغت الحال مابلغته من الخطورة كان لابد من العمل وطرد المعتدين،ولكن هل كان على أصحاب الانتداب الممنوح من جمعية الأمم أن يطلقوا قدائف المدافع على حى كامل يقيم فيه النزلاء الأوربيون بدون انذار سابق وأن يجعلوا فرنسا عرضة للاهانة الناشئة عن الاحتجاج

المقدم من قناصل الدول فى دمشق بواسطة عميدهم قنصل المانيا . ولا يمكن أن يكون للحزبية أوللصداقة شأن بازاء فضيحة تزداد ظهورا فى سورية

«ان الجنرال سرايل يعمل كمن يريد أن يقضى على سمعة فرنسا وقد باحث المسيو بريان أمس المسيو بانليفه فى موضوع هـذه الحوادث الموجبة للأسف ولم يكن ذلك أول مباحثة فى هذا الشأن فان المسيو بريان فى مركز يجعله يقدر أكثر من غيره الاضرار التى تعود على نفوذ فرنسا من جراء هوس الجنرال سرايل

«ويود الرأى العام أن يعرف ان المسيو بريان تمكن من اقناع المسيو بانليفه بحقيقة قائمة على تحقيق دقيق . ومامن أحد يزعم أن الفتنة يجب التهاون فى قمعها ولكن شهود العيان القادمين من سورية مجمعون منذ أشهر عديدة على عد الجنرال سرايل عاجزا عن درء مثل هذه الحوادث عجزه عن منع تكررها»

ونشرت جريدة « الايكودىبارى » مقالة للمسيو دى كريليس عنوانها « من الذى يوحى الى سرايل » قال فيها ان الأنباء الصريحة التى جاء بها أمس رجل من الثقات غادر دمشق فى ١٧ اكتوبر تؤيد بعض المعلومات التى نشرتها جريدة « البمس » فان الجنرال سرايل هو الذى أثار فتنة دمشق بالتدابير الهمجية التى اتخذها اما للانتقام من القرويين فى ضواحى المدينة الذين أرعبتهم العصابات فاضطروا الى مدها بالمؤن واما لاتباع أساليب الارهاب لما لاح له شبح الثورة فى المدينة

«وقد أصدر الجنرال سرايل فى أوائل شهر اكتوبر أمرا الى الفصائل الشركسية والسورية باحراق قرى جرمانا والمليحة وزبدين وداريا . وحدث فى قرية دير خبل من قرى الأمير كاظم حفيد الأمير عبد القادر الجزائرى أن جميع منازلها صب عليها البترول وأضرمت النار فيها بلا استثناء فأصبحت أكواما من الرماد

«وفى خلال ذلك كثرت حوادث الاعدام السريع رميا بالرصاص وقد شهد الدمشقيون فى يوم ١٤ اكتوبر منظرا تنخلع له القلوب وهو منظر اثنتين وعشرين جثة من جثث القتلى عرفوا بينها جثث كثيرين من المكارين والقرويين المعروفين فى سوق المدينة وقد سير بهذه الجثث فى الشوارع وهى فى حالة عرى تام وقد [illegible] فى [illegible] جمال .

فسار هذا الموكب المفجع تخفره قوة من الجند ثم وقف فى الساحة العمومية حيث صفت الجثث وعرضت على الجماهير

«ومن ذلك الحين أخذ السخط والحنق من نفوس العامة فى أحياء المدينة مأخذه فترك الناس أعمالهم وأقفلت المخازن واتخذت المدينة ذلك المظهر الذى ظهرت به فى أيام الفتنة

وفى ١٧ اكتوبر أسر الثوار جنود فصيلة فرنسوية فمثلوا بجنودنا التعساء وجاءوا بجثثهم وطافوا بها فى أحياء المدينة التى ثارت كلها . وتبدوا من ذلك الظروف والأحوال التى أدت الى ذبح جنودنا والى مصائب لايمكن تلافيها بخطأ الجنرال سرايل المنكود وهى أحوال تعود المسئولية فيها اليه

« انه دبر فى ١٣ يوليو مكيدة دنيئة للدروز بغية القبض على ممثليهم الذين هزأ بهم وأهانهم قبل ذلك واختطف منهم ميثاق الضمان فقبض عليهم وأودعهم السجن بعد مادعاهم الى ابداء مطالبهم . وكانت نتيجة ذلك أن الدروز انتقموا لأنفسهم فأبادوا فصيلة الضابط نورمان وأخرجوا الفرنسويين من جبلهم

« و بين اليوم الثامن واليوم الرابع عشر من شهر اكتوبر لجأ الجنرال سرايل الى احراق القرى فى ضواحى دمشق ودبر ذلك الموكب المفجع من الجمال المحملة جثثا أو سمح به فانتقم السكان العرب من جنودنا التعساء وثاروا ثورة عامة . فما أسوأ ذلك التدبير وتلك الغريزه التى أوحت الى الجنرال سرايل مأساة جبل الدروز تلك المأساة التى تعود أسبابها الى اهماله التام وعدم مبالاته به

« وتحرج الموقف بعد ذلك ولكن عناده المقرون بالحق والقسوة والفظاظة منعه من الاعتراف بخطأه فى عدم تبصره فى تلك الحوادث وعدم عده اياها من الحوادث الخطيرة

« وماذا يستطيع الجنرال سرايل أن يجيب عن هذا السؤال البسيط وهو : لماذا حينما أظهر لك الضباط والموظفون مافى عنادك من الحق وأبلغوك أن الثورة على وشك النشوب ودعوك لمشاهدة الحالة بعينى رأسك لم تذهب وتعاين تلك الحالة ؟ ولماذا لم تذهب من ثلاثة أشهر من دمشق الى السويداء والمسافة بينهما لا تستغرق أكثر من ثلاث ساعات بالأوتوموبيل ؟ »

وأنشأت جريدة الطان وهى شبه رسمية مقالة طويلة عن حوادث سورية فقالت «اننا لانبالغ اذا قلنا ان الحالة توجب القلق الشديد ولا بد من البحث فى أسبابها ونتائجها فأما الأسباب فلا شك فى أن الحالة الحاضرة ترجع أسبابها الى عمل ممثل فرنسا شخصيا والى السياسة التى اتبعها ويلوح الآن لكل من هو بعيد عن التحيز أن مسئولية الجنرال سرايل مرتبطة بأصل مسئلة الدروز ارتباطا يوجب الأسف وأن التأثير الذى أحدثته هذه المسئلة فى خارج جبلهم يدل بوضوح على أن فى الدول السورية الأخرى استياء ونفورا من الدولة المنتدبة ولا يمكن تفسير ذلك الاستياء وذلك النفور الا بالأغلاط وضروب الاهمال الخطيرة التى ارتكبت فى تنفيذ الانتداب»

وكتبت جريدة «اكسيون فرانسز» تقول ان الحكومة كذبت أمس الأول الأخبار السيئة الواردة عن سورية وذكرت أن الحالة حسنة جدا فيها كلها وفى دمشق بنوع خاص . وهكذا يكون الجنرال سرايل والمسيو بنليفه قد كذبا على الرأى العام مرة أخرى

وقال المسيو «سان بريس» فى جريدة الجورنال ان الجنرال سرايل طلب قبل بضعة أيام نجدات جديدة ١٥ ألف جندى وقد تساءل المسيو سان بريس قائلا : هل صحيح ماتقوله الصحف الانكليزية من أن الجنرال سرايل أهمل أبسط قواعد حقوق الانسان فأمر بضرب دمشق قبل أن يصدر انذارا بذلك لكى يجلو الأطفال والنساء منها وهل صحيح انه لم يبلغ قناصل الدول ماعزم عليه قبل تنفيذه ؟

ويقال فوق ذلك أن العمل أدى الى احتجاج القناصل وتقديم هذا الاحتجاج الى ولاة الأمور على يد قنصل المانيا بصفته عميد القناصل . فهل صحيح ان الجنرال سرايل طلب استدعاء قنصل المانيا لهذا السبب ؟ ان هذه المسائل كلها تحتاج الى جواب صريح واضح

تقرير الجنرال غاملان

ونرى من المفيد بعد الذى نشرناه من أقوال الصحف الانكليزية والفرنسوية عن هذه الكارثة المريعة أن نثبت ترجمة التقرير الرسمى الذى أرسله الجنرال غاملان القائد العام للجيش الفرنسوى فى سورية عن ضرب دمشق وحوادث الغوطه المقرنة ولاقامة الدليل

على أنه لا قيمة لهذه التقارير الرسمية التي يحتجون بها :

قال الجنرال في تقريره الى وزارة الحربية يوم ٣٠ اكتوبر :

« ثارت الاضطرابات في دمشق يوم الاحد في ١٨ اكتوبر فأحدثت أزمة شديدة دامت ٤٨ ساعة

« وقد دلت التعليمات على أن هذه الاضطرابات قد ثارت بدافع خارجي من جهة ، وبدافع بعض العناصر الدمشقية التي تغتنم كل فرصة للمشاغبة على السلطة من جهة أخرى

« فقد دخلت بعض العصابات المسلحة الأحياء والأسواق ، وخاصة الشاغور والميدان فتبعهم قسم من الغوغاء في هذه الأحياء بقصد السلب والسرقة ، ولولا حزم السلطة لكانت الحالة خطيرة

«وقد أطلقت القلاع مدافعها على الأحياء الثائرة ، واشتركت الطيارات في هذه العملية ، فأرغم هذا التدبير طائفة من الوجهاء على مراجعة السلطة والموافقة على الشروط المفروضة

«ومنذ ذلك التاريخ ازداد عدد العصابات في ضواحي دمشق وحماه ، وكان الثائرون في القرى الدرزية « المليحة وجرمانا وجسرين » يلقون كل مساعدة من الجبل

«وقد اضطر القائد العام في هذه الظروف أن يحشد قسما من الجيش في دمشق ، لملاحقة الثائرين في ضواحيها . فوصلت الى دمشق في ١١ اكتوبر الفرقة الثانية ، وكتيبة من الشراكسة ، وفي ١٥ منه وصلت فرقة من الكتيبة السادسة ، ثم وصلت في ١٦ منه فرقة أخرى من الكتيبة السادسة ، وكتيبة من السباهيين ، وكانت هذه النجدات كلها بمثابة فرق محافظة في بادئ الأمر ، ثم أصبحت بعد أمد قريب مكلفة بمقاومة الثائرين وتوطيد الأمن في دمشق وضواحيها

«وفي ١٣ منه أرسلت قوة من الجيش الى جسرين — حيث يقيم بعض الثائرين — فتوفقت الى القبض على ١٠٦ منهم . وعادت بأربع وعشرين جثة أما خسائرنا فقد كانت طفيفة

«وأعيدت الحملة فى ١٤ منه،فأحرق الجيش قرية المليحة،بعد أن ثبت ثبوتا لايحتمل الشك اشتراكها مع الثائرين فى معظم أعمالهم

«وقد طلب الى قرية جرمانا أن تسلم بنادقها فلم تفعل فاضطررنا الى احراقها فى ١٥

«وفى ١٧ منه أرسلت فرقة ١١ – ٢١ الى دوما با كراء وزارت قرى سقبا وجسرين وسواهما ، بينما كانت كتائب الشركس تحل جرمانا وتقاتل بعض الذين أقدموا على احتلالها

«وقامت الثورة فى دمشق فى ١٨ منه بهجوم على قصر العظم ، وأطرافه كان القصد منه ، كما تبين ، الوصول الى المفوض السامى وقد استمرت ٤٨ ساعة

«وقد وضع تحت تصرف نسيب البكرى ورمضان شلاش منذ أمد غير قريب ، عدد لاباس به من العصابات كان من الصعب ملاحقتها والقضاء عليها بالرغم من كل التدابير

«ثم بدأت منذ ذلك التاريخ الاعتداءات على رجال الجيش المنفردين

«وقد ثبت الآن أن تلك العصابات كانت تدخل دمشق من جهة الشاغور والميدان ، بمساعدة بعض الأهالى الذين « يشاركونها » فى أعمالها . وكانت تهاجم الجند المنفرد فى الأحياء والأسواق

«وفى ١٨ منه وصل المفوض السامى قادما من بيروت وذهب توا الى أدرع ودرعا يزور مراكز الجيش و برفقته الجنرال عاملان فكان الثائرون يحاولون بشتى الوسائل الوصول اليه

«وقد أكد لنا اذ ذاك أن كمينا هيئ فى القدم لمهاجمة القطار الذى يقل المفوض السامى من درعا الى دمشق . وانه لولا تأخر القطار لتمت هذه المؤامرة ، وتم الهجوم على القطار

«وحدث – لحسن الطالع – أن المفوض السامى أراد أن يزور مركز القيادة قبل زيارة قصر العظم .. فنجا من الهجوم الذى هيأه الثوار بعد الظهر ، واشترك فيه – من الأسطحة – القسم الأكبر من البيوت المجاورة

«وقد أرسلت نجدة لقصر العظم وكان الرصاص يتساقط عليها من النوافذ والحوانيت فى تلك الأسواق الضيقة ، حتى ان بعض الجنود قد أصيبوا وهم فى داخل سيارة الاسعاف

«و بعد أن تم للثوار مهاجمة قصر العظم، انتشروا فى بعض الأحياء وأخذوا يطلقون رصاصهم حول القلعة وحول مركز القيادة ، من النوافذ والأبواب والأسطحة ، ثم أقدموا فى النهاية على اضرام النيران فى حى الأرمن فى القدم

«وفى منتصف الليـل عاد الهدوء الى المدينة ، شيئا فشيئا حتى اذا ماانبلج الفجر استيقظت المدينة كعادتها هادئة ساكنة

«وقد كانت السلطات المحليـة هى التى تقوم بالدفاع فى هذا اليوم . أما أعمال القيادة الفرنسوية فقد انحصرت فى انقاذ قصر العظم ، وتقوية الحامية فيه ، وانشاء المتاريس حول الحى الأوربى والمؤسسات الفرنسوية الأمر الذى حال دون اتساع الحركة وانتشارها

«وفى اليوم التالى حشدت وحدات الجيش ، واحتلت المراكز الهامة بشدة ، وهيأت مدافع القلعتين والطيارات للعمل عند أول اشارة

«و بالرغم من جميع هذه الاستعدادات فقد عاد الثوار لاطلاق رصاصهم هنا وهناك وأخذوا يحاولون اعادة الهجوم على قصر العظم

«وقد شبت النيران هذه المرة فى جوار قصر العظم والقلعة ، وقام بعض السكان يغتنمون هذه الفرصة السانحة لاصطياد « الرومى »

«وقد ثبت بصورة لا تدعو الى الشك أن بعض رجال الدرك السورى كان على اتفاق مع الثائرين

«ومما ساعدنا على حصر الثورة فى نطاق ضيق ، محاصرتنا للثوار فى أحياء الشاغور والميدان ، والعمارة واتخاذ كل التدابير التى نستطيعها لقمع الحركة ، والحيلولة دون امتدادها وانقلابها الى ثورة عامة

«ومما تجدر الاشارة اليه هنا اننا بالرغم من استعمال المدافع والطيارات فقد حاولنا جهد المستطاع أن تكون الخسائر فى الأرواح والأموال طفيفة لا تذكر

«و بناء على أوامر مسيو أو بوار فى اتخاذ كل تدبير يؤدى الى انهاء الثورة ، ساد الهدوء فى المدينة بأقل من ٢٤ ساعة

«وقد اضطررنا فى هذه الظروف لاستعمال المدفعية، لان هؤلاء الذين يطلقون رصاصهم

علينا من النوافذ والأسطحة لايمكن الوصول اليهم بغير هذه الوسيلة . فاطلقت مدافع القلعة قنابلها على جوار قصر العظم ، وألقت الطيارات قذائفها على الشاغور

«أما حامية قصر العظم فقد أحاطت بها النيران من كل حدب وصوب ، وانقطعت عنا أخبارها

«وقد أنذرنا العائلات الأوربية بالالتجاء الى المراكز العسكرية قبل اطلاق القنابل ولم يكف الثائرون رغم كل هذه الانذارات عن اطلاق رصاصهم فى سوق الحميدية ، ومدحت باشا ، والشاغور ، والميدان ، والعمارة . فاضطررنا لاعطاء الأوامر للقلعة بمتابعة القاء القنابل على جوار قصر العظم وعلى الشاغور والميدان وأشرنا على قائد المدفعية بأن يجعل القنابل شبيهة بقنابل التجارب ـ شديدة الصوت ، قليلة الأذى ـ لالقاء الرعب فى نفوس السكان

«ويظهر أن متابعة اطلاق المدافع قد هدأت الحالة كثيرا وأوصلتنا الى النتائج المطلوبة

«فى الساعة الثامنة صباحا جاء وفد الى مركز القيادة العليا، وعلى رأسه الأمير سعيد حفيد الأمير عبد القادر ، ثم جاء وفد آخر على رأسه حقى العظم ، وطلبا ايقاف اطلاق القنابل ، فعقد اجتماع برياسة مندوب المفوض ، وافق فيه مندوبو دمشق على دفع غرامة قدرها مئة ألف ليرة تركية ذهبا وتسليم ثلاثة آلاف بندقية . وقد اشترطنا عليهم أن يتم تسليم هذه الغرامة صباح السبت فى ٢٤ منه والا عدنا الى اطلاق القنابل

«وقد دفعت الغرامة فى الوقت المعين . ولم يتمكن المندوبون من جمع البنادق فى الوقت المحدد . فتدخلت دائرة الاستخبارات فى الأمر ، وأخذت تبحث عن البنادق ، وتفتش الدور

«ومنذ ذلك الحين ودمشق هادئة . وقد عاد التجار الى فتح حوانيتهم بعد تردد طويل .

«وقد أصيبت بعض الأحياء بالخسائر . وكان القسم الأكبر منها من جراء النيران التى أضرمها الثوار والسالبون

«أما الطيارات والمدافع والمصفحات ، فليست مسؤولة الا عن قسم صغير من هذه الخسائر

«وقد عنت القيادة العامة بألا تعمد اليها الا عند الحاجة الماسة، وتمكنت ـ مع هذا ـ من أن تصل الى النتيجة المطلوبة فى حصر الحركة بأقل النفقات والخسائر والحيلولة دون تحرك « الأفاعى الدمشقية » الحقيقية ـ اهـ

الجنرال سرايل والانكليز

ولقد حاول الجنرال سرايل ومن ورائه بعض الموظفين الفرنسويين أن يلقوا تبعة ماوقع على الانكليز زاعمين أنهم هم الذين دبروا الثورة وشحن الجنرال مذكراته بوثائق عديمة القيمة استند فى كتابتها الى درزى قال انه استسلم للسلطة وأفضى اليها بكل ماعرفه من أسرار . ولسنا فى حاجة بعد كل ماقدمناه الى اضافة شىء لاقامة الدليل على أن الفرنسويين هم الذين أوقدوا الثورة السورية بسوء تصرفاتهم وفساد الخطط التى جروا عليها واستهانتهم بكرامة الأمة . على أنه اعترف فى بعض المواقف بأن سبب الثورة هو الخلاف بين ضباط الاستخبارات على منصب حاكم جبل الدروز وتآمر الموظفين الفرنسويين عليه . وهذا بعض ماجاء فى تقريره الخاص الى وزارة الخارجية الفرنسوية :

« فأنا أعترف بخطئى . لقد تركت فى المراكز الهامة وفى الجيش موظفين وضباطا يكرهوننى كل الكره ويحاولون الايقاع بى

« ولقد كنت أعرف ذلك . ولكنى لم أتخذ حفهم أى تدبير ظنا منى أن هؤلاء اذا كانوا يكرهوننى ، فانهم لا يكرهون فرنسا . وقد كنت مخطئا فى هذا الظن

« وأنا لاأتهم دون أن أذكر الأسماء . فانى مضطر فى مثل هذه الظروف للتصريح بتلك الأسماء وها أنا أذكر هؤلاء واحدا بعد آخر . .

« ان الخطأ الذى ارتكبته فى سورية هو ابقائى على بعض الموظفين الذين يكرهوننى ، ويسعون للايقاع بى

«وأول هؤلاء المسيو غوتيه ، المندوب المساعد فى دمشق ورئيس الغرفة السياسية فى المندوبية

« فقد كان هذا الموظف رئيس « جماعة » تعمل على مخالفة تعليماتى فى الجبل وتأييد سياسة الكبتن رينو ، وهى سياسة التعاون مع عائلة الأطرش التى يرغب رجالها فى الوصول

الى الحكم ، ذلك الكبتن الذى أثار الشعب فى دمشق ، وحاول مفاوضة الدروز الثائرين لتوطيد السلام بأى ثمن .. ولو قضى هذا السلام على مركز فرنسا ومكانتها

«ولقد أشرت اليكم فى تقرير سابق أن السبب الأساسى فى اضطرام نيران الثورة الدرزية ، كان عبارة عن خلاف بين ضباط الاستخبارات

« فقد كان أحدهما يريد مركز الآخر . وهو الكبتن رينو نفسه ، وكان يرغب فى الوصول الى أغراضه ، بالتقرب من عائلة الأطرش وكان كربيه يبعدها عنه

«ولقد كان فى عمل هذا الضابط بالنسبة لنفسه على الأقل شىء من المنطق

« فهو يريد مركز الآخر ، والوسيلة الوحيدة للوصول الى هذا المركز هو أن يبدل سياسة هذا الموظف الآخر . ومن هنا نشبت الثورة

« على أن من يظن أن الدروز ـ وخاصة عائلة الأطرش ـ سيعمدون الى الهدوء والسكينة اذا عين الكبتن رينو حاكما فى الجبل ، لايعرف الدروز ، ولايعرف أحوالهم

« فلو عين الكبتن رينو حاكما لوجد الدروز حجة أخرى لاثارة الثورة »

وشكا الجنرال أيضا من تصرفات المستر سمارت قنصل انكلترا فى دمشق يومئذ وقال انه عمل لابدال الانتداب الفرنسوى لسورية بانتداب انكليزى وكان يقول قبل ضرب دمشق بالقنابل ان الفرنسويين لا يجسرون قط على اطلاق القنابل عليها

والتقرير الذى وضعته القناصل على أثر حوادث دمشق بطلب دولهم أثبت ما ذهبنا اليه وقرع الفرنسويين على ضربهم البلد من غير انذار وتركهم أحياء المسيحين تحت رحمة الثوار واعترف بأن المسلمين تولوا حماية هؤلاء فلم يصبوا بأقل أذى وكان حسن الخراط نفسه يطوف أحياءهم ويقول لهم أنتم اخواننا

استرعاء الجنرال سرايل وتعيين المسيو دى جوفنيل

لما وقع ما وقع من اعلان الثورة وانتشار الهياج والاضطراب فى كل مكان من سورية وارتفعت الأصوات فى فرنسا مطالبة باقالة الجنرال سرايل ذهب المسيو بانليفه رئيس مجلس الوزراء ووزير الحربية يومئذ الى المسيو هريو «رئيس الوزارة التى عينته لسورية » وكان يصطاف فى أحد المصايف يسأله أن يوافق على استدعاء الجنرال سرايل

لأنه لم يعد فى الطاقة المحافظة عليه فرفض هذا اجابة ملتمس رئيس الوزراء وقال انه يعد كل قرار تقرره الوزارة فى شأنه استهجانا صريحا للسياسة التى انتهجها فى أثناء وزارته فعاد المسيو بانليفه غير مرتاح الى نتائج زيارته وصبر على مضض حتى وقعت كارثة دمشق الكبرى وقام العالم المتمدن وقعد لها فأقدم حينئذ على استدعاء سرايل الى باريس « لتقديم معلومات عن الحالة » كما جاء فى بيان شبه رسمى صدر يومئذ

وفى يوم ٨ نوفمبر غادر الجنرال سرايل بيروت بالباخرة سفنكس عائدا الى فرنسا.وفى يوم١٨ منه ذهب الى مجلس النواب الفرنسوى مصحوبا بالمسيو بريان والمسيو ديلاديه للمثول أمام لجنتى الخارجية والجيش البرلمانيتين فسأل النائب فرى فى أول الجلسة هل يقدم الجنرال كتبهم أملا فقال المسيو بريان انه يتقدم الى اللجنتين لمجرد تقديم البيانات التى أبدتا الرغبة فى سماعها وأن الحكومة تحتفظ بكل أنواع المسئولية وقد شكا الجنرال فى تصريحاته من الصعوبات التى صادفها سلفاه وصادفها هو أيضا وأوضح نصيب معاونيه من التبعة والمسؤولية فى الحوادث الأخيرة وأسهب فى بيان الاغلاط التى ارتكبها الموظفون المدنيون والعسكريون وخصوصا الكبتن كربيه وأشار الى بعض الاغلاط الادارية وأثنى على الجنرال ميشو ونوه بشجاعته وذكر ان جوادين قتلا تحته فى المعمعة وقال ان ثورة الدروز ناشئة من اختلاط الاجناس والاديان وهو اختلاط يجعل سياسة أهل البلاد وحكمهم من أدق الامور ثم ذكر مقابلاته مع أسرة الاطرش لاخماد الثورة فى بدئها ومن سوء الحظ أن أعضاء هذه الاسرة كانوا على اختلاف تام فلم يتمكن من أن يسعى سعيا وافيا بالغرض ثم ذكر ان للحزب الاسلامى كثيرين من الانصار وان ذلك نشأ عن الحرب الحالية بين فرنسا والريفيين وقال ان انقاص القوات الفرنسوية كان من الوجهة العسكرية السبب الاكبر للصعوبات التى لقيها الفرنسويون وان الجنود الوطنية فى الفرقة السورية ليست الا بمثابة التكملة وسد النقص فى عدد هذه الفرقة وان الآلايات المؤلفة من جنود المستعمرات ليس لها لدى أهل سورية مكانة تعادل مكانة الجنود الفرنسوية

وقال عن ضرب مدينة دمشق بالمدافع ان ثمانى قنابل أطلقت على المدينة فى اليوم الأول منها أربع أطلقت قبل الظهر وأربع أطلقت بعد الظهر ثم تقرر استئناف ضرب المدينة فى اليوم التالى لأن الثوار استمروا فى اثارة الاضطرابات ومن سوء الحظ أن بعض مطلقى

لمدافع لم تسكن لهم الدربة اللازمة فبسبب الخطأ فى التسديد والتصويب طاشت مئة وخمسون نبلة فى المدينة فنزل العطل والضرر بمئتين وخمسين منزلا وأصيب ١٥٣ شخصا . ثم قال انه لأعادة النظام فى سورية يكون من الغلوأن يقال انه يجب أن يكون هناك سبعون ألف جندى أى عدد الجيش الذى كان لدى الجنرال غورو ولكن الجيش الموجود الآن وعدده عشرون ألفا هو جيش لا يكفى - اه

وتقلد منصب المندوب السامى الجنرال ديبور - وقد جاء من باريس فى شهر اكتوبر بأمر وزارة الحربية للتحقيق عن الحالة - من يوم ٢ نوفمبر وظل فيه حتى وصل المسيو دى جوفنيل المندوب السامى الجديد الى بيروت يوم ٢ ديسمبر قادما من فرنسا

وكان أول ما عمله هذا أن كتب الى وزارة الحربية طالبا ارسال ٥٠ ألف عسكرى على جناح السرعة لاخماد الثورة فلبت طلبه وبدأت ترسل النجدات تدريجا

١١
معارك اقليم البلان و وادى التيم

وموقف بعض نصارى لبنان من الثورة

مما امتاز به الدروز عن بقية الطوائف السورية اختيارهم السكنى فى رؤوس الجبال فهم ينزلون ثلاثة جبال متجاورة: جبل حوران وجبل الشيخ وجبل لبنان. ويكادون يكونون منفردين فى الجبلين الاولين : جبل حوران وجبل الشيخ . اما فى جبل لبنان فيؤلفون الاكثرية فى بعض مناطقه الوسطى وبعض جهات الساحل وفيما عدا ذلك فالاكثرية المطلقة للموارنة

ومن تقاليد الدروز أن يتواصلوا ويتعاونوا ويشد بعضهم ازر بعض فى النائبات والملمات ، فاذا نزلت بسكان جبل الشيخ نازلة يكفى ان يضرموا النار فى رؤوس الجبال فيشاهدها أبناء عمهم دروز جبل حوران فيسرعوا شيبا وشبانا لنجدتهم والدفاع عنهم ويبذلوا أرواحهم فى سبيلهم لايرجون جزاء ولا شكورا

ولقد كان دروز اقليم البلان[1] او جبل الشيخ اول من لبى داعى الثورة فاسرع عدد غير قليل منهم الى جبل الدروز لتأييد بنى الاعمام فاشتركوا فى معظم المعارك الاولى فساء ذلك السلطة الفرنسوية فوزعت السلاح على المسيحيين من قرى الاقليم واغرتهم بقتالهم ايقاعا للشقاق بين ابناء البلاد

ولما تم للدروز اجلاء حملة الجنرال غملان عن جبالهم فى شهر سبتمبر واتقوا كل خطر

....

(١) يطلق هذا الاسم على المنطقة الممتدة غربى دمشق الجنوبى وتشمل قضاء وادى العجم وعاصمته قطنا وتبعد عن العاصمة ٢٠ كيلو مترا وقضاء القنيطرة وتبعد عنها ٦٥ كيلو مترا وتتبعه سفوح حرمون الشرقيــة وسكانها من الدروز . أما سكان السهل فهم من الفلاحين السنيين ومن النصارى والبدو والشراكسة والتركمان وغيرهم

ن ناحيتها ، فقد شغل الفرنسيون فى هذه الفترة بحوادث دمشق والغوطة وحماه والنبك عن كل امر آخر ، قررت القيادة العليا للثورة تسيير حملة الى اقليم البلان ووادى التيم فتضع حدا للاضطهاد الذى يعانيه الدروز من سكانهما ولنشر راية الثورة فى ارجائهما

ففى أواخر شهر اكتوبر تم تأليف الحملة بقيادة زيد الاطرش وقد انضم اليها من مشاهير رجال الثورة صياح الحمود الاطرش وفؤاد سليم ونزيه المؤيد وفضل الله الاطرش وعلى عامر وأسعد الاطرش وشكيب وهاب وحمزة الدرويش والامير حسن الاطرش وغيرهم وغادرت الجبل متجهة نحو الغرب فاحتلت اقليم البلان واتخذت قرية مجدل شمس (قرية درزية كبيرة فى سفح جبل الشيخ) مقرا لها وكانت مهمتها هنا قاصرة على منع اعتداء الفرنسويين عن السكان واستمالة الشراكسة وحمل الامير محمود الفاعور على تأييد الثورة والانضمام اليها .

وبعد ما وطدت الحملة اقدامها فى الاقليم اتجه جانب منها الى وادى التيم [١] فاحتل حاصبيا الى يوم ١١ نوفمبر بدون مقاومة ، لان قائد الحامية الفرنسوية لجأ الى الشيخ حسين قيس كبير شيوخ الدروز فى الوادى طالبا حمايته حينما عرف بتقدم الثوار، وكانت قوته قليلة فحماه وأوصله مع رجاله الى النبطية سالمين ودخل الثوار المدينة بين اناشيد الرجال وزغاريد النساء والفوا حكومة وطنية برئاسة نسيب غبريل من اعيان مسيحييها

وجاء قادة الثورة فى حاصبيا وفد من مسلمى جديدة مرجعيون ومسيحييها فعرض خضوعه وطلب اليهم احتلال الجديده حالا لان الجيش اخلاها فسار المجاهدون اليها وصادف حمزة الدرويش فى طريقه سياره فركبها مع ستة من دروز حاصبيا . ولما بلغ مفرق الطريق المؤدى الى قرية كوكبا اعترضه وفد من اهاليها برئاسة كاهنها ودعاه الى تناول طعام الغداء فلبى الدعوة ودخل القرية آمنا مطمئنا

وكان اهل القرية وهم مسيحيون منقسمين الى قسمين : قسم يؤيد الثورة ويواليها

---

(١) يتألف هذا الوادى من عده قرى وبلدان أشهرها حاصبيا وراشيا وهى فى سفوح حرمون الغربيـة وقطنه دروز وسنيون ومسيحيون وقد كان تابعا حتى سنة ١٩٢٠ لحكومة دمشق ثم فصل عنها سنة ١٩٢٠ والحق بلبنان الكبير

وري الانضمام اليها وشد آزرها وعلى رأسه الكاهن وقسم يوالى الفرنسويين وينفر من الثورة . وقدساء هذاان يدخل الثوار القرية وان ينزلوا في بيت الخوري فاحتشد في مدخل القرية وقابل حمزة ومن معه بالرصاص فسقط ثلاثة منهم صرعى فنادى هذا باعلاصوته ياقوم: لا تطلقوا علينا الرصاص لأننا ما جئنا لمحاربتكم بل جئنا لمحاربة الفرنسويين المستعمرين وأقسم لكم بشرف الدروز وشرف هذه الثورة المباركة اننا لا نمسكم بسوء ونعتبر هؤلاء القتلى فداء عن الوطن فكفوا عن الرمي وتأكدوا أنكم خاسرون اذا أردتم المقاومة فلم يصغوا الى ندائه بل واصلوا اطلاق النار فهاجت الجموع وماجت وهاجت القرية وفتكت بعدد من أبنائها . وكان من جملة القتلى الخوري الذي ذهب ضحية وطنيته واخلاصه وقد فتك به أحد أبناء رعيته . ورأى قادة الحملة بعد الذي جرى أن يعودوا الى حاصبيا وأن لا يتقدموا الى الجديدة خوفا من وقوع اصطدام

وأعد الثوار حملة بعد أيام بقيادة حمزة الدرويش ونزيه المؤيد لاحتلال الجديدة فلما وصلت الى قرية (ابل السقي) وتبعد عن الاولى نحو نصف ساعة اعترضها أهل القرية ومعظمهم من المسيحيين ودعوها الى تناول الطعام والمبيت فلبت الدعوة وقضت ليلتها عندهم . وفي خلال السهرة سلم أحد شيوخ القرية الى زعماء الثورة كتابا مرسلا من بطرس كرم [١] مملوءا بالشتائم والتهديد والوعيد فأجابوه بكتاب رقيق قالوا فيه ان الثورة وطنية لا طائفية وان الثوار نهضوا لمحاربة الفرنسويين لا المسيحيين وعادوا الى حاصبيا ثانية ولم يتقدموا تجنبا للاصطدام

وقدم حاصبيا على الاثر زيد الاطرش القائد العام في الاقليم فقصوا عليه ما وقع فاستحسن الخطة وأشار بعدم الزحف على الجديدة وأذاع المنشور الآتي :

الدين لله والوطن للجميع

الى اخواننا المسيحيين في قضائي حاصبيا وراشيا المحترمين أعزهم الله

(١) ماروني من أهالي شمالي لبنان جاء به الفرنسويون الى الجديدة يومئذ للدفاع عنها وألفوا له عصابة مارونية أمدوها بالسلاح والمال لقتال الثوار وايقاع الشقاق بين طوائف البلاد واغراء المسيحيين بالمسلمين والمسلمين بالمسيحيين

بلغنا من الوطنيين الاعزاء أن بعضكم داخلهم خوف من وجود الحملة الوطنية فى جوارهم فأخذوا ينزحون توهما منهم أن الثورة الوطنية قد تصيبهم بأذى ، فساءنا هذا الخبر وآلمنا جد الالم لأنهم اخوان لنا لافرق بينهم و بين أى كان من الطوائف الأخرى وثانيا لأن عملهم هذا يؤذى شعورنا لمافيه من عدم الثقة بما أسلفناه من البيانات التى أوضحنا فيها حقيقة الثورة الوطنية ولقد اضطررنا بسبب موقفكم هذا الى مخاطبتكم بصفتكم الطائفية على حين أننا لم نفعل ذلك من قبل تنزيها للثورة الوطنية من شوائب النزعات البعيدة عن الروح القومية . ولكننا رأينا بعض السذج لم يدركوا الاغراض النبيلة التى ترمى اليها ثورتنا هذه فأسرعنا ببيانها على هذه الصورة تطمينا لهم واننا نرجو أن نثبت لكم عن قريب أن المبدأ الرئيسى الذى تستند عليه حركتنا القومية هو ماصدرنا به هذا الكلام :

الدين لله والوطن للجميع

ووصل كتاب الثوار الى بطرس كرم واتصل به ما قرروه من عدم الرغبة فى الاصطدام به فتحرك فيه شعور الانتقام وظن انهم خافوه فأرسل بعض رجاله الى مزرعة برغز وهى لآل شمس من دروز حاصبيا فكمن لهم شكيب وهاب ولما وصلوا وعددهم ١٦ مقاتلا الى قرب المزرعة قبض عليهم شكيب وجردهم من أسلحتهم وأطلق سراحهم وأعادهم الى الجديدة قائلا لهم « اذهبوا يا اخوانى وأبلغوا جميع اخواننا المسيحيين أننا لا نريد بهم شرا ولا نرغب فى محاربتهم بل نود قتال الفرنسويين » فذهبوا الى اخوانهم ولم يغيبوا طويلا حتى عادوا جميعا لمهاجمة المزرعة فقابلهم شكيب بالرصاص وقاتلهم فارتدوا الى الجديدة وانضموا الى القوة الفرنسوية المرابطة فيها وتحصنوا فى الاستحكامات الجديدة المنشأة حولها فحمل عليها الثوار فدار حولها قتال عنيف يوم ١٥ نوفمبر امتد ساعات وانتهى بانتصار الثوار واحتلالهم الجديدة فتراجع الفرنسويون الى النبطية فطاردهم الثوار حتى جسر الخردلة ووقفوا عنده بعد مانسفوه لأنه أول حدود لبنان القديم وكان من خطة الثوار أن لا يدخلوه وقد اشترك معهم فى هذه المعركة عدد من أهالى العرقوب وهم مسيحيون وفريق من عرب الفضل التابعين للامير محمود الفاعور

منشورات جديدة

وعلى أثر حدوث ماحدث من الاصطدام فى كوكبا وقد استغلها الفرنسيون ومن والاهم فشوهوا سمعة الثورة وأوغروا صدور بعض بسطاء المسيحيين من الذين لم يطلعوا على حقائق الأمور أذاع زيد الاطرش بيانين فى البلاد وجه الأول الى الطوائف الاسلامية فى جبل لبنان والثانى الى اللبنانيين كافة وهذا نصهما :

الدين لله والوطن للجميع
قيادة حملة اقليم البلان

الى وجوه وأعيان الدروز والسنيين والشيعيين فى جبل لبنان
أيها الاخوان :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فقد بلغنا أن الحكومة الفرنسوية تجردكم من سلاحكم وتسلح اخوانكم أبناء الطوائف الاخرى بحجة الخطر على سلامتهم الناشىء على زعمها عن الثورة السورية الوطنية . على اننا نعلم نحن كما تعلم الحكومة نفسها أن لاداعى لهذا السلوك الغريب الذى لم يسبق له مثيل فى هذا العصر فى أية بلاد من بلاد الله . ذلك لأن أبناء البلاد الذين تربطهم الروابط القومية وتشد بعضهم الى بعض المصالح الوطنية ليسوا فى حاجة الى هذه التدابير الضارة ، وهم فى خير وسلامة لولا سوء ادارة الحكومة المنتدبة ولولا أعمالها الصادرة عن نيات غير سليمة

ولقد بات من الجلى الواضح أن الحكومة المستعمرة تريد أن تخدع العالم الخارجى باقناعه أن الثورة الوطنية هى ذات صبغة دينية وذلك لكى يقر فى أذهان الأمم المتمدنة أن انتدابها لسورية هو أمر ضرورى لسلامة الاقليات وصيانة حقوقها لذلك فان من الفروض الواجبة على كل من فى قلبه اخلاص لوطنه وحب للحرية أن يبذل أقصى مجهوده ليكذب هذه المزاعم ويثبت لهذه الحكومة أنه غير راض عن سياستها

ولقد أسرعنا بالكتابة اليكم لعلمنا أن تجريدكم من السلاح وتوزيعه على اخوانكم الآخرين قد يوقظ فى نفوسكم شعورا غير صالح تجاههم ويحملكم على النفور منهم والريبة فيهم وبالتالى قد ينشأ عن هذه الحالة حوادث تضر بالوطن وتؤذى القضية الشريفة

والأغراض التى يسعى اليها رجال الثورة الوطنية . ولا يخفى أن هذه النتيجة هى الغرض الذى تقصد اليه سياسة الحكومة لأنه يساعد على رسوخ قدمها فى البلاد ويمكنها من الثبات فى ربوع الوطن اذ يسقط بين يديها فريسة منهوكة القوى بسبب التطاحن الداخلى ولقد كتبنا بيانا عاما للبنانيين الكرام وأوضحنا فيه أننا لا نريد فى حركتنا الحاضرة الا سورية الداخلية فلا محل إذاً لقلق أحد على مسئلة الحدود وأمطنا فيه اللثام عن سوء نية الحكومة بسيرها فى هذه السياسة الفاسدة وأوضحنا الأغراض الحقيقية التى نسعى الى تحقيقها بواسطة الثورة واننا لعلى ثقة أن الذين كانوا يجهلون الحقيقة من اللبنانيين ممن جلتهم سياسة الحكومة على مقاومة الحركة الوطنية قد أخذوا الآن يدركون أن مساعدتهم للحكومة هى جناية على الوطن وخيانة لقضية الحرية تعافها الشهامة وينبو عنها الشرف وقد استدعت الحال أن نختصكم بهذه الرسالة على كره منا لأننا لا نريد أن نخاطب فريقا من أبناء الوطن بصفته الطائفية وذلك لكى نحذركم من سياسة الحكومة ونوصيكم ان تكونوا صبورين ونحثكم على التقرب من اخوانكم وبنى جلدتكم ووطنكم أبناء الطوائف الأخرى ونرجوكم أن تزيلوا بحسن سلوككم وصبركم كل سوء تفاهم بينكم وأن تتفقوا جميعا على الذين يسعون لتكدير العلاقات الودية من الجهلة والسفهاء الذين لا يدركون مايصنعون فتضربوهم بيد من حديد واننا لنرجو أن تكونوا أنتم وجميع أبناء وطنكم الآخرين عند ظننا بكم من الحصافة والتعقل والوطنية الصادقة والسلام عليكم

٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٥ — باسم قائد الجيوش الوطنية العام

زيد الاطرش

— ٢ —

الى اللبنانيين الكرام

الدين لله والوطن للجميع

أيها الاخوان

لاشك فى أنكم تعلمون الأسباب الوجيهة التى أكرهت سكان سورية الداخلية على القيام فى وجه السلطة الاستعمارية الفرنسوية . وانكم فوق هذا تعلمون أن هذه الثورة

التي بدأت فى جبل الدروز قد عمت الآن بلاد سورية الداخلية لأن مظالم الحكومة وسوء ادارتها لم تكن مقصورة على جبل الدروز بل كانت ولا تزال عامة تشمل جميع البلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسوى فالثورة الآن هى ليست درزية محلية بل هى سورية وطنية يشترك فيها جميع أبناء سورية على اختلاف مذاهبهم وهى تقصد الى أغراض وطنية بحتة لا شأن فيها للفوارق والنزعات الدينية . ولقد كنا أذعنا عدة بيانات فى البلاد الداخلية أوضحنا فيها المبادىء التى تستند اليها الثورة والاغراض التى ترمى اليها فأدرك القسم الأول من اخواننا مسيحيي البلاد حقيقتها ولم يتأخروا عن الاشتراك فيها تلبية لدواعى القومية والوطنية على أن الحكومة الفرنسوية كرهت أن يعلم العالم الخارجى أن فى سورية روحا وطنية وشعورا صحيحا بالاخاء الوطنى فعمدت الى أتباعها من المغرورين المخدوعين فزينت لهم أن يقفوا فى جانبها ضد الحركة الوطنية وبذلت قصارى جهدها لبذر بذور الشقاق بين أبناء البلاد مستثمرة الفروق المذهبية . ولقد بلغ من سوء نيتها أنها سلحت فريقا من أبناء البلاد وجردت الفريق الآخر من سلاحه لتوهم العالم أن هنالك خطرا على الأقليات ولتوهم الفريق الذى سلحته أنها حريصة على سلامته حال كون هذا العمل يؤدى حتما الى ايقاظ سوء الظن فى الفريق الآخر ويحمله بالتالى على الحيطة والوقوف موقف النفور من أبناء قومه ووطنه ولا يخفى أن الغرض الرئيسى من هذه السياسة الفاسدة هو تحويل الثورة من صبغتها الوطنية الى حرب ذات صبغة دينية شنيعة الحال والنتيجة وذلك كى يقنع الرأى العام فى أوربا أن وجود الانتداب الفرنسوى فى سورية هو أمر ضرورى تتوقف عليه سلامة فريق من السكان

ولقد جنت الحكومة أول ثمرة من ثمار سياستها فى الحادثة المؤسفة التى وقعت فى قريه كوكبا من أعمال مرجعيون إذ سمحت بأن تحتشد فيها عصابات مسلحة بعد أن حرضتها على مقاومة الحركة الوطنية وعند مرور فريق من جيش الثورة بقرب كوكبا أطلق هؤلاء الرجال الرصاص على الجيش الوطنى من دون سبب موجب فقتلوا ثلاثة من رجاله

وأسرع قائد القوة الى التفاهم معهم بنفسه ومعه كاهن القرية ولكنهم عادوا فأطلقوا الرصاص وقتلوا الكاهن المذكور ورجلا رابعا من رجال الجيش فاضطر القائد عند ذلك

الى الدفاع عن أرواح أتباعه وعن شرفه وشرف الثورة الوطنية وحصل ماحصل مما كان له الوقع السيء فى نفوسنا مع علمنا أنه لم يكن ليحصل لولا سياسة الحكومة المبنية على قاعدة التفريق بين العناصر ورمى بعض أبناء الوطن بالبعض الآخر توصلا الى اضعافهم جميعا . ثم روجت الحكومة الدعوة الى التجمع فى جديدة مرجعيون بقصد خلق جيش من الموارنة لمقاومة الحركة الوطنية الاستقلالية وذلك بحجة الدفاع عن حدود لبنان . فانخدع بعض أبناء الوطن من سكان لبنان وأسرعوا الى حمل السلاح ثم جاء منهم فريق الى جديدة مرجعيون بقيادة بطرس بك كرم . وفى ليلة ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥ هاجم فريق من هؤلاء المتطوعين قرية برغز بقصد حرقها وقتل سكانها كما علمنا من النذر التى جاءتنا قبل وقوع هذا الاعتداء ولكن برغز كانت محمية بقوة أرسلت لصد المعتدين فوقع منهم بيد الحامية ستة عشر رجلا أسرى وصد الباقون عن برغز . وقد أطلق قائد الحامية سراح الاسرى بعد أن أفهمهم خطأهم وأوضح لهم أن الثورة هى وطنية نزيهة عن النعرات الطائفية . على أن عصابة كرم أخذت فى اطلاق الرصاص على برغز فجرت بعملها الطائش الجيش الوطنى المرابط فى حاصبيا ولم تلبث أن تراجعت أمام هذه النجدات الى الجديدة فدخلت وراءها واشتبكت مع القوة الفرنسوية وأجلتها عن البلدة كما هو معلوم . وواضح من هذا البيان أن مجيء بطرس كرم ومن معه الى الجديدة كان جناية عليها وعلى الوطن إذ ساعد على خلق سوء التفاهم بين رجال الثورة الوطنية واخوانهم موارنة جبل لبنان وذلك فى زمن قد استقبلنا فيه عهدا جديدا هو عهد القومية والوطنية الشاملة . وأصبح من الجناية على هذا الوطن المعذب أن يقوم من أبنائه فريق يزيد فى مصائبه بسعيه لتثبيت أقدام الاجانب فيه . وذلك جريا وراء نزعات قد علمت جميع أمم الارض أنها شر داء يصيب الاوطان وأنها علة الضعف والتفكك فى كل مجتمع من المجتمعات البشرية

اننا نخاطب منكم جماعة المتنورين ونناشدهم أن يذكروا ما عليهم من الواجبات تجاه الوطن والتاريخ ، ونطلب اليهم أن يشتركوا معنا فى السعى للقضاء على روح التفرقة التى تود الحكومة المنتدبة أن تخلقها وتنميها لتستغلها لمصلحتها الاستعمارية وأما مسألة الحدود بين سورية الداخلية و بين لبنان فهى من الأمور التى يصح البحث فيها بعد الفراغ من انقاذ البلاد من الاعتداء الأجنبي وإذا استدعت الضرورة العسكرية الاستيلاء

على أمكنة معينة فلا داعي للقلق اذ أن المعول عليه فى هذا الشأن هو ما يتقرر بعد استقرار الحال فى البلاد . ونرجو أن لا يفوتكم أيها الاخوان أننا نقاوم دولة أجنبية لم تدع شيئا مما يؤذينا و يؤذى وطننا وذرارينا الا فعلته كأنها موكلة بهلاكنا وخراب ديارنا ولقد بلغ من حقد قواد الجيش الفرنسوى وشغفهم بالحاق الضرر بنا و بنهضتنا الوطنية أنهم قذفوا من أول هذه الثورة حتى الساعة ما يزيد على الثمانمائة ألف كيلو من الديناميت علينا وعلى أطفالنا ونسائنا فهل ترون بعد هذا من الشهامة والمروءة أن تكونوا أنصارا لهذه الدولة التى لم يأنف عمالها من استعمال هذه الوسائل الفظيعة للوصول الى أغراضها الاستعمارية ؟

ثم هل تجدون فى مصلحتكم أن تؤسسوا عداء بينكم و بين اخوانكم سكان الداخلية وهم الأكثر عددا وهم فوق هذا المصممون على أن يتخلصوا من الانتداب الفرنسوى ولو اضطروا الى محاربة كل من شاء أن ينتصر لعدوهم ؟

اننا لفى انتظار جوابكم لنعلم هل فى هذا البيان كفاية لازالة ماعلق بأذهان بعضكم من الخطأ الناتج من الدعاية الكاذبة أم غير ذلك والسلام عليكم

باسم القائد العام لجيوش الثورة الوطنية السورية

زيد الاطرش

الزحف على راشيا

بعد ما وطدت الحملة أقدامها فى اقليم البلان واحتلت قضائى القنيطرة ووادى العجم وحاصبيا سيرت جانبا من قواها الى راشيا بقيادة حمزة الدرويش وكانت ترمى من عملها هذا الى التقدم نحو سهل البقاع واحتلال رياق وقطع خط الاتصال بين دمشق ـ بيروت بسكة الحديد فبلغتها يوم ٢٠ نوفمبر وكان فيها عدد من الجنود الفرنسويين تحصنوا فى قلعة الأمراء الشهابيين وصمموا على الدفاع فقابل وفد من سكانها حمزة الدرويش راجيا عدم احتلال بلدتهم خوفا عليها من التدمير فأجابهم انه لابد له من تنفيذ الأوامر التى يحملها وتقضى عليه باحتلالها . ويقال فى بعض الروايات ان عدد المهاجين من الثوار ما كان يقل

عن الألفين . أما عدد القوة التي تحصنت في القلعة للدفاع عنها فهذا بيانها :

٣٥٠ جنديا فرنسويا و ١٥٠ مارونيا مجندين في الجيش الفرنسوي و ٧٠ مسيحيا متطوعا من أهل راشيا

بدأ الثوار هجومهم الشديد على راشيا عند زوال يوم الاحد ٢٢ نوفمبر وانقسموا ثلاث فرق : فرقة تحمل السلالم الخشبية الاعتيادية وفرقة تحمل القنابل اليدوية وحفا مغموسة بالكاز ورجالها يتقدمون نحو القلعة ومن ورائهم فرقة حملة البنادق

هكذا تقدمت هذه الفرق من ثلاث جهات فكانت الحامية تمطرهم من القلعة وابلا من الرصاص والمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية فقتل من متسلقي السلالم مالا يقل عن المائتين وكانوا يهجمون هجوما متواصلا فلا يصل من المهاجين الا العدد النزر ثم يتجندل هؤلاء عند السور وكانوا في كل هجمة يتمكنون من رمي شيء قليل من المواد المحرقة

وبعد نضال عنيف دام أربع ساعات على هذا المنوال جهز الثوار قسما آخر هجم على بابي القلعة من الجهتين الشرقية والغربية فأحرقهما بالنار وكسرهما بضرب الفؤوس

وكانت الفرقة السباهية على باب الجهة الشرقية تقابل المهاجمين بالسلاح الأبيض وكان سلاحها السيوف . وكانت فرقة الروسيين تقابلهم من الجهة الغربية برءوس الحراب وما كان المهاجون يرتدون

ومدخل الجهة الغربية سرداب طوله عشرة أمتار وعرضه متران كان الثوار يلجون منه عشرة عشرة فاذا ماانتهوا الى آخره وأوشكوا أن يدخلوا ساحة القلعة تقابلهم الروسيون بالحراب فيتجندلون فيثب وراءهم عشرة آخرون خمسة منهم يسحبون جثث القتلى الى الخارج لينفتح المعبر والخمسة الآخرون يهجمون الى الداخل فيصيبهم ما أصاب الذين هجموا قبلهم . وظلت هذه الهجمة على هذا الشكل المريع أربع ساعات ومازال المواثبون يخرجون الجثث ويكدسونها قرب السور حتى جعلوا منها سلما الى أعلى الأقبية فتسلقوا عليها الى سطح قبو لا يعلو عن الأرض من الخارج أكثر من خمسة أمتار وشرعوا من هنالك يساعدون الفرقة الهاجمة من الجنوب بالحريق

وكانت الفرقة المهاجمة من الجنوب تواصل التسلق على السلالم وترمي النيران على

بيوت القلعة فاحترق قسم كبير من تلك البيوت وتصاعد الدخان [illegible]ر يعمى عيون العساكر

وكان يدافع فى هذه الجهة فرقة من الجيش المختلط ومن الجندرمة اللبنانية ومتطوعة الأهالى ففرغت ذخيرتهم وعم الحريق تلك الجهة بأجمعها . فانسحب المدافعون الى الجهة الشمالية أى من القصر الى دار بيت مفرج فى القلعة وكانت النيران لا تزال مشتعلة فى بيوت آل شانيلا ومالك وخورى ضمن القلعة جنوبا

فتحصن الدرك فى الجهة الشمالية وتحصن الثوار فى هذه الجهة المحرقة وصنعوا لهم من خيول العساكر المربوطة فى ميدان القلعة متاريس . فاطلقت الجندرمة من الجهة الشمالية نارها على الخيل فصرعتها وصار تبادل النيران من الشمال الى الجنوب سجالا والمسافة بين المتراميين لا تزيد على المائة والخمسين متراً . وكانت الطيارات سربا عديدة تصب قنابلها على المهاجين من كل جهة لهذا لم يتمكن من ولوج القلعة أكثر من مائة وخمسين منهم

وفى أثناء هذا الصراع كانت الهجمات على كل جهة من جهات القلعة الباقية متواصلة بلا انقطاع

وفى يوم الاثنين الساعة الثانية بعد الظهر تمكن المهاجون من دخول القلعة من جهتها الجنوبية

وفى منتصف ليل الاثنين ـ الثلاثاء وصلت النجدات الفرنسوية على الترتيب الآتى :

وصلت فرقة من رياق الى أسفل المحيته فنصبت مدفعيتها الثقيلة هنالك وأخذت تطلق المدافع حول القلعة وقامت الخيالة منها تحت حماية المدافع بحركة التفافية من جبل ضهر الأحمر الى سهل كفرقوق غربى راشيا وشماليها والى جهات بستان عين اللبوة والعقبة جنوبا وفى الوقت نفسه كانت نجدة قدمت من جزين ونامت فى قرية كفر مشكه غربى راشيا ونصبت مدافعها الجبلية تحت كنيسة كفر مشكه وأخذت تطلق مدافعها من هنالك على راشيا وتقدمت عساكرها تحت حماية نار المدفعيه فى هضاب بيت كيفا وكروم المنشار التابعة لراشيا

واشتبكت العساكر التى وصلت الى راشيا بالقتال مع فريق كبير من الثوار الذين

انسحبوا الى حاصبيا من طريق جبل الشيخ الشرقية الجنوبية مارين بعين عطا وانسحب بيت العريان وبعض دروز القرى الشمالية الى قرية عيحا ونجت الحامية فى القلعة وسيطر الجيش على راشيا صباح الثلاثاء ٢٣ منه

وقتل الكبتن غرانجيه فى اليوم التالى للهجوم أصابته رصاصة فى صدره بينما كان يتفقد الحامية ويستكشف حركات الثوار فتسلم القيادة مكانه الكبتن جروس دى مارلياف وقد كانت معركة راشيا هذه من أعظم معارك الثورة بما أبداه الثوار من بسالة نادرة . ولو تم لهم الاستيلاء على القلعة والزحف نحو رياق وزحله لتبدل شكل الثورة ولأدركت فوزا كبيرا

وفقد الفرنسويون فى معارك راشيا عدا الكبتن غرانجيه الكومندان تينيه قتله الثوار أيضا وتهدمت معظم بيوت راشيا وأصبحت خرابا

حملة الاقليم الثانية

وفى أواسط شهر ديسمبر سنة ١٩٢٥ وصلت الى قرية الكفير من قرى حاصبيا حملة بقيادة متعب الأطرش قائد مشاة الدروز قادمة من الجبل وبعدما قضت فيها يومين غادرتها لمهاجمة مركز « شويا » شرق حاصبيا والمشرف على كل تلك الجهات وقد حصنه الفرنسويون ووضعوا فيه ١١ مدفعا كبيرا وكثيرا من المدافع الرشاشة . ولما دنا الثوار منه أصلتهم المدافع نيرانا حامية فابتعدوا عن خط النار حتى الصباح ثم تابعوا سيرهم الى قرية المحيته لما علموه من وصول ٢٠٠ جندى فرنسوى اليها . وقد ارتد الجنود على الفور عن المحيته بعد ماحرقوها وعادوا الى شويا من دون أن يشتبكوا مع الثوار الذين لحقوا بهم وتسللوا بين الأدغال والشعاب حتى بلغوا شويا فحاصروها مدة خمس عشرة ساعة وكادوا يدخلونها لولا أن فرقة من المتطوعين الموارنة خرجت منها ليلا ودارت من جهة الجنوب حتى صارت وراء الثوار وهاجتهم فأصبحوا بين نارين فارتدوا ثانية الى الكفير ثم قصدوا قرية عين عطا فجدل شمس وهذا نص الكتاب الذى أرسله متعب الى سكان مرجعيون وأطرافها :

جناب الأجلاء الأماجد الحاج محمد افندى وعلى افندى وخنجر افندى العبد الله وعموم آل عبد الله فى قرية الخيام المحترمين

بعد سؤال خاطركم ، نعرفكم أنه واصل انذار تحت يد خنجر عبد الله وسمره

وأخيه يوسف بو سمره من ابل السقي لأجـل يبلغوه لمسيحي حاصبيا ومرجعيون فعند اطلاعكم عليـه تفهمون مضمونه . والآن ان الخطة التي اتخذت قبلا لم تـكن مدربة لاتنا غرب الديار وحصل من ورائها ماحصل

وعليه ان قدر الله باشرنا بتدابير جديدة منظمة والتوفيق على الله . أكدوا أيها الأفاضل أننا لانقصد الاعتداء على أحـد بل نحن مقاومون رجال فرنسا الذين يريدون استعمار بلادنا ونحن لسنا ضد رجالها الأحرار الذين يريدون لنا كل خـير . أما من جهة المسيحيين الذين تسلموا أسلحة من الحكومة بقصد مقاومتنا سوف نريهم منا مايستحقونه وخصوصا أهالى راشيا الفخار الذين يضيقون على رجالنا العابرى الطريق وقد قتلوا منهم حصانا وجرحوا واحدا من الذين يعتمد عليهم

ثم بلغنا أن مسيحي بلدتـكم نهبوا حاصبيا ودخـلوا مع الفرنسويين اليها فاذا استحسنتم ابلاغهم بارجاع مانهبوه حيث لايمكننا التغاضي عنهم وترك حقنا عندهم ولولا نظركم عليهم لـكننا غير عاجزين عن تأديبهم فاذا لم يقبلوا نصيحتكم عرفونا

لقـد صادرت رجالنا بعض المـكارين الذين أتوا من بلدتكم الى القنيطرة وصار تركهم اكراما لـكم فبلغوا المـكارين أن لايعودوا ثانيا الى القنيطرة خوفا من وقوع سوء التفاهم ودام بقاكم

حرر في ٢٥ جادى الثانى سنة ١٣٤٤ أخوكم متعب الأطرش

١٢

دمشق بعد الطارئة

كان ضرب دمشق بالقنابل يوم الاحد ١٨ اكتوبر سنة ١٩٢٥ من أعظم حوادث الثورة السورية فلفت اليها الأنظار وجعلها موضع الاهتمام كما كان موضع استنكار العالم واستهجانه

بدأ الفرنسيون باطلاق النار على دمشق فى الساعة الرابعة بعد ظهر الاحد ١٨ اكتوبر من قلعة المزة ـ وهى تطل على المدينة من غربيها ـ من دون أن يسبق ذلك انذار للأهالى العزل الأبرياء أو للأجانب أو للقناصل خلافا لما تقضى به القوانين الدولية . وانقطع الضرب ليلة الاثنين . وفى صباحه حلقت فى الفضاء طيارتان وبدأتا باطلاق النار من رشاشاتهما ثم تبعهما اطلاق النار من قلعة المزة ومن قلعة دمشق وهى واقعة فى وسط المدينة تقريبا فكانت القنابل تتساقط فى الأحياء الاسلامية وهى حى الميدان والشاغور ومأذنة الشحم وباب الجابية وشارع سيدى عامود حيث المنازل التاريخية الفخمة فتدكها دكا على رءوس أصحابها وتجعل عاليها سافلها وتدمرها تدميرا

واستمر اطلاق المدافع من صباح الاثنين حتى صباح الثلاثاء بمعدل قنبلتين كل ثلاث دقائق الأولى من قلعة المزة والثانية من قلعة دمشق احداهما مدمرة والأخرى محرقة

ولما طال المطال واشتد الرعب وساد الفزع والهول تجمع بعض الوجهاء وذهبوا بهيئة وفد الى الجنرال غاملان فى الساعة العاشرة من صباح الثلاثاء يرجونه ايقاف الضرب رحمة بالأطفال والنساء وخوفا على ما بقى من المدينة فأجابهم انه لا يمكنه وقف الضرب الا عند الظهر وبشرط أن تدفع دمشق للسلطة الفرنسوية حتى ظهر يوم السبت ٢٤ اكتوبر مئة ألف ليرة عثمانيــة ذهبا (فكأنه يريد أخذ ثمن القنابل التى ضربت بها المدينة مضعفة) وتسليم ثلاثة آلاف بندقية على أن يكون مع كل واحــدة مئة طلقة فقبلوا ماعرضه انقاذا

للشعب من الهول والرعب وأنذرهم بانه اذا لم يدفع المال وتسلم البنادق فى الوقت المعين فسيستأنف اطلاق القنابل ويدمر المدينة تدميرا

ووقف الضرب فعلا عند الظهر وسكن الاضطراب قليلا وتنفس الناس الصعداء وأدركوا أنهم سينامون ليلتهم بهدوء بعد ما حرموا النوم ثلاث ليال ، ولكن الذى آلمهم وساءهم هوارسال السلطة سيارتين مصفحتين الى شارع مدحت باشا وهو من أكبر شوارع دمشق التجارية ، تطلقان قنابلهما على أبواب المخازن التجارية وتحطمها فيلقى جنود كانوا يسيرون وراء السيارتين قطعا من النفط الملتهب فتلتهم المخازن والحوانيت والبيوت مما سبب اضرارا عظيمة للتجار كما أدى الى قتل كثير من النفوس البريئة

وانقضت أيام الاربعاء والخميس والجمعة واقترب السبت وهو الموعد المضروب لدفع الغرامة وتسليم السلاح فوجم الناس وارتاعوا لانه ليس فى امكانهم الدفع ولا التسليم وأخذوا يهجرون بيوتهم ومنازلهم الى حى الصالحية ، وقد ظل فى نجوة عن التدمير لانه آهل بالفرنسويين وزاد الطين بلة الاذاعة التى أذاعها قنصل بريطانيا العام فى دمشق بين رعايا دولته مساء الجمعة ونصها :

« نظرا لعدم امكان تسليم السلاح المفروض على الأهالى ودفع المال اللازم ونظرا لأن السلطة ستضرب بقنابلها المدينة مرة أخرى صباح غد السبت فعلى الرعايا البريطانيين أن يأتوا الى دارالقنصلية قبل صباح السبت مزودين باعاشة تكفيهم بضعة أيام ومصحوبين بجوازاتهم وأوراقهم المثبتة »

ووصلت ليلة السبت أوامر مشددة من باريس تقضى بايقاف أعمال التخريب والتدمير فى دمشق مهما كانت الظروف فاكتفى ولاة الأمور بأن ضربوا ضريبة اضافية على المدينة قدرها عشرة آلاف ليرة عثمانية ذهبا جزاء عدم دفع الغرامة فى موعدها ومدوا أجل المهلة حتى ظهر يوم الخميس ٢٩ اكتوبر وقالوا ان كل يوم ينقضى بعد ذلك ولا تدفع فيه الغرامة يضاف ٥٠٠ ليرة عثمانيــة ذهبا الى حساب دمشق ريثما تدفع كاملة ، فسكنت النفوس قليلا وزال خطر العودة الى أعمال التخريب والتدمير . وألفت الحكومة لجانا فى الأحياء لجمع المال والسلاح مع الغرامات الاضافية

ولما كان من المتفق عليه أنه لاسلاح فى دمشق فيقــدم الى السلطة عمد ولاة

المادة السادسة ـ أمين السر العام والسلطات الملكية والعسكرية من فرنسوية وسورية مكلفون كل فيما يخصه بتنفيذ أحكام هذا القرار

وأذيع مع هذا البلاغ البيان الرسمي الآتي وهو موجه الى أهالى مدينة دمشق ولواء دمشق ولواء حوران المحترمين ونصه :

قامت عصابات فى ضواحى دمشق بتعديات على الأملاك والأشخاص وقد تجرأ بعض الأشقياء على احداث الاضطرابات حتى فى المدينة نفسها

ولهذا فان المفوض السامى قد عزم عزما ثابتا على الاسراع بدون امهال لوضع حد لهذه الحالة التى لا تحتمل وهو يدعو الأهالى جميعهم لمساعدته بثقة تامة للمحافظة على النظام الذى لابد منه ليتمكن كل شخص من أن يعيش و يشتغل فى أمان وسلام

ورغبة فى الوصول الى هـذه الغاية فان الجنرال المفوض السامى الذى زودته حكومة الجمهورية الفرنسوية بالسلطة المطلقة يعلن الأحكام العرفيـة فى مدينة دمشق وسنجق دمشق وحوران

يجب أن يفهم الأهالى أن هـذه التدابير لم تتخذ الا لصالحهم وللتمكن من اعادة الحياة فى أقرب وقت الى مجراها الطبيعى

على جميع الأهالى أن يراعوا بكل دقة جميع الأوامر والأحكام الصادرة من السلطات العسكرية والمدنية وأن يكونوا على ثقة من أن لاغاية من هذه الأوامر والأحكام الا الخير العام ولم يوح بها الا الرغبة فى المحافظة على مصالح كل فرد من الأهالى وأملاكه وحريته

لاتبقى الأحكام العرفية الا أثناء الاضطرابات السائدة حاليا و ستعمل المفوض السامى مافى وسعه لاعادة الأمن التام فى ناحيـة دمشق فيتمكن أهالى المدن والقرى قريبا من العودة الى أشغالهم التى انقطعوا عنها وتتمكن سلطاتها بالثقة والتعاون مع الدولة المنتدبة من وضع التشكيلات الجديدة التى تترتب عليها ادارة البلاد

معركة يلدة و ببيلا

حدثت هذه المعركة يوم ٢٩ نوفمبر فقد ذهب نزيه المؤيد فى هذا اليوم الى جوار حى الميدان فى دمشق مع ٥٠ فارسا للانتقام من سليم المفتى الذى كان يقوم بتأليف عصابة

تقاتل الثوار فى صفوف الفرنسويين ، فخرج الجند لقتاله فاستدرجهم حتى قرب قرية ببيله وتبعد عن دمشق نحو ٥ كيلو مترات ، وصمد لهم ووقف لقتالهم ، وكان متعب الأطرش أول من قدم لنجدته مع ٨٠ فارسا من رجاله كانوا يرابطون فى قرية الست ثم جاء على الأثر سعيد العاص وعلى الأطرش وعبد القادر سكر ومحمد عز الدين الحلبى بمشاته فدارت معركة عنيفة امتدت من الصباح حتى المساء والتحم الفريقان خلالها وتقاتلوا بالسلاح الأبيض وانتهت بانهزام الجيش وتراجعه الى دمشق تاركا نحو ١٠٠ قتيل سقطوا فى أقنية الماء علاوة على كثيرين من القتلى والجرحى وطارد المجاهدون الجيش وهم يضربون فى أقفيته حتى وصلوا الى ثكنة العزيزية فى وسط حى الميدان فقتلوا على بابها ضابطا فرنسويا وغنموا ١١ رشاشة وكمية كبيرة من العتاد

وسيطر رجال العصابات على الغوطة خلال تلك الفترة وانتشروا فى قلمون والنبك وبلغوا قرية القصير وهددوا حمص شمالا ، كما انتشروا فى وادى بردى غربا جاعلين دأبهم تعطيل سكة الحديد بين بيروت ودمشق وقد عطلوها مرات عديدة ، كما انتشروا على طول سكة حديد دمشق - درعا جنوبا وكانوا يعطلونها من آونة الى أخرى فترسل السلطة القوات لاصلاحها

١٣

دى جوفنيل فى مصر ودمشق

فى يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٢٥ نشر فى باريس المرسوم الخاص بتعيين المسيو هنرى دى جوفنيل العضو فى مجلس الشيوخ مندوبا ساميا لفرنسا فى سورية بدلا من الجنرال سرايل وفى يوم ١٣ منه فاه بحديث مع مكاتب جريدة الاهرام فى باريس بسط فيه سياسته بسطا وافيا ومما قاله : لقد جاء الوقت الذى تعمل فيه السياسة عملها فاذا كان لابد من استعمال القوة فانى سأستعملها ولكن استعمالها يحزننى لأن ما أريد عمله هنالك هو المساعدة فى تنظيم الاستقلال الوطنى تنظيما يجعل فرنسا وأوربا توافقان عليه وقال انه سيجعل شعاره فى سورية احترام الجميع وسيضع نصب عينيه المستقبل لا الماضى فيجب أن يستأنف العمل على قاعدة جديدة وأنه وهو رجل غير عسكرى سيعمل بروح رجل غير عسكرى وأن وطنيته تساعده على فهم وطنية الآخرين

قال « واذا كان الدكتور شهبندر يريد الرجوع الى سورية ففى وسعه الرجوع اليها بلا خوف »

زيارته لاندن

وفى يوم ١٩ منه ذهب الى لندن للاتصال بالمستر تشمبرلن وزير خارجية بريطانيا وقيل ان الغرض من هذه الزيارة الحصول على جميع ما يمكن الحصول عليه من المعلومات التى من شأنها أن تساعده فى مواجهة المعضلة التى تنتظره والوقوف على دخائل السياسة والأساليب البريطانية فى الشرق الأدنى وتعشى مع وزير الخارجية ومع المستر امرى وزير المستعمرات البريطانية وقضى معهما نحو ساعتين بحثا فيها الحالة فى سورية وتم الاتفاق على الاسراع فى تعيين الحدود بين سورية وفلسطين وسورية والعراق كما تم على تعاون الحكومتين الانكليزية والفرنسوية فى ربوع الشرق وتضامنهما

اتصال رئيس اللجنة التنفيذية والوفد السورى

ودارت محادثات سرية فى باريس بين المسيو دى جوفنيل والأمير جورج لطف الله من جهة و بين المسيو جايار وزير فرنسا المفوض فى مصر يومئذ والأمير ميشيل لطف الله رئيس اللجنة التنفيذية من جهة ثانية وتم الاتفاق على اتخاذ المبادئ الآتيـة قواعد لحل القضية السورية وتعهد الأمير ميشيل مبدئيا بحمل اللجنة على قبولها وهى :

١ ـ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع بطريقة الانتخاب المباشر لوضع نظام البـلاد الأساسى على قاعدة السيادة القومية

٢ ـ تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق يعقد بينهما ويكون محققا لمطالب سورية منطبقا على كرامتها

٣ ـ يفصل فى مسألة الوحدة السورية فى المستقبل بين أولى الشأن أنفسهم

٤ ـ تنشأ ادارة وطنية حائزة على ثقة البلاد

٥ ـ يعلن عفو عام بدون استثناء اما الحق المدنى فيبقى لأهله

وتقرر أيضا أن يأتى المندوب السامى الى القاهرة فيقابل رجال اللجنـة التنفيذية ويحادثهم وتعاون هذه المبادئ ويباشر تنفيذها

***

ووصل الأمير شكيب أرسلان الى باريس بعد ذلك بدعوة من المسيو دى جوفنيل وتقابلا وتباحثا فى الطريقة التى يجب اتباعها لوقف القتال وحل القضية السورية وطلب المندوب من الأمير أن يضع له مشروعا للحل والاتفاق فوضع المشروع الآتى :

عقد محالفة بين فرنسا وسورية الى ثلاثين سنة تكون محالفة النظير لنظيره

يتعهد السوريون فى هذه المحالفة بأن لا يأخذوا متخصصين فنيين الا من فرنسا

ولا يعقدوا قرضا الا فى فرنسا

ولا يأخذوا ضباطا اذا لزمهم ذلك لتدريب جيشهم الا من فرنسا

واذا عجزوا بالانفراد عن استثمار منابع الثروة فى بلادهم لا يستمدون الا من مال فرنسا وصناعة فرنسا

اذا هجم هاجم على سورية تتعهد فرنسا بتعضيد الجيش السورى

اذا نشبت حرب مع فرنسا يتعهد السوريون بتقديم عدد من الجند لمساعدتها يتم الاتفاق عليه بشرط أن تجهزه فرنسا

لا تعارض الدولة السورية فيما لو رضيت حكومة لبنان بابقاء حامية فرنسوية فى لبنان أو اتخاذ قاعدة بحرية فى سواحل لبنان

و وعد المسيو دى جوفنيل بدرس هذا الاقتراح وغادر فرنسا يوم ٢٤ نوفمبر الى بيروت بطريق الاسكندرية

فشل مفاوضات القاهرة

أطلع رئيس اللجنة التنفيذية بعض اخوانه من الأعضاء على ما تم بينه و بين المسيو جايار فأقروه ورأوا أن تدعو اللجنة عددا أكبر من رجال القضية لمباحثتهم ولنيل موافقتهم على القواعد التى تم الاتفاق عليها

وعقدت اللجنة اجتماعا كبيراً ضم كثيرين من المشتغلين بالقضية جاء بعضهم من الاسكندرية وآخرون من القدس وسورية وتناقشوا فى المذكرة التى تقدم الى المندوب عند وصوله ونظروا فى الاسس المعروضة ــ من دون أن يعرفوا أنه اتفق عليها مبدئيا ــ ثم وضعوا صيغة جديدة تختلف عنها من وجوه عديدة

و وصل المندوب الى القاهرة صباح الأحد ٣٠ نوفمبر ونزل فى فندق الكنتنتال فأقام له الأمير ميشيل لطف الله حفلة شاى فخمة فى قصر الجزيرة ، وفى صباح الاثنين زاره وفد اللجنة وسلمه المذكرة الآتية :

ليست الحركة المنتشرة الآن فى سورية سوى مظهر جديد من مظاهر العقيدة الوطنية العامة القائمة على مبدأ الجامعة القومية والاستقلال الضامن للكيان القومى بجميع مظاهره شأن كل أمة كاملة الخصائص . ويكفى أن نلقى نظرة سريعة واحدة على تاريخ هذه الحركة الحديثة لكى تتبين لنا القواعد العمومية التى يمكن أن يبنى عليها حل مرض للمشاكل الناشبة الآن

ليس التنازع الذى كان موجودا بين العنصرين العربى والتركى فى السلطنة العثمانية

يخاف على من له إلمام بتاريخ تركيا الدستورى الحديث فقد اصطدم مبدأ القومية التركية الذى نشره رجال تركيا الفتاة بعد اعلان الدستور العثمانى بمبدأ القومية العربية والمطالبة بنظام خاص لبلاد العرب الخاضعة للتاج العثمانى على الرغم مما كان للعرب من المساوات العامة مع الترك أمام القانون من جميع الوجوه . وكان من جراء ذلك أن الجمعيات العربية عقدت مؤتمرها المشهور فى باريس سنة ١٩١٣ للتوسع فى تنظيم الحركة العربية ووضع المسألة العربية بين أمهات المسائل التى تقتضى الحل فى تركيا . فشعر الترك بخطر الموقف وحاولوا تلافى الحالة بالتساهل مع العرب والاعتراف لهم ببعض ما كانوا يطلبونه فأصدروا ارادة سنية باجابة بعض تلك المطالب ولكن العرب لم يرضوا عنها . لذلك كان هم الترك أن يغتنموا فرصة الأحكام العرفية فى أثناء الحرب الكبرى للقضاء على المسألة العربية فساقوا زعماء الحركة الى مجلس عرفى فى عالية (لبنان) وحكموا بالاعدام على العدد الأعظم من كبرائهم ونفذوا الحكم فى ساحتى بيروت ودمشق العموميتين المعروفة كل منهما الآن باسم ساحة الشهداء ولكن العرب، وفى مقدمتهم السوريون لم تفتر عزائمهم ولما يئسوا من الترك صاروا مستعدين لاستمالة الحلفاء لهم الى مساعدتهم على دولتهم توصلا لاستقلالهم فلما نالوا من الحلفاء عامة ومن انكلترا وفرنسا خاصة وعودا عديدة باستقلالهم حمل ذلك ألوفا منهم على التطوع فى جيوش الحلفاء وثار الحجاز بأجمعه على السلطنة العثمانية وتألف جيش عربى خاص مؤلف من جميع الولايات العربية لمقاتلة الترك وانتهى الامر بفوز الحلفاء وشهد اللورد اللنبى نفسه فى أحد تقاريره بالفضل العظيم الذى كان للحملة العربية فى انتصاراته فى فلسطين ضد الترك

ولكن الغرض الأساسى الذى تكبد من أجله السوريون خاصة والعرب عامة جميع هذه الضحايا لم يتحقق منه شىء وقد كانوا يعلقون آمالا كبيرة على مبدأ حق تقرير المصير الى أن جاءت اللجنة الاميركانية الى سورية ووقفت على آراء الأهالى فى مصيرهم . ثم سافر الأمير فيصل الذى كان يحكم المنطقة الداخلية فى سورية باسم القائد البريطانى العام الى أوربا ووصل الى تفاهم مع وزارة الخارجية الفرنسوية لتنظيم دولة سورية وتعيين علاقات فرنسا بها . وعاد آملا أن يحمل أهالى البلاد على قبول هذا الاتفاق ولكن لم يكد هذا الاتفاق يعرف حتى ثارت عليه ثائرة الاحزاب واجتمع مؤتمر سورى نادى باستقلال البلاد

التام و وضع دستوراً لها وأقام حكومة ديمقراطية بادرت فى الحال الى تنظيم الادارة وعاشت خمسة أشهر برهنت فى خلالها على ما قامت به من تنظيم فروع الادارة واقرار الأمن و وضع أساسات الرقى العلمى والاقتصادى على أن السوريين لايقلون كفاءة عن كثير من الأمم المستقلة فى أوربا نفسها

ولكن السلطة الفرنسوية لم تمهل هذه الحكومة فجهز الجنرال غورو حملة عسكرية اقتحم بها دمشق والمدن الداخلية الأخرى واحتل البلاد والغى استقلالها وجيشها الفتى و بادر الى وضع أسس جديدة للادارة برأيه الشخصى . ولكن الحركة الوطنية لم تسكت بل ظلت مستمرة فى الشمال بقيادة ابراهيم هنانو بك أحد الزعماء الوطنيين ودامت من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢١ . وظهرت فى الوقت نفسه حركة فى حوران على أثر احتلال دمشق دامت ستة أشهر وظل القتال متواصلا فى بلاد العلويين من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢١ وظهرت الثورة الاولى التى قام بها سلطان باشا الأطرش فى سنة ١٩٢٢ ودامت ستة أشهر وكانت الادارة الفرنسوية فى سورية فى خلال ذلك مضطربة لاتستقر على حال ففى أواخر سنة ١٩٢٠ مزق الجنرال غورو البلاد الى خمس دول لكل منها حكومتها وعلمها وفى السنه نفسها سلخ قسم من شمالى البلاد وأعطى لتركيا مع ان الفرنسويين تسلموا ذلك القسم من الانكليز وتعهدوا فى المادة التاسعة من معاهدة سايكس — بيكو ان لاتتنازل احداهما عن الأراضى الواقعة ضمن منطقتها بدون رضى الأخرى . وشعرت السلطة الفرنسوية ان هذا التمزيق ليس حلا صحيحا فعمدت الى الجمع بين بعض الأجزاء التى فرقتها وألفت حكومة الحلف السورى سنة ١٩٢٢ وجمعت فيه بين حكومة دمشق وحكومة حلب وحكومة بلاد العلويين . ولكنها رأت بعد ذلك مرة أخرى أن تضيق نطاق هذا الحلف ففى سنة ١٩٢٣ عدلت عن النظام القديم وفصلت بلاد العلويين عن تلك الوحدة وألفت حكومة الدولة السورية من حكومتى دمشق وحلب السابقتين فقط

ولم يكن هذا الحلف أيضاً مرضياً لأحد بوجه من الوجوه وعندما ظهرت الثورة الحاليه بادر زعماؤها الى اعلان مطالبهم بمنشور اذاعوه بكل مالديهم من وسائل الاذاعة وتناقلته الصحف وهو يعيد أسس الحكومة التى وضعها المؤتمر السورى فى دمشق فى ٨ مارس سنة ١٩٢٠ تحقيقا لرغبات الأمة باسرها

ولابد لنا من الاعتراف بأن الظروف الحالية فى سورية تتضمن عوامل وحقائق جديدة تستحق أن توضع موضع الأعتبار فاذا كان يراد وضع حل للمشاكل الحاضرة يبنى على الاخلاص والرغبة الحقيقية فى التفاهم فلا نظن ان سورية تأبي ذلك . ولكن ليس فى وسع أحد فى الوقت نفسه أن يشير بأى حل يتجاهل ماضى الحركة الوطنية فى سورية والدماءالتى أهرقت من أجلها والجهود التى بذلت فى سبيلها والضحايا العظيمة التي جاد بها أهل البلاد عن طيبة خاطر من أجل أغراض الحركة الوطنية فالوطنية الحقيقية هى التى تحترم وطنية الآخرين كما تحترم نفسها

واذا سئلنا رأينا فى هذا الحل بصفة أحزاب تعمل لتحقيق المثل الأعلى الذى تنشده البلاد لانستطيع سوى أن نبرز براجمنا الاستقلالية ونطلب تحقيقها . فاذا كان يراد بالحل المطلوب اعادة السكينة الى البلاد السورية فهذا الوفد يرى انه من الممكن أن تتخذ القواعد التالية أساسا للبحث

(١) تتألف الدولة السورية من جميع الأراضى التى وضعت تحت الانتداب الفرنسوى وأما لبنان فيجب أن يستفتى جميع سكانه فى الانضمام الى هذه الدولة أو الانفصال عنها استفتاء حراً مباشراً

(٢) تؤسس حالا فى البلادحكومة وطنية موقتة حائزة على ثقة الأمه تباشر الانتخابات للجمعية التأسيسية

(٣) تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الأساسى على مبدأ السيادة القومية فى الداخل والخارج

(٤) يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة معينة يحافظ فيه على مبدأ السيادة القومية . ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السورى عليه

(٥) يسحب جيش الاحتلال من أراضى الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية الموقتة

(٦) تسجيل الاتفاق لدى عصبة الأمم ودخول سورية فى عداد هذه العصبة

فاذا كانت الحكومة الفرنسوية تجد فى هذه المبادىء العامة أساسا للتفاهم فنحن نرى ان تصدر تصريحا بذلك وان تنتدب هيئة من قبلها تجتمع بهيئه تمثل القائمين بالحركة

الوطنية وتضع الهيئتان بالاتفاق بينهما قواعد توقيف القتال والاساليب اللازمة لتطبيق هذه المبادئ ـ اه

وأسقط فى يد المندوب حين ما اطلع على المذكرة ورآها تختلف اختلافا جوهريا عما تم الاتفاق عليه من قبل ولكنه تجلد ووصفها بأنها تنطبق على مبادئ الثورة الفرنسوية وسأله الوفد أن يدخل معه فى مناقشة على أساسها فأبى كما أبى أن يصرح بشئ عن خطته وقال انه يحفظ ذلك الى مابعد وصوله الى سورية وانه يكتفى الآن بأن يسمع آراء السوريين وانتهت المقابلة بلا نتيجة مع أنها استمرت ساعة وعشرين دقيقة

ورأى الوفد أن يستأنف الكرة ويقابل المندوب للمرة الثانية عساه أن يصل الى اتفاق معه ولما كان الوقت لا يسمح بذلك فقد انتدب أحد أعضائه فزاره وأبان له عدم ارتياح الوفد الى نتيجة المحادثة فأجابه انه يجب السير رويدا رويدا فى تخفيف المطالب وانه يريد أولا اعادة السلام الى البلاد وقال انه لا يعتقد ان فى استطاعة الوفد أن يؤثر تأثيرا ذا شأن فى هذا الموضوع وزاد على ذلك أنه مستعد للنظر فى كل حل يقترح لاعادة السلاح

وأرسلت اليه اللجنة فى الساعة الرابعة من مساء ذاك اليوم الكتاب الآتى :

« ان شعور الوفد السورى الذى تشرف بمقابلتكم اليوم صبحا بالواجب الملقى على عاتقه تجاه الحوادث التى صبغت أرض سورية بالدم ورغبته فى وضع حد لحالة البلاد الحاضرة والوصول الى سلم دائم قائم على الثقة المشتركة والاعتراف بالمصالح المتبادلة يحملانه على أن يقترح عليكم الاقتراح التالى وهو أن يسافر وفد من قبلنا فى الحال الى سورية للعمل على حقن الدم ولتمهيد طريق صالح للمفاوضة بين جنابكم ومندوبى زعماء الثورة

« ولكى نكفل التوفيق والنجاح لهذا المسعى يرجو منكم الوفد السورى أن تتفضلوا بابلاغه موافقتكم على المبادئ التالية وقد وردت فى المذكرة التى تشرفنا برفعها اليكم فى هذا الصباح

١ ـ تتألف الدولة السورية من جميع الاراضى التى وضعت تحت الانتداب الفرنسوى ما لبنان فيجب أن يستفتى جميع سكانه فى الانضمام الى هذه الدولة أو الانفصال عنها باستفتاء حر مباشرا

٢ ـ تؤسس حالا فى البلادحكومة وطنية موقتةحائزة على ثقة الأمة تباشر الانتخابات للجمعية التأسيسية

٣ ـ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسى على مبدأ السيادة القومية فى الداخل وفى الخارج

٤ ـ يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة معينة يحافظ فيها على مبدأ السيادة القومية ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السورى عليه

٥ يسحب جيش الاحتلال من أراضى الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية الموقتة

٦ ـ تسجيل الاتفاق لدى جمعية الامم ودخول سورية فى عداد أعضاء هذه الجمعية

ولم يتسلم الكتاب الا فى الساعة الحادية عشرة مساء بعد عودته من وليمة أولمت له فى فندق مينا هوس فأرسل على الفور الرد الآتى :

مصر فى ٣٠ نوفبر سنة ١٩٢٥ الساعة ١١ ليلا

« حضرة السكرتير العام للجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى

« من بواعث أسفى الشديد أن يكون الحل الذى تقترحونه غير مستطاع القبول بتاتا وأن يكون فىهذه الدرجة من قلة المطابقة للمحادثة التى دارت بيننا فىهذا الصباح والتى حفظت محضرها

« ومن البديهى أن لا يكون للمهمة التى تطلبون منى بكتابكم اناطتها باللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى حظ من التوفيق

« ولا أريد أن أدعكم تعتقدون لحظة واحدة أنه يسع فرنسا ـ كما تشيرون عليها ـ أن تنكث بالعهود التى قطعتها على نفسها أمام خمسين دولة

« ثم انى ـ كما تشرفت وصرحت لكم ـ سأعلن بيانى على رؤوس الاشهاد فى سورية نفسها

« ولذلك أصارحكم القول من دون مرارة انه كان من الافضل لو لم يكتب كتابكم وفى هذه الحالة كانت اعادة السلم الى سورية أسرع وأسهل

« وانى أخشى أن تكونوا آخذين فى تحمل تبعة الاضطرابات والمصائب التى لابد من أن تقع

« هذا وثقوا ياحضرة السكرتير العام باحترامى وأسفى »

رد اللجنة التنفيذية على المندوب

وفى يوم ٣ ديسمبر أذاعت اللجنة الرد الآتى

بعد ما نشر المسيو هنرى دى جوفنيل المندوب السامى الجديد فى سورية ولبنان الكتاب الذى أرسلته اليه اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى فى ٣٠ نوفمبر الماضى ورد عليه قبل أن تتسلم اللجنة هذا الرد ببضع ساعات لم يبق بد للجنة من أن تذكر فى هذا البيان الوجيز خلاصة ماجرى بينها وبين جنابه مرجئة الى موعد قريب نشر التفاصيل والمستندات فى بيان مطول

تلقت اللجنة تلغرافا من وطنى كبير فى باريس تاريخه ١٧ نوفمبر الماضى أبلغها فيه أن مسيو دى جوفنيل سيعرج على القاهرة فى طريقه الى بيروت ويود أن يقابل وفدا من اللجنة ومن حزب الشعب وغيرهما وعلمت اللجنة بعد ذلك أن هذا التلغراف أرسل بعد ان اطلع عليه المسيو دى جوفنيل وبعد أن أرسل كتابا بخطه الى ذلك الوطنى فى المعنى نفسه وأردفه هو نفسه بحديث نشرته الصحف فى ٢٦ نوفمبر فى مصر قال فيه انه سيقابل اللجنة التنفيذية والاتحاد السورى فى مصر فعقدت اللجنة جلسة خاصة لبحث فى هذا الموضوع فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ وقررت اجابة الدعوة وأبلغ هذا القرار الى المسيو دى جوفنيل . ثم جاء أحد السوريين الوطنيين من باريس فى ٢٤ نوفمبر الماضى وأفضى الى اللجنة بمعلومات مفصلة عن محادثات متعددة دارت بينه وبين مسيو دى جوفنيل وعرض على اللجنة قواعد أساسية لحل المشاكل الحاضرة فى سورية وانشاء نظام الحكم فيها . وأكد للجنة أن المسيو دى جوفنيل يعتبر هذه القواعد أساسا صالحا للتفاهم ولا يرى فيها ما يناقض الخطة التى يريد اتباعها . ورغب فى أن تطلع عليها اللجنة والاحزاب السورية الوطنية ففضل ذلك الاخ الوطنى أن يحملها بنفسه ويأتى بها الى مصر وكان

المسيو دى جوفنيل واقفا على ذلك . وهذه ترجمة تلك القواعد عن أصلها الفرنسوى المحفوظ فى اللجنة

(١) تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع بطريقة الانتخاب العام المباشر لوضع نظام البلاد الاساسى على قاعدة السيادة القومية

(٢) تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق يعقد بينهما ويكون محققا لمطالب سورية منطبقا على كرامتها

(٣) يفصل فى مسألة الوحدة السورية فى المستقبل و بين أولى الشأن أنفسهم

(٤) تنشأ ادارة وطنية موقتة حائزة على ثقة البلاد

(٥) يعلن عفو عام بدون استثناء اما الحق المدنى فانه يبقى لأهله

فعقدت اللجنة جلسات متعددة للنظر فى هذا الموقف الجديد دعت اليها كل من فى مصر من رجال الاحزاب الاستقلالية لتسترشد بآرائهم فتقرر بالاجماع أن تقدم اليه مطالب معينة تفسر بمقدمة وجيزة عن تاريخ الحركة الوطنية فى سورية . ووضعت المذكرة والمطالب . وتألف الوفد الذى يجب أن يقابل المسيو دى جوفنيل وتحدد موعد المقابلة قبل وصول المسيو دى جوفنيل الى مصر و بعد وصوله قابله الوفد فى الموعد المعين أى يوم الاثنين فى ٣٠ نوفبر الساعة التاسعة صباحا وقدم اليه المذكرة مختومة بالمطالب وعليها طابع اللجنةالتنفيذية وتوقيع السكرتير العامفتناولها المسيودى جوفنيل من السكرتير العام يدا بيد واطلع عليها ولاحظ أنها بختم اللجنة فقط وسأل هل هى تمثل رأى اللجنة أو آراء الجميع فأجيب أنها تمثل آراء الجميع . وقدم اليه كشفا بأسماء أعضاء الوفد كله والحزب الذى ينتمى اليه كل منهم ، ثم قال جنابه انه من السهل الاتفاق على المبادئ ولكن يجب وضع أساليب التنفيذ فأجابه السكرتير العام باسطا نظرية الوفد فى كيفية التعاون بين فرنسا وسورية وقال له فى الختام ان هذا هو النصيب الذى نقدمه نحن لهذا التعاون ثم أراد جنابه الوقوف على وجوه المسألة السورية المختلفة فبسطت له . وكان يقول فى خلال المحادثات انه لا يمكن عقد معاهدات الا بعد تأليف الحكومة ولا تتألف الحكومة الا بعد انتخاب المجلس التأسيسى ولا يدعى المجلس التأسيسى الا بعد استتباب السلام . فعند ماخرج الوفد من لدنه قابله أحد أعضائه على انفراد وخاطبه فى وجوب وضع حل عملى وباحثه فى الطريقة

المؤدية الى ذلك . وعلى أثر ذلك عقدت اللجنة التنفيذية جلسة عند الظهر وقررت أن ترسل اليه فى الحال كتابا تعرض عليه فيه وساطتها لاعادة السلام ولكنها كررت طلبها السابق أولا على المبادئ التي وضعتها فى مذكرتها هذه :

(١) تتألف الدولة السورية من جميع الأراضى التى وضعت تحت الانتداب الفرنسوى . أما لبنان فيجب أن يستفتى جميع سكانه فى الانضمام الى هذه الدولة أو الانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا

(٢) تؤسس حالا فى البلاد حكومة وطنية مؤقتة حائزة على ثقة الأمة تباشر الانتخابات للجمعية التأسيسية

(٣) تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الأساسى على مبدأ السيادة القومية فى الداخل وفى الخارج

(٤) يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة معينة يحافظ فيه على مبدأ السيادة القومية . ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السورى عليه

(٥) يسحب جيش الاحتلال من أراضى الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية الموقتة

(٦) تسجيل الاتفاق لدى عصبة الأمم ودخول سورية فى عداد أعضاء هذه الجمعية

ثم أرسلت اللجنة الكتاب الى المسيو دى جوفنيل مع رسول خاص فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه فظل الرسول يتردد على الفندق حتى الساعة التاسعة فلم يجده فاضطر فى النهاية أن يترك له الكتاب فى الفندق . وقد تسلمه جنابه بعد عودته ليلا ورد عليه ذلك الرد الذى أذاعه فى الصحف . فأجابته اللجنة عنه بالكتاب الآتى :

القاهرة فى أول ديسمبر سنة ١٩٢٥

حضرة . . . .

نتشرف بأن أبلغكم وصول الكتاب الذى أرسلتموه فى ٣٠ نوفمبر الماضى الى نجيب بك شقير السكرتير العام للجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى

ولما كنا نعمل من أجل توفير السلام والرخاء لبلادنا المحبوبة ونعتقد اننا نمثل الرأى

العام اقترحنا الحلول التى كانت موضوع مذكرتنا وكتابنا اللذين قدما اليكم فى ٣٠ نوفمبر الماضى

ونعتقدون ياصاحب السعادة أن تساهلا أقل سخاء مما اقترحناه يقرب سورية من فرنسا ومن السلام ولكننا نشعر والأسف ملء نفوسنا أن الأمر لن يكون كذلك . على انه مهما تكن الاقتراحات الفرنسوية التى تقبلها سورية فلا يمكن الا أن نبتهج بما ينتج عنها من السلام والرخاء

وتفضلوا ياصاحب السعادة بقبول وافر احترامى

ميشيل لطف الله

رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى

فاللجنة التنفيذية اذن لم تحد قيد شعرة عن الخطة التى سلكتها من بادىء الأمر . ولم يكن فى الأمر (مناورة) ولا طلبت منه فى كتابها غير ماطلبته فى مذكرتها ولكنها رغبة فى حقن الدماء واعادة السلام الى نصابه وتمهيدا لتحقيق المطالب التى طلبتها عرضت عليه وساطتها اذا وافق على المطالب التى قدمتها اليه والتى لا تختلف من حيث الأساس عن القواعد السابقة الذكر التى عدها فى باريس موافقة لآرائه ومازالت اللجنة تعتقد أن اجابة تلك المطالب هى الوسيلة الوحيدة لبلوغ هذه الغاية وتوطيد سلام دائم فى البلاد »

هذا وصف صحيح لما حدث يومئذ وقد ظل معظمه سريا حتى الآن . ولا بد لنا من القول أن مركز المسيو جايار اضطرب فى مصر على أثر فشل المفاوضات وعده بعض الدوائر الفرنسوية مسئولا عن الاخفاق الذى أصيب به المندوب السامى وقيل ان قرارا أعد باحالته على المعاش لولا أن وزير مصر المفوض فى باريس تدخل باسم جلالة الملك فؤاد لمصلحته فابقى فى عمله

* * *

ولم يخف ماتم على بعض العسكريين الذين جاءوا من بيروت الى الاسكندرية لاستقبال المندوب وصحبوه الى القاهرة فقد قرأوا على وجهه آيات الألم فهونوا له أمر الثورة وقالوا له انها لاتلبث أن تخمد وأن عليه أن يظهر بمظهر القوة والبطش اذا أراد نجاحا فاستسلم اليهم فسيطروا عليه سيطرة فعلية وحالوا دون نجاح كل مفاوضة كما سيأتى بيانه

استئناف المفاوضات

لم يفل ماحدث من عزيمة اللجنة ، ولم تيأس من الوصول الى حل سلمى يعيد السيف الى قرابه فأوعزت الى أحد المتصلين بها فأرسل الى المندوب السامى يوم ٤ ديسمبر الكتاب الآتى من القاهرة :

انى عظيم الأسف بسبب الحادثة التى جرت فى مصر والتى تناقض كل المناقضة ما شاهدتموه من الحالة الروحيــة والرغبة الشديدة فى الاتفاق والتفاهم على أن هــذه الحالة الروحية لما تتغير واستعداد النفوس مازال على ما كان

ومع ذلك فانى أوجه نظركم الى الأمور الآتية :

١ ـ ان اللجنة راغبة فى التفاهم ووضع حد لسفك الدماء ولـكنها لأجـل الوصول الى هذه الغاية واقناع الذين بيدهم السلام رأت أن تقترح طريقة للأزمة وهـذه الطريقة لا يمكن نجاحها الا اذا وثقت من موافقتكم على بعض القواعد الأساسية

٢ ـ ان هذه القواعد بينت فى المذكرة التى قدمت اليكم فى الصباح

٣ ـ ان اللجنة لم تـكن تريد أن تطالبكم فى تطبيق سريع خطتها وكانت مستعدة للبحث فى الأسباب والاحتمالات

٤ ـ ان الـكتاب الذى وصل الى يدكم فى الساعة الحادية عشرة أرسل منذ الساعة الرابعة بعد الظهر وكانت اللجنة تتوقع أن يصل اليها الجواب وتبحث معكم فى الاتفاق اذا كان ممـكنا بعد سفركم

٥ ـ ان القواعد التى قدمها الوفد لـكم قائمة على الأسس التى بحثت فيها معكم فى باريس غير ان اللجنة أثارت مسألة الغاء الانتداب والجلاء عن البـلاد وكان من الممكن الاتفاق على هذه القواعد بطريقة مرضية للفريقين

ورد المندوب السامى يوم ٧ منه بكتاب قال فيـه : نعم ان الحالة مؤسفة وأنت تعلم ماذا صنعت فى لبنان الـكبير فانه سيبدأ يوم الخميس بوضع دسـتوره وكان أفضل لسورية لو أنها بدلا من أن تحارب تضع قانونها الأساسى وسنرى بعد ذلك الأمور الأخرى . وفضلا عن هذا فانى من الآن تردنى الأنباء من شمالى سورية وهى تبرهن على أن الخصومات

على وشك احداث حنق وتألم بين أجزاء سورية المختلفة وهما شديدان بقدر ما رأيت من أثرهما فى سورية ولبنان وأنت تصنع حسنا اذا قدمت الى هنا وقابلتنى يوم الثلاثاء ١٥ ديسمبر مثلا

المندوب السامى فى بيروت

وصل المندوب السامى الى بيروت يوم أول ديسمبر فاستقبل بالحفاوة وفى يوم ٣ منه زار مجلس لبنان التمثيلى وخطب خطبة طويلة استهلها بقوله :

حضرة الرئيس والسادة النواب

فى الساعة التى نزلت فيها من الباخرة فى ميناء بيروت سلمنى الحاكم المسيو كايلا القرار الذى وضعه المجلس النيابى للبنان الكبير ليشكر فرنسا التى كان جيشها سعيدا بوجود الدرك اللبنانى الى جانبه « يقاتل للدفاع عن الأراضى اللبنانية ولحماية سكانه وللمحافظة على استقلاله »

وكما ترون أيها السادة أننى أستعمل نفس العبارات التى أوردتموها فى قراركم وأننى أعيد قراركم نفسه ذاكرا بتأثر مشرب بمعرفة الجميل انكم رجوتم منى أن أنقل رسميا الى حكومة الدولة المنتدبة تأكيد تعلق اللبنانيين الذى لا ينفصم بالأمة الفرنسوية

ثم قال : ان عهد الاستشارات قد انتهى وانه قال أمس عند وصوله ويكرر قوله اليوم ويريد أن يصل الى أقصى الحدود وهو « السلام لمن يريد السلام والحرب لمن يريد الحرب » وانه حدد بهاتين الكلمتين خطة لا يمكن للرجال ولا للحوادث أن تحوله عنها ثم قال انه سيطلب الى الحاكم أن يدعو المجلس التمثيلى الى دورة استثنائية لوضع دستور لبنان وانه اذا أرادت بقية الدول أن تشترك فى فوائد الأنظمة الحرة فهى تعرف الطريق . ومن العبث أن يعرض العصاة على شروطا أو أن يطلبوا منى وعودا فان العمل الذى أقوم به هنا هو الجواب فالحرب الآن لم يبق لها مبرر » . فاجابه رئيس المجلس اللبنانى شاكرا

وفى يوم ١٠ ديسمبر أذاع المندوب البيان الآتى الى أهل سورية وجبل الدروز :

أيا كنتم مسلمين أو نصارى أو اسرائيليين ومهما تكن الطوائف التى تنتمون اليها أخاطبكم مخاطبة الصديق وأقول :

« مصيركم فى يدكم »

في هذا اليوم العاشر من شهر ديسمبر يجتمع عند اخوانكم اللبنانيين المجلس الذي انتخبوه وقد كلفته المناقشة في القانون الأساسي وانتخاب حكومة للبلاد ولكان الأمر كذلك في دولتي سورية وجبل الدروز لو أن هؤلاء يتمتعون كاللبنانيين بما يتعلق بالسلام من الخير والحسنات

ان هناك لسوء الحظ أقلية مصرة على متابعة حرب لاتنال من فرنسا ولا تضيرها فهي قصية عن هذه البلاد وهي أعلى من أن تصل اليها يد فهذه الحرب تشق البلاد السورية باستنزاف خزينتها وتدمير قراها ومزروعاتها وتشريد النساء والأولاد عن مأويهم وتأخير تنظيم الاستقلال السوري

اني لاألحق بهذه الأقلية مجموع الشعب السوري فان هذا الشعب يميل الى العمل في الهدوء والسكينة والحصول على تأسيسات حرة مميزات الشعوب الجانحة الى السلام

فان تكن الحرب تضطرني الى أن أعهد الى الجيش في الانفراد بالدفاع عن دمشق ضد العصابات فاني لا ألهو مع ذلك عن السهر على انماء واسعاد الأنحاء السورية الأخرى التي لا تزال أمينة للانتداب والسلام

فأنا اذن أدعو السوريين الحازمين المخلصين وجميع الوطنيين الصادقين الى معاضدتي في ظل العدالة والقوة الفرنسوية لتأمين سلامة الأشخاص وانماء ثروة البلاد وتوسيع الحرية الوطنية التي هي في نظري سبب وجود الانتداب الفرنسوي في هذه البلاد »

وبذلت على أثر وصول المسيو دي جوفنيل مساع عديدة للاصلاح والتوفيق لم تثمر ثمرة لان هذا كان يشترط على الثوار في كل مرة الخضوع وتسليم السلاح على أن تنفذ فرنسا بعد ذلك ماتسمح به نفسها من أنظمة وقوانين . وهذا بيان عن الجهود التي بذلت والوفود التي تألفت

١ — وفد الامير امين ارسلان

وأول وفد تألف للوساطة والتوفيق هو وفد الأمير أمين ارسلان فقد اتصل هذا بالمسيو ميليا أحد مساعدي المسيو دي جوفنيل واتفق معه على أن يسافر على رأس وفد الى جبل الدروز للصلح والتوفيق ولم يضعا قواعد للمفاوضة لتكون يد المندوب طليقة ولئلا يحمل تبعة الفشل

وتألف الوفد من الأمير أمين ارسلان والاستاذ فوزى الغزى ولطفى الحفار وعفيف الصلح فغادر دمشق يوم الخيس ١٧ ديسمبر الى درعا ومنها سافر الى عرى فوافاه اليها سلطان باشا وزعماء الثورة وتكلم الأمير أمين ملحا فى عقد الصلح ومبينا عدم فائدة متابعة الحرب فأجابه سلطان باشا واخوانه أنهم لايلقون السلاح حتى تجاب طلبات الأمة وأجلوها فى القواعد الآتية :

١ ـ توحيد الحكومات السورية

٢ ـ اعلان عفو عام بلا قيد ولا شرط

٣ ـ تأليف حكومة موقتة يرضى عنها الثوار

٤ ـ عقد معاهدة بين فرنسا وسورية

٥ ـ تعويض المنكوبين عن خسائرهم

ورجع الوفد الى بيروت وأبلغ طلبات الثوار للمسيو دى جوفنيل فرفضها

٢ — وفد دمشق

وأصدر المسيو دى جوفنيل يوم ١٩ ديسمبر أمرا الى الجنرال اندريا قائد منطقة دمشق بأن يعمل لتأليف وفد من دمشق يحمل اليه طلباتها فعقدت اجتماعات عديدة فى دار البلدية انتهت بانتخاب ٢٠ وجيه وبالاتفاق على تقديم المطالب الآتية :

١ ـ انشاء حكومة وطنية موقتة

٢ ـ تدعو هذه الحكومة الشعب لانتخاب مجلس تأسيسى انتخابا حرا

٣ ـ وحدة سورية بحدودها الطبيعية

٤ ـ تأجيل العقوبات المتعلقة بالثورة

ولما أبلغ المسيو دى جوفنيل ما استقر عليه قرار الوفد أرسل الى الجنرال اندريا يقول انه يأبى استقبال الوفد ومخاطبته أو التفاهم معه مادامت دمشق ثائرة وما دام الثوار لم يلقوا السلاح

وعاد فأرسل يوم ٢١ ديسمبر برقية الى الجنرال اندريا يقول انه ضرب بعد ظهر

الثلاثاء ٢٢ ديسمبر موعدا لاستقبال الوفد فسافر الى بيروت

وقبل حلول الموعد المضروب للمقابلة بساعات جاء رسول من قبل المفوضية الى الفندق الذى نزل فيه الوفد وأبلغ رجاله أن المندوب يقابلهم منفردين لا مجتمعين فعقدوا جلسة على الأثر قرروا فيها رفض هذا الطلب وقالوا انهم سيدخلون عليه مجتمعين واذا لم يقبل فيعودون أدراجهم فقبل طلبهم ودخلوا عليه فى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر وسلموه طلباتهم وقد استمرت هذه المقابلة نحو نصف ساعة ثم طلب أن يجتمع بكل واحد منهم على انفراد لسماع رأيه فتم له ما أراد . وفى الساعة السابعة دخلوا عليه مجتمعين فألقى عليهم البيان الآتى :

« سمعتكم جميعا واطلعت على مطالبكم وسأدرسها باهتمام كبير حاسبا حسابا للارتحال الذى لايقوم عليه عمل دائم فى حين أننا نريد القيام بعمل وطيد وانى أنتظرمنكم أن تعملوا معى بقدر امكانكم فى سبيل السلام فالسلام هو شرط العفو والدستور ويخشى أن تفضى اطالة الحركات العدائية فى سورية الى الخراب والجوع . فقولوا هذا للمقاتلين الذين يحاربون أنفسهم ، ويحاربون تحقيق أمانيهم وآمالهم نفسها لأنهم لو ألقوا السلاح لاستطاعوا الاشتراك فى الانتخابات التى ستجرى فى كل مناطق سورية المتمتعة فى الوقت الحاضر بالسلم . كما انى أفوض اليكم القول لهؤلاء المقاتلين الذين لم يرتكبوا جرائم تتعلق بالحق العام والذين لم يتولوا أية قيادة فى تلك الثورة أن كل من جاء منهم فى مدة خمسة عشر يوما الى مركز قيادة الكولونيل اندريا العامة وسلم سلاحه يستطيع العودة الى منزله بدون خشية . وأما الزعماء الذين يقدمون خضوعهم فى المهلة نفسها فلا يسعنى ان أعدهم قبل السلم الا بتأمين حياتهم وانى أتمنى من كل قلبى أن لا يكرهونى على استخدام النجدات التى امدتنى بها بلادى كى أتمكن فى وقت قريب من القول لفرنسا أن تمتنع عن ارسال الجنود فلنسرع فى توطيد السلم وتوطيد الدستور الذى يتلوه وفى ايجاد جو يساعد على المناقشة فى المشاكل الكبرى بأجمعها من دون أن يكون هنالك مجال لاتهام الدولة المنتدبة بالرغبة فى الضغط على أى كان وبدون أن تتهم أية مدينة كانت بالسعى للاجحاف بالمدينة الاخرى

« أما الآن فقد تقررت الانتخابات حيث يسود السلام بيد أنها ستجرى فى سنجق

دمشق وحوران بعد تاريخ الغاء الأحكام العرفية بشهر على الاكثر وان المجلس التمثيلى الذى سيكون وليد هذه الانتخابات يستطيع تقرير الدستور وأعضاؤه الذين يقررون شكل الحكومة لا أنا ولا أنتم

« فى لغتكم مثل عربى أحبه كثيرا يقول (صديقك من صدقك لا من صدّقك) ولقد سمعت أقوالكم جيعا فاسمحوا لى أن أسرد على مسامعكم حكاية كان فى أحد البلاد الجبلية رجلان فاضلان ابتاعا قطعتين من الأرض واسعتين فقضى أحدهما وقته فى بناء الجدران حول ملكه وكانوا يتهمونه عن خطأ او عن صواب بأنه يعتدى على ملك هذا وذاك فاختصم مع كل الجيران وتشاجر معهم وانتهى به الامر الى الافلاس قبل أن ينتهى من بناء منزله على أن الآخر اهتم أولا ببناء منزله و باتخاذ ذلك المنزل مسكنا له وبدعوة أصدقائه اليه فازدادت ثروته وكان سعيدا ومحبوبا من جيرانه الذين وثق معهم العلاقات الاقتصادية التى لاغنى عنها لنجاحه ونجاح الآخرين

« فهذه هى الطريقة السامية التى انصحكم باتباعها ـ لقد استقبلت منذ وصولى وفودا عديدة أبدت آراء مختلفة وليس فى وسع وفد من الوفود ولا فى وسعى أنا ان نقرر مصير هذه البلاد فالأمر منوط بالانتخابات فاعملوا أيها السادة على توطيد السلم فى القريب العاجل والسلم يتيح لسورية أن تقول كلمتها وهكذا تكونون قد خدمتم وطنكم وبلادى تشكر لكم أعمالكم هذه لأنها تتمنى السعادة لكل البلاد المشمولة بالانتداب كما انى أتمنى سعادتكم »

تحفظات الوفد الدمشقى

ودرس الوفد جواب المندوب ووضع تحفظاته عليه وقرر تمسكه بطلباته وألف لجنة منه قوامها فارس الخورى ورشدى الصفدى وعارف القوتلى اتصلت بالمسيوملبا وسلمته تحفظات الوفد على جواب المندوب ونصها :

« يرى الوفد أن التصريحات التى تفضل بها المندوب السامى لا تكفى لاجابة رغائب الأمة وتلبية مطالبها المشروعة ولا يستطيع الوفد أن يتفاءل بها لتحقيق الرغائب واعادة

السلام الى البلاد لان الفقرة الأولى التي تضمنت مطالب الوفد بخصوص العفو العام [1] لم تقترن بنتيجة كافية لاتقنع الثائرين وتحملهم على التسليم لأنها تتضمن شرط تسليم السلاح لنيل العفو ولا يخفى أن دروز حوران لا يقدمون على تسليم السلاح ما دامت البادية وسائر البلاد المجاورة لهم مسلحة

«ولقد حاولت الدولة العثمانية مرارا عديدة تجريد جبل الدروز من السلاح فلم تستطع ذلك وكل من أخذت منه بندقية عاد فاقتنى بدلها ولو ببذل كل مالديه فقبل أن تتخذ التدابير الكافية لامن البادية ومنع غزوات القبائل لا يميل الدروز الى تسليم أسلحتهم وعلى ذلك يكون هذا الشرط حائلا دون الاستفادة من منحة العفو

« أما الثائرون الآخرون الموجودون في جوار دمشق وسائر المناطق السورية فان أكثرهم غير مسلحين بالبنادق أو الاسلحة الحربية الأخرى فمن أذعن منهم وأقدم على التسليم تطالبه السلطة بالسلاح الذي كان بيده وهو لا يستطيع تسليم سلاح حربي لأنه ..

(١) هذا نص قرار العفو الذي أصدره المفوض السامي يوم ٢٣ ديسمبر وقد أطلق على أثر اعلانه سراح المعتقلين في ارواد والحسجة من أعضاء حزب الشعب وهم : عثمان الشراباتي وتوفيق شامية وجميل مردم بك وعبد المجيد الطباخ وعمر الطيبي وخالد الشلق واحسان الشريف

١ ـ لا يعاقب بأعمال العصيان الذين اشتركوا مع العصابات الثائرة التي أقاقت الامن العام سنة ١٩٢٥ اذا لم يرتكب هؤلاء جريمة خاصة ولم يتولوا قيادة العصابات اذا مثلوا لدى السلطة العسكرية قبل ٨ يناير سنة ١٩٢٦ وقدموا أسلحتهم لاجئين الى منازلهم

٢ ـ ان الذين يعرف عنهم انهم كانوا رؤوساء عصابات ثائرة تتخذ بحقهم تدابير فردية تقرر وفقا لأهمية الدور الذي مثلوه ووفقا للظروف التي قدموا فيها خضوعهم ومع هذا فاذا قدم رؤوساء تلك العصابة خضوعهم قبل ٨ يناير سنة ١٩٢٦ لا ينفذ بحقهم حكم الاعدام الذي يصدر عليهم لأعمال العصيان التي بدرت منهم

٣ ـ ان الاحكام المقررة أعلاه مستقلة عن الغرامات وحجز الاموال التي قد يحكم بها قصد التعويض على الضحايا وبدل العطل المتسبب من الفتنة

لا يملكه فيفضى ذلك الى حبسه وارهاقه لأجل تسليم السلاح ويكون هذا حائلا دون تمتعه بالعفو ومانعا لغيره عن اقتحام التسليم وعلى ذلك يبقى هـذا الشرط عثرة فى سبيل انقاذ هذا الأمر والوفد يرى أن وضع هذا الشرط يعرقل المساعى الصلحية التى جاء لأجلها

«وأما منع العفو عن الزعماء فهو أيضا حائل دون الوصول الى الغاية المطلوبة لأن هؤلاء الزعماء يمتنعون عن بذل نفوذهم فى سبيل اخماد الثورة والقاء السلاح ماداموا غير آمنين على حريتهم والتمتع بالعفو المنتظر كما أن هيئة الوفـد لا تستطيع أن تؤثر فى الثائرين الا بواسطة هؤلاء الزعماء وعلى ذلك ترى أن العفو لا يفيد بالطريقة المطلوبة الا اذا منح للزعماء والافراد على حـد سواء . ومهما كانت بيانات المفوض السامى مشيرة الى سلامة حياة الزعماء وضمانها فهى لا تضمن لهم الحرية بل تجعلهم عرضة للمحاكمة والسجن ولا ينتظر أن يذعن هؤلاء ويجاروا الوفد فى خطته السلمية مالم يطمئنوا بأنهم يستفيدون من العفو فائدة عاجلة

« وطلب الوفد انشاء مجلس تأسيسى لوضع الدستور على قاعدة السيادة القومية وكان يأمل أن المفوض السامى بالاستناد الى تصريحاته العديدة يتفضل باجابة هذا الطلب بصورة صريحة بيد أن القرار الذى نشرته الصحف اليومية جاء مضعفا لهذه الامنية ومهددا الدولة السورية بخطر جديد للتجزئة [1] لأنه تضمن اجتماع نواب كل لواء على حدة وتقرير الروابط السياسية بين لوائهم والألوية الاخرى حتى اذا قرر أحـد الألوية أو احدى الولايات الانفصال عن الوحدة الحاضرة يجاب الى ذلك وبهذا يتيسر لدعاة الانفصال أن يمثلوا دورهم بدسائس جديدة لتمزيق البلاد السورية وانشاء دول جديدة فيها علاوة على العدد للموجود فى حين ان استشارة الألوية بواسطة ممثليها قد تمت فى المجالس التمثيلية السابقة فقد قرر مجلس النواب الحلبي الانضمام الى دمشق كما قرر مجلس النواب الدمشقى الانضمام الى حلب وتألف من المجلسين مجلس واحد قام بوظيفته مدة سنتين وعلى ذلك يكون الاستفتاء قـد تم بالطريق القانونى وأصبحت الوحدة بين حلب ودمشق قضية محكمة لم يعد من الجائز الرجوع اليها واعادة الاستفتاء مرة ثانية ولو صح ذلك لجاز تكرر هذه الاعادة كلما اجتمع

---

(١) نشرنا هذا القرار فى الفصل الذى عقدناه للانتخابات

مجلس تمثيلي جديد فالوفد يرى ذلك افتئاتا على الوحدة السورية ويعد هذا القرار مهددا بتمزيق جديد وهو قادم لطلب توسيع الوحدة وضم البلاد المساوخة

« ان هذه القاعدة المسنونة فى قرار الانتخاب المذكور هى محصورة فى الالوية السورية فقط فى حين أن الألوية اللبنانية لم تكلف مثل هذا الاستفتاء بل ترك الأمر للمجلس النيابى العام يقرر فيه مجتمعا . فاذا كان الاستفتاء اللوائى يطبق فى سورية يصبح من الواجب تطبيقه فى لبنان أيضا وعندها تنتخب كل محافظة على حدة ويجتمع النواب فى مركز المحافظة ويقررون البقاء مع لبنان أو العودة الى الوحدة السورية . فالوفد يرى أن التفريق بين لبنان وسورية فى المعاملة على هذه الصورة مجحف بحقوق سورية وهادم لوحدتها

« ومازالت الاقضية الاربعة التى سلخت عن دمشق فى سنة ١٩٢٠ تلح بالرجوع الى تلك الوحدة وقد احتجت الحكومة السورية فى ذلك الحين على ذلك السلخ غير القانونى واحتفظت بحق الاعتراض عليه واقامة الدعوى بشأنه عندما تسنح الفرص وبما أن الانتداب هو الحكم بين الدول السورية عند وقوع خلاف على أى أمر كان فالسوريون اليوم يرفعون الدعوى لدى ممثل الانتداب على دولة لبنان الكبير ويطلبون استرداد هذه الاقضية بعد سماع مدافعاتهم بشأنها فى طريق الاتصال بين دمشق وحلب بالسكة الحديدية وأكثرية سكانها يطلبون ذلك وبعد أن يسمعوا حكم ممثل الانتداب يبقى حق استئنافه الى المراجع العليا كالوزارة الفرنسوية وجمعية الأمم ولما كان من المسلم به أن للسوريين الحق بعد انتهاء الانتداب بالمطالبة بحدودهم الأصلية فاذا لم تكن هذه الحدود غير مؤسسة منذ الآن على قاعدة المساواة وحفظ الحقوق يبقى باب النزاع مفتوحا . ولما كانت وظيفة الانتداب اليوم تأسيس الحدود على سلم دائم ووفق أبدى بين المقاطعات السورية فليس من الحزم أن يترك سبيل النزاع ميسرا لهذه المقاطعات ولا يعقل أن ترضى سورية الداخلية فى وقت من الأوقات أن تبقى محرومة من منفذ على البحر وبما أن مدينة طرابلس وملحقاتها تطالب بالعودة الى الوحدة السورية لأنها ميناء حمص الأصلية ولا تستطيع الدولة السورية أن تعيش بدون هذا المنفذ . فاذا كانت الدولة المنتدبة تريد أن

تؤسس سلما دائما بين السوريين فما عليها الا أن تنصفهم وتعطى كل ذى حق حقه منـذ الآن ولا تترك باب الشر مفتوحا

« وينص قانون الانتخاب الذى أصدره المندوب على اجراء الانتخابات بحسب القانون الأخير الذى سنه الجنرال فيجان على أساس القضاء ومنع الترشيح على غير سكان القضاء الذين من ستة أشهر على اقامتهم فيـه وبما أن المجلس المنوى انتخابه هو مجلس تأسيسى فانه يتعذر وجود نواب صالحين لوضع الدستور فى كل قضاء من هذه الأقضية واذا بقى هذا القرار نافذا يخرج معظم النواب من سكان القرى الذين ليس لهم خبرة كافيـة فى مثل هذا العمل الهام فالوفد يطلب أن يقبل ترشيح أى سورى كان فى كل قضاء من أقضية البلاد السورية . ولما كان هذا القانون مؤسسا على الطائفية وفيـه حرمان للاقليات من حقوق الترشيح بصورة لم يسبق لها مثيل فى الأصول النيابية فالوفـد يرى أن تزال هـذه الفوارق ليتمتع جميع أبناء الوطن بالحقوق العامة

« ان مهمة الوفد سلمية صرفة وقـد عرض على المندوب الاسس التى يعتقد انهـا صالحة لارضاء الشعب السورى واعادة السلام الى البلاد وهو بما له من الخبرة يلح فى الرجاء بقبولها لتنال سورية استقلالها مع الاحتفاظ بصـداقة فرنسا ومحبتها على قاعدة النفع المتبادل »

استقالة رئيس الحكومة السورية

ولقد كان من النتائج المباشرة لتأليف الوفد الدمشقى وسـفره الى بيروت استقالة صبحى بركات رئيس الحكومة السـورية ، لانه اعتبر مطالبـة الوفد بانشاء حكومة موقتة واستقبال المندوب للوفد وقبوله مفاوضته تحديا لحكومته فأرسل يوم ٢٢ ديسمبر الى المندوب الكتاب الآتى :

ياصاحب السعادة

« ان المشـكلات الحاضرة التى استعصى حلهـا تدعونى لأن أقدم اليكم اسـتقالتى وانى كرجل وطنى يشاطر هذه الأمة شعورها ويعانى أمورها منذ عهـد طويل الأمد لابد لى وأنا فى الساعة الأخيرة من الحكم أن ألفت نظركم الى أن هذه البـلاد لايستقر

قرارها الحقيقي ولاتعود لها أمانيها وطمأنينتها الا اذا أجيبت الى مطالبها العادلة مثل تأليف مجلس تأسيسي يضع قانونها الأساسي على أساس السيادة القومية وانشاء حكومة دستورية تكون وحدها مسئولة عن سياسة البلاد وادارتها وأن يعلن فيها عفو عام بدون استثناء الا فيما يتعلق بالحق الخاص وأن تؤيدوا سورية فى دخول جمعية الأمم

« وبقيت مسألة ذات عقد كثيرة وهي مسألة الوحدة السورية بين الحكومات التي تؤلف الدولة السورية وجبل الدروز وبلاد العلويين من جانب والبلاد التى أضيفت الى لبنان من جانب آخر فان حل هذه المسألة يحتاج الى اقدام وبعد نظر لأن الوطنيين السوريين يعتبرون أن فى بلادهم وحدة حقيقية فى العادات والتقاليد والآمال والآلام والعنصر واللغة . وهنالك كذلك عوامل اقتصادية وجغرافية هي على جانب عظيم من الأهمية وانى لا ارتاب أنكم ببعيد نظركم وصحة رأيكم وماجبلتم عليه من الكرم وحب الخير تستطيعون أن تذللوا المصاعب كلها وتسلكوا فى هذه البلاد سياسة جديدة لاعلاقة لها بالقديم تقرب منكم القلوب وتؤسس بين بلادكم وبين سورية صلات ود ثابتة تنسى النفوس مافيها من أحزان وحسرات وتضمن للجميع سلاما دائما ورخاء شاملا »

دعوة الشيخ تاج الدين الحسنى الى تأليف الحكومة

ودعا المندوب الشيخ تاج الدين الحسنى لتأليف حكومة جديدة فقبل هذه المهمة مبدئيا يوم ٢٤ ديسمبر ووضع برنامجا واسع النطاق لوزارته واشترط قبوله للاضطلاع بالحكم فدارت بشأنه مفاوضات بينه وبين المندوب استمرت خمسة عشر يوما وانتهت بالفشل لرفض المندوب قبول البرنامج وهذا نصه :

«أقدمت الوزارة الحاضرة على تقلد أمور البلاد وهي عالمة بثقل المهمة الملقاة على عاتقها فى هذه الأزمة الشديدة التى تحتم على كل وطنى أن يبذل قصارى مجهوداته لتحقيق رغائب الأمة وانقاذها من الأخطار التى تحدق بها من كل جانب وستعمل على ايجاد طريقة حل يكون فيها مقنع ومرضاة للسوريين من غير أن تناقض المصالح الفرنسوية الحقيقية . وستضع نصب عينها تشييد أركان سلام دائم يرضى عنه جميع أبناء الوطن سواء المقيمون والنازحون حتى يتعاونوا على انهاض البلاد من عثارها واقالتها من كبوتها وتخليصها من

الكوارث التى كادت تقوض أركانها وتهد بنيانها واننا تتحمل أعباء هـذه الحالة برباطة جأش ونخاطر بانفسنا فى سبيل الأمـة وسلامة الوطن . ولـكننا حبا فى بلوغ الغاية المنشودة وتحقيقا لرغائب الأمة التى تسعى وراءها لم نجد بدا من العمل على القواعد الآتية :

١ ــ تحقيق الاستقلال بوضع قانون البـلاد الأساسى على قاعدة السلطان القومى ودعوة مجلس تأسيسى عام للبلاد السورية للقيام بهذا العمل

٢ ــ تأليف دولة واحدة من سورية الحاضرة وجبل العلويين وجبل الدروز على أن تدار على قاعـدة اللامركزية بحسب مايقرره المجلس التأسيسى العام واسـترداد الأقضية الأربعة وهى البقاع و بعلبك وحاصبيا وراشيا التى كانت سلخت عن سورية سـنة ١٩٢٠ بقرار عرفى على غير رغبة أهلها وبالرغم عن مواقعها الجغرافية وضرورة المواصلات بكونها جزءاً لاينفك عن سـورية . أما سائر الأقاليم التى أضيفت الى لبنان فانه ينبغى أن تؤلف مقاطعة مستقلة تنتخب نوابها وتقرر مصيرها وعلاقاتها السياسية اذا لم يمكن الاتفاق فى شأنها مع حكومة لبنان

٣ ــ معاهـدة تعقد بين فرنسا وسورية ولا تـكون نافذة الا اذا أبرمها البرلمان السورى على شرط أن تـكون مؤسسة على قاعدة السلطان القومى للسوريين مع حفظها لفرنسا فى النفوذ السياسى والرجحان الاقتصادى مالا يتعارض مع ذلك السلطان القومى

٤ ــ دخول سورية فى جمعية الأمم

٥ ــ الجلاء التدريجى متى تألفت فى البلاد السورية قوى أمن كافية

٦ ــ التعويض على منكوبى الثورة

٧ ــ اصلاح النظام الاجتماعى والنظام النقدى

٨ ــ توحيد القضاء بحيث يكون مؤسسا على قاعدة السيادة القوميـة مع حفظ حقوق الأجانب والسوريين معا

٩ ــ تحقيق العفو العام عن جميع الذين اشتركوا فى الثورة فى أنحاء سورية المختلفة مع حفظ الحق الشخصى لأربابه

١٠ ــ اطلاق يد الحـكومة فى ادارة البلاد

١١ ــ لما كانت البلاد السورية من البحر المتوسط حتى حـدود العراق آهلة مأمة

واحدة تؤلف بينها وحدة اللغة والعنصر والتقاليد والآمال ولما كان جبل لبنان قد خص بإدارة ممتازة بسبب ضرورة محلية فان الواجب يقضي بأن تقدر هذه الضرورة بقدرها وبأن لاتتجاوز مكانها

وختم البيان بكلمة عامة جاء فيها ان الوزارة تؤلف لادراك السلام وتأسيس قواعد صداقة بين الفرنسويين والسوريين على أن تقوم على أسس الثقة المتبادلة والمنفعة المتقابلة وقالت «انها تعتمد على تأييد الشعب ومؤازرة عقلاء الأمة»

حكم فرنسوي مباشر

ولما عجز المسيو دى جوفنيل عن انشاء حكومة وطنية تقبل التعاون مع الفرنسويين أصدر يوم ٩ فبراير سنة ١٩٢٥ قرارا عين فيه المسيو بير اليب حاكما على سورية وهذا نصه :

ان ادارة وتسيير الأعمال الادارية فى دولة سورية تؤمن بعناية وتحت سلطة المندوب فوق العادة للمفوض السامى لدى دولتى سورية وجبل الدروز — المسيو بير اليب وذلك الى أن يوضع نظام نهائى بعد انتهاء الانتخابات وبعد انتهاء المندوب المفوض السامى من انتخاب مساعديه

٣ — مفاوضات جبل الدروز

ولما فشلت مساعى المسيو دى جوفنيل فى مصر وبيروت أوعز الى الجنرال اندريا بان يتصل بالدروز مباشرة ويدعوهم الى السلام فأرسل اليهم من درعا وكانت مقره يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ المنشور الآتى :

ان الكولونيل اندريا حاكم جبل الدروز يعلن للشعب الدرزى ولشيوخه بان الدروز المتمردين قد انكسروا فى راشيا كما أنهم سوف ينكسرون دائما كلما أرادوا السير ضد الفرنسويين

ان الدروز المتمردين قد تمكنوا أن يبعثوا فى شهر أغسطس الماضى فرقا صغيرة من الجنود السورية لم تتخذ (نظرا لعدم اعتقادها بمراوغة سلطان الأطرش وبعض الشيوخ الآخرين) جميع الاحتياطات الواجب اتخاذها لمقاومة عدو حقيقى غير أن

الفرنسويين ينظرون اليوم بعيون مفتتحة ويدركون بأن الشعب الدرزى هو عموما طيب السريرة وبأن أغلب المشايخ يعترفون بأن فرنسا قد أصلحت أحوال البلاد على أن الفرنسويين يعرفون أيضا بأن الشيوخ سلطان ومتعب وزيد عامر وزيد الأطرش لم يحافظوا على حرمة الكلام الذى أعطوه وما برحوا يدفعون بالشعب الدرزى الى العصيان والتمرد رغبة فى ارضاء مطامعهم الشخصية ولأنهم يقبضون دراهم من الأجانب (؟)

ان سلطان الأطرش كتب لى زاعما (يعنى الرد على كتابه الأول ولم يفرق سلطان باشا بين سورية وجبل الدروز بل هو يعتبرهما بلادا واحدة) أنه يطلب استقلال سورية كلها (كذا) مهملا التكلم عن جبل الدروز اذاً فهو لايرغب فى استقلال جبل الدروز بل يريد أن يحكم البلاد تحت امرة أمير من أمراء العرب فيأمر وينهى اذ ذاك كسيد مطلق وكون العنف والاستبداد من طبعه لايصرف ادارة الأمور بغير العنف والقساوة فيصبح عندئذ الشعب الدرزى شعبا تعيسا وتئنون تحت نير كالشهبندر الذى بعد أن يقذف بكم فى هاوية النحس وسوء الطالع يصرف كل جهوده وهمه الى ابتزاز جميع مايصل اليه من دراهمكم وأموالكم

انى بصفتى حاكما للدولة الدرزية أوجه الكلام الى الشيوخ أصحاب النظر الثاقب فى الأمور والعقلاء الذين يعرفون حقيقة سلطان ومتعب ويثقون بان ليس من سبيل الى انتظار عمل صالح منهم والى الشعب الدرزى كافة قائلا للجميع احذروا من الانقياد بعد الآن لسلطان فهو يسير بكم الى الخراب والتعاسة انى رجعت حديثا من بيروت حيث واجهت المفوض السامى وطلبت منه الاستقلال الادارى التام لدولة الدروز وقد تم هذا الأمر ووعد بتحقيقه رئيس الجمهورية الفرنسوية ولذا فان مشايخ الدروز سوف يستطيعون تعيين حاكم ينتخبونه بذاتهم ثلاثة أشهر عقب التسليم العام وأنا سوف أعمل بنفسى لخيركم كما فعلت الى الآن غير أنى سأبذل جهودا أعظم عند ماتأتون بذاتكم لمقابلتى والتسليم بين يدى « لاتترددوا أبدا ولاتنتظروا قط »

فقد قلت لكم قبل الآن ان شروط التسليم تزيد ثقلا كلما تأخرتم عن نبذ العصيان وتقديم الطاعة

انني قد أنذرتكم بان حملات فرنسوية قوية جدا ستزحف عليكم فى الربيع القادم فويل لكم اذ ذاك لأن الشقاء والتعاسة سينزلان بقراكم وبعيالكم وبحلالكم وبمواشيكم

انى قد انتهيت من قراءة تاريخكم فوجدته طافحا بالأمور الجليلة. فانتم أشداء فى الحروب يلذ لى أنا الفرنسوى التحدث معكم ولكن تعالوا الى فى درعا انكم سيمكنكم العودة بعد مواجهتى الى بيوتكم كما أنكم ستدركون عند مواجهتى عظيم اخلاصى للدولة الدرزية لأنى مجرد من الأغراض الشخصية فى حين أن سلطان والأجانب الذى يغرونكم اليوم لايفدرون الا بأنفسهم وبالدراهم التى يأملون الحصول عليها من الجنوب أومن دمشق انى عازم على جمع المجلس عن قريب فى درعا فالشيوخ الذين يأتون سيناقشون معى فى القانون العتيد الذى سيعطى للدولة الدرزية وسنعتبره مع المأمورين الجدد ونقرر أمر السلام ويرجع العمران والفلاح الى بلادكم مع رجوع الطمأنينة فاذا لم يتم ذلك ضربت المجاعة أطنابها فى الجبل لانكم لن تستطيعوا حصد مازرعتموه فالحملات الفرنسوية ستمنعكم من ذلك فتنهب اذ ذاك قراكم وتذهب طعمة للنار ويباد ويخرب جميع مالكم من الحلال . ان الدروز سوف يندحرون كما اندحروا فى السويدا ورساس وراشيا

ان لى ثقة فى حسن ادراك شيوخ العائلات الكبرى وانى على انتظار فى درعا ولكن أنذركم بعدم التأخير ان كنتم ترغبون فى عودة السعادة لديركم . وانى أطلب من الحق سبحانه وتعالى أن يلهمكم الى مابه خيركم وأن يرفق بأحوالكم وبكم — اه

وعاد الجنرال اندريا فأرسل الى جبل الدروز يوم أول يناير سنة ١٩٢٦ المنشور الآتى وقد ألقته الطيارات الفرنسوية

الى عموم الرؤساء الروحيين والجسمانيين للجبل وسائر الشعب الدرزى المحترمين

لقد بينا لكم قبل الآن بانه يعز علينا ويؤسفنا جدا أن نراكم كل يوم تسحبون زيادة فى بحر الجهالة والشقاء بمداومتكم على القيام بالحركات الافسادية واهراق دمائكم العزيزة دون جدوى . انكم شعب مخدوع لأنكم تقتلون أولادكم فى سبيل مصلحة هى غير مصلحتكم والذين من وراء دورهم يدفعون بكم الى الموت والخراب مسرورين جدا من امكانهم استخدامكم فى سبيل غاياتهم ومطامعهم الخصوصية

أيها الدروز ان أمة بنى معروف لم تكن فى زمن من الأزمان مستعبدة حاشا وكلا فأنتم شعب نحترمه ونجله وقدعاملنا رؤساءكم أحسن معاملة ونحن الذين منحنا كم الاستقلال وجعلنا جبل الدروز دولة مستقلة مساوية لدولتى حلب ودمشق . وقد عملنا هذه الامور لمصلحتكم برغم عن معارضة أعدائكم الذين لم يكونوا مسرورين أبدا من حظكم بل متكدرين غاية الكدر من رؤيتكم مساوين لهم فى المجالس وفى مقاعد الحكومة وفى الاحتفالات الرسمية وأمام كبراء وعظماء الارض الذين كنا نعزمهم خصوصا لزيارة جبلكم لاعلاء جاهكم

وأنتم أيها الدروز المحترمون تعرفون جيداً كل هذه الحقائق وتعلمون حق العلم بالاختبار انا نحن الفرنسويين لسنا كقواد تركيا ممدوح باشا وسامى باشا وغيرهما من الذين كانوا يؤمنون زعماءكم وعامتكم ويحنثون بوعودهم ولسنا أيضا كالدولة العربية التى أرادت أن تجعل جبلكم متصرفية بسيطة يخضع لمأمورى دمشق ويلتجئ لعجرفة مشايخ عربان البادية !

أيها الدروز الاجلاء هل رأيتم فى زمانكم تاجراً من أهل المدن يحترم حقوق فلاح مادية كانت أو أدبية

كلا وألف كلا فأنتم أيها الدروز شعب نشيط وذو بأس ونحن معاشر الفرنسويين أحفاد بونابرت الكبير الذى كان أعظم ملوك الأرض طراً والذى لما أتى الى عكا فاتحا أحبكم وكتب لاجدادكم الكرام الذين أحبوه أيضا عدة تحارير بخط يده فمن ذلك الذكرى العزيزة وغيرها نقدم لكم النصح والخير أولا وان عقلاءكم يعرفون ان أحفاد نابليون كثيرون جدا وان نفوسهم تتجاوز الأربعين مليونا عداً وحكمهم يسود من أطراف المغرب الى أقاصى الهند الصينية على أكثر من مئتى مليون من الرعايا يستحيل عليكم مهما كنتم أصحاب بأس أن تحرزوا عليهم النصر النهائى أو تتغلبوا عليهم نظراً لشهرتهم بتاريخ العالم واتساع سلطانهم المترامى الأطراف خاصة وهم معتمدون كل الاعتماد ومصممون النية على الرجوع الى الجبل والعودة اليه مهما كلفهم الأمر وأنتم تدركون ان فرنسا اليوم تفضل مائة ألف مرة أن تمحى برمتها من وجه الأرض على أن لا تعود الى الجبل وهى عازمة اذا اضطرها الأمر أن تجلب مائة طابور لهذه الغاية اذ ان

شرفها وسمعتها كدولة معظمة يقضيان عليها بالرجوع اليه

لكن فرنسا وان كانت شديدة البأس فهي أيضا كبيرة الحلم واسعة الصدر وهي أم المدنية والعمران وتعرف أيضا أن تفرق بين الحنطة والزيوان وبين الجاني والضحية وكما ان أصابع اليد البشرية هي غيرمتساوية ففرنسا الذكية المشهورة بانسانيتها ستعرف جيداً أن تفرق بين الذي حارب من تلقاء ارادته وبين الذي حارب غصبا عنه وبين المعاند وبين النادم لأن الذي يعاند يظن نفسه مصيبا في حال ان جميع الناس عرضة للسهو والخطأ

ان فخامة المفوض السامي المسيو هنري دي جوفنيل الذي كان في باريس نائبا لجمعية الأمم قد صرح بصوت جهوري وعال تسمعه جميع الأقطار السورية انني سأحارب كل من يريد الحرب وأسالم كل من يريد السلم ان هذه الجملة الذهبية ستلمع في تاريخ فرنسا مظهرة في وقت واحد عزمها القاطع وحلمها وقدرتها على التفريق بين الذين يريدون الحرب وبين الذين يحاربون بالرغم عنهم لأننا نحن نعلم أمورا كثيرة عن الجبل ونعرف أن نفرق كما يقتضي بين الحنطة والزيوان كما قدمنا

انني اردد على مسامعكم بأن فرنسا تضمن سلامة رأس كل من يقدم خضوعه بالحال وتؤمن حياته فقدموا خضوعكم بالحال بلا تردد ولا امهال واستسلموا الى فرنسا فما فرنسا إلا ام حنون لكم تعالوا اليها ولا تخافوا لماذا تتركوا الغير يخدعونكم هل اصبحتم أيها الدروز عبيداً لاهل الشام وسكان شرقي الاردن ؟ انني اقول لكم الحق أن صبر فرنسا كبير غير ان له حدودا واليوم الذي يفرغ فيه صبر فرنسا تندمون حيث لا ينفع الندم وتأسفون على عدم استماع نصائحي ولكن هيهات بعدفوات الاوان . انا انذركم بانه ستأتي ساعة لاتسمع فيها ضراعة ولا رجاء يوم تزحف الجيوش على الجبل بقواتها القاهرة فلا تبقي ولاتذر وتدمر وتحرق وتبيد جميع الاملاك للذين لم يقدموا قبل ذلك اليوم طاعتهم وخضوعهم لفرنسا

أيها الدروز اني انتظركم الآن بدرعا وكل واحد منكم يستطيع المجيء عندي وانا احلف له بشرف الجنرال اندريا أنني أتركه في جميع الاحوال يرجع حراً لبلاده بدون أدنى معارضة وفي أي وقت يريد الرجوع لكن اياكم ثم اياكم ان تتأخروا بعد أو تنتظروا بعضكم بعضاً وان يقول واحدكم متى ذهب الاخر انا اروح فانني احذركم من ذلك كل التحذير

تعالوا الى كل واحد بمفرده لان الساعات والايام تمضى بسرعة مر السحاب و يوم العقاب صار أقرب مما تظنون والسلام على من اتبع الهدى وسمع النصيحة واهتدى الف سلام

ولما ألقى هذا المنشور على جبل الدروز أرسل عبد الغفار باشا الاطرش كتابا الى الامير أمين أرسلان مع رسول اسمه الشيخ اسماعيل عبد الدين وأرسل ضمنه جواب الشعب الدرزى على المنشور وهذا نص الجواب :

المسيو دى جوفنيل المندوب السامى الفرنساوى

ألقت الطيارات مع قنابلها نشرة فيها السؤال للدروز عن سبب استمرارهم فى الحرب الى آخر ماورد فيها فيا فخامة المندوب نرجو أن يكون للحقيقة عندك مكان واسع حتى اذا أردت أن تطلع على حقيقة أسباب هذه الثورة وما سبقها منذ ٦ سنوات فى أماكن مختلفة من البلاد السورية يتيسر لك ذلك دون أن تضطر الى قبول التقارير الرسمية المبنية فى الاكثر على معلومات غير صحيحة كما وقع لاسلافك

الدروز لم يعتدوا على الفرنسويين بل صبروا على شدة وقسوة وأمور مخالفة لمصالحهم وللعدل مدة طويلة وفى أثناء ذلك كانوا يجربون بكل الوسائل اسماع شكواهم الى ممثل فرنسا فكانت مساعيهم السلمية هذه تذهب سدى حتى تفاقم الأمر وانفجرت هذه الثورة فكان ما كان

فالدروز يافخامة المندوب السامى يحاربون فى سبيل حرية البلاد السورية واستقلالها وحقوق معترف بها وفى سبيل شرفهم الذى أهين مرات عديدة وكل منصف يعذرهم فى ذلك و يعذرهم اذا تنبهوا هذه المرة لعدم الوقوع فى خطيئات سياسة حتى لا يبقى سبب لتكرار الحروب ومعلوم لفخامتكم ان الثقة لاتتولد فى النفوس لمجرد صدور الوعود فان التجارب الماضية التى جربت فى زمن أسلافك الثلاثة لم تترك فى نفوس السوريين عموما والدروز خصوصا أثرا من الثقة والاعتماد لذلك ليس من الأمور الهينة فى الحاضر اقناع الشعب الدرزى وجميع الثوار بترك السلاح بلاقيد ولا شرط

ان حقوق الشعوب الطبيعية التى لا تستطيع قوة بشرية قتلها أو اخفاءها هى نفسها من دواعى الثورة فمتى صار الاعتراف بها للشعب السورى و وضع العمل بها على

أساس متين يدفن حاول الوفاء محل الجفاء فلا يبقى باعث لتجدد القتال ولا العداوة وهذا الأساس قد آن لحكومة الشعب الفرنسوى الحر الذى سبق الجميع الى طلب حقوقه بثورة دموية هائلة أن تضعه فتكسب صداقة شعب كامل وتزيل من النفوس أثر السيئات الماضية التى سببت هذه الثورة وغيرها من قبلها

أظهرتم لفخامتكم اشفاقكم على نساء الدروز وأطفالهم من الجوع وغيره وفى الحقيقة ان الطريقة التى اتبعها الجيش الفرنسوى فى رمى قنابل الطيارات والمدافع على المنازل والبيوت المأهولة بالنساء والأطفال هى أشد من الجوع والبرد وتدل على قساوة لا يمكن أن ينكرها منصف كفخامتكم ونؤكد لكم أن هذه القساوة الممنوعة بين الدول هى التى جعلت عموم الدروز يشعرون بالحقد الشديد على السلطة الفرنسوية ويصممون على مواصلة القتال ويظهر لنا من عبارات هذه النشرة التى نحن فى صددها أن فخامتكم لم تتوفقوا بعد الى تطهير محيطكم من الأشخاص الذين يحاولون تغطية غلطاتهم السياسية والادارية بوضع التقارير والاعتماد على بضعة أشخاص لا قيمة لهم بيننا ولا يقدرون أن يؤثروا فى شىء جوهرى بل يسيرون وراء المنافع الشخصية ونعتقد أنه من الضرورى أن نبين لفخامتكم أن الدروز ليسوا كما يصورهم لكم البعض ولا يمكن أن يلعب بهم أحد فقائد الثورة سلطان باشا الأطرش قد جعلت له القيادة برضى العموم من دروز وغيرهم وقد سار على الخطة التى أجمع عليها الرأى العام وكنا نظن يا فخامة المندوب انكم تقدرون عواطفنا الوطنية حق قدرها فلا تتهمونا بأننا آلة بيد الأجانب لذلك نكرر لفخامتكم اننا طلاب حقوق طبيعية مشروعة لا غبار عليها ولا يوجد فى تحقيقها ما ينافى مصلحة الشعب الفرنسوى الحر

والخلاصة اننا نؤكد لفخامتكم انكم باجابتكم البلاد الى مطالبها تخدمون الانسانية ووطنكم خدمة كبرى تسجل لكم بمداد الفخر ومن أهم هذه المطالب الاعتراف بالاستقلال واستبدال الحالة الحاضرة بشكل يتفق عليه يضمن لفرنسا مصالحها دون أن نتحمل الخسائر العظيمة فى المال والرجال ودون أن تضطر البلاد لحمل السلاح دائما للوصول الى غاية شريفة لا تعجز حكمتكم عن تحقيقها بصورة سلمية والبلاد يا فخامة المندوب غير مستعدة لقبول التجزئة المضرة وحيث ان جمعية الأمم هى الهيأة التى اتفقت على ايجادها دول العالم المعظمة

ومنها حكومة فرنسا لأجل منع الخصام بين الشعوب فنحن نرى أن يكون الاتفاق الذى تطلبه البلاد مسجلا لدى جمعية الأمم وغنى عن البيان أن هـذه النقاط كلها لايمكن حلها بواسطة النشرات والمخابرات غير الرسمية بل تتخذ لها طرقاً أخرى كاعتماد مفوضين يمثلون رغائب الجميع

الامضاء : الشعب الدرزى

رد المسيو دى جوفنيل

وقد رد المسيو دى جوفنيل على كتاب الشعب الدرزى بالكتاب الآتى يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٢٦ :

أيها السادة

أفهم جيداً أن الشعب الدرزى يريد تجنب الوقوع فى غلطات جديدة حتى لايقع فى حروب جديدة كما جاء فى الكتاب الذى أرسل لى

اذا كان الشعب يطمح الى الحصول على حقوق مشروعة كما صرح به الكتاب نفسه فانى مستعد كل الاستعداد أن أمنحها له وفقا لميثاق جمعية الأمم والانتداب كما منحتها للبلاد اللبنانية والسورية التى لم يقع اضطرابات فيها انما لايمكن المطالبة بهذه الحقوق المشروعة الا بالوسائط المشروعة

فليكف الشعب الدرزى عن الحرب فيقدم له قانون أساسى بالاتفاق مع السلطات الوطنية ذات الصلاحية تراعى فيه حقوق جميع الأهالى الساكنين فى الجبل ومصالحهم وتمنياتهم

يشكل المجلس وهو يصرح اذا كان يريد تأليف أمة مستقلة ويريد الارتباط بدمشق وهو ينتخب رئيس الحكومة اذا بقى الجبل مستقلا واذا كان الأمر خلاف ذلك اجتمع ممثلو الدروز مع ممثلى المناطق الأخرى التى تطلب ذلك لتعيين حكومة واحدة والاقتراع على قانون أساسى واحد

تطلب فرنسا من السوريين والدروز والعلويين واللبنانيين أن يصونوا بالاشتراك حدودهم الخارجية المشتركة وأن يتعهدوا بعدم استعمال القوة للفصل فى الاختلافات

الخارجية ولكنهم يلجأون فى ذلك لتحكيم الدولة المنتدبة

جاءت فرنسا الى هذه البلاد لتكون حكما ولتكفل رفاه شعوب سورية ولبنان بعضهم تجاه بعض ولتقدم للجميع مساعدة اختباراتها الفنية حتى ترشدهم فى طريق التقدم ونجاح البلاد ، النجاح والسلم والعدل هذا ماترمى اليه فرنسا فعلى الذين لايسعون الا للخير العام أن يجتمعوا حولها ولا حاجة فى ذلك لمخابرات سرية . ان التصريحات العلنية هى تعهدات أقوى جدا من الاتفاقات السرية والشعب بجملته وجمعية الأمم هما كفيلان لها فما على رؤساء الشعب الدرزى الا أن يلقوا سلاحهم حتى يبدأ التنفيذ . السلم يولد الحرية أما الحرب فلا تولد الا الشقاء والخراب والجوع . أما بقية الشروط التفصيلية فما على رؤساء الدروز الا أن يسألوا عنها المسيو بيراليب والجنرال اندريا فانى فوضتهما بكل السلطة التى لدى ـ اه

وقد انتهت هذه المحاولة بالاخفاق أيضا فقد رفض الدروز قبول هذه الشروط المبهمة وفضلوا مواصلة القتال

٤ ــ الانتخابات النيابية

وكان من جملة التدابير التى شرع فيها المسيو دى جوفنيل على أثر وصوله الى بيروت اجراء انتخابات فى جميع أنحاء البلاد السورية ـ ما عدا لبنان ـ بحجة الوقوف على الآراء العامة كما قال ـ مما خافه العقلاء وحسبوا حسابا لنتائجه السيئة ـ وقد كان الوفد الدمشقى الى بيروت أول من تنبه اليه وحذره من الاقدام عليه

وأبى المسيودى جوفنيل الا المضى فى تنفيذ خططه فنشر يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٥ قرارا هذا نصه :

ان المسيو دى جوفنيل عضو مجلس الشيوخ والمفوض السامى للجمهورية الفرنسوية فى سورية ولبنان الكبير و بلاد العلويين وجبل الدروز

باعتبار الاضطرابات التى تسود قسما من سنجقى دمشق وحوران والتى أخرت موعد الانتخابات والتى لايمكن أن تؤخذ الأكثرية بجريرة الأقلية

و باعتبار عدم وجود مجلس تمثيلى يعطل أشغال المفوضية العليا والحكومة السورية ان كان من جهة الميزانية أو من الحكومة أومن جهة المصالح العامة وتقدم البلاد ورقيها

حيث لايمكن معرفة أفكار وآراء ممثلى البلاد الا بالتئام المجلس

وباعتبار أن الانتخابات اذا لم يكن فى الامكان أن تجرى فى الأنحاء التى تسودها الاضطرابات بسبب وجود حالة عرفية بها فلا شىء يمنع حصولها فى الانحاء الأخرى التى تسودها السكينة

وباعتبار ان مصلحة سورية الاسراع باجراء الانتخابات فى المحال التى يتمتع أهلها بالسكون والحرية لاجراء انتخاب حر

وبناء على اقتراح السكرتير العام تقرر مايأتى :

المادة الاولى ــ تجرى انتخابات الدرجة الأولى للمجلس التمثيلى فى الأنحاء التى لايوجد فيها حالة عرفية فى ٨ يناير سنة ١٩٢٦ وانتخاب الدرجة الثانية فى ٢٢ منه

المادة الثانية ــ تجرى الانتخابات فى السناجق الأخرى بعد شهر من رفع الادارة العرفية فيها

المادة الثالثة ــ قبل اجتماع المجلس التمثيلى يجتمع مندوبو كل سنجق وولاية فى المحل الذى يعينوه بأنفسهم ويعبرون عن تمنياتهم فى الموقف السياسى الذى يرونه موافقا فى السناجق التى يمثلونها وباقى الدوائر العمومية السورية

المادة الرابعة ــ يجمع المندوب السامى بعدئذ ممثلى السناجق معتبرا بقدر الامكان التمنيات التى كانوا أبدوها بموجب قاعدة التسلسل التى قد قرروا تشكيلها

المادة الخامسة ــ المجلس أو المجالس التى تكون تألفت بهذا الشكل تتبع التعليمات الأساسية المعينة فى المادة السابعة من القرار ٢٩٨٠ المؤرخ فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٤ لحينما يتم تشريع القانون الأساسى . ويمكنهم فى الساعة التى يعينونها أن يصدقوا على القانون وذلك بموجب الصلاحية المعطاة لهم بموجب صك الانتداب ــ اه

وقد أحجم الناس فى لوائى حمص وحماه عن الاشتراك فى هذه الانتخابات لما تبينوه من أخطارها وعجزت السلطة هنا عن ايجاد مرشحين يرشحون أنفسهم فاعتقلت فى حمص يوم ٢٥ يناير احد عشر وجيهـا بتهمة مقاومة الانتخابات نفتهم الى ارواد وهذه أسماؤهم : هاشم الاتاسى . مظهر الاتاسى . وصفى الاتاسى . شكرى الجندى . توفيق

الجندى . نورس الجندى . مظهر ارسلان . راغب الجندى . رفيق ارسلان . عبد القادر مراد . يحيي خانكان

وهذه صورة المضبطة التى وضعها مجلس بلدية حمص بمقاطعة الانتخابات :

نحن أعضاء مجلس بلدية حمص بحسب التمثيل المشروع الذى نحمله من الشعب الحمصى و بالنظر لما شعرنا به من اجماع الأهالى على مقاطعة انتخاب المجلس التمثيلى بحسب القرار الآخر لمخالفته للأمانى الوطنية ـ قررنا تنفيذا لرغائب الشعب الذى ائتمنا على مصالحه رفض الاشتراك باجراء هذا الانتخاب

رئيف رسلان   محمد مظهر الاتاسى   محمد راغب الجندى   على الجندى   شكرى الأخرس   عيسى فركوح   عبد الرزاق الأخرس   عبد المجيد الزهراوى

ووضع مجلس بلدية حماه قرارا يوم ٦ ينايرأعلن فيه مقاطعته للانتخابات وهذا نصه :

نحن أعضاء المجلس البلدى بحماه ، بالنظر لما تحققناه من اجماع الأهلين على مقاطعة انتخاب المجلس التمثيلى بموجب القرار الأخير لمخالفته للأمانى الوطنية وبحسب تمثيلنا المشروع الذى ائتمنا عليه من قبل الشعب الحموى فتنفيذاً لرغائبه ومصالحه قررنا رفض اشتراكنا فى الانتخاب

رزق الله فرح   أحمد الدريعى   الحاج سليم شدى   عبد الرزاق الاسود   محمد البرازى   محمد عدى

وقاطع أعضاء المجلس الادارى فى حماه الانتخابات وأبوا الاشتراك فى عمليتها وزار المسيو بيراليب حاكم سورية الفرنسوى يوم ١٠ يناير حمص واجتمع الى أعيانها وحضهم على الاشتراك فى الانتخابات فقالوا له : انهم آسفون جد الأسف لما بلغت اليه الحالة الحاضرة من سوء تفاهم بين الشعب ورجال الدولة المنتدبة مما أدى الى مقاطعة الانتخابات وانهم كانوا يتمنون أن يحوم طائر الأمن فوق سائر الأصقاع السورية حتى تشترك جميع أفرادها باختيار الأكفاء لتمثيل الأمة فى مجلسها النيابى المنتظر غير أن انفراد بعض المدن باجراء الانتخابات دون بعض فيه مافيه من تجزئة البلاد الأمر الذى يتجنبه كل وطنى مخلص »

وقصد هذا حماة بعد حمص وقابل أعيانها فأجابوه بما أجابه اخوانهم وأبلغوه عزمهم

على المقاطعة . وقصد حلب أيضا وكانت الحالة فيها شرا من حمص وحماه

وعاد المسيو بيراليب من رحلته مزودا بالفشل والاخفاق ووضع تقريرا مفصلا بما وقف عليه رفعه الى رئيسه المسيو دى جوفنيل فأرسل اليه يوم ١٣ يناير كتابا قال فيه :

تناولت تقريرك عن الرحلة التى قمت بها مؤخرا فى حمص وحماه وحلب وانى على رأيك فى استنتاجاتك

ان الكولونيل مارتان المثبت فى وظيفة المندوب المعاون يتعلق اذاً فى كل المسائل التى تتناول النظام العسكرى . يمكن أن يظل هذا النظام مادامت هذه النظم ليس لها ممثلون

ليس مايوجب علينا العجلة . انى قررت أن أمنح البلاد قوانين أساسية تقيها لمستقبل بعيد من الحرب الأهلية والحرب الدينية والحرب الأجنبية التى هى فريستها من أجيال عديدة سواء أتطلب الأمر شهورا أم سنين فذلك لا أهمية له . فأنا عندى الوقت الكافى

لقد جردت فرنسا فى أثناء الحرب سبعة ملايين ولم تضطر الى الآن الى تجنيد رجل واحد زيادة عن جيشها للقيام بالأعمال الحربية فى المغرب الأقصى وسورية واحتلال الجانب الشمالى من نهر الرين . أما نفقاتها فى سورية فهى لا توازى ستة أجزاء من ألف جزء من ميزانيتها السنوية أى ان الجهود لاتثقل كثيرا على عاتقها . ومن جهة أخرى ماهى الصعوبات العسكرية التى تقوم بواجبها بازاء الصعوبات التى اعترضتنا فى مدغسكر وفى تونس وفى المغرب وفى الهند الصينية وفى أوربا ؟ ان الجمهورية الفرنسوية لم تتراجع قط عن مهمة شرعت فيها وقد انتهت جميع حروبها بالانتصار

فأنا أشعر اذاً بشفقة كبرى تجاه الذين يتصورون أن السوريين والدروز يتمكنون بواسطة الخديعة أو القوة من صدنا عن مقاصدنا فأرجوك أيها الصديق العزيز أن تعمل بصبر وحزم لتبديد هذه الأوهام التى ولدها الجهل وأن تهتم الاهتمام التام ذاته فى هدم سوء التفاهم الذى حاول بعض ذوى المطامع ايجاده بين سورية وفرنسا

حال بعضهم ثلاث مرات فى شهر واحد دون الدستور والسلم: حالوا دون ذلك فى القاهرة بمطالبهم غير المعقولة وفى جبل الدروز بردهم مساعى الوطنيين الذين كانوا يرمون الى تخليص اخوانهم من توالى الجوع والشقاء والموت وفى بيروت بعملهم على اخفاق مساعى

الشيخ تاج الدين فى تأليفه الحكومة ولمحاولتهم معاكسة الانتخابات

انى اكره جد الكره السياسة الخفيــة فى الخفاء تعـد المؤامرات التى تشقى بها الشعوب أما الحياة فلا بد لها من النور

عند ماتلقيت استقالة رئيس الدولة السورية أردت أن أنشئ نظاما دستوريا فى كل مكان يساعد به السلام على ذلك

كان فى وسعى أن أجرى الانتخابات فى حلب والاسكندرونة و بلاد العلويين فأجريتها أمافى دمشق وجبل الدروز فما كانت الاضطرابات لتسمح باجرائها ففـكرت أن قاضى دمشق يقدر على تأليف حكومة موقتة

ولو وفق الشيخ تاج الدين فى مسعاه لـكان بتقريبه السلم قرب موعد الانتخابات فى دمشق ولتمـكنت البلاد السورية من الاشتراك بالمناقشة فى مصير مقدراتها

فلسورية لالفرنسا أن تقول اذا كانت تريد أن تـكون متحدة أومنفصلة.لقد تناولت مضابط متعارضة من حلب والاسكندرونة وانطاكية . ان طريقة المضابط تـكاد لاتغنى شيئا وانى قد رأيت بعض الأسماء على عريضتين مختلفتين فى المبدأ ولذلك رأيت من الواجب أن ألجأ الى الانتخابات التى هى واسطة الشعوب المتمدنة للاعراب عن رأيها

ولوكان تم الصلح سريعا فى دمشق لـكنت مستعدا كما صرحت للشيخ تاج الدين أن أعرض قرارات السناجق على الجمعية التأسيسية ولـكانت أكثرية هذه الجمعية قررت الأمر قراراً نهائيـا .

لوكان جبل الدروز الآن فى حالة سلم لـكان تمـكن من اختيار دستور وحكومة ولو كانت دمشق متمتعة بالسلام لتمكنت من انتخاب ممثليها فى الجمعية التأسيسية والمناقشــة بالاشتراك مع بقية الجهات السورية

كل ماأطلب من سكان الأراضى الواقعـة تحت الانتــداب يوم يتم الصلح هو أن يتفاهموا فيما بينهم والشىء الوحيــد الذى أعارضهم فيــه عندئذ كما أعارضهم الآن هو أن يدعوا تنفيذ مآربهم بالقوة

ان حقوق الضعفاء والأقوياء فى نظر فرنســا هى متساوية فيجب اذن أن يجرى

بحكيم الدولة المنتدبة فى الاختلافات التى تنشأ بين الجهات المختلفة من الأراضى الواقعة تحت الانتداب

ان العالم المتمدن لايفقه كيف أن السوريين لايتمكنون ضمن هذا الاطار المرن الواسع من أن يمنحوا نفوسهم دساتير الشعوب الحرة

أما مسائل الحدود الداخلية فمن الجنون التكلم فيها فى الساعة الحاضرة فليهتم السوريون فى تنظيم سورية قبل أن يطمحوا الى توسيعها

أنا على يقين من أنك تساعدهم على ذلك بنزاهة تامة تجاه جميع العناصر والمذاهب و بعطف قوى على المسلمين والنصارى على حد سواء

فأنا بكل ثقة اذن أراك تأخذ على عاتقك هذه المهمة

فتش عن السلم ولكن ان لم يقدموا لك الا الحرب فاقبل الحرب

اضطرابات حلب

قاطع الحلبيون الانتخابات الجوفنيلية كما قاطعها أبناء الألوية الاخرى ولم يشذ سوى بعض الارمن اللاجئين و بعض المسيحيين مع طائفة قليلة من المسلمين عرفت بممالئة السلطة ومصانعتها . وأرسل الوطنيون يوم ٦ يناير سنة ١٩٢٦ البرقية الآتية الى المفوض السامى محتجين على اجرائها ومطالبين بوقفها :

« قرار فخامتكم المؤرخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٥ جاء صدمة لآمال الأمة اذ يقضى بأن يكون انتخاب المجلس النيابى على أساس اللواء و يعطيه حق تقرير مصير الارتباط مع الألوية الأخرى مما يفسح مجالا للدسائس الرامية الى الانفصال عن الوحدة السورية اذ تكون الأكثرية العظمى فى المجلس من أهل الاقضية والقرى الذين لا تؤهلهم خبرتهم لمعرفة صالح البلاد والنظر فى القانون الاساسى ولا يملكون حرية الفكر بدليل توقيعهم مضابط الانفصال التى أكرهوا عليها بقوة الدرك والمستشارين والقائمقامين مع عدم معرفة ما وقعوا عليه فنلفت نظركم الى أن اجراء الانتخابات فى جزء من البلاد السورية منفصلا عن البقية وعلى هذا الشكل مخالف للنظريات الصحيحة . نحتج على هذا القرار ملتمسين اجابة مطالبنا التى تقدم بها الى فخامتكم الوفد الدمشقى »

عا كف الجابرى وعبدالحميد الجابرى والمهندس اسماعيل باقى والطبيب على رامز باقى والطبيب عبد الرحمن الكيالى والصيدلى سعاد جلبى وابراهيم هنانو والمحامى عبد القادر سرمينى والصيدلى نعمان ونس ورشيد كتخدا ومصطفى كتخدا والنائب محمد ربيع المنقارى والصيدلى أحمد السكوا كبى والمحامى أحمد منير الوفائى وعبد الودود كيالى وصبحى الاميرى والمحامى أحمد راشد المرعشى وأسعد ابراهيم باشا والنائب محمد فاخر الجابرى والشيخ طاهر الكيالى ومحمد زكى ميسر والحاج نورى الجسرى وأحمد الرفاعى

وبدأت الانتخابات فى موعدها المقرر فأضربت حلب وعطلت أعمالها وامتنع المسلمون عن الاشتراك فيها واستمر الاضراب يوم السبت بطوله ولما أدركت الحكومة أنها فاشلة عزلت الموظفين الذين يشرفون على أعمال الانتخابات وهم من المسلمين واستبدلتهم بمسيحيين فبذلوا كثيرا من الجهود فلم يفوزوا بطائل . وفى مساء السبت صدر قرار بتمديد أجل الانتخاب حتى مساء الأحد خلافا للقانون ويقضى باتمام العملية الانتخابية فى ٤٨ ساعة مهما كانت الظروف

وقبض فى مساء السبت على أعضاء لجنة المقاطعة وهم أحمد الرفاعى والحاج ربيع المنقارى وسعد الله الجابرى ومنير العمادى وعبد اللطيف الكيالى وعبد الجليل الكيالى وزهير جابرى والحاج محمود أبو صالح وغيرهم وضربت السلطة نطاقا حول دور بعض الزعماء لمنعهم من الخروج وهذا نص البيان الذى أذيع فى حلب بمقاطعة الانتخابات :

« فى هذا الوقت العصيب وبينما الأمة تسعى لتحقيق وحدتها السياسية وسيادتها القومية على الاسس التى أجمعت البلاد على المطالبة بها عمدت المفوضية الفرنسوية الى اجراء الانتخاب للمجالس التمثيلية فى حلب وفى بعض الألوية كل على حدة مهملة الركن الأعظم والأهم منها لتكون هذه المجالس آلة لتجزئة البلاد وتفريقها فالحلبيون المخلصون لوطنهم يترفعون عن أن يكونوا سببا لهذه التجزئة المميتة فأجمعوا بالاتفاق على عدم الاشتراك فى هذه الانتخابات وقرروا مقاطعتها ورائدهم فى مشروعهم الاخلاص والثقة فى حمية مواطنيهم الكرام

« فيا أيها الحلبى المخلص لوطنك وقومك اجعل رائدك الذمة والضمير فأنت حر وليس من قوة تجبرك على الانتخاب فلا تعبأ باعتقال أو تهديد ايا كان مصدره لأنك

فى حماية الأمة التى خلق القانون لضمان حريتها واحترام ارادتها والسلام عليك »

وواصلت حلب الاضراب يوم الأحد فأدى ذلك الى اعتقال كثير من دعاة المقاطعة فساء ذلك الأهالى فتجمهروا مطالبين باطلاق سراحهم وأرسل الزعماء البرقية الآتية الى المندوب السامى فى بيروت :

« الحلبيون رائدهم القانون قاطعوا الانتخاب لأنه لا يتفق مع مطالب الأمة السورية . الانتخاب حق لا اكراه فيه ولا عقاب عليه لكن السلطة الفرنسوية وترجمان البعثة وموظفى الاستخبارات ومأمورى الشرطة والبلدية يستعملون وسائل الاكراه والتهديد ويجبرون الناس على الانتخاب . ولقد أوقف بعض من لم ينتخب ووضعت أوراق مزورة فى الصناديق وعزل رؤوساء المناطق وصرخ المنادون باسم البلدية من لم ينتخب يقع تحت الجزاء . وحبس عدة أشخاص للارهاب بلا سبب قانونى ومدد أجل الانتخاب يوما ونصفا كل هذا كى تحرم الأمة حقوقها المقدسة التى خلق القانون لحمايتها وتضعف الثقة بامكان تنفيذ مبادئكم السامية التى جئتم لأجلها فنحتج على هذه الأعمال المغايرة للحق والحرية طالبين وضع حد لها ليبقى الشعب حرا »

ابراهيم هنانو وربيع المنقارى وسعد الله الجابرى والدكتور عبد الرحمن الكيالى وأحمد الرفاعى جبيل ابراهيم باشا وجبيل فنصه

وتجمع الناس فى الجامع الاموى الكبير فى حلب لأداء صلاة العصر من يوم الاحد فخطب فيهم بعد الصلاة الشيخ طاهر الكيالى داعيا الى التعاضد والتمسك بطلباتهم المشروعة وحضهم على الهدوء والسكينة ثم خرجوا بمظاهرة كبيرة قاصدين دار الحكومة لانقاذ المعتقلين وأمامهم طلاب المدارس ينشدون الأناشيد الحماسية ، ولما بلغوها اقتحموها وهم ينادون فليحي الاحرار ولتسقط الانتخابات المزيفة نطلب اخلاء سبيل الاحرار

وخرج مرعى باشا الملاح حاكم حلب من غرفته وخطب داعيا الى التفرق وواعدا بالعمل على اخلاء المعتقلين فانبرى له شاب حمله الشعب على عاتقه وسأله لماذا سجنت هؤلاء الأحرار فأجابه « والله يابنى أنا ما قبضت على أحد ولا عندى خبر »

ـ اذن ليس لك من الأمر شئ

ـ نعم

ـ نطلب منك اخلاء سبيلهم فورا

ـ لا أستطيع ذلك

ـ اذا كنت لا تستطيع فلماذا لا تستقيل

ـ أنا ذاهب الى مندوب المفوض السامى للبحث معه

ولما أراد الخروج منعه الشبان ثم جاء وفد من العلماء فقابل الحاكم وخرج معه ومعهم بعض الشبان وقصدوا دار المندوب المفوض فابى استقبالهم فزاد ذلك فى استياء الأهالى ونقمتهم

ووصلت فى تلك الاثناء الى دار الحكومة قوة من السنغاليين والمغاربة مع دبابتين ففاجأت الجمهور المحتشد باطلاق الرصاص فتشتت بعد ما قتل نحو ١٥ وجرح ٤٠ منه واعتقل نحو ٣٠

وساءت الحالة على أثر هذا الحادث وعظم الهول والفزع وأقفلت المدينة برمتها وتعطلت كل حركة . وأنشأ المفوض السامى على الاثر محكمة استثنائية لمحاكمة دعاة مقاطعة الانتخابات فاجتمعت وأصدرت الأحكام الآتية :

حكمت على السيدين عبد القادر ناصح الملاح وجميل ابراهيم باشا حكما وجاهيا بالسجن ستة أشهر وغرامة ٤٠٠ فرنك

وحكمت غيابيا على السادة ابراهيم هنانو ومحمد توفيق الحكيم وأحمد ناصر أغا وبسيم القدسى وفاخر الجابرى والمحامى عبد القادر سرمينى ورشيد كتخدا ومحمد الهبراوى ومحمد الهاشم وحسين الفداوى وعبود كله بالسجن سنة واحدة وغرامة ٤٠٠ فرنك ما عدا السيد فاخر الجابرى والمحامى عبد القادر سرمينى فقد أرسلا الى المحكمة تقارير طبية تنبئ بمرضهم الا ان المحكمة اعتبرت هذه التقارير غير نظامية فرفضتها

وحكمت على الشيخ راغب الطباخ صاحب المطبعة العلمية وابنه السيد محمد بغرامة ١٢ ليرة لطبعهما النشرة الخاصة بمقاطعة الانتخابات

وقد أجلت المحكمة الى وقت آخر النظر فى قضية باقى المتهمين المعتقلين الذين أرسلوا الى قلعة أرواد وهم السادة: سعد الله الجابرى والدكتور عبد الرحمن الكيالى والحاج

ربيع المنقارى وأحمد الرفاعى ومنير العمادى

وأرسلت السلطة نجدات قوية الى حلب على الأثر لتهدئة الحالة . وهذه أسماء الذين أرسلوا الى جزيره أرواد من معتقلى حلب

الدكتور عبد الرحمن الكيالى وطاهر الكيالى والحاج ربيع المنقارى والحاج عثمان الشراباتى وسعد الله الجابرى وأحمد الرفاعى وصلاح الدين الجابرى ومنير العمادى

وأدى عجز السلطة عن اعتقال ابراهيم بك هنانو واحتجابه عن الانظار الى رواج كثير من الاشاعات فقال قوم انه قصد الحدود لتأليف عصابات والزحف على الفرنسويين كما فعل فى سنة ١٩٢٠ وقال غيرهم انه ذهب الى الغوطة للانضمام الى الثوار ، ولكنه بدد هذه الاشاعات كلها حين قدم نفسه للمندوب الفرنسوى فى حلب فأطلق سراحه

ومع كل ما وقع فقد أتمت السلطة الانتخابات فى حلب وأخرجت نوابا عنها بالقوة هذه أسماؤهم : صبحى بركات ورشيد المدرس وغالب قطر اغاسى وشاكر نعمت الشعبانى وميشال جنادرى وسليم جنبرت ورجون محماد

ودعى هؤلاء النواب الى الاجتماع مع نواب الأقضية الأخرى الذين انتخبوا أيضا فكان أول قرار أصدره مجلسهم الجديد المطالبة بالوحدة السورية فصدر الأمر بحل المجلس على الفور ولم يدع بعدها الى اجتماع

مسلمو لبنان يطلبون الانفصال

واغتنم مسلمو بيروت فرصة اشتغال مجلس لبنان التمثيلى بوضع دستور جديد للبنان فاجتمع عدد من كبارهم يوم ٥ يناير فى دار جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية بدعوة من القاضى والمفتى وتداولوا فى الأسئلة التى بعثها رئيس المجلس التمثيلى الى الطائفة الاسلامية ووضعوا الرد الآتى :

« من المعلوم أن رغائب ومطالب الطائفة الاسلامية التى هى الأكثرية الساحقة فى البلاد التى ألحقت بمتصرفية لبنان منذ اعلان لبنان الكبير سنة ١٩٢٠ هى رفض هذا الانضمام وطلب الالتحاق بالاتحاد السورى على قاعدة اللامركزية وقد كررت احتجاجها على هذا الانضمام الذى وقع رغم ارادتها ومن دون استفتائها فى ظروف عديدة وقدمتها

مراراً الى المفوضية العليا وباريس وجمعية الأمم وهى حاوية لجميع الحجج القاطعة والاسباب المشروعة لرفض هذا الانضمام وآخر احتجاج قدمته شفاهيا بواسطة وفد من أعيان الطائفة الاسلامية وخطيا الى فخامة المفوض السامى نبعث اليكم بواحدة منها ضمن هـذا الكتاب وعليه قررت الطائفة الاسلامية فى بيروت بالاجماع مغتنمة فرصة ورود الأسئلة الموجهة اليها من اللجنة الدستورية أن تعيد تثبيت احتجاجاتها السابقة على الحاقها بلبنان ورفض الاشتراك فى الأسئلة الموجهة اليها من اللجنة المشار اليها فى ما يتعلق بسن الدستور اللبنانى وتؤيد وتكرر طلب الرجوع الى ما كانت تحفظه لنفسها بشأن الالتحاق بالوحدة السورية على قاعدة اللامركزية فى كل وقت وزمان »

وهذه أسماء الذين اشتركو فى هذا الاجتماع :

الشيخ أحمد عباس والداماد أحمد نامى وأنيس الشيخ وبدر دمشقية (رئيس بلدية بيروت) والمحامى جميل الحسامى وجميل بدران والدكتور حسن الاسير وحسن قرنفل والدكتور حليم قدوره وحسن القاضى وحسن القبانى والمهندس حسن المخزومى وخيرالدين النحاس وخليل دعبول والحاج رشيد اللاذقى والشيخ رضا القبانى وزكريا النصولى والدكتور سامح الفاخورى وسليم الطبارة وشريف خرما وطه المدور وعبد الله بيهم وعارف رمضان وعمر الداعوق (عضو بيروت فى المجلس التمثيلى) والحاج عبد القادر القبانى (مدير الأوقاف) والشيخ عبد الكريم أبو النصر (نقيب الأشراف) والشيخ عبد الباسط الانسى والدكتور عبد الرؤوف جاده ومحمد المخزومى ومحمد الفاخورى ومحمد عمر نجا ومحمد الباقر وخير الدين الاحدب ومحمد اللبابيدى ويوسف النحاس والشيخ عبد الرحمن المجذوب وحسن البنداق

بعلبك تقاطع الانتخابات

واجتمع مجلس بلدية بعلبك أيضا وأصدر القرار الآتى :

« من المعلوم أن رغائب ومطالب الأكثرية الساحقة فى البلاد التى ألحقت بمتصرفية لبنان منذ اعلان لبنان الكبير عام ١٩٢٠ هى رفض هـذا الانضمام وطلب الالتحاق بالاتحاد السورى على قاعدة اللامركزية وقد كررت احتجاجاتها على هذا

الانضمام الذى جرى بالرغم عن ارادتها وبدون استفتائها فى ظروف عديدة وقدمتها مرارا الى المفوضية العليا وباريس وجمعية الأمم وهى حاوية لجميع الحجج القاطعة والأسباب المشروعة لرفض هذا الانضمام وآخر احتجاج لها قدم بصورة شفاهية بواسطة وفد من أعيان الطائفة الاسلامية و بصورة خطبة الى فخامة المفوض السامى فعليه قرر مجلس بلدية بعلبك منتهزا فرصة وصول الأسئلة الموجهة اليه من اللجنة الدستورية اعادة تثبيت الاحتجاجات السابقة من الأكثرية الساحقة على الالتحاق بلبنان ورفض الاشتراك فى الأسئلة الموجهة اليه من اللجنة المشار اليها فيما يتعلق بسن الدستور اللبنانى ويؤيد طلب الأكثرية الساحقة فى البلاد التى ألحقت بمتصرفية لبنان بشأن الالتحاق بالوحدة السورية على قاعدة اللامركزية فى كل وقت ولهذا لا يرى مجلسنا لزوما لاعطاء الجواب على هذه الأسئلة ولا ارسال مندوبين (وقد نظم هذا القرار ورفع لرياسة المجلس النيابى فى دولة لبنان الكبير باتفاق الآراء)

ووضع الناخبون الثانويون فى بعلبك مضبطة بهذا المعنى

صيدا تطلب الوحدة

ووضع مسلمو صيدا المضبطة الآتية بطلب الوحدة وبالانفصال عن لبنان وقد أرسلها القاضى والمفتى الى رئيس المجلس التمثيلى وهى :

قد علم لدى ممثلى الجمهورية الفرنسوية فى البلاد السورية من حين أعلن مايدعونه دولة لبنان الكبير كما انه علم لدى مجلسى البرلمان والوزراء فى فرنسا ولدى جمعية الأمم نفسها ان جميع أفراد الطائفة الاسلامية التى تؤلف الأكثرية الحقيقية فى هذه البلاد لم يرضوا عن الحاقهم بمتصرفية لبنان القديمة ذلك الالحاق الذى أرغموا عليه ارغاما . يؤيد ذلك الاحتجاجات العديدة التى قدمت الى كبار الرجالات والهيئات السياسية والفرنسوية والى جمعية الأمم فى أزمنة متعاقبة فى كل الخمس السنوات التى وجدت فيها دولة لبنان الكبير والآن تغتنم الطائفة الاسلامية فرصة تكليف المفوض السامى المسيو دى جوفنيل المجلس اللبنانى تنظيم القانون الأساسى لتظهر رغباتها الأكيدة فى الانفصال عن ما يسمونه لبنان الكبير والانضمام الى الوحدة السورية على أساس اللامركزية . وعلى هذا فقد قررت

الطائفة الاسلامية فى صيدا باجماع الآراء على أثر ورود الأسئلة الموجهة اليها من اللجنة الدستورية عدم الاشتراك فى سن الدستور اللبنانى وتكرير طلباتها الحقة بشأن الالتحاق بالوحدة السورية على أساس اللامركزية ملتمسين تحقيق أمانينا عملا باحترام حقوق الشعوب المقدسة

أحمد عارف الزين صاحب العرفان ومحمد جوهرى ومحمد نجيب الشماع ويوسف بكار ويوسف أبو ظهر وعمر أبو ظهر ومحمد بهيج الجوهرى ومحمد قوام ومحمود زنتوت وبهجت قدوره ومصطفى الشماع وعبد الرحمن شهاب ومصطفى كنعان امام محلة الكتان ومحمد رشيد وسليم جود امام محلة الكشك وعبدالحميد القواس امام محلة السرايا وتوفيق الجوهرى وعبد الحليم الشماع وكامل الانصارى وكامل حشيشو عالم ومنير سنجر وكامل البساط ومصطفى النقيب وعبد الغنى الزين وعبد الباسط الزين وعبد الغنى الاسير ويوسف الحناوى وأحمد محمود بعاصيرى ومحمد الصاوى ومحمد حشيشو وحسن رضى زنتوت وسعد الدين وتوفيق البزرى وزكريا زويه ومصطفى عمر العلائلى ومصطفى جود وتوفيق الزين ومحمد جميل البساط وعمر الجبيلى ومحمد النعمانى وتوفيق عبد الفتاح وعبد الجليل لطفى ومحيى الدين نعمانى وعز الدين القطب وعبد اللطيف كالو وكامل الصباغ ومصطفى عمر نجولى وعبد الغنى لطفى وعبد الحليم نعمانى وعبدالله عمر الحلاق وأحمد محمد جود وأديب محمود ديماسى ومحمود بكرى وصالح الباولى وحسن سليم ومحمد اسماعيل والحاج اسماعيل البابا وعبد الحميد البعاصيرى وعبدالغنى عبدالسلام الحلاق وسليم البعاصيرى ومحمد كامل العلائلى وأديب نقيب ومحمود ابراهيم أنيس ومصطفى البلطجى وراشد بكار ويوسف جوهرى وصالح الشريف وعبد الرحمن الانصارى ومحمود عبد السلام المجذوب وسعد الدين محمد القطب ومنير البساط ومحمود حسن اليمين وحسين خليل ومحمد الرشيدى ومحترم قدوره وسليم الدره مختار محلة الكشك وحفظى المجذوب مختار محلة الكتان والسبيل وأحمد محمد جود مختار محلة الشارع ومحمود الزين ومحمد بديع الزين ومحمد عبد الرحمن المجذوب ومصطفى الصلح وصفى الدين قدوره وعمر الصلح وحسين نصار مختار محلة المسالخة وديب النوام مختار محلة السرايا

طرابلس تطلب الوحدة

وأرســل تجار طرابلس وشبابها وعمالها برقيات مطولة بطلب الانفصال عن لبنان والانضمام الى سورية وجاء من عكار مثل ذلك

جبل عامل يطلب الانفصال

وأرسل أهل جبل عامل المضبطة الآتية الى المندوب السامى

نحن أهالى جبل عامل منذ الحاقنا بلبنان الصغير مازلنا نرى الغرم علينا والغنم له ندفع الضرائب ولاينفق علينا منها سوى القليل حتى نرى حقنا مهضوما معه فلا نعطى من الوظائف مانستحقه ومعلوم أن هــذا الاستئثار شديد على النفوس جدا لذلك نطلب من عميد الدولة المنتدبة المسيو دى جوفنيل تحقيق آمالنا الراسخة فى نفوسنا وهى :

فصلنا عن لبنان بانشاء ادارة مستقلة تحت اشراف الدولة المنتدبة وأن آمالنا وطيدة بعدل المفوض السامى وانصافه أن يجيب طلبنا هذا الذى هو حق وعدل

أحمد رضا . محمد التامر . راشد عسيران . حسين الدرويش . النائب نجيب عسيران النائب السابق فضل الفضل . على جابر . سليمان مروه . على عبد الله . خنجر عبد الله . اسماعيل خليل . محمد جابر . عبد الحسين. محمود الأمين . السيد على بدر الدين . احمد حاج سعيد صباح

ويلى ذلك مئات التواقيع من سائر أنحاء جبل عامل

وأرسل أعيان مسلمى اللاذقية برقية الى المندوب السامى بطلب الوحدة هذا نصها :

« باسم الأكثرية باللاذقية نلتمس اعلان الوحدة السورية واشتراكنا بانتخابات المجلس التأسيسى السورى »

السلطة الفرنسوية تقاوم حركة الانفصال

هال المسيو دى جوفنيل قيام المسلمين فى لبنان الكبير قومة الرجل الواحد يطلبون الانفصال عن لبنان والانضمام الى الوحدة السورية ، كما هاله تضامن السوريين فى الداخل واجماع كلمتهم على مقاطعة انتخاباته وتمسكهم بالوحــدة فأدرك أنه خسر الصفقة وعرف أن الذين أشاروا عليه باجراء الانتخابات غرروا به فألغى الانتخابات فى الداخل واتخــذ من

التدابير مارآه مفيدا لايقاف الحركة الانفصالية عن لبنان . وهذا نص بلاغ رسمى أذاعه يوم ١٧ يناير سنة ١٩٢٦ بهذا الشأن :

يتلقى منذ زمن المفوض السامى كثيرا من المضابط المعارضة بعضها بعضا فمنها مايرمى الى اقتطاع هذا القسم أو ذاك من لبنان ومنها مايطلب ابقاء الحدود الحالية على ماهى، فهذه المضابط غير مفيدة

ان شكل الانتخابات الذى يسمح للأهالى بأن يجهروا بأصواتهم فى أوقات منظمة هو أفضل كثيرا من هذه العرائض فان الأول هو نداء للشعب وهذه نداء لولى الأمر

ولهذا قرر المفوض السامى أن تكون الانتخابات لاحقة للسلم فى كل مكان

ان الذين يواصلون عداءهم للانتخابات أو يمتنعون عن الاشتراك فيها يتنازلون بأنفسهم عن استعمال حقوقهم و يرى المفوض السامى أن من الواجب عليه أن ينبههم الى ذلك

أما الذين يتعرضون للحدود فانهم يثيرون عداوات الجنسيات والأديان ويجعلون الاتفاق بين الدول مستحيلا

وهكذا فانهم يقفون فى وجه الوحدة الحقيقية التى تقوم بتوثيق علاقات المودة والمصلحة

وأذاع المسيو ليون كايلا حاكم لبنان الكبير البيان الآتى على رجال حكومته :

انتهى الى من جهات مختلفة أن بعضا من الموظفين اشتركوا فى الأيام الأخيرة فى الحملة التى ترمى الى فصل بعض أراضى لبنان الكبير عنه . وبديهى أنه لايجوز للذين يشتركون فى القيام بمهام الدولة العامة أن يطرحوا على بساط المناقشة والجدل سلامة أراضى الدولة التى يجب عليهم أن يكونوا فى طليعة الذين يخدمونها . فاذا كانت آراؤهم لاتتفق مع واجباتهم الأساسية فلا ندرى لماذا لا يزيلون هذا التناقض بتقديم استقالتهم من وظائفهم وهم على كل حال لايمكنهم أن يبقوا فى وظائفهم الا باتباعهم سبيل الاستقامة التامة فيما يختص بالمصالح والمنشآت التى يمثلونها بصفة من الصفات . وكل مسلك يخالف هذا المسلك يستوجب العقاب لا سيما وان الدولة المنتدبة لما أنشأت الدول المشمولة بانتدابها على ماهى الآن قد استعملت السلطة المخولة لها بموجب الفقرة الثالثة من المادة الاولى من صك الانتداب

وأود أن أعتقد أن هذا التنبيه سيكون كافيا فلا أضطر الى اتخاذ عقوبات تأديبية وأرجو أن توقفوا الموظفين والمستخدمين الذين تحت سلطتكم على مفاد هذا المنشور

حل مجلس بعلبك البلدى

ولم يقف الامر عند هـذا الحد فقد أصدر حاكم لبنان قرارا يوم ١٦ يناير بحل مجلس بلدية بعلبك « لأنه لم يقتصر فى طلبه الانفصال عن لبنان بتجاوزه حقوقـه بل ارتـكب مخالفة كبيرة بالنظر الى سلطة الانتداب صاحبة الشأن »

احتجاج نائب مسلم

وأرسل عمر الداعوق النائب فى مجلس لبنان التمثيلى البرقية الآتية الى سكرتير جمعية الأمم بواسطة المندوب السامى الفرنسوى وهى :

أنا الموقع عـلى هـذا عمر الداعوق نائب بيروت أتشرف بأن أبسط لسعادتـكم ما يأتى :

أولا ـ ان فريقا من نواب بيروت وطرابلس وصيدا والبقاع ، مع كونهم أقليـة عددية الا انهم يمثلون أكثرية السكان الذين تتألف منهم الجمهورية اللبنانية ، قد قدموا أثناء المناقشـة فى الدستور اللبنانى اقتراحا احتجوا فيه على ضم الأراضى التى يمثلونها الى لبنان دون أن يؤخذ رأى أهاليها قبل ذاك الضم ، فهم يطلبون أن تؤلف هذه الاراضى دولة مستقلة ادارية مرتبطة باتحاد لا مركزى مع لبنان القديم وسورية

ثانيا ـ بعد ان وافق المجلس التمثيلى بالأكثرية على الدستور اللبنانى قرأ حضرة مندوب المفوضية العليا التحفظات للمجلس وقال ان هذه التحفظات غير خاضعة للمناقشة [1]

(١) هذه صورة التحفظات المحتج عليها

المادة ٩٥ ــ ان علاقات الدولة الخارجية وقبول أوراق اعتماد قناصل الدول الاجنبية هى وفقا للانتداب من اختصاص الحكومة الجمهورية الفرنسوية دون سواها

ان الرعايا اللبنانيين الذين تسرى عليهم أحكام هذا الدستور الموجودين خارج حدود بلادهم يناط أمر حمايتهم السياسية والقنصلية بالدولة الفرنسوية . أما فى الاراضى الفرنسوية فيتولى حمايتهم وزير الخارجية الفرنسوية

ولكى تطلع جمعيتكم الموقرة على احتجاجنا على ضمنا غير المشروع ، ولكى تعلموا أن هذه التحفظات لم توضع موضع المناقشة ، ولم يوافق عليها المجلس التمثيلى ، أجزت لنفسى ارسال هذا البيان اليكم

وتفضلوا ياحضرة السدرتير العام بقبول اعتبارى الفائق

٥ — محاولة انشاء عرش

وأراد المسيو دى جوفنيل أن يستعين بالشريف عبد المجيد نجل الشريف على حيدر باشا وكان يقيم مع والده وأسرته فى بيروت فأدناه منه ووعده بأن يعينه أو والده ملكا على سورية اذا ساعده فى اخماد الثورة ثم أرسله الى دمشق فوصلها فى الأسبوع الأول من شهر يناير وأعد له الفرنسيون استقبالا حافلا وسهلوا له الأسباب فأخذ يقابل الوجهاء وذوى الرأى عارضا وساطته ومعلنا أنه قادم لحقن الدم فلم ينل توفيقا [1]

المادة ٩٦ — لحكومة الجهورية الفرنسوية أن تتدخل لتأمين تطبيق الانتداب واحترام هذا الدستور ولتأمين سلامة أراضى الدولة ولتأييد أو اعادة السلطات القانونية اذا أسقطتها ثورة ما ولهذه الغاية يحق للمفوض السامى الأمين على سلطة الدولة المنتدبة أن يتصرف بجميع قوات الشرطة والدرك فى الدولة وأن تكون له مراقبة دائمة عليهما وله كل السلطة فى تعهد وتأمين سلامة القوات العسكرية التى تبقيها الدولة المنتدبة طبقا للانتداب فى الاراضى الموكول أمرها له

المادة ٩٧ — يحق للمفوض السامى أن يوقف كل قرار من الحكومة أو فى المجلسين اذا وجده مخالفا لمصالح الانتداب أو لسلامة البلاد أو لحفظ النظام أو للتعهدات الدولية . لايجوز حل مجلس النواب أو اسقاط رئيس الجهورية الا بعد موافقة المفوض السامى

المادة ٩٨ — يمثل المفوض السامى مندوب لدى الدولة

يقدم المفوض السامى المستشارين الذين ينبغى أن يستخدموا فى مصالح الدولة على أن تعقد بين المفوض السامى والدولة مقاولات تبنى على أساس مشروع يقره المجلسان

(١) قدم الشريف عبد المجيد الى بيروت فى شهر مارس سنة ١٩٢٤ على أثر طرد الحكومة الكمالية لآل عثمان من بلادها لانه متزوج أميرة من هذا البيت فاضطر أن يصحبها فى مغادرتها الاستانة وجاء معه والده واخوته أيضا . ولايزالون يقيمون فيها حتى الآن

١٤

استئناف القتال

حروب الغوطة — معارك قلمون — فظائع وادى بردى

رافق الفشل والحبوط جميع المشروعات التى باشرها المسيو دى جوفنيل فى هذه المرحلة ، وأخطأه التوفيق فيها كلها ، فقد فشل فى سعيه للاتفاق مع اللجنة التنفيذية فى مصر كما فشل فى مفاوضاته مع وفد دمشق وفى سعيه لانشاء حكومة وطنية وفى محاولته اجراء انتخابات وفى ارساله الشريف عبد المجيد الى دمشق ، فزاد فشله الثورة ضراما وانتشارا كما شجع الثوار وعزز الثورة يضاف الى ذلك قيام الطوائف الاسلامية التى انضمت الى لبنان الكبير تطالب بالانفصال عنه والانضمام الى الوحدة السورية

ورأى المندوب السامى أنه لابد له من الاعتماد على القوة فى هذه المرحلة فكتب الى فرنسا طالبا ارسال قوات كبيرة فأجيب الى ماطلب وتواردت النجدات بكثرة حتى قيل ان عدد الجنود الفرنسوية فى سورية ارتفع الى مئة الف جندى فى ذاك العهد مسلحة بمختلف الأسلحة الحديثة من دبابات وطيارات ورشاشات ومدفعية

ولم يقف الأمر بهم عند هذا الحد بل ألفوا كتائب من الشراكسة والأرمن والاسماعيلية والنصيرية والموارنة وقذفوا بها الثورة . كما ألفوا بعدذلك فى داخل جبل الدروز كتائب من الدروز سلطوها على الدروز أنفسهم

وانتشرت هذه القوى العظيمة فى أنحاء سورية فى دمشق وفى الغوطة وفى وادى التيم وفى اقليم البلان وفى جبل قلمون وفى حمص وفى حوران تطارد الثوار وتقاتلهم فوقعت بينها و بينهم معارك دامية استبسلوا فيها أشد استبسال

وطبق قادة الجيش الفرنسوى فى عهد المسيو دى جوفنيل وتحت سمعه و بصره ماعتادوا تطبيقه من أساليب فى عهد أسلافه فقتلوا وصلبوا ونفوا وحرقوا القرى والمدن

وفرضوا الغرامات وتفننوا فى النكاية والأذى مما خيب آمال المتفائلين الذين ظنوا أن وجود مندوب سام غير عسكرى كالمسيو دى جوفنيل لم يتشرب الروح الاستعمارية قد يحمل ولاة الأمور العسكريين على التخفيف من غلوائهم

لقد كان المسيو دى جوفنيل كثير الاعتداد بلباقته كما كان كثير الاعتماد على أساليبه وعلاقاته السياسية فقد تقرب من الانكليز وأحكم الصلات معهم فزار عاصمتهم على أثر تعيينه كما زار القدس بعد وصوله الى سورية وقضى أياما فى ضيافة المندوب السامى لفلسطين وزار أيضا أنقرة وحل ضيفا على الحكومة التركية وعقد معاهدة مع الترك منح فيها هؤلاء ما كانوا يطلبونه من سورية مما أنكرته الحكومة الفرنسوية واعترضت عليه واتصل بمندوب السلطان ابن سعود فى دمشق وقربه منه وأدناه ومنح النجديين امتيازات لم تكن لهم ولما تم لابن سعود احتلال الحجاز كان أول من اعترف به باسم الحكومة الفرنسوية . وقد رأيناه على أثر تقلده منصبه الجديد يتصل بالعاملين من السوريين فى أوروبا ويبدى لهم رغبته فى التقرب والتفاهم . ثم رأيناه فى مصر يزور قصر الأمراء لطف الله ويجتمع الى الوفد الممثل للأحزاب السورية ويتسلم مذكرته ويناقشه فى بعض الشئون . ونحن فى غنى عن القول ان هذه الأساليب والخطط مما تفرد به فلم يسبق لمندوب سام أن جرى عليها ولم يأخذ بها أحد بعده

ويلوح لنا أن المسيو دى جوفنيل كان يعتقد أن حل القضية السورية لايكلفه سوى أسابيع يقضيها فى بيروت ودمشق يعود بعدها الى باريس وقد ضفر على رأسه اكليلا من المجد وعمل ماعجز الأوائل عن عمله ولكنه ما كاد يحط رحاله فى الأراضى السورية حتى أدرك أنه أخطأ الحساب والتقدير فقد دعا الثوار الى الاستسلام فلم يستسلم منهم أحد ثم أعلن العفو فلم يقبل عفوه أحد ثم دعا الى اجراء انتخابات فقاطعت الأمة انتخاباته ودعا دمشق الى ارسال وفد لمقابلته ثم أعلن أنه لن يقابله مادامت الثورة قائمة فقال له الدمشقيون ونحن فى غير حاجة الى مقابلتك ثم عاد فدعاهم الى زيارته فجاءوه فأراد أن يجتمع اليهم منفردين فأبوا الا الدخول مجتمعين فكان لهم ما أرادوه وسعى أيضا لانشاء حكومة وطنية قوية فى دمشق يستعين بنفوذها فى اخماد الثورة فلم يجد من يقبل التعاون معه

ولا ريب أن هذا الفشل المتتابع المتلاحق أثر فى نفسه أثرا بليغا وتحول الى يأس جعله يستسلم الى العسكريين الذين استأثروا بالسلطة دونه وأمعنوا بالشعب تقتيلا وتعذيبا وارهاقا وبالبلاد تدميرا واحراقا وتخريبا فساءت الحالة وارتفعت الأصوات بالشكوى والتألم فغادر البلاد يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٢٦ يجر أذيال الخيبة والفشل

قوات الفرنسويين وتدابيرهم العسكرية

ولا بد لنا قبل الاسترسال فى وصف المعارك العسكرية التى دارت فى تلك الفترة من القاء نظرة عامة على الموقف الحربى ومقابلة قوى الفرنسويين بقوى الثوار فمثل ذلك لايخلو من فائدة

كان الثوار عند دخول فصل الخريف يسيطرون على منطقة الغوطة وجبل قلمون واقليم البلان ووادى التيم وجبل الدروز نعم ان الفرنسويين استطاعوا فى أواخر شهر نوفمبر اجلاء الثوار عن حاصبيا وراشيا وفتحوا الطريق الى القنيطرة الا أن الثوار ظلوا منتشرين فى جبال تلك المنطقة وجرودها وهى منطقة جبلية وعرة يسهل العمل فيها وخصوصا فى فصل الشتاء

وتوالى وصول النجدات للفرنسويين فى فصل الشتاء فأقاموا حامية كبيرة فى حمص بقيادة الجنرال مارتى وقوة أخرى فى دمشق بقيادة الجنرال اندريا وكانت فى دمشق حملتان كبيرتان الأولى بقيادة الكولونيل فرن ومهمتها منازلة الثوار فى شرقى الغوطة والثانية بقيادة الكولونيل ماسيت ومهمتها منازلتهم فى شمالها . وأنشأ الفرنسويون فى خلال فصل الشتاء ستة مخافر عسكرية كبيرة فى داخل الغوطة شحنوها بالمقاتلة والسلاح لمقاتلة الثوار ومطاردتهم : الأول فى دوما والثانى فى أوتايا والثالث فى شبعا والرابع فى خرابو والخامس فى بويضان من المرج والسادس فى البراق على حدود جبل الدروز الشمالية لمنع الاتصال بين الغوطة والجبل

وحشدوا قوات أخرى على طول سكة حديد حوران فكان لهم مخفر عسكرى كبير فى بصرى اسكى شام وآخر فى بصرى الحرير وفى المسمية والمسيفرة وأنشأوا مركزين عسكريين كبيرين فى درعا وفى أذرع المتاوحتين للجبل استعدادا للنضال

وحشدوا أيضا قوات كبيرة فى جنوبى لبنان فأعدوا حملة بقيادة الكولونيل ليمان جران كور عهدوا اليها بالعمل فى وادى التيم واقليم البلان ومطاردة العصابات وهكذا لم تبد بشائر الربيع حتى كانوا أنجزوا تدابيرهم ووضعوا خططهم

موقف الثوار

هذا ما يقال عن موقف الفرنسويين واستعدادهم للمعارك الجديدة أما موقف الثوار فى شتى المناطق فيمكن وصفه فى ما يلى :

١ — الغوطة وقلمون

استقرت أقدام الثوار فى الغوطة خلال فصلى الخريف والشتاء وسيطروا عليها وأخذوا يشنون الغارة على دمشق من جميع الاطراف ويدخلون أسواقها ويخرجون منها كما سيطروا على سكة حديد دمشق - بيروت ولذلك لم يتمكن المسيو دى جوفنيل من زيارة دمشق الا بعد انقضاء شهرين ونيف على وصوله الى بيروت خوفا من الوقوع فى أسر الثوار فقد جاءها للمرة الأولى يوم ٧ فبراير سنة ١٩٢٦ وخطب فيها خطبة طويلة أعاد فيها وأبدى عن رغبته فى السلام

واتجهت العصابات نحو الشمال فاتصلت بالعصابات التى كانت تعمل فى جبل قلمون فتوحدت الخطة وسيطر الثوار سيطرة فعلية على المنطقة الممتدة من شمالى حمص حتى جبل الدروز واتخذوا النبك قاعدة لهم وقد أقبل أهل البلاد على تأييدهم والانضمام اليهم وهذا نص الميثاق القومى الذى وضعوه :

نحن سكان جبل قلمون وأهالى قضاء النبك نتعهد أن نخضع لأوامر الجيش ونقدم الرجال والمال والعتاد اللازم لأجل انقاذ الوطن من أيدى المستعمرين وتحرير سورية كلها بحدودها الطبيعية واننا نهرق آخر نقطة من دمائنا فى سبيل استقلالنا ونحافظ على نص المقررات الأخيرة

نعلن لعموم أهالى المنطقة فى جبل قلمون والنبك أننا عزمنا على مكافحة العدو حتى النتيجة الحاسمة ولأجل وصولنا لهذا القصد المقدس قد قررنا المواد الآتية :

١ ـ يعتبر كل وطنى سورى عربى مجاهدا ومن يخالف يعد خائنا ويحاكم فى المحكمة الثورية

٢ ـ تؤلف فى كل قرية هيئة أو لجنة خاصة تكون من وجهاء القرية ويعهد اليها تنفيذ المقررات

٣ ـ يجند من كل قرية مجاهدون بنسبة عدد نفوسها

٤ ـ تكفل القرى مؤونة الجيش وعتاده حتى النهاية

٥ ـ كل من يترك الجيش ويفر يعد خائنا للوطن ويعدم

٦ ـ بمناسبة اعلان الجهاد لطرد العدو لجميع الدماء والبغضاء القديمة ترفع من الصدور

وظائف اللجان

ان اللجنة المشكلة فى كل قرية هى المسؤولة عن اعاشة المجاهدين وتدبير الذخائر اللازمة والقاء القبض على كل خائن والحث على الجهاد واجبار المقتدرين على شراء السلاح وتسليح من لا قدرة له

الاعاشة

يخصص مستودع فى كل قرية ويجبى من الاهالى باسم أعشار تخصم هذه مستقبلا بموجب الوصل الذى سيعطى باسم الحكومة الثورية السورية

يجب أن يكون على رأس مجاهدى كل قرية أحد الوجهاء ويكون مربوطا بهيئة القيادة من الوجهة الحربية وعليه تبليغ المقررات الى لجنة القرية لتنفيذها

بما ان جهادنا المقدس لاجل تحرير البلاد فيجب علينا الاتفاق والاتحاد عملا بأمره تعالى

٢ — فى وادى التيم واقليم البلان

ووطد الثوار أقدامهم فى منطقتى وادى التيم واقليم البلان فاستولوا على قضاءى وادى العجم والقنيطرة وانبثوا فى قرى وادى التيم واستولوا على هضابه وآكامه وكانت

قواهم تتجول فيه من دون مقاومة . وكذلك كان الحال فى منطقة دمشق الغربية الممتدة من أبواب دمشق حتى الزبدانى

٣ — فى جبل الدروز وحوران

وكذلك كان الحال فى جبل الدروز فقد كان بأجمعه خاضعا للثوار وكان للفرنسويين بعض مراكز حصنوها فى حوران على طول سكة الحديد بين درعا ودمشق

الزحف الفرنسوى فى الربيع

وما كادت تباشير الربيع تظهر حتى نهض الفرنسويون للعمل فألفوا حملات كبيرة لمقاتلة الثوار واجلائهم عن المناطق التى يحتلونها

١ — الزحف على قلمون

وكانت منطقة قلمون وتمتد من أبواب حمص حتى أول حدود غوطة دمشق الشمالية أول ما استهدف لهجوم الفرنسويين فى هذه المرحلة فقد جهزوا حملة كبيرة غادرت حمص فى الأسبوع الثانى من شهر مارس الى النبك بقيادة الجنرال مارتى وتتألف من أربعة آلاف جندى مشاة مع قوة كبيرة من الفرسان و بطاريتين ومصفحات و ٧٠ رشاشة

وتولى الدفاع عن النبك القائدان سعيد العاص وفوزى القاوقجى وقد كتب الثانى فى وصف تلك المعارك يقول : « ولقد قررنا أن ندافع عن النبك أولا فى جهات قارة شمالا فنسبر غور العدو ونعرف عدد قواه ثم فى النبك نفسها وحشدنا نحو ٨٠٠ مقاتل وحاولنا أن نضرب به فى مضيق عيون العلق ضربة قوية لا توصله الى النبك الا وهو منهوك القوى »

ودخل مشاة المجاهدين قارة يوم ١١ مارس وقصد فرسانهم دير عطينه للاحداق بجناح العدو الأيسر وفى يوم ١٢ أتموا معداتهم فى عيون العلق واشتبكوا مع الفرنسويين بمعركة استمرت ساعتين ونصفا وانتهت بارتدادهم الى النبك يوم ١٤ منه فصمدوا للجيش وكان يتبعهم وقاتلوه من وراء استحكامات أحكموا بناءها على الطراز الحديث . وعند الأصيل احتل الجيش المستشفى الهولندى غربى النبك . فكر عليه المجاهدون واستردوه ثم والوا الهجوم فاستردوا جميع الأماكن التى فقدوها وغنموا غنائم

وفى يوم ١٥ مارس أدركوا أنه لابد لهم من الانسحاب لضآلة قواتهم بالنسبة لقوات العدو ولأن مواردهم محدودة ولانه لايجوز لهم أن يجازفوا بقواهم فاحتل الفرنسويون النبك وبدأوا يبسطون نفوذهم على قلمون

وواصل الجنرال مارتى الزحف يوم ١٨ منه قاصدا دمشق بعد ما أبقى قوات كبيرة فى النبك فوصل الى القطيفة فى الغداة وفيها التقى بحملة الكولونيل ماسيت وقد خرجت من دمشق للاجتماع به فزحفت الحملتان يوم ٢٠ منه الى جيرود وتجولتا فى تلك المناطق وفى يوم ٢٦ منه وصلتا الى دمشق بعد ما اشتبكتا مع العصابات فى سلسلة من المعارك

٢ — زحف الفرنسويين فى وادى التيم واقليم البلان

واختارت القيادة الفرنسوية العليا منطقتى اقليم البلان ووادى التيم وهما متلاصقتان للعمل فى المرحلة الثانية فأعدت حملتين كبيرتين سارتا من دمشق يوم ٣ ابريل الأولى بقيادة الجنرال مارتى وتتألف من قواه القادمة من حمص والثانية بقيادة الكولونيل ماسيت الى خان سعسع ـ مجدل شمس للاتصال بحملة الكولونيل ليان جران كور وقد تمت تعبئتها فى صيدا وسارت بطريق الخيام ـ جسر الغجر قاصدة مجدل شمس عاصمة الثوار فى وادى التيم واقليم البلان وقاعدتهم الكبرى وهى واقعة فى سفح جبل الشيخ فى مركز متوسط بين دمشق والقنيطرة وقطنا وحاصبيا وراشيا . وقد أدركت هذه الحملات أغراضها فدخلت يوم ١٣ ابريل مجدل شمس بعد معارك عنيفة دارت بينها و بين الثوار و بعدما دمرت الطائرات الفرنسوية قرية مجدل شمس وجعلتها قاعا صفصفا وأنشأت فيها قاعدة عسكرية كبيرة كما أنشأت قاعدة أخرى فى القنيطرة ومرجعيون وحاصبيا . وقد دمر الفرنسويون خلال هذا الدور معظم قرى الدروز فى جبل الشيخ وفى وادى التيم

٣ — الزحف على جبل الدروز

بعد ما انتهى الزحف الفرنسوى فى قلمون وفى اقليم البلان اتجه الفرنسويون نحو جبل الدروز فأعدوا قوات كبيرة قيل انها بلغت عشرين ألفا فى المسيفرة وفى أذرع وفى بصرى اسكى شام للزحف على الجبل من ثلاث جهات فى وقت واحد وأنشأوا قواعد عسكرية فى هذه المراكز نصبوا فيها مدافع ضخمة لضرب القرى الدرزية المتاخمة لحوران

وما كان الدروز بغافلين عما يراد بهم وعما يدبر لهـم فى الخفاء ولا يخفى أن الجيش الفرنسوي ارتد بقضه وقضيضه عن الجبل على اثر معارك اكتوبر سنة ١٩٢٥ وانصرف الى مقاتلة العصابات فى الغوطة وفى الاقليم وفى الجهات الأخرى فارتاح سكان الجبل من عناء الأعمال العسكرية فى هذه الفترة الا جانبا منهم اشترك مع العصابات التى زحفت الى وادى التيم ولـكنه مالبث أن عاد الى جبله

وجاء فشل مفاوضات الصلح التى دارت فى خلال شهر يناير ـ وقد فصلنا أخبارها من قبل ـ بينهم و بين المسـيو دى جوفنيل وماسمعوه من أقوال وتهديد من الجنرال اندريا وغيره فاضرم نار الحماسـة فى صدورهم فقرروا مواصلة القتال حتى النفس الأخير وتعاهدوا على أن تقدم كل قرية ربع محار بيها بالمناو بة لمواصلة القتال ، وأن يكتب الى الـكومندان كوستيلير قائد درعا كتابا يشمل طلبات الثورة وأن يكلف رفعه الى المسيو دى جوفنيل كما تقرر تأليف لجنة لادارة الجبل

ومما اتفق عليه فى اجتماع عقد يومئذ أن تذهب لجنة يتألف أعضاؤها من كل بيت معروف فى الجبل الى قرية «ديبين» فيحرقوا بيت فارس الأطرش والى قرية «المجيمر» فيحرقوا بيت عبده الأطرش لانهما خانا العشيرة والوطن وخرجا على الدروز فى نضالهم وأن يشمل هذا التدبير بيوت نجيب عامر وتركى عامر وعبد الـكريم نصر من الذين انضموا الى الفرنسويين

وعقد زعماء الثورة اجتماعا فى قرية «دامه» من اللجاه يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٦ فى منزل شبيب القنطار بحثوا فيه الدعوة السلمية التى أذاعها المسيو دى جوفنيل فقرروا ارسال جواب يطلبون فيه الجلاء عن سورية بعد افتتاح المجلس التأسيسى بشهرين فرد عليهم هذا قائلا انه لاسلم ولا مفاوضة الا بعد أن يخضع الثوار و يلقوا سلاحهم

وفى صباح ٢٦ منه غادر المجاهدون قرية «دامه» الى لب اللجاه فاحتلوا من غير مقاومة تقريبا قرية جدل وسائر القرى الأخرى و بسطوا نفوذهم على اللجاه واتخذوه قاعدة لغاراتهم على مراكز الفرنسويين فى حوران وخصوصا على سكة الحديد لعرقلة نقلياتهم

٣ — زحف الفرنسويين على الجبل

بدأ الفرنسويون الزحف على السويدا يوم ٢٣ ابريل سنة ١٩٢٦ وتولى قيادة الحملة فى هذه المرة الجنرال اندريا ومهدت الطائرات الفرنسوية لها فأغارت يوم ٢٢ منه على قرى الجبل كام الرمان وصلخد وعرى والسويدا فأمطرتها وابلا من قنابلها وصبت عليها المدافع الضخمة المنصوبة فى المراكز العسكرية فى حوران حمما من نيرانها

وهاجم الفرنسويون الجبل فى هذه المرة من ناحيتين فتحركت الحملة الأولى من اذرع صباح ٢٢ منه فبلغت قرية الغازية ودخلتها من دون حادث

وتحركت الحملة الثانية وقد أطلقوا عليها اسم القوات الرئيسية وكانت بقيادة الجنرال اندريا نفسه من المسيفرة صباح ٢٣ منه فاتجهت الى قرية أم ولد فدخلتها من دون حادث أيضا لأن قيادة الثورة أبت الاشتباك فى معارك معها واستأنفت الحملة الأولى الزحف من الغازية صباح ٢٤ منه فاحتلت عند الظهر تل الحديد وقضت ليلتها فيه كما احتلت القوات الرئيسية قرية عرى وفى صباح الاحد ٢٥ منه مشت القوتان الى السويدا

وكان هنالك عدد كبير من المجاهدين بقيادة سلطان باشا الأطرش وقد تعاهدوا على الدفاع عنها حتى النفس الأخير

بدأ الفرنسويون يضربون السويدا فى الساعة السادسة من صباح الاحد ٢٥ منه وفى الساعة الثامنة أوقفوا الضرب نحو ربع ساعة ثم استأنفوه واستمروا نحو ساعة وحلقت احدى عشرة طائرة فصبت نيرانها على السويدا وظل اطلاق النار متواصلا من الأرض والسماء حتى الظهر ثم دخل الجيش السويدا بعد معركة حامية فانسحب المجاهدون الى الشرق ونزل سلطان باشا الأطرش واخوانه على عين الخشبة ونزل الدكتور شهبندر ومن كان معه، وقد شهد معركة السويدا ، قرية سالة وقصد آخرون العانات وغيرها من قرى المقرن الشرقى وكانوا على اتصال

١٥

حكومة الداماد وبيانها

كبر على المسيو دي جوفنيل ما أصابه من فشل فى سعيه لتأليف حكومة وطنية تساعده فى اخماد الثورة فأعاد الكرة على الشيخ تاج الدين الحسنى محاولا اقناعه بالعودة الى التعاون معه فأصر على تنفيذ برنامجه ، ثم اتصل بهاشم الاتاسى وابراهيم هنانو فلقى منهما اعراضا عن التعاون مالم تجب طلبات البلاد . وأخيرا وبتوسط بعض المتوسطين قبل أن يولى الداماد أحمد نامى رئاسة الحكومة السورية

ولهذا لم يكد الجنرال اندريا يدخل السويداء يوم ٢٥ ابريل حتى أصدر المسيو دي جوفنيل يوم ٢٦ منه قرارا جاء فى المادة الاولى منه مانصه « عين الداماد أحمد نامى بك رئيسا لدولة سورية الى أن يلتئم البرلمان المنتخب قانونا ويعين بنفسه رئيس الدولة »

وفى يوم ٢٨ منه نشر الدماد المنشور الآتى :

« لقد قاسمت وأقاسم جميع أمانى الشعب السورى وقد تألمت وأتألم لجميع آلامه واذا كنت أتحمل اليوم مسؤولية الحكومة الموقتة فذلك لكى أساعد سورية على تحقيق أمانيها وعلى تخفيف آلامها

« اننا لا نقدر أن نصل الى غايتنا بالقوة بل بالمخابرات وبالاعتماد على الحق وليس علينا ضد الدولة المنتدبة أن ننال نجاحا بل بمساعدتها وليس بمحاربة اخواننا الذين ولدوا على أرض هذا الوطن مثلنا نوجد الوحدة السورية بل باستمالتهم الينا

« ان الثورة قد كلفت ألوفا من الضحايا البشرية وخربت مدنا كاملة وحكمت على الغلال أن تهرأ تحت الاشجار وفى الحقول بل انها زادت فى عمق الهوة التى تفصلنا عن الاسكندرونة والعلويين ولبنان فى حين أن ضروريات حياتنا الوطنية تأمرنا أن نطمر هذه الهوة بفتح منفذ على البحر لحلب ودمشق وستسعى حكومتى لنيله بالطرق السلمية

« ومن جهة أخرى سنتخابر مع الدولة المنتدبة لاعطاء الانتداب شكل معاهدة

مستمدة من المعاهـدة المعقودة بين انـكلترا والعراق وأخيرا فاننا نعجل بانتخاب جمعيـة تأسيسية يعترف بواسطتها بحقوق جميع السوريين فى استعمال الحرية والاستقلال

« فليثق الشعب السورى ويصبر فالنجاح أمامنا ـ انه يكفى لمحق سنابل القمح النافعة مطرة واحدة من البرد غير انه يلزم أيام عديدة بل أسابيع وشهور لينمو القمح ويحين الحصاد تلك هى شريعة الحياة التى لا يمكن نـكرانها

« فاذا سرتم معنا على طريق هـذه الشريعة ترون اذ ذاك نهاية العذاب والشقاء وتحققون رويداً رويداً فى السلم والراحة مطاليب القلوب السورية »

وعلق عليه المفوض السامى بقوله :

ان البيان الذى أطلعتمونى عليه والذى يؤلف برنامج الحكومة الوطنية السورية يؤكد ثلاث أمور أساسية

أولا ـ وجوب اعطاء الانتداب شكل معاهدة لثلاثين سنة تعقد مع الدول المشمولة بالانتداب ـ اننى أقبل هذا الطلب

ثانيا ـ حق سورية بوضع دستورها ـ انى على اتفاق تام مع حكومتكم فى هذا الحق وأخيرا أعلمكم بالوصول الى تحقيق المطالب السورية بواسطة المخابرات الحبية بين بقية الدول ـ انه يجب أن يفهم أن هذه المخابرات لايمكن الشروع فيها قبل مصادقة البرلمان المقبل على المعاهدة التى تتعهد فيها سورية أن لاتستعمل القوة فى أى حال ضد جاراتها وأن تلجأ الى تحكيم الدولة المنتدبة عند وقوع الخلاف

ان الدولة المنتدبة ليست حكما على أمانى الشعوب الواقعة تحت الانتداب ولـكنها كذلك على الطريق تظهر فيها هذه الأمانى ولايوجد أقل مناقضة بين مصالح فرنسا ومطالب مختلف أقسام سورية ولبنان وجبل الدروز والعلويين والاسكندرونة ولـكن هذه المطالب يناقض أحيانا بعضها البعض

فالاتفاق يجب أن يحصل بينكم وبين اخوانـكم الذين ولدوا واياكم على أرض واحدة لابينكم وبيننا نحن الفرنسويين

ان صعوبة هذا الاتفاق والحاجة اليه هما فى الوقت نفسـه أساس صعوبة وحاجة الانتداب الذى عهدت فيه جمعية الأمم الى فرنسا

فعلى الانتداب واجبان هما حالة السلام الخارجي للشعوب واعطاؤها كل الحريات الداخلية لا حرية استعباد فئة لأخرى

ولا يمكن أن أبرهن عن أمانة فرنسا نحو واجباتها بأحسن مما برهنت به الآن وهو تسليم سورية الى أيدى حكومة وطنية حتى فى الساعة التى كان يسهل النصر لنا فيها تنفيذ سلطة مطلقة

ولى الأمل أن تفهم الأمة السورية جيدا مظهر هذه الصداقة التى تقوم بها فرنسا نحوها وأنها ستقابل الثقة بثقة مثلها فاذا تم ذلك قدرتم ياصاحب السمو أن تعجلوا الرقى الذى يقود البلاد نحو النجاح والراحة والسلام بدلا من الثورة التى تحمل الخراب

هذه هى الأمانى الحارة التى أرغب فيها مع رجائى بقبول اعتبارى الفائق ــ اهـ

وفى يوم ٣٠ ابريل وصل المسيو دى جوفنيل والداماد أحمد نامى الى دمشق وأخذا يعملان لانشاء الوزارة فلقيا مقاومة شديدة وأبى كثيرون من الوطنيين التعاون مع الرئيس الذى اختاره الفرنسيون ، على أنه تم لهم أخيرا يوم ٤ مايو تأليف وزارة شبه ائتلافية على المنوال الآتى :

شاكر نعمت الشعبانى للمالية وحسنى البرازى للداخلية وواثق المؤيد للأشغال العامة ولطفى الحفار للزراعة والرى ويوسف الحكيم للحقانية وفارس الخورى للمعارف

بيان الحكومة الجديدة وبرنامجها

وهذا نص البيان الذى أذاعته الحكومة الموقتة مع برنامجها وقد أقره المسيو دى جوفنيل ووافق عليه :

الى الشعب السورى الكريم

غير خاف على أحد مابلغته الكارثة الحاضرة من ايقاع الدمار والبلاء فى هذا الوطن السورى المحبوب فقد تواترت عليه المصاعب المفجعة فى الأشهر العشرة الماضية حتى كادت تقوض مابناه لنفسه من آثار الحياة والعمران وبات الحذر شديدا من الاتيان على ثمرات جهود الأجيال السالفة والجيل الحاضر

لقد أصبح الموقف رهيبا وكاد يقضى على شعاع الأمل بالخروج من هذه المآزق

الضيقة ولم يعد منصب الحكم والولاية يستهوى أحدا فى هذه الأيام العصيبة

عندما دعينا لتسلم أزمة الادارة فى سورية وقفنا برهة موقف التردد والحيرة متهيبين اقتحام هذه الغمرة وقبول مافيها من التبعة ونحن عالمون أن انهاض هذا الوطن من كبوته واقالته من عثاره يحتاج الى مفاداة أبنائه ومغامرتهم بأشخاصهم

نحن نعلم أن للأمة السورية حقوقا مشروعة تريد ادراكها وتعتمد فى نيلها على قوة الحق التى لاتغالب وبحسب هذه العقيدة مازلنا من القائلين بوجوب العمل بالطرق الدستورية والوسائل القانونية . ومهما كانت نتيجة الثورة الحاضرة لاتتبدل أمانينا الوطنية ولاتضعف عزائمنا عن متابعة قضيتنا والمطالبة بحقوقنا بالطرق السلمية المشروعة تلك الأمانى التى كانت الأمة تسعى وراء تحقيقها منذ عهد قديم

جاء المسيو دى جوفنيل المفوض السامى وأعلن أنه قادم لانالة الشعب السورى حقوقه وقد مرت بضعة أشهر والمفاوضات تجرى بينه و بين السوريين لايجاد أساوب ملائم تحل به المشكلة الحاضرة بانالة السوريين حقوقهم وازالة أسباب شكاويهم وهو معدود من نوابغ الفرنسويين ومشبع بروح الحرية والانصاف . وله فى جمعية الأمم مواقف كثيرة وله مزايا بارزة فى نصرة الحق وتأييد العدل

قبل أن وافقنا على تلبية الدعوة بتأليف حكومتنا الحاضرة وضعنا أمامنا فى ساحة التأمل والاعتبار أمورا كثيرة تتناول قوة الحق فى جانب قضيتنا الوطنية والوعود المكتوبة والشفهية التى تلقيناها من فخامة المفوض السامى وشخصية هذا العميد البارزة فى العالم الأوربى مع الثقة المتبادلة بينه و بين حكومتنا السورية ولزوم الاعتماد المتقابل والتعاون الحقيقى بيننا و بين الفرنسويين لنتمكن من الاستفادة بعلمهم وخبرتهم ولتعود الى البلاد سكينتها وسلامتها وما أدى اليه فقدان الثقة ومساوىء الادارة الماضية من خراب بلادنا وتدميرها وخطأ الموقف السلبى حيال كوارث البلاد الحيوية والاقتصادية وحيال الأمن المضطرب والأموال المندثرة والدماء المسفوكة

بعد أن تأملنا كثيرا فى هذه الأمور وقابلناها مع معكوساتها فى الكفة الأخرى قضى علينا العقل والغيرة الوطنية أن نستخير الله ونعالج هذا الأمر ونحن معتمدون فى نيل النجاح على مؤازرة الشعب السورى الكريم وتأييده فى هذه المهمة الشاقة . وقد عاهدنا

أنفسنا أن لانجازف بشيء من حقوق الأمة المشروعة

ان حكومتنا قد اتخذت قاعدة لأعمالها البرنامج الآتى تسعى لتحقيقه

١ ـ دعوة الجمعية التأسيسية لتتولى سن دستور البلاد على قاعدة السيادة القومية

٢ ـ تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية لمدة ثلاثين سنة تعين فيها الحقوق والواجبات والعلائق المتقابلة بين الأمتين مماثلة للمعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق ولا تكون هذه المعاهدة نافذة الا بعد تصديقها من البرلمان السورى ويحتفظ فيها لفرنسا بالنفوذ السياسى والرجحان الاقتصادى فقط على شرط عدم الاخلال بالسيادة القومية

٣ ـ تحقيق الوحدة السورية بالوسائل التى باشرنا باجرائها منذ الآن وستظهر للأمة نتائجها المثمرة فى القريب العاجل ان شاء الله

٤ ـ توحيد النظام القضائى على قاعدة السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والأجانب معا

٥ ـ تأليف جيش وطنى بحيث تتمكن القوات الفرنسوية من الجلاء التدريجى عن البلاد

٦ ـ طلب ادخال سورية فى عصبة الأمم واعطائها حق التمثيل الخارجى أسوة بالعراق

٧ ـ درس اصلاح النظام النقدى الحالى واعادة الأساس الذهبي فى عملة البلاد الرسمية بصورة تدريجية

٨ ـ استحصال العفو العام عن جميع أصحاب الجرائم السياسية مع الاحتفاظ بالحقوق الشخصية

٩ ـ استحصال قرار بالغاء الغرامات الحربية عن دمشق وغيرها

١٠ ـ ايجاد طريقة للتعويض على منكوبى الثورة

هذا هو الهدف الأصلى من برنامج حكومتنا الموقتة لاعادة السلام وتحقيق أمانى البلاد بالسرعة الممكنة . ولما كان هذا البرنامج يحقق قسما كبيرا من الأمانى الوطنية

وحقوق البلاد فاننا نرجو من الأمة السورية الكريمة مؤازرتنا لنتمكن من تنفيذه بأقرب وقت مستطاع والله من وراء القصد

وثائق دى جوفنيل وعهوده

ودارت مفاوضات بين المسيو دى جوفنيل و بين الحكومة الجديدة للاتفاق على قضية الوحدة والمشكلات الاخرى امتدت نحو أسبوعين ومثل الجانب السورى فيها هيئة مجلس الوزراء ومثل الجانب الفرنسوى المسيو بير أليب المندوب الممتاز فى دمشق والكولونيل كاترو رئيس دوائر الاستخبارات فى المفوضية العليا واشترك فيها المسيو دى جوفنيل نفسه فانتهت بالتوقيع على وثيقتين : الأولى نص البيان الوزارى مع المواد العشرة (وقد نشرناهما آنفا) والثانية خاصة بطريقة تنفيذ كل مادة من مواد البرنامج العشر ولم تنشر حتى الآن

وسلم المندوب ، الداماد رسالتين كتبهما بخط يده ووجههما اليه اعترف فى الأولى بحق سورية فى الحصول على مرفأ بحرى وتعهد باعطائها طرابلس مع عكار على طول خط سكة الحديد الى بعلبك فتتصل طرابلس بدمشق مباشرة من دون أن تمر السكة بأراض لبنانية

وسلم فى الوثيقة الثانيــة بضرورة الوحدة السورية ووعــد بتحقيقها على أساس التفاهم بين فرنسا وسورية من جهة و بين سورية ولبنان من جهة أخرى . والرسالتان مكتوبتان فى أواخر شهر ابريل سنة ١٩٢٦ وهما محفوظتان عند الداماد أحمد نامى ولم تنشرا

اشتراك الموارنة فى هذه المفاوضات

وكان بعض زعماء الطائفة المارونية وفى مقدمتهم البطريرك السابق وأميل أده على علم عما جرى وقد تعهد الأخير باقناع أبناء طائفته بالموافقة على اعطاء طرابلس لسورية واشعارا بذلك وقع بخط يده على الوثيقة الخاصة بقضية الوحدة

ومما تم الاتفاق عليه أيضا بين الداماد والمندوب أن يكون تحقيق الوحدة السورية

بطريق المفاوضات لا باى أسلوب آخر وذلك بأن تعقد معاهدة بين الحكومتين السورية واللبنانية تتعهدان فيها بأن لا تلجأ الى السلاح واستعمال أى نوع من أنواع الشدة لحل قضايا الحدود وتكون الغاية منها سلخ الأقضية الأربعة وطرابلس وعكار عن لبنان ويحكم الفريقان المندوب السامي عند حصول خلاف بينهما ويكون حكمه حكما قابلا للتمييز فى جمعية الأمم

اعلان الجمهورية فى لبنان

و بعد ما قطع المسيو دى جوفنيل على نفسه هذه العهود الصريحة ، وتعهد بتحقيق الوحدة السورية وذلك بسلخ الأقضية الاربعة وطرابلس وعكار عن لبنان واعادتها الى سورية وافق يوم ٢٥ مايو سنة١٩٢٥ على الدستور الجديد للبنان وينص على أن أراضى لبنان وحدة لا تتجزأ ولايجوز التنازل عن أى جانب منها كما يقضي بانشاء جمهورية ذات نظام برلمانى تتألف من مجلسين وقد نودى بها فعلا يوم ٢٦ مايو واحتفل بانشائها احتفالا رسميا

وقداستوقف هذا التناقض بين عهود المندوب السامى ووعوده نظر وزير سورى فهو من جهة يعد بتحقيق الوحدة السورية بسلخ الأراضى التى ضمت الى لبنان فى سنة ١٩٢٠ ويقر من جهة أخرى دستورا للبنان ينص على عدم جواز التنازل عن أى جزء من الأراضى اللبنانية باى طريقة كانت . فسأله عنه فقال : لا أرى فرقا بين دستور لبنان وبيان الحكومة السورية مادامت وزارة الخارجية الفرنسوية وجمعية الأمم لم تصادق عليهما فلهما وحدها حق البت فى هذه الشؤون وفصل الخلافات . وقال انه سيذهب الى باريس وجنيف لهذه الغاية وغادر بيروت يوم ٢٨ مايو من تلك السنة ذاهبا الى باريس ولم يعد فسقط حكم هذه الوثائق بسفره ولم يقم لها المندوبون المتعاقبون وزنا مع انها صدرت باسم فرنسا وبالاضافة اليها وكان من حقها أن تحترم وتنفذ

١٦
كوارث الميدان

حى الميدان — من أكبر أحياء دمشق وأكثرها سكانا ويتصل بالغوطة مباشرة من الجنوب والشرق والغرب ولأبنائه صلة وثيقة بالبادية وخصوصا بحوران وجبل الدروز وقد تطبع الجانب الأكبر منهسم بطبائع البادية وعاش فيها واشتهر بالوفاء والمروءة والمحافظة على الاخلاق العربية السامية

وينقسم حى الميدان الى ثلاثة أقسام الفوقانى وهو جزء من البادية تقريبا والوسطانى وهو مقر تجار الحبوب والتحتانى وهو أدنى الجزأين الى مدينة دمشق

وجلا الفرنسويون عن حى الميدان بكامله على أثر اشتداد ساعد العصابات بعد يوم ١٨ اكتوبر وأنشأوا خط دفاع فى باب الجابية أقاموا فيه المتاريس والاسلاك الشائكة والدبابات وفعلوا مثل ذلك فى جهة الصالحية (شمالى دمشق) فتخلوا عن حى المهاجرين وصالحية الاكراد وأقاموا خط دفاعهم الشمالى عند الجسر الأبيض ومعنى ذلك أن طول المسافة التى كانوا يسيطرون عليها داخل مدينة دمشق فى تلك الايام ما كانت تزيد عن ثلاثة كيلو مترات على أكبر تقدير وعللت السلطة عملها بأنها أرادت عقوبة أهل الميدان بتركهم تحت رحمة الثوار لأنهم لم يساعدوها فى القضاء على حركتهم

وقد كان من نتائج هـذا الاتصال المباشر بين الثورة وأهل الميدان ان انضم جانب منهم اليها وألفوا عصابات خاصة بهم نازلت الجند الذى كان مرابطا وراء الاستحكامات والبيوت فى باب الجابية وكانت تهاجمه بين آونة وأخرى فتفتك فيه وقد قتلت يوم السبت ١٢ فبراير سنة ١٩٢٦ أرمنيين من متطوعة الجيش الفرنسوى وكان عدد المتطوعة من هؤلاء غير قليل وقد أساءوا الى الدلاء شتى الاساءات

١ — الطارئة الاولى

ولما قصرت يد هؤلاء المتطوعة عن الثأر لقتلاهم من الثوار أغاروا على سكان الميدان التحتاني يوم ١٣ منه ونهبوا بعض المتاجر وقتلوا نيفا وعشرين شخصا بين شيخ وطفل وامرأة . واستأنفوا الغارة صباح ١٤ منه فهاجوا الحي بالاتفاق مع متطوعة الشراكسة فجاء نحو ٣٠٠ منهم الى حي الغلاينية ونهبوا نحو مئة دار وفتكوا بكل من صادفوه

وفي صباح الاربعاء ١٧ منه زحف عند شروق الشمس نحو ٦٠٠ جندي الى الميدان تتقدمهم المصفحات والدبابات ويقودهم المسيو بيجان مدير الامن العام الفرنسوي لدمشق وقد أباح للجند الحي وأطلق يدهم في السلب والنهب والقتل والتعذيب فانقضوا على السكان يمعنون قتلا وتعذيبا وعلى البيوت يسرفون في السلب والنهب وجاءوا بالسيارات والعربات فنقلوا الغنائم والمنهوبات الى بيوتهم واحتلف الدرك الوطني السوري مع متطوعة الارمن الذين انتهكوا حرمة جامع باب المصلى وجامع جنيد وجامع سيدنا صهيب وحطموا المصابيح وحرقوا المصاحف ونهبوا الطنافس وكاد أن يقع قتال بينهما لولا تدخل الضباط الفرنسويين

وظل الحال على هذا المنوال من الصباح الى ما بعد الظهر فقامت دمشق وقعدت وقصد وفد من رجال الميدان الى الجنرال اندريا يسأله كف اعتداء الجنود

واجتمع أعضاء مجلس بلدي دمشق في الغداة وتداولوا في الامر ثم زاروا متصرف دمشق للبحث معه في ما يجب عمله لتلافي الكارثة وحضر اجتماعهم الجنرال اندريا والمسيو بيجان مدير الامن العام فاحتجت هيأة البلدية لدى الجنرال على فظائع متطوعة الشراكسة والأرمن وقالت ان الذين نكبوا أبرياء لاصلة لهم بالثورة فقال ان المنهوبات ضبطت وانها محفوظة عند المسيو بيجان وستعاد الى أصحابها

واحتج أعضاء المجلس البلدي على ضرب المنازل وهدمها وحرقها فقال الجنرال ان هذا تدبير اتخذ ازاء البيوت التي تأكدوا أن الثوار يلجأون اليها لاطلاق النار على الجند حين مرورهم ولا تمس المنازل التي لا يلجاون اليها باذى ولا يحدث عليها اعتداء

وفي يوم الخميس ١٨ منه أذاع الجنرال اندريا البلاغ الرسمي الآتي :

«وجه متصرف دمشق أنظارى الى الشكايات العديدة التى يبديها الشعب من متطوعة الجركس . فالسلطات المنتدبة لم تقصد باعمالها العسكرية سوى أن تجعل السلم يسود هذه الارجاء وأن تحفظ حياة الشعب وأمواله من أى مذهب أو اعتقاد كان ومن جهة أخرى فهى لا تعتنى الا بانزال العقاب بالذين يخلون بالامن العام ويقلقون الراحة والسكينة وقد أمرت باجراء التحقيقات بخصوص هذه الشكايات التى اذا ثبتت سانزل العقاب الصارم بحق المتسببين فيها

وقد أخذت الاحتياطات اللازمة لمنع تجدد مثل هذه الشكايات مرة أخرى وهذا طبقا لرغائب السلطة المنتدبة

وبهذه المناسبة أوجه نظر الشعب الى الغلطات اليومية المرتكبة ضد جنودنا عند مرورهم فى حى الميدان أو فى غيره وعلى الطلقات النارية التى توجه اليهم من البيوت أو من مآذن الجوامع التى يجب على كل انسان أن يحترمها

وانى أحذر الاهالى بان مثل هذه الحالة تجبرنى على أخذ الاحتياطات اللازمة والصارمة معا واستخدام الوسائل العسكرية التى تؤدى الى الخراب وكل ذلك لتامين سلامة جنودنا وانى أطلب الى الشعب بان يضع حدا لمثل هذه الاعمال التى لا يمكن أن تفيد بل بالعكس فانها تجلب التعاسة والشقاء

فالسلام على الذين يتبعون الطريق المستقيم »

كتاب الثوار الميادنة الى الشيخ والبطريرك

وأضربت دمشق ثلاثة أيام احتجاجا على هذه الفظائع واشترك المسيحيون فى هذا الاضراب وأرسلت عصبة الميدان فى الثورة الكتاب الآتى الى الشيخ بدر الدين الحسنى ونصه:

لجنة الثورة السورية الوطنية فى الغوطة وضواحى دمشق عصبة الميدانيين

الى سماحة أستاذنا ومولانا الشيخ بدر الدين الحسنى المحترم

سلام الله عليكم وبعد فأنت اليوم امام المسلمين فى جميع البلدان السورية ان لم

نقل فى جميع الاقطار الاسلامية والهدى الذى يهتدون به والعلم الفرد الذى يسيرون وراءه

ان نيران الثورة تشتعل فى جميع انحاء البلاد والقتال قائم على قدم وساق وان أبناءك يقومون بواجبهم حيال بلادهم ولا يخرجون عن أوامر خالقهم وسنن نبيهم ولا يتعرضون الى اخوانهم الذميين ولا يقاتلون غير الاجنبي وهم الى الأيام الأخيرة ما كانوا يطلبون منكم غير الدعاء ومراقبة الأحوال حسب عادتكم لتنهجوا المنهج الذى ترونه لازما عند الاقتضاء

لقد خرج الفرنسويون فى جميع حركاتهم عن نظامات الحرب فقبلنا ذلك ولم ننتقم منهم على أعمالهم بغير قتال جنودهم ولكنهم اليوم أباحوا للأرمن الذين اتخذوهم أنصارا لهم انتهاك حرمة دور المسلمين فى حى الميدان فأخذوا ينهبون ويقتلون البريئين والبريئات والغرض من ذلك هو اجبار أهل الميدان على الرحيل من حيهم بعد أن أصبح الميدان خارج الحصار الذى اختطوه حول المدينة واضطروا قبله سكان قرى الغوطة بقنابل طياراتهم الى هجر قراهم ظنا منهم بأن الثوار يرحلون من الغوطة ولما لم يجدهم ذلك نفعا عادوا فقالوا لأهالى القرى ارجعوا الى قراكم

نرغب اليك يا سماحة الامام أن تقنع الفرنسويين بأن يحترموا القوانين ولا ينتهكوا حرمة دور المسلمين وأن لهم أن يقاتلونا نحن معشر الثوار ولهم علينا أن نأتى الى قتالهم فى المكان الذى يعينونه لنا وان المآسى التى مثلها رجلهم الخواجه بيجان ونال عليها وساما ولم تمثل فى عصر من العصور وعلم بها الخاص والعام كافية ان كانوا يعقلون

ان جيوشنا اليوم التى تقابل حملات فرنسا مهما كانت كبيرة بحمد الله من العار أن تسمى عصابات لأن العصابات لا تقابل جيوشا وانما تقاتل سرقة واختلاسا وكان من الحق أن يعاملونا معاملة قانونية أى معاملة جيش لجيش فلا يقتلوا أسرانا وعندئذ نعاملهم بالمثل ولكنهم أبوا الا أن يمثلوا أفظع صفحة من صحف التاريخ فهنيئا لهم بها

قد بعثنا الى غبطة بطريرك الروم الارثوذكس بكتاب أفهمناه فيه انه ان لم يقلع الفرنسويون عن هذه الأعمال البربرية ويرفعوا تعديات الأرمن عن المسلمين الآمنين الذين لا علاقة لهم بالثوار نقابل بالمثل الحى المسيحى المملوء بالأرمن والنصارى من الذين يكيدون للثوار وفى الكتاب تفصيل لقوم يفقهون

ونرغب اليك ياسماحة الامام أن تفهم الفرنسويين أنهم ان لم يرتدعوا عن مثل هذه الاعمال الدنيئة وانهم اذا كانوا يريدون أن يقلبوا الحركة الى حركة دينيـة فان المسؤولية تقع عليهـم وعنـدئذ ستأتى سماحتـكم الينا ونمشى تحت لوائـكم باسم الدين رضيتم أم كرهتم وندعو باسمكم مسلمى سورية الى الجهاد ولتقوم أوربا بعدئذ على المسؤول من كلينا (السوريين والفرنسويين) ونحن لدينا الوثائق العديدة الـكثيرة التى يمكن أن نثبت للعالم بها بأن فرنسا ما زالت تعمل منـذ قامت الثورة السورية على اضرام النار بين المسلمين والمسيحيين لتجد لها أنصارا فى أوربا ومن حمد الله نيتها السيئة هذه قد شاعت وذاعت وعـلم بها الخاص والعام وأن الثوار قـد تحاشوا كثيرا أن يقعوا فى شباكها قبل أن يعلم الناس بحقيقة نيات فرنسا وتعلم بذلك أوربا المتمدنة

وختاما تفضلوا ياسماحة الامام بقبول أعظم احتراماتنا مولاى

١ شعبان سنة ١٣٤٤ باسم عصبة الميدان

توفيق المهايني عبد القادر سكر

وهذا نص كتابها الى غبطة بطريرك الروم الارثوذكس رقم ١٤١

الى غبطة بطريرك الروم الارثوذكس فى انطاكية وعموم بلاد الشرق الأفخم

ياصاحب الغبطة

ليس المجال مجال تفصيل وتطويل فالرب والسموات والأرضون وكل انسان منصف يقر بأن الثوار عامة والدمشقيين منهم خاصـة قد تحاشوا كل المحاشاة أن يمسوا اخوانهم النصارى بسوء رغم كل مايشيعه ويذيعه عنهم الفرنسويون وعمالهم من بعض نصارى البلاد وفى مقدمتهم الموارنة وذلك لانهم قد أدركوا منذ قام (رجل فرنسا مسيو كربيه) حاكم جبل الدروز السابق ينادي يوم دخل الثوار مدينتهم دمشق للمرة الأولى (أين أنتم يانصارى دمشق اليوم يومكم) أجل قد أدركوا بأن الفرنسويين يريدون أن يقلبوا الثورة السورية من ثورة وطنية الى قتال دينى ويرغبون فى أن يقتتل أبناء البلاد ولـكن اخواننا النصارى لم يدركوا هذا الغرض السيء ولعلهم أدركوه وحبذوه رغبة فى بقاء فرنسا

لقد ضربت دبابات الفرنسويين شوارع الميدان مرارا وقتلت كثيرين من الأبرياء والبريئات من شيوخ ونساء وأطفال فى الشوارع والنوافذ فلم نحرك ساكنا وكنا نـكتفى

بقتال الجنـد الباغى فقط ثم نسـفوا البيوت وقاموا بتهـديمها ونهبها باسم فتح الشوارع فـكذلك لم نلتفت لغـير قتال الجنـد ولـكنهم اليوم أباحوا للنصـارى الأرمن نهب النساء المسلمـات الآمنات الفقيرات اللواتى لم يستطعن أن يرحلن من الميدان وليس لمن أقل علاقة بالثوار فوالذى رفع السماء ان لم يغير الفرنسويون اعتبارا من تاريخ وصول هذا الى غبطتكم واطلاعهم عليه ذلك المنهج البربرى لنضطر الى مقابلتهم بالمثل فننهب ونقتل أهالى الحى المسيحى المملوء بالأرمن وغيرهم من النصارى الذين يكيدون للثوار والتاريخ والعـالم المنصف يجيز لنا ذلك ما دام الفرنسويون يبيحون للأرمن النصارى الذين قـد اتخـذوهم لهم أنصـارا نهب بيوت المسلمين الأبرياء وانتهاك حرمـة نساء المسلمين الآمنات ثم نعتهم ايانا بلا خجل ولا وجـل بالسلابين ومادام نصارى لبنان يقومون علينا ويتهموننا بأن ثورتنا ثورة دينية واننا نقتل النصارى رغم علمهم ببراءتنا من ذلك واننا وشرف العرب الذى هو عندنا فوق كل شيء ليشجينا ويؤلمنا كل الألم اضطرارنا لانتهاج هذا المنهج الوحشى ولـكن لسنا بملومين والبادىء أظلم

وهذا الـكتاب هو الوثيقة التاريخية التى سنبرزها اذا لم يرتدع الفرنسويون عن أعمالهـم ومضينا نحن فى عملنا ونفذنا انذارنا وأراد نصـارى لبنان أن يتهمونا بالتعصب الدينى واننا نلفت نظركـم يا صاحب الغبطة بأننا معشر الثوار قد تحملنا فوق الطوق والأمثلة على ذلك كثيرة وان الذين كادوا الينا من أبنائـكم كثيرون فلم نتعرض لأحد منهم كل هذا تحاشيا من أن نتهم بالتعصب

وختاما فالبـلاد بلادنا وبلادكم فنلفت نظر غبطتكم الى لزوم اقناع وكيـل غبطة بطريرك الـكاثوليـك الذى يأتمر الفرنسويون بأمره أن يوعز الى هؤلاء بأن يرفعوا الحيف عن الأبرياء والبريئات ولا نريد أكثر وليس من العدل والانصاف اذا كان الشارع كما يسميه الذين اختطوه حول مدينـة دمشق قد جعل الميدان خارج الحصار أن يعمدوا الى مثل هذه الوسائل البربرية ليضطروا سكان الميدان الى هجر محلتهم وهى تؤلف ثلث المدينة هذا ومن أنذر فقد أعذر

وتفضل ياصاحب الغبطة بقبول فائق الاحترام　　　　باسم عصبة الميدان

توفيق المهايني　　عبد القادر سكر

توسط الشيخ وجواب الجنرال

وانتدب الشيخ بدر الدين الشيخ محمد رفيق السباعى من تلامذته فذهب فقابل الجنرال اندريا محتجا فأرسل الجنرال اندريا الرد الآتى وقد أذيع على الصحف بشكل بلاغ رسمى يوم ٢٠ فبراير ونصه :

ياصاحب السماحة

ان سكرتيركم الشيخ محمد رفيق السباعى أخبرنى عن بعض شكاوى أهالى الميدان ضد أعمال متطوعتنا الشراكسة الذين كما يزعم يقتلون النساء والأولاد والشيوخ

وانه ياذا السماحة لمن المؤسف أن تكون الحقيقة التى هى على هذا الشكل محرفة أيضا

فالتجول ممنوع فى الميدان الفوقانى والحافلات لا تذهب الى هناك بسبب وجود العصابات فى جميع منعطفات الطرق وقد اضطررت لتكليف المتطوعة الشركس بتفتيش المنازل لتوقيف الثوار الملتجئين اليها وهؤلاء المتطوعون الشراكسة لايقتلون الا الذين يقابلونهم بالطلقات النارية ويمنعونهم من القيام بوظيفتهم

وأؤكد لكم فضلا عن ذلك أن بعض العصابات يلتجئون الى بعض الجوامع ويتخذون المآذن مراكز لهم يطلقون منها النيران على عساكرنا ومتطوعتنا وهذا العمل بدون شك مؤلم لاننا نحترم الجوامع ونرغب أن تكون محترمة من الجميع فى كل وقت

فأتوسل اليكم يا صاحب السماحة أن تدعوا أئمة هذه الجوامع وأن تمنعوهم من السماح للثوار بدخول هذه الأماكن المقدسة التى نريد أن تبقى على احترامها لأنهم اذا تحدونا فالسلطة العسكرية تضطر لتسليط قنابل مدافعها حينما وجدت الثوار وعندها أكون شديد الأسف لاضطرارى الى استعمال هذا التدبير

وانى اكرر لسماحتكم أن التعليمات الصريحة المعطاة لجنودنا والمتطوعين تنص على احترام النساء والأولاد والشيوخ والأموال ولكنه قد يتفق أن تصيب بعض الرصاصات الطائشة جماعة من الأبرياء

ياصاحب السماحة سأستعمل الاجراءآت الصارمة لانزال العقاب بالثوار ولتنظيف مدينة دمشق نخاجه سسه لاقرار السلام وان سماحتكم تشاركونى بدون شك فى هذا

الرأى . وعلى الأهلين المسالمين أن لايسمحوا للثوار بالالتجاء اليهـم على الأقل وبذلك يسهلون للجنود مهمتهم الشاقة اذا كانوا لايريدون أن يغيثوهم

وانني أكلف سـعادة متصرف دمشق أن يقابل الجميع وأن يطلع سماحتكم على ماجريات الأحوال .

وتفضلوا ياصاحب السماحة بقبول فائق اعتبارى مع احترامى

احتجاج اهالى دمشق

ووضع عدد من أهـل دمشق الاحتجاج الآتى وسلموه الى قناصـل الدول فى مدينتهم قالوا :

ان تهديم القرى ودك صروح العمران وتقتيل الأبرياء وسلب أموال المحايدين هو كل ماوصل من المدنية الفرنسوية الى سـورية التى جاءت فرنسا لتمدينها وتدريبها على الحياة الاستقلاليـة . وقد صرنا نعتقد بعد الذى رأيناه أن الحرية والعـدالة محصورة بين جدران باريس لاتتعداها الى بلاد الانتـداب ومن الساعة التى وطئت بها فرنسا الأراضى السورية لم نر سـوى مرتبات باهظة ونفقات سفر وسيارات وخـدم ومركبات لموظفيها تستحلبهم من دم الشعب السورى الذى رزح تحت باهظ الضرائب وكلمـا رفعنا عقيرتنا بالاحتجاج على مثل هذه الأعمال والتصرفات الغريبة الشاذة قالوا يد اجنبية تدفعنا لذلك ولسنا بحاجـة الى تذكيركم بأن الثورة السورية مانشأت الا بسبب سوء تصرف رجال الانتداب وطيشهم وتعمدهم حكم البلاد حكما قاسيا وابتزازهم الأموال بصورة مخجلة

ان الثوار لم يقصـدوا من ثورتهم الوطنية البحتة سوى اصـلاح ما ارتـكبته فرنسا من السيئات والسياسة الخرقاء والنزق والحق الذى يرافق جميع أعمالها وليست هذه الثورة سوى مظاهرة مسلحة لأن البلاد السورية التى تأنف الاستعمار قامت بالاحتجاجات الـكثيرة على تجزئة البلاد وتصرفات رجال الانتداب فـكانت كالصارخ فى واد وليست الثورة السورية مذهبية ولاطائفية رغم مابذله رجال الانتداب من جهود لالباسها اللباس الدينى والطائفى فقد سلحوا مسيحيي حوران ووادى التيم وضواحى حمص ودمشـق وبالأخص الأرمن ورعاع الشركس وأغروهم بالفتك بالآمنـين من المسلمين ونهب أموالهم وقتل الشيوخ والأطفال

والتمثيل بالنساء و بقر بطون الحاملات وتقطيع أيديهن طمعا فى حلاهن وأحراق الدور وانتهاك حرمات المعابد والمساجد ومع ذلك فقد ظلت الثورة وطنية ولم تنقلب الى طائفية . فضلا عن ضرب مدينتي دمشق وحماه الآمنتين بالمدافع المدمرة والقذائف المحرقة

ان الحكومة الفرنسوية التي عجزت مع مالديها من قوة ومن الجنود والمعدات عن صد الثوار عن أبواب دمشق تطلب من الفلاح البائس المسكين الأعزل أن يقوم بما عجزت عنه . وان الأعمال الفظيعة البربرية التى ارتكبها الأرمن المتطوعون فى الجيش الفرنسوى برئاسة ضباط فرنسويين مما تقشعر لهوله الأبدان فقد مشوا تحت العلم الفرنسوى صباح الاربعاء ١٧ فبراير سنة ١٩٢٦ الى حى الميدان المسالم فمثلوا بالنساء والأطفال وسلبوا الدور والمنازل وهدموها وأحرقوها وقتلوا الشيوخ ونهبوا المعابد والمعاهد الدينية ومزقوا الكتب الالهية المقدسة وقتلوا المسالمين الأبرياء مما حملنا على لفت نظر سعادتكم الى النتيجة السيئة التى يخشى من وقوعها فقد لايستطيع عقلاء المسلمين منع شبانهم من القيام بعمل مماثل فيقتلون الأرمن وينهبون أموالهم والمسئولية فى هذه الحالة لاحقة بموظفي فرنسا وخاصة بجمعية الأمم التى تسمع بما يقع من فظائع وتتغاضى عنها

وقد تجاوز عدد القتلى والجرحى والمصابين فى هذا الحادث المؤلم الحد المعقول والهيئات الوطنية باذلة الجهد لوضع احصاء دقيق للضحايا وقد ثبت ذلك بموجب تقارير الشرطة اليومية و بلاغات المتصرف واذاعات الجنرال اندريا . ولاريب أن دول أوربا لا ترضى أن يعامل الشعب السورى المسالم مثل هذه المعاملة السيئة وهذا مادعانا الى رفع احتجاجنا لسعادتكم راجين ابلاغه للدولة التى تمثلونها لتظهر لفرنسا سوء الخطة التى تسير عليها ولتسعى لوضع حد لهذه الأعمال ولاعطاء البلاد حقوقها المشروعة وتفضلوا بقبول فائق الاحترام »

منشور الثوار

ونشر ثوار الغوطة المنشور الآتى :

« يارجال الشرطة والدرك : قد رأيتم ماحل بأبناء وطنكم سكان حى الميدان من هتك العرض وقتل الأطفال الرضع وسلب الأموال من جانب متطوعة الأرمن بدون مسوغ سوى

التعصب الديني الذميم ولذلك ندعوكم باسم الوطنية أن تفروا من الخدمة ولو أدى ذلك الى قطع رزقكم مدة من الزمن

« وأنتم يا جنود المستعمرات ويامن يخدعكم المستعمرون بقولهم انكم تدافعون عن أبناء دينكم من السلب والنهب ألا فانتبهوا واعلموا أنكم لاتقتلون سوى أبناء دينكم وما جئتم من أقاصي المعمور الا تحت القاعدة المرعية لدى المستعمرين وهي أن أبناء الاسلام يعضد بعضهم بعضا

« وأنت أيها المندوب يامن تدعي أنك قدمت الى سورية حاملا لواء السلام والعدل يامن لاتفتأ تنادي أن رجال الثورة هم رجال سلب ونهب اننا نناشدك وطنيتك هل اعتدى أحد من رجال الثورة على عرض مسيحي أو قتل طفل وقطعه اربا اربا كما فعل جيشك المنظم ، أوهل سمعت عن أحد منهم أنه اختص مسيحيا بفريضة دون غيره من أبناء دينه فاياك نخاطب قائلين وليشهد العالم المتمدن أنك ما أتيت الى هذه البلاد الا لتعيد عهد نيرون فيها

« وأنتم أيها الموظفون يجب عليكم أن تستقيلوا من وظائفكم

« وأنتم ياأبناء هذا الوطن البائس من مسلم ومسيحي ويهودي نناديكم ونستحلفكم بأبنائكم ووطنيتكم أن تقاطعوا الأرمن في بلادكم مقاطعة أبدية تلجئهم الى الهجرة لبلادهم والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه والسلام »

٢ — الغارة الثانية

واستأنف الفرنسويون الغارة على الميدان فدمروا معظم منازل الميدان الفوقاني وبيان ما حدث أن دورية فرنسوية جاءت صباح ٢٦ ابريل الى سوق الجزمانية فبدأت باطلاق الرصاص في الهواء ارهابا بعد ماتفرست في وجوه الحاضرين ثم انصرفت للنهب فهاج ذلك بعض السكان فقابلوا الجند بالرصاص واشتبكوا معه بمناوشة انتهت بقتل جندي واحد فأمرت السلطة على الفور بتدمير المنازل وحرقها فالتهمت النار نحو مئة دار ومسجدين وحوانيت كثيرة وطالبت الميدانيين بألف ليرة عثمانية ذهبا كانت فرضتها على حيهم في شهر مارس وهددتهم بقطع الماء عنهم اذا لم يدفعوا الغرامة حتى يوم ٢٨ ابريل

وهذا نص البلاغ الرسمى الصادر فى هذا الشأن : « انه فى حالة امتناع أهل الميدان حتى ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٦ عند الساعة السادسة من الصباح عن تأدية غرامة الألف ليرة عثمانية ذهبا المفروضة عليهم فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٦ من قبل الحاكم العسكرى للمنطقة يقطع ماء عين الفيجة عن الحى المذكور »

وقد قطع الماء فعلا عنه لأن سكانه عجزوا عن دفع الغرامة ومن أين لهم أن يدفعوها وقد فقدوا كل شىء . ورفعت الهيئات الوطنية فى دمشق احتجاجا الى قناصل الدول على ماحدث جاء فى مقدمته مانصه :

« يؤسفنا جدا أن نعيد احتجاجنا لسعادتكم هذه المرة أيضا عن الأعمال الشاذة التى يأتيها رجال الدولة الفرنسوية فى سورية وكنا نود أن نرى لاحتجاجاتنا السابقة تأثيرها الحسن بايقاف تلك الأعمال و بالرجوع الى القوانين الدولية والقواعد الانسانية فاذا الأمر بالعكس واذا الانتداب التى أودعته جمعية الأمم فرنسا لمساعدة سورية وانهاضها مكافأة لما بذلته من الضحايا فى الحرب العامة بجانب الحلفاء صار عبارة عما شاهدتموه من حرق وهدم ودك صروح المدنية والعمران وسلب الأموال ومشاركة السوريين فى أموالهم وجعلهم أرقاء فى بلادهم

٣ — الطامة الثالثة

ولم تكتف السلطة بما أنزلته بالميدان وأهله فسيرت فجر الجمعة ٧ مايو قوة من رجالها حاصرت الحى من الجهة الشرقية وأرسلت قوة أخرى بسكة الحديد حاصرته من الجهتين الغربية والجنوبية وتقدمت فى الوقت نفسه قوة ثالثة من الشمال مخترقة الميدان التحتانى وابتدأ الهجوم من الجهات الثلاث وأهل الميدان غارقون فى النوم فحطم الجند أبواب المخازن والمنازل وكانوا يقتلون كل من يصادفونه من النساء والرجال والأطفال واشتركت المدفعية الفرنسوية فى باب شرقى والجبخانة والمزة فى الغارة باطلاق قنابلها على الحى كما اشتركت الطيارات من الجو والدبابات والمصفحات وكان الجنود يلقون صفائح البنزين فى مداخل البيوت والمخازن التى اقتحموها ولم تمض ساعة حتى امتد لسان النيران الى المنازل الاخرى والحوانيت المجاورة فى خط مستقيم طوله نحو ٦٥٠ مترا وتقوض كثير من البيوت

على ساكنيها من نسوة وأطفال . وكان الجنود يطلقون الرصاص على الذين يفرون من الحريق باحثين عن ملجأ يلجأون اليه فاستشهد عدد غير يسير دع الذين ذهبوا طعمة للنيران . ولجأ عند المساء فريق من النساء الى محطة القدم ليركبن القطار الى دمشق فاعتقلهن الجند فى قلعة هنا لك فقضين ليلة السبت . وجاء يوم السبت فريق من الميدانيين يستغيث بالداماد رئيس الحكومة الجديدة فصم أذنيه عن سماع شكايتهم قائلا ان الحادث عسكرى لا يجوز له أن يتدخل فيه ونصح لهم باخراج الثوار من بين ظهرانيهم ليأمنوا غضب السلطة ونقمتها وبدفع غرامة الألف ليرة المطالوبة منهم . وطلب الوفد من الحكومة ارسال مضخات لاطفاء الحريق فأجيب بأن الامر متعلق بالسلطة

وسمح للنساء الميدانيات المعتقلات فى القلعة بالقدوم الى المدينة صباح السبت فقصدن دار الحكومة مستغيثات فطردهن الجند فقصدن الى الفندق الذى يقيم فيه الداماد فأبى مقابلتهن ودعا فصيلة من الجند لحراسته خوف الطوارئ فذهبن الى دار المندوب الممتاز فرددن فعدن الى باب المصلى يعملن فى اطفاء الحرائق وكانت لا تزال متقدة فمنعهن الجند فهجمن عليه مختارات أن يمزقهن ببنادقه من أن يرين دورهن تلتهمها النيران . وفى مساء السبت أرسلت المضخات للاطفاء

ويقدر الذين ماتوا تحت الردم أو قتلوا بأكثر من مئة وخمسين ولا يقل عدد البيوت والدكاكين التى هدمت أو دمرت أوحرقت عن الألف بينها عدد من الدور الأثرية الفخمة وقدرت خسارة الميدان فى هذه الكارثة بنحو نصف مليون ليرة عثمانية

واحتج أهل الميدان الى قناصل الدول على ماجرى وذهب وفد قابل الجنرال فالبير قائد دمشق الجديد محتجا فقال ان السلطة أحرقت الميدان لأن الثوار لجأوا اليه

وانتشر بعض الذين نجوا من الميادنة فى أحياء دمشق الأخرى يبكون وينتحبون فبثوا الرعب والهول ونزح غيرهم الى جهات أخرى خوف تجدد الكارثة فخيم الخراب والدمار على هذا الحى . وننشر هنا نص البلاغ الرسمى الذى أصدرته الحكومة السورية يوم ١٠ مايو عن هذا الحادث ونصه :

« فى الوقت الذى شرعت الحكومة الوطنية الجديدة بأعمالها وقعت حادثة الميدان المؤلمة التى نشرت السلطة العسكرية بيانا بشأنها وعليه قامت الحكومة بما تستطيعه من الاعمال لأجل تخفيف ويلات المنكوبين من أهالى الميدان وغيرهم وللافاة خسائرهم ولما رأت الحكومة ان أهالى الاحياء المجاورة للميدان ينتقلون من بيوتهم خشية أن يصيبهم ما أصاب جيرانهم وكانت واثقة من اخلاص الاهلين جميعا واخلادهم الى السكينة وكان تنقلهم بالحالة المشهودة مما يزيد فى ضررهم فقد قررت بعد الاتفاق مع السلطة العسكرية أن تبلغهم وجوب بقائهم فى أماكنهم مطمئنين هادئين وان تتخذ جميع التدابير لمنع دخول الثائرين الى المحلات الاخرى واذا لاسمح الله تشبث الثائرون بالدخول اليها رغما عن كل التدابير غير ناظرين الى العواقب الوخيمة التى تنتجها مثل هذه المحاولة فان الحكومة العسكرية ستقوم بانذار الاهالى قبل اطلاق القنابل على الاحياء

وعليه تنتظر الحكومة الوطنية من الاهلين داخل المدينة وخارجها أن يساعدوها بسكونهم وتعقلهم ويمنحوها الوقت الكافى لاتمام مهمتها التى ترمى الى تحقيق أمانى البلاد واقرار السلام وهى ستقوم باتخاذ التدابير اللازمة للوصول لهذه الغاية باقرب ما يمكن والسلام

كارثة مضايا

ونرى أن نلحق بوصف كوارث الميدان التقرير الرسمى الذى رفعه نسيب مسلم الخياط قائمقام الزبدانى الى وزير داخلية سورية يوم ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ معلنا استقالته من منصبه احتجاجا على ما أنزله الجند الفرنسوى من فظائع بسكان قرية مضايا من أعمال الزبدانى قال :

« لمعالى دولة وزير الداخلية المعظم (بدمشق)

أمس نهار الثلاثاء الواقع ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ نحو الساعة العاشرة صباحا قضى على وعلى مأمورى وأهالى القضاء أن نشاهد بأم العين منظرا يفتت الاكباد وتشيب لهوله الاطفال : قرية آمنة قرية مسكينة بائسة قرية مخلدة لمنتهى السكينة ولأقصى الاخلاص والطاعة للحكومة طمرت بما فيها من نساء وأطفال وشيوخ تحت وابل من قنابل مدفع

جيء به من جهة رياق وقد دام اطلاق القنابل عليها تحت قيادة القومندان الفرنسوي « تورناد » قائد منطقة الزبداني من الساعة ١٢ ونصف . هذه القرية هي قرية مضايا زينة هذا القضاء من حيث مركزها وجودة هوائها و بساتينها وسلوك أهلها . وقد ارتعدت فرائصي حينما سمعت الطلقة الأولى اذ لم يكن عندي علم بشيء ولما تقابلت مع القومندان بعد عودته من تدمير القرية المذكورة سألته عن الذنب الفجائي الذي اقترفته قرية مضايا أجاب لكونها قبلت عندها عصابة جمعه سوسق

ياللهول قرية خالية من السلاح دخلتها العصابة ليلا والحكومة والقوة الفرنسوية على مسافة ٥ كيلو مترات منها . دخلت العصابة فألقت الرعب في قلوب أهلها أهانتهم وضربتهم ومن الجملة المختار على محرز الذي شطرته أمس قنبلة شطرين وسلبتهم مؤونتهم من حنطة وشعير و برغل و و و و.. أجبرتهم على ذبح ٤٠ ذبيحة ، أقامت عندهم على مرأى منا ومن نفس القومندان الفرنسوي زهاء ٢٤ ساعة ليلة ونهارا وأرسل الأهالي من يخبرنا بأعمالهم و يستنجد بنا . ثم توسلت الى القومندان بأشد الالحاح و بكل ما في فؤادي من قوة بان يبعث بطلب طيارة تخيف العصابة فتنزح عن القرية أوأن يذهب هو للبطش بها أو أن ينظر في طريقة حسبما يرتأيه فكان الجواب منه : أنا لايعنيني المحافظة على قرية أوغيرها ان وظيفتي تنحصر في المحافظة على الخط الحديدي والمحطات وانني مستعد للقيام بهذه الوظيفة فما على العصابة الا أن تقترب مني ...

مساء اليوم العاشر من هذا الشهر خرجت العصابة من مضايا آمنة مطمئنة بعد أن استراحت وأكلت وشربت وأشبعت خيولها من بيوت الأهالي المساكين و بعد أن نهبت وسلبت كل ماوقع عليه نظرها من ملابس وخلافه خرجت الى التكية حيث أحرقت محطتها وخربت قسما من الخط الحديدي وحاولت أن تقترب من المعمل الكهربائي فكان من دفاع الـ٣٣ دركي السوري وتفانيهم بواجبهم ماصانه

مضى على هذه الحادثة نحو أربعة أيام كان بعض أهالي مضايا في خلالها يقصدونني بحالة تدمي القلوب شاكين مما حل بهم وعاملين على اقناع القومندان بان أهل مضايا ليسوا بملومين بمكث العصابة بين ظهرانيهم و بوصف حال هذا القضاء من حيث فقره وما انتابه من المصائب ومن حيث اخلاص أهله للحكومة والانتداب وسكونهم ومسالمتهم وحصر

جهودهم فى الحرث والفلاحة وقد خيل لى من أجوبة القومندان أنه كان مشاركا لعواطفى وآرائى مما جعلنى أطمئن الأطمئنان وأعتقد بأن هـذا القضاء بات فى مأمن فكان ما كان صبيحة أمس من ضرب قرية بائسة بمن فيها من شيوخ ونساء وأطفال دون أن يعطى لهم أقل انذار واخطار لامن جانب الحكومة اذ أن الحكومة كانت جاهلة كل شىء حتى وقوع الحادث ولا من قبل الفرنسويين

قرية خالية من الأسلحة مركزها غيرحربى ولا توجد فيها قلعة ولاحصن وحتى ولا مخفرتتساقط عليها قنابل جهنمية بدون أقل اخطار وذنبها أن لا الحكومة ولا السلطة المنتدبة أسرعت لنجدتها بل تركتاها ٢٤ ساعة تنهب وتسلب وتضرب وتهان قبل أن ينزل فيها الموت الزؤام

وبمناسبة وقوع مثل هذه الفظاعة وبصورة خالية من أصغر ما يمكن أن يكون من عواطف الشفقة والانسانية أرى من واجبى المقدس ـ بصفتى رئيسا لهذا القضاء يفاخر أمام شرفه ووجدانه بانه جاهد أقصى جهاد فى سبيل لفت نظر الحكومة لحالة رعيتها وتفهيم قومندان القوة الفرنسوية باللغة الفرنسوية حقيقة هذا الحال ـ أن اكتب احتجاجا على ما حصل وأسترحم سرعة قبول استقالتى من خدمة الدولة السورية بعد أن ضحيت بمركزى فى سبيل خدمتها فى نظارة الخارجيـة فى باريس راجيا ارسال من يخلفنى حال دولتكم على هذه الأسطر وعلى الله الرزق والاتكال

اعتقال ثلاثة من الوزراء ونفيهم

قضت كارثة الميـدان الثالثة وقد حدثت فى خـلال الأسبوع الأول بعد تقلد الوزارة الجديدة الحكم، على كل نفوذها اذ وقفت عاجزة عن دفع عادية السلطة العسكرية عن حى من أعظم أحياء عاصمتها وتركته فريسة للنيران وللجند

وثلت كارثة الميدان حادثة اعلان الدستور اللبنانى يوم ٢٦ مايو سـنة ١٩٢٦ وقد نص فيه على عدم التنازل عن جزء من الأراضى اللبنانية مما يحول دون تحقيق الوحدة التى كانت تبشر بها وتنادى انها توشـك أن تنالها ـ فاجتث كل أمل للوزارة بالنجاح ، فـلا

هى قادرة على كف أذى السلطة العسكرية المسرفة فى الحرق والتدمير ، ولاهى قادرة على اقناع الثوار بالاستسلام وترك السلاح ، ولاهى قادرة على تحقيق الوحدة وقد كانت تنادى بأنها لم تنل الحكم الا بعد ماتحققت من فوزها بها

وأدى هـذا الاخفاق الذى أصيبت به الحكومة الجديدة الى وقوع اضـطراب فى صفوفها واختـلاف بين أعضائها فقـد طلب الوزراء الذين ينتسـبون الى العنصر الوطنى وهم فارس الخورى وحسنى البرازى ولطفى الحفار الى الداماد أن يحـدد موقفـه نهائيا فاما أن ينضم اليهم ويؤيد سياستهم واما أن يسير مع الفريق الآخر الموالى للانتداب ولما لم ينالوا منه جوابا امتنعوا عن الاشـتراك فى الأعمال وأعلنوا أنهم مستقيلون فتدخل الفرنسيون واستصدروا يوم السبت ١٢ يونيو قرارا من الداماد بحل الوزارة بحجة عدم التجانس بين أعضائها وفى منتصف ليل ١٢ منـه قبضت السلطة العسـكرية الفرنسوية على الوزراء الثلاثة المستقيلين وجاءت بهم من بيوتهم الى دار الحـكومة وفى صباح الاحد اركبوا قطارا مصفحا أقلهم الى حلب ومنها أرسلوا الى الحسجة . وقبض أيضا فى الوقت نفسه على فوزى الغزى وبدر الدين الصفدى وأديب الصفدى وأرسلوا منفيين مع الوزراء

وأعيد تأليف الوزارة فى اليوم نفسه (١٢ منـه) من العناصر المعتدلة وبذلك أقصى العنصر الوطنى نهائيا عن الحـكم وعادت السلطة الى التعاون مع العناصر المعروفة بموالاتها

الثوار والوزارة

وألفت حكومة الداماد ، وذلك قبل القبض على الوزراء الوطنيين ونفيهم ، لجنة من أعضائها للعناية بقضية الثورة كما ألفت وفدا برئاسة الشيخ بدر الدين الحسنى قوامه الشيخ هاشم الخطيب وأنور البكرى وزكى المهاينى وأحمـد اللحام والأمير طاهر الجزائرى لزيارة الغوطة والاجتماع الى الثوار واقناعهم بالاستسلام والخضوع . كما انتـدبت عثمان الشرابانى فسافر الى عمان وجبل الدروز للاجتماع بالزعماء والتفاهم معهم وغنى عن البيان أن حوادث الميدان الأخـيرة ونفى الوزراء وبعض الوطنيين قضى على كل سعى من هذه الجهة وأفقد الوزارة كل مكانة

١٧

حروب الغوطة الختامية

ومعارك قلمون والهرمل والضنية

من تحصيل الحاصل التنويه بما للغوطة وثوارها من مقام فى الثورة الوطنية فقد حملوا كما حملت عبأها الأكبر واستنفدوا الجهد فى الدفاع والنضال والكر والفر، وظلوا يقاتلون حتى النفس الأخير، فالغوطة هى آخر معقل استسلم للفرنسويين

التنظيم فى الغوطة

ولقد شعر ثوار الغوطة بشدة حاجتهم الى التنظيم والى وضع قواعد يسيرون عليها منذ ابتداء الحركة فاجتمع رؤساء العصابات فى شهر فبراير سنة ١٩٢٦ وأصدروا القرارات الآتيـة :

١ ـ يؤلف من مجموع عصابات الغوطة وضواحى دمشق وحدة تامة توزع على المناطق الحربية بحسب الضرورة الحربية وأحوال المنطقة

٢ ـ يؤلف مجلس عام يسمى « المجلس الوطنى للجنة الثورة السورية فى الغوطة وضواحى دمشق » ينتخب أعضاؤه من قبل رؤساء الثوار بتفويض خطى

٣ ـ تقوم كل عصابة بالحركات الحربيـة فى منطقتها برأى مشاورها العسكرى أما الحركات العامة فتكون بقرار من المجلس

٤ ـ تخصص كل عصـابة مفرزة من رجالها لتوطيـد الأمن فى منطقتها وتأمين المواصلات مع المناطق المجاورة لها

٥ ـ يحمل رجال كل عصابة شارة خاصة بهم تميزهم عن سواهم ولا يجوز لأى مجاهد كان أن يترك عصابته المسجل فيها ويلتحق بغيرها

٦ ـ الجاسوس الذى يقبض عليه فى احدى مناطق الثوار يحال (بعد أن يضبط زعيم تلك المنطقة افادته الأولية) الى المجلس الوطنى لينظر فى أمره ويصدر بحقه الحكم النهائى

٧ ـ يلاحق المجلس الوطنى ملاحقة شديدة الذين يعتدون على الأهلين ويدعون أنهم من الثوار ويعاقبهم أشد عقاب ويطرد من صفوف المجاهدين المجاهد الذى يأتى عملا يخرج به عن غرض الثورة النبيل

٨ ـ المناطق الحربية تبين وتحدد فى نظام توزيعها

٩ ـ صلاحية المجلس ووظيفته توضح فى نظام تأليفه ومضبطة انتخاب أعضائه

وكذلك قسموا مناطق الثورة ونظموها على المنوال الآتى :

المنطقة الاولى ـ أراضى باب السريجة وقبر عاتكة ومابين المزة وداريا والحد بينها وبين المنطقة الثانية الخط الحديدى

المنطقة الثانية ـ تمتد من أراضى حى الميدان والشاغور وقرى ببيلا ويلدا وعقربا حتى قرية عباده والحد بينها وبين المنطقة الثالثة نهر بردى

المنطقة الثالثة ـ تمتد من حدود نهر بردى حتى جسر نهر تورا والحد بينها وبين المنطقة الرابعة الطريق بين دوما ودمشق

المنطقة الرابعة ـ تمتد من حدود المنطقة الثالثة الى مركز قضاء دوما

المنطقة الخامسة ـ تمتد من حى الأكراد حتى عدرا

المنطقة السادسة ـ من سهل القابون حتى صيدنايا ومن دمر حتى الزبدانى

المنطقة السابعة ـ من عدرا الى النبك حيث تتصل بعصابات الشمال

نظام مجلس الثورة الاعلى

ووضعوا لمجلس الثورة الأعلى النظام الآتى :

١ ـ يؤلف المجلس من عشرة أعضاء ينتخبهم زعماء الثورة فى المناطق المذكورة آنفا

٢ ـ ينظر المجلس بهيئته المجتمعة فى القضايا العدلية والادارية

٣ ـ ينقسم المجلس الى ثلاث لجان وهى : (١) اللجنة المالية (٢) ولجنة الحركات

الحربية (٣) ولجنة الدعاية والاستخبارات

٤ ـ وظيفة اللجنة المالية جمع الأموال والاعانات لتأمين اعاشة الثوار ومهماتهم وفقا لنظام خاص يضعه لها المجلس الوطني

٥ ـ وظيفة لجنة الحركات الحربية تنظيم الخطط الحربية وقيادة الثوار فى مواطن القتال وابلاغ التعليمات الى المشاورين العسكريين والسهر على توطيد الأمن فى مناطق الثوار وتأمين المواصلات بينها و بين المناطق المجاورة

٦ ـ وظيفة لجنة الدعاية والاستخبارات بث الدعاية وحض الأهالى على الثورة والقتال فى مناطق الثوار ومدينة دمشق وجمع الاستعلامات السرية عن حركات الجيش الفرنسوى ومقاومة دعايته واذاعة النشرات الأسبوعية عن أخبار الثوار وحركاتهم

٧ ـ للمجلس الوطنى طابع رسمى خاص

هيئة اول مجلس

وقد اختار الزعماء السادة الآتية أسماؤهم أعضاء للمجلس الوطنى ووضعوا بذلك المضبطة الآتية :

نحن عموم رؤساء الثوار فى مناطق الغوطة وضواحى دمشق قد انتخبنا أعضاء للمجلس الوطنى كلا من السادة زكى الحلبى . شوكت العائدى . نزيه المؤيد . فائق العسلى أحمد الحصنى . جميل شاكر . صبرى فريد . اسماعيل القلعجى . محمد الشيخ . على ديبو وفوضناهم تفويضا مطلقا ليسيروا فى أعمالهم حسب قرارنا الذى اتخذناه فى ٢٥ فبراير سنه ١٩٢٦ باجماع الآراء والقرارات والأحكام التى يصدرها المجلس الوطنى بعد الآن تسرى على الجميع وزعماء الثوار هم القوة التنفيذية لهذا المجلس وعليه نظمنا مضبطة انتخاب أعضائه هذه الموقعة بامضاءاتنا

تحريرا فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٦

ورأس المجلس فى معظم الادوار نسيب بك البكرى

القرارات الأولى للمجلس الوطنى

وللمرة الأولى اجتمع المجلس الوطنى يوم أول مارس وقرر القرارات الآتية

١ ـ أن يعهد بأعمال اللجنة المالية الى السادة نزيه المؤيد وعلى ديبو ومحمد الشيخ

٢ ـ أن يعهد باعمال لجنة الحركات الحربية الى الضباط زكى الحلبي وشوكت العائدى وصبرى فريد

٣ ـ أن يعهد باعمال لجنة الدعاية والاستخبارات الى السادة فائق العسلى وجميل شاكر

٤ ـ أن ينتخب المجلس لكل جلسة رئيسا بالاقتراع السرى وأن يعهد بأمانة السر الى السيد فائق العسلى

ثم حدد المجلس صلاحية كل لجنة ووضع لها النظام الخاص الذى ينبغى لها أن تسير عليه ونشر اذاعة عامة على أهل قرى الغوطة والمرج أبلغهم فيها تأسيس المجلس وصلاحيته وأنه أصبح بيده الحكم وعليهم أن يرجعوا اليه فى أمورهم

القائد العام الجديد للغوطة

وفى الوقت الذى كان ثوار الغوطة يصدرون فيه هذه القرارات كانت المفاوضات تدور فى جبل الدروز بين سلطان باشا الاطرش والدكتور شهبندر بشان تنظيم العلاقات بين الغوطة والجبل ووضع خطة واحدة للعمل فقد شعر الجميع بضرورة التكاتف والتساند بعد ما فشلت المفاوضات التى دارت مع المسيو دى جوفنيل

ولقد شهد الدكتور مؤتمر دامه يوم ٢٥ فبراير وفيه تقرر احتلال اللجاه كما تقرر تعيين مصطفى وصفى أميرالاى أركان الحرب قائدا عاما للغوطة وقد حضر مؤتمر دامه وفى يوم ١٠ ابريل غادر الدكتور قرية جدل فى اللجاه بعد ما اجتمع طويلا الى سلطان باشا وتم بينهما الاتفاق على توحيد الخطط الاساسية . وفى يوم ١٢ منه وصل الدكتور الى قرية قرحتا فى طريقه الى الغوطة فبات فيها وفى صباح ١٣ بلغ قرية زبدين فاجتمع ببعض المجاهدين فى الغوطة . وفى يوم ١٥ منه عقدوا مجلسا وطنيا أعلن فيه تعيين مصطفى وصفى قائدا عاما للغوطة

ولم يطل الدكتور الاقامة فى الغوطة بل عاد الى جبل الدروز للاشراف على الحالة فقد اتصل به ما يعده الفرنسيون من معدات للزحف على السويدا فوصلها وشهد معركتها يوم ٢٥ ابريل بالذات

وأقلق مجيء الدكتور الى الغوطة الفرنسويين فاتخذوا كثيرا من التدابير لمطاردته وأرسلوا الطيارات فضربت الاماكن التي نزلها . وهذا نص البلاغ الرسمي الذي أذاعه الجنرال فاليير حاكم دمشق العسكري على سكان الغوطة يوم ٣ مايو سنة ١٩٢٦ :

« لا أحجم مع ما أشعر به من الاسف عن عمل الأعمال العسكرية التي أصبحت ضرورية ازاء عمل الشهبندر الذي لم يتجرأ على البقاء في الجبل على أثر اقتراب جنودنا بل جاء يحدث حركة جديدة . وهو بعد أن سبب الشقاء للدروز يعمل للقضاء على رخاء هذه المقاطعة الجميلة ويبذر بذور الفوضى والموت في كل مكان يطأه

« فاذا لم يسلم السكان الشهبندر وعصابته فلا يستحق لهم أن يستغربوا اذا اعتبروا مسئولين معه

« اني ادعو قرى الغوطة الى السكون والهدوء والامتناع عن العداء ولا أحجم في حالة الرفض عن استعمال الوسائط العسكرية التي تضمن اقرار النظام بسرعة » ـ اه

معارك التطويق في الغوطة

والتفت الفرنسويون الى الغوطة بعد ما احتلوا السويدا ووطدوا أقدامهم في جبل الدروز فاخذوا يعدون المعدات للحملة عليها وتقضي الخطة التي رسموها بان يهاجموها من الغرب والشرق والشمال والجنوب في زمن واحد . وبدأت القوى الفرنسوية بالزحف فجر ١٩ يوليو فجاءت حملة من جبل الدروز بقيادة الجنرال ماسيت ومشت حملة أخرى من المليحة (حوران) وخرجت حملة ثالثة من دمشق فارتقت جبل قاسيون ثم انحدرت بطريق برزة ومشت حملة رابعة من دمشق سالكة الطريق السلطاني الى الغوطة وجاءت الخامسة من النبك والقطيفة فاطبقوا على الغوطة من جميع الجهات

وبدأ القتال صباح ١٩ منه على طريق دوما فقد استقرت الحملة الثالثة في أوتايا وضربت القرى بمدافعها ثم زحفت على حوش الفارة فأصبح خط القتال يمتد من حوش الريحاني حتى خرابو وأوتايا واحتشدت عصابات دوما وحرستا والعمارة في هذه المنطقة للمقاومة

ودارت معركة أخرى في الشمونية بين قوات فوزي القاوقجي وكان في دوما

و بين الفرنسويين واستمر القتال يوم ١٩ بطوله وامتد حتى شمل بيت سوى والأشعرى وشبعا وكفر بطنا وحورى وصمد مصطفى وصفى ومعه عصابة العهد وعصابة المليحة وعصابة زبدين للفرنسويين فى الشرق ونازلهم قرب شبعا فدار قتال عنيف بينهما امتد حتى الليل وتحصن الفرنسويون فى الكروم وعند المساء وأوقفوا الحرب فانسحب مصطفى وصفى الى حتيته

وجاءت قوة فرنسوية أخرى من وادى منين بطريق صيدنايا فقابلتها عصابة برزة ودار قتال بين الفريقين امتد أربع ساعات وانتهى بانسحاب العصابة الى برزة فلحق بها الجند فوقفت للدفاع عن القرية (برزة) وفى الليل تمكن الثوار من الانسحاب الى الجهة الشرقية فرابطوا فيها وأحرق الجند القريه

واستؤنفت المعركة فى العداة فرحف الجند من برزة الى عين ترما وانتشر فى العوطة والتقت فى هذا النهار عصابة برزة بقوة كبيرة للثوار فى عين ترما على رأسها آصف عمر باشا وعصابة جوبر فاتحدتا وانسحبتا الى الزور ثم قصدتا كفر بطنا فاجتمعتا فيها بعصابة مصطفى وصفى واشتبك الفرنسويون فى هذا النهار مع عصابة الشيخ محمد الاشمر. وعاد مصطفى وصفى مع رجاله الى المليحة فنازل الفرنسويين فى جوار بيت سوى. وانضمت اليه هنا عصابة برزة واشتركت معه فى قتال الجيش المحاصر فى داخل القرية وكان الجند يطلق عليهم النار من داخل ثقوب البيوت ومن مسافة لا تزيد عن ٧ أمتار واستشهد فى هذا اليوم اليوزباشى محمود حمدى شقيق مصطفى وصفى ودفن فى الحتيته وثأر له الثوار فى العداة فقتلوا الكولونيل فيسغ قائد احدى الحملات قرب جسرين ــ كفر بطنا

وقد اشتركت فى هذه المعارك مدفعية المزة والجبخانة ومعمل القزاز وقصر البلور ومركز حارة الاكراد فكانت تطلق مدافعها بلا انقطاع على العوطة ويقال انها أطلقت ١٨ ألف طلقــه فى تلك الايام كما اشتركت فيها الطيارات وتعد بالعشرات ومثلها الدبابات ويقدر عدد الجند الذى زحف ثمانية عشر ألف مقاتل وفى يوم ٢٢ منــه عاد الجيش الى دمشق فاستراح فلما تم استئناف العمل يوم ٢٤ منه. وقد انتهت هذه المعارك بعدول الثوار عن خطة [illegible] حروب العصابات. ونقول بهذه المناسبة انه بلغ عــدد الحملات التى [illegible] العوطة من ابتداء الثوره حتى أواسط شهر

يوليو ٥٢ حملة لم تنل منها منالاوقد تغلب عليها الثوار وهزموها

ووالى الفرنسويون الغارة على الغوطة بعد هذه المعارك ويسمونها معارك التطويق فكانوا يسيرون اليها كل يوم تقريبا فادى ذلك الى تضعضع الثورة واضعافها يضاف الى هذا أنهم شددوا فى الضغط على الفلاحين وهدموا الدكوك (الحواجز) بين البساتين والأراضى وقطعوا الاشجار ودمروا البيوت ومنعوا الماء فكاد هؤلاء يهلكون عطشا وزاد الطين بلة المخافر التى بثوها فى انحائهـا وقد شحنوها بالجند والمدافع كما أحاطوها نفسها (الغوطة) بسلسلة من الحصون مما جعل الدخول اليها والتجول فى أنحائها من أشق المهمات . ويجب أن لا ننسى ما أسداه بعض أصحاب الأملاك فى الغوطةمن الدمشقيين للسلطة فقد سعوا كثيرا مع الفلاحين وأقنعوهم بضرورة موالاة الفرنسويين ومقاومة الثورة رعاية لمصالحهم

ونختم هذا الفصل باثبات نص البيان الذى أذاعه فوزى القاوقجى عن هذه المعارك فى أوائل أغسطس قال :

« ان العدو الذى قد بذل من الاهتمام والاستعداد مدة عشرين يوما لجمع سائر قواه المتفرقة من انحاء سورية بقصد مهاجمة الغوطة وتطويقها قد تقدم فى ١٩ يوليو سنة١٩٢٦ للمراكز التى اختارها للاحاطة من الشفونية الى حوش الدوير وهاجم مواقعنا الدفاعية من الوراء والجناحين فى ٢٠ منه واستمرت المعارك بشدة زائدة حتى ٢٥ منه فكان فى كل معركة يخوضها يعود منها مندحرا وذلك بفضل ترتيباتنا الدفاعية و بطولة مجاهدينا وقد شتتنا قطعات العدو خلال المعارك التى دارت فى جسرين وكفر بطنا والتجأت بعض أجزائه المشتتة الى كفر بطنا لخوصرت وهوجت ليلة ٢١ هجوما شديدا كلفه ضحايا عديدة حتى أنه من شدة الضغط طلب كثير من المحصورين الامان.وقد اضطر العدو لاستخدام قواه الاحتياطية واستمرارها لانقاذ المحصورين فنصبنا له شركا أوقعنا فيه المحصورين والمنجدين وقضينا على البقية الباقية من الحملة المشتتة واتلفنا قسما كبيرا من المنجدين

« فأعاد العدو حملاته فى الأيام الأخيرة فكان نصيبه الفشل فى النهاية كنصيبه فى البداية . وهكذا قد قضينا على أحلام العدو وآماله المبنية على هذه القوة

« ولما أخفقت جميع حركاته وحاق به الخذلان والخسران قام ينتقم لنفسه بحرق

القرى والمحصولات وقتل الأولاد والنساء والماء عن المزروعات

« وقد قمنا الآن بتنسيقات جديدة فى الجيش وجعلنا الخدمة اجبارية وأصبح لنا جيش نظامى بكافة معداته الحديثة من الغنائم الحربية وآخر احتياطيا

« ولما بلغ الخبر جبل الدروز خصصت نجدات قوية وفد وصلت ،قدمتها مع قائدها متعب الأطرش وتمثل الاخاء الدرزى السورى والرابطة المتينة فى هذه الآونة العصيبة

« ان خسارة العدو تتجاوز الفا بين قتيل وجريح وفقيد وخمسمائة من الخيل والبغال وكثير من الضباط وطيارتين. وقد وقعت بأيدينا أوراق مهمة من الضباط المقتولين و بينها أوراق الكولونيل فينغ الذى قتل فى معارك جسرين ـ كفر بطنا و بين هذه الأوراق برنامج تطهير الغوطة وخرائطها وخسارتنا اثنان وأربعون جريحا ومعظمها خفيفة وسبعة عشر شهيداً

حروب قلمون الثانية

أشرنا آنفا الى الحملتين الكبيرتين اللتين جهزهما الفرنسويون على قلمون بقيادة الجنرال مارتى والكولونيل ماسيت وقلنا ان الأولى استردت النبك وطاردت العصابات التى كانت ترابط حول حمص وأخرجتها من حسيه وصدد والقصير ثم تقدمت الى القطيفة فاتصلت بحملة الكولونيل ماسيت فيها وقامتا بجولة فى انحاء قلمون فدخلتا يبرود ومعلولا ورنكوس ثم عادتا سوية الى دمشق واشتركتا بعد ذلك فى الأعمال التى عملت فى اقليم البلان .

ونقول هنا ان عصابات الثوار التى كانت تعمل فى قلمون وهى عصابة خالد النفورى وجمعه سوسق ، وكان أول من نادى بالثورة فى قلمون ، عادت الى العمل هنا بعد رجوع الحملتين فبسطت نفوذها على قلمون ثانية واتصلت بعصابات الغوطة واشتركت معها فى معظم الأعمال على أن شأن هذه العصابات قد ضعف بعد ماضرب الفرنسويون الغوطة فى شهر يوليو فتفرق رجالها هنا وهنالك فعاد الفرنسويون الى قلمون و بسطوا نفوذهم نهائيا عليه من أوائل سنة ١٩٢٧ تقريبا

عصابة بعلبك

نزلت هـذه العصابة الى الميدان فى شهر مايو سنة ١٩٢٦ فقـد هاجت فى الساعة التاسعة من مساء ١٨ منه مدينة بعلبك فاحتلتها ودخلت دار الحـكومة فأضرمت النار فيها ثم غادرتها عند الفجر عائدة الى الجبال للاعتصام فيه لأنها لم تجد فائدة من البقاء

وزعيم هذه العصابة هو توفيق هولو حيدر وقد كان فى دمشق خلال شهر أغسطس سنة ١٩٢٥ موظفا فى حكومتها فلما حدثت الاضطرابات الأولى فى جبل الدروز وأصدر الفرنسويون أمرا باعتقال رجال حزب الشعب قصد قرية اللبوة وهى واقعـة بين حمص وبعلبك فأقام فيها يرقب الحالة ويعد المعدات لاضرام ثورة فى تلك الجهات ثم غادرها فى شهر سبتمبر ومعه بعض رجاله الى جبل قلمون فاشترك مع العصابات التى كانت تعمل فيـه وقاد حملة على حمص فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٥ وقد دعاه بعض أهلها الى دخولها واحتلالها ففصل التريث استكمالا لمعداته . ثم قصد الغوطة ومنها ذهب الى السويدا واشترك فى مؤتمر دامه وفى الهجوم على اللجاه واحتلالها وفى أوائل ابريل سنة ١٩٢٦ عاد الى بلاد بعلبك لاضرام الثورة فى ربوعها فعلم الفرنسويون بوصوله فأرسلت قوات للقبض عليه فنازلها يوم ١٤ ابريل وهزمها . وفى يوم ١٨ مايو زحف على بعلبك واحتلها على المنوال الذى بسطناه آنفا

وفى يوم ١١ يونيو سنة ١٩٢٦ جهز الفرنسويون حملة كبيرة زحفت من رياق ومن رأس بعلبـك فى ست قطارات ولا يقل مجموعها عن خمسة آلاف جنـدى مسلحة بالرشاشات والدبابات والطيارات والمدفعية فنزلت عنـد الفجر فى محطة اللبوة وما كادت تغادرها فى طريقها الى القرية لمباغتة العصابة ــ والمسافة بينهما ٤ كيلو مترات ــ حتى بادرتها باطلاق نار شديدة عليها ــ لانها كانت عارفة بمسير هـذه القوة وبمكان احتشادها فوقع الذعر والاضطراب فى صفوفها وتشتت رجالها ولم يستطع ضباطهم اعادة النظام الا بشق الأنفس . وارتد الجند الى المحطة بعد حرب داميـة امتدت ساعات تاركا كثيرا من القتلى والجرحى والغنائم بين أيدى الثوار حينما جاءت نساء القرى يحملن الماء والطعام الى المجاهدين وهن يزغردن فظن الجيش أنها نجدة قادمة فركن الى الفرار

واتصل بتوفيق هولو فى أواخر شهر يونيو أن الفرنسويين يعدون العدد لتسيير حملة كبيرة على الغوطة فقصدها مع عدد من رجاله للاشتراك فى الأعمال العسكرية التى تعمل وسعى مدة اقامته فيها للتوفيق بين زعماء العصابات وتوحيد الخطة فلم يوفق واشترك فى المعارك العنيفة التى دارت أيام ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ يوليو وقصد الجبل فى أوائل شهر أغسطس للاتصال بالزعماء وللعمل لرسم خطة جديدة وظل فيه حتى أواسط أغسطس ثم عاد ثانية الى بلاد بعلبك واعتصم فى جردها فاتصل خبره بالفرنسويين فسيروا القوى لقتاله فاشتبك معهم فى معارك عديدة كانت الغلبة له وقتل فى أحدها الكبتن بوافان قاتل الشهيد أحمد مريود . وفى شتاء سنة ١٩٢٧ غادر معتصمه الى جبل الدروز لعدم امكانه المقاومة بعد ما استسلمت المناطق الأخرى وسيطر الفرنسويون عليها

عصابات وادى التيم واقليم البلان

وتكرر فى وادى التيم واقليم البلان ماوقع فى قلمون من قبل فانه ما كادت الحملات التى سيرها الفرنسويون لتدويخ هذه المنطقة تعود الى مراكزها بعد احتلال مجدل شمس فى الأسبوع الأول من شهر ابريل سنة ١٩٢٦ حتى عاد المجاهدون فانتشروا فى ربوعه بقيادة الأمير عادل ارسلان والشهيد المرحوم أحمد مريود وشكيب وهاب فدارت بينهم وبين الفرنسويين معارك اشترك فيها الشراكسة وبعض المسيحيين من أبناء البلاد فى الجانب الفرنسوى وتم للثوار فى أواخر شهر مايو احتلال مجدل شمس نفسها وسيطروا على لبنان الشرقى كله تقريبا . وفى يوم ٣٠ مايو أرسلوا الى مدينة زحلة انذارا يطلبون منها التسليم ودفع ٢٥٠٠ ليرة عثمانية غرامة . فهاجت زحلة وماجت لهذا الانذار وألف سكانها وفدا من مطران الروم الارثوذكس ووكيل مطران الكاثوليك ورئيس دير الآباء اليسوعيين ورئيس البلدية وبعض الوجوه فقابلوا المستشار الفرنسوى ووصفوا له مايسود المدينة من قلق وخصوصا بعد ماعلموا أن الحكومة نقلت الأوراق الرسمية الى بيروت وطلبوا منه الطلبات الآتية :

١ — جلب قوة لاتقل عن ٣٥٠٠ جندى الى زحلة لحمايتها

٢ ـ توزيع ١٥٠٠ بندقية على الشبان بوثائق على أن يعاد هذا السلاح للسلطه بعد أن تبرهن الحالة على عدم حاجة الأهالى اليه

٣ ـ الترخيص للأهالى بشراء السلاح

فطمأن المستشار خواطرهم ووعدهم خيرا وقال انه سيرفع الأمر الى القائد العام . ولم ينفذ الثوار وعيدهم ولم يهاجموا زحلة ولم ينالوا أحدا من سكانها بسوء

وفى أواسط شهر أغسطس و بعد أن تضعضع معقل الغوطة وتسرب الوهن الى صفوف المجاهدين فى الجبل غادر الأمير عادل ارسلان اقليم البلان بمن معه من قوى لجاء الى قرية العادلية فى جنوبى الغوطة ثم قصد اللجاه وتحصن فيه ونازل الفرنسويين فى داخله واشتبك معهم فى معارك سنأتى على وصفها

معارك الضنية وعكار

فى يوم ١٨ ابريل سنة ١٩٢٦ غادر سعيد العاص مقر قيادة الثورة فى الغوطة (كانت فى قرية حتيته) قاصدا الأنحاء الشمالية لاثارتها فسلك طريق الضمير ومنها هبط قلمون وسارحتى اكروم وتطلق على مجموعة قرى هذه أسماؤها : اكروم وأكوم وكفرنون وقنه والمومسه والخوخ و بساتين والسهلة وتتمتع بموقع جغرافى ممتاز وتتصل بجبال عكار غربا وبجبال العلويين شمالا و بسهل الهرمل شرقا وبجبال لبنان جنوبا وسكانها مسلمون من الشيعة

وصحب سعيد العاص فى رحلته الى تلك الجهات ٢٣ مجاهدا منهم منير الريس وفائق الكيلانى وعلاء الدين الكيلانى وشاكر السباعى ورشاد ملص ومحمد على الدروبى ومحمد على النابلسى والشريف راجح ولكن هذا مالبث أن قصد بغداد ولم يشترك فى القتال

وكان زين مرعى جعفر وأقاربه وهم زعماء تلك الجهات قد أعلنوا الثورة على الفرنسويين فسيرت حكومة طرابلس قوة لمطاردتهم مؤلفة من ١٥ خيالا بقيادة الملازم عبد الملك الدرزى فنازله زين مرعى ورجاله وقتل جنديا منها وأسر الباقى وانضم اليه فى

تلك الأثناء المجاهد سعيد البرى فقطع سكة الحـديد قرب وادى خالد فتعطلت المواصلات بين حمص وطرابلس

وانضم الى سـعيد العاص بعد وصوله الى اكروم بعض ثوار حمص بقيادة نظير النشيواتى فوحـدوا العمل ، وكانوا يقصدون حمص ليـلا ويجردون رجال المخافر من أسلحتهم ويسطون على الجند ثم يعودون الى معـقل اكروم عند الفجر وأقلق نزول المجاهدين فى هذا المنزل ولاة الأمورفى طرابلس وعكار والضنية فاتخذوا تدابير شديدة للدفاع عن تلك المناطق

وبينما كانت العصابة عائدة من غارتها على حمص يوم ٤ مايو هاجمها النصيرية من سكان قرية خربة غازى وخربة التين وسرجة الحجر والحجر الناعم وأم الحارتين وقرحا وخربة وأم العظام فقاومهم الثوار فى أول الأمر فأعطاهم النصيرية أمان أمير المؤمنين وقالوا لهم لاحاجـة للقتال وتعالوا نتفاهم فاستسلموا اليهم فجردوهم من أسلحتهم وأبلغوا السلطة الأمر فارسلت قوة تسلمتهم وهذه أسماؤهم :

نظير النشيواتى وحسين جراد وعبد الـكريم العاصى وسعيد شهلة ومرعى التركمانى وعبد الله المغربى وحسين النابلسى وعقل الدندشى وكان أول مافعـله الضابط الفرنسوى المرسل لتسلمهم انه بادرهم باطلاق الرصاص من مسدسه واحدا بعد واحد ثم عاد ثانية وكرر هذه العملية ثم أمر جنوده بأن تقذفهم من هوة وعاد بعد ذلك الى حمص معتقدا أنه تركهم جثثا هامدة . بيد أن نظير النشيواتى أفاق بعد رحيلهم واستطاع أن يواصـل السفر الى حمص وأن يلجأ الى احـد البيوت وتولى أحد الأطباء علاجـه وشفى بعد ذلك وعاد الى النضال

واستبقى النصيرية عندهم من رجال العصابة محمد على الدروبى نجـل محيي الدين الدروبى وعلاء الدين الـكيلانى وهو من الأسرة الـكيلانية فى حماه ومن الشبان المثقفين كان أستاذا فى مدرسة الطفيلة حين اعلان الثورة فاستقال وانضم اليها ، على أنهم عادوا فسلموهما الى الفرنسويين فنقلا الى حمص وأعدما رميا بالرصاص بعد ما عذبا أفظع عذاب

واتسع نطاق الثورة فى تلك الجهـات على أثر ماوقع وهب السكان للانتقام من

النصيرية ومن الفرنسويين وهـذه صورة المنشور الذى نشره قائد الثورة فى الشمال سعيد العاص على سكان الجبل الغربى :

«اخواننا البواسل زعماء عشائر الجادية الأماجد

«أزفت ساعة العمل وأيقظتنا صرخة انقاذ الوطن ونحن عصبة أمير المؤمنين وستكون خطتنا الجهاد عملا بقوله تعالى «وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم» وقوله « كتب عليكم القتال كما كتب على الذين من قبلكم »

ويجب علينا أن نعمل بقوله تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وقوله «وقاتلوا المشركين حيث ثقفتموهم » ولا تقولوا لبعضكم كما قال بنو اسرائيل لنبيهم « اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون » بل قولوا الى الجهاد الى أخذ الثأر الى انقاذ الوطن من براثن المستعمرين الأشرار ، الوطن وطنكم والشرف شرفكم ، وأنتم عصبة أمير المؤمنين فيجب علينا أن نخلد ذكر جيشه الخالد بأعماله الخالدة ولا نكون دون اخواننا الدروز وأنتم من خيرة العرب بل أنتم خيار من خيار وأنتم أهل الشجاعة والشهامة والنجدة والنخوة ، حاشا نفوسكم الأبية أن تقيم على الذل وتخضع للعدو ، حاشا شهامتكم أن تستسلم أترضون بهتك العرض وأنتم حماة العرض والدين

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم ـ اه

وانتقل مقر العصابة بعد ذلك الى قرية عين التينة وفيها انضم اليها نظير النشيواتى بعد ماشفى من جراحه كما انضمت اليها عصابة حماه بزعامة الكنفيد [1]

وفى أواسط شهر مايو جهز الفرنسويون قوات كبيرة لاحتلال اكروم فزحفت حملة

---

[1] تألفت هـذه العصابة من شبان حماه لمكافحة الفرنسويين وأنصارهم فكانت تقيم أحيانا فى الجبل الأعلى وأحيانا فى جبل شمشو وقد هددت حماة غير مرة وهاجمت بالاتفاق مع عصابة صبحى اللاذقانى قوة الدرك الجوى وعلى رأسها اليوزباشى عبد الله الشركسى قائد درك حماه وطاغيتها فى قرية مورك فقتلت خمسة من رجاله وفر هو بلباس امرأة على أن أحد أفراد العصابة وهو الشهيد رزوق نصر لحق به الى حماه واغتاله فى وضح النهار

من حمص وسارت أخرى من الهرمل وجاءت ثالثة من وادى خالد وأرسلوا الطيارات للاستطلاع والقاء القنابل . واتصل ذلك بالمجاهدين فأعدوا التدابير لمنازلة القوى وقرروا أن يكون القتال فى وادى فيسان وفى صباح ١٨ منه بدأت المعركة فى مكانين : فى الناحية الشرقية وقد نازل سعيد العاص ومن معه الحملة القادمة من حمص فانتصروا عليها عند المساء وهزموها وفى الناحية الجنوبية وقد قاتل فيها الجعافرة الحملة القادمة من الهرمل وهى مؤلفة من اللبنانيين والشراكسة والنصيرية . وقد استبسل الجعافرة فى النضال واشتركت نساؤهم فى الحرب وظل القتال دائرا حتى الغروب واشترك فيه رجال العصابة بعدما هزموا القوى التى كانت تنازلهم فوضعوا الجيش بين نارين . وخسر المجاهدون فى هذه المعارك أربعة عشر قتيلا بينهم امرأة واحدة وغنموا مايربو على مائة رأس من الخيل و بنادق كثيرة وجرح قائد الحملة الفرنسوى وهو برتبة كولونيل وتزيى بالزى العربى فنجا

وعلى أثر هذا الانتصار أذاع قائد الحملة البلاغ الآتى :

«اخوانى الأعزاء أبناء المنطقة الشمالية

«نعلمكم ياأنسال الأبطال الأماجد الذين فتحوا الأمصار والممالك وكانت راية نصرهم تخفق فوق رؤوسهم اينما حلوا ، ونزف اليكم هذه البشرى العظيمة ، بشرى انكسار الحملات التى هاجت الجبل الغربى الشامخ ، تراث آبائنا وأجدادنا فان حملة الهرمل كسرت شر كسرة ومزقت شر ممزق وأما حملة حمص فقد جرح قائدها وبادت . وفقدت الحملتان معظم قواهما وقتل منها زهاء ٦٠٠ وأسر ٧٠ جنديا . وسقط فى ميدان القتال تسعة ضباط فرنسويون وغنم المجاهدون غنائم عظيمة من أسلحة وذخيرة وخيول يتجاوز عددها المئة وقتل أبو خزنة وتركت الأسرى بوجه سعد الله حماده حرمة لعوائد البلاد ولانهم من أبنائها فيجب عليكم أن تكونوا متحدين وسنثابر على جهادنا متوكلين على الله حتى آخر نقطة من دمائنا ونطلب منكم المعونة والنجدة واعانتنا بالمال والرجال والله يحفظكم »

مؤتمر مرجحين وقراراته

وحشد الفرنسويون على أثر معارك وادى فيسان قوى جديدة فى قرية زيتا وأخذوا يستعدون لغارة أخرى فغادرت العصابة مقرها ونزلت فى قرية جبرة ووصل فى تلك

الأثناء قامم شوك من ثوار النضية ومصطفى على شنديب فاتصلا بالقادة وسار الجميع الى قرية مرجحين فعقدوا اجتماعا حضره كبار الشيوخ والزعماء واتفقوا مبدئيا على تأليف جيش وطني يسمى جيش أمير المؤمنين وعلى المطالبة بالانفصال عن لبنان الكبير وأقسموا القسم الآتى :

« نحن زعماء الجبل الغربى نقسم بكتاب الله و بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم و بشرف أمير المؤمنين اننا سنخدم أوطاننا ونضحى بالغالى والرخيص فى سبيل انقاذ الوطن وأن لانشذ عن المقررات العامة ونعمل بموجب الشرع الشريف والله على مانقول شهيد »

ووضع المجتمعون قرارا ضمنوه مطالبهم وأرسلوا نسخة منه الى كل من سلطان باشا الأطرش والى اللجنة التنفيذيه بمصر والى الدكتور شهبندر والى الوفد السورى فى أوربا والى جمعية الأمم وهذا نصه :

«نحن الموقعون أدناه زعماء عشائر الهرمل و بعلبك قد عاهدنا الله ورسوله على أن نمد حركتكم الوطنية وثورتكم الشريفة باموالنا وأنفسنا وارواحنا وان لا نأتى بحركة سلمية أصلا مالم تتفق كلمة المجالس السورية الوطنية للثورة العامة وزعماء الحركة السياسية أمثالكم و بما اننا من الشعب الاسلامى العربى فان مطالبنا هى مطالبكم المشروعة السياسية ونرجو من دولتكم تبليغ جميع زعماء الحركة السياسية اخوانكم فى الخارج واسماعهم أصواتنا واعلامهم مطالبنا و بالأخص الجمعيات السورية فى أميركا وأوربا بأننا نود الرجوع الى حضن أمنا سورية وطننا التاريخى المحبوب وقطع علاقاتنا وانفصالنا عن لبنان الصغير انفصالا تاما فنأمل من وطنيتكم حين قيامكم بالمفاوضات السياسية والسلمية بأن لا يغيب عن بالكم وتنسوا المطالبة بحقوق اخوانكم لأنه لا يمكن تأمين حياتنا فى داخل لبنان أصلا حيث حقوقنا السياسية والقومية مهضومة وستبقى مهضومة أبد الدهر. وها نحن نؤيد مطالبنا المشروعة بالسلام و باشترا كنا فى الثورة العامة ولا نترك سلاحنا من أيدينا مالم نعد الى حضن امنا سورية حيث منطقتنا محصورة بين حمص و بعلبك وطرابلس ومرفأ اقتصادياتنا حمص وجميع معاملاتنا مع الداخلية وقد أهديت الهرمل لقمة سائغة للبنان مع أمها سورية جغرافيا وتاريخيا . وقد علمتم كسرنا للحملات الفرنسوية التى زحفت

لا كتساح بلادنا واخضاع جبلنا الاشم ومجموع نفوسنا يتجاوز العشرين الف نسمة وكلنا عرب مسلمون فنرجوكم التكرم بالاسراع فى اجابة ملتمسنا واعادة حقوقنا السياسية واعلامنا نتيجة المفاوضات ونعاهدكم على أن لانلقى سلاحنا مالم نصل الى غايتنا الأساسية وهدفنا الاسمى وهو الرجوع الى حضن امنا سورية والله يجعلكم ذخرا للامة العربية »

فى ٣٠ مايو سنة ١٩٢٦

ووضعوا قرارا اسندوا فيه منصب القيادة العليا الى حسن طعان وهذا نصه :

« نحن زعماء عشائر الجادية الموقعون أدناه قد تعهدنا على أنفسنا بتاليف جيش مؤلف من جميع العشائر باسم جيش أمير المؤمنين على ان يكون لكل عشيرة قوة خاصة مرتبطة بالقيادة العامة المنحصرة برئاسة المجلس الأعلى الوطنى للجبل الغربى وعلى أن تخضع العشيرة لجميع التعليمات الصادرة من رئيس المجلس ويكون هذا الجيش من حيث التقسيمات العشائرية مرتبطا برئيس المجلس المنتخب بالأكثرية وهو الشيخ حسن طعان دندش وعليه نوقع » ومما تم الاتفاق عليه فى هذه الاجتماعات أن نقسم منطقة القتال بين العصابات على المنوال الآتى :

عصابة بعلبك من رياق الى بعلبك وعصابة حسن طعان دندش من بعلبك حتى رأس اللبوة وعصابة أولاد جعفر من اللبوة الى القصير وعصابة حمص من القصير حتى حمص

هروب الضنية

وفى يوم الاثنين ١٤ يونيو غادر سعيد العاص اكروم مع بعض رجاله الى الضنية تلبية لدعوتها ولدعوة رجاله الذين سبقوه اليها ليمهدوا لقدومه فبلغوا قرية كفر حبو بعد مسيرة يومين وكانت المعركة دائرة بين الثوار والفرنسويين فاشتبكوا فيها وقاتلوهم قتالا شديدا وردوهم ثم قصدوا الى سير عاصمة الضنية فأنشأوا فيها حكومة منظمة وخصصوا للمجاهد النظامى ٣ ليرات فرنسوية شهريا وللقائد أربع ليرات وللشرطى ليرتين وكانوا يعولون على تأييد آل شوك وآل شنديب

بين الثوار وزغرتا

ومن سير أرسل سعيد العاص الكتاب الآتي الى أهالي زغرتا الموارنة يطلب اليهم الكف عن الاعتداء على جيرانهم المسلمين وهو :

الى وجوه زغرتا المحترمين

علمت بأن تعدياتكم تزداد يوما فيوما على اخوانكم المسلمين وتعرضكم لأبناء السبيل من قبل بعض الجهلة وسلبهم أموالهم على قارعة الطريق فنحن قيامنا قومى بحت وهدفنا أعداء الوطن الفرنسويون اما أنتم فلكم مالنا وعليكم ماعلينا اذا عدتم الى الصراط المستقيم وأحبطتم أعمال هؤلاء حيث هذه الأعمال تولد ضغائن بينكم وبين جيرانكم المسلمين فادعوكم للاقلاع عن الاعمال المخلة بحقوق الجوار ومصالح الوطن واذا تماديتم فى التمرد فلا حرج علينا ولا تثريب . ونحن نتعهد لكم طالما أنتم على الحياد أن لايمسكم سوء منا فادعوكم للتفاهم معنا والسير على خطة تتفق مع المصلحة الوطنية وتعيدكم الى الصواب فارجوكم اعلامى عن خطتكم والسلام عليكم

فى ٩ ذى الحجة سنة ١٣٤٤

فورده منهم يوم ٢٠ يونيو الجواب الآتى :

الى الزعيم العسكرى الأركان حرب سعيد العاص المحترم

قد صار الاطلاع على كتابكم المؤرخ ٩ ذى الحجة سنة ١٣٤٤ وعرض فحواه على وجوه زغرتا وقد فهم مضمونه ونتشرف باعطاء الجواب عليه بالصورة الآتية :

١ ـ انه لم يحصل من الزغرتاويين اعتداء على اخوانكم المجاهدين ولم يحدث حادث سلب على قارعة الطريق خلافا لما اتصل بكم لانه لم يتعود الشعب الزغرتاوى على مناوأة جيرانه وخصوصا المسلمين منهم وخصوصا عند عدم الاعتداء على الممتلكات والأرواح ضمن منطقة زغرتا واذا رجعتم الى تاريخ علاقاتنا مع الأمة الاسلامية المجاورة لنا يتضح لكم جليا باننا لم نكن فى وقت من الأوقات معادين لهم ولا لمبادئهم وحركتنا التاريخية غايتها المحافظة على كرامتنا وأراضينا معا

٢ ـ ان خطتنا تجاه حركتكم هى الحياد طالما لم يحصل اعتداء من قبلكم على

أراضينا وجوارنا المسلمين معا الذين تعودوا أن يضعوا ماعندهم تحت حماية زغرتا

٣ ـ اننا لا نرى من الضرورى الاجتماع بحضرتكم للتفاهم مبدئيا اذ اننا متفقون على عدم التعدى والله يحفظكم وجوه زغرتا

فأرسل اليهم فى ٢١ منه الرد الآتى :

الى حضرة اخواننا وجوه زغرتا المحترمين

وصلنا كتابكم وشكرناكم على احساساتكم وعواطفكم العربية وشهامتكم اللبنانية ان بقاءكم على الحياد هو عين الصواب الآن حيث فيه سلامة بلادكم والمصلحة الخاصة والعامة وحبا فى ذلك فقد عممنا لجميع مناطق الثورة بالامتناع عن كل اعتداء على أى فرد كان بلا تفريق فى الجنس والمذهب وباستطاعتكم أن توعزوا لاخواننا المسيحيين بالعودة الى أوطانهم فهم وأملاكهم فى عهدتنا واذا حصل عليهم أقل اعتداء فنحن مسؤولون واذا لم يحضروا فالتبعة ملقاة على عواتقهم فيما اذا صار على أموالهم شىء لاسمح الله من قبل بعض الأشرار الذين لايخلو منهم أى مكان ولامانع من أن تجهزوا كل عائلة بوثيقة من قبلكم بشرط أن يلزموا الحياد ويثابروا على أشغالهم وأن لايتجسس أحد منهم على حركاتنا الحربية والسلام

وفى يوم ٩ ذى الحجة أذاع البلاغ الآتى على سكان الضنية وهو :

«لى الشرف أن أعلم الجمهور أن زعماء الثورة فى الضنية يؤمنون جميع السكان الذين غادروها خوفا على أموالهم وأنفسهم وأملاكهم فهم فى حصن منيع على جميع أملاكهم وأنفسهم اذا عادوا لأعمالهم فى المنطقة فى خلال أسبوع وأقاموا فى قراهم وكل من لايلبى الدعوة فماله حلال للمجاهدين وأمواله تصادر باسم الثورة الوطنية »

ثم أذاع المنشور الآتى الى المسيحيين من سكان الضنية وهو :

الى اخواننا فى الوطن مسيحيي الضنية :

ان خطتنا فى هذه الثورة هى أن الدين لله والوطن للجميع وأن المصلحة الوطنية فوق كل مصلحة وباستطاعتى أن أؤمنكم على اموالكم وأعراضكم فيما اذا عدتم لأشغالكم وخدمتم وطنكم كاخوانكم المسلمين فلكم مالهم وعليكم ماعليهم واعلموا اننا اخوان فى القومية واللغة والتقاليد والجنس والعادات ولكم دينكم ولنا ديننا ولافرق بيننا و بينكم

ونحن منكم وأنتم منا فادعوكم وأنتم أحرار الى الانخراط فى صفوفنا اذا أردتم وأما اذا أحببتم البقاء على الحياد فأنتم أحرار أيضا فغايتنا استقلال بلادنا وتحريرها من الاستعباد ومنفعتنا فى منفعتكم والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه فادعوكم يانسل قحطان وعدنان للانضمام الى اخوانكم والله يحفظكم »

تدابير السلطة فى طرابلس

أقلق وصول الثوار الى الضنية وهى على مقربة من طرابلس وتعد بابا من أبوابها الفرنسويين فحشدوا فى هذه قوات كبيرة على الفور وأقاموا حولها المتاريس والأسلاك الشائكة ونصبوا المدافع الضخمة

وفى يوم ٢٩ يونيو زار أميرال الاسطول الفرنسوى فى البحر الأبيض طرابلس على ظهر بارجته فنزل الى دار الحكومة وجىء له بأعيان طرابلس وذوى الكلمة فيها فقال لهم « انه يسمع دائما بان أهالى طرابلس يفكرون فى الانتقاض على السلطة وممالأة الثوار فاذا ماحدثت أحدا نفسه بان يضرم نار الفتنة فى ذلك الثغر بالاتفاق مع بعض الأهالى فانه يدمر المدينة بقنابل مدرعاته من البحر » و بعد أن انتهى من كلامه ودعهم وعاد الى البارجة فأقلعت به الى بيروت

وقبضت السلطة بعد ذلك على بعض رجال طرابلس المعروفين بالوطنية وفى مقدمتهم عبد الحميد كرامى مفتيها السابق والدكتور عبد اللطيف البيسار وعارف الحسن وحسن العلى وولده محمد وخضر المصطفى كما أخذت من الجهة الأخرى تعمل للقضاء على الثورة بتدابير سلبية مستعينة ببعض أعيان عكار والضنية من الذين اشتهروا بممالأة الانتداب فسعى هؤلاء سعيا حثيثا لاقناع كبار آل شوك وآل شنديب بالاستسلام الى الفرنسويين فلا ينالهم عقاب والظاهر أنهم تمكنوا فى النهاية من استمالة بعضهم فقصدوا طرابلس فلم تف السلطة بعهودها بل قبضت عليهم وأرسلتهم الى بيروت وحاكمتهم وحكمت على أربعة منهم بالاعدام وهم : عبد الواحد حمدان شوك وقاسم شوك ومحمود على خضر ومرعى حسن شنديب

ولما وصلت الحالة الى هذا الحد رأى رجال الثورة أنه لابدلهم من مغادرة الضنية خوفا

من الوقوع فى قبضة السلطة بعد ما تخلى عنهم أنصارهم فأرسل سعيد العاص قبل الرحيل البلاغ الآتى الى زعماء الحركة الوطنية فى طرابلس الشام وجوارها ـ قال :

اخوانى الأماجد

علمتم بالتطور الجديد الذى تطورته الحركة الوطنية فى هذه الربوع الجميله بعد تلك الانتصارات الباهرة التى أحرزناها على المستعمرين . ولكن اصابع زينب لعبت فى المدة الأخيرة بواسطة الذهب الرنان أو بالاحرى الورقة السورية التى أخذت دورها المشين ففككت عرى اتحاد جبل المتاولة كما ان دسائس عبود عبد الرزاق (من أعيان عكار ومن أنصار الفرنسويين) فككت عرى اتحاد الضنية فقد خدع بيت شوك وحملهم على استسلام مشين مما أدى الى تمزيق القوى وتفريقها فصرت أعزل وحيدا فى منطقة الضنية ولم يبق معى سوى أبى على طاهر . وكذلك فالدعاية الهائلة التى نشطها الفرنسويون بالمال حملت آل جعفر على الاستسلام فرضوا بأن يسلموا ٥٠ بارودة للحكومة وفى هذا اليوم اجتمع زعماء الجبل كلهم بالمستشار الفرنسوى فى الهرمل لعقد اتفاق نهائى . واستمال عبود عبد الرزاق كثيرا من الاسافل وسجلهم كجنود فى الجيش الفرنسوى لقتالنا ومما يوجب الاسف أن حسن طعان دندش رأس حركة المتاولة تطوع عند السلطة وانخرط فى زمرة الخونة لقاء ١٠٠ ليرة سورية يتقاضاها شهريا وهكذا شلت حركة المقاومة فى المنطقة وبناء على هذه الاعتبارات وبسبب خضوع آل شوك ونزوح معظم سكان الضنية وانخراطهم فى الجندية واخلاء القرى وفقد مواد الغذاء انسحبنا من هذه المنطقة لجلب القوى والقيام بأعمال حاسمة . فلا تعتمدوا على أحد من بعدنا فى هذه الديار . ولا بد من سحق هؤلاء الخونة فتدبروا أموركم ونظموا صفوفكم ولا تركنوا الى الخونة فألحق أبلج والباطل لجلج واذكرونا مثل ذكرانا لكم والله فى عونكم »

١٨

معارك الجبل الختامية

استقرت جيوش الجنرال اندريا فى السويدا بعد احتلالها يوم ٢٦ ابريل وانصرف قائدها الى تحصينها و بناء المعاقل حولها كما سعى الاستمالة بعض الشيوخ والرؤوساء فنثر الذهب و بذل الوعود المعسولة فنال ما عجز أسلافه عن نيله

وكان فى مقدمة أعماله الخطيرة فى هذا الدور تأليفه بواسطة بعض الشيوخ والزعماء الذين استسلموا اليه من آل الاطرش وآل عامر كتائب من شبان الدروز لمقاتلة الثورة ومقاومتها وهكذا تسنى له أن يضرب الدروز بالدروز و يستخدم الشبان الذين كانوا يقاتلون الجيش الفرنسوى فى مقاتلة الثوار

وانسحب المجاهدون الى الشرق فنزل سلطان باشا واخوانه على عين الخشبة ونزل الدكتور شهبندر ومن معه فى قرية ساله ونزل آخرون العانات وغيرها من قرى المقرن الشرقى وكانوا على اتصال تام فيما بينهم . وفى سالة التحق بالدكتور شهبندر عدد من الجنود التونسيين كانوا قد فروا من الجيش الفرنسوى قبل معركة السويدا ولاقوا فى طريقهم مصاعب جمة فنهم من سافر الى الغوطة فأبلى أحسن بلاء فى قتال الفرنسويين ومنهم من قصد عمان

وعقد زعماء الجبل اجتماعات عديدة للبحث فى الموقف فرأوا أن يرسلوا الحريم والذرارى والاموال والماشية الى الازرق (على ٥٠ كيلو مترا من حدود الجبل فى البادية) فأرسلوا وقدر عدد الذين نزحوا اليها فى تلك الايام بثلاثة آلاف أقام معظمهم فى الخيام وأنشأ بعض أغنيائهم بيوتا للسكنى وأعلنوا انهم لن يعودوا الى الجبل حتى تجاب طلبات الوطن

ولما اطمأن بال الدروز من جهة حريمهم وعيالهم عقدوا مؤتمرا فى قرية شقة فى

النصف الأول من شهر يوليو سنة ١٩٢٦ رأسه سلطان باشا بالذات وأصدر القرارات الآتية :

١ ـ وجوب المثابرة على الجهاد حتى تنال البلاد أمانيها واباحة أموال المستسلمين للفرنسويين وهدر دم المتطوعين فى الجيش الفرنسوى من الدروز وهدم دورهم ونهب مواشيهم ومصادرة حبوبهم ومفروشاتهم

٢ ـ تنظيم خطاب للسلطة الفرنسوية يتضمن أن الدروز المستسلمين لا يمثلون سوى أنفسهم ولا يؤثرون فى أحد من أقاربهم

٣ ـ أن تجمع الجنود من مجاهدى الدروز وتقسم الى كتائب يكون لكل منها قائد مسؤول

٤ ـ مصادرة كل ما يورده أهل القرى الى السويدا وصلخد وتنظر فى ذلك لجنة منتخبة

٥ ـ انشاء مجلس وطنى ولجنة ادارية وأخرى مالية وهيئة قضائية «محكمة استقلال» للفصل فى قضايا الثورة

٦ ـ منع النهب والسلب بدون قرار من الهيئة المسؤولة

٧ ـ ايجاد مركز للثوار يجتمعون فيه كقوة احتياطية تستخدم حين مسيس الحاجة

٨ ـ انتخاب أربعة من رؤساء المقرن الجنوبى وستة من زعماء المقرن الشمالى لجمع المجندين وتنظيم شؤونهم وادارة حركاتهم فيكون على رأس كل مئة رئيس من رؤساء العائلات

٩ ـ انشاء حكومة وطنية

١٠ ـ أن يكون انتخاب أعضاء المجلس الوطنى وباقى الهيئات باعتبار جبل الدروز ثلاث عشرة ناحية وأن ينتخب عن كل ناحية من عضوين الى ستة

ثم جرى انتخاب أعضاء المجلس الوطنى وهذه أسماء الذين فازوا :

عن عرى ـ متعب الأطرش وأسد درويش وعقله القطامى وعن القرية على الأطرش ومحمد البربور وصياح الحود وعن صلخد جاد الله الأطرش وعلى الحجار وسليم كيوان وعن ملح يحيى رزق وسعيد رزق ويوسف العيسمى وعبد الله الجفامى وعن ساله سليمان

نصار وجاد الله سلام وقاسم غانم المشنف ويوسف الشاعر وينوب عنه قاسم أبو زيمان وعن نمرة اسكندر القلعانى وجود الصحناوى وحسن ناصيف وعن الهيت على عامر وأبو محمد زين الدين سلمان المكارم ومحمد نوفل وعن نجران نايف نصر وجندى أبو فخر وعن شهبا هايل عامر وعلى طراد عامر ومصطفى حشو وعن عاهرة حمد عزام وشبيب القنطار وشاهين المحيثاوى ومسعود مرشد ومحمد أبو مسعود وعن سليم الشيخ يوسف الهجرى وقبلان أبو عساف مسعود غانم وجبر شلغين ووهبي جزان وعن المجدل فضل الله الهنيدى وأسعد الهنيدى وسليم الهنيدى وعن وادى اللوى سعيد عزالدين وعبد الكريم عزالدين وهايل زهرالدين وعلى هلال محمد كفيرى وعن السويدا عبد الغفار الأطرش والشيخ صالح طربيه وعلى عبيد ونجم الحلبي ومحمود رويعر

وعلى أثر ختام المؤتمر أذاع سلطان باشا الأطرش يوم ١٥ المحرم سنة ١٣٤٥ بيانا الى عموم قواد المناطق السورية فى الشمال وسائر الجهات هذا نصه :

« بناء على القرار الذى اتخذه المجلس الوطنى الأعلى بتاريخ ٢ المحرم سنة ١٣٤٥ رقم ١ القاضى بحرق وضبط جميع املاك وأموال كل من يتخلف عن معاضدة ثورتنا فعليا نطلب منكم أن تنفذوا القرار المذكور فى جهتكم بكل شدة صونا لكرامة الوطن والسلام عليكم »

مؤتمر مفعلة

وعاد الرؤساء فعقدوا يوم ٢٩ يوليو مؤتمرا فى مفعلة اختار الشيخ يوسف الهجرى رئيسا للمجلس الوطنى للثورة وقرر القرارات الآتية :

١ ــ مواصلة الحرب حتى تنال سورية أمانيها المشروعة

٢ ــ الاصرار على الاستقلال التام مع التمثيل الخارجي والوحدة الكاملة لسورية

٣ ــ تشكيل حكومة وطنية سورية وانتخاب مجلس تأسيسى يسن الدستور ويعين شكل الحكومة

٤ ــ استفظاع الأعمال الحربية التى تقوم بها السلطة الفرنسوية بتدميرها القرى الآمنة وقتلها النساء والاطفال والعجز بقنابل الطيارات والمدافع من دون انذار حتى بلغ عدد النساء المقتولات ٥٠٠

٥ ــ مناشدة الأمم المتمدنة باسم الانسانية أن تحتج على فرنسا وتطلب العطف على سورية

وأرسل سلطان باشا فى تلك الأثناء رسالة الى الشعب الأميركى بواسطة شركة الصحافة المتحدة هذا بعض ماجاء فيها :

« نقدم احترامنا بناء على جهادكم الشريف ونرجو منكم أن تعرضوا قضية الدروز على الأمة الأميركية واسمحوا لنا بأن نقول ان بعض الجرائد تلفق أشياء لا أساس لها عن ثورتنا

« ان التهم القائلة بأننا نثير حربا على المسيحيين هى تهم باطلة وكل منصف فى الغرب يجب أن يعلم أن ثورتنا هى نتيجة فظائع ارتكبها بعض ممثلى الاستعمار

« وقد برهنا على حسن نيتنا بأننا لم نمس أحدا من الأهالى المسالمين فى الأماكن التى دخلناها لاننا نشعر اننا كلنا اخوان فى الانسانية وأن سورية للسوريين بقطع النظر عن دينهم أومعتقدهم

« فنحن أبرياء من الدم المسيحى الذى سفك

« ولذلك نلتمس منكم أن تذكروا وتفهموا أبناء وطنكم وكل الذين يسمعون صوتكم العظيم من مسيحيين وغيرهم أن صلاحهم صلاحنا وشقاءهم شقاؤنا

« اننا لانعرف فرقا بين الأديان والمذاهب لان غايتنا الوحيدة هى الحصول على حقوقنا المشروعة التى هى لجميع أبناء سورية على الاطلاق واننا وان كنا لا نزال وسنظل مهتمين بالمحافظة على حقوق وسلامة الجميع لانريد أن نتعرض لأحد مادام هو لايعرض نفسه ضدنا واننا نتحاشى كل الأعمال التى تمس شعور الوطنيين أو الأجانب ماخلا الذين يظهرون لنا العداء

« وفى الختام نرجو ونلتمس عطف الشعب الاميركى على قضيتنا آملين أن لا نحرم من مساعدة رجال أميركا الأخيار »

حروب المغاور

بدأ الجنرال اندريا عمله الحربى ، بعد مامهد له بالعمل السياسى على المنوال الذى وصفناه آنفا ، فأخذ يوجه الحملات الاستطلاعية الى المغاور لسبر غورها مستعينا على ادراك

الفوز بالكتائب الدرزية التى جندها وكانت تسير دائما فى مقدمة حملاته فتنازل الثوار وتقاتلهم و بالدسائس التى كان يدسها لتفريق كلمة الدروز وتمزيق وحدتهم

١ — الزحف على المقرن الشمالى

ووجه وجهه فى ابتداء هذه المرحلة الى احتلال المقرن الشمالى ، لأن عددا من آل عامر و بينهم كثير من كبار بيوته أقام على الولاء للفرنسويين فلم يشترك فى الثورة كما أن أحدهم وهو تركى عامر انضم الى قواته حين زحفه الى السويدا يوم ٢٥ ابريل وقاد كتيبة من شبان الدروز سارت فى المقدمة على أن هذا لايمنعنا من الاعتراف بأن بين رجال هذا البيت من قاتل أشد قتال فى الثورة واستبسل فى المقاومة وقد خر بعضهم شهداء فى ميادينها

وللمرة الأولى غادر الجنرال اندريا السويدا فى أواسط شهر مايو فقاد حملة الى شهباء بطريق قرية سليم فرابط لها الدروز وقاتلوها فارتدت فتفرقوا الى قراهم كما هى عادتهم لاعتقادهم أن مهمتهم انتهت

واستأنف الفرنسويون الزحف فى الغداة فدخلوا شهباء بلا مقاومة تقريبا فدمروا سبعة منازل للثوار ونهبوا غيرها مما كان له اسوأ وقع فى النفوس فتألب عليهم السكان فجلوا بعد ثلاثة أيام

وأسرع رشيد بك طليع الى المقرن الشمالى يطوف قراه ودساكره داعيا الناس الى المقاومة ومبينا اضرار التخاذل والتوانى فأقبلوا عليه وانضموا اليه وعاهدوه على الدفاع حتى النفس الأخير ثم جاء سلطان باشا الأطرش ومعه عدد من الشيوخ والزعماء لتنظيم حركة المقاومة فأضرم مجيئه نار الحماسة فى الصدور

واتصل ماجرى بالجنرال اندريا فجهز حملة كبيرة مشى على رأسها يوم ٤ أغسطس سنة ١٩٢٦ قاصدا شهباء وبدلا من أن يسلك طريق قرية سليم وهو الأقرب ويسلكه المسافرون عادة بين العاصمتين سلك طريق المزرعة وهو أطول وأبعد خوفا من مباغتة . ثم قصد نجران فصدمه الهنيدات وقاتلوه قتال الأبطال و بينما كان كبيرهم فضل الله باشا الهنيدى يرقب حركات القتال بمنظاره أصابته رصاصة من طائرة فرنسوية فخر شهيدا واستشهد فى

هذه المعارك على طو يرش وناصيف ناصيف وشاهين صالحة مع نخبة من المجاهدين من آل الحلبي والمنيدى . وخسر الفرنسو يون طيارتين وعـددا من الضباط ونحو ٧٠٠ جنـدى ودخلوا شهباء بعد معارك امتدت أسـبوعا كاملا وجعلوا منها معقلا حر بيا حصينا نصبوا فيـه المدافع وحشروا فيـه المصفحات والطائرات وسلطوها عـلى القرى المجاورة فاضطر أهلوها للاستسلام

٢ — الزحف على المقرن الجنو بى

يختلف المقرن الجنو بى عن المقارن الأخرى بكون الزعامة المطلقة فيه لآل الأطرش فلهم الكلمة العليا فى شؤونه وأموره

وما كانت هذه الاعتبارات لتخفى على الفرنسو يين ولذلك وجهوا جانبا كبيرا من قواهم الى اخضاع قرى المقرن الجنو بى أو القبلى كما يسميه الدروز فسيروا حـلة كبيرة زحفت فى أول يونيو من بصر الحرير الى ديبين فدخلتها فى الساعة الواحدة بعد الظهر وفى يوم ٢ منـه دخلت القارة ثم زحفت الى أم الرمان فـدخلتها بعـد معركة حامبـة وفى يوم ٤ منه دخلت صلخد عاصمة المقرن ومن أ كبر قرى الجبل وكان على الأطرش شقيق سلطان باشا يقاتلهم فى هـذا الميدان . وقد تلا الاستيلاء على صلخد خضوع معظم القرى المجاورة لها

٣ — الزحف على المقرن الشرقى

بعد ما وطد الفرنسو يون أقدامهم فى المقرن القبلى وفى المقرن الشمالى التفتوا الى المقرن الشرقى فأعد الجنرال اندر يا حملة زحفت الى امتان(عاصمة المقرن) فدخلتها فى آواخر شهر سبتمبر بعد معارك عنيفة ر بما كان أعظمها شأنا معركة الرشيدات فقد غادر الجنرال السو يدا يوم ١١ سبتمبر قاصـدا المقرن الشرقى ومعه ٤٥٠٠ جنـدى و ١٢٠٠ جـل لحمل الماء والذخيرة و ٥٠ سيارة و ٨ طائرات وسبع مصفحات . فلما بلغ وادى الرشيدة حمل عليه المجاهدون وكانوا قد استعدوا للقائهفدارت معركة شديدة قادها سلطان باشا بنفسه واشترك فيها الامير عادل ارسـلان ورشيد طليع و زيد الاطرش وصياح الحمود وشـكيب وهاب .

وانتهت بارتداد الحملة الى السويدا على أنها عادت الى العمل بعد ذلك فدخلت امتان و وطدت أقدامها فى المقرن وأخرجت الثوار منه

الجلاء الى اللجاه والصفاء

ولقد استمرت معارك المقارن هذه نحو ستة أشهر مايو ـ اكتوبر واتنهت بتوطيد أقدام الفرنسويين فى الجبل وصادف حينئذ دخول فصل الشتاء فوقف القتال فى خلاله الا بعض مناوشات كانت تدور بين الثوار وكانوا يقاتلون بشكل عصابات و بين متطوعة الدروز فى الجيش الفرنسوى

معارك اللجاه

ودخل فصل ربيع سنة ١٩٢٧ وللثوار فى الجبل قوتان : قوة فى الانحاء الشرقية بقيادة سلطان باشا نفسه وكانت تغير على القرى الموالية للفرنسويين وقوة فى اللجاه بقيادة الأمير عادل ارسلان ومحمد عز الدين الحلبى وتضم مجاهدى آل الحلبى من سكان وادى اللوى والمقرن الشمالى وأنصارهم ومجاهدى اقليم البلان ووادى التيم ودروز الشوف الذين تطوعوا فى الثورة وعملوا بقيادة الأمير عادل فقد اعتصموا جميعا باللجاه وتحصنوا فيه فسير الفرنسويون فى خريف سنة ١٩٢٦ حملات عليهم قيل ان عدد الاخيرة منها بلغ ثمانية آلاف مقاتل فكسرت وهزمت

وما كاد فصل الشتاء يلفظ أنفاسه حتى أعد الفرنسويون حملة جديدة قيل ان عدد رجالها بلغ اثنى عشر ألف مقاتل حملت على اللجاه فى أواخر شهر مارس سنة ١٩٢٧ من شتى الجهات فدارت معارك عنيفة بين الفريقين امتدت نحو شهر بذل الفرنسويون فى خلالها جهودا عظيمة للتغلب على الثوار والاستيلاء على هذا المعقل الحصين فتغلبت فى أواخر شهر ابريل القوة على الشجاعة

العصابات فى الصفا

ولجأ بعض الثوار الذين انسحبوا من الغوطة والمناطق الاخرى الى جبل الصفا كما لجأت اليه عصابات المقرن الشرقى الدرزية وعصابات اللجاه وهى آخر من غادر الجبل

وتتألف من عصابة سعيد عز الدين وعصابة الحلبية بقيادة محمد عز الدين وعصابة أبو هانى وعصابة كنج صلاح وعصابة العوامرة وعصابة الشمال

تلك هى العصابات التى استقرت فى الصفا فى أوائل شهر مايو سنة ١٩٢٧ قادمة من الجبل واللجاه والغوطة

وكان سلطان باشا يقيم يومئذ فى الشبكة ومعه نخبة من رجاله الابطال وقد صمم على مواصلة القتال حتى النفس الأخير

والصفا من المعاقل الطبيعية المنيعة وهو متصل بجبل الدروز اتصالا وثيقا من جهة الشرق وسكانه وهم عرب الغياث مرتبطون بالجبل وقد اشتركوا فى الثورة وأيدوها

وأنشأ الجنرال اندريا بعد ما استقرت أقدامه فى الجبل وأخضع المقارن المخافر على الحدود الشرقية وحشد القوى لمنع الطعام عن المجاهدين وقطع كل صلة لهم بالجبل ولمنازلتهم اذا حاولوا الغارة ، فنضبت موارد الرزق وشح الطعام فاكتفوا بما كانوا يحصلون عليه من قمح العربان المجاورين لهم يدقونه ويأكلونه

آخر حملة على الغوطة

وفى الصفا هذه تالفت آخر حملة للزحف على الغوطة وقد قادها سعيد العاص والأمير عز الدين الجزائرى فزحفت يوم ١٠ مايو سنة ١٩٢٧ لمنازلة الفرنسويين وهذا نص العهد الذى وضعه زعماء هذه الحملة وهم فى الطريق

نحن الموقعين أدناه رؤوساء عصابات الغوطة والشمال نعاهد الله ورسوله على العمل بالقواعد الآتية :

١ ــ الغنائم ــ ان الكسب الذى يحصل من اعانة أو غنائم أو غرائم يوزع بحسب العرف المتبع لدى الثوار

٢ ــ نقبل جميع التنظيمات الملائمة لمصالحنا العامة . وتناطر الأمور الادارية بالمقررات العامة وجميع مارد للقضية هو مال عام للثوار

٣ ــ لا يجوز بيع أى شىء كان والتصرف بأى شىء عمومى كان الا برأى اللجنة الادارية وتصديق القائد . ويثبت قيد العدد بدفتر خاص وعلى كل رئيس أن يقدم كشفا للقائد

٤ ـ يعاقب كل من يتجاوز حدوده ويعتدى على اخوانه بقرار من الهيئة التأديبية وتصديق القائد

٥ ـ تقرر اللجنة القرارات الخطيرة بالاشتراك ولا يبت فى أى أمر حربى كان أو بوظيفة حربية مستقلة الا برأى القائد وتناط بالقائد جميع الاعمال الحربية ولا يجوز لأحد أن يتدخل بالأعمال العامة

ملحق : الكسب الهامل أى الغنم الذى يحصل بدون قوة هو مال عام للقضية وأما الكسب الذى يحصل بالقوة أى فى أثناء القتال فاذا كان بندقية أو حصانا فهو للغانم وأما اذا كان مقادير كبيرة فتحفظ باسم المصلحة العامة وتمنح مكافأة للغانم

« تعين الغرامات الخاصة والعامة بقرار خاص وجميع ما يرد من الاعانات يعتبر كمال خاص للقضية ومحظور جدا على أى رئيس كان التصرف بالأموال العامة وممنوع جدا القيام باعمال اللصوصية من أى كان كما أن الاعمال الفردية ممنوعة أيضا »

وقصدت العصابة قرية الهيجانة ومنها سارت الى بحيرة عتيبة فالعبادى فالقاسمية

ولما صارت على أبواب الغوطة استقبلتها القوى الفرنسوية فدارت معركة بسيطة دخل الثوار على أثرها القاسمية ثم قصدوا النشابية واحتلوا دار الحكومة وصادروا أوراقها (مقر ناحيــة تعرف باسمها فى شرقى الغوطة) ثم غادروها فدخلوا حوش خرابو ومنها اتجهوا الى الزور (ز ور بالا) للتمكن فيه كما فعلت العصابة الاولى فى ابتداء الثورة

وما كادوا يستقرون فيــه حتى هاجهم الجند من كل جانب فدارت معركة عنيفة امتدت سبع ساعات سقط فى خــلالها معظم رجال العصابة ولما جن الليــل جمع بعض الأحياء الجرحى من اخوانهم ومعظمهم من أبناء حى الميدان فحملوهم وعادوا بهــم الى بيوتهم فى دمشق . أما الباقون فزحفوا الى جبل قلمون فشعرت القوى الفرنسوية بهــم فتحركت لمطاردتهــم فتفرقوا عنــد مسرابا فذهب الأمير عز الدين مع رجاله بطريق حورى وذهب سعيد العاص من ناحية أخرى سالــكا طريق الاشعرى ثم عاد فسلك طريقا آخر حتى بلغ حوش فاره وواصل السرى حتى أصبح الصباح فاذا هو قرب قصير دوما فكمن فى مغارة بمساعدة السكان حتى المساء ثم سرى قاصدا قلمون ولما أصبح الصباح لجأ الى الشعاب وظل يسرى فى الليل وينام فى النهار حتى وصل الى شرق الأردن

وقصد الأمير عز الدين عين الصاحب بطريق الدريج فهاجه الجند قبل وصوله فدار قتال عنيف استبسل الأمير فى خلاله وكان يقاتل وهو سائر الى العين للتحصن فى مغارة هنالك فبلغها أخيرا بعد ما فقد معظم رجاله وتحصن فيها فأحدق به الجند من كل جانب ووالى اطلاق الرصاص عليهم فجدل منهم نحو ٧٠ وخر من رجاله نحو ٢٢ بين قتيل وجريح

وطوق الجند المغارة وبدأوا يقذفون المجاهدين بالقنابل اليدوية فانفجرت احداها فجرح ساعد الأمير فهرول الى الباب يريد الخروج وكان عتاده قد نفد فهاجمته الجنود من كل جانب فاستبسل اثنان كانا معه وكثر الجند على الأمير فقبضوا عليه حيا ثم أعدموه بعد ماأبرز بطولة خارقة

ونقل أهله جثمانه الى دمشق على سيارة وأبنه فى المستشفى الجنرال فاليير قائد دمشق معترفا ببسالته و بطولته الخارقة . ولم تظهر عصابات فى العوطة بعد ذلك

١٩

الانكليز والثورة السورية

عمل ولاة الأمور الفرنسويون فى سورية وفى مقدمتهم الجنرال سراى والجنرال غاملان على اقناع وزارة الحربية الفرنسوية والرأى العام الفرنسوى بأن الانكليز هم الذين دبروا الثورة السورية وأوقدوا نارها وحملوا السوريين على مقاتلة الفرنسويين ، واعتمدوا فى اثبات مدعياتهم على تقارير كاذبة ، وأقوال باطلة ، لفقوها من هنا وهنالك ولاسيما على شهادة زعيم درزى ـ زعم الجنرال غاملان فى كتاب رسمى سرى أرسله الى وزير الحربية الفرنسوية انه أى الزعيم كان مطلعا على كل شىء بحكم مركزه ـ فأكد لهم أن الانكليز لم يترددوا فى مد يد المساعدة للثورة السورية وأنهم كانوا يرسلون الذخائر والمآكل للثوار وأن ضباطهم كانوا يترددون على الجبل ويوزعون الأموال على الثوار والزعماء

وكتب الجنرال سراى يوم ٢٥ أغسطس الى صديق له يقول : « أنا لا أعتقد أن هناك تدخلا بلشفيا فى الحوادث الأخيرة بل تدخلا بريطانيا ولدى براهين على ذلك » ومذكرات هذا الجنرال طافحة بالوثائق المزورة لاثبات هذه الدعوى الباطلة والقصد منها تبرير السياسة الغاشمة التى سار عليها هذا القائد وايهام الجمهور الفرنسوى بأن الثورة نشأت عن عوامل خارجية لاانتقاضا من أهل البلاد وطلبا للخلاص من المظالم التى حلت بهم

لقد كان الانكليز فى جميع أدوار الثورة مع الفرنسويين على الثوار وقد عملوا من الساعة الاولى على ارضاء الفرنسويين باتخاذهم فى مناطق الحدود ولا سيما فى شرقى الأردن تدابير شديدة جدا فأرسلوا فى أوائل أغسطس دباباتهم فوقفت على الحدود لمنع الثوار من الدخول الى تلك البلاد

القبض على اللاجئين السياسيين

ومما يؤيد هذه الدعوى انذار السلطة البريطانية فى شرقى الأردن لحسن الحكيم وسعيد حيدر بمغادرة عمان حين وصولهما اليها يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٥ قادمين من جبل الدروز على أثر اصدار السلطة الفرنسوية أمرا باعتقالهما فسافرا فورا الى معان وكانت من أراضى الحجاز فى ذلك الوقت

وقبضت حكومة حيفا على جميل مردم بك حينما جاءها فى أواخر شهر سبتمبر من تلك السنة قادما من السويدا بعد اندلاع ألسنة الثورة وسلمته الى السلطة الفرنسوية فأقام عونى عبد الهادى الدعوى على حكومة فلسطين أمام المحكمة العليا لمخالفتها القانون فى هذا التصرف (١)

خطب الامير عبد الله وتصريحات بيك باشا

ودعا الأمير عبد الله بن الحسين بعض شيوخ شرق الأردن الى زيارته فحثهم على التمسك بالهدوء والتزام أسباب الحيطة فى الثورة السورية وقال لهم ان الحكومة لاتتأخر عن معاقبة الذين يخالفون أوامرها ثم أخذ عليهم العهود والمواثيق بأن يكفوا عن مساعدة الثورة

وذهب الجنرال بيك باشا قائد الجيش العربى العام فى شرق الأردن الى أربد وجمع الشيوخ وقال لهم « ان الحكومة البريطانية تحتقر كل من يترك بلاده ويذهب الى سورية

---

(١) غادر الدكتور عبد الرحمن شهبندر جبل الدروز قاصدا حيفا بعد معركة السويدا الثانية يوم ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٥ للاجتماع باخوانه اللاجئين اليها وللسعى لتوحيد العمل ومعه جميل مردم بك ونزيه المؤيد فروا بسمخ فى طريقهم اليها ولم يدخلوا عمان خوف الاعتقال . واتصل بالسلطة الفرنسوية خبر وصولهم الى حيفا فكتبت الى السلطة البريطانية طالبة القبض عليهم وتسليمهم فقبض على جميل مردم بك لانه كان نازلا فى فندق الكرمل أما الدكتور ونزيه بك فقد استطاعا النجاة بسيارة خاصة أقلتهما الى جبل الدروز . وقد اعتقل جميل مردم بك نحو ثلاثة أشهر فى ارواد وأطلق سراحه بعد وصول المسيو دى جوفنيل ولم يقدم الى المحاكمة

للاشتراك فى الثورة وأنها وسمو الأمير عبد الله يرغبان فى منع أى انسان كان من السفر الى سورية وانه يعرف أن هنالك بعض الجهلة من الذين يفضلون خدمة مصالحهم الخاصة ولا يحبون بلادهم يعملون لاقناعهم بتأييد الثورة ولذلك فهو يطلب منهم أن لايعيروهم آذانا صاغية وأن لايصدقوا مايقولونه لهم وهو أن بريطانيا وسمو الأمير يرغبان سرا فى مساعدة الثورة ومحاربة الفرنسويين فالأمر غير ذلك والحكومه البريطانية والأمير يرغبان فى البقاء على الحياد »

التدابير على الحدود

وفى يوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٥ أذيع فى عمان البلاغ الرسمى الآتى :

رعاية لقواعد الحياد التام بسبب حوادث سورية الحاضرة لايسمح لأى كان بأن يعبر الحدود الفاصلة بين شرق الأردن وسورية من بعد الغروب حتى الفجر

ويجوز فى أثناء النهار عبور الحدود بشرط أن يقدم العابر نفسه الى أحد المراكز الآتية :

فى المفرق : الى قائد فصيلة الجيش العربى

فى الرمثا : الى قائد فصيلة الجيش العربى

فى أم قيس : الى الحاكم

وأنشأ البريطانيون مخافر على طول خط الحدود بين شرق الأردن وجبل الدروز لمنع الثوار من دخول البلاد فى الليل والنهار . ومما يستحق الذكر بهذه المناسبة ماوقع للمندوب السامى البريطانى لفلسطين وهو اللورد بلومر مع الجنرال بيك باشا فقد زار الأول عمان فى تلك الأيام للاشراف على التدابير التى اتخذت لمنع الثوار من دخول البلاد فسأل بيك باشا عن المخافر التى أنشأها على الحدود وهل هى كافية أم لا فقال له انه فى حاجة الى عدد من الجند قال ولماذا لا تجندهم فقال لامال عندى ولابد من استئذان وزارة المستعمرات والحصول على المال لدفع الرواتب فأخرج المندوب على الفور دفتر الحوالات المالية وسلمه حوالة بما يحتاجه من مال وقال له يجب أن تبدأ التجنيد فورا

وقد شكر المسيو بانلفه رئيس الوزاره الفرنسوية يومئذ للانكليز موقفهم فى شرق

الأردن وقال انه منطو على الوفاء والاخلاص كما نوه المسيو بريان وزير الخارجية الفرنسوية أمام لجنة الشؤون الخارجية والجيش باخلاص ولاة الأمور البريطانيين وتعاونهم الصادق في قمع حوادث سورية وأعرب عن اعتقاده بأن مثل هذا التعاون يدوم فى المستقبل

منع الفلسطينيين من اقامة مظاهرات

وأراد أهل فلسطين أن يقوموا بمظاهرة وطنية كبيرة تأييدا لاخوانهم السوريين واظهارا للعطف عليهم وطلبوا من الحكومة السماح لهم باقامتها فأبت ذلك فأذاعت اللجنة التنفيذية العربية فى القدس بلاغا احتجت فيـه على هذا المنع ودعت المسلمين الى تلاوة الأدعيـة فى المساجد بعد صلاة الجمعة ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٥ وفى الكنائس بعد حفلات القداس يوم الاحد ٢٠ منه لتأييد الثورة السورية وكشف الضر عن السوريين

دى جوفنيل فى لندن والقدس

وما كاد المسيو دى جوفنيل يتلقى أمر تعيينه لمنصب المندوب السامى لسورية حتى شد رحاله الى لندن فبلغهـا يوم ١٩ نوفبر فاجتمع الى وزيرى الخارجيـة والمستعمرات وفاوضهما فى الشؤون السورية ونال منهما وعدا بمساعدته فى مهمته

ووصل المسيو دى جوفنيل الى القدس يوم الاربعاء ٣١ مارس سـنة ١٩٢٦ لزيارة المندوب السامى البريطانى والاتفاق معه على بعض الشؤون الخاصة بسورية فاضربت فلسطين يوم وصوله برا وبحرا احتجاجا على الفظائع التى ارتـكبت فى عهـده وكتب بعضهم على جدران القدس بأحرف بارزة « ليسقط المسيو دى جوفنيل جلاد سورية » وكانت القدس مضربة مقفلة حين وصوله لها . وقد حاول بعضهم اقامة مظاهرات فمنعته السلطة [1]

---

(١) لـما وصلت الأخبار الى مصر باضراب فلسطين احتجاجا على زيارة المسـيو دى جوفنيل أرسلت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى بمصر البرقية الآتيـة الى زميلتها اللجنة التنفيذية فى القدس :

باسم سورية المتألمة نرجو أن تبلغوا شكرنا الخالص الى جميع اخواننا فى سورية الجنوبية لتضامنهم مع سائر اخوانهم السوريين بالاحتجاج والاضراب العام عند حلول مسيو دى جوفنيل بين ظهرانيهم فنفاخر بهذا التضامن الذى هو الأساس لاستقلال الوطن ووحدته

ولقد كانت هـذه الزيارة مجلى لعاطفة فلسطين نحو سورية فقد أمطره البرق وابلا من الاحتجاجات باستنكار تقتيل العـزل وتدمير معالم الحضارات « وهو أفظع حادث يسجله التاريخ على مدعى الحضارات فى القرن العشرين » كما جاء فى برقيـة النادى العربى فى نابلس فعاد من رحلتـه حانقا على الفلسطينيين الذين قابلوه تلك المقابلة السيئة وعلى حكومتهم لانها لم تتخذ التدابير اللازمة لوقايتـه والدفاع عنـه . وقد شاع يومئذ أن ولاة الأمور البريطانيين فى فلسطين نصحوه بعـدم زيارتهم خوفا من هـذه النتائج فأبى الا القدوم فعاد وهو يجرر أذيال الخيبة والفشل

التعاون الانكليزى ـ الفرنسوى فى الازرق

وتجلى التعاون الانـكليزى ـ الفرنسوى بأجلى مظاهره حينما نزح المجاهدون الى الأزرق فى خريف سنة ١٩٢٦ فقد اسرف ولاة الأمور الانـكليز فى شرق الأردن فى التضييق عليهم وما كان عددهم يقل عن ثلاثة آلاف فى أول الأمر بين رجل وامرأة وشيخ وطفل ـ لحلهم على الاستسلام للفرنسويين والخضوع لهم

وكان أول تدبير عمدوا اليه انهم أصدروا أمرا اداريا منعوا فيه الاقامة فى الأزرق على الرجال القادرين على حمل السلاح كما أصدروا أمرا بمنع حمل السلاح و بمصادرته وسيروا قوة عسكرية كبيرة لتنفيذ أوامرهم

وفى يوم ١٠ ابريل أذيع فى عمان المرسوم الآتى باعلان الادارة العرفية فى الأزرق ونصه : « بما أن البلدان الواقعة حول الأزرق أصبحت بحالة قلق ـ أعلن لاشعار آخر أن المنطقة المبينة فى مايأتى هى خاضعة للحكم العرفى وكل من يخالف ـ ضمن حدود هـذه المنطقة أوامر السلطة العسكرية يعرض نفسه للمحاكمة أمام مجلس عسكرى و يجازى بالعقوبات التى تشير بها السلطات العسكرية

« ان المنطقة المعلن فيها الحكم العرفى هى محاطة بخط بين المراكز الآتية :

« من تلول الرقيـات ـ حمام الصارة ـ قصر العمرة ـ ومن آخر نقطة واقعـة الى جنوب قصر العمرة الى طريق بغداد ـ وطول طريق بغداد الى جبل كرما ـ شمالى غربى تلول الشبهات ـ شمالى تخوم شرق الأردن الشمالية »

وأذاع قائد القوة البريطانية في الازرق يوم ١٣ ابريل سنة ١٩٢٧ المنشور الآتي :

« حيث ان الأوامر الصادرة التي تقضي بأن تستعمل منطقة الأزرق ملجأ للنساء والأولاد ولغير المحاربين فقط لا ملجأ للمحاربين أو مكانا للحرب والقتال لم تنفذ ، لذلك فقد أعلنت الحكم العرفي في الأزرق والمنطقة المجاورة له . وقد اتخذت الترتيبات لارسال قوة من الجند لتنفيذ أوامري هذه

« ان الأولاد والشيوخ مسموح لهم في البقاء بالأزرق على أن لا يسمح للرجال المسلحين ومن يرى قائد القوة بأن وجودهم في المنطقة مما يهدد السلام في البلاد بالبقاء في تلك الآونة ولذلك فاني آمر جميع هؤلاء بأن يغادروا منطقة شرق الأردن »

وعلى أثر نشر هذا المرسوم صدرت الأوامر الى قوة الحدود الفلسطينية بالسفر الى الأزرق ويبلغ عددها أربعة آلاف جندي فوصلته في أواسط شهر ابريل سنة ١٩٢٧ مجهزة بدباباتها ورشاشاتها وطائراتها ومدفعيتها ورابطت على الطريق الشرقي — وهو طريق المجاهدين الى جبل الدروز وبدأت تنفذ أحكام الادارة العرفية بشدة وصرامة

طرد اللاجئين

ولما رأى الفرنسيون أن هذا التدبير لم يعد بالفائدة التي أملوها واصلوا السعي عند ولاة الأمور الانكليز لتشديد الضغط على اللاجئين فكان لهم ماأرادوه فأصدر الكبتن كروب قائد منطقة الأزرق يوم ١٧ يونيو سنة ١٩٢٧ المنشور الآتي

« بما أن الشروط التي بموجبها تمكن مساعدة الموجودين في المنطقة العسكرية الآن للرجوع الى أوطانهم قد أعلنت وأذيعت فاني أعلن هنا بان جميع الذين ليسوا من سكان شرق الأردن والذين ليس لهم وسائط معيشة ظاهرة في الأزرق يجب عليهم العودة لأوطانهم بدون تأخير وعليه أعطوا مهلة ١٤ يوما من تاريخ هذا الاعلان حتى يمكنهم تجهيز أنفسهم للرحيل وبعد انتهاء هذه المدة يطرد من المنطقة كل من يخالف هذا الأمر »

سعي الفرنسويين في الازرق

وزار الأزرق في تلك الأثناء الكولونيل ارنو مدير الاستخبارات الفرنسوية في سورية ومعه مستشار درعا الفرنسوي والشيخ محمود أبو فخر قاضي المذهب الدرزي — وهو

أحد المستسلمين والكولونيل كوكس المعتمد البريطانى فى عمان والكولونيل ستراتفورد قائد الجيش العربى بالوكالة وقائد قوة الطيران البريطانية ، وعقدوا اجتماعا أحضره من الدروز اللاجئين عبد الكريم عز الدين وهلال عز الدين وحسنى صخر وبرجس الأطرش وعبد الكريم عامر وسعيد عز الدين وسلامة النجم الأطرش فتكلم المعتمد البريطانى وقال للرؤساء كفى ماوقع وانه يجب عليهم أن يعودوا الى منازلهم وان الحكومة الفرنسوية لاتضمر لهم شرا وانما تهيىء لهم جميع الأسباب اللازمة لراحتهم فقالوا انهم يعودون اذا حقق المطلبان الآتيان :

١ ـ اعلان عفو عام عن جميع الدروز الذين اشتركوا فى الثورة من دون قيد ولا شرط

٢ ـ اعلان الوحدة السورية واجابة طلبات سورية

فأجابهم الكولونيل ارنو عن المطلب الأول بان الحكومة الفرنسوية تعفو عن جميع الدروز ماعدا سلطان باشا الأطرش وصياح الحمود الأطرش ومحمد عز الدين الحلبي وفؤاد الحلبي . أما متعب الأطرش فلم يقرر شيء بشأنه والغالب أنه من الذين يشملهم العفو . وقال عن المطلب الثانى ان المسيو بونسو سيعلن الوحدة السورية عند قدومه ويحقق آمال البلاد فيجب أن يطمئنوا فطلبوا امهالهم خمسة أيام للبحث واجتمعوا وتناقشوا وانقسموا الى فريقين: فريق وهو الأكثر يرى الاستسلام والرجوع باعتبار أن طلبات الأمة قبلت وفريق وهو الأقل يرى النزوح الى البادية والاقامة فيها وعدم الرجوع الى البلاد قبل اجابة مطالبها فعلا وتحقيق أمانيها كاملة

و بين الزعماء الذين استسلموا فى الأزرق عبد الغفار الأطرش وعلى الأطرش وأسد الأطرش ومتعب الأطرش و بلغ عدد الذين عادوا يومئذ نحو ألفى نسمة

وقد ظل سلطان باشا على رأس الذين رفضوا الرجوع فنزح معهم الى قريات الملح فى البادية ويبلغ عددهم نحو ١٥٠٠ ومن كبارهم الأمير عادل ارسلان وصياح الحمود الأطرش ومحمد عز الدين الحلبي وعلى عبيد وزيد الأطرش وعقله القطامى (زعيم مسيحي الجبل)والشيخ يوسف العيسمى وغيرهم

ولا بد لنا من القول ان الحكومة البريطانية عرضت على سلطان باشا الأطرش أن يأتى الى فلسطين و ينزل ضيفا عليها وتعهدت بمعاملته باحسان ففضل الاقامة فى البادية حيث يكون حرا طليقا

و بعد ماأقام نحو ثلاث سنوات فى قريات الملح انتقل الى النبك ثم قصد الكرك ولايزال فيها معلنا أنه لايعود الى بلاده حتى تنال أمانيها كاملة ، ومفضلا حياة الغربة على حياة الذل والاستعباد

٢٠
الثورة وجمعية الامم

مساعى اللجنة التنفيذية والوفد السورى فى جنيف وباريس

بسطنا فى الفصول السابقة حين الكلام على أعمال السوريين فى خارج بلادهم ماقامت به اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى ووفدها من جهود فى أوربا للدفاع عن قضية سورية ونشرنا جانبا من مذكراتها وتقاريرها ونقول هنا انه ما كاد علم الثورة ينشر فى سورية وينادى مناديها حتى برزت اللجنة الى الميدان وكان أول مافعلته انها أرسلت يوم ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٥ البرقية الآتية الى الهيئة العامة لجمعية الأمم بمناسبة انعقادها يومئذ :

« قررت اللجنة التنفيذية أن ترفع الى جمعيتكم المحترمة مرة أخرى ماتتمناه من ظفر المبادىء التى قامت عليها أعظم هيئة انشئت لاقامة العدل والسلام ولتكون ملجأ للشعوب المظلومة وتستميحكم اللجنة عذرا بتذكيركم بانها كانت ترفع اليكم كل سنة شكاوى ومطالب الشعب فى سورية وفلسطين ولكن يظهر أن الاهتمام اليسير الذى لقيته تلك المطالب من جمعية الأمم دفع قسما من الاهالى الى اليأس وأفضى الى حالة محزنة تتخبط فيها البلاد اليوم وتظهر هذه الحالة ظهورا محزنا فى الدماء التى تسفك والقرى التى تدمر فاللجنة ترجو مرة أخرى من جمعيتكم المحترمة أن تتدخل فى الأمر وأن لايقتصر تدخلها على وضع حد لأعمال التخريب التى تجرى فى سورية الآن لمنع القتال من أن يتطور تطورا يجر الكوارث بل يتناول على الأخص سماع صوت الشعب الذى يطلب العدالة فى سورية وفلسطين وذلك بارسال لجنة تحقيق تبحث عن أسباب الثورة الحقيقية وتقف على شكاوى الأهالى وتسمع أصواتهم مباشرة بطريقة لاتشوبها شائبة وها ان أهالى تلك البلاد التاعسة يضعون فى جمعية الأمم وتدخلها المباشر بقية ماعندهم من أمل فى العدل والانصاف ومابرحوا يعدونها الملجأ الوحيد»

مفاوضات باريس والقاهرة

واتصل المسيو دى جوفنيل على أثر تعيينه مندوبا ساميا لسورية بالأمير جورج لطف الله شقيق الأمير ميشيل لطف الله رئيس اللجنة التنفيذية والوفد السورى وأظهر رغبته فى التعاون مع اللجنة ووفدها كما أظهر ميله الى الاجتماع بالأمير شكيب عضو الوفد فتم اجتماعهما فى باريس وسلمه الأمير المذكرة الآتية وقد ضمنها مقترحاته لحل القضية السورية . قال :

نعترف بان فرنسا تقدر على تدويخنا بالقوة لكننا واثقون بان شرفنا القومى يأبى الا أن نرفع رؤوسنا فيما بعد عند كل فرصة ملائمة ولهذا نرى انه لايصعب لأجل مصلحة الأمتين ايجاد شكل وئام وسلام بين فرنسا وسورية يضع حداً لأسباب النزاع بيننا

ان فرنسا منذ سبع سنوات قد بذلت مليارين ونصف مليار من الفرنكات فى سورية وتلف نحو عشرة آلاف عسكرى من جيشها (لم تدخل فى هذا الاحصاء قتلى الحرب السورية الى الساعة الحاضرة) وقد خسرت فى البلاد العواطف التى كانت تعتمد عليها حتى فى الأوساط الكاثوليكية . أفلا يمكن النظر فى حل لهذه الأزمة يغنيها عن اطراد الخسائر المستمرة التى هى مضطرة اليها واسترداد العواطف التى خسرتها ؟

نعم انه مع حسن النية ونظرة صائبة فى مطالب الفريقين يمكن الوصول الى ذلك

فالسوريون يطلبون قبل كل شىء استقلالهم التام الناجز نظير سائر الممالك المستقلة ويبتغون التمتع التام بسلطانهم القومى . ويريدون اذاً أن يكونوا داخلين فى جمعية الأمم أى انهم يريدون الاستمتاع بجميع نتائج الاستقلال من الوجهة الفعلية ومن الوجهة القانونية

ان اخواننا اللبنانيين يريدون لأنفسهم دولة مستقلة بنفسها . فنحن نبتغى هذا الخلاص لدولة لبنان كما لدولة سورية. الا أن هذه الأقضية الثلاثة صيدا وصور ومرجعيون ومقاطعة طرابلس وأقضية البقاع وبعلبك وراشيا وحاصبيا يكون لها الحق باعطاء الأصوات العمومية أن تختار أى القطرين تريد أن تتبع سورية أولبنان . أما بلاد العلويين فتدخل ضمن سورية

ومن جملة نتائج الاستقلال الآتى حق كل من سورية ولبنان فى التمثيل السياسى الخاص فى البلدان الأجنبية . ثم انه لأجل الاعتراف بالضحايا التى بذلتها فرنسا فى سورية ولبنان يعترف نواب الشعبين السورى واللبنانى لفرنسا بعدد معلوم من المنافع الاقتصادية تلخص فيما يأتى :

السوريون يتعهدون باستثمار خيرات بلادهم الطبيعية أى انهم اذا لم يقدروا على القيام به مستقلين بانفسهم لايلجأون الا الى رأس المال الفرنسوى والصناعة الفرنسوية وان جميع قروض الحكومة والبلديات لاتعقد إلا فى فرنسا . وأن مدربى الجيش السورى يؤخذون من ضباط الجيش الفرنسوى . وأن تعليم اللغة الفرنسوية يكون عاما الزاميا ولايكون فى مملكة سورية حامية فرنسوية لكن اذا اشتهى لبنان ذلك فان سورية لاتعارض فيه كذلك فى قضية القاعدة البحرية التى يجوز أن فرنسا تطلبها . وأخيرا لأجل توطيد العلاقات الأخوية بين الأمتين تعقد محالفة بين فرنسا وسورية الى ثلاثين سنة . وتضع سورية فى حال الحرب تحت تصرف فرنسا عددا من الجند يصير الاتفاق عليه وانما نزارة دخل سورية تمنعها من تجهيز هذا العدد من الجند فتترك أمر تجهيزهم وتسليحهم للدولة الفرنسوية كما أن هذه الدولة تأخذ على نفسها أن تخف لمعاونة سورية فى حال الخطر

ان تعيين شكل الحكومة فى المستقبل يتعلق بارادة الشعب التى تظهر بواسطة نوابه المنتخبين بصورة قانونية . فاذا تم الاتفاق ووقع عليه تؤلف لجان من المتخصصين لوضع جزئيات الادارة الجديدة

على أن الاتفاق على الخطوط العامة لهذا القرار يجب أن يعقد مع زعماء الاحزاب الوطنية ولا يدخل فى ذلك المأمورون

واذا كان ثمة شك فى قبول الشعب بهذه الاقتراحات تعين جمعية الأمم لجنة مؤلفة من رجال من البلدان المتحايدة ويكون انتخاب هؤلاء الرجال بالوفاق من كل من الفريقين فتذهب هذه اللجنة الى البلاد لتحقق ما اذا كانت هذه المطالب مطابقة لرغائب الاهلين أم لا

فاذا وقع على الاتفاقات أو وجدت حاجة الى تحقيق لجنة تذهب من قبل جمعية الامم وأكملت التحقيقات وأتت بها تعلن فرنسا الأمان العام حتى يمكن الرجوع الى الحالة

المعتادة وتنصرف العساكر الفرنسوية تدريجا وتقوم مظاهر الود مؤذنة بالحالة الجديدة وحينئذ تبدأ المحبة الأكيدة

وأما فى دور الانتقال الذى يسبق استتباب الحكومة المنتظمة فيرضى نواب الشعب السورى بالاستعانة بآراء اخصائيين أور بيين يؤخذون من البلاد المحايدة ويكلفون الموازرة على توطيد ادارة منتظمة فى البلاد » انتهى

الثورة وجمعية الامم ولجنة الانتدابات

وفى أواسط شهر ديسمبر سنة ١٩٢٥ نشرت سكرتيرية جمعية الأمم البيان الآتى عن الثورة السورية :

تعقد لجنة الانتدابات الدائمة فى روما فى ١٦ فبراير فى الساعة الحادية عشرة صباحا اجتماعها الاستثنائى الخاص بدرس تقارير الحكومة الفرنسوية عن ادارة الانتداب فى سورية ولبنان وتؤلف هذه اللجنة من المركيز تيودولى الايطالى رئيسا والسيور فريرى واندراد البرتغالى والسنيور ليوبولد بالاسيوس الاسبانى والمسيو روم الفرنسوى والسر فريدريك لوجارد الانكليزى والمسيو بيار ادرتس البلجيكى والمسيو فان ريس الهولندى والسيدة حنه بوجدويكسيل الاسوجية والمسيو شيوكى باماناكا اليابانى والمسيو وليام رابار السويسرى والمسيو حريشو مندوب مكتب العمل الدولى أعضاء

ومعلوم أن لجنة الانتدابات تلقت فى شهر اكتوبر الماضى قبيل اجتماعها السابع تقرير الحكومة الفرنسوية السنوى عن حالة سورية ولبنان فى سنة ١٩٢٤

وبالنظر الى الاضطرابات السائدة بسورية والى الدعوات الكثيرة التى وجهت اليها سألت اللجنة هل يجب عليها أن تبدأ بدرس حالة سورية بلا تأخير أم لا ؟ ولكنها رأت أنه لا بد لها من الحصول على تقرير خطى مصحوب بوثائق كثيرة عن حوادث سنة ١٩٢٥ وعن الدواء الذى تقترحه الحكومة الفرنسوية لمعالجة الحالة وذلك لكى تتمكن من درس المشكلة السورية درسا دقيقا مفيدا

ولكى يتيسر للدولة المنتدبة الوقت الكافى لاعداد تقريرها ويتمكن مجلس جمعية الأمم من الوقوف على ملاحظات لجنة الانتدابات فى اجتماعه فى شهر مارس المقبل قررت

اللجنة عقد اجتماع استثنائى فى أوائل سنة ١٩٢٦ تسمع فيه أقوال ممثلى الحكومة الفرنسوية وتمكنهم من ايضاح المسألة

وقد صرح المسيو كلوزن ممثل فرنسا لدى لجنة الانتدابات حينئذ بما يأتى قال :

« ان اللجنة واقفة على الاضطرابات القائمة فى جبل الدروز . وقد اتخذت الحكومة الفرنسوية الوسائل اللازمة لاعادة الامن الى نصابه. وبدأت تنفذ الآن هذه الوسائل، فأنقذت قوة يقودها الجنرال غاملان الى السويدا فى ٢٤ سبتمبر وأخذت سلطة الحكومة المنتدبة تعود الى جبل الدروز بحيث جاء كثيرون من زعماء الثورة فى ١١ اكتوبر وقدموا الطاعة للسلطة الفرنسوية وفى ١٨ منه قدم رؤوساء الدين فى قنوات وأفراد أسرة عامر الطاعة وطلبوا الأمان على أن حمد بك وسلطان باشا الأطرش لا يزالان لاجئين الى الجبل ولم يسلما سلاحهما بعد

«ثم ان بعض المحرضين من السكان انتهزوا فرصة الثورة فى جبل الدروز وحاولوا احداث اضطرابات حمص وحماه ودمشق بمساعدة فريق من البدو الذين دأبهم السلب والنهب ولكن هذه الاضطرابات قمعت على التوالى بكل سرعة ولن تهمل الحكومة الفرنسوية تدابير تعيد الطمأنينة التامة الى النفوس ،وقنة بأن لجنة الانتدابات الدائمة سترى نتيجة مجهوداتها فى اجتماعها الاستثنائى المقبل

« ان صك الانتداب يقضى على فرنسا فى سورية ولبنان كما تعلمون بأن تسن نظاما أساسيا لهذين البلدين قبل ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ . وقد ألفت لجنة لهذا الغرض برياسة المسيو بول بونكور تضم بين أعضائها اثنين من البرلمان وأحد المتشرعين وكثيرين من موظفى وزارة الخارجية وأحد أساتذة كلية الحقوق وأحد الموظفين فى مجلس شورى الدولة وبدأت هذه اللجنة فى وضع النظام الاساسى (الدستور) لسورية ولبنان بالاتفاق فى الرأى مع السلطات المحلية مراعية مصالح السكان السوريين واللبنانيين وآمالهم

«وان أهم ما يعنى به المسيو بول بونكور وأعضاء لجنته هو تأمين التعاون التام بين ممثلى السكان المفوضين فى القيام بهذه المهمة الدقيقة بالاتفاق مع المندوب السامى وعلى قاعدة الاستقلال الذاتى الواسعة النطاق المنصوص عليها فى عهد جمعية الأمم وفى صك

الانتداب ، وذلك مع مراعاة جميع العوامل السياسية والجغرافية والطائفية

«واننا نؤمل أن تساعد الروح الحرة التى تشرف على استشارة السكان على تعزيز الثقة بين الاهلين والدولة المنتدبة تعزيزا يسترعى الانظار . وسيشير التقرير الاضافى الذى تقدمه الحكومة الفرنسوية الى السكرتيرية العامة فى يناير سنة ١٩٢٦ الى نتائج عظيمة فى هذا الموضوع. وهو التقرير الذى سيمكن لجنة الانتدابات الدائمة من الوقوف على الحقائق وابداء ملاحظاتها الى مجلس جمعية الأمم فى الاجتماع الذى تعقده فى شهر مارس — اه

تقرير اللجنة التنفيذية

وفى يوم ٤ فبراير سنة ١٩٢٦ ارسلت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى بمصر طائفة من البيانات والمستندات الى لجنة الانتدابات الدائمة لجمعية الأمم لدرسها فى اجتماعها الخاص بالثورة السورية فى روما يوم ١٦ فبراير وهذا نص التقرير

ياصاحب السعادة

كنا قد قدمنا الى سعادتكم بمناسبة اجتماع الجمعية العمومية السادسة لجمعة الأمم بيانا مفصلا عن تنفيذ الانتداب فى سورية ولبنان كما كنا نفعل فى السنوات السابقة . وقد تحققنا الآن والألم ملء نفوسنا ان نظام الانتداب الذى نفذته الحكومة الفرنسوية قد أفضى الى النتائج المهلكة التى يردد العالم كله صداها السيء فى الوقت الحاضر كما كنا نحاذره

وقد هال حرج الموقف اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى وخشيت وقوع العواقب الوخيمة التى تعرضت سورية لها فاسرعت وطلبت من جمعية الأمم مرارا متعددة أن تتدخل تدخلا مباشرا لحجب الدماء بارسال لجنة تحقيق فى الحال الى مكان الوقائع

ولكن آلام سورية واستغاثات ممثلى أحزابها السياسية فى الخارج لم تستطع وياللاسف أن تمنع لجنة الانتدابات من تاجيل فحص الحالة فى سورية الى موعد بعيد هو ١٦ فبراير . فاغتنمت السلطة الفرنسوية فرصة هذا التاجيل ولم تتردد فى استخدام جميع مالديها من الوسائل لكى تخمد بالحديد والنار لهيب الثورة التى اضطرمت نيرانها

على أنه لم يبق ادنى شك فى مسؤولية عمال الانتداب عن اثارة ثورة جبل الدروز وقد اتضحت هذه المسؤولية كل الوضوح من تقارير الموظفين الفرنسويين ومن التحقيقات التى اجراها اشخاص كثيرون من جلتهم مسيو كيرلس الذى أوفدته جريدة ايكودى بارى الى سورية لدرس الحالة فكتب سلسلة مقالات عديدة مؤيدة بالمستندات كشف فيها الحجاب الذى كان مسدولا على الفضائح الادارية الفرنسوية

وقد أرسلنا اليكم بتاريخ ٢٩ يناير الماضى المستندات الآتية :

١ ـ نسخة من بيان مفصل عن وقائع دمشق

٢ ـ نسخة من عريضة قدمها فيضى الاتاسى متصرف حماه الى المندوب السامى الفرنسوى عن ثورة حماه

٣ ـ نسخة من احتجاج قدمته سيدات حماه الى المندوب السامى الفرنسوى

٤ ـ نسخة من كتاب الاستقالة الذى قدمه نسيب مسلم الخياط قائمقام الزبدانى بسبب ضرب مضايا

وهذه المستندات توضح تطور الثورة وامتدادها وتبين وسائل التنكيل والارهاق التى استخدمتها السلطة الفرنسوية بدعوى قمع الثورة. وقد ورد فيها وصف لكارثة دمشق وكارثة حماه وتدمير القرى الآمنة فى جوار دمشق ومما يزيد فى قيمتها أنها مستندات صادرة من رجال ذوى صبغة رسمية من أنصار الانتداب ومقدمة الى ممثل فرنسا . ونضيف اليها الآن المستندات التالية :

١ ـ تقرير عن وقائع دمشق

٢ ـ تقرير عن وقائع حماه

٣ ـ تقرير عن وقائع وادى التيم (حاصبيا وراشيا)

٤ ـ تقرير عن سلسلة من الفظائع التى ارتكبتها الجنود الفرنسوية

وقد استقينا الوقائع المذكورة فى البند ـ ٤ ـ من مصادر مختلفة أخصها بالذكر البلاغات الرسمية الفرنسوية والجرائد السورية . وكل ما نقلناه عن الصحف لم تصدر السلطة تكذيبا له . وقد حرصنا على أن لانذكر أية واقعة لم تتثبت من صحتها

ونقدم مع هذه المستندات بيانا مفصلا بعنوان (المسألة السورية ـ المفاوضات مع

مسيودى جوفنيل فى باريس ومصر و بيروت) وأضفنا الى هذه البيان ملحقين ـ الأول هو المذكرة التى قدمتها اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى الى مسيو دى جوفنيل فى مصر . والثانى الكتاب الذى كتبته اللجنة اليه . وفى ذيل البيان تقرير من الدكتور عبد الرحمن شهبندر عن أسباب الثورة ومطالب البلاد

وهـذا البيان يظهر جليا ان جميع المساعى التى بذلها فريق من كبراء السوريين وممثلو الأحزاب السياسية فى سورية وفى الخارج قد اصطدمت بتعنت السياسة الفرنسوية واصرارها على السير فى خططها الاستعمارية

فبناء على ماتقدم

ولما كان اعطاء فرنسا الانتداب على سورية مناقضا للمادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الأمم اذ لم يكن لرغائب الأهالى الاعتبار الأول فى اختيار الدولة المنتدبة فضلا عن كون اللجنـة الاميركية التى طافت سورية سنة ١٩١٩ قررت أن ٩٠ ٪ من الأهالى يعارضون فى اعطاء فرنسا الانتداب على سورية

ولما كان الامن لم يستقر قط استقراراً تاما فى سورية منذ احتلتها الجنود الفرنسوية بل كانت الثورات متعاقبـة فى جميع الاقطار السورية وأبلغت وقائعها الى جمعية الأمم فى حينها

ولما كانت مهمة الانتداب تقضى على فرنسا بأن تصون وحدة الاقطار السورية ولـكنها أجرت مفاوضات مع تركيا رغبة فى الحصول على عطفها وسلمتها قسما من الأراضى السورية وقبلت حدودا مصطنعة لسورية تركت البلاد تحت رحمـة جيرانها من الشمال (اتفاق أنقرة)

ولما كان الغرض المعترف به من الانتداب هو ازالة اضرار الحروب ومساعدة البلاد على الترقى والفـلاح وارشاد الامة فى سيرها الى الاستقلال . ففعلت فرنسا عكس ذلك اذ حولت سورية الى ساحة حرب عم فيها الخراب وتراكمت أنقاضه كما وقع فى دمشق وحماه والقنيطرة وحاصبيا وراشيا وفى جميع أنحاء البلاد . وبدلا من أن تساعد على ترقى البـلاد زادت الحالة الاقتصادية حرجا بانشاء بنك امتص ما فى البـلاد من الذهب وجعلت تداول الأوراق التى أصدرها إلزاميا وهى أوراق معرضة لجميع التقلبات فأفضى ذلك الى اضعاف

الثقة المالية بالبلاد . وألغت الحقوق السياسية التى كان السوريون يتمتعون بها عند ما كانوا فى السلطنة العثمانية وحرمتهم من حقهم فى تقرير مصيرهم . وقسمت سورية الى دول متعددة أرهقتها بالضرائب لتسد حاجات جيش من الموظفين لافائدة منه

ولما كان حكم الشعب بالقوة مكروها فى كل حين . وكانت فرنسا قد أثارت الاحقاد بسلوك موظفيها ونزعت كل ثقة من النفوس وجعلت الشعب السورى يعتقد أن فرنسا تسعى الى ابادة قسم من الاهالى ليستفيد قسم آخر

ولما كان عدم تدخل جمعية الأمم فى العراك الحالى يسوق البلاد الى الخراب التام ويوجد فى الشرق مباءة للاضطرابات الوخيمة من جميع الوجوه

فاللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى تناشد جمعية الأمم بكل ما فيها من قوة لفحص الحالة الجديدة التى أوجدت فى سورية وتأمر فى الحال بارسال لجنة تحقيق تضع قرارا عن الموقف وتعيد الى سورية السكينة والسلام والى جمعية الأمم سمعتها الحسنة وثقة الشعوب المكلفة حمايتها

وترى اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى أن فرنسا قد فشلت فى القيام بانتدابها وأن على جمعية الأمم أن تعيد النظر فى القرار الذى منحتها به هذا الانتداب فتعطى سورية الاستقلال الكامل الذى مابرحت تطالب به

ولايسع جمعية الأمم أن تنظر بعدم اكتراث الى اطالة حرب مدمرة تجتاح سورية وتغرقها فى دماء أبنائها . ولا تستطيع أن تتبرأ من المسؤولية الخطيرة عن الاعمال المريعة التى ترتكب فى هذا الوقت

الوفد السورى فى روما

ووصل الى روما فى الأسبوع الأول من شهر فبراير الوفد السورى ليكون حاضرين فى أثناء الجلسة التى تعقدها لجنة الانتدابات ولمقابلة رجالها وتنوير أذهانهم واطلاعهم على حقيقة الحالة فى سورية وقد أدى مهمته على الوجه الأكمل

ومما يستحق الذكر انه لما قابل أعضاء لجنة الانتدابات ملك ايطاليا صباح ١٨ فبراير استفهم من المسيو روبير دى كيه مندوب فرنسا عن تفاصيل ضرب دمشق

التقرير الفرنسوى عن الثورة وجواب الوفد السورى

ووضع المسيو دى جوفنيل تقريرا مفصلا عن أسباب الثورة السورية رفعه الى لجنة الانتدابات للنظر فيه وجاء روما المسيو رو بير دى كيه مندوب فرنسا المفوض لدى جمعية الأمم فى المسألة السورية ليجيب على أسئلة اللجنة حين درس التقرير

والتقرير مطول وهو يتضمن نبذة تاريخية عن حوادث الثورة ويقول ان الاضطراب السياسى فى جبل الدروز نشأ على الأخص عن وضع الجبل الذى لايفتأ بحالة الثورة والانقسام بين أسره الكبرى بسبب الزعامة والمصالح . ثم سرد الحوادث العسكرية وقال انه لولا الجنود الفرنسويون لأتلف ثوار جبل الدروز ودمشق سفح جبل لبنان البحرى وان الحكومة الفرنسوية ترى أنه لا يرجح أن يلقى الثوار سلاحهم من دون اظهار القوة العسكرية دائما وستختار القيادة العسكرية الوقت الملائم للعمل

وفند الوفد السورى فى تقرير رفعه الى لجنة الانتدابات يوم ٢١ فبراير التقرير الفرنسوى فكتب :

١ ـ مازعمه عن نقص الأعمال الفنية عند السوريين فى حين أن الاحتلال قضى على يسر البلاد تماما

٢ ـ مااتهم به الوطنيين السوريين فى مصر وحزب الشعب فقد قالوا انه من البديهى أن تؤيد الجالية السورية فى مصر القضية الوطنية . أما الاعانات التى قيل انها أرسلت الى الثائرين فهى وسيلة يقصد منها ايهام الرأى العام بانه لولا هذه الاعانات لما نشبت الثورة فى سورية

والقول بان هنالك أناسا يسعون الى الحصول على عرش سورية من المضحكات لجميع السوريين لا يرمون الا لغرض واحد وهو استقلال بلادهم فى ظل نظام ديمقراطى ومعلوم أن حزب الشعب مؤلف من فئات ديمقراطية ومفكرة

٣ ـ أما فيما يتعلق بمحاولة المسيو دى جوفنيل وضع دستور للبلاد فان السوريين لم يحتجوا على أن ولاة الأمور فى بلادهم هم من المسيحيين أو من الترك بل احتجوا لانهم رأوهم خدمة للأجانب

٤ ـ أضرب السوريون عن الاشتراك فى الانتخابات الجزئية لأسباب أهمها فساد الأساليب الانتخابية التى أرادت السلطة أن تجعلها على أساس محلى طائفى وأن تكون على درجتين بقصد تمزيق وحدة البلاد وتحويلها الى سناجق وانشاء مجالس تمثيلية لاتمثل البلاد تمثيلا حقيقيا

٥ ـ رد الوفد السورى أيضا على ماجاء فى تقرير المسيو دى جوفنيل عن سعى سلطان باشا الأطرش الى الانفصال

٦ ـ نفى الوفد ماقيل عن اشتداد الأحقاد الدينية والسياسية

٧ ـ بحث فى تمزيق الوحدة السورية

٨ ـ أشار الى وسائل العلاج التى اقترحها المسيو دى جوفنيل وقال انها وسائل غير ناجعة

وأبدى المسيو دى روبير دى كيه حين درس التقرير الفرنسوى تصريحات قال فيها ان استقلال سورية كان منحة من الحلفاء وان فرنسا تحملت فى هذه المسألة كثيرا من التضحية وان السكان السوريين لم يساعدوا كثيرا على تحرير بلادهم ولا على الدفاع عن حدودهم وهو الدفاع الذى يدعون الآن أنه واجب عليهم

وطلبت اللجنة ايضاحات عن مهمة ممثلى فرنسا فى علاقاتهم مع الخارج . فقال المسيو روبردى كاى ان الحكومة المنتدبة طلبت مساعدين لها من السوريين فى أثناء البحث فى مسألة توزيع الديون وأنشأت قنصليات فى مصر والولايات المتحدة والبرازيل عينت فيها موظفين مكلفين بالاهتمام بشؤون المهاجرين

ثم بدأت اللجنة فى درس النظام الادارى بالبلاد الموضوعة تحت الانتداب فبسط المسيو دى كيه الأسباب التى قضت بتعيين الحدود الحالية للبنان وتوزيع السلطة بين السلطة المنتدبة والحكومات المحلية . وقال ان فرنسا وجدت فى سورية حالة نشأت عن الحكم التركى فحاولت بقدر الامكان أن لا تحيد عن مبادىء الانتداب فى معالجة هذه الحالة . وقد كان سببا فى وضع نظام الانتخاب المعمول به الآن

ويرى المسيو دى كيه أن أهم المسائل الحالية هى مسألة انشاء هيئة مشتركة بين

جميع الدول السورية تكفل الاستقلال الذاتى لكل منها مع مراعاة حاجة البلاد الى حياة اقتصادية مشتركة

تصريحات رئيس اللجنة وتقريرها

وأذيع فى روما يوم ٢٤ فبراير أن المركيز تيودلى رئيس لجنة الانتدابات قابل الوفد السورى للمرة الرابعة فأبلغه الوفد برقيتين تلقاهما من القاهرة تبسطان الحالة المزعجة فى سورية . وتكلم الرئيس فى جلسة ذلك اليوم فذكر أن جمعية الأمم لم تتدخل فى توزيع الانتدابات فليس فى وسع لجنة الانتدابات أن تحل المطالب السورية المتعلقة بالغاء الانتداب أو تعديله محلها من الاعتبار . بيد أن ثلاثة من المندوبين فى اللجنة طلبوا القيام بتحقيق فى سورية فلم تأخذ الأكثرية برأيهم

وفى يوم ٦ مارس أعلنت اللجنة ختام فصل انعقادها ووضعت تقريرا مفصلا ضمنته خلاصة وافية لمناقشاتها قدمتهيوم ٨ مارس الى مجلس جمعية الأمم وختمته بالملاحظة الآتية :

«ان فرنسا تصرح على الملأ انها لا تتبع فى سورية ولبنان أى غرض كان سوى مساعدة الشعوب التى يعترف من الآن فصاعدا بسيادتها وأهليتها للحصول على المقدرة التى تمارس بها هذه السيادة بنفسها فيجب أن يسلم بان الامتناع عن التعاون لتنفيذ الانتداب لايعجل حلول يوم التحرير العام بل يؤجله فما يظهره السوريون الوطنيون من نفاد صبر يبدو فى بعض الأحيان فى شكل عدم اكتراث للانتداب أوعداء له يجب أن يتحول بعد الآن الى تعاون ودى . وتأمل اللجنة أن الجهود التى بذلها بعض الأحزاب السورية حتى الآن فى منع نجاح سياسة الدولة المنتدبة فى البلاد وفى الطعن فى هذه السياسة فى الخارج تخصص بعد الآن لتقويتها»

التقرير فى مجلس جمعية الامم

ولما وصل تقرير اللجنة الى مجلس جمعية الأمم درسه المسيو اوندن مندوب أسوج وكتب عنه التقرير الآتى ورفعه الى المجلس فى اجتماعه خلال شهر ابريلسنة ١٩٢٦ فأقره بعد مناقشة قصيرة وهذه ترجمته :

ان الاضطراب الذى ساد سورية فلم يسمح للدولة المنتدبة بان تقدم تقريرها حتى الآن ــ جعل مجلس جمعية الأمم يقترح على لجنة الانتدابات الدائمة فى دور انعقادها فى شهر اكتوبر الماضى أن تطلب الى الحكومة الفرنسوية تقديم تقرير خاص عن الحالة فى هذه الأراضى (السورية) يفحص فى أثناء اجتماع غير عادى كان يجب أن يعقد فى شهر فبراير من هذه السنة . وقد أقر المجلس فى اجتماعه يوم ٩ ديسمبر الاخير اقتراح اللجنة هذا كما تعهدت الحكومة المنتدبة بارسال التقرير المطلوب

وقد تبين بجلاء من التقرير الذى قدمته اللجنة الدائمة للانتدابات عن اجتماعها الثامن (غير العادى) أنها فحصت تقرير الدولة المنتدبة فحصا دقيقا ودرست مجمل الحالة فى الأراضى المشمولة بالانتداب وأن محاضر الاربع والعشرين جلسة التى عقدت فى خلال مدة تزيد عن ثلاثة أسابيع والتى ستبلغ الى المجلس والى أعضاء الجمعية بأسرع مايستطاع من الوقت ــ ان هذه المحاضر تنطق بالجهود الصادقة التى بذلتها اللجنة للوصول الى الاسباب الحقيقية التى أوقعت الاضطرابات فى سورية وتشهد بما أسداه المسيو روبر دى كيه ممثل الحكومة الفرنسوية المفوض من مساعدة قيمة للجنة

وانى أعتقد أن هذا التقرير وماتضمنه من الفصول التى تعلل المشاكل التى صادفتها الحكومة الفرنسوية فى تطبيق الانتداب فى سورية وبعض خطيئات ارتكبت فى أعمال الادارة وحوادث هى أصل لما وقع فى جبل الدروز ــ كل ذلك سينير الرأى العام عن الاعمال التى عملت فى الأراضى المشمولة بالانتداب ويساعد الدولة المنتدبة على حل المشاكل التى تواجهها . ولا أكاد أرانى فى حاجة الى القول أن المجلس سيقدر تقديرا عظيما الجهود التى سيسع الدولة المنتدبة أن تبذلها فى المستقبل لاحاطة لجنة الانتدابات احاطة تامة بالحوادث التى تحدث فى الأراضى المشمولة بالانتداب وذلك بان تقدم لها من دون ابطاء جميع الوثائق التى قد يهمها الاطلاع عليها وفى جملتها نتائج التحقيق الدقيق الذى دعى المسيو دى جوفنيل الى اجرائه

وقد أقر خبراء الجمعية الاخصائيون باتفاق الآراء تقرير اللجنة ولما كانوا قد حققوا ماجاء فيه تحقيقا دقيقا فانه يلوح لى أنه ليست هناك حاجة ما الى أن يفحص المجلس

بالاسهاب الأمور العـديدة التى عالجتها اللجنة وقدم عليها ممثـل الدولة المنتدبة المفوض ملاحظات فى تعليقه الملحق بهذا التقرير . وعليـه أتشرف بأن أقترح ـ طبقا للطريقة المتبعة ـ احالة هذا التقرير الى الدولة المنتدبة والرجاء منها بأن تتفضل بمنحه مايستحق من عناية واهتمام

ومع هـذا فاظن أن هنالك شيئا من الالتباس فى نقطة من نقط تقرير اللجنـة وملاحظات الممثل المفوض للدولة المنتدبة فى مايختص بابلاغ جمعيـة الأمم الاتفاق الجديد الذى عقده المسيو دى جوفنيل فى أنقرة فاللجنة لاتستند الى روح المادة الثالثة من صك الانتداب وحده بل تستند أيضا الى المادة الرابعة التى تنص على أن :

« تضمن الدولة المنتدبة أراضى سورية ولبنان من كل ضياع أواستئجار يقع عليها أوعلى قسم منها ومن وضع أية مراقبة لسلطة اجنبية عليها »

والذى يلوح لى أنه يجب أن يستخرج بالضرورة من نصوص هذه المادة أن «المراقبة الاجبارية » على الصلات الخارجية للاراضى المشمولة بالانتداب ـ وهى للدولة التى دعيت لتكون منتدبة بموجب المادة الثالثة من صك الانتداب ـ لا تستلزم منح الدولة المنتـدبة حق التنازل بمحض سلطتها المفردة عن جزء من الاراضى المنتـدب لها أيا كان أو مهما كان يسـيرا

ويجب على قبل اقتراح اقرار القرار أن ألفت النظر الى شدة حرج الحالة فى الوقت الحاضر اذ أن حركة الثورة لم تنته حتى الآن ويظهر أن الاراضى المشمولة بالانتداب لاتزال تتحمل خسارة لايستهان بها فى الارواح والممتلـكات

ولايسع المجلس الا أن يواصل درس الحالة بقلق شديد راجيا أن الجهود التى يبذلها أولو الشأن تؤدى الى وضع حد لهذه الثورة فى القريب العاجل

ومهما تـكن البواعث التى بعثت على هـذه الثورة ومهما تـكن التبعات ـ وقد عولجت هذه الأمور المختلفة باسهاب فى تقرير لجنة الانتدابات وفى محاضر جلساتها ـ فان اللجنة ترى أن أفضل حل ممكن وموافق هو تعاون جميع هيئات هذه الاراضى (السورية) تعاونا صميما صادقا مع الدولة المنتدبة لتوطيد السـلام ولانشاء ادارة اعتيادية طبقا للسياسة

التى كانت موضوع تصريحات المسيو روبر دى كيه الحديثة والمسيو دى جوفنيل بصفة كونهما ممثلين للحكومة الفرنسوية والتى نالت موافقة لجنة الانتدابات عليها من دون تردد وأريد بهذا الصدد أن ألفت بوجه خاص نظر المجلس الى الفقرتين الاخيرتين من تقرير اللجنة اللتين أنقلهما بنصهما

« ان فرنسا تعلن أنها لاتتبع فى سورية وفى لبنان غاية ما سوى مساعدة الشعوب التى يعترف من الآن فصاعدا بسيادتها وأهليتها للحصول على المقدرة التى تمارسها فى هذه السيادة بنفسها ويجب اذاً التسليم بان رفض التعاون فى تنفيذ الانتداب لايعجل حلول يوم تحرير البلاد تحريرا كاملا بل يؤجله فما يظهره السوريون الوطنيون أحيانا من نفاد الصبر فى شكل يدل على عدم الاكتراث للانتداب أو على عداء له يجب أن يتحول بعد الآن الى تعاون ودى . وتأمل اللجنة أن الجهود التى بذلها بعض العناصر السورية حتى الآن لعرقلة نجاح سياسة الدولة المنتدبة فى البلاد وللطعن فى هذه السياسة فى الخارج توقف بعد الآن على تعزيزها وتأييدها

« ان الدولة المنتدبة تؤكد علنا وصراحة أن لاغرض لسياستها سوى انشاء حكومة حرة فى سورية ولبنان وقد برهن المسيو دى جوفنيل المندوب السامى الفرنسوى الجديد بتصريحاته وأعماله على أنه يوافق كل الموافقة على هذه السياسة فمن السهل على الذين يعيشون فى ظل تلك الادارة أن يقدموا معاونتهم للدولة المنتدبة ليكون ذلك دليلا على حسن نيتهم ورضائهم وفهمهم المقصد السامى منها

« ولما كانت هذه الغاية متفقة مع غاية الدولة التى تقوم وقتيا بمهمة الوصى السياسى عليهم فيجب أن تتجه جهودهم الى تعجيل تحقيق تلك الغاية وتشجيعها فالاصرار على الثورة بعد الآن يجب أن لاتستنكره الدولة المنتدبة وحدها ومعها جمعية الأمم بل جميع الذين فى سورية ولبنان وفى الخارج الذين يودون أن يروا السلام والرخاء والحرية تسود البلاد التى تمزقها اليوم الخصومة الدموية العقيمة »

وأنا واثق بأن المجلس على اتفاق فى الرجاء وأن هذه الأمانى التى أعربت عنها هاتان الفقرتان تلاقى تأييدا تاما من جميع أولى الشأن سواء كانوا من سكان البلاد أنفسهم

أومن عمــال الدولة المنتدبة فهم يستفيدون استفادة تامة ومباشرة من نخر تطبيق البرنامج الذى حددته المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم ومن تطبيق الانتداب نفسه فى سورية

وأرى شخصيا أن أفضل أسلوب تسير عليــه الدولة المنتدبة هو أن تنشر فى جميع الأراضى المنتدبة لها هــذا النص الذى يعبر عن رغائب الدوائر المختصة بجمعية الأمم فى السياسة التى تمنحها أعظم تأييد ودى

وأتشرف بأن أقترح اقرار القرار الآتى :

« لما كان مجلس جمعية الأمم قد فحص تقرير الحكومة الفرنسوية عن الحالة فى سورية لسـنة ١٩٢٤ – ١٩٢٥ (تقرير وفتى) كما فحص عــدة عرائض وتقرير لجنــة الانتدابات الدائمة والملاحظات المقدمة على هــذا التقرير من قبل الممثل المفوض للسلطة المنتدبة والتقرير الذى قدمه له المقرر – يقرر

« ارسال تقرير اللجنة وتقرير المقرر الى الحكومة الفرنسوية ودعوتها الى التفضل بمنحهما مايستحقان من اهتمام »

اجتماع آخر

واجتمعت لجنة الانتدابات فى جنيف يوم الخميس ١٧ يونيو فى اجتماع عادى فحضر الوفد السورى الاجتماع وقدم مستنداته ووثائقه وألح على اللجنة بالعمل لاقناع فرنسا بوقف أعمال التخريب والهدم وانصاف السوريين واجابة مطالبهم المشروعة

وحضر المســيو دى جوفنيل بنفسه اجتماع اللجنة وقدم تقريرا مفصلا عن الحالة فى سورية فدارت مناقشة بينه و بين اللجنة استمرت ثلاث ساعات حاول فى خلالها أن يسوغ ضرب دمشق بالقنابل بحجة أنه ضرورة عسكرية وأن يعتذر عن تعدد الدول فى ســورية بانه نتيجة الروح الدينى والعهد الاقطاعى . ثم ناقض نفسه بعد ذلك اذ أكد أن الانتخابات الأخــيرة جرت فى لبنان باتفاق الـكلمة مع وجود الاختلافات الدينيــة . وزعم أنه أنزل عقوبات بالذين أساءوا استعمال سلطتهم من رجال العســكرية . وأكد أن السوريين لايحترمون سوى القوة و يعتبرون كل عمل من أعمال فرنسا المنطوية على السخاء ضعفا

وأن الشرقيين يسيئون الظن بجمعية الأمم ويفسرون ميثاق لوكارنو بانه ائتلاف أوربى على آسيا

ثم سرد مطالب الثوار بسحب الجنود الفرنسويين وقال لو وقع هذا لعقبته مذبحة عامة . وحمل أيضا حملة شعواء على الوفد السورى وأعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى قائلا ان سورية لاتقبلهم مدافعين عنها

ودعا رئيس لجنة الانتدابات المسيودى جوفنيل الى تقديم بيانات صريحة عن شؤون معينة فى جلسة خاصة اجتنابا لازعاج الدولة المنتدبة وارتباكها

وعقدت اللجنة جلسة سرية خاصة حضرها بعد ظهر ذاك اليوم المسيو دى جوفنيل وحده وأجاب على الأسئلة التى وجهت اليه وهذا مادار بينه و بين اللجنة منقولا عن محضر الجلسة الرسمى :

فتحت الجلسة فقال الرئيس انه يشكر المسيو دى جوفنيل على ما أبداه بقدومه للتعاون معها وقال المسيو أورتس انه تساءل مرارا كيف يتفق أن تكون المعارضة صادرة من أقلية كما قال المسيودى جوفنيل فى جلسة الصباح فى حين أن جمعية الأمم تلقت شكاوى كثيرة صادرة من جمعيات سورية عديدة فى أوربا وفى أميركا وجميعها معارض للدولة المنتدبة ماعدا عددا قليلا نادرا جدا منها فأجابه هذا انه اذا كانت اللجنة تريد أن تحصل على اكداس من العرائض فانه مستعد لارسالها فليس اسهل من الحصول عليها وان هذه العرائض صادرة من أناس مقيمين فى خارج سورية أما الذين فى الداخل فهم مخلصون للانتداب يرحبون به وانهم يستقبلون ممثلى فرنسا بحماسة فى تنقلاتهم فلاحظ مسيو أورتس انه مادام عضوا فى لجنة الانتدابات فلا يستطيع أن يكون شاهدا على مظاهرات الحماسة وعرفان الجميل التى ذكرها المسيو دى جوفنيل فالأصوات الوحيدة التى تصل اليه ترتفع بالشكوى وما دام يجد فى العرائض التى يتلقاها عريضة واحدة للدولة المنتدبة مقابل ٣٠ أو ٤٠ بالشكوى من أعمالها فهو يتساءل لماذا لا تحتج العناصر التى تحبذ الانتداب على التهم التى تتهم بها الدولة فأجاب مسيو دى جوفنيل ان العرائض صادرة من أناس لاسلطة لهم وانه لا يريد أن يأبه لعرائض لا تصدر من هيئات رسمية ويجب أن لا تخدع اللجنة بالعرائض ويجب أن لا يذهب عن البال أن الارتياح أعظم حتما من الاستياء فلاحظ

مسيو أورتس أن مسيو دى جوفنيل تكلم فى الصباح عن حركة العصيان وقال انها خاضعة لرؤساء يوحدون مجهوداتهم فهو يريد أن يعرف من هم هؤلاء الرؤساء الذين أوجدوا اتفاقا بين فريقين كانا منقسمين كما كانت الحالة حتى الآن بين دمشق وجبل الدروز فمن الممكن أن العناصر التى تلزم للحكومة يمكن استخراجها من هؤلاء الرؤساء ويخطر له أن فرنسا حكمت تلك البلاد بأناس لا نفوذ لهم وكان الآخرون ضدها فاجاب دى جوفنيل ذاكرا عددا من الزعماء وقال ان سلطان الاطرش موجود بلا شك وهو ذو سلطة ولكنه اذا وضع فى منصة الحكم كان عرضة فى الحال لمعارضة شديدة وقد بذل السعى فى كل حين لوضع درزى فى رأس حكومة الجبل ولكن صعوبة تثبيته هى التى قضت بتعيين حاكم فرنسوى على البلاد فليس فى البلاد رئيس وطنى يطيق سلطة منافس له ومن رؤوساء العصيان الآخرين الأمير عادل أرسلان فهو من عائلة درزية من جبل لبنان منقسمة على نفسها انقساما كبيرا. والدكتور الشهبندر الذى هو مسلم سورى أثرت فى نفس المسيو دى جوفنيل لهجته فى بعض رسائله وتساءل عن امكان استخدامه ولكن يظهر انه ذو فكر كثير التردد والتقلب على أنه من الخطر أن يجعل ثوار الأمس رؤساء وقد جربت هذه التجربة بصبحى بركات وعين رئيسا للحكومة السورية فعين أصدقاءه فى مراكز كثيرة مدفوعا بشعور رئيس عصابة قديم فكان ذلك سببا لاثارة معارضة تكاد تكون عمومية وفضلا عن ذلك فان هذا المثال شجع رؤساء آخرين على العصيان معتقدين أن ذلك مقدمة للوصول الى منصة الحكم والى جانب الرؤوساء الذين لهم شىء من القيمة أشخاص عديدون لا قيمة لهم ومعظمهم عاديون يستحيل عليهم أن يفعلوا شيئا آخر ولاشك فى أن الموقف يسهل وتستفيد السلطة الفرنسوية من ذلك لو قدمت لها البلاد رؤساء ولكن الحالة ليست كذلك قط ولم يحكم دمشق فى أى عصر من العصور رجل دمشقى وكان صلاح الدين نفسه رجلا كرديا من الموصل

فسأل مسيو اورتس كيف يمكن الوصول اذن الى جعل البلاد تحكم نفسها بنفسها

فأجاب مسيو دى جوفنيل أن الرؤساء يعدون للرئاسة بالتعليم والتربية وقد اخترت البرنس أحمد نامى رئيسا للحكومة السورية لأنه الوحيد الذى لقيته ووجدت أنه ذو كلمة يركن اليها

فذكر مسيو مرلن أن مسيو دى جوفنيل قال فى جلسة الصباح انه لجأ الى الشعب بازاء الصعوبة التى سببها له رؤساء ذوو طبائع اقطاعية لكى يعين وكلاءه بنفسه أفلا يمكن جعل الأهالى يعينون الذين يعدونهم جديرين بحكمهم بدلا من اجهاد النفس بالسعى الى ايجاد رجال قادرين على الحكم بين الاقطاعيين

فاجاب مسيو دى جوفنيل ان هذه الوسيلة الوحيدة التى يلوح له انها طبيعية وممكنة فالرجال الذين يصلون الى ادارة شؤون البلاد ادارة ثابتة مستقرة عملا بالوكالة التى تعطى لهم يجب اخراجهم من سواد الشعب بفضل التعليم

فلاحظ رئيس اللجنة أنه قد جرت انتخابات وان مسيو دى جوفنيل ذكر رقما مؤثرا عن نسبة الناخبين الذين اشتركوا فيها ولكن الحكومة اتهمت بانها أدارت الانتخابات بوسائل العنف وأبعدت عددا من المعارضين قبل اجرائها وأرسلتهم الى مكان اقامة الزامية

فأجاب مسيو دى جوفنيل ان الامر لم يكن كذلك وانه سافر هو نفسه لكى يأمر باجراء الانتخابات فى سورية فى كل مكان لم تكن فيه ادارة عرفية فى ٢١ ديسمبر أى فى يوم استقالة صبحى بك بركات وجعل يوم ٨ يناير موعدا لاجراء الانتخابات فلم يكن الوقت اذن كافيا لاعدادها ولم يصدر أمرا باقامات اجبارية . أما ماجرى من هذا النوع فى حلب فقد كان بعد الانتخابات لا قبلها والسبب الذى دعا اليها هو مقاطعة منظمة فالانتخابات قد جرت اذن بسرعة وبحرية

فسأل مسيو فان ريس المندوب السامى عما فعله رئيس حكومة سورية أخيرا وكيف انه حل وزارته وأرسل ثلاثة من وزرائه الى محل اقامة الزامية

فاجاب مسيو دى جوفنيل ان هذا الحادث صحيح فقد تمسك أحمد نامى بك رئيس الحكومة بوجوب تعيين عدد من المتطرفين فى وزارته . وتدخل مسيو دى جوفنيل لكى لايكون فيها منهم أكثر من نصف الوزراء ولكن هؤلاء المتطرفين نظموا مؤامرة بالاتفاق مع العصابات فلم يجد أحمد نامى بك بدا من طلب الاذن بارسالهم الى محل اقامة الزامية

وسأل رئيس اللجنة ماهى مسؤولية الوزراء تجاه البرلمان؟

فأجاب مسيو دى جوفنيل بانه لايوجد برلمان فى دمشق حيث لايمكن رفع الادارة العرفيـة

وقال مسيو رابار انه لا يعلق أهمية كبيرة على العرائض وهى فى بعض الأحيان تنهال دفعة واحدة كأن أحد الناس ضغط على زر كهربائى لارسالها كلها فى وقت واحد من جميع أنحاء العالم . ولـكنه يريد أن يذكر بعض الوقائع التى أوجدت الشك فى نفوس أعضاء اللجنة . وذكر اسم كراين وحادثة بلفور وتقارير بعض القناصل وأن بعض السياح الذين بينهم أحد أصدقائه الشخصيين لم يكادوا يستطيعون النزول الى بيروت والسفر منها وأن البلاد غاصة بالجنود وأن الدولة المنتدبة اضطرت الى تبديل خمسة مندوبين ساميين وأن المراقبة عمومية وأن المسيودى جوفنيل ذاته ذكر أنه يكفى أن تظهر الدولة المنتدبة ارتياحها الى أحد السوريين لـكى يكون ذلك هادما لسمعته

فقال المسيو دى جوفنيل ان الأمر لايتعلق بارتياح الدولة المنتدبة بل انه عند ما يوضع رجـل فى منصة الحـكم ينازع فى الحال كما يجرى فى كل مكان ولكن هـذه الحال فى سورية أشد منها فى كل مكان آخر

ورد المسيو دى جوفنيل على الوقائع التى ذكرها مسيو رابار واحدة فواحدة ولاحت له أنها مناقضة لما ذكره مسيو دى جوفنيل من ارتياح الأهالى . وقال مسيو دى جوفنيـل ان الشرق كان يجرى دائما على خطة «الـكيس كومين» الذى كان يسعى الى التفريق بين الأوربيين وهـذا ما يجرى فى سورية فان أحد السوريين يقابل أحـد الفرنسويين ويقول له انه يستطيع أن يتفاهم بسهولة معه ولـكن يوجد فرنسوى آخر فيه جميع العيوب يحول دون الاتفاق . فيجب على الأوربيين أن يفـكروا فى هـذا المنهج ويشعروا أنه من الضرورى لهم أن يتساندوا فى الشرق . وهذا الميل يوضح ماجرى عند ذهاب بعثة كرين فقد شاع أن سوريه ستوضع تحت الانتداب الاميركى ونتجت من ذلك حركة كان المستركرين ضحيتها . أما فيما يتعلق بمستر بافور فان الصهيونية التى هى غول الجميع فى سورية هى التى كانت السبب . ففى الوقت الذى قام فيه مستر بلفور بسياحته لم يكن أحد يطيق أن يسمع شيئا عن الصهيونية وهذا هو الذى سبب المظاهرات فى دمشق ضد مستر بلفور فلم يجد الانتداب الفرنسوى الذى لم يكن مسؤولا عنها بوجه من الوجوه

بدا من حماية مستر بلفور ممثل الصهيونية بقوة البوليس

أما السياح الذين لم يستطيعوا أن يسافروا من بيروت فالسبب فى ذلك يعود الى طباعهم فقد لاقى المندوب السامى سياحا فى سورية كلها واستطاع أعضاء مؤتمر الآثار أخيرا أن يتجولوا فى البلاد ويزوروا حلب و بعلبك وتدمر . فاذا كانوا لم يذهبوا الى دمشق فلأنه لم يكن لهم الوقت الكافى ولكن من الممكن الذهاب اليها بالقطار كما تذهب الى باريس أو بالطريق العادية التى سلكها مسيو دى جوفنيل نفسه ولم يصبه فيها أقل سوء فيجب أن لاتغتر اللجنة بالحوادث . نعم ان السلطة ليست محبوبة فى سورية أكثر منها فى كل بلد آخر ولكنها تحب بين وقت وآخر وفى هذا بعض المزية . أما الثورة فى جبل الدروز فانها فى طور الانتهاء . وليست البلاد غاصة بالجنود ففيها نحو فرقتين ومن المهم أن تزول الشكوك من نفوس أعضاء اللجنة لأنها متضامنة مع الدولة المنتدبة

فصرح مسيو رابار أنه ما من أحد أعظم اقتناعا منه بالضرورة المطلقة القاضية بالتعاون مع الدولة المنتدبة فهذا التعاون لابد منه لكى يسير النظام سيرا حسنا ولهذا الغرض ذاته أراد أن يبسط ما يخالج نفسه بحرية تامة

وقال السر فردريك لوجارد انه يعتقد أن الادارة العرفية ما زالت موجودة فى جزء كبير من البلاد و يأمل أن يكون فى المستطاع رفعها قريبا وحصرها فى ساحة الأعمال العسكرية حيث يفهم ضرورة وجودها

فأجاب مسيو دى جوفنيل انه استطاع أن يلغى الادارة العرفية من حوران ولم يجد بدا من ابقائها فى دمشق وجبل الدروز والأقليم الواقع بين حمص وطرابلس حيث عادت العصابات الى التكون مغتنمة فرصة انشغال الجنود فى الجنوب وسيلغى الادارة العرفية فى أقرب وقت ممكن ولكنه لايستطيع أن يحدد هذا الوقت . وعلى أثر ذلك يبدأ اجراء الانتخابات وتعطى البلاد دستورا

فسأل مسيو فان ريس المندوب السامى عن الأسباب التى حملت الجنود الفرنسوية على مهاجمة حى الميدان الممتد فى حوض المدينة الجنوبى وهل أخلى الأهالى هذا الحى ولجأوا الى المدينة قبل الهجوم

فأجاب مسيو دى جوفنيل ان معظم السكان كانوا قد رحلوا فالبعض الذين بقوا

كانوا على اتصال بالعصابات وربما كانوا مشتركين معها . وكان يجب أن تتوفر الجنود لكى يمكن حراسة الميدان وجعله ضمن نطاق الحماية الذى يحيط بالمدينة . وكان جميع السكان الأتقياء قد لجأوا الى داخل المدينة

وكانت مخافر الحماية المجاورة لحى الميدان عرضة للهجوم على الدوام فى الليل وكان الثوار قد نظموا الحى وحفروا فيه الخنادق وأقاموا الاستحكامات . وبقى فيه عدد من السكان لان امرأة قتلت وجاءت اثنتان أوثلاث أمام الجنود فى يوم الهجوم وطلبن منهم حمايتهن وارسالهن الى داخل المدينة وسأل السر ف . لوجارد ممن يتألف الجنود المكلفون بالقمع فاجاب مسيو دى جوفنيل أن فيهم أكثرية من الجنود الجزائرية وفيهم جنودفرنسيون أيضا يحتلون المدن ويوجد أيضا جنود سوريون وجندرمة لبنانية. ويحدث أن الأرمن والجركس المجندين فى القوات المحلية يتهمون كما اتهموا . وترتكب الجندرمة اللبنانية فى بعض الأحيان مثل هذه المساوىء . على أن النهب هناك من المساوىء المتأصله فى البلاد فتقضى الحالة فى بعض الأحيان بتسريح فصائل كاملة. وقد أمكن تأليف جندرمة لبنانية من أناس منتخبين . ويقدم العلويون جنودا أيضا كالجركس وهم الآن فى أيدى ضباط من الفرنسويين ويتصرفون بكل دربة ونظام . ويوجد أيضا كوكبة أوكوكبتان من الكرد وكوكبة من الدروز ستتلوها ثانية بعد قليل

فسأل السر ف . لوجارد هل هؤلاء الجنود فى أيدى ضباط من الفرنسويين

فأجاب مسيو دى جوفنيل نعم ولكن أصحاب الرتب العسكرية الصغرى هم من غير الأوربيين ويوجد منهم أيضا بعض الضباط . ويجب أن ينظم الجيش الوطنى الذى سيحل محل القوات الفرنسوية شيئا فشيئا ولكن هذه المهمة صعبة جدا

وسأل رئيس اللجنة مسيو دى جوفنيل هل صحيح ماشاع أنه يهتم كما اهتمت اللجنة فى روما بمسألة النقد التى أحدثت استياء فى سورية

فاجاب المسيو دى جوفنيل ان هذه المسألة موضوع اهتمامه وانه عمل كثيرا لادخال حرية النقد وأن جميع أنواع النقد تستعمل فى سورية الآن وفضلا عن ذلك ففى النية احداث نقد جديد وهو الآن موضوع البحث

وقال الرئيس أنه اذا لم تكن قد بقيت أسئلة توجه الى المندوب السامى فقد حان الوقت لتقديم الشكر اليه ويجب أن يعلم وهو خبير بشؤون جمعية الأمم أن اللجنة لاترغب بتاتا فى احداث مصاعب للدولة المنتدبة ولكنها تعد مهمتها مهمة جدية وهو يعرف جيدا بلدان الشرق الأدنى معرفة شخصية فلا يدهشه ما يلاقيه مسيو دى جوفنيل من المصاعب

فشكر المسيو دى جوفنيل للرئيس واللجنة اصغاءهما الى بياناته . وقد استطاع أن يظهر صعوبة مهمته التى لا تحتوى فى الواقع الا الصعوبات . وسعى الى تنوير اللجنة اعظم تنوير ممكن لأنه لابد من التعاون بين الدولة المنتدبة ولجنة الانتدابات وهو تحت تصرف اللجنة و يحترمها احتراما عظيما وقد أعطاها ايضاحات على أعظم ما يمكن من الصراحة جوابا على الأسئلة التى سئلت فهو يظهر كل امتنانه لما شهده من الاصغاء والعطف

بين الوفد السورى ودى جوفنيل

واتصل الوفد السورى مدة اقامته فى جنيف بالمسيو دى جوفنيل واجتمعا اجتماعات خاصة للبحث فى القضية السورية وايجاد حل لها ، سيما وقد سبقت ذلك بوادر بدرت من بعض دوائر باريس العليا تنم عن الرغبة فى وضع حل للمشكلات العارضة بطريق التفاهم والاتفاق

وانتهت تلك الاجتماعات بسماح الحكومة الفرنسوية للوفد بالسفر الى باريس فذهب اليها فى شهر يوليو واجتمع بالأمير ميشيل لطف الله رئيس اللجنة التنفيذية واشترك الجميع فى المساعى ودارت بين الوفد وأشخاص مسؤولين من الفرنسويين مباحثات عديدة استغرقت وقتا غير قصير طلب الوفد فى أثنائها تعليمات من اللجنة فكتبت الى جميع زعماء الحركة الوطنية وسألتهم رأيهم فى الحل الذى يرونه وانتهت الى وضع برنامج عام وافق الجميع عليه وأرسل الى الوفد ليكون قاعدة لمفاوضاته مع الفرنسويين وهذا نصه :

١ ـ يشترط بادىء ذى بدء أن تعترف الحكومة الفرنسوية باستقلال البلاد التام وبحقها فى التمثيل الخارجى وتؤلف حكومة وطنية بالاتفاق مع زعماء الثورة وتوقيف حالة الحرب ثم يشرع بانتخاب المجلس التاسيسى انتخابا حرا مباشرا بالاقتراع العام ليتولى سن

الدستور وتعيين شكل الحكومة والدولة على أساس السيادة القومية (على أن لا تجرى فى غضون الانتخابات حركات عسكرية لامن الخارج ولا من الداخل) وأما الانتخابات الحالية فانها تلغى بطبيعة الحال

٢ ـ تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية المستقلة لمدة ١٥ سنة تعين فيها الحقوق والواجبات والعلائق المتقابلة بين الأمتين على مثال المعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق مع مراعاة الفروق بين البلادين ورقى السوريين ولا تكون هذه المعاهدة نافذة الا بعد تصديقها من البرلمان السورى ومجلس النواب الفرنسوى ويحتفظ فيها لفرنسا بموقع خاص وأرجحية فى المشروعات الاقتصادية على شرط عدم الاخلال بالسيادة القومية وهذه المعاهدة تسجل لدى جمعية الأمم التى تضمن تنفيذها

٣ ـ تحقيق الوحدة السورية بما فيها لواء طرابلس الشام وأقضية عكار وحصن الاكراد وبعلبك التى هى جزء من الوحدة بطبيعة الحال أما بقية البلاد التى ضمت الى لبنان فيستفتى أهلها بتقرير مصيرهم

٤ ـ توحيد النظام القضائى على أساس السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والأجانب معا

٥ ـ ادخال سورية فى جمعية الأمم

٦ ـ تأليف جيش وطنى فى مدة ثلاث سنين بحيث تتمكن القوات الفرنسوية من الجلاء التدريجى عن البلاد ويتم الجلاء التام فى خلال هذه المدة

٧ ـ اصلاح النظام النقدى واعادة العملة على الأساس الذهبى حالا فى كافة البلاد السورية واللبنانية والغاء امتياز البنك السورى وضمان أوراق النقد السورى المتداولة أو تبديلها

٨ ـ العفو العام عن جميع أصحاب الجرائم السياسية بدون قيد ولا شرط وبدون الاحتفاظ بالحق الشخصى المضمون بطبيعة الحال

٩ ـ الغاء الغرامات الحربية بتمامها مع اعادة كل ماأخذ حتى الآن بهذا الاسم سواء أكان فى دمشق أم فى غيرها من المدن والقرى

١٠ ـ تعويض منكوبى الثورة

ولم تنتج تلك المفاوضات النتيجة المرجوة منها فبعد ما كاد الاتفاق يتم على جميع الشؤون الجوهرية تغلب أنصار البطش والارهاب فى سورية على دعاة التفاهم والوفاق فأبلغت وزارة الخارجية الوفد أن أمر البت فى الشروط التى تم الاتفاق عليها قد أرجئ ريثما يسافر المسيو بونسو المندوب السامى الجديد [1] ويقوم بتحقيق دقيق هنالك وبعد عودته تبلغ الحكومة الفرنسوية الوفد ما يستقر عليه قرارها فأدرك (الوفد) انها تريد وقف المفاوضات ان لم يكن قطعها وانه لم يبق له عمل فى باريس فسافر الى جنيف وقدم الى جمعية الأمم بيانا بمساعيه فى باريس

السلطة الفرنسوية فى دمشق والمفاوضات

وحقيقة ما حدث أنه كبر على رجال الطغيان الاستعمارى فى سورية أن تدور مفاوضات بين الوفد السورى والحكومة الفرنسوية وأن تعترف حكومة باريس بهيئة وطنية وعدوا ذلك ذلا وخزيا لفرنسا يورثها العار الى الأبد . واستعانوا ببعض كبار الاستعماريين فى باريس لحمل وزارة الخارجية على قطع كل صلة بالوفد وقالوا انهم لايقرون أى مشروع يتم الاتفاق عليه بينها وبينه ولا ينفذونه مهما كانت الظروف والاعتبارات فنزلت الوزارة على رأيهم وكان ما كان من وقف المفاوضات وسفر الوفد الى جنيف

ولم يكتف هؤلاء بذلك بل نشروا فى دمشق فى أواسط شهر آغسطس سنة ١٩٢٦ البلاغ الرسمى الآتى :

« شاعت اشاعات بان مفاوضات دارت فى باريس تتعلق بحوادث سورية الحالية فليكن بعلم كل انسان انه لا يمكن عمل مفاوضة فى باريس لاعادة السلم الداخلى الا بعد انتهاء الثورة واستسلام الثائرين

« ان الأوامر الواردة من الحكومة الفرنسوية تقضى بالسير بحزم لارجاع الامن الى

---

(١) عين المسيو بونسو مندوبا ساميا لفرنسا فى سورية يوم ١٤ أغسطس سنة ١٩٢٦ خلفا للمسيو دى جوفنيل ولم يتقلد منصبه الا يوم ١١ اكتوبر من السنة نفسها

البلاد . ومالم تدرك هذه النتيجة فمن العبث التفكير بأقل مفاوضة »

ولما اطلع الوفد السورى فى جنيف على هذا البلاغ أرسل الى الصحف المصرية يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٦ البلاغ الآتى :

اطلعنا فى بعض جرائد سورية على بيان نشرته السلطة المحتلة هناك متضمنا تكذيب الخبر الذى تناقلته الجرائد بوقوع مفاوضات صلحية بيننا وبين الحكومة الفرنسوية فى باريس

فهذا التكذيب لا يقوى سمعة السلطة المشار اليها فى تحرى الصحة والصدق . والحقيقة أن الوفد السورى لم يكن ليذهب الى باريس من تلقاء نفسه ولا يقدر فعلا أن يذهب الى باريس الا باشارة رسمية . واذا كانت المفاوضات الصلحية التى استمرت على عدة جلسات لم تسفر عن اتفاق نهائى فلم يكن الوفد السورى هو المسؤول عن هذه الحالة بل وقوف المفاوضات انما نشأ عن اختلاف آراء ذوى الحل والعقد من الفرنسويين أنفسهم

وعليه نشفع هذا التكذيب بتكذيب آخر وهو أنه لا أثر من الصحة لما ذكرته بعض الجرائد الباريسية من وقوع خلاف بين أعضاء الوفد بعضهم مع بعض أو بين الوفد وجلالة الملك فيصل الذى لم يتدخل فى هذه المفاوضات . وأنه لا صحة أيضا لوضع مسألة العرش السورى موضع المناقشة اذ كان تعيين شكل الحكومة المستقبلة منذ اليوم أمرا مبتسراً وهو على كل حال منوط بارادة الأمة السورية التى بالبداهة لا تبحث فيه قبل الحصول على تمام استقلالها

الميثاق الوطنى وكيف وضع

تلقى المجاهدون السوريون فى أواخر شهر يونيو سنة ١٩٢٦ وبعد نزولهم فى الازرق نبأ من بغداد بان جلالة الملك فيصل عزم على السفر الى أوربا وانه اختار طريق الصحراء للاجتماع بزعماء الثورة وللوقوف على آرائهم وانه ينوى التدخل لحل القضية صلحا بين الثوار وفرنسا اذا استطاع وانه يود أن يتفق الثوار على برنامج معين يقدم الى جلالته ليعمل على تحقيقه

وعقد الدكتور شهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر اجتماعات فى الازرق أتموا

فيها وضع الميثاق الوطني وفي يوم ٢٧ يونيو أرسل الدكتور نص الميثاق الى سلطان باشا وأبلغه ما وقع فوافق عليه وأقره وهذا نصه :

١ - اعتراف الحكومة الفرنسوية باستقلال سورية التام وبحقها فى التمثيل الخارجي وتأليف حكومة وطنية بالاتفاق مع زعماء الثورة ثم يشرع فى انتخاب المجلس التأسيسى انتخابا مباشرا بالاقتراع العام فيتولى سن الدستور وتقرير شكل الحكم على أساس السيادة القومية

٢ - تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية المستقلة لمدة ١٥ سنة تعين فيها الحقوق والواجبات والعلاقات المتقابلة بين الأمتين على مثال المعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق مع مراعاة الفروق بين البلدين ورقى السوريين ولا تكون هذه المعاهدة نافذة الا بعد تصديقها من البرلمان السورى ومجلس النواب الفرنسوى ويحتفظ فيها لفرنسا بموقع خاص وأرجحية فى المشروعات الاقتصادية على شرط عدم الاخلال بالسيادة القومية وهذه المعاهدة تسجل لدى جمعية الأمم وتضمن تنفيذها

٣ - تحقيق الوحدة السورية بما فيها لواء طرابلس الشام وأقضية عكار وحصن الاكراد وبعلبك التى هى جزء من الوحدة بطبيعة الحال . أما بقية البلاد التى ضمت الى لبنان فيستفتى أهلها فى تقرير مصيرهم

٤ - توحيد النظام القضائى على قاعدة السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والأجانب معا

٥ - دخول سورية فى جمعية الأمم

٦ - تأليف جيش وطنى فى خلال ثلاث سنوات بحيث تتمكن القوات الفرنسوية من الجلاء التدريجى عن البلاد على أن يتم الجلاء التام فى هذه المدة

٧ - اصلاح نظام النقد واعادة العملة على أساس الذهب والغاء امتيازات البنك السورى وضمان أوراق النقد السورى المتداولة أو تبديلها

٨ - العفو العام عن جميع أصحاب الجرائم السياسية بدون قيد ولا شرط وبدون الاحتفاظ بالحق الشخصى المضمون بطبيعة الحال

٩ ـ الغاء الغرامات الحربية كلها مع اعادة ما أخذ حتى الآن بهذا الاسم سواء أ كان في دمشق أم في غيرها من المدن

١٠ ـ التعويض على منكوبي الثورة

بين الملك فيصل والزعماء

وفي صباح الجمعة ٢ يوليو سنة ١٩٢٦ كان الدكتور شهبندر على طريق بغداد الى الجنوب من القباسة ومعه سلامة الاطرش والأمير حسن الأطرش ونزيه المؤيد العظم ويوسف العيسمي ومتعب الأطرش وعلى زوقان الأطرش وغيرهم وبعد انتظار ساعة أطل الملك من سيارته فانحدرت الدموع وكان لقاء مؤثرا ثم عقدت جلسة اشترك فيها زعماء الثورة الحاضرون والذين كانوا مع الملك وهم رستم حيدر وناجي السويدي وتحسين قدري وسلموا الميثاق الى جلالته فأطراه وقال انه معمول بحنكة سياسية لأخذالفرنسويين بحجتهم

ووضع زعماء الثورة باقتراح الدكتور شهبندر «ضبطة وكلوا فيها جلالة الملك فيصل للمفاوضة باسمهم وانتدبوا الأمير ميشيل لطف الله رئيس اللجنة التنفيذية والوفد السوري في أوربا ونجيب شقير السكرتير العام للجنة التنفيذية وسعيد حيدر للاشتراك مع جلالته في المفاوضة وهذا نص المضبطة التي وضعوها يوم ٢٢ يوليو :

« لما كان صاحب الجلالة الملك فيصل سيمر في طريقه الى ديار الغرب بفرنسا وسيجتمع فيها بكبار الرجال الفرنسويين المسؤولين ويفاوضهم في القضية السورية عاملا للوصول الى حل نافع يحقق آمال الوطنيين السوريين حبا للمنفعة والمصلحة العامة رأينا أن نرفق جلالته بأناس من ذوي الاطلاع على شؤون البلاد وأماني أبنائها الناهضين ليكونوا على صلة دائمة بجلالته بصورة سرية أثناء هذه المفاوضات وقد كتبنا الى جلالته اننا كلفنا سعادتكم لتقوموا بهذه المهمة على أساس الميثاق الوطني الذي تقدم نسخة منه الى اللجنة التنفيذية ونسخة الى زميلكم احسان الجابري »

وأرسلوا الى جلالة الملك الكتاب الآتي :

« الى أعتاب صاحب الجلالة الهاشمية ملك العراق المعظم . بعد أن نرفع الى مقامكم العالى واجب الاحترام نقول اننا عرضنا على مقامكم العالى بتاريخ ٢٢ منه أسماء المفوضين الاربعةوهم الأمير ميشيل لطف‌الله والأمير شكيب‌أرسلان ونجيب شقير وسعيد حيدر والآن نعرض أننا كلفنا الأمير ميشيل والأمير شكيب ليكونا على اتصال دائم بجلالتكم أثناء المفاوضات السرية فى القضية السورية وحلها على قاعدة الميثاق الوطنى الذى قدمنا الى جلالتكم نسخة منه ونرجو الله أن يوفق جلالتكم الى رفع شأن الناطقين بالضاد ويديمكم للنهضة العربية عونا منه وكرما »

الوفد يستغيث بجمعية الامم

وعقدت جمعية الأمم اجتماعها السنوى العام فى أوائل شهر سبتمبر سنة ١٩٢٦ فقدم لها الوفد الاستغاثة الآتية :

حضرة صاحب السعادة رئيس الاجتماع السابع لجمعية الأمم

كان لنا الشرف نحن الموقعين على هذا مندوبى المؤتمر السورى الفلسطينى وأحزاب استقلال سورية أن بسطنا فى مذكرتنا المؤرخة فى ٧ يونيو سنة ١٩٢٦ لمجلس جمعية الأمم وللجنة الانتدابات الدائمة فى الوقت عينه حالة بلادنا الباعثة على الألم والحزن ، طالبين منهما أن يتدخلا بنفوذهما السامى لأجل اعادة الأمور الى مجراها الطبيعى فى سورية

وقد قلنا فى تلك المذكرة ان المواطنين السوريين عملا بنصائح ومشورات لجنة الانتدابات فى الجلسة التى عقدتها فى روما ونوهت فيها بمزايا الاتفاق المباشر مع فرنسا أخذوا يبذلون المساعى عند السلطات الفرنسوية للبحث عن وسيلة للاتفاق وحمل الحكومة الفرنسوية على التسليم بمشروعية الأمانى السورية وان تلك المساعى لم تجد نفعا لأن الحكومة الفرنسوية صرحت بلسان مندوبيها المسؤولين بأنها تبغى مواصلة الحرب الى أن يخضع السوريون من غير شرط ولا قيد

والظاهر أن الدولة المنتدبة اعتقدت فى استطاعتها التوصل الى تهدئة البلاد تماما بقوة السلاح وسياستها برمتها مبنية على هذه الفكرة ونعنى بها فكرة اخضاع سورية بالقوة

ومما يجب ذكره هنا انه رغما من الدم التي لا يفتا يهرق منذ ١٥ شهرا ورغما من الحملات العسكرية التي يتوالى توجيهها الى سورية لا تزال البلاغات الرسمية الفرنسوية تصر على وصف المعارك الدائرة فى البلاد المعهود فى أمرها الى جمعية الأمم انها ليست الا تدابير بوليسية بسيطة ولا تفتأ تؤكد بأن الهدوء قد استتب تماما . وليس لهذه الدعوى ظل من الصحة بدليل الحقائق الواقعة التى تنطق بافصح بيان بما ينفيها

وعندنا ان هـذه الطريقة التى جرت عليها فرنسا تناقض الغرض الانسانى الذى تسعى اليه جمعية الأمم

فأمام خطورة الحالة التى تتفاقم يوما فيوما رأينا من المفيد أن نتبع الى النهاية نصائح مجلس الجمعية وأردنا أن ننسى الأربعة عشر ألف قتيل (انظر التقرير المقدم الى السكرتارية العامة فى يونيو سنة ١٩٢٦) والضحايا الابرياء من النساء والأطفال وتدمير المدن التاريخية والقرى الزاهرة . فسافرنا فى شهر يوليو سـنة ١٩٢٦ الى باريس ولبثنا فيها أربعين يوما نبذل أقصى ما عندنا من المجهودات لكى نتوصل مع ولاة الأمور الفرنسويين الى اتفاق يضع حدا لهذه الحالة السيئة

وقد اجتمعنا مرارا عديدة بصاحب السعادة المسيو دى جوفنيل المندوب السامى فأظهر هـذه المرة من روح المسالمة مالا يسعنا الا أن نذكره بالحمـد والثناء ولـكن حين أوشـكنا أن نصـل الى اتفاق تام وقعت أمور غامضة لايد لنا فيها وكان من جرائها أن وقفت المفاوضات بغتة وعندئذ بذلنا مساعى شديدة لاستئناف المحادثة بقصـد الوصول الى اتفاق يرضى الفريقين عملا برأى لجنة الانتدابات فذهبت مساعينا أدراج الرياح واضطررنا الى العودة الى جنيف لاجئين الى عدل جمعيـة الأمم وانصافها لنبسط لها المجهودات التى بذلناها وفقا للرغبة التى أعربت عنها

واذا كان قـد ظهر لنا ما نذكره بالدهشة والألم وهو تلك الأصوات التى ارتفعت مؤخرا فى مجلس جمعية الأمم للقضاء على ذلك التصرف المحمود الذى أظهرته لجنة الانتدابات الدائمة حين اقترحت أن تسمع أقوال مندوبى الشعوب ذات الشأن فان صدورنا لا تزال عامرة بالأمل بأن مجلس جمعية الأمم لا يحيد عن مهمته المقدسـة وان الحجة التى كثيرا مالا كتها الا لسنة بوجود دسائس خيالية لاتثنيه عن اتمام الواجب عليه للعدالة والانسانية

وقد كان لنا الشرف أن صرحنا فى جميع عرائضنا السابقة تقريبا فى مذكراتنا التى قدمناها الى المجلس والى الجمعية العمومية والى لجنة الانتدابات الدائمة بأن من أهم أسباب الهياج الحالى فى سورية سياسة الاستعمار التى تتجلى بأعمال العنف والشدة واحداث الفرقة بين طوائف الأهلين والقضاء على كل حرية. فعلى هذه الأمور الثلاثة تتكىء السلطات المحتلة لتاييد سلطاتها. ومن البراهين القاطعة على هذه السياسة ادارة البلاد بالارهاب وتقسيم سورية الى أربع دويلات وضم أراضى احدى هذه الدويلات الى الأخرى من غير رغبة سكانها الذين لايفتأون يحتجون على ذلك كما يؤخذ من تلغراف مؤرخ فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٦ قدمناه الى السكرتيرية العامة وهذا نصه :

« نحن الموقعين على هذا التجار وأصحاب الأملاك والمحامين والأطباء والمهندسين الممثلين للرأى العام فى البلاد التى ضمت الى لبنان من دون رضاء سكانها ننتهز فرصة اجتماع مجلس جمعية الأمم فنكرر احتجاجاتنا على الحاق بلادنا بلبنان بناء على ما يسمونه قانونا أساسيا سن من غير اشتراكنا وعلى غير ارادة الأهلين بدليل أن النواب عنا أبوا الموافقة عليه فى جلسة مجلس النواب اللبنانى التى عقدت فى ١٩ مايو ونطالب بالوحدة السورية على اساس السيادة القومية ونرجو ان تتدخل جمعية الأمم تدخلا فعليا توصلا الى حل المسالة السورية حلا عادلا طبقا لمبدأ الحق واماني السكان الاجتماعية »

وقد ارسل هذا التلغراف من فلسطين لتعذر ارساله من الأراضى المشمولة بالانتداب الفرنسوى

ولا شك فى أن ارادة أهالى البلاد لم تظهر حتى الآن باجلى من مظهرها فى هذا التلغراف . ومنه يرى أن قانون البلاد الأساسى الذى كان ينبغى أن يصدر عن هذه الارادة وأن يكون من عملها وحدها طبقا لروح المادة (٢٢) من عهد جمعية الأمم ومبادىء القانون العام الحديث وضعته السلطات الفرنسوية بمحض ارادتها وهى تحاول أن تفرضه على الأهلين بالتدليس والخداع أو بما يشبه ذلك

ان السلطات المشار اليها لا تروم أن تتصل بممثلى أغلبية الشعب ولا تزال تعدهم

ابداء فرنسا لا لسبب الا لانهم يطالبون بحقوق بلادهم المشروعة وهى لا تريد أن تفهم ، الأهلين ماقاموا قومتهم الا مدفوعين بالياس بعد ما تبين لهم أن السلطات الفرنسوية تنكرت مبادئ جمعية الأمم وحقوق الأمة المشروعة جدا و بعد ما رأوا أن مطالبهم الحقة قد ضرب بها عرض الحائط

فبعد كل هذا يتعذر علينا أن نصدق ان جمعية الأمم التى تجتهد فى أن تقوم بتبعاتها الا دبية تأبى بعد ١٥ شهرا انقضت فى القتل والتخريب أن تتوسط فى انقاذ بلادنا من طائلة الخراب التام ووضع حد لحالة يخشى أن تكدر صفو الامن فى الشرق الأدنى

ان جمعية الأمم هى الحكم الكاف اصدار حكمه فى الاختلافات القائمة بين الدولة المنتدبة وأهالى البلاد المشمولة بهذا الانتداب

واننا نرى بالنظر الى خطورة الحالة ولأجل أن تتمكن جمعية الأمم من تكوين رأى نهائى قاطع عن الحالة فى سورية أن يعمل تحقيق . ونظن ان الدولة المنتدبة لا يسعها أن تعارض فى مثل هذا التحقيق .الا اذا خشيت أن يفضح نور الفحص أعمالها فاذا أرسلت جمعية الأمم الى سورية بعثة لجمع المعلومات عن حقيقة الحالة وحقيقة أمانى الأمة فانها لا تكون بذلك الا عاملة بروح عهد الجمعية ولا شك أن سلطة الاشراف التى لها قانونا ستمكنها اذا استعملت حق الاستعمال من تكوين رأى صحيح عن حالة يألم لها ضمير كل رجل متمدن

ونحن نعترف أن رأى الجمعية لم يؤخذ فى صحة الانتدابات من الوجهة القانونية ولا فى طريقة توزيعها ولا فى ابرامها ولكننا نعلم أن سلطة الجمعية الأدبية السامية تجعل من الميسور لها ان تطلب ان لاتسفك الدماء باسمها وبهذا الروح تتقدم بعريضتنا اليكم انتم الذين تمثلون اسمى مظاهر الضمير البشرى على وجه العالم المتمدن ونطلب العدل لبلادنا التعسة آملين أن تظلوا أمناء فى خدمة العدالة والحرية اللتين هما غرض الشعوب الاسمى وأن تتفضلوا باعارة ملتمسنا ما هو جدير به من العناية بعد ما طال اصطبارنا

وتفضلوا ياسعادة الرئيس وياحضرات الأعضاء بقبول فائق احترامنا

الوفد والمؤتمر الراديكالى الفرنسوى

وعقد فى فرنسا فى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٦ مؤتمران مهمان أولهما مؤتمر الحزب الراديكالى الاشتراكى والثانى مؤتمر جمعية حقوق الانسان وكانت مسألة سورية مدونة فى برنامج المؤتمرين فقدم الوفد السورى الى كل منهما مطالب لا تخرج فى جملتها عن فحوى البرنامج المتقدم الذكر. وقد أظهر اعضاء المؤتمرين رغبتهم فى وضع حل للمسألة السورية على أساس التفاهم والتسامح ووضع أمانى السوريين الوطنية موضع الاعتبار وقابل كل منهما البرنامج الذى قدم اليه بالارتياح وعده دليلا من الجانب السورى على الرغبة الأكيدة فى التفاهم

الوفد يحتج الى جمعية الامم

وعلم الوفد السورى أن مجلس جمعية الأمم قرر فى خلال اجتماعه الأخير امهال فرنسا ستة أشهر أخرى لتقديم مشروع دستور سورية فأرسل الى السكرتير العام لجمعية الأمم الاحتجاج الآتى :

جنيف فى ٢ اكتوبر سنة ١٩٢٦

سعادة السكرتير العام لجمعية الأمم

نتشرف بان نرفع اليكم ما يأتى :

علمنا أن مجلس جمعية الأمم الذى كان يجب أن يتلقى فى أثناء اجتماعه الحالى مشروع دستور لسورية ولبنان ومكاتبة تتعلق باتفاق كان ينبغى أن يوضع بين فرنسا والشعب السورى عملا بنصائح لجنة الانتدابات قد أمهل ممثل فرنسا ستة أشهر أخرى لكى يسمح للحكومة الفرنسوية باستشارة المجالس المحلية

فنتشرف بأن نلفت أنظار جمعية الأمم الى أن هذه المهلة الجديدة ستجر ويلات جديدة على سورية التى تنتظر بيسالة وشمم منذ سنين عديدة أن ترى عدالة وانصافا من هذا المجتمع الدولى

ان هذه هى المهلة الثالثة التى تطلبها فرنسا من جمعية الأمم . ولكنها لا تريد منها أن تسعى الى ايجاد حل يتفق مع مطالب الشعب السورى بل أن تنتهز فرصة أخرى كما فعلت

حتى الآن لكي تبيد بالحديد والنار كل سعى للحرية والاستقلال اللذين عدتهما جمعية الأمم نفسها من أسس عهدها وأعمالها النافعة

فنحن نعتقد واليأس ملء نفوسنا ان الواجب يقضى علينا بأن نحتج على تأخير حل هذه المسألة مرة أخرى . ولم نعد نعلم متى تريد جمعية الأمم أن تتدخل لصيانة البلاد الموضوعة تحت حراستها لكى تضع حداً نهائيا للمذابح التى ترتكب باسمها كل يوم .
ونتشرف ياحضرة السكرتير العام بان نقدم اليكم وافر احترامنا

٢١

مؤتمر بيروت وتصريح بونسو

بلغ المسيو بونسو المندوب السامى الجديد بيروت يوم ١١ اكتوبر سنة ١٩٢٦ قادما من باريس فأذاع على أثر وصوله انه سيعنى بدرس الحالة عن كثب وانه لن يقوم بعمل من الأعمال قبل أن يتم دراسته ويحيط بالموقف احاطة تامة

ولم يطل الاقامة فى بيروت بل غادرها الى دمشق ثم قصد جبل الدروز ومنه عاد الى حلب فدير الزور فبيروت . وعاد الى دمشق ثانية للوقوف على طلبات الأهالى ورغائبهم . وكان الدمشقيون قد استعدوا لهذا الأمر من قبل فألفوا وفدا منهم زاره يوم ١٧ديسمبر وسلمه الطلبات الآتية :

١ ـ اسدال ستار على الماضى والتعامل على أساس روح معاهدة لوكارنو ٢ ـ دعوة جمعية تأسيسية تسن الدستور على أساس السيادة القومية ٣ ـ تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين الحكومة الوطنية والدولة المنتدبة لمدة ثلاثين سنة ٤ ـ تحقيق الوحدة السورية ٥ ـ توحيد النظام القضائى على قاعدة السيادة القومية ٦ ـ تأليف جيش وطنى ٧ ـ ادخال سورية فى جمعية الأمم وتخويلها حق التمثيل الخارجى ٨ ـ اعلان عفو عام ٩ ـ ايجاد طريقة للتعويض على المنكوبين

ووضع أهل حماه أيضا مطالب بمثل ماتقدم وحذا حذوهم أهل حمص وأهل دير الزور وسلمت اليه الطلبات فى دمشق . ولما زار حلب سلمه أهلها طلبات تتفق فى روحها ومعناها مع طلبات المدن الاخرى . فقال لوفدهم ان المعاهدة التى ستعقد بين سورية وفرنسا ستكون شبيهة بالمعاهدة العراقية ومر باللاذقية فقابله وفد يمثل مسلميها وقدم له نفس الطلبات التى قدمتها المدن السورية الأخرى

واستقبل المسيو بونسو رؤساء الطوائف وزعماءها فى بيروت وطلب الى كل واحد منهم أن يضع له تقريرا مفصلا عما يرى الأخذ به من تدابير لمعالجة الحالة فأجيب الى طلبه

اللجنة التنفيذية والوفد والمسيو بونسو

وما كاد يستقر به المقام فى سورية ويبدأ دراسته حتى أرسلت اليه اللجنة التنفيذية يوم ٤ ديسمبر سنة ١٩٢٦ الكتاب الآتى تأكيدا لرغبتها التى أظهرتها مرارا فى الوصول الى تفاهم مع فرنسا ونزولا على ارادة جمعية الأمم ونصائحها قالت :

« ياصاحب السعادة

« لم تنقطع اللجنة التنفيذية للمؤتمرالسورى الفلسطينى منذ أوائل القتال الذى خضب سورية بالدماء واشتهرت أسبابه لدى الخاص والعام عن بذل مساعيها لاعادة السلام على أسس توفق بين أمانينا الوطنية ومصالح فرنسا الحقيقية

«هذه الفكرة هى التى كانت رائدا لنا فى محادثاتنا الأولى مع المسيو دى جوفنيل فى القاهرة فى شهر نوفبر سنة ١٩٢٥ وهى التى كانت رائد وفدنا عند مااستأنف المفاوضات فى باريس فى شهر يوليو سنة ١٩٢٦ وكان يرجى أن تنتهى هذه المفاوضات بسرعة ولكنها توقفت لأسباب لادخل لنا فيها ولكى يستطيع المندوب السامى الجديد أن يقف بنفسه على حقيقة الحالة فى سورية فنحن نرجو من سعادتكم الآن أن تبلغونا اذا كنتم ترون أن الوقت قد حان لاستئناف المفاوضات وللسعى بالاشتراك معكم وبروح الوفاق والتعاون الخالص لايجاد حل يفضى الى حسم النزاع واعادة السلام الى البلاد ووضع علاقات بين فرنسا وسورية مؤسسة على الثقة المتبادلة وصيانة أمانى أمتنا الشرعية ومصالح فرنسا الحقيقية

«فاذا كنتم توافقون على هذا الاقتراح الصادر عن اخلاص وتنزه عن الغرض فنحن مستعدون لاستئناف المحادثات بالطريقة والشكل اللذين ترونهما مفيدين »

ولم تتلق اللجنة ردا من المسيو بونسو على كتابها هذا . ولم يطل نفسه الاقامة فى سورية بل غادرها الى فرنسا فى أوائل شهر فبراير سنة ١٩٢٧ يحمل التقارير والطلبات التى قدمت اليه لمقابلة ولاة الأمور واطلاعهم على نتائج بحثه وللاتفاق على الخطة التى يسير عليها

ووصل فى شهر مارس سنة ١٩٢٧ الى جنيف لشهود اجتماع مجلس جمعية الأمم فاتصل بالوفد السورى . وعلم الوفد أن بعض المقامات المسؤولة فى فرنسا ترغب فى استئناف المفاوضات التى توقفت فى شهر أغسطس الماضى وتود أن يكون الجانب السورى هو

البادىء علنا بابداء الرغبة فى التفاهم وذلك أمام مجلس جمعية الأمم على أن تقابل كل اشارة تبدو من الجانب السورى فى هـذا الصدد بمثلها وأفضل منها فأرسل كتابا الى مجلس جمعية الأمم هذا نصه :

جنيف فى ٨ مارس سنة ١٩٢٧

الى سعادة رئيس مجلس جمعية الأمم

ياصاحب السعادة

علمنا نحن الموقعين على هـذا مندوبى اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى أن الحكومة الفرنسوية شارعة فى عرض مشروع للمشكلة السورية على جمعية الأمم فننتهز هذه الفرصة لنصرح مرة أخرى برغبتنا الأكيدة الصادقة فى اقرار العلاقات بين فرنسا وسورية على أساس الولاء والوفاق ونرى أن الواجب يقضى علينا بازاء ذلك بأن نصرح جهارا اننا لما كنا لم نقصد قط الى غرض شخصى ولم نعمل الا لنيل حرية سورية واستقلالها فلا نجد أى مانع يمنعنا عن الموافقة على كل حل ينطبق على أمانى الأمة السورية ونحن نأمل أن تتغلب روح الحكومة الفرنسوية والشعب الفرنسوى الحرة على جميع المصاعب المتراكمة فى سبيل الوفاق

مذكرة فرنسوية عن القضية السورية

وقصد الوفد باريس على أثر تقديم هـذا الكتاب، و بعد رجوع المسيو بونسو اليها وقضى فيها أياما لم تدر فى خلالها مفاوضات معه فعاد الى جنيف بعد ماتبين أن الفرنسويين لا يميلون الى الاتفاق معه ولا الى اجابة شيء من مطالب البلاد وأن الخطة الجديدة تقوم على تعليل السوريين بالآمال وعلى قمع كل حركة بالقوة يؤيد ذلك ماجاء فى مذكرة فرنسوية وضعت ونشرت فى شهر فبراير سنة ١٩٢٧ وهذا تعريبها :

ان حوادث سنة ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ كانت ثقيلة الوطأة على سورية وعلى فرنسا على السواء ويظهر أن معظم الأحزاب السياسية السورية اليوم أخذت تدرك أن النظام والسلام ضروريان لتقدم البلاد ويسرها . ومما يسر ذكره أن شهوة المطامع السياسية خفت وحلت محلها الرغبة البادية فى كل مكان فى تعاون فرنسا وسورية

فالفرصة سانحة اذن لاتفاق الاحزاب السورية على برنامج يشمل الحد الأدنى للمطالب التى يمكن قبولها من جانبهم أومن جانب فرنسا وحول هذا البرنامج يؤلف نوع من الاتحاد لاسداء أعظم مايمكن اسداؤه من الخير للشعب السورى

وليس هناك تناقض ما بين هذا النوع من التهادن السياسى واحتفاظ كل حزب من هذه الأحزاب بغاية وطنية لايفكر أحد فى معارضتها ومكافحتها

وتكون القاعدة الأساسية لهذا البرنامج قبول الانتداب الفرنسوى باخلاص وولاء على أن ينفذ هذا الانتداب كما تصوره مؤتمر السلام وحددته جمعية الأمم

ان الانتداب مطابق لفكرة الاستقلال الوطنى لانه السبيل الموصل الى هذا الاستقلال وهذا هو شعور المنتدبين الذين تقوم مهمتهم الأصلية على تنظيم السيادة القومية لسورية ولبنان

وغنى عن البيان أن تنظيم الحريات للسوريين وتهيئة أسبابها بتعاون صريح بين المنتدبين والمشمولين بالانتداب هو المادة الاولى من البرنامج السياسى الذى يجب أن يلتف حوله جميع العقلاء وذوى النيات الحسنة

ورب قائل يقول وفى أى حدود جغرافية يزاول هذا العمل والجواب على ذلك هو ان لبنان والمقاطعات التى تؤلف سورية لاتتمنى الا الاشتراك فى الحياة ولا يسع فرنسا الا أن تحترم هذه الرغبة . ولذلك سيظل لبنان مستقلا عن جيرانه أما حدوده فتحدد نهائيا باتفاق مع هؤلاء الجيران . واذا تعذر الاتفاق فيحال الأمر الى التحكيم ويجب أن يذعن الجميع لقراره

وأما الاستقلال الادارى للمقاطعات فيجب الاحتفاظ به كمسألة من مسائل النظام الداخلى اذ لايوجد سبب ما يحول دون حله طبقا لرغائب الشعب

ان فرنسا المنتدبة لاتعد سورية كمستعمرة ولا كبلاد مشمولة بالحماية فهى تساعدها لان جمعية الأمم عهدت اليها فى هذا الواجب الدولى الذى هو جم المتاعب . وأمنيتها الوحيدة هى أن تقوم بالواجب عليها لان العهد المقطوع واجب الاحترام وبذلك تجد عوضا أدبيا واقتصاديا مقابل مابذلت من الرجال وماأنفقته من أموال مما يعترف به جميع المفكرين من السوريين

وان نتائج مثـل هذه الخطة من جانب فرنسا يجب أن تظهر باعمـال تطابق الأمانى الوطنية السورية . أى بالسير نحو الوحـدة الوطنية بانشاء نظام حكومى دسـتورى يطابق فـكرة السواد الأعظـم من المواطنين ويقبلونه عن طيبة خاطر وتخفيض عـدد الموظفين الفرنسويين الى أدنى حد ممـكن على أن يكونوا مستشارين فقط لاموظفين لهم حق التنفيذ وانشاء مليشيا وطنية بالتدريج بضباط من الفرنسويين يعهد اليها فى صون النظام فى الداخل ومراقبة الحدود

وأما فيما يختص بالشؤون الخارجية فاذا كان مفهوم الانتداب يجبر فرنسا على أن تمثل سورية سياسيا فانها لا ترى مانعا يمنع من وجود موظفين سوريين يعملون بالاتفاق التام مع ممثلى الدولة المنتدبة للدفاع عن مصالح اخوانهم المقيمين فى الخارج رمزاً للسيادة الوطنية

ان قبول الأحزاب السورية لهـذه القواعد العامة مع تنازلها عن آرائها فى الأمور الثانوية عن طيبة خاطر يمكن سورية من افتتاح عهد من السلام واليسر ويسهل لها جلب الأموال الضرورية لان هذه الأموال لاسبيل اليها الا اذا كفل للمقرضين الضمان الوافى على ثبات الحالة السياسية

وفى هـذا باعث آخر يبعث الوطنيين السوريين على أن يقفوا حول برنامج وسط معتدل يظهر ان قبوله هو الطريقة الوحيدة المفيدة لتهيئة وسائل الاستقلال القومى التام الذى يطابق تحقيقه رغائب جميع الفرنسويين والسوريين على السواء

تصريح المسيو بونسو

وعاد المسيو بونسو الى بيروت فى أواسط شهر يونيو حاملا البرنامج الذى تم الاتفاق على تنفيذه فى هذه المرحلة ، فنشره رسميا يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٧ وهذا نصه :

لقد تسنى مرارا عديدة للمفوض السامى فى خلال مدة اقامتـه فى فرنسا أن يوضح للحكومة الفرنسوية وللجان الأمور الخارجية فى مجلسى الشيوخ والنواب نتائج التحقيق الذى قام به عن الحالة فى سورية ولبنان وأن ينقـل اليها بوجه خاص الامانى التى بسطت لديه مدة اقامته الاولى وتجوله فى البلاد المشمولة بالانتداب

وقد جرى له منذ عودته مفاوضات عـديدة مع رؤساء الدول أوضح خلالهـا آراء

ومقاصد الدولة المنتدبة وابان لهم نقط الخطة الأساسية التى سيواصل أمر تحقيقها بالاتفاق مع الدول المشمولة بالانتداب وهى :

أولا ـ لما كانت فرنسا عملا بمنطوق صك الانتداب (المادة الاولى) قد ألقى على عاتقها « أن تمهد السبيل لنمو سورية ولبنان نموا تدريجيا كدول مستقلة » وأن تحفظ الاستقلال الداخلى على قدر ماتسمح به الظروف فهى تستمر على اتمام المهمة المعهودة اليها من قبل جمعية الأمم ولا وجه للبحث فى امكان عدولها عنها

صفة هذه المهمة ـ ان تطبيق نص المادة الثانية والعشرين من معاهدة فرسايل ظهر انه ذو دقة خاصة فى الشرق حيث الطوائف المختلفة التى تقيم فى أراضيه قد بلغت منذ زمن بعيد درجة من الرقى جعلها فى الصف الأول بين الدول الأكثر تطورا فى الشرق الأدنى فالدولة المنتدبة مع تأييدها الأمن والسكينة وهما الركنان الاساسيان لكل تطور سياسى لم تغفل عن تحقيق أمنية هذه الطوائف غير ان تأويل هذه الامانى صادف حتى الآن عراقيل لايستهان بها نظرا لما بينها من التناقض الكثير

وكان الاهتمام بتحقيق أمانى هذه الطوائف هى الفكرة المتواصلة التى أوحت بالسياسة الفرنسوية ولم تزل الدولة المنتدبة ثابتة على هذه الخطة وموطدة النية على النزول عند هذه الامانى مادامت ضمن دائرة النظام والسكينة ومادامت لاتمس حقوق الأقليات التى أيدتها المعاهدات ولا تخالف ماتقتضيه المصالح العامة الكبرى للبلاد

ثانيا ـ استمرار السياسة الفرنسوية والقانون الاساسى ـ ان هذه السياسة التى حددها المسيو دى جوفنيل بوضوح نالت موافقة الحكومة الفرنسوية وجمعية الأمم فوجب أن يفصح عنها بصراحة فى القانون الاساسى وهذه هى السياسة التى سيبقى المفوض السامى الجديد متمسكا بها

على أن النظام النهائى لبلاد الشرق المشمولة بالانتداب الفرنسوى سيكون قبل كل شىء من وضع الذين يهمهم أمره فالدول ضمن نظامها الحالى الذى هو ثمرة جهود ثمانى سنوات جديرة بأن تبحث فى شؤون مصلحتها وفى ازالة المنازعات بعضها مع بعض كما أنها جديرة بأن تعقد كل اتفاق جديد من شأنه أن يزيد التوفيق بين المصالح التى لم تكن فى وقت من الاوقات متفرقة ولامنفصلة فالدولة المنتدبة ستبذل قصارى جهدها فى عقد اتفاق

عام وستقوم بوظيفة الحكم فى ماقد يحصل من المنازعات أما اذا كانت قد رغبت فى جعل النظام الجديد على أساس موافقة الاهلين عليه فلا يسعها أن تنسى المهمة التى وكلت اليها فاذا لم يحصل اتفاق عمدت الى التدابير اللازمة لأجل المحافظة على السكينة وضمان المستقبل وستبلغ تلك التدابير وقتئذ الى جمعية الأمم

ثالثا ـ الحكومات المحلية ووظيفة الانتداب ـ لقد تم حتى الآن تقدم كبير من هذا الوجه وسلمت الدولة المنتدبة مقاليد السلطة الى الذين يهمهم الأمر فى كل جهة أعيد اليها نظام ثابت وأمكن فيها بفضل الهدوء والسكينة استطلاع رأى الأمة وتأليف حكومات نظامية فعلى الحكومات المحلية أن تعمل مافيه مصلحتها الخاصة بمشورة ومساعدة الدولة المنتدبة . ان تجديد التنظيم الجارى فى دوائر الانتداب المؤدى الى لامركزية أتم والى التقريب بين المشورة والعمل واجتناب تراكم هيئات المراقبة سيزيد رغبة الدولة المنتدبة وضوحا وجلاء فيما يختص بمساعدة الدول المشمولة بالانتداب فى تطورها السياسى والاسراع به فتتحقق حينئذ تماما الأمنية المنصوص عليها فى عهد جمعية الأمم

رابعا ـ النظام والامن ـ أعيد النظام وأصبح الامن سائدا اليوم ضمن الحدود ولقد بذلت الدولة المنتدبة للوصول الى هذا الغرض جهدا عظيما وقبلت تقديم ضحايا تدل دلالة واضحة على أنها تريد ارادة لاتتزعزع أن تصل الى نتيجة حسنة بمهمتها الكبرى التى بها توثق عرى الصداقة النهائية بين فرنسا والبلاد المشمولة بالانتداب

ويجب أن تتأيد فوائد السلم بالتعاون الأدبى والتعاون المادى بين تلك الدول نفسها فان السلم هو خير منهاج لها وكل عمل يجرى بدون هذا السلم سواء كان من الوجه السياسى أم الوجه الادارى أم الاقتصادى أو المالى لايثمر الثمرات المرجوة منه بل يكون عبثا بلا جدوى وهذا يجعل ما تطلبه الدولة المنتدبة من اشتراك تلك الدول على وجه معقول فى الاعباء التى تستلزمها صيانة الامن طلبا مشروعا

ولايستفاد من هذا التصريح بوجه من الوجوه ان الدولة المنتدبة تفكر فى أن تضعف عدة الأمن التى أعدتها لحماية هذه البلاد أو انها لاتهتم بعد الآن بحفظ النظام فهى بالعكس لا تزال تتحمل التبعة أمام جمعية الأمم ولكنها تريد أن تزيد كل يوم اشتراك الأهلين

أنفسهم في الجهد الذي تبذله لمنفعتهم في سبيل حفظ الامن وعلى ذلك يجب أن يقابل التخفيض المتوقع في القوات الفرنسوية بزيادة في القوات المحلية والمليشيا اللازمة للدفاع عن الأراضي وستكون اعباء تلك القوات على عاتق الدول المشار اليهم

خامسا ـ التقدم الاقتصادي ـ ان صيانة الأمن تعجل في انجاح البلاد الاقتصادي ولا تلبث أن تحمل المهاجرين العديدين الذين مابرحوا شديدي التمسك بمساقط رؤوسهم على الرجوع الى البلاد فبالخطة الاقتصادية يمكن أن يكون تعاون الدولة المنتدبة والدول المشمولة بالانتداب مفيدا في تحقيق أمور لا تكفي المتوفرات المحلية للقيام بها لاسيما ان تحسين الحالة الاقتصادية والمالية في العالم وبالأخص لامكان الحصول على شروط للسلفيات أكثر موافقة مما مضى لابد أن يكون له تأثير في الشرق . ولقد يثبت المفوض السامي في أثناء اقامته في فرنسا ان الاسواق الفرنسوية يمكنها أن تهتم بتقدم سورية ولبنان من الوجهة الاقتصادية

سادسا ـ ادارة المصالح المشتركة ـ ان المصالح المشتركة بين الدول المشمولة بالانتداب الفرنسوي كثيرة جدا والمنازعات التي قامت في بعض الاحيان لاتتفق بوجه عام مع الحقيقة الراهنة فلأجل صيانة ذلك الملك المشترك تقوم المفوضية السامية بنوع خاص بمراقبة بعض المصالح التي يمتد عملها على جميع الأراضي بالسواء وستظل قائمة بهذه المراقبة بتنبيه خاص الى أن تضع الدول الحالية قواعد ثابتة لاتفاقها وتؤسس تحت رعاية الدولة المنتدبة الهيئات المشتركة اللازمة

وبينما نرى تطور العالم يتجه في كل مكان نحو تأليف المصالح لايسع دول الشرق وحدها أن تطلب التقدم والرقي باتباع سياسة تفريق ضيقة جدا . ان مستقبلها لايكون بالسير على هذا المنوال والدولة المنتدبة المهتمة بتوثيق عرى الاتحاد والوئام بين الملل التي وكلت اليها وصايتها تتمنى أن تراها تزداد تقربا بعضها الى بعض ويجب أن يكون لها من ادارة المصالح المشتركة بينها فرصة تنتهزها لذلك والمفوض السامي يريد أن يتبع هذه المهمة بمعاونة ممثلي الدول معاونة تزداد نشاطا في كل يوم وأن الزمان سيعمل عمله وحكمة الحكومات واختبارها يتكفلان بالباقي . وان الانتداب بحكم صفته نفسها لايسعى للخلود ولا للتجدد

فالى قضاء تلك المهمة يرمى الجيع وأن عدم الصبر لايعجل فى الحل المرغوب فيه بل لايمكن أن يعود الا بتأخير وان العنف ليقوض أعدل الآمال

ان المبدأ الحرالذى تتمشى عليه الجمهورية الفرنسوية لايسع أحدا أن يرتاب فيه وعليه فان الدولة المنتدبة التى عهد اليها فى مساعدة سورية ولبنان كدولتين مستقلتين فى سبيل الرقى التدريجى وفى جعل حقوق الجيع محمية ومحترمة لا تتخلف عن القيام بواجباتها ـ اهـ

صدى البيان فى الداخل والخارج

ولقد عجل هذا البيان فى القضاء على سياسة التفاهم بين سورية وفرنسا وأثبت تمسك الفرنسويين بخططهم وأساليبهم القديمة فلا يحيدون عنها ولا يخرجون عن دائرتها

١ — رد اللجنة التنفيذية

وأذاعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٧ بيانا مطولا ردت فيه على بيان المسيو بونسو وقالت ان الخطة التى أعلنت الحكومة الفرنسوية تمسكها بها مناقضة تماما لسياسة الوطنيين وانه لا يسع اللجنة بعد الموقف الودى الذى وقفته فى السابق سوى العودة الى خطة المعارضة ودعوة السوريين فى داخل سورية وخارجها الى استئناف الجهاد لتحقيق آمالهم وأمانيهم المشروعة

٢ — مؤتمر بيروت (١)

واتفقت كلمة الوطنيين فى الداخل على عقد مؤتمر عام يدرس البيان الجديد ويقرر الخطة التى يسار عليها فى هذه المرحلة وقد افتتح هذا المؤتمر فى بيروت يوم ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٢٧ برئاسة هاشم الاتاسى واختتم يوم ٢٥ منه وهذا نص البيان الذى وضعه وأبلغه الى المفوض السامى :

---

(١) شهد هذا المؤتمر باسم دمشق الأمير سعيد الجزائرى ويوسف العيسى واحسان الشريف وباسم حمص هاشم الاتاسى ومظهر رسلان وباسم حماه نجيب البرازى وعبد القادر الكيلانى وباسم حلب ابراهيم هنانو وفاخر الجابرى والدكتور عبد الرحمن الكيالى وباسم طرابلس عبد الحميد كرامه والدكتور عارف البيسار وعارف الرفاعى وباسم بيروت عبد الرحمن بيهم والدكتور عبد الله اليافى

لما وجدنا الموقف السياسى فى سورية لم ينجل غيهبه منذ ثمانى سنوات وان الدولة الفرنسوية رغم اهتمامها الشديد فى الأمر لا تزال تلجأ الى تجارب متنوعة والى تطبيق خطط واشكال من الاوضاع السياسية والادارية لم تنتج حتى الآن التفاهم المرغوب ولم تضمن تحقيق الأمانى التى ترمى اليها الأمة السورية ولم تزل ماجره الماضى من الأحوال السيئة والمصائب المفجعة وشعرنا بأن البلاد قادمة على تطور جديد لايتفق تماما مع المطالبات التى رفعتها الأمة السورية الى حكومة الجمهورية الفرنسوية بلسان وفودها وممثليها وصحافتها تكرارا ورأينا أن بيان المفوض السامى المسيو بونسو المعلن فى ٢٦ يوليو غامض وان ما جاء فيه من أسس ونظريات عامة لم يجل الموقف الذى أشرنا اليه بل ولد نوعا من الريبة فى نفوس أهالى وطننا الذين كانوا يعتقدون بأنه يقضى على جميع ما يشكون منه ويحقق كل مايصبون اليه ، ولما كان أيضا ما شاع وذاع عن الاجراءات التى تنوى السلطة تطبيقها والحكومة المحلية تنفيذها لايتفق مع ما تنتظره البلاد فضلا عن وجود عامل آخر يقف دائما فى سبيل حسن التفاهم وهو فقدان بعض الحريات كحرية الصحافة وحرية الاجتماع وحرية الكلام وكوجود الادارة العرفية المختلفة الشدة بين مكان ومكان والاستمرار على الاعتقالات وسلب الحرية الشخصية بدون سابق أحكام وكعدم اعتناء السلطة الفرنسوية برأى أكثرية الأمة الذى يجاهر به الوطنيون

لهذه الأسباب جميعها وجدنا أن واجب الاخلاص يوجب علينا التداول فى الأمور كلها لنجد لها حلا عادلا مرضيا للطرفين فقررأينا على عقد اجتماع فى جو خال من التأثيرات واخترنا مدينة بيروت وبحثنا هذه الأمور من جميع أطرافها لنرفع النتيجة الى المراجع العليا ونكاشفها بما فيه مصلحة الأمتين السورية والفرنسوية ، لتبقى الثقة متبادلة ولتعود الطمأنينة الى القلوب ونتساعد على تحقيق النوايا الحسنة فيما يتعلق بارشاد وترقية سورية التى قطعت الجمهورية الفرنسوية على نفسها عهدا بايصالها الى المستوى اللائق بها من المدنية والاستقلال

وقد كان أول عملنا درسنا بيان المفوض السامى فوجدنا بعد درسه أنه يقضى علينا لفت نظره الى نقاط غامضة لم نتوصل الى حلها وهى :

١ ــ ان السلطة الفرنسوية اطلعت كما قلنا على أمانى البلاد وعرفت ما يصبو اليه

ابناؤها من الطلبات ومع ذلك فني جميع التطورات التى تطورتها القضية السورية فى المدة الأخيرة وفى جميع المفاوضات التى دارت معكم ومع أسلافكم و بعض كبار رجال فرنسا الذين قدموا سورية وتذا كروا مع وفودها ودرسوا حالاتها الاقتصادية والسياسية والادارية لم يأت ذكر التحفظات التى ترتكز عليها سياسة فرنسا فى سورية . وغير خاف أن التجاريب الكثيرة عند الأمم التى وقعت بينها اختلافات دلت على أن أقرب الطرق لحل المشكلات وازالة سوء التفاهم كانت وما زالت بتعيين النقاط والمنافع التى يحتفظ بها أحد الفريقين فبيان المفوض لم يذكر شيئا من هذا القبيل ولم يشر اليه ولو من طرف خفى حتى ان التفسير الشفوى للبيان لم يتعرض لذلك أيضا

٢ ـ لم يتضمن البيان مايدل على اعادة الحرية الطبيعية للامة فى صحافتها واجتماعاتها وتشكيل أحزابها ورفع الأحكام العرفية والغاء النفى الادارى وسياسة الابعاد ولانص على العفو العام الذى يستطيع معه المعتقلون والمحكومون السياسيون والمبعدون عن أوطانهم الرجوع الى البلاد قبل دخولها فى تطور عملى جديد لكى يعملوا و يشتركوا فى خدمة البلاد

٣ ـ اعتبر البيان سورية أجزاء مفككة متباينة وراعى الطائفية والتقسيمات الادارية والاوضاع السياسية وغير خاف أن هذا الاعتبار يجعل الجسم السورى الذى لم يقو الحكم السالف على تجزئته وتفكيكه عرضة للوهن والضعف مع السنين

٤ ـ يصرح بيانكم « أن الدستور سيضعه من يهمهم أمره » و يفهم من هذا وجود من لايهمهم أمره فى البلاد مع أن الأمة ما زالت تنتظر الدستور بفارغ الصبر وتلح بوضعه من قبل جمعية تأسيسية تنتخب انتخابا حرا لتكون ممثلة لها بأجمعها وتستطيع أن تحدد علاقات الطرفين والشكل الادارى الملائم لحالة البلاد الادارية والاقتصادية والسياسية وما تتطلبه من الاسس الكافلة لتنفيذ سلطانها القومى

٥ ـ أشار البيان الى بقاء الدول والبلاد ضمن نظمها الحالية فهذه القضية لم تعالج بوضوح كاف و بطريقة حاسمة لأنه ليس بخاف عليكم أن المصالح التى تفضلتم بالقول عنها « انها لم تكن فى وقت من الاوقات منفصلة ومتفرقة » لا تضمن الوسائل المؤدية الى ازالة المنازعات فيما لو صح وجودها . وعقد الاتفاقات لا يكون ميسورا مالم تصرح الدولة المنتدبة فى مقرراتها واجراءاتها باعتبار سورية مجموعا كاملا يقضى أن يطبق فيه مايحفظ

جميع المقومات والمشخصات التى تحتاج اليها كل أمة للمحافظة على قوميتها الخاصة

٦ ـ ذكر البيان اهتمام الأسواق الفرنسوية فى انجاح سورية من الوجهة الاقتصاديه ولكنه لم يتعرض لاقتصاديات البلاد الحالية وضرورة تحسينها بتخفيف الضرائب التى أثقلت كاهل السوريين وأضحت أضعاف ما كان يؤديه المكلف فى الماضى وما يتحمله انتاج زراعته وصناعته وتجارته ولم يعد بالنظر فى أمر الحواجز الجركية وفى أمر الشركات ذات الامتيازات التى رغم وجود الغبن فى امتيازاتها لاتسيرعلى شروط هذه الامتيازات الى آخر ما هنالك من الأمور الداخلية التى لم يشعر الرجل السورى باصلاحها فلا كبير فائدة له من اهتمام الأسواق الفرنسوية بأموره الاقتصادية

٧ ـ ذكر البيان أن المفوض سيبقى متمسكا بالسياسة التى حددها المسيودى جوفنيل بوضوح وجلاء والتى حصلت على موافقة الحكومة الفرنسوية وجمعية الأمم . والمفوض السامى السابق عقد اتفاقا مع الدولة السورية مبنيا على هذه السياسة فهل ما جاء فى هذا الاتفاق هو الذى سينفذه المندوب الحالى ؟ ان البيان لم يوضح هذا الأمر

٨ ـ أشار بيانكم الى تنظيم جديد فى دوائر الانتداب ولكنه لم يحدد العلاقات التى ستكون بين هذه الدوائر والحكومة المحلية وعلى من تقع المسؤولية فيما يرتأيه المستشارون اذا وقع اختلاف أو خطأ ونحن نرى حتى اليوم أن الحكومة المحلية تتحمل مسؤلية تنفيذ اجراءات عديدة لم تكن صادرة عن فكرتها الخاصة . وعلى هذا ضاعت المسؤولية وضعفت كفاءة الموظفين الوطنيين واضطربت المعاملات

٩ ـ ذكرتم ان الدولة المنتدبة « لأجل صيانة الملك » ستقوم بنوع خاص بمراقبة المصالح وذلك على ما تبين لنا باحداث مصالح مشتركة فهل يفهم من هذا ان هذه الدوائر ستتولى توثيق عرى الاتحاد والوئام بين الملل التى ذكرتموها وعلى أى أساس يكون

١٠ ـ يقول البيان ان عدم الصبر لا يعجل فى الحل المرغوب فيه بل يمكن أن يعود بتأخير وان العنف يقوض أعدل الآمال وهو قول حق ولكن ألا تظنون أن السنين التى مرت بدون استقرار على سياسة مرضية بدليل سرعة تبدل الاوضاع الادارية والسياسية ومخالفة هذه الاوضاع رغم تنوعها للأمانى الوطنية ، يحمل على ادخال اليأس فى نفوس المفكرين ويولد القلق فى أفكارهم لأنهم طالما سعوا لمداواة ذلك بالطرق السلمية والقانونية

فلم يجدوا التسهيلات المطلوبة وكان سعيهم وبالا عليهم وعلى حريتهم

النتيجة : فهذه النقط الغامضة فى بيان المفوض السامى هى التى وجدنا ضرورة رفعها اليكم ولفت نظركم اليها كما أن الأسباب الداعية للتفكير فى تقرير مصير الحالة الحرجة، تنحصر فى عدم اضاعة الجهود والاتعاب المبذولة فى سبيل انماء مواهب الأمة واستثمار خيرات البلاد وهذا ما يقوى رغبتنا فى التفاهم والعمل المشترك مع الأمة الفرنسوية الحرة توصلا لهذه الغاية ويدعونا لأن نضيف الى ذلك الكلمة الآتية :

ان السوريين فى الحاحهم على الشعب الفرنسوى بتحقيق أمانيهم لايطلبون خلق حالة سياسية جديدة لأن البيانات والمعاهدات اعترفت باستقلال سورية واعترفت للسوريين بالجدارة بحكم أنفسهم فهم اذن يطلبون حقا كانت الدولة الفرنسوية قد ضمنته لهم وحرمتهم منه سياسة بعض الموظفين الفرنسويين فى سورية الذين تجاوزوا حدود النصح والارشاد مما أدى الى جر فرنسا لمواجهة المواقف المضطربة فى سورية ولهذا فنحن واثقون بأن وجهة نظر الدولة الفرنسوية ووجهة نظر الوطنيين يمكن بل يجب أن يتفقا ويتحدا ونحن نعتقد أن فى فرنسا أمة نبيلة تؤيد قضيتنا الوطنية وتعطف عليها وتريد اعادة الثقة بيننا وبينها وهذا ما يؤكد لنا تمسك الشعب الفرنسوى بالعدل ويدلنا على لزوم التعاون المشترك المبنى على تبادل المنفعة وتعيين واجبات الطرفين

هذا واسمحوا لنا ياجناب المفوض السامى أن نذكركم بطلبات أمتنا التى قدمت اليكم سابقا بلسان وفودها فى الداخل ووفدها فى الخارج والتى بسطناها اجمالا فى هذه السطور وعدتم قبل سفركم الى فرنسا بدرسها ومعالجتها والآن لا نعلم مصيرها ولا نسبتها فيما تنوون اجراءه وقد وجدنا انه جدير بنا لفت نظركم فى الختام الى لسان حال أمتنا فى الظروف الحاضرة فهو يخاطبكم قائلا :

طلبتم منا الصبر فصبرنا وحسن الثقة فوثقنا فهل يرضيكم بقاؤنا متذمرين شاكين مقيدى الحركة مفككى الأجزاء ؟ اننا لا نصدق ذلك ولا نريد أن نصدق اننا عندما نطلب منكم النظر فى قضيتنا بانصاف ونسألكم تعديل ما هو ضرورى تعديله واصلاح

ما هو واجب اصلاحه من الموقف والتدابير غير المرضية ان تتهمونا بأننا أعداؤكم وان مصالح الانتداب مهددة مع أنا أدرى الناس بالأمر الواقع ونياتنا الحسنة

هذا هو لسان حال الأمة نعيده على مسامعكم ونزيد عليه بأننا لسنا أعداء فرنسا التى عرفناها بعلمها وحريتها ومدنيتها وتفانيها فى خدمة المبادئ الانسانية ولهذا رمينا بهذا الاجتماع الى تذكيركم بأن الأمة السورية مستعدة لمد يد الصداقة والمصالحة ونسيان الماضى المؤلم كلما وجدت تحقيقا لأمانيها وسيادتها القومية ـ اهـ

٢٢

الجمعية التأسيسية

عمل المسيو بونسو على تخدير أعصاب الأمة وقتل الروح الوطنية بالتسويف والمماطلة فلم يتحرك حركة ولم يباشر مشروعا مدة ثمانية عشر شهرا وكان يجيب على الأسئلة التي توجه اليه بانه منصرف الى الدرس والبحث وأنه سيعمل متى آن الأوان مما أحرج الصدور وكاد يؤدى الى رد فعل لاتحمد مغبته وعواقبه

وأخيرا بعد مفاوضات سرية طويلة بينه وبين هاشم الاتاسي وابراهيم هنانو من جهة وبينه وبين الشيخ تاج الدين الحسني من جهة أخرى وافق على احداث تغيير فى الوضع الحكومى فحمل الداماد على الاستقالة فاستقال يوم ٨ فبراير سنة ١٩٢٨ وفى يوم ١٢ منه عهد الى الشيخ تاج الدين الحسني بانشاء حكومة موقتة تتولى ادارة البلاد فى هذه المرحلة فألفها على الفور وهذا بيانها :

« ان الحكومة الموقتة فى سورية شاعرة بخطورة الأحوال السياسية الحاضرة ومقدرة للتبعة الواقعة عليها فيما اذا لم تحقق أمانى الأمة سواء بسبب اخفاقها أو لتصلبها فى رأيها

وحيث انها واثقة باخلاص ممثلى الانتداب وعالمة بان تنفيذ الانتداب الذى أقرته جمعية الأمم يفرض على فرنسا وسورية حقوقا وواجبات متقابلة فهى تصرح بعزمها على اتباع سياسة ايجابية مفيدة واضعة نصب عينيها الرقى السياسى والأدبى والمادى لتسير الأمة بأقرب الطرق الى الحكم الذاتى

ان برنامج كل حكومة موقتة يكون بحكم الأحوال مختصرا ولذلك تعد حكومتنا مهمتها الأساسية قاصرة على تسليم زمام الحكم بأسرع وقت ممكن الى حكومة دستورية وقد نظرت فى الشروط التى تمكنها من اتمام مهمتها بأسرع مايمكن من الزمن وهى واثقة

بالنجاح . وأهم هذه الشروط الانتخابات النيابية وسيشرع بها قريبا لتضع حدا للحالة المبهمة التى تألمت منها البلاد وستكون الانتخابات حرة مطلقة من كل قيد لتبدو فيها الآراء كافة بشرط عدم تعكير الراحة العامة ، وبديهى أن حرية الاقتراع تقضى برفع الاحكام العرفية والغاء المراقبة ومنح العفو الواسع النطاق

والجمعية التأسيسية المنتخبة تتمكن بملء الحرية من سن القانون الاساسى لتنشره الحكومة بالاتفاق مع فرنسا ولكى تستطيع الحكومة أن تشرف على جميع مصالح البلاد ومواردها أحبت أن تكون ممثلة فى ادارة المصالح الاقتصادية المشتركة بين جميع الحكومات

وهى تعتقد أنها تكون قد قامت بواجبها اذا تمكنت فى شهور قليلة من تنفيذ برنامجها المقبول من سلطة الانتداب . أما الحكومة النهائية فستكون لها مهمة أخرى ولن تاخذ الحكومة الموقتة نحو البلاد تعهدات تكون من وظيفة الحكومة النهائية ولكنها لاتقوم بواجبها اذا أهملت بيان رأيها فى القضيتين الخطيرتين اللتين يجب على الأمة أن تقدم على حلهما بعد وضع دستورها

فالحكومة تصرح بنبذ شكل الانفصال الذى لايفيد غير العداء والتضارب المضرين بسعادة البلاد وعمرانها ولكنها احتراما للاتفاقات الدولية ولرغبات الاهلين تود أن يكون كل تقدم فى هذا السبيل قائما على رغبات الذين يهمهم الأمر وعلى مفاوضات ودية بينهم وسيطلب تحكيم فرنسا فى ذلك حين الحاجة وتصرح أيضا بان العمل القائم على الاخلاص المرغوب فيه بين فرنسا وسورية والذى هو وحده يخول سورية حق الانضمام الى جمعية الأمم لايعود بالفائدة المنشودة الا بتجديد علاقات الدولتين بمعاهدة يجب عرضها على البرلمان السورى لابرامها وهذه المعاهدة تحدد بصراحة مدى الواجبات الناشئة عن صك الانتداب وتكون عرضة للتعديل لمصلحة سورية فى مدة ستعين فيما بعد وفاقا لتقدم البلاد الى أن تحصل سورية على سيادتها التامة وستبحث الحكومة النهائية فى جميع المطالب الوطنية عند عقد المعاهدة المشار اليها

فعلى الأمة السورية اذا قبلت هذا البرنامج وكانت قد ملت الوعود الفارغة أن تجمع صوتها حول حكومة لم تضع أمامها سوى هدف واحد يمكن بلوغه وستصل اليه ـ اه

بيان المندوب السامى

وأصدر المندوب السامى يوم ١٥ فبراير وبمناسبة انشاء الحكومة الجديدة البيان الآتى :

كانت الدولة المنتدبة ترجو من زمن بعيد أن تأزف الساعة التى تتمكن فيها سورية من حل قضية دستورها فى حالة السلام وقد أزفت هذه الساعة الآن وستجرى الانتخابات قريبا بمقتضى القوانين المعمول بها والتى تكفل حرية الاقتراع لجميع الاحزاب . وستلغى جميع قيود الحريات المشروعة وهى القيود الموروثة من عهد الاضطراب لتظهر آراء البلاد الحقيقية ظهورا جليا باستشارة الشعب

وستسن الجمعية التى تنشأ عن هذه الانتخابات القانون الاساسى النهائى للبلاد السورية بتمام الحرية المطلقة ضمن نطاق الاتفاقات الدولية والصكوك المسؤولة عنها فرنسا تجاه جمعية الأمم فاحترام الحقوق والواجبات المتبادلة الناشئة عن صك الانتداب والتى يمكن تحديدها باتفاقات تعقد فيما بعد هو فى الحقيقة أساس للرقى السريع الذى يجب أن تبلغ اليه سورية وتساعدها الدولة المنتدبة على تحقيقه بكل قواها

وفى الوقت الذى تقيم فيه فرنسا للسوريين عامة الدليل على سخائها والثقة التى تضعها فيهم تحذرهم من تعريض المستقبل المملوء بالوعود الجميلة والذى تفتح أمامهم أبوابه للأخطار الناشئة عن الاضطرابات والاختلافات أوعن جهل الحقائق السياسية . وان فرنسا تنفيذا لهذه الخطة التى رسمتها تضع ثقتها بالحكومة الموقتة التى أخذت اليوم على عاتقها مهمة محدودة هى ادارة الشؤون العامة ــ اهـ

العفو المقيد

وطبقا لما تم عليه الاتفاق بين المندوب السامى ورئيس الحكومة الموقتة أذاع المندوب البيان الآتى :

لما كان السلم فى سورية قام تماما وأصبح هدوء الأفكار مبررا للحلم والعفو فقد أعلن العفو فى الأراضى السورية عن الاعمال المرتكبة قبل تاريخ هذا المرسوم والمتعلقة

بالصحافة والانتخاب كما أعلن عن الجرائم والجنح المرتكبة فى أثناء الثورة أو المرافقة لأعمال العصيان

ولا يشمل هذا العفو سوى الذين استسلموا سابقا أو يستسلمون فى خلال ثلاثين يوما تبدأ من توقيع المرسوم الحالى وستعاد الاملاك المصادرة الى أصحابها الا اذا كانت قد بيعت فيعاد اليهم الثمن فقط

ولا يتناول هذا العفو أعمال العصيان والجرائم والجنح المرافقة لها والتى اقترفها :

١ ـ التابعون لجنسية غير جنسية البلاد المشمولة بالانتداب

٢ ـ الذين عادوا الى الثورة بعد ماأعلنوا خضوعهم

٣ ـ الموظفون وخاصة رجال القوات العامة

٤ ـ الواردة أسماؤهم فى اللائحتين الملحقتين بهذا القرار سواء أشير اليهم فى فقرات هذه المادة أم لا

أما الذين صدرت عليهم أحكام من مجالس الحرب ولا يستفيدون من هذا القرار فستتخذ فيما بعد التدابير اللازمة لتسوية حالتهم ويستثنى من ذلك الواردة أسماؤهم فى اللائحتين المذكورتين

فقد استثنى من اللائحة الاولى المرموز اليها بحرف « ا » الدكتور عبد الرحمن شهبندر وحسن الحكيم وسعيد الترمانيني والدكتور على الشواف وعثمان الشراباتى ومصطفى وصفى والدكتور محمود حمدى ويحي حياتى والشيخ كامل القصاب وشكرى القوتلى ونبيه العظمة ونزيه المؤيد العظم واحسان الجابرى وفتاح المرعشلى والدكتور خالد الخطيب وسعيد العاص فى دولة سورية

وسلطان باشا وعلى وزيد وصياح وفضل الله النجم وسلامة الأطرش وعقلة القطامى وعلى عبيد وفرحان العبد الله ومحمد عبد الكريم بكر وسعيد بكر ومحمد عز الدين الحلبى فى جبل الدروز

وتوفيق هولو حيدر وسعيد حيدر والأمير شكيب ارسلان والأمير عادل ارسلان وفوزى القاوقجى وشكيب وهاب فى الجمهورية اللبنانية

ومحمد الشريقي والدكتور أمين رويحة من دولة العلويين وجميع هؤلاء استثنوا من العفو العام لجرائم سياسية [١]

أما اللائحة الثانية المرموز اليها بحرف « ب » فقد استثنت من العفو العام المتهمين بجرائم تتعلق بالحق العام وهم :

الشيخ مصطفى الخليلي وزكريا الداغستاني ومحمد عكاش وحسن رعد ومحمدعبدالكريم وعبد القادر وأبو السعود وعبد الهادي ومحمد حسن رعد ونظير النشيواتي وعبد القادر سكر وحسن وطفا ومحمد عباسي ومحمد سعيد العرفي ومحمد الحاج حسين والاخوة الثلاثة آل قطاط من جوبر وأحمد محي الدين شعبان من دولة سورية [٢]

وهايل سلام وعلى سلام وكنج سلام وعبد الكريم عامر في جبل الدروز

وأصدرنا قرارا بالغاء المراقبة عن الصحف فى دمشق والغاء الحكم العرفى فى دمشق ابتداء من ١٧ فبراير سنة ١٩٢٨

وألغيت أحكام الاقامة الاجبارية الصادرة على فوزى الغزى وفارس الخورى وحسنى البرازى ولطفى الحفار وسعد الله الجابرى واسماعيل حلمى وعبد المجيد الطباخ وبدر الدين الصفدى واديب الصفدى

انتخاب الجمعية التأسيسية

وفى يوم ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٨ جرت انتخابات الجمعية التأسيسية فاشترك فيها الوطنيون الذين سبقوا فأصدروا يوم ٢٨ مارس منشورا قالوا فيه « عزمنا على مواجهة المستقبل الذى ذكر المفوض السامى فى بيانه انه مملوء بالوعود برغم مافى الموقف من غموض وابهام لايأتلفان مع السخاء والحرية اللذين صرح بهما فى بيانه وبرغم ان الأوضاع

(١) صدر عفو خاص فى أوقات مختلفة عن بعض هؤلاء فعادوا الى بلادهم نذكر منهم عثمان الشراباتى ومصطفى وصفى ونزيه المؤيد وسعيد الترمانيني والدكتور محمود حمدى ويحيي حياتى والشيخ كامل القصاب وشكرى القوتلى والدكتور على الشواف . أما الباقون فلا يزالون فى خارج البلاد ولم يصدر عنهم عفو حتى الآن

(٢) عفى بعد ذلك عن بعض هؤلاء وعادوا الى بلادهم

الحاضرة ليست فى حالة تبعث على الاطمئنان بسلامة الانتخابات واثقين بان المجال مازال متسعا لتعديل مواد قانون الانتخابات على أساس القضاء دون اللواء ومدة النيابة وشروط الاقامة والنيابة عن الأقليات خصوصا بعد أن سبق تعديل أحكام هذا القانون الخ [١]

افتتاح الجمعية واغلاقها

وفى يوم ٩ يونيو سنة ١٩٢٨ افتتحت الجمعية التأسيسية ـ بعد تردد طويل من المسيو بونسوالذى أخافه نجاح الوطنيين وفوزهم فى الانتخابات خلافا لما كان يامله ويرجوه ـ فجاء بالذات الى دار الجمعية وألقى الخطبة الآتية :

« أيها السادة :

«انها لساعة جليلة سيكون لها أثرها الخالد فى تاريخ سورية ، هذه الساعة التى تجتمعون فيها هنا لوضع دستور الدولة أى تنظيم أسس الحكومة التى ستأخذ على نفسها ادارة تطور البلاد وتأمين مستقبل الأمة . وكنا ونحن نرقب عن كثب رقى الثقافة السياسية فى البلاد نتمنى اجتياز هذه المرحلة الدقيقة نزولا على آمال السوريين وفرنسا وجمعية الأمم . ففى يومنا هذا فرصة مناسبة بصورة خاصة للقيام بهذا العمل ضمن روح الوفاق بين جمعكم وروح الثقة الحقيقية بين النواب ورجال الانتداب ولكن العمل الذى

---

(١) أذاعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨ بيانا بمناسبة الانتخابات قالت فيه : واللجنة التنفيذية التى لا تحيد عن خطتها لتحقيق استقلال البلاد التام بحدودها الطبيعية ترحب بكل فرصة تتاح لأبناء الوطن للاعراب عن آرائهم فى مصيرهم وفى نظام الحكم الذى يختارونه بحرية تامة وطريقة رسمية ولكنها ترى فى قانون الانتخاب الذى نشر أخيرا اداة تحول فى مجموعها دون انتخاب الممثلين الأكفاء الدين يستطيعون أن يقوموا بمهمة التشريع الدستورى حق القيام ويمثلون رغائب الأمة ومرامى نهضتها تمثيلا حقيقيا فهى تخشى أن يقضى بقاء العيوب الموجودة فى قانون الانتخاب على حالها الى نتيجة لاتقتصرعلى الاتيان بعكس الغرض المطلوب من الانتخابات فقط بل تستخدم أيضا وسيلة لتأييد الأسباب الوهمية التى بنى عليها تمزيق وحدة البلاد وحرمانها من استقلالها »

نشترك فيه يتطلب من الجميع عزما صادقا على استنباط حل يؤمن - ضمن روح التساهل الواسع - الضمانات الضرورية لصيانة جميع الحقوق واحترام جميع المصالح

« لقد حدد بيانى المنشور فى ١٥ فبراير المسائل المحتم علينا تناولها الواحدة تلو الأخرى وعندما تنهون مهمتكم هذه يكون قد حان الوقت لتشييد العلاقات بين فرنسا وسورية على دعائم متينة تتفق مع ماتتطلبه أنفسكم وتتوق اليه نحن أيضا ، لان اجراء المفاوضات اللازمة لعقد المعاهدة يفسح لنا المجال لتدبير طرق حل لجميع المسائل التى تشغلنا جميعا . وأنتم تكونون قد أعددتم هذا الحل بقدرما تبرهنون من الآن عن حنكة سياسية تضمن نتيجتها لسورية عند حلول الأجل مكانتها المشروعة فى مصاف الأمم و بين سائر الشعوب

« سادتى : أنا أعرف تماما رغباتكم وتمنياتكم فارجو وأنتم تعملون انكم تجدون دائما الاجتماع الى سهلا وأن لا تدعوا مجالا لأن تنشأ وتنمو فى داخل المجلس حالة قد تذهب بثمرة جهودنا المشتركة . وختاما اعرب لكم مع ثقتى الودية عن تمنياتى المخلصة بان تتكلل أعمالكم بالنجاح »

وألقى الشيخ تاج الدين الحسنى رئيس الحكومة الموقتة الخطبة الآتية :

أحيي مع السرور العظيم مجلسكم التأسيسى الذى وكل اليه وضع الأسس لكيان سورية السياسى المقبل وأن مجلسا كمجلسكم أركانه هم خيرة الرجال أخلاقا وعلما ووطنية لهو أجدر المجالس بالقيام بالمهمة التاريخية التى مابرح الشعب يطالب بتحقيقها

وقد بدأت الحالة تظهر بوضوح وجلاء ودخلنا فى دور جديد فيجب علينا أن ننسى الحوادث الماضية وأن نواصل جهودنا للسير على هذا الطريق الجديد الذى مهدنا سبيله لأنفسنا ومما يعزز ثقتنا بالنجاح النهائى روح الحرية التى تظهرها فرنسا لوطننا المحبوب والتى تتضح جليا اليوم باجتماعكم هذا الضامن للاتفاق والتعاون النزيه بين البلدين

وأصرح نفيا للاشاعات الرائجة بانه لايوجد هنالك مشروع بالدستور يقدم الى مجلسكم الموقر بل انه هو الذى سيضع بملء الحرية الدستور الضامن للسيادة القومية ومع بيان استعدادى لتسهيل مهمتكم الخطيرة أختم كلامى معلنا افتتاح الجمعية التأسيسية وداعيا لها بالنجاح والتوفيق

وجرت الانتخابات على الأثر للرئاسة ففاز بها هاشم الاتاسى زعيم الكتلة الوطنية وانتخب فوزى الغزى وفتح الله اسيون لوكالة الرئاسة

شكل الحكم فى سورية وموتمر الوحدة

و بمناسبة افتتاح الجمعية التأسيسية وماألقى على عاتقها من مهمة تقرير شكل الحكم نشطت الحركة السياسية فى داخل سورية نشاطا زائدا فظهر ان هنالك أنصارا للملكية كما أن هنالك أنصارا للجمهورية

١ — اجتماع القاهرة

و بدأت اللجنة التنفيذية بمصر العمل فدعت يوم ٧ يونيو نخبة من السوريين الى عقد اجتماع فى دارها للبحث فى تحول سورية الأخير وهذا نص بيانها عن هذا الاجتماع :

عقد اجتماع عام فى دار اللجنة التنفيذية ليل ٧ يونيو سنة ١٩٢٨ برئاسة الأمير ميشيل لطف الله حضره عدد يربو على ٨٠ من زعماء السوريين الوطنيين وأحرارهم ووضعوا بعد البحث والمداولة القرار الآتى بالاجماع :

« بالنظر لقرب اجتماع الجمعية التأسيسية

« ولما كان الشعب السورى قد أسمع صوته العالم كله بجميع الوسائل المشروعة مطالبا بوحدة بلاده واستقلالها ولما كانت ثقافة البلاد وحالتها الاقتصادية والاجتماعية وعلاقاتها الدولية وسلامة وحدتها القومية التى لايضيرها تعدد المذاهب تقتضى أن يكون شكل الحكومة فيها جمهوريا

ولما كانت العلاقات بين سورية وفرنسا غير محددة تحديدا واضحا يكفل للسوريين حقوقهم الطبيعية فالمجتمعون اليوم اجتماعا عاما فى دار اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى من أحرار سورية الذين لم يتسن لهم الاشتراك فى انتخابات الجمعية التأسيسية لأسباب قهرية يقررون ما يأتى :

١ ـ ان دستور سورية يجب أن يصرح بوحدة البلاد السورية واستقلالها وسلطانها القومى وأن تكون حكومتها دمقراطية برلمانية جمهورية

٢ ـ أن تحدد العلاقات بين سورية وفرنسا بمعاهدة يبرمها البرلمان السورى وتبنى على قاعدة احترام استقلال البلاد وسيادتها وأن تنص هذه المعاهدة على قرب جلاء الجيش المحتل

٢ — بيان سلطان باشا الاطرش

وأذاع سلطان باشا بيانا أيد فيه الوحدة السورية على أن يكون جبل الدروز حلقة من حلقاتها

٣ — مؤتمر ابناء الساحل

واغتنم أنصار الوحدة فى الساحل السورى وجبل لبنان والأقضية الأربعة فرصة اجتماع الجمعية التأسيسية ومباشرتها وضع دستور البلاد فوفدوا الى دمشق وعقدوا فيها يوم ٢٣ يونيو مؤتمرا باسم مؤتمر أبناء الساحل رأسه عبد الحميد كرامه مفتى طرابلس السابق وهذا نص البيان الذى أذاعه :

لما كانت القضية السورية قضية واحدة لا تقبل التجزئة والانقسام ولما كان السوريون أمة واحدة تربطهم جامعة القومية ولا تفرق بينهم الأديان والمذاهب

ولما كانت الظروف القاسية حالت دون اشتراك بعض أبناء هذه البلاد فى الجمعية التأسيسية السورية التى تضع دستور هذا الوطن وتقرر مصيره النهائى فقد أتينا نحن أبناء البلاد المحرومين من هذا الحق الى دمشق عاصمة سورية ومصدر الوطنية الحقة والمبادئ الصحيحة وعقدنا مؤتمرا فى يوم السبت الواقع ٥ المحرم سنة ١٣٤٧ الموافق ٢٣ يونيو سنة ١٩٢٨ خلال انعقاد الجمعية التأسيسية السورية فى الوقت الذى يظهر فيه الشعب الفرنسوى النبيل استعداده لايجاد صداقة دائمة مع بلادنا تقوم على أساس الاعتراف بحقنا الشرعى وبعد درس القضية من جميع وجوهها وانعام النظر فى الأدوار التى مرت بها من ثمانى سنوات قررنا ما يأتى :

١ ـ يؤيد المؤتمر ميثاق البلاد القومى ويطالب الى الجمعية التأسيسية تحقيق وحدة البلاد السورية العامة بضم جبل الدروز والبلاد المسماة ببلاد العلويين والبلاد التى ضمت

الى لبنان القـديم من سورية وذلك بوضع مادة خاصة فى صلب الدسـتور تنص على أن سورية المؤلفة من البلاد المذكورة هى دولة واحدة مستقلة ذات وحدة سياسية لا تتجزأ وذات سيادة

٢ ـ ارسال تحية خالصة الى الجمعية التاسيسية وتأييد الـكتلة الوطنية العاملة على تحقيق الميثاق القومى فى داخل البلاد وخارجها وكل عامل مخلص لتحقيق هذا الميثاق

٣ ـ يبلغ هذا القرار الى صاحب الدولة رئيس الجمعية التأسيسيه وبواسطته الى المفوض السامى والى وزارة خارجية فرنسا وجمعية الأمم

وهذه أسماء وفود البلاد التى اشتركت فى المؤتمر

وفد بيروت ـ عمر بيهم نائب بيروت وعبد الرحمن بيهم وأحمد الداعوق وصلاح عثمان بيهم وعزت قريطم وبشير جبر ومحمد خرما والدكتور عبد الله اليافى ومحمد الباقر وأنيس نجا وعونى الـكعكى وعلى ناصر الدين

وفد طرابلس ـ عبد الحميد كرامه والدكتور عبد اللطيف البيسار ومصطفى عادل الهندى وسعدى المنلا وعارف الحسن الرفاعى والدكتور حسن رعد وصبحى الملك وتيودور حكيم

وفد جبل عامل وصيدا وصور ـ الشيخ أحمد رضا والشيخ أحمد عارف الزين ورياض الصلح ومحمود زنتوت والحاج اسماعيل خليل وتوفيق الجوهرى ويوسف أبو ظهر وسامى زنتوت وبديع الزين وفؤاد الميدانى وسعيد عسيران ومراد غلمية ومحمد على الحومانى

وفد وادى التيم ـ الأمير فؤاد الشهابى

وفد اللاذقية ـ عبد الواحد هارون وعبد القادر شريتح ومجد الدين الأزهرى والدكتور ضيا ماميش والمحامى صبحى الطويل ومحمود عبد الرزاق ومحمود الاحمد وعلى المحمد وحسين تحوف ومحمد نور الدين الخدام

وفد البقاع ـ الدكتور ملحم الفرزلى وميخائيل فلفلى وخليـل سلوخ وسمعان خزعلى وابراهيم القيم وقاسم الهيمانى

وفد حصن الاكراد ـ عبد الله الـكنج وعبد اللطيف الـكنج وعبد الحميد القاسم وعبد الرزاق الرستم الدندشى وعبد القادر الأحمد

وفد بعلبك ـ صبحى حيدر نائب بعلبك فى مجلس نواب لبنان وعباس ياغى وأديب حسن شومان وأديب الرفاعى ونجيب حيدر ولطفى حيدر ومحمد أديب قانصوه

دستور اللجنة التأسيسية ومبادؤه

واختارت الجمعية لجنة من أعضائها عهدت اليها بوضع مشروع الدستور وتولى ابراهيم هنانو رئاسة اللجنة فأتمت وضع المشروع وقد نص على أن تكون الحدود السورية نفس الحدود الواردة بمعاهدة سايكس ـ بيكو وأن يكون نظام الحكم جمهوريا وأن يكون رئيس الجمهورية مسلما ونص على حرية الأديان وعدم جواز نفى سورى وجعل التعليم اجباريا للبنات والبنين وأن تكون اللغة العربية هى الرسمية وان تكون السلطة التشريعية منحصرة فى مجلس منفرد ينتخب أعضاؤه على درجتين وأن ينظم الجيش بقانون خاص وأن يكون لرئيس الجمهورية حق اعلان الحكم العرفى وتنتخب الجمعية التأسيسية أول رئيس للجمهورية . وقد كان أقطاب اللجنة على اتصال بولاة الأمور الفرنسويين حين وضع المشروع وكانوا يطلعونهم على مواده قبل البت فيها دفعا للخلاف وضرب يوم ٧ أغسطس موعدا لتقديم المشروع الى الهيئة العامة للمناقشة فيه واقراره

بلاغ فرنسوى رسمى للجمعية

وقبل ان تبت الهيئة العامة فى المشروع وتقره نهائيا فوجئت الجمعية يوم الأربعاء ٨ أغسطس ببلاغ فرنسوى رسمى تلاه عليها المسيوموغرا السكرتير العام للمفوضية الفرنسوية باسم المفوض وهذا نصه :

تتبع ممثل فرنسا سير أعمال الجمعية التأسيسية بانتباه وعطف عظيمين راجيا حصول الاتفاق الذى يعطى لسورية دستورها النهائى قريبا وحيث ان المناقشة فى مشروع الدستور الذى وضعته اللجنة تبدأ اليوم فقد وجب على العميد الفرنسوى أن ينبه أعضاء الجمعية التأسيسية الى ضرورة عدم البحث الآن فى المسائل التى ليس حلها من اختصاص الجمعية وحدها لأنها تمس تنفيذ الانتداب الذى تعد فرنسا مسؤولة عنه أمام جمعية الأمم ولا يمكن تغيير شىء فى نصوص هذا الانتداب الا باتفاق سابق توافق عليه الجمعية وقد رغب العميد فى بياناته السابقة الاعراب بصراحة عن ذلك تجنبا لكل سوء تفاهم على نقط هامة كهذه

تعرض للخطر ثمرة الجهود المبذولة باخلاص من الفريقين لقطع المرحلة الأولى بسلام ولكن بعض أحكام المشروع تستدعي تحفظات خاصة لأن بعضها يخالف تصريحات العهود الدولية المعينة بها مسؤولية الدولة المنتدبة . والمواد ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ١١٠ و ١١٢ في مشروع الدستور تعد ماسة بالمسائل الداخلة ضمن النطاق المشار اليه وكذلك المادة ٢[1] من حيث مخالفتها للاتفاقات الدولية وللحالة قانونية واقعة لايمكن تعديلها بقرار يتخذه فريق واحد فبقاء أحكام كهذه يوجد حالة مبهمة تعرض للخطر ما كان يرجى تحقيقه و بفروغ صبر فالعميد الفرنسوي يثق بحكمة الجمعية ولايشك في أنها بوقوفها على هذه الصعوبات تعنى بالملاحظات المذكورة من تلقاء نفسها وتقرر فصل الأحكام المشار اليها من صلب الدستور قبل ولوج باب المناقشة فيكون مشروع الدستور متفقا في جوهره مع حالة لايمكن تغييرها الا باتفاقات يجب عقدها مع الحكومة الفرنسوية فانه لايسع فرنسا أن تأذن بنشر وتنفيذ دستور يحرمها الوسائل التي

(١) هذا نص المواد المطلوب حذفها :

المادة ٢ ـ البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية وحدة سياسية لا تتجزأ ولا عبرة بكل تجزئة طرأت عليها بعد نهاية الحرب العامة

المادة ٧٣ ـ لرئيس الجمهورية حق العفو الخاص أما العفو العام فلا يمنح الا بقانون

المادة ٧٤ ـ يتولى رئيس الجمهورية عقد المعاهدات الدولية وابرامها أما المعاهدات التي تنطوي على شروط تتعلق بسلامة البلاد أو بمالية الدولة أو المعاهدات التجارية أو سائر المعاهدات التي لا يجوز فسخها سنة فسنة فلا تعد نافذة الا بعد موافقة المجلس عليها

المادة ٧٥ ـ يختار رئيس الجمهورية رئيس الوزراء ويعين الوزراء بناء على اقتراح رئيسهم ويقبل استقالتهم و يستقبل الممثلين السياسيين و يعين الموظفين الملكيين والقضاة ضمن حدود القانون ويرأس الحفلات الرسمية

المادة ١١٠ ـ تنظيم الجيش الذي سيؤلف يكون بقانون خاص

الماده ١١٢ ـ لرئيس الجمهورية أن يعلن بناء على اقتراح الوزارة الأحكام العرفية في الأماكن التي تحدث فيها اضطرابات أو قلاقل ويجب أن يعلم المجلس النيابي باعلان الأحكام فورا واذا لم يكن المجلس مجتمعا فيدعى على وجه السرعة

تساعدها على القيام بالفروض الدولية التى أخذتها على نفسها »

وتناقشت الجمعية فى البلاغ الفرنسوى وتعاقب الخطباء واشتدت الحماسة وانتهت المناقشة باتفاق كلمة أعضاء الجمعية ماعدا ستة منهم على رفض البلاغ وهذا نص القرار الموضوع :

« لما كان طى المواد الست الواردة فى بيان العميد ورفعها من صلب الدستور يجعله أثرا لا قيمة له ويحرم الدولة السورية من سيادتها واستقلالها المعترف به دوليا ولما كانت الجمعية التأسيسية التى انتخبتها الأمة لوضع دستور كفيل بتحقيق استقلالها وسيادتها ووحدتها غير مرتبطة الا بالبرامج التى أعلنها أعضاؤها حين انتخابهم ولما كانت البيانات والعهود المقطوعة من قبل المفوضية ذات طرف واحد لايلزم الجمعية التأسيسية فى شىء ، ولما كانت هذه الجمعية قد قررت فى جلستها السابقة قبول مشروع الدستور بكامله ولم يبق بالامكان الرجوع عن هذا القرار بحذف أهم مواد الدستور وأركانه فالجمعية تقرر مع رغبتها الأكيدة دوام حسن التفاهم بينها وبين ممثلى فرنسا بسورية عدم موافقتها على حذف المواد الست المذكورة وتفويض مكتب الجمعية مواصلة العمل باسمها »

ولما أبلغ هذا القرار الى المندوب السامى أصدر قرارا بوقف الجمعية مدة ثلاثة أشهر تلى على أعضائها صباح ١١ منه فتفرقوا وهذا نصه :

«أجلت الجمعية التأسيسية الملتئمة فى اليوم التاسع من شهر يونيو لوضع الدستور مدة ثلاثة أشهر تبدأ من يوم ١١ أغسطس سنة ١٩٢٨»

ولقد كان لهذا العمل ، يعمله الفرنسويون ويحولون به بين الجمعية التأسيسية وبين اتمام مهمتها ، ويقصون عن سورية الاستقرار الذى تنشده ، اسوأ أثر فى الرأى العام السورى فأضربت دمشق احتجاجا وأقيمت المظاهرات فى جميع أحيائها فقبضت السلطة على بعض الشبان الوطنيين وعذبتهم عذابا أليما فاحتج النواب برقيا على ذلك الى المندوب السامى وطلبوا اجراء تحقيق دقيق

وغادر المسيو بونسو سورية على الأثر الى فرنسا لاطلاع ولاة الأمور على حقائق الحالة فشاعت اشاعات بأنه أقصى وان غيره سيخلفه فأذيع بلاغ رسمى أنه مسافر الى باريس لمفاوضة وزارة الخارجية وتقديم تقرير عن الحالة فى سورية

ورددت الألسن يومئـذ بان الوطنيين عزموا على ارسال وفد الى باريس لمقابلة أقطاب الحكومة الفرنسوية واطلاعهم على حقيقـة الحالة والسعى للاتفاق ولكنه لم يسافر بل سافر اليها جميـل مردم بك فى أواخر شهر سبتمبر للاتصال بالمندوب السامى والدفاع عن القضية الوطنية

مفاوضات جديدة بين الجمعية والسلطة

وفى يوم ٥ نوفمبر سـنة ١٩٢٨ صدر قرار جديد يؤجل الجمعيـة ثلاثة أشهر أخرى انتظارا « لايجاد حل للقضايا التى أوجبت التعطيل فى شهر أغسطس » وعاد المندوب السامى من رحلته الى بيروت يوم ٢٦ ديسمبر وفى يوم ١١ يناير سنة ١٩٢٩ دعا رئيس الجمعية التأسيسية وسلمه المقترحات الآتية لعرضها على هيئة المكتب ولجنة الدستور والحصول على موافقتهما عليها وهذا نصها :

« تضاف المادة الآتية الى مشروع الدستور :

« ان كافة أحكام هـذا الدستور هى غير مخالفة ولا يجوز أن تخالف الواجبات التى اتخذتها فرنسا على نفسها فيما يختص بسورية خاصة نحو جمعية الأمم

«هذه التحفظات تنطبق خاصـة على المواد التى تمس التحفظات على الامن العام وعلى النظام والمواد التى تمس الدفاع عن البلاد ومواد العلاقات الخارجيـة .فى كل المدة التى تبقى الواجبات الدولية فيما يختص بسورية ملقاة على فرنسا لا تـكون أحكام هذا الدستور التى من شأنها أن تمس هـذه الواجبات قابلة التنفيذ الا ضمن الشروط المعينة فى اتفاقات تعقد ما بين الحكومتين الفرنسوية والسورية بناء عليه فالقوانين المنصوص عليها فى مواد هذا الدستور والتى قد يمس تنفيذها هـذه المسؤوليات لا يبحث فيها ولا تنشر طبقا لهذا الدستور الا بموجب الاتفاقات المذكورة

«لايجوز نقض القرارات التشريعية والتنظيمية التى اتخذها ممثلو الحكومة الفرنسوية الا اذا تم الاتفاق على ذلك مقدما بين الحـكومتين »

واجتمع أقطاب الجمعية فى دمشق يوم ١٨ منه لدرس الاقتراح الفرنسوى فقرروا أن يقابل رئيس الجمعية مع جميل مردم بك المندوب السامى ويسألانه هـل فى الامكان

تعديل الافتراح المعروض أم لا ولما اجتمعا به وناقشاه فى محتوياته وأبانا له مخالفته لأحكام الدستور أجابهم أن ارادة وزارة الخارجية تقضى بقبوله كما هو فوضعوا اقتراحا اعتقدوا أن الأخذ به يحل المشكلة وأبلغوه اياه يوم ٢٥ يناير وهذا نصه :

طلب المندوب السامى الى الجمعية التأسيسية بتاريخ ٩ أغسطس فصل المواد ٧٣ و٧٤ و٧٥ و١١٠ و١١٢ من مشروع الدستور وتعديل المادة الثانية بحجة أن هذه المواد تعارض تعهدات فرنسا الدولية ورأت الجمعية فى ذاك الحين أن فصل هذه المواد عن الدستور يجعله ناقصا وغير معرب عن رغبات الأمة السورية وكان يرى أن تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية الناشئة عن المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم بمعاهدة تبنى على تبادل المصالح وتصان فيها السيادة القومية لسورية وقد أعلنت فرنسا رضاها عن ذلك بلسان مفوضها السابق المسيو دى جوفنيل وبوسائل أخرى عديدة ولذلك اعتذرت الجمعية عن تلبية هذا الطلب مظهرة رغبتها فى استمرار سياسة التعاون والتفاهم ثم قابلت تأجيل ثلاثة أشهر أخرى بالتؤدة والتفاؤل آملة ايجاد وسيلة تضمن مصالح الجانبين وتوفق بين النظريتين وبعد التأمل وجدت أن ذلك مضمون باضافة مادة على الدستور هذا نصها :

١ ـ تعدل المادة الثانية من الدستور على الوجه الآتى :

البلاد السورية وحدة سياسية لا تتجزأ وحقوق الاعتراض على التجزئة الحاضرة محفوظة

٢ ـ اضافة مادة الى مشروع الدستور بعنوان أحكام موقتة وهذا نصها :

ان أحكام المواد ٧٣ و ٧٤ و٧٥ و ١١٠ و١١٢ تنفذ باتفاقات خاصة بين الحكومتين الفرنسوية والسورية ريثما تعقد المعاهدة لتحديد العلاقات بين الدولتين »

تأجيل الجمعية الى اجل غير مسمى

ولقد كانت غاية مكتب اللجنة من اقتراحه انقاذ البلاد من حالة التقلقل والمساعدة على انشاء حياة دستورية ثابتة والابقاء على سياسة التفاهم فلم يشأ الفرنسويون أن يمدوا يدهم لليد التى مدت اليهم بل اعتبروا اقتراح المكتب رفضا للمشروع الفرنسوى وأصدر المفوض السامى يوم ٧ فبراير سنة ١٩٢٩ قرارا بتأجيل الجمعية الى أجل غير مسمى وأرسل الى رئيسها الكتاب الآتى :

تشرفت فى أثناء المحادثات العديدة التى جرت بيننا فبحثت معكم فى الحالة الناشئة عن المساعى التى بذلت من شهر أغسطس الأخير سعيا وراء أسس الاتفاق الذى يضع التناسب بين الأمانى التى أعرب عنها نواب البلاد بملء الحرية و بين الحق العام المحدد فى المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم وفى صك الانتداب فعلى أثر الجهود المبذولة فى فرنسا وفى سورية خلال ستة أشهر من قبل المفوض السامى ومن قبل الأشخاص الذين فوضتموهم عملا بقرار الجمعية التأسيسية يوم ١١ أغسطس سنة ١٩٢٨ بالاتصال مع السلطات الفرنسوية كان يجوز لى الأمل بأن الاتفاق الذى كان ينظر اليه من الطرفين ممكنا فيما يختص بروح الأصل لا يتأخر عن الظهور فى شكل واضح جلى يحول دون وقوع سوء التفاهم . وقد سلمتكم يوم ١١ يناير كملخص لتلك المحادثات التمهيدية نص تحفظات عامة مأخوذة عن الواجبات الدولية الملقاة على فرنسا ، فقبول هده التحفظات التى أضم نسخة عنها الى رسالتى هذه على سبيل التفكير فى مادة ملحقة كان يسمح للجمعية أن تحتفظ تقريبا بكلية نصوص الدستور الذى أخذته الجمعية بالاعتبار فى اقتراعها عليه يوم ٧ أغسطس الماضى

ان هذا الاقتراح المشبع بروح الحرية والذى وزنت كلماته ليأتى مطابقا دون ابهام لما توجبه حالة حقوقية ليس فى مقدور الحكومة الفرنسوية أن تغير فيها دون موافقة جمعية الأمم وليصون الحقوق الجوهرية الموضوعة طبقا للانتداب كان يدعنى ان افكر بأن مكتب الجمعية الذى أرسل اليه لايتردد فى أن يشير على الجمعية بالموافقة عليه واقراره ولكن هذا الأمل لم يتحقق ولم تستطيعوا فى آخر حديث دار بيننا يوم ٢٥ يناير أن تعطونى الموافقة والضمانات التى طلبتها منكم

بيد أنكم اثباتا لرغبتكم فى التفاهم تفضلتم وأعلمتمونى أن رئيس وأعضاء المكتب قد يقبلون أن تطبق المواد الواردة فى صلب الدستور والتى طلب المندوب السامى يوم ٩ اغسطس فصلها عنه ولم تقبل الجمعية بذلك وفقا للاتفاقات الخاصة التى تعقد بين الحكومتين السورية والفرنسوية ريثما يتم عقد معاهدة تحدد العلاقات بين الحكومتين . ولقد أعرت انتباهى كله نظريتكم هذه ولكنى اضطررت أن أشاهد مع الأسف عدم وجود الاتفاق على النص الذى أودعته اليكم وهو يعرب من قبل السلطة المنتدبة عن غاية روح هذا التساهل والتفاهم . ولم أتمكن من أن أجد فى الاقتراح المحدد الذى أودعتموه لى فى ٢٥ يناير مواد

كافية للاتفاق فالتكهن عن اتفاقات خاصة تعقد فيما بعد لايكفي ولا يحقق المنافع العامة التي نحن بصددها ولا يمنح الضمانات الكافية التي يضطرنا مبدأ الانتداب الى صونها والدفاع عنها كما انه ليس في ظل سوء التفاهم ولا بجهل الحقائق يمكن حل الخلاف الذي أوقف أعمال الجمعية منذ ستة شهور

لهذا تظهر الحاجة الى الجهود الساكنة الثابتة التي تسعى وراء منفذ للصعوبات الحالية وبما أن التبصر وانعام النظر لم ينضجا الحلول لهذه القضية الجوهرية فقد أصبح انعقاد الجمعية غير مجد فلهذا ولعدم معرفة الساعة التي يمكن فيها الوصول الى النتيجة المنتظرة في فرنسا اتخذت اليوم قرارا بتأجيل الجمعية الى أجل غير مسمى

وفي الوقت الذي أرسل اليكم فيه هذا الكتاب ويصل نصه الى أعضاء الجمعية أود أن أعرب عن أملي ان التقدم الذي حصلنا عليه في سبيل التفاهم سيقوى ويزداد متانة وان النجاح سيأتي في النهاية مكللا لجهودنا ومبررا لحسن نيتنا الثابتة

مؤتمر الحرية ومساعي الوطنيين

وعقد الوطنيون في شهر أغسطس سنة ١٩٢٩ مؤتمرا في عين زحلته أذاعوا في ختامه بيانا بمناسبة انقضاء سنة على وقف الجمعية التأسيسية قالوا في مقدمته : كنا نتوقع أن يعود المندوب السامي من رحلته الى باريس حاملا الينا موافقة حكومته على الوجهة التي ذهبنا اليها من جهة بقاء الدستور تاما على أن تحدد العلاقات الناشئة عن المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم بمعاهدة خاصة تعقد بين فرنسا وسوريه ولكن خلافا لما توقعنا سلمنا بعد عودته مذكرة يطلب فيها أن يزاد على الدستور تلك المادة التي نشرتها الصحف وعرفها الناس وهي بالصيغة التي افرغت فيها لاتقتصر على تعطيل المواد الست التي كانت وحدها موضع الخلاف يوم ٩ اغسطس بل تتناول سائر أحكام الدستور وتحرم السلطات المحلية من حرية تنفيذه حرمانا تاما لافي خواصه الخارجية فقط بل في خواصه الداخلية وتقضي ببقاء الادارة في حالتها الحاضرة تماما مع زيادة مجلس نواب لبس لمقرراته صفة

سوى التمنى وهى كما ترى ليس للأمة السورية فيها شيء مما تتوق اليه من الاستقلال المعترف به »

ثم قال البيان « لقد مر عام كامل على منع الجمعية التأسيسية من الاجتماع وقضيتنا باقية فى حالة من الغموض والابهام والشعب السورى ينتظر بمرارة الصبر تحقيق أمانيه فى الاستقلال وايجاد حالة مستقرة فى البلاد . ان الامة السورية لم تعد تطيق بقاء الحكم المطلق الذى من طبيعته ضياع المسؤلية وجعل الحكم فى أيدى موظفين ضعفاء لا كفاءة لهم ليكون ذلك حجة على قصور السوريين وعجزهم عن الحكم

ثم قال « ولا نرى بدا بعد صبرنا عاما كاملا على وقف الجمعية التأسيسية والحيلولة دون وصول الأمة السورية الى أمانيها المشروعة من أن نصرح بان هذه الأمة لاتنظر بعين الرضى والقبول الى أى دستور كان غير دستورها الذى قبله نوابها فى ٧ اغسطس الماضى ولا لأى تعديل يطرأ عليه بغير ارادتها وهى تعتبر كل حكومة تقوم على غير أساس الدستور حكومة غير مشروعة ولا يكون الشعب السورى مسؤولا عما تتخذه من قرارات وتوقعه من عقود وتمنحه من امتيازات »

وعقد المجاهدون المرابطون فى الصحراء اجتماعا عاما يوم ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٢٩ برئاسة سلطان باشا الأطرش للنظر فى حالة البلاد وسياسة الفرنسويين فقرروا أن يدعوا الى عقد مؤتمر عام فى وادى السرحان وهذا نص الدعوة التى أذاعها سلطان باشا بهذا الشان :

الى حضرات اخواننا السوريين فى سائر الجهات :

بتاريخ ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٢٩ عقد المجاهدون المرابطون فى الصحراء اجتماعا عاما برياستنا للمداولة فى الموقف الحاضر الذى آلت اليه البلاد وقرروا بالاجماع تكليفنا اذاعة دعوة عامة لجميع الأحزاب لعقد اجتماع وطنى كبير تعالج فيه قضية البلاد ولاتخاذ التدابير التى يجب اتخاذها لامكان حدوث تغييرات هامة فى سياسة البلاد

فنزولا على رغبة المجاهدين الكرام وسعيا وراء تحقيق أمانى الأمة التى بذلتها

وستبذل كل غال فى سبيل تحقيقها نذيع هـذه الدعوة العامة الى جميع الأحزاب السياسية والـكتل الوطنية العاملة التى يهمها انتصار قضيتها الى الاجتماع فى وادى السرحان ـ الحديثة فى يوم ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٢٩ ولنا ملء الثقة ان الأمة لاتقعد عن اجابة دعوتنا نظرا لما سيكون لهذا الاجتماع الخطير من الأهمية فى سير قضيتنا والله يوفقنا لما فيه خير الأمة وسعادة البلاد

وتوافد المنـدوبون الى الاجتماع فى الوقت المعـين فافتتح سلطان باشا المؤتمر بالخطبة الآتية :

اخوانى

بمناسبة الموقف الحاضر فى سورية وسـياسة التسويف والمماطلة التى مازالت تتبعها الحـكومة الفرنسوية ازاء حقوقنا الوطنية المشروعة وبمناسبة تصريحات المسيو روبير دى كيه الأخيرة أمام جمعية الأمم تلك التصريحات المجحفة بحقوق الشعب العربى السورى والمناقضة لآماله القومية والسياسية وبمناسبة عودة المسيو بونسو الى سورية واحتمال حدوث اوضاع جديدة ربما لاتتفق مع آمال البلاد وبمناسبة ماأحدثته وزارة العمال البريطانية من الانقلابات السياسية الخطيرة فى الشرق وانالتها مصر والعراق حقوقا أكثرها يتناسب مع أمانى تلك البلاد التى لا تقل سورية عنها مدنية ورقيا اذا لم تـكن أعرق منها فقد وجهت القيادة العامة للثورة الوطنية السورية دعوة عامة الى جميع الأحزاب والهيئات العاملة للاشتراك فى هذا المؤتمر الذى يعقد بعيدا عن كل تأثير خارجى على ضوء المصلحة الوطنية الخالدة التى هى فوق كل اعتبار حزبى لتكون مقرراته نبراسا لـكل وطنى عامل ولتظهر سورية للملأ أجمع انها مازالت ولن تزال كتلة واحـدة كالبنيان المرصوص أمام دفع الطوارىء النازلة متناسية فى الأيام العصيبة كل مايسمونه احقادا ـ حزبية ـ هذا المؤتمر التاريخى الذى نعلن افتتاحه باسم الله والوطن وشهدائنا الأبرار الذين كتبوا عهد حريتنا واسـتقلالنا بدمهم الطاهر الزكى

فباسم المجاهدين المرابطين بالصحراء أرحب بكم يامندوبى الأحزاب الوطنية السورية واللجان العربية العاملة على تحرير الوطن المقدس موقتا . أيها الاخوان أن تجشمكم مشقة الحضور الى هذه الصحراء النائية ماهو الاجهاد فى سبيل الله والوطن واننا على ضوء مبادىء

الثورة الفرنسوية الخالدة ، مبادىء حقوق الانسان وعلى ضوء مبادىء تحرير الشعوب الضعيفة كما نعتها الرئيس ولسن ورجال الحلفاء الرسميون نجتمع معتصمين بحبل الله جميعا معلنين للملأ أجمع أن سورية لاتتنازل أصلا عن حقوقها المشروعة ووحدتها القومية الشاملة وأنها لاتدخر وسعا فى بذل جهودها التى تبوؤها مكانها تحت الشمس وعلى هـذا الأساس المقدس افتتح المؤتمر شاكرا للأمة السورية الكريمة تلبيتها هـذه الدعوة وظهورها فى جهادها بمظهر الرجل الواحد وأدعو حضرات المندوبين الكرام للشروع فى العمل ـ اهـ

وبدأ المؤتمر أعماله على الأثر فكرر عهود الاتفاق على مواصلة العمل لاستقلال سورية والتضحية فى سبيلها وقرر مايأتى :

١ ـ تجديد القسم على بذل النفس والنفيس الى آخر رمق فى سبيل انقاذ سورية واستقلالها ونيلها مطالبها وحقوقها كاملة

٢ ـ استنكار السياسة التى اتبعتها وتتبعها فرنسا فى سورية من اهمالها مطالب الأمة وطرائق المطل والتسويف

٣ ـ يعلن المؤتمر أن كل مايقع من نتائج الجهاد الذى تثابر عليه الأمة السورية فى سبيل استقلالها تكون تبعته على عاتق الحكومة الفرنسوية وحدها

٤ ـ الاحتجاج على تعطيل الجمعية التأسيسية

٥ ـ الاحتجاج على اعتداء اليهود وعلى الحكومة الفلسطينية التى تأخذ بناصرهم ضد العرب

٦ ـ المطالبة بالغاء وعد بلفور وتنفيذ العهود التى قطعتها انكلترا للعرب

٧ ـ مضاعفة الجهود لجمع الاعانات باسم تحرير سورية

٨ ـ شكر جميع المشتغلين بالقضية العربية على مابذلوه ويبذلونه من جهود

***

وساد الموقف على أثر ذلك سكون طويل شق حجابه الوطنيون فقد أرسل هاشم الاتاسى يوم ١٧ مارس سنة ١٩٣٠ الكتاب الآتى الى المندوب السامى :

أتشرف بأن أعرض اننى كنت قد رغبت فى الاجتماع بكم فى أوائل الخريف الماضى عند رجوعكم من باريس بأمل أن أصل معكم الى موقف يكون خادما لسياسة التعاون التى بدأنا بها بنبل وشرف

« ورغما عن ذهابى الى بيروت لهذه الغاية بقيت آسفا لعدم مشاطرتكم اياى هذه الرغبة فاكتفيت بتقديم مذكرة لمقامكم باسم مكتب الجمعية التأسيسية الذى أتشرف برئاسته وأقمت أنتظر نتيجة مساعيكم نحو التفاهم المرغوب واقرار الصلات بين البلادين على أساس متين . وهاقد مضت مدة طويلة والشعب السورى ينتظر هذه النتيجة المطلوبة حتى كاد اليأس يستولى على النفوس وأصبحنا نخشى أن لا يجد السوريون وسيلة للاستمرار على التعاون الذى ضحينا لأجله كثيرا ولذلك اتقدم اليكم راجيا أن تعينوا لى موعدا لمقابلتكم وأرجو أن يكون خلال الشهر الحالى لعلنا نتمكن مما نسترشد به من النيات الحسنة من تمهيد العقبات الحائلة دون تحقيق الأمانى واجتناب العواقب التى قد يولدها الاستمرار فى هذا الغموض »

وقد جرت المقابلة فى موعدها المقرر ودامت أكثر من ساعة أشار المندوب فى خلالها الى أنهم « سيقدمون قريبا على خطة تسير بنفس السياسة الحرة التى ابتدأ بها » وانتهت من دون ادراك نتيجة فأذاع الوطنيون يوم ١٥ منه بيانا مطولا وقعه رئيسهم بسطوا فيه الادوار التى مرت بها القضية وقالوا فى مقدمته :

يابنى وطنى

لقد ظلت بلادكم منذ الاحتلال الفرنسوى عرضة لألوان التجارب الفاشلة ومسرحا لأنواع السياسات المرهقة وأنتم تحاولون الوصول الى حالة مستقرة تنفى عنكم ضرر تلك التجارب وتقيكم سوء عاقبتها وظللتم تكافحون مكافحة سلبية مدة ثمانى سنوات انتهت بأن عقد الوطنيون مؤتمرهم فى بيروت يوم ٢٧ اكتوبر سنه ١٩٢٧ وقرروا فيه تذكير أولى الشان بان الأمة السورية على استعداد لمديد المصافحة والصداقة ونسيان الماضى المؤلم اذا وجدت تحقيقا لأمانيها وسيادتها القومية» ثم تكلم البيان عن انتخابات الجمعية التاسيسية وعن طلب السلطة حذف المواد الست وما تلا ذلك من وقف الجمعية ثم أشار الى طلب المندوب اضافة المادة ١١٦ الى نص الدستور ورفض مكتب الجمعية وختم البيان قائلا :

يابنى وطنى

« انكم قد حافظتم على السكينة والهدوء ابقاء على جو الثقة فى الوقت الذى يسير فيه اخواننا سكان الشرق الأدنى بخطوات واسعة نحو استقلالهم وتحقيق أمانيهم وأنتم

لا تزالون حيث كنتم منذ عشر سنين ثم رضيتم مع ذلك بما يراه اخوانكم فى بغداد بعيدا عن الوفاء ببعض حقهم ومطمعهم وقبلتم ما لا يزال يتذمر منه سائر اخوانكم فى الاقطار العربية ومع ذلك لم يزل يقال عنكم انكم قوم متطرفون لا تقدرون الالتزامات الدولية حق قدرها . ولكنكم كغيركم تفهمون أن هذه الالتزامات لاتحول دون ماتصبو اليه نفوسكم بل هى مما يمكن تأمينه فى المعاهدات

« لقد بسطتم يدكم للشعب الفرنسوى مدة سنتين لحال بينكم و بينه السياسة القائمة اليوم ولكن المكلف الفرنسوى لن يرضى أن ينفق ماله الذى يكتسبه بعرق جبينه فى سبيل حماية بعض الشركات التى يجب أن تعلم أن كل ماتبرمه الحكومات القائمة على هذا النظام الحالى من الاتفاقات والعقود المحلية على أنواعها مع أى طرف آخر تعتبره الأمة باطلا غير ملزم لها . والأمة الفرنسوية لن تقبل أن تظل عرضة لتحميل الآلام فى سبيل استعمار شعب أعزل وهضم حقوق امة آمنة ولئن استطاعت قوة السياسة الحاضرة أن تحول دون امتداد يد فرنسا الحرة الى يدكم فانها لن تستطيع ذلك الى الأبد بل لابد للاحزاب الحرة من يوم فى فرنسا واذ ذاك تصافح يدكم يدهم و يعلو الحق

أى بنى وطنى

ان تاريخ الشعوب حافل بالمواعظ والعبر فانه لن يدخل الوهن على قوم الا اذا اختلفت كلمتهم ولهوا عن مصلحتهم العامة بمصالحهم الخاصة واننا مارأينا قوما تركوا خصمهم الغريب ليشتغل بعضهم ببعض الا عرفنا أن ساعتهم قد دنت وذلهم حان وانى أعيذكم من هذا فاعتصموا بالاتحاد وهو السور المنيع يصد عنكم كل متهجم عليكم طامع فيكم وهو فى يدكم العزلى أقوى سلاح فى وجه القوة، اليه أدعوكم والى تناسى كل حزازة أو مصلحة تحول دونه يدعوكم ثرى بلادكم الملطخ بدماء شهدائكم »

٢٣

اعلان الدستور والانتخابات النيابية

و بينما كانت البلاد تنتظر من المسيو بونسو عملا ينقذ الموقف ويقودها الى الاستقرار الذى تنشده بعد ماملت الوعود وسئمت التسويف فوجئت يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٣٠ باعلان دستور سورية الجديد بقرار أصدره المندوب السامى يوم ١٤ مايو سنة ١٩٣٠ ونصه :

بناء على أعمال الجمعية التأسيسية لدولة سورية التى التأمت فى دمشق من ٩ يونيو الى ١١ أغسطس سنة ١٩٢٨ وعلى الآراء التى تبودلت بعد ذلك مع مكتب هذه الجمعية قرر المندوب السامى ما يأتى :

١ ــ تدار دولة سورية بموجب الدستور الملحق بهذا القرار

٢ ــ ان هذا الدستور المذاع والمنشور نصه كملحق لهذا القرار يوضع موضع التنفيذ بعد انتخاب أعضاء مجلس النواب الذى يعين موعد انتخابه فيما بعد بقرار من المفوض السامى

٣ ــ فى أثناء مدة الانتداب تنفذ الاختصاصات المنشأة بموجب الدستور بشرط الاحتفاظ بحقوق الدولة المنتدبة وواجباتها كما هى ناجمة عن المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم وصك الانتداب

« ان التحفظ المذكور فى المادة ١١٦ من الدستور لضمان موافقة هذا النص مع المبادىء التى تدار بموجبها حالة سورية الحاضرة بالنسبة للدولة المنتدبة وجمعية الأمم يكون له عمله الى أن تعقد مع حكومة قانونية معاهدة تحدد فيها من جديد برضى جمعية الأمم شروط تطبيق الانتداب وفقا للمبادىء المذكورة فى المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم مراعاة لما يكون قد تم من التطور والترقى »

وأرسل المسيو بونسو فى اليوم نفسه الى وزير الخارجية الفرنسوية كتابا سطر فيه تاريخ التحول الدستورى فى سورية وقال فيه :

أتشرف بان أبعث اليكم النصوص الرسمية التي يتالف من مجملها القانون الاساسى للدول المشمولة بالانتداب الفرنسوى وفقا لأحكام المادة الاولى من صك الانتداب لابلاغها الى أعضاء مجلس جمعية الأمم

تحدد هذه النصوص الأسس الحقوقية الخاصة بتنظيم البلدان التي يترتب على فرنسا العمل على تنميتها واسدائها النصح والمساعدة فى سبيل رقيها . ويمكن تعديلها برضى الدولة المنتدبة لتماشى الرقى وذلك اما بالوسائل الدستورية المذكورة فيها واما بمعاهدات تعقد مع الدولة المنتدبة واما باتفاقات فيما بين الحكومات ذات الشأن فى ظل الدولة المنتدبة »

وتكلم بعد ذلك عن دستور سورية الجديد فقال « ان دستور دولة سورية الذى نشر اليوم هو فى مجمله نسخة عن النص الذى كانت وضعته لجنة الانشاء فى الجمعية التأسيسية خلال شهرى يونيو ويوليو سنة ١٩٢٨ وكانت هذه الجمعية قد أحلته محله من الاعتبار يوم ٧ أغسطس

ولقد كانت الغاية من التعديلات المبدئية الوحيدة التي أدخلت عليه أن لايكون تطبيقه مانعا من القيام بالحقوق والواجبات التي تعود للدولة المنتدبة من الاتفاقات الدولية النافذة وعليه فقد عبر عن تحفظات الانتداب بمادة موقتة أضيفت الى الدستور وأوضح مداها فى قرار المفوض السامى . ويظل تأثير هذه المادة قائما حتى تعقد مع حكومة منشأة قانونيا المعاهدة التي يحدد فيها من جديد برضى جمعية الأمم شروط تطبيق الانتداب وفقا للمبادىء المذكورة فى المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم مراعاة لما يكون قد تم من التطور والترقى

أما التعديلات البسيطه التي أدخلت على النص الأصلى فقد تبودلت الآراء بصددها فى حينها مع مكتب الجمعية وكان من المنتظر أن يقبلها المكتب ـ اهـ

وصف الدستور والمادة الموقتة

ويقع الدستور الجديد فى ١١٥ مادة. ويتألف من ستة أبواب فالباب الأول يشتمل على أحكام أساسية وقد جاء فى مادته الأولى « سورية دولة مستقلة ذات سيادة » وجاء فى الثانية « سورية وحدة سياسية لا تتجزأ » وقالت الثالثة «سورية جمهورية نيابية دين

رئيسها الاسلام وعاصمتها مدينة دمشق والمادة الرابعة خاصة بالعلم السورى ونصها « يكون العلم السورى على الشكل الآتى : طوله ضعف عرضه ويقسم الى ثلاثة ألوان متساوية متوازية أعلاها الأخضر فالأبيض فالاسود على أن يحتوى القسم الأبيض منها فى خط مستقيم واحد على ثلاثة كواكب حمراء ذات خمسة أشعة » والفصل الثانى من هذا الباب فى حقوق الافراد والباب الثانى فى السلطات العامة والثالث فى المالية والرابع فى طرق تعديل الدستور والخامس أحكام مختلفة والسادس أحكام مؤقتة وتنطوى المادة ١١٦ التحفظية .وقد نشرنا نصها من قبل

صدى نشر الدستور

ولقد قوبل نشر الدستور على هذا المنوال بأشد مظاهر الاستياء والاستنكار فى سورية فأغلقت المدن وعطلت الأعمال وقامت المظاهرات فى كل مكان

واغتنم الوطنيون فرصة حلول الذكرى السنوية لافتتاح الجمعية التأسيسية وهو يوم ١١ يونيو فعقدوا اجتماعات عامة فى دمشق وحلب للاحتجاج على الدستور الجديد وقاومتهم السلطة فى دمشق وحالت دون اجتماعهم فى المكان الذى اختاروه فاجتمعوا فى مكان آخر وخطب جميل مردم بك الحاضرين باسم الكتلة الوطنية محتجا على تفرد السلطة الفرنسوية بنشر الدستور ومما جاء فى خطبته قوله : « أقدمت السلطة على نشر الدستور السورى وحدها وعلى مسؤوليتها فكبلته بالقيود الثقيلة على أن الوطنيين لن يتقيدوا بهاتيك القيود ولن يعترفوا بها وانهم ليبذلون قصارى جهدهم لتحقيق الدستور الذى سنته الجمعية التأسيسية طليقا من كل قيد ، سالما من كل علة ذلك الدستور الذى يمثل سيادة الأمة ويحفظ لها حقها فى وحدتها واستقلالها »

وأرسل جميل مردم بك فى نهاية الاجتماع البرقية الآتية الى المسيو بونسو فى باريس بعد ما أقرها المجتمعون :

« أرجوكم تبليغ البرقية الآتية الى جمعية الأمم

كلفتنى الجموع العظيمة التى احتشدت اليوم وأيدتها مدينة دمشق باضرابها العام أن أرسل الى جمعية الأمم احتجاجها على منع الجمعية التأسيسية من اتمام مهمتها وعلى اقرار

تجزئة البــلاد باصدار دساتير مختلفة وعلى المادة ١١٦ التى تعطل الدستور وتغاير الاستقلال القومى »

وعقد اجتماع عام فى حلب فى اليوم نفسه (١١ يونيو) خطب فيــه ابراهيم هنانو (رئيس اللجنة التى وضعت مشروع الدستور) ومما قاله « لقد أعلن المفوض السامى عدة دساتير أحدها دستور قيل انه دستور سورية ولــكن اذا نظرنا الى ما كان من تشويه ٢٣ مادة منه واضافة المادة ١١٦ اليه وقد عطلته كله وشلته نرى أن ماجرى ليس اعلانا للدستور بل تعطيلا للدستور »

وأرسل المجتمعون فى حلب برقية الى وزارة الخارجية الفرنسوية وأخرى الى جمعية الأمم قالوا فيها « ان انتصار القوى المسلح على الضعيف الأعزل بسلطة الانتــداب المقرون بالمطامع الاستعمارية يمثله صــدور الدستور السورى من قبــل المفوض السامى مستأثرا بتصحيحه و بتره ووضع مادة تحفظية ضمنت ذلك الفوز المناقض للمادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم وعهود الحلفاء للعرب الخ »

ولم تجد هــذه الاحتجاجات والشكايات ولم تحمل الفرنسويين على تغيير خططهم وأساليبهم فظل كل قديم على قدمه حتى ١٩ نوفبر سنة ١٩٣١ فأصدر المفوض السامى قرارا ختم به عهد الحــكومة الموقتة ودعا الأمة السورية الى الاشتراك فى انتخابات المجلس النيابى تمهيدا لتطبيق الدستور وهذا نص الوثائق التى أصدرها :

١ — كتاب الى رئيس الحكومة

دمشق فى ١٩ نوفبر سنة ١٩٣١

من المفوض السامى للجمهورية الفرنسوية فى سورية ولبنان

الى الشيخ تاج الدين الحسنى رئيس مجلس وزراء دولة سورية

فى الساعة التى يفتح فيها لسورية عهد تنفيذ القانون الأساسى المعلن فى ١٤ مايو سنة ١٩٣٠ رأى ممثل الدولة المنتدبة من الضرورى أن يقوم بنوع أكثر مباشرة بماله من المسؤولية لأجل تنفيذ صك الانتداب

وهكذا ينتهى النظام الموقت الذى كان من الواجب أن يسبق تنفيــذ القانون

الأساسي وذلك طبقا لما عرضه ممثلو الحكومة الفرنسوية الرسميون أمام جمعية الأمم ووافقت عليه هذه الجمعية

منذ أربع سنين تقريبا خلت وأنتم تتفضلون بمساعدتي على رأس الحكومة الموقتة وتقومون باعباء هذه الحكومة بالروح المحددة في التصريحات الرسمية التي كانت عينت سابقا بالاتفاق فيما بيننا سير هذه الاعباء ونهايتها

نصل اليوم الى آخر هذه المرحلة وأنتم مدعوون الى العمل الى جانب الذوات السامين الذين قاموا باعباء الحكم قبلكم منذ بدء الانتداب في المجلس الموكول اليه أمر مؤازرتي بآرائه في خلال العهد الذي نلجه اليوم الى أن تتألف حكومة نظامية معترف بها

وبهذه المناسبة يلذ لي بنوع خاص أن أعرب لكم عن تقديري الكلي للمؤازرة التي تفضلتم على باسدائها في ساعات كانت غالبا صعبة في اتمام مهمة كانت دائما دقيقة

ستجرى انتخابات حرة لتعيين أعضاء مجلس النواب في شهر يناير

وغاية قصدي أن تجرى هذه الانتخابات في جو أكثر مايمكن من التعاون النزيه الذي هو ضروري اليوم كما هو ضروري غدا لتأمين نجاح تطور الانتداب التدريجي وفاقا لمحتويات المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم وبمؤازرة جميع ذوى النيات الحسنة

تجدون طيه القرارات الثلاثة الصادرة في هذا اليوم والتي تحدد لعهد الانتقال هذا توزيع السلطات وكيفية القيام بها الخ

٢ — انشاء مجلس استشاري

وأنشيء مجلس استشاري لمساعدة المفوض السامي لأجل تنفيذ القانون الاساسي في سورية يكون أعضاء فيه حكما رؤساء الدولة السورية المتعاقبين ورئيس مجلس الشورى ورئيس محكمة التميز وعميد جامعة دمشق ورئيس مجلس سنجق اسكندرونة الاداري ورئيسا غرفتي التجارة في حلب ودمشق . ويجوز أن يشترك في اجتماعات المجلس الذين يرى المفوض السامي من المناسب استشارتهم ودعوتهم الى استماع آرائهم

٣ — تسيير اعمال الحكومة

وأصدر المفوض قرارا ثالثا قال فيه :

١ ـ الى أن ينفذ الدستور السورى وتتألف حكومة نظامية معترف بها يقوم بمصالح الدولة وزير العدلية ووزير المعارف ووزير المالية ووزير الاشغال العامة والزراعة وأمانة سر عامة تقوم موقتا بتسيير الأعمال العادية المربوطة بوزارة الداخليـة وبرئاسة المجلس طبقا للشروط المبينة فى مايلى :

٢ ـ تؤمن امانة سر الحكومة السورية العامة تسيير الاشـغال الجارية المربوطة بوزارة الداخلية تحت امضاء وزير عامل يعين لهذه الغاية وبمؤازرة مندوب المفوض السامى فى المجلس

جميع الوثائق الرسمية والقرارات والأوامر التى يجب أن يوافق عليها رئيس الدولة وفاقا للنصوص المرعية تجمع فى أمانة السر العامة قبل امضائها

يعطى الامضاء فى هذه الحال وزيران عاملان معا بواسطة امانة السر العامة وبمؤازرة مندوب المفوض السامى فى المجلس

وأخيرا تؤمن أمانة السر العامة اعلان جميع الاعمال الرسمية ونشرها فى الجريدة الرســمية

يقوم المستشار مندوب المفوض السامى لدى دولة سورية بالمراقبــة التى تخصه طبقا للنصوص المرعية وذلك بتماس مباشر مع أمانة السر العامة

٤ — المفوض يشرف على الانتخابات

وأصدر أيضا القرار الآتى :

١ ـ يقوم المفوض السامى للجمهورية الفرنسوية فيما يختص بأصول الانتخابات بالصلاحيات الخاصة الموكول بها الى رئيس الدولة بموجب قرار المفوض السامى عدد ١٨٨٩ الصادر فى ٢٠ مارس سنة ١٩٢٨ وعلى الخصوص الصلاحيات المنصوص عليها فى المواد ٣ و ٢٩ و ٣١ و ٤٢ و ٥١ و ٥٦ و ٩٥ الآتى ذكرها فى ملحق هذا القرار

اجتماع المجلس الاستشارى

وفى يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٣١ اجتمع المجلس الاستشارى فى دمشق فافتتحه المندوب السامى بخطبة طويلة قال فيها : « ان الحل الدائم للعلاقات بين سورية وفرنسا سيكون بعقد معاهدة وانه صرح بذلك من قبل يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٢٨ ثم جدد هذا التصريح يوم ١٤ مايو سنة ١٩٣٠ فى كتاب الى وزير الخارجية الفرنسوية وكرر ذلك امام لجنة الانتدابات الدائمة لجمعية الأمم يوم ١٧ يونيو سنة ١٩٣٠ وقال ان صمته ليس معناه عدم الاكتراث .

ثم قال ان الانتخابات تبتدىء غدا ٨ ديسمبر وانه ينوى أن يجعل يوم ٢٠ ديسمبر موعدا لانتخابات الدرجة الاولى على أن تجرى الانتخابات الختامية يوم ٥ يناير سنة ١٩٣٢ «ومن شأن هذه الانتخابات أن تمكن من تأليف حكومة نظامية شرعية فتفتتح عندما يأتى أوان المفاوضات التى تحدد العلاقات نهائيا بين فرنسا وسورية بمعاهدة ، ذلك لان المفاوضات التى يستطيع المفوض السامى أن يدخلها لاخراج عناصر القضية الجوهرية ولأجل الوصول الى حل يرضى الفريقين صاحبي الشأن على السواء ـ يجب أن تكون مع ممثلى سورية الشرعيين وحدهم »

مؤتمر الوطنيين وبيانهم

وعقد الوطنيون مؤتمرا فى دمشق لتقرير موقفهم وهل يشتركون فى الانتخابات أم يقاطعونها فأذاعوا يوم ١٠ ديسمبر البيان الآتى :

بنى الأوطان

هانحن اليوم أمام حلقة جديدة نرجو أن تكون أسعد حظا من سابقاتها فى سلسلة هذه التجارب . فقد دعا ممثل فرنسا الأمة السورية لممارسة حق من حقوقها بانتخاب مجلس نيابى تنشأ عنه حكومة دستورية تتولى المفاوضة مع فرنسا لعقد معاهدة تحدد العلاقات بين الدولتين وينتهى بها هذا الانتداب المفروض علينا فرضا بدون ارادتنا

أمام هـذا الحدث الجديد اجتمعنا وأطلنا المذاكرة باستعراض المـاضى واستشعار المستقبل ودرس الخطة التى يحسن بالشعب السورى انتهاجها حيال هذا الاتجاه الجديد فى السياسة الفرنسوية لنكون بمرصـد العامل اليقظان بهذا الدور الدقيق الذى يراد به انتقال البلاد من حالة معلومة كرهناها الى حالة مجهولة لانعرف مداها

وضعنا أمامنا صفحات تاريخنا القريب المؤلم والمصـائب التى اجتاحت بلادنا منـذ الحرب العامة الى الآن فلم نجد فيها الا بواعث الخيبة والاستنكار والدوافع الملحة بسرعة العمل للخروج من هذه المآزق المنذرة بالفقر والدمار

أخذنا بنظر الاهتمام البيانات التى ألقاها مندوب فرنسا لدى جمعيـة الأمم وبيانات ممثل فرنسا التى أعلنها فى هـذا الاسبوع بدمشق مع ما سـبقها من الأقوال الصادرة من المقامات الرسمية الفرنسوية فوجدناها جميعها قاصرة على أن فرنسا تنوى استبدال عقـد الانتداب الوحيـد الطرف بعقد عهـد ثنائى الطرف تتفاوض به وتعقده مع نواب الأمة الشرعيين الذين يوجدهم هـذا الانتخاب العتيد بدون أن يشار فى هـذه البيانات الى الأسس التى ستبنى عليها هذه المعاهـدة أو الى مدى الحقوق التى ستنالها سورية . وعبثا ذهبت المساعى المخلصة التى بذلناها لاستجلاء هذه الغوامض التى كنا نود جلاءها قبل الشروع فى الانتخاب لنكون على بينة من النتائج المنتظرة وعلى ثقة من امكان استمرار العمل لايصال البلاد الى استقلالها ووحدتها

بيد أنه لما كان الانتخاب حقا أساسيا تمارسه الشعوب لايجاد نواب يعالجون مقدراتها بالحرية التامـة ولايتقيدون بغير مصلحة الشعب الذين تقدموا لتمثيله والدفاع عن حقوقه فاننا بالرغم عن هـذا الغموض المحيط بالطريق الذى نحن قادمون على سلوكه ورغما عن السكوت العميق عن مطالب البلاد ورغبتها بأمر ضم أجزائها المتفرقة وتأسيس وحـدتها ورغما عن بقاء عـدد كبير من أبناء سورية مشردين فى الأقطار وممنوعين عن دخول اوطانهم منذ سنين عديدة ورغما عن العيوب الجمة المعترف بها فى قانون الانتخاب الحالى وعجزه عن ضمان الحقوق لأربابها ورغما عن بقاء الأوضاع الادارية الداعيـة للشكوك بحرية الانتخاب وسلامته ورغما عن عـدم ظهور حالات فعلية تساعد على ازالة الريبـة وتبعث شيئا من الطمأنينة فى النفوس البائسة قد شعرنا أن الواجب الوطنى يدعونا الى عدم

الغياب عن ساحة الجهاد فى هذه المرحلة الدقيقة التى تجتاز الأمة بها منقلبا خطيرا يتوقف عليها مستقبلها الى ماشاء الله من السنين

نحن الى اليوم تحت نظام انتداب وحيد الطرف فرض علينا فرضا وليس لنا به رأى ولا رضى ولكننا بحسب المنهاج الذى أعلنه ممثل فرنسا سندخل فى نظام معاهدة ثنائية الطرف يقبلها نواب الأمة و يسجلون بها عليها حجة تسد فى وجهها جميع مسالك الاعتراض فاذا لم تكن هذه المعاهدة ضامنة لحقوق الشعب وكافلة لنيل الأمانى الوطنية العادلة غيرمانعة للتطور الاقتصادى والسياسى والرقى القومى المنشود تكون قد جلبت على البلاد نقمة بدل النعمة ونقلتها من سىء الى أسوأ

فالأمة السورية اذن فى هذه الحقبة الصغيرة أشد ماتكون حاجة لسواعد أبنائها البررة ونجدة رجالها المخلصين ليتقدموا لميدان العمل وينتبهوا لما يراد بها من خير أو شر. حتى اذا كان خيرا تقبلوه لها وان كان شرا حالوا دونه وسعوا لانقاذها من غوائله

* * *

تحت هذا اللواء الوطنى الطاهر وهذه النيات البريئة قررنا متحدين دعوة الأمة للاشتراك معنا فى هذا الانتخاب غير مقيدين بما ظهر من الاحداث العابثة بحقوق الأمة وأمانيها ومعتصمين جميعا بالمبادىء القومية العزلاء من كل سلاح غير سلاح الحق والاخلاص ومعتمدين على الثقة الغالية التى شرفتنا بها أمتنا النبيلة وراغبين بأن نقابل كل نية صافية تبدو من جهة فرنسا بأصفى منها فلا نضيع فرصة حسنة لبلوغ الأمانى الوطنية المشتهاة ولا نفسح مجالا لاستمرار الظلامة والعبث بحقوق البلاد

الى الشعب السورى النبيل الذى أثبت فى أحرج الأوقات انه لايؤخذ بالتغرير ولا يجرى وراء الأوهام الخادعة ننشر هذه الدعوة المخلصة ليؤازرنا ويشد عزائمنا للمضى فى خدمة مصالحه والذود عن حقوقه ونحن واثقون ان الأطوار الصعبة التى اجتازتها البلاد منذ الحرب العامة الى اليوم كشفت الغطاء عن طوايا جميع الأشخاص الذين تقدموا لخدمة البلاد أو تولوا فروع ادارتها فلم تعد تنطلى عليها الوعود الزائفة فهى اليوم تعرف أين تضع ثقتها ومن الذين يعملون للوكالة عنها فى دعواها هذه المرتبطة بكيانها الأعلى

نحن لا نشك فى اتحاد الأمة النبيلة صفا واحدا فى هذه المرحلة الخطيرة ومنح ثقتها

لرجالها المخلصين المجربين . واذا نجت صفحات الانتخاب من العبث والارهاق لايدخل المجلس الا أصحاب الماضى الناصع والنية الطيبة الذين يعرفون كيف يتقبلون لها الخير ويدفعون عنها الشر

حوادث ٢٠ ديسمبر ووقف الانتخابات

ومن ينعم النظر فى بيان الوطنيين يتبين حسن النية والرغبة فى التفاهم مع الفرنسويين متوفرا فيه فقد أقدموا على الاشتراك فى الانتخابات وعلى خوض غمرتها من دون أن ينالوا ضمانة على عدم تدخل الفرنسويين فيها لتاييد أنصارهم . يضاف الى هذا ان رئيس الحكومة التى تشرف على الانتخابات وتديرها فرنسوى فقد عين المسيو بونسو مندوبه لدى حكومة دمشق واسمه المسيو سالومياك رئيسا للحكومة الجديدة وحدد مهمتها بادارة الانتخابات ومنح نفسه الاختصاصات الممنوحة لرئيس الدولة السورية فى ما يختص بالانتخابات مما هو مخالف للقوانين والأنظمة فلا يجوز عرفا ولا قانونا أن يتولى ولاة الأمور الفرنسويون ادارة انتخابات مجلس ، مهمته الرئيسية عقد معاهدة تحدد العلاقات بين سورية وفرنسا ومعنى ذلك أنهم ذوو مصلحة وان هذه المصلحة تقضى عليهم بتأييد أنصارهم ومشايعيهم وضمان الفوز لهم ليسيروا داخل البرلمان طبق التعليمات التى يصدرونها اليهم . ولقد جاء سير الحوادث مؤيدا لرأى المتشائمين الذين لم يحسنوا الظن بالسياسة الفرنسوية والذين كانوا يرون ان الفرنسويين يعملون لانشاء مجلس «مستسلم» يقر مشروع المعاهدة التى يقترحونها فيتم حل القضية السورية كما يشتهون فانه لم تكد رحى الانتخابات تدور حتى ظهر أن الفرنسويين استعدوا لها وأحكموا وضع خططها ، وفعلوا كل شىء لضمان فوز المرشحين الذين اختاروهم ليفوزوا على مرشحى الوطنيين مما أدى الى هياج الشعب فى معظم الدوائر الانتخابية وخصوصا فى دمشق فقد ثار ثورة عنيفة يوم ٢٠ ديسمبر وهاجم مكاتب الاقتراع وحطم صناديقها المحشوة بالأوراق المزورة فنثرها فى الهواء كما هاجم دار البلدية وكاد يحرقها لولا تدخل الجند ومقاومته له بالرصاص. وحمل أيضا على دار الحكومة ودار الشرطة ودارت معارك عنيفة فى الاسواق اشتركت فيها الدبابات والجند وسقط سبعة قتلى و ٢٥ جريحا وكاد الخطب يتفاقم لولا اسراع الفرنسويين بوقف

الانتخابات فى الساعة الثانية بعد الظهر وتعطيل أعمالها فاطمأن الشعب وهدأت الثائرة .
وجرى مثل ذلك فى حماه فقد اقتحم الشعب مكاتب الاقتراع وحطم صناديقها واعتدى على موظفيها وقتل اثنان وجرح كثيرون . وجرى ذلك فى دوما فأوقفت السلطة الانتخابات فى هاتين المنطقتين علاوة على دمشق وحمل الشعب فى حمص على مكاتب الاقتراع فتدخلت الحكومة وأقالت الموظفين الذين هم موضع شبهة وأبدلتهم بآخرين يثق بهم الشعب و يعتمد عليهم فسكنت الحالة

انتخابات حلب

واتخذت السلطة فى حلب شتى التدابير لضمان فوز مرشحيها وأنصارها فاستدعى المسيو لافاستر (مندوب المفوض السامى فى حلب) رؤساء الطوائف المسيحية واليهود (ولا يقل عدد المسيحيين واليهود فى حلب عن ثلث السكان) وأمرهم بأن يطلبوا حماية فرنسا للأقليات و بأن يدعو الى مقاطعة انتخاب النواب الوطنيين و ينتخبوا مرشحى السلطة وحدهم ومنعت السلطة مرشحى الوطنيين من اقامة حفلات انتخابية كما منعت تجولهم فى الأحياء واعتقلت أنصارهم فأرسلوا يوم ١١ ديسمبر البرقية الآتية الى المندوب السامى :
« حرية الانتخابات التى وعدتم بها رسميا أنتجت فضيحة لا مثيل لها . السلطة والحكومة والبلدية تآمرت على حرية الانتخابات . تحرش القوة المسلحة بالأهالى والحيل الشائنة وملء الصناديق مقدما تجعل الانتخابات غير شرعية ، نرمى تبعتها على مدبريها . خذوا علما بمقاطعتها » ثم أتبعوها بالبرقية الآتيـة الى وزارة الخارجيـة الفرنسوية « دخلنا الانتخابات بدون ضمانات على الرغم من نقائص قانون الانتخابات واستنادا الى وعود فرنسا بحرية الانتخابات . أعمال ممثليكم المسؤولين مباشرة تبرهن على عدم تنفيذ الوعد الابعاد والتوقيف والحجر على الصحف ومنع الاجتماعات ورفض اجازتها ومنع الزيارات الشخصية لبيوت المرشحين وتهديد الناخبين كل ذلك يجرى علانية . احتجاجاتنا لدى السلطات الفرنسوية لا تجدى . الرجاء العمل لاحترام وعد فرنسا » وأرسلوا أيضا فى اليوم نفسه الى جمعية الأمم البرقية الآتية : « طبقا لتوصياتكم و بالرغم عن خيبة آمالنا بالتفاهم مع الفرنسويين دخلنا الانتخابات بدون ضمانة اعتمادا على وعود فرنسا . السلطات الفرنسوية المسؤولة الحاكمة مباشرة ترهقنا وتمنعنا من مراقبة الصناديق وتضاعف التوقيف والنفى

وتصادر الصحف وتمنع الاجتماعات وتحاصر بيوت المرشحين وتهدد الناخبين وتحرمنا من مبدأ التعبير عن رأينا ومراجعاتنا بلا جـدوى . أنتم آخر ملجأ . نطلب حماية شعب مضطهد »

وبدأت الانتخابات صباح ٢٠ ديسمبر وكانت أسواق حلب مغلقة وغاصة بالجنود فقصـد الناس مكاتب الاقتراع مطالبين بتطبيق أحكام قانون الانتخاب فطردوا فذهبوا الى الوالى واحتجوا لديه فلم يلقوا انصافا فانسحب الوطنيون من الميدان بعـد ما اعتقلت السلطة زعماءهم وهكذا تم للسلطة اجراء الانتخابات فى حلب واعتبرتها شرعية صحيحة

ولما حل يوم ٥ يناير سنة ١٩٣٢ وهو الموعد المضروب لاجراء الانتخابات النهائية حشدت السلطة ستة آلاف جندى فى حلب وأنشأت ثلاثة خطوط عسكرية للدفاع : الأول أحاط بالبلدة من جميع نواحيها وطوله كيلو متر ونصف . وأحاط الثانى بمفارق الطرق القريبة من دار البلدية والحكومة . والثالث امتـد حول دار البلدية (دار الانتخاب) ودار الحكومة على مسافة ٥٠ مترا من كل جهة ونصبت المدافع فى القلعة وسلطت على المدينة وأقيمت أكياس الرمل فى الشوارع العامة ووضعت الرشاشات فى كل مكان

وسبقت السلطة فاعتقلت يوم ٢ يناير ثلاثة من مرشحى الوطنيين و٦٨ من أنصارهم وقبضت على نحو ٢٠ من الشباب الوطنى ومنعت الناخبين الثانويين يهودا ونصارى من مقابلة مرشحى الوطنيين ، ورغم ذلك لم ينسحب هؤلاء من الميدان بل ظلوا فى الحومة حجبا للدماء وانتهت الانتخابات وجاءت طبق النتيجة المقـدرة لها وهى فوز أنصار الحكومة وفشل مرشحى الوطنيين ويجب أن نعترف بأن السلطة سمحت لاثنين منهم بالحضـور فى دار البلدية يوم الانتخاب بصفة متفرجين لا يجوز لهم التدخل

ووضع الحلبيون مضابط وقعها ٢٠ ألفا منهم بالاحتجاج على هـذه الانتخابات الفاسـدة فأبى ممثل السلطة الفرنسوية تسلمها منهم فحملها هاشم الاتاسى رئيس الكتلة الوطنية الى المندوب السامى فقال له « ان انتخابات حلب كانت قانونية وأصحابك هم الذين تركوا صناديق الاقتراع فلو عملوا مثل ما عملت دمشق وقبضوا بيدهم على السارق لأوقفت الانتخابات . والآن لا يمكن اعادتها وليس من اختصاصى النظر فى المضابط بل ان ذلك من اختصاص المجلس النيابى فهو الذى ينظر فيها »

واضطربت الحالة فى حلب على أثر امتناع السلطة عن التدخل واعترافها بصحة الانتخابات فاقفلت المدينة أبوابها وعطلت أعمالها ٢٠ يوما احتجاجا وكثرت الاعتداءات وسقط عدد من القتلى والجرحى فاعتقلت السلطة ٨٥ من أنصار الوطنيين وزجتهم فى السجون وحاكمتهم بموجب نظام جديد سنه المندوب السامى وأسماه « نظام قمع الجرائم »[1] وفعلت مثل ذلك فى دمشق بعد وقف الانتخابات يوم ٢٠ ديسمبر فقبضت على ٧٣ وحاكمتهم بموجب النظام الجديد وحكمت على كثيرين منهم

اعادة الانتخابات فى دمشق وحماه

ودارت بعد ذلك مفاوضات بين الوطنيين فى دمشق وممثلى السلطة الفرنسوية للاتفاق على قاعدة تستانف بموجبها الانتخابات فتم التفاهم على أن يرشح الوطنيون ستة منهم ويتركوا للسلطة اربعة مقاعد ترشح لها أنصارها[2] وجرت الانتخابات الأولية يوم ٣٠ مارس والختامية يوم ٦ ابريل ففاز النواب الوطنيون كما فاز ثلاثة من مرشحى السلطة وفشل الثانى وهو رضا الركابى فاعيد الانتخاب يوم ٩ منه ففاز مرشح الوطنيين وهو نسيب البكرى

دعوة البرلمان الى الاجتماع

وفى يوم ٢ يونيو سنة ١٩٣٢ أصدر المفوض السامى قرارا بدعوة البرلمان الى الاجتماع بدورة استثنائية فى يوم الثلاثاء ٧ منه الساعة التاسعة صباحا لأجل وضع الدستور موضع التنفيذ . وحدد هذا القرار أعمال المجلس فى دورته هذه كما يأتى :

١ ـ انتخاب مكتب المجلس : رئيس ونائب رئيس وسكرتيرون وثلاثة مراقبين ٢ ـ انتخاب رئيس الجمهورية ٣ ـ التصديق على الانتخابات ٤ ـ تحديد راتب رئيس الجمهورية والتعويض السنوى لأعضاء المجلس على أن تختم الدورة بانتهاء هذه الأعمال

---

(١) وضع المفوض السامى هذا النظام وهو كثير الشبه بالأنظمة العرفية ويقضى بان يحاكم الذين يقبض عليهم بموجبه أمام المحاكم الأجنبية المؤلفة فى دمشق وحلب فورا

(٢) هذه هى أسماء مرشحى السلطة : محمد على العابد ورضا الركابى وحقى العظم ويوسف لينادو (نائب اليهود)

٢٤

عهد الجمهورية

لم تقدم السلطة الفرنسوية على دعوة المجلس النيابي الى الاجتماع الا بعد أن أعدت للامر عدته و بعد أن وثقت من تأييد أكثرية النواب لها وائتمارهم بأمرها فقد استطاع مندوب حلب فى الفترة الممتدة بين شهور يناير ويونيو أن يؤلف بين نواب المقاطعات الشمالية الذين ضمنت لهم السلطة الفوز وعددهم ٢٨ نائبا وينشئ منهم حزبا أسماه الحزب الحر الدستوري وحذا مندوب دمشق حذو زميله وصنوه فألف من نواب دير الزور وأقضية دمشق وحوران كتلة بلغ عدد أعضائها ٢٣ نائبا ومعنى ذلك أن السلطة ضمنت تأييد ٥١ نائبا من أصل ٦٩ نائبا هم مجموع أعضاء المجلس النيابي السوري . أما الثمانية عشر نائبا الباقون فيتألفون هكذا ٧ نواب للكتلة الوطنية فى دمشق وأربعة من حمص وثلاثة من حماه وانضم اليهم أحد نواب دير الزور ونائب المعرة فبلغ عددهم ١٦ نائبا هم كل ما كان للوطنيين من نواب ثم انضم اليهم واحد حل محل رئيس الجمهورية بعد انتخابه فصاروا ١٧ نائبا

ورشح الفرنسويون لرئاسة المجلس صبحي بركات زعيم الحزب الحر الدستوري وأوعزوا الى كتلة الجنوب (الكتلة التى جمعها مندوب دمشق) بتأييده فانتخب باتفاق ٥١ صوتا وحاز هاشم الاتاسي مرشح الوطنيين ١٧ صوتا . ثم أعلن ختام الجلسة على أن يجتمع المجلس يوم السبت ١١ يونيو لانتخاب رئيس الجمهورية

ورشح صبحي بركات نفسه لرئاسة الجمهورية بالاتفاق مع الفرنسويين باعتباره زعيم كتلة الشمال وحذا حقي العظم حذوه فرشح نفسه للرئاسة أيضا باعتباره زعيم كتلة

الجنوب وتظاهر الفرنسويون بالحياد ازاءهما لأنهما من أنصارهم ولأن فوز أى منهما هو فوز لسياستهم

وبحث النواب الوطنيون الموقف وكانوا يرشحون للرئاسة زعيمهم هاشم الاتاسى ، وبعد أخذ ورد طويلين وضعوا كتابا حمله جميل مردم بك ليسلمه الى السلطة الفرنسوية عند الحاجة يعلنون فيه انسحابهم من المجلس النيابى احتجاجا على الأساليب التى تسير عليها السلطة فى مضايقة النواب خارج المجلس وفى داخله لحملهم على انتخاب مرشحيها وأنصارها . ودارت مباحثات خاصة بين بعض أقطاب الوطنيين والفرنسويين الرسميين فأبلغ الأولون الآخرين انه اذا أصرت السلطة على التمسك بمرشحيها الاثنين (حقى العظم وصبحى بركات) فلابد للوطنيين من الانسحاب من المجلس واغلاق المدن الأربع احتجاجا (دمشق وحمص وحماه وحلب) وتعطيل كل عمل وشل الحركة الدستورية والقضاء عليها وفعلا فقد أضربت دمشق يوم الجمعة (١٠ يونيو) أى قبل الانتخاب بيوم واحد وعقدت اجتماعات عديدة فى المنازل وتم الاتفاق على القيام بعمل حاسم لاحباط خطط السلطة وتدابيرها

ورأى المسيو بونسو بعد ما تحقق من ثبات النواب الوطنيين وعزمهم على عدم الاشتراك فى أعمال المجلس أن تحل القضية حلا وسطا ، فوافق فى الساعة الثانية بعد منتصف ليل السبت ١١ يونيو أى قبيل الوقت المحدد لاجتماع البرلمان بسبع ساعات فقط على انتخاب محمد على العابد (أحد مرشحى السلطة فى انتخابات دمشق) رئيسا للجمهورية السورية على أن يتقلد حقى العظم رئاسة مجلس الوزراء وقبل الوطنيون هذا الحل انقاذا للموقف فذهبوا الى البرلمان صباح السبت واشتركوا فى الاقتراع وقد انتهى بفوز محمد على العابد بستة وثلاثين صوتا على ٣٢ حازها صبحى بركات

اول حكومة دستورية

وعملا بالاتفاق المعقود بين الوطنيين والسلطة ألف حقى العظم الوزارة الجديدة يوم ١٤ يونيو واختص بوزارة الداخلية كما تقلد سليم جنبرت من نواب الشمال وزارة الأشغال العامة واشترك اثنان من النواب الوطنيين فى الوزارة الجديدة فتقلد جميل مردم

بك وزارتى المالية والزراعة ومظهر رسلان وزارتى الحقانية والمعارف ومعنى ذلك آن الوزارات كانت فى هذه المرحلة مقسومة بالتساوى بين الوطنيين والانتدابيين : أربع وزارات للاولين يتقلدها اثنان منهما ووزارتان مع الرئاسة للآخرين ويتقلدهما اثنان منهما ، ولاشتراك الوطنيين فى الحكومة الجديدة على هذا المنوال معنى آخر فهم بذلك يرجعون ثانية الى الحكم بعد ما غادروه فى سنة ١٩٢٦ يوم اشتركوا فى حكومة الداماد الأولى

ولم يحجم الموظفون الفرنسويون عن وضع العراقيل فى طريق الحكومة الجديدة المصبوغة بالصبغة الوطنية مما جعل هؤلاء يفكرون فى الانسحاب وظهرت فكرة جديدة فى صفوف الوطنيين حينما حل زمن اجتماع البرلمان فى دورته العادية (شهر نوفبر سنة ١٩٣٢) ترمى الى عدم الاشتراك فى أعماله لعدم وجود فائدة منه ما دامت الأكثرية المطلقة بيد السلطة الفرنسوية تسيرها كيفما شاءت ولأن أسس المعاهدة التى يراد عقدها مجهولة و بعد مباحثات ومناقشات بين النواب الوطنيين أنفسهم أجمعوا أمرهم على دخول البرلمان فأذاع هاشم الاتاسى يوم ٤ نوفبر سنة ١٩٣٢ بلاغا على الأمة قال فيه « أقدم الوطنيون على خوض غمرة الانتخابات وهدفهم العمل على عقد معاهدة مع الحكومة الفرنسوية تضمن استقلال البلاد و وحدتها وتنتهى بها الأوضاع الشاذة التى كادت تقضى على حياتها السياسية والاقتصادية وقد مضى على ذلك خمسة أشهر لم نر فى خلالها من الجانب الفرنسوى اى مظهر من مظاهر التسهيل لمهمة الحكومة ولتطمين افكار الشعب على مصيره فرأينا أن الواجب يقضى بانسحابنا من المجلس النيابى ريثما تتبين أسس المعاهدة التى يجب ألا تقل عن المعاهدة العراقية الانكليزية الا أن المساعى المبذولة أخيرا جعلت الوزيرين الوطنيين وفريقا من اخواننا يعتقدون أن الاستمرار مرة أخرى على السياسة التى انتهجت سيساعد على تحقيق الأمانى القومية فلذلك رأينا لزوم التريث لنقيم دليلا جديدا على حسن النية التى لم يحجم الوطنيون عن اظهارها رغبة منهم فى الوصول الى حل يرتفع بالبلاد من هذه الحالة المرهقة الى حالة الاستقلال »

انسحاب الوطنيين من الحكومة والبرلمان

ولم تدم هذه التجربة طويلا فقد اضطر النواب والوزيران الوطنيان للانسحاب من الحكومة والبرلمان يوم ١٨ ابريل سنة ١٩٣٣ على أثر ظهور ما ظهر وهو أن مشروع المعاهدة الذى جاء به المسيو بونسو لا يحقق أمانى البلاد بالوحدة والاستقلال ولا يزيد عن أن يقر الحالة القائمة مما كان له أسوأ أثر فى النفوس واليك نص البيان الذى أذاعه هاشم الاتاسى وابراهيم هنانو باسم الوطنيين يوم ٢٠ ابريل :

ان الكتلة الوطنية بعد ما درست فى مؤتمرها الأخير المعقود فى دمشق الموقف السياسى الحاضر ومحصته من جميع وجوهه واطلعت على ماوصلت اليه المحادثات التمهيدية بشأن المعاهدة المنوى عقدها بين سورية وفرنسا أجمعت آراء أعضائها فى الجلسة المنعقدة يوم ١٨ ابريل سنة ١٩٣٣ على تفويضنا أمر النظر فى اختيار الخطة التى نراها أكثر موافقة للمصلحة الوطنية وأناطت بنا اعلانها

لذلك ولدى استعراض كل ماأحاط بالقضية السورية والحوادث والظروف وبعد الاسترسال بالمحادثات والآراء المتبادلة فى اجتماعاتنا المتكررة منذ عشرة أيام رأينا أن المحادثات التى جرت حتى الآن بين المفاوض السورى ورجال المفوضية العليا لن تخرج فى مجموعها عن نطاق بيانات المفوض السامى الأخيرة فى لجنة الانتدابات ولا تحتوى على أى اعتراف بالوحدة السورية التى قررت الكتلة الوطنية أن لا تجرى المفاوضات الا على أساس الاعتراف بتحقيقها وأعلنت ذلك فى بيان مؤتمرها المنعقد فى حلب بتاريخ ١٨ فبراير [١] المنصرم وان الاستمرار على التعاون لا يجوز الا مع وجود الصراحة من الجانب الفرنسوى فى أمر الوحدة وهذا لم يحصل حتى الآن

فالجانب الوطنى رغم مافى الاوضاع الحاضرة من شذوذ وعدم الاطمئنان لاسيا على

---

(١) جاء فى هذا البيان وقد أذيع على أثر مؤتمر عقده الوطنيون فى حلب مانصه :
« ورأى الوطنيون بعد استطلاع آراء مفكرى الشعب السورى أن يعلنوا للشعب الكريم فى الداخل والساحل تمسكهم بحق البلاد القائم على أساس الوحدة وان كل معاهدة أومفاوضة أعقد معاهدة مع فرنسا غير قائمة على هذه الأسس لاتكون جديرة بالقبول »

أساس اقامة مجلس مزيف فى أكثريته قد أظهر كل ما يمكنه من المسايرة والتساهل بحسن نية واخلاص أملا فى الوصول الى حل يحقق رغائب البلاد فى استقلالها ووحدتها فلا يجد عند الجانب الفرنسوى ما تستحقه هذه الرغبة الصادقة من الاعتبار لذلك نرى أن من الواجب عدم الاستمرار على سياسة التعاون التى بدأ بها الجانب الوطنى فى المجلس والحكومة ريثما تبدو من الجانب الفرنسوى بادرة تساعد على استئناف العمل

واننا لنغتبط بهذه المناسبة من تقدير الأمة لموقف الوزيرين الوطنيين اللذين تقدما باستقالتهما والنظر فى اعجاب واكبار الى ماعانياه فى خلال التجربة القاسية من مضض وماتحملاه من عناء فى سبيل تحقيق أمانى الأمة التى أولتهما ثقتها الغاليـة ونحمد للأمة موقفها الرصين الذى وقفته فى جميع الظروف العصيبة التى مرت بالبـلاد بجانب الكتلة الوطنية التى هى من الأمة واليها آملين أن تظل محافظة على وحدة صفوفها واتفاق كلمتها

٢٥

عرض المعاهدة ورفضها

واحجمت السلطة الفرنسوية عن عرض مشروع المعاهـدة على البرلمان بسبب انسحاب الوطنيين من الحـكم والبرلمان وأسرعت فاستدعت المسيو بونسو مندوبها السامى لسورية (شهر يوليو سنة ١٩٣٣) وعينت المسيو دى مارتيل خلفا له

والواقع ان الاشاعات التى شاعت عن مشروع المعاهدة وماينطوى عليه رجت البلاد رجة عنيفة فارتفعت الأصوات من كل مكان بطلب الوحدة الـكاملة لسورية وبالقضاء على التجزئة مما أقلق الفرنسويين وأزعجهم فسعوا لمقاومة الحركة الجـديدة بكل قواهم ودعوا نفرا من الموظفين فى حكومة اللاذقية واستـكتبوهم مضبطة بطلب الابقاء على الوضع القائم فى بلاد العلويين فساء ذلك الطبقة المستنيرة من أبناء تلك البلاد فعقدت مؤتمرا فى صافيتا باسم مؤتمر المسيحيين فى بلاد العلويين ويؤلف هؤلاء مع المسلمين نحو ٦٠ فى المئة من السكان قرروا فيه العمل للانضمام الى الوحدة وأيدهم عدد من زعماء العلويين أنفسهم وأقلق ماجرى الحـكومة فاصدرت قرارا بتطبيق نظام « قمع الجرائم » فى بلاد العلويين .

وحاول الـكبتان دزدريه مدير الاستخبارات فى جبل الدروز الحصول على مضبطة من شيوخ الجبل بتأييد الانفصال فأعد لذلك اجتماعا خاصا عقد فى قرية « قنوات » يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٣٣ حضره عدد كبير من الزعماء وانتهت تلك المناورة بالاخفاق والفشل

العمل للاتحاد القطرى

على أن حركة الدعاية للوحدة السورية مالبثت أن تحولت تحولا استوقف الأنظار فقد اغتنم بعض الأحرار فرصـة سفر المرحوم الملك فيصل الى أوربا لزيارة الملك جورج

ملك بريطانيا زيارة رسمية وذلك فى شهر يونيو سنة ١٩٣٣ فوضعوا مضابط وكلوا فيها جلالته فى حل القضية السورية على قاعدة توحيد سورية والعراق فى ظل عرش واحد

ولا يخفى ان فكرة توحيد القطرين فى ظل عرش واحد ظهرت للمرة الاولى فى سنة ١٩٣١ على أثر زيارة رسمية زارها جلالته لباريس فقد دارت بينه و بين بعض كبار الموظفين الفرنسويين محادثات فى هذا الشان أبدى فيها هؤلاء ميلا الى تحقيق هذه الفكرة على أن انشاء الجمهورية السورية فى شهر يونيو سنة ١٩٣٢ شغل الناس عنها ولم يطل الأمر حتى أدركوا أن الجمهورية الجديدة ليست سوى ألهية أراد الفرنسويون أن يلهوا بها وأنها لا تختلف عن الحكومات الأخرى التى أنشأوها فى خلال احتلالهم الا بالاسم فقط

وقد لقيت الدعاية لاتحاد القطرين فى هذه الفترة تأييدا كبيرا فوضعت دمشق وحلب وحمص وحماه و بيروت وطرابلس وجبلة وصيدا وصور وجبل عامل مضابط بطلب وحدة القطرين بتوكيل جلالة الملك فيصل وحملتها وفودهم الى عمان فى أول يونيو فسلمتها الى جلالته وفعل كذلك سوريو القاهرة فسلم باسمهم مؤلف الكتاب مضبطة الى جلالته حين مروره بها فوعد بالاهتمام بالأمر وأقلقت الحركة الجديدة الفرنسويين وجعلتهم يحسبون لها حسابا . بيد أن موت الملك وهو يستشفى فى برن (سويسرا) يوم ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣ جعلهم يتنفسون الصعداء

الفرنسويون يعرضون المعاهدة رسميا

ووصل الى بيروت يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٣ المسيو دى مارتيل المندوب السامى الجديد يحمل تعليمات صريحة من وزارة الخارجية الفرنسوية بعرض مشروع المعاهدة على الجمهورية و برلمانها و بالعمل لاقرارها بالاتفاق مع الوطنيين أو بدونهم لان رجال وزارة الخارجية اعتقدوا أن موت الملك فيصل فرصة يجب استغلالها

وجاء المسيو دى مارتيل الى دمشق على الفور وبدأ استشاراته ففهم أن البلاد السورية لايمكن أن ترضى عن معاهدة لا تحقق الوحدة وقيل له ان كل سعى يبذله لحمل البرلمان على اقرار المعاهدة محكوم عليه بالفشل فلم يصغ الى هذه الآراء السديدة بل مضى فى خطته فتبادل مع حقى العظم بصفته رئيس الحكومة السورية ومندوب رئيس الجمهورية

يوم ١٦ نوفبر سنة ١٩٣٣ توقيع مشروع المعاهدة الجديدة مع ملحقاته وقد أذيع فى دمشق رسميا يوم ١٩ منه وهذا نصه :

١ — مشروع المعاهدة

ان حكومة الجمهورية الفرنسوية والحكومة السورية بالنظر للتقدم الناتج من تطبيق المادة ٢٢ من عهد جمعية الأمم فى سبيل انشاء سورية كدولة مستقلة

و بناء على الرغبة التى أبدتها الحكومة الفرنسوية أمام جمعية الأمم فى عقد معاهدة مع الحكومة السورية مقدرة التطور الذى تم حتى الآن

و بناء على موافقة الحكومتين على تحقيق جميع الشروط المؤدية ، باتباع طرق صريحة لقبول سورية فى جمعية الأمم

فقد اتفقتا توصلا الى هذه الغاية على عقد معاهدة صداقة وتحالف تبنى على أسس الحرية التامة والسيادة والاستقلال لتحديد العلاقات التى تبقى بين الدولتين بعد انتهاء الانتداب و يعين فى الانفاقات الملحقة بها والتى توضع موضع التنفيذ فى ذات التاريخ الذى تنفذ فيه المعاهدة شروط وكيفية تطبيق بعض بنودها

وللوصول الى هذه الغاية بصورة أكثر ملاءمة فقد اتفق الطرفان الساميان المتعاقدان ايضا على أن يحددا بجلاء برنامج تطور المؤسسات الحاضرة فى جميع النواحى التى يكون واجبا فيها تعاون الحكومتين تعاونا حقيقيا صادقا لتحقيق الشروط التى وضعتها جمعية الأمم فى الناحيتين الداخلية والدولية وفاقا للمبادىء العامة التى فرضتها تلك الجمعية ليسوغ انهاء نظام الانتداب

ولهذه الغاية أفرغ الطرفان الساميان المتعاقدان اتفاقهما فى ثلاثة صكوك وهى :

أولا — معاهدة صداقة وتحالف

ثانيا — بروتوكول (آ)

بشأن الاتفاقات الملحقة بالمعاهدات والتى توضع موضع التنفيذ فى ذات الوقت الذى تنفذ فيه المعاهدة عند قبول سورية فى جمعية الأمم

ثالثا — بروتوكول (ب)

بشأن البرنامج المطلوب تحقيقه فى غضون المدة اللازمة لتطور المؤسسات الحاضرة

بطريق التقاعد وضمن نطاق القانون الأساسي بناء على انتقال المسئوليات الى الحكومة السورية تدريجا

لهذه الغاية فقد انتدب كل من رئيس الجمهورية الفرنسوية ورئيس الجمهورية السورية مفوضين عنهما

عن رئيس الجمهورية الفرنسوية الكونت دى مارتيل سفير فرنسا المفوض السامى للجمهورية الفرنسوية الحائز على وسام جوقة الشرف من رتبة كوماندور الخ . .

وعن رئيس الجمهورية السورية حقى العظم رئيس مجلس الوزراء الحائز على وسام جوقة الشرف من رتبة كوماندور الخ . .

وهما بعد أن تبادلا أوراق اعتمادهما ووجداها موافقة للأصول عقدا مايلى :

المادة الاولى ـ يقوم بين فرنسا وسورية سلم وصداقة دائمان

أنشيء تحالف بين الدولتين المستقلتين ذات السيادة تثبيتا لصداقتهما وللروابط التى تربطهما دفاعا عن السلم ومحافظة على مصالحهما المشتركة

المادة الثانية ـ اتفقت الحكومتان أن تتشاورا تماما وبدون قيد فى كل أمر يتعلق بالسياسة الخارجية من شأنه أن يمس بمصالحهما المشتركة كما انهما تعهدتا بان تتخذا ازاء الدول الأجنبية موقفا يلائم تحالفهما وأن تتجنبا كل مامن شأنه أن يسيء علاقتهما مع الدول الأخرى . تعين كل حكومة منهما لدى الأخرى ممثلا سياسيا

تضمن الحكومة الفرنسوية بواسطة عمالها حماية الرعايا السوريين ومصالحهم فى كل مكان

لاتكون الحكومة السورية ممثلة مباشرة وفاقا للتعامل الدولى المرعى بهذا الشأن

المادة الثالثة ـ سيتخذ الطرفان الساميان المتعاقدان جميع التدابير اللازمة ليتسنى منذ يوم انتهاء الانتداب أن تنقل الى الحكومة السورية وحدها الحقوق والواجبات الناجمة عن جميع المعاهدات والاتفاقات وسائر العقود الدولية التى عقدتها الحكومة الفرنسوية باسم سورية او المتعلقة بها

تساعد الحكومة الفرنسوية الحكومة السورية كل المساعدة لتسهل لها تعديل الاتفاقات والتعهدات الدولية التى قد تستمر لغاية هذا التاريخ والتى قد لاتكون موافقة

يستفيد الرعايا الفرنسيون وذوو التبعة الفرنسوية حكما من الحقوق التى قد تمنح عند حصول التعديل المذكور الى رعايا وذوى التبعة الأجنبية

المادة الرابعة ـ اذا نشب بين سورية ودولة أخرى خلاف أدى الى وضع من شأنه خطر قطع العلائق مع هذه الدولة فان الحكومتين تتشاوران لحسم هذا الخلاف بالطرق السلمية وفقا لأحكام ميثاق جمعية الأمم اولأى اتفاق دولى آخر يمكن تطبيقه فى مثل تلك الحالة

واذا وجدت الحكومتان رغم جهودهما المشتركة انهما مهددتان بخلاف مسلح فانهما تتشاوران حالا بشأن التدابير اللازمة للدفاع

المادة الخامسة ـ ان مسئولية المحافظة على النظام والدفاع عن سورية تقع على الحكومة السورية على انه فى سبيل تسهيل انفاذ الواجبات التى تترتب عليها بمقتضى أحكام هذه المعاهدة فان الحكومة الفرنسوية تقبل بأن تؤازر الحكومة السورية عسكريا مدة هذه المعاهدة وفاقا لمضمون الاتفاق الملحق

من المقرر أن بقاء القوى العسكرية الفرنسوية والجوية أوالبحرية لايعتبر احتلالا ولا يمس بحق السيادة لسورية

تظل هذه القوى والمؤسسات المربوطة بها خاضعة لنظام خارج اراضى الدولة وتبقى متمتعة بالحصانة والميزات التى تكون لها عند وضع هذه المعاهدة موضع التنفيذ

ستساعد الحكومة الفرنسوية على التنظيم والتعليم والتسليح وتجهيز القوى العسكرية السورية وقوى الدرك وفاقا لمضمون الاتفاق الملحق وستضع تحت تصرف الحكومة السورية البعثات والضباط الذين يرى الطرفان المتعاقدان وجودهم مفيدا لذلك وفقا للاتفاقية الملحقة بهذا الشأن

المادة السادسة ـ تضع الحكومة الفرنسوية تحت تصرف الحكومة السورية المستشارين الفنيين والقضاة والموظفين الذين يرى الطرفان المتعاقدان وجودهم مفيدا لأعمال بعض المصالح العامة وفاقا لمحتويات وتحديدات الاتفاق الملحق

المادة السابعة ـ تتعهد الحكومة السورية بالمحافظة على ضمانات الحق العام الدائمة

المنصوص عليها فى دستور دولة سورية لصالح الأفراد والجماعات وأن تعطى هـذه الضمانات كامل مفعولها . وتتعهد فيما يتعلق بحقوق الأقليات الجنسية والمذهبية وبأحوالها الشخصية أن تضمن لها معاملة تتفق مع المبادىء العامة التى قبلت بها جمعية الأمم فيما يختص بهذه الشئون

المادة الثامنة ـ الطرفان الساميان المتعاقدان يتفقان كل منهما فيما يخصه على أنهما يريان من المناسب بقاء حالة الاشتراك القائمة فى المصالح الاقتصادية فى جميع الأراضى الوارد ذكرها فى عهدة لندن المؤرخة فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ [1]

المادة التاسعة ـ عقدت هـذه المعاهدة لمدة خمس وعشرين سنة

سيكون للاتفاقات والعقود التى ستطبق نفس المدة المحددة للمعاهدة ما لم ينص فى متنها على مـدة أقصر أو أن يتفق الطرفان الساميان المتعاقدان على تمديدها مراعاة لأوضاع جديدة

يمكن بعد مرور عشرين عاما على تنفيذ هذه المعاهدة أن تفتح مفاوضات لتجديدها أو تعديلها اذا طلبت ذلك احدى الحكومتين

المادة العاشرة ـ ستصدق هذه المعاهدة ويجرى تبادل صكوك التصديق فى أقصر وقت ممكن وتبلغ الى جمعية الأمم

توضع هذه المعاهدة موضع التنفيذ فى الوقت الذى تنفذ فيـه الاتفاقات والعقود الملحقة بها والمنصوص عليها فى البروتوكول « آ » يوم دخول سورية جمعية الأمم

توضع العقود الملحقة المنصوص عليها فى بروتوكول (ب) والمتعلقة بالبرنامج المطلوب تحقيقه فى خـلال المدة التمهيدية موضع التنفيذ فورا عند الانتهـاء من تبادل صكوك التصديق على المعاهدة

المادة الحادية عشرة ـ اعتبارا من دخول سورية جمعية الأمم تسقط عن الحكومة الفرنسوية التبعات الملقاة عليها بموجب عهدة لندن المؤرخة فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢

المادة الثانية عشرة ـ حررت هذه المعاهدة باللغتين الفرنسوية والعربية وكلا النصين رسميان والمعول على النص الفرنسوى

(١) يراد بعهدة لندن، صك الانتداب لسورية وقد نشرنا نصه على الصفحة ٢٣٤ من هذا الجزء وما بعدها فليرجع اليه

اذا حصل اختلاف بشأن تفسير هذه المعاهدة أوتطبيقها ولم يمكن حسمه حسما نهائيا عن طريق المفاوضة مباشرة فالطرفان الساميان المتعاقدان يتفقان على أن يلجآ الى أصول المصالحة والتحكيم المنصوص عليها فى ميثاق جمعية الأمم

حرر فى أربع نسخ فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٣

٢ — ملحقات المعاهدة

بروتوكول (آ)

بشأن الاتفاقات والعقود التى ستوضع موضع التنفيذ فى ذات الوقت الذى تنفذ فيه المعاهدة عند دخول سورية جمعية الأمم

المادة الاولى ـ الطرفان الساميـان المتعاقدان متفقان على أن يتفاوضا ويعقدا بأسرع وقت :

١ ـ الاتفاقات العسكرية المدون مبدؤها فى المادة الخامسة من المعاهدة

٢ ـ الاتفاق المتعلق بالموظفين المنصوص عليه فى المادة السادسة من المعاهدة

٣ ـ الاتفاق القضائى واتفاقات الأقامة والاتفاقات المالية التى من شأنها تنفيذ أحكام عهدة لندن المتعلقة بمختلف هذه الشؤون

المادة الثانية ـ ستبلغ هذه الاتفاقات كلها وهى جزء متمم للمعاهدة الى جمعية الأمم وتكون نافذة منذ يوم دخول سورية جمعية الأمم الا اذا نص على خلاف ذلك

بروتوكول « ب »

بشان البرنامج المطلوب تحقيقه فى خلال المدة التمهيدية لكى يؤمن بطريقة التعاقد وضمن نطاق القانون الأساسى تطور المؤسسات الحالية لأجل نقل التبعات الى الحكومة السورية نقلا تدريجيا

المادة الاولى ـ الطرفان الساميان المتعاقدان متفقان على أن يعطى مفعول بأقرب وقت للمباحث الجارية المتعلقة بعقد عدة اتفاقات بشأن :

١ ـ المسائل العسكرية وتنظيم الجيش الوطنى

٢ ـ المسائل المالية المنوه عنها فى عهدة لندن المؤرخة فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢

٣ ـ حالة الموظفين الفرنسويين الداخلين فى خدمة الدولة

المادة الثانية ـ تشترك الحكومة الفرنسوية والحكومة السورية فى ادارة الشؤون الخارجية بطريقة تدريجية وفضلا عن ذلك فهى تساعد على اجراء التهيئة الديبلوماسية لنقل التبعات المنصوص عليها فى المادة الثالثة من المعاهدة

المادة الثالثة ـ لقد اتفق الطرفان الساميان المتعاقدان على ضرورة وجود دوائر للصالح المشتركة بين الأراضى المنوه عنها فى عهدة لندن المؤرخة فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢

ان تمشية هذه الدوائر ستكون موضوع اتفاق خاص يعتبر جزءا متمما للمعاهدة ويعقد فى أقرب وقت ممكن

المادة الرابعة ـ تتعهد الحكومة السورية أن تضع بالاتفاق مع الحكومة الفرنسوية القوانين الأساسية والأحكام التشريعية التى قد تكون ضرورية لتنفيذ الضمانات المدونة فى دستور دولة سورية الحالى لصالح الأفراد والجماعات وعلى الأخص فيما يتعلق بالمساواة أمام القانون (المادة ٦ و ٢٦) وحرية الضمير واحترام المصالح الدينية والأحوال الشخصية (المادة ١٥) وحرية الفكر (المادة ١٦) وحرية التعليم (المادة ١٩ و ٢٨) والقبول فى الوظائف العامة (المادة ٢٦) وتمثيل الأقليات المذهبية (المادة ٣٧)

المادة الخامسة ـ تتعهد الحكومة الفرنسوية بأن تساعد على ادخال سورية جمعية الأمم بعد تحقيق البرنامج المحدد فى المواد السابقة وحالما يسمح بذلك الرقى الحاصل

يوضع برنامج هذا التطور على أساس انتظار تحقيقه بمدة تقدر تقريبا بأربع سنوات

وتبادل رئيس الجمهورية والمفوض السامى بهذه المناسبة الكتب الأربعة الآتية :

— ١ —

الى المفوض السامى

عطفا على محادثاتنا الأخيرة بشأن معاهدة صداقة وتحالف بين فرنسا وسورية وبمناسبة توقيع هذه المعاهدة أرى من اللازم بيان وجهة نظر الحكومة السورية فيما يتعلق بالنظام الادارى للوائى (سنجقى) اللاذقية وجبل الدروز المستقلين (اوتونوم)

تعتبر الحكومة السورية ان لوائى اللاذقية وجبل الدروز هما جزء من سورية
انما تعترف الحكومة السورية أن الوضع الخاص لهاتين المنطقتين سيستدعى منحهما
نظاما خاصا

— ٢ —

عطفا على توقيع معاهدة الصداقة والتحالف بين فرنسا وسورية وعلى الرسائل التى
تبودلت فى بيان وجهة نظر حكومة الجمهورية السورية المتفقة مع وجهة نظر حكومة
الجمهورية الفرنسوية فيما يتعلق بالنظام الخاص للوائى اللاذقية وجبل الدروز وتمهيدا للتطور
الواجب الشروع فيه فى هذا السبيل أتشرف بعرض مايلى :

ان الحكومة السورية ترجو أن تتفضلو بأخذ التدابير اللازمة لربط مرجع القضاء
الأعلى (محكمة التمييز) والدوائر الوقفية فى اللوائين المشار اليهما منذ اليوم بالحكومة
السورية

فرد عليه المفوض السامى بالكتابين الآتيين

— ٣ —

الى رئيس الجمهورية

عطفا على محادثاتنا الأخيرة بشأن معاهدة صداقة وتحالف بين فرنسا وسورية
وبمناسبة توقيع هذه المعاهدة قد تفضلتم بكتاب بتاريخ اليوم يبين وجهة نظر الحكومة
السورية بما يختص بنظام حكومتى اللاذقية وجبل الدروز المستقلتين اداريا (اوتونوم)

وبعد تدوين هذه المراسلة اللطيفة لى الشرف أن أحيطكم علما بان موقف الحكومة
الفرنسوية تجاه هذه الأمور مع أخذ التطورات المقبلة فى نظر الاعتبار لايخرج عما جاء فى
عهدة لندن المؤرخة فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ ملخصا بما يلى :

ان الحكومة الفرنسوية مستعدة أن تبحث قبيل تقديم طلب دخول سورية فى
جمعية الأمم التعديلات التى يمكن أن تطرأ على الوضع الحالى للحكومتين المستقلتين اداريا
(اوتونوم) وأن هذا البحث سيشمل ليس فقط بمعنى نظام هاتين الحكومتين بل الشروط

التى يمكن بموجبها أيضا ايفاء ضمان الاستقلال الادارى والمالى اللذين تتمتعان بهما الآن وسيشترك بهـذا البحث ممثـلون مفوضون عن السكان صاحبي الشأن ولا يعمل بنتيجة هذا البحث الا بموافقتهم

— ٤ —

جوابا على كتابكم المبين وجهة نظر الحكومة السورية فيما يتعلق فى طلب ربط مرجع القضاء الاعلى (محكمة التمييز) والدوائر الوقفية فى حكومتى اللاذقية وجبـل الدروز بالحـكومة السورية لى الشرف أن أعلمـكم بانى مستعد لقبول هذا الطلب واجابة له فانى اتخذ منذ الآن جميع التدابير اللازمة ليمكن العمل بمقتضاها منذ يوم تصديق المعاهدة

دمشق تثور على المعاهدة

كانت استقالة سليم جنبرت وزير المعارف فى الوزارة العظمية يوم ١٥ نوفمبر أول احتجاج عملى على المعاهدة وكان قد انقطع من قبل عن الذهاب الى مكتبه فى الوزارة وأبلغ رئيس الجهورية ورئيس الوزارة أنه لا يسعه قبول معاهدة لا تحقق للبـلاد وحدتها ولا تزيد على أن تقر الحالة القائمة . وبذل الفرنسويون جهودا كبيرة لحمله على اسـترداد استقالته فلم يوفقوا فجاءوا له بأصدقائه و ببطريرك الروم الـكاثوليك (لأنه كاثوليكى) لاقناعه بالرجوع عن عزمه فلم يقبـل ودعاه المفوض السامى الى مقابلته فقابله وقال له ان الشعب السورى لا يمكن أن يقبل بعد جهاد ١٥ سنة معاهدة لا تحقق وحدة بلاده وأكد له أن الذين يزعمون ان فى استطاعتهم حـل النواب على اقرار المعاهدة المعروضـة على البرلمان يخدعونه ونصحه باستردادها وتعديلها على منوال يمكن قبولها معه

وعقـدت اجتماعات سرية فى أحياء دمشق واتفقت الـكلمة على رفض المشروع وقامت السيدات بمظاهرات وطنية يوم ١٨ منه وتألف منهن وفـد طاف منازل النواب يناشدهن الوطنية بأن لا يقبلوا معاهدة تقضى على مستقبل البلاد وتصفـدها بالاصفاد واتصل النواب الوطنيون بالنواب المعتدلين فتفاهموا وتعاهدوا على رفض المعاهدة و وضعوا بذلك مضبطة وقعها ٤٦ نائبا (أى الأكثرية المطلقة)

وعقد مجلس النواب جلسته يوم الثلاثاء ٢١ منه فوقف وزير المالية يخطب مدافعا عن المعاهدة وطالبا من المجلس اقرارها وما كاد ينتهى من خطبته حتى وقف أحد النواب وطلب توزيع المشروع على الأعضاء للمناقشة فيــه فأقر المجلس الطلب ووزع المشروع و وقف على الفور جميل مردم بك وتلا المضبطة الخاصة برد المعاهدة ونصها : ـ

الى رئيس المجلس النيابى الموقر:

لقد اطلع النواب الموقعون أدناه على نصوص المعاهدة التى وقعت عليها الحكومة وعرضتها على مجلسنا النيابى لاقرارها فوجدوها مناقضة لرغائب الأمة وغير ضامنة لمصالح البلاد من وحدة وسيادة واستقلال ولذلك فنحن نرى رد هذه المعاهدة وانتخاب لجنة مؤلفة من خمسة عشر نائبا لـكتابة قرار الرد ونقترح اجراء انتخاب اللجنة حالا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

وما كاد ينتهى من تلاوته حتى أبلغ المسيو فيير مندوب المفوض لدى حكومة دمشق وكان يشهد الجلسة وقد انسحب الى غرفة التليفون حينما بدأ جميل مردم بك يتلو المضبطة ـ رئيس المجلس ان المفوض السامى أصدر قرارا بتأجيل البرلمان الى يوم السبت ٢٥ منه وطلب منــه وقف الجلسة فأوقفها فورا بعــد ما سجل فى الضبط ما حدث من تلاوة المضــبطة مع ذكر أسماء النواب الذين وقعوها ودعى رئيس المجلس الى مقابلة المفوض السامى فقابـله فاقترح عليــه أن ينزع من ضبط الجلسة الجزء الخاص برفض المعاهدة بحجة انه جرى بعد تبليغ قرار التعطيل فأجابه أنه يستحيل عليه الاقدام على مثل هذا العمل خصوصا وقد جرى بحضور كثير من المستمعين فلم ير المفوض السامى حلا للمشكلة سوى استرداد المشروع من الحـكومة فأرسل يوم ٢٢ منه الـكتاب الآتى الى رئيس الجمهورية :

«ان الحوادث التى جرت خلال يوم ٢٠ و٢١ نوفمبر تؤلف بحد ذاتها برهانا كافيا على قــلة استعداد مجلس النواب للاشــتراك فى مسؤليات المعاهدة وعلى محاذير وضــع عبء المناقشة فى نص له هذه الاهمية ـ منذ الآن ـ على عاتق مؤسسة لم ترسخ فيها بالقدر الـكافى على ما يظهر ممارسة الاحكام الدستورية والتقاليد النيابية

« ويتبين ولا شك لكم كما تبين لى أن التدبير الوحيد الذى من شأنه تذليل هذه المصاعب هو استرداد النص المودع الى المجلس النيابى بكتابكم المؤرخ فى ١٩ الجارى وانى أعتمد عليكم فى هذا الاسترداد »

تعطيل البرلمان

وتناقلت الألسنة فى دمشق يوم الجمعة (٢٤ نوفمبر) أن الحكومة بالاتفاق مع السلطة قررت تأجيل البرلمان وأنها لا تسمح له بالاجتماع فى داره صباح السبت. وقد أيدت الحوادث هذه الاشاعة فتلقى رئيسه فى السهرة قرار المفوض السامى المؤرخ فى ٢٤ وهو يقضى بوقف أعماله سحابة الدورة البرلمانية القائمة لأنه «خرق تحت تأثير المظاهرات المثارة قبل وفى خلال جلسة المجلس النيابى يوم ٢١ نوفمبر أحكام المادتين ٤٤ و ١٠٠ من الدستور بمناقشته فى موضوع غير مشروع الميزانية وقبل أن يودع المشروع الى لجنته»

وقصد النواب دار البرلمان صباح السبت ٢٥ منه لعقد جلستهم فألفوها مغلقة والجند محدق بها ولما حاولوا الدخول منعهم الشرط بالقوة فقصدوا دار رئيسهم وهى فى داخل دار البرلمان فعقدوا جلسة حضرها ٤٤ نائبا برئاسة الرئيس وأصدروا فى ختامها القرار الآتى وأبلغوه الى رئيس الجمهورية والمفوض السامى ووزارة الخارجية الفرنسوية وجمعية الأمم ونصه :

اننا نحن النواب الموقعين أدناه قررنا فى الجلسة المنعقدة بتاريخ ٢١ نوفمبر رد المعاهدة الموقعة من قبل الحكومة والتى عرضت على مجلسنا لأنها مناقضة لرغائب الأمة وغير ضامنة لحقوق البلاد من وحدة وسيادة واستقلال فبينما كنا نتوقع أن تستقيل الحكومة التى سقطت بحكم سقوط المشروع المقدم من قبلها فاذا بنا نفاجأ بتأجيل المجلس والغاء الدورة الحاضرة . ولما كان هذا العمل هو خرقا للدستور وانتهاكا لحرمته فنحن نؤيد رفضنا للمعاهدة المذكورة ونعتبر أن الحكومة القائمة هى ساقطة دستوريا وان كل عمل تقوم به هو غير مشروع ، وانما كنا وما زلنا حريصين على توطيد العلائق بيننا وبين الأمة الفرنسوية النبيلة على أسس تضمن حقوقنا ووحدتنا واستقلالنا فاننا

نعتقد أن هـذا التدخل المنـكر حتى بحياتنا الداخلية يجعلنا نرتاب فى المستقبل ويعرض العلاقات بين الأمتين الى التوتر فاننا نحتج على هذا التأجيل ونعتبره لاغيا ونعد الحكومة ساقطة وقـد فوضنا أمر متابعة العمل الى لجنـة مؤلفة من صبحى بركات وهاشم الاتاسى وجميل مردم بك وفائز الخورى ونقولا جانجى ونورى الاصـفرى ونسيب الـكيلانى وعفيف الصلح

وعليه فاننا نرجو منـكم أن تبلغوا صورة من هذا القرار الى المفوض السامى والى وزارة الخارجية الفرنسوية

وثيقتان رسميتان عن المعاهدة

ومن المفيـد أن نثبت هنا نص الـكتابين اللذين تبادلهـما رئيس المجلس النيابى ومندوب المفوض السامى لدى حكومة دمشق فى صدد المعاهدة وتاجيل البرلمان لما لهما من الشان الخطير

فقـد ارسـل منـدوب المفوض يوم ٢٤ نوفبر الى صبحى بركات رئيس المجلس النيابى الكتاب الآتى :

فى أثناء جلسة مجلس النواب يوم الثلاثاء الأخـير ٢٩ الجارى اضطررت أن أتلو قرار المفوض السامى بتاريخ ٢١ نوفبر القاضى بتعليق مناقشات المجلس النيابى حتى السبت فى ٢٥ منه

ان نص هذا القرار أسلمه اليك فى صباح اليوم نفسه حضرة مسيو لافاستر المندوب المعاون فى حلب

وفى ظنى انى ملزم بذكر الظروف التى فيها جرى تدخلى

لقد سألك أحد النواب عما اذا كان نص المعاهدة قـد طبع ، فوزعته ، وللحال قامت مناقشة عامة فى المعاهدة دون ان يبـدو أى تدخل من مكتب المجلس من شأنه أن يحول دون هذه المناقشات التى كان يجب الا تجرى : أولا ـ لأن مشروع المعاهدة الذى عرضته الحـكومة لم يكن أرسل الى اللجنة . ثانيا ـ لأن اللجنة المـكلفة بدرس الموازنة لم

تـكن ألفت . ثالثا ـ لأن المعاهدة لم ترسل الى اللجنة

وفى هـذه الظروف قام النائب جيل مردم بك الى المنبر ليتلو وثيقـة أخرجها من جيبه

ومنـذ ما بدأت تلاوة هـذه الوثيقة تلوت قرار المفوض السامى القاضى بتعليق مناقشات البرلمان

أى ان تلاوة مردم بك (للضبطة) لا يمكن أن تتابع الا بعد الابتداء من تدخلى القاضى بوقف المناقشات

وعدا ذلك فان مردم بك مد يده بالوثيقة الى أحـد السكرتيريين البرلمانيين ولـكنه أعادها حالا الى جيبه ، وعليه فان الوثيقـة لم توضع بين أيدى مكتب المجلس لـكى تضم الى أوراق البرلمان

وفى أثناء حـديث جرى لك يوم ٢٢ الجارى مع المفوض السامى بحضور مسيو لافاستر وحضورى أنا اعترفت : أولا ـ ان المكتب لم يتدخـل لايقاف المناقشة التى بدأت متجاوزة على القواعد الدستورية والتقاليد البرلمانية . ثانيا ـ انه عنـد ما وقع تدخلى لم يكن جيل مردم بك قـد انهى تلاوة المضبطة . ثالثا ـ ان تلاوة أسماء الموقعين على هذه الوثيقة لم تـكن قد بدأت

وانى أذكر هذه الايضاحات التى صدرت منك لا ثبت أن تلاوة المضبطة لم تـكن انتهت عنـد ما وقع تدخلى و بناء على ذلك فان نص هـذه الوثيقة لا يصح ان يظهر فى محضر الجلسة

على أنه نمى الىّ أن شيئا من هذا لم يكن وانك قررت أن تذكر فى محضر الجلسة نص المضبطة الحرفى بما فيه الأسماء التى تحملها واتباعه بنص قرار المفوض السامى الذى تلوته دون أى شئ آخر

وانى منذ الآن أبدى أشد التحفظات على قيمة هذا المحضر الذى وضع على هـذه الصورة لأنه يشوه حقيقة الوقائع

وترانى مضطرا أن أزيد انه لا تمـكن الثقة بمثل هـذا المحضر ولو أنه فاز بتصديق المجلس فى جلسته المقبلة

فرد عليه يوم ٢٧ منه بالكتاب الآتى :

من رئيس المجلس النيابى فى الجمهورية السورية الى مندوب المفوض السامى فى دمشق

أتشرف بأن أعلمك بوصول كتابك رقم ١٣١٤ بتاريخ ٢٤ الجارى

يظهر أن خطورة القضية التى كانت موضوع كتابك معدة لأن تكون ذات أهمية كبرى فى تاريخ سورية وربما للاعتداء على الحياة البرلمانية فى البلاد ولذلك أرى من واجبى أن أجيب على كتابك مع الرجاء أن تضيف نسخة من جوابى هذا الى نسخة من كتابك وتبعث بهما الى المراجع العليا لكى تسمح لها بذلك أن تطلع على رأى الفريقين فى هذه القضية الخطيرة

ففى الفقرة الأولى من كتابك تقول انك فى أثناء جلسة الثلاثاء ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣٣ دفعت الى تلاوة قرار المفوض السامى المؤرخ فى ٢١ منه القاضى بتعليق مناقشات المجلس النيابى الى ٢٥ من هذا الشهر وان نص هذا القرار أبلغ الىّ فى صباح ذلك اليوم بعناية المسيو لافاستر المندوب المعاون فى حلب ثم تقص ماجرى فى تلك الجلسة كما استطعت أن تحفظه

قلت انك دفعت الى تلاوة قرار العميد السامى مما يبرهن على أنك كنت تحمله فى جيبك من قبل الجلسة وانك كنت تتحين الدقيقة الملائمة لتلاوته ولكنك لم ترد أن تعرفنا بهذه الدقيقة فاذا كان قرار التعليق قد أعد للحالة التى فيها يتناقش المجلس فى أى موضوع غير موضوع الموازنة كما تلمع الى ذلك فى الفقرة الرابعة من كتابك فوجب أن تقع هذه التلاوة تماما فى الدقيقة التى بدأ فيها وزير المالية المناقشة باسم الحكومة فالمسؤولية الناتجة عن تأخير هذه التلاوة الى ما بعد القرار الذى اتخذه المجلس بشأن المناقشة فى المعاهدة انما تقع عليك وعليه ليس من العدل أن تلقيها على الآخرين

أما فيما يتعلق بتسلمى نص قرار المفوض السامى فى صباح يوم الجلسة نفسه فانى أعترف بأنى لم أتسلمه الا بعد الجلسة ، وعلى ذلك حفظته فى أوراق البرلمان بصفة

وثيقـة ، ولم يكن على الا تقيد واحـد ازاء المفوض السامى وهو أن أمنـع فى قلب المجلس كل غوغاء يمكن أن تسبب اهانة للوزراء أو بعض الكلمات الموجهـة اليهم وهذا ما صار ابلاغـه الى المفوض وانى أعلن انه ليس فى تاريخ البرلمانات جلسـة أكثر هـدوءاً وأكثر سكينة من جلسة الثلاثاء فى ٢١ منه ـ هذه الجلسة التى طرحت فيها على المناقشة مقدرات البلاد فقد قمت بتعهدى ولم يرفع الى المفوض أى حادث من النوع الذى كان مقدرا

وعنـد سردك وقائع الجلسة تقول فى كتابك ان نائبا سألنى عما اذا كان نص المعاهدة قـد طبع فأسرعت بتوزيعه وقامت على الأثر مناقشة ولم يقع أى تدخـل من مكتب المجلس من شانه أن يحول دون هـذه المناقشة التى لم يكن يجب أن تقع ولـكنك لاحظت ولا شك أن وزير المـالية كان اذ ذاك على المنبر آخذا بتلاوة خطابه الطويل الذى يدافع به عن المعاهـدة ، واسمح لى بان أذكرك ان القرار الذى كنت تحـمله كان يجب أن يتلى تماما فى الدقيقة التى دخل فيها المناقشة الوزير الذى سمح لنفسه بأن يخالف منطوق القرار الذى له اطلاع تام عليه والذى وضع طبعا بالاتفاق مع الحـكومة ، واذا كان قطع المناقشـة ضروريا فواجب التدخل يقع عليك أولا ثم على الحـكومة لأن المعاهـدة أحيلت الى المجلس وبالتالى كانت تحت تصرفه وفاقا لمرسوم رئيس الجمهورية رقم ٢٠٥٤ ـ ١٦٩٩٦ ـ ٥٦٧٧ بتاريخ ٢٠ نوفـبر كما يؤيد ذلك تحويل الحـكومة بتاريخ ٢٠ منـه وبأكثر ايضاح بلاغ المفوض السامى الى الصحافة بتاريخ ١٩ منـه الذى يعلن فيه « ان المعاهدة طرحت على مجلس النواب ومن العبث التدليـل على أهمية المناقشات القادمة وان المجلس مدعو اليوم ليقول كلمته فى نص المعاهدة التى طرحت عليه » (وفقا للنص العربى الذى حمل النواب على طلب المناقشة واثارة أفـكار الأمة)

ولا يخفى عليك انه متى طرح مشروع على المجلس وتقررت المناقشة فيه فان المناقشة تتناول أولا مجموع المشروع حتى اذا قبـل أحيل الى اللجنة ولـكن فى حالة رفضـه لا يبقى لزوم لاحالته وعليه فان المناقشة فى المشروع التى أثيرت مرارا من قبل الحـكومة وتلاوة السكرتير البرلمانى نصه كل ذلك جرى على مسمع ومرأى منك ومن بعد ذلك قام النائب

جميل مردم بك الى المنبر وتلا مضبطة النواب ومن المدهش حقا أن تنتظر سعادتك نهاية هذا الحادث حتى تتلو قرار المفوض السامى

واذا كنت سعادتك على عكس ذلك تتحين الفرصة الموافقة لتلاوة القرار ، أو لو كنت اعطيتنى نسخة عنه لكنت كلفت أحد السكرتيرين تلاوته بالعربية حتى يفهم المجلس ما تريد أن تعلنه ولكنك عملت بطريقة أخرى ثم لم تختر الوقت المناسب لتلاوة القرار الذى تلوته بالفرنسوية ومن ذلك نتج الموقف العصيب لسعادتك والقلق والاضطراب للبلاد

وأرى من الضرورى أن أعيد عليك باجمال أمين الحوادث التى جرت فى هذه الجلسة فافسح لك المجال لتنقيح بعض اخطاء قد تكون حفظتها فى ذاكراتك سواء من جراء ترجمة سيئة أو من جراء عدم الانتباه

لقد طلب النواب ان يوزع عليهم مشروع المعاهدة فلم يسع الرئاسة منعه أو انكار وجوده لا سيما بعد بلاغ المفوض السامى للصحف المعلن بان المعاهدة تحت تصرف المجلس فوزعته وقام أحد النواب فالقى خطابا طويلا حول المشروع وفتح المناقشة فطلب وزير المالية الكلام باسم الحكومة وصعد الى المنبر ودخل فى صميم المعاهدة وبحثها طويلا وعند ذلك طلب نائب تلاوة النص فكان ماطلبه وحينئذ وقف جميل مردم بك وطلب من الرئيس الكلام وتلا مضبطة النواب وعندما أوشك الانتهاء منها ولم يبق له غير سطر أو بعض السطر وقفت سعادتك وبدأت بتلاوة قرار المفوض السامى . هذه هى حقيقة ما جرى فى جلسة ٢١ نوفمبر وهى الحقيقة التى سجلت فى محضر الجلسة المذكورة

وتقول سعادتك فى كتابك ان جميل مردم بك بعد أن مد يده بالمعاهدة الى أحد السكرتيرين البرلمانيين سحبها ووضعها فى جيبه وهكذا لاتكون قدمت الى قلم المجلس . انى لا أستطيع أن ابين لك السبب الذى حدا بجميل مردم بك الى استرجاع هذه الوثيقة ولربما كان بسبب الضجة التى أحدثتها تلاوة قرار المفوض السامى فى وقت لم يكن مناسبا ومن المؤكد انه ليس من الصعب أخذ هذه الوثيقة عند افتتاح المجلس وضمها الى اوراق البرلمان وليس هذا بالأمر المهم ولتسمح لى سعادتك ان اذكرك بانك نفسك فعلت مثل ذلك

وبشت ان تدون ايضاحات فهت بها عند المفوض السامي بحضور مسيو لافاستر وحضور سعادتك و بالحقيقة انى لا استطيع ان افهم كيف اتخذت منها هـذه الحجج التى عليها تبنى كل هذه الاستنتاجات الخطيرة المدونة فى ختام كتابك .

ان مكتب المجلس لم ير من واجبه ايقاف المناقشة فى المعاهدة لأنه :

اولا ـ كان من واجب سعادتك وانت تحمل قرار العميد ومكلف بتلاوته ان تتلوه ولم تفعل

ثانيا ـ لم يكن على الحكومة ان تدخل فى المناقشة وان تسمح لأحـد اعضائها ان يمتدح معاهدتها و يطلب درسها

بناء عليه اكون لك مدينا جدا اذا لم تعن كثيرا بالدفاع عن القواعد الدستورية والتقاليد البرلمانية فسعادتك تعرف جيدا من يتجاوز عليها ومن لا يحترمها

اما القسم الثانى من التصريحات التى عزوتها الى والتى تتعلق بان جميل مردم بك لم يكن انهى تلاوة المضبطة عنـد ما بدأت تلاوة القرار فقد قات واعيـد القول انه لم يكن باقيا سوى سطر او بعض السطر عند ما وقفت وبدأت بتلاوة قرار المفوض السامى الذى كان يجب ان يتلى قبل دخول وزير المالية فى المناقشة

واخيرا ان جميل بك لم يقرأ تواقيع النواب لأن العادة جرت ان لا تقرأ التواقيع فى الجلسة وانما تؤخذ فى آخرها للسبب البسيط وهو اذا وجب كل مرة ان تتلى التواقيع فى الوثائق الواردة الى الرئاسة كالتقارير والمشروعات والاستدعاءات والبرقيات الى آخره فلا يبقى وقت للعمل

هـذه ايضاحات قد أردت ان تعلق عليها أهمية كبرى وما هى فى الحقيقـة سوى مسائل بسيطة لا يمكن استخدامها أساسا لنتائج خطيرة كالتى أردت استنتاجها فى سبيل تبرير الخطر .

ولا أخفى عليك ياحضرة المندوب دهشتى من كتابك وعجبى من التحفظات التى بينتها فى آخر هذا الكتاب فاسمح لى على كل حال أن أختصر لك جوابى فيما يلى :

١ ـ ان جلسـة مجلس النواب يوم الثـلاثاء ٢١ نوفمبر كانت هادئة جـدا ولا يمكن أن تـكون جلسة برلمانية فى العالم تبحث فيها مقدرات الأمـة أكثر هدوءا منها

٢ ـ ان الرئاسة قامت بواجبها وطبقت النظام الداخلى واحترمت القواعد الدستورية ولا يطلب منها ولا يمكن أن يطلب منها أكثر من ذلك

٣ ـ ان الحكومة التى أبلغتها تعليماتك برفض كل مناقشة فى المعاهدة ارتكبت خطأ بسماحها لأحد أعضائها بالدخول باسمها فى المناقشة

٤ ـ ان سعادتك لم تحسن اختيار الوقت المناسب لتتلو قرار المفوض السامى وهو ما عرض موقفك الى هذه النتائج

٥ ـ ان التحفظات التى أردت ابداءها على محضر الجلسة لا يمكنها أن تقلل من قيمته المشروعة التى تبقى برهانا قاطعا لبيان الحقيقة ولتبقى أساسا لتقرير الموقف

٦ ـ ان أدهش عبارة لاحظتها فى كتابك هى عبارة التحفظ الأخير وفيها تعلن عدم الثقة بامثال هذه المحاضر حتى ولو صدق عليها المجلس فى جلسته القادمة مما يجعلنا نفهم انك تريد ابطال أعمال المجلس قبل أن يلتئم ويعلن رأيه

وتفضل ياحضرة المندوب بقبول فائق اعتبارى

بيان الوطنيين

وانتهت هذه المرحلة الرهيبة من مراحل الجهاد السورى بفوز الأمة فوزا مبينا وبتوحيد صفوفها واجتماع كلمتها فاذاعت الكتلة الوطنية يوم ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٣ بيانا الى الشعب السورى الكريم هذا نصه :

غداة المعركة الرهيبة التى خاضتها البلاد دفاعا عن كرامتها ترى الكتلة الوطنية واجبا عليها أن تقدم بين أيدى الأمة الكريمة بيانا وجيزا تلخص فيه الحوادث وتضع الأشياء فى مواضعها حتى لايشوه أحد صفاء هذه الصفحة اللامعة التى كتبتها الأمة فى تاريخ جهادها القومى

وهى تحرص قبل كل شىء على أن تحيي الأمة النبيلة رجالها ونساءها تحية تقدير واكبار لموقفها العظيم من الخطر الداهم اذ نهضت صفا واحدا جبارا تسمع صوتها وتستبسل فى الدفاع عن حقها المقدس وتغمر بمظاهر العطف والتأييد رجالاتها الوطنيين المخلصين وتجهر بالسخط على الذين اشتروا الضلالة بالهدى وتنكبوا النهج القويم

وبعد فان الامة السورية التى مازالت تجاهد منذ أعوام طويلة فى سبيل حريتها ووحدتها قد استطاعت أن تقنع العالم باجماعها على استنكار الانتداب الذى فرض عليها فرضا وأن تحمل ولاة الأمور فى فرنسا على المجاهرة بضرورة الغائه ليتسنى لسورية أن تعقد مع فرنسا معاهدة صداقة تضع حدا للتجاريب والفوضى وقد قامت فى الماضى القريب مفاوضات بين الجانب الفرنسوى والجانب الوطنى لوضع أسس المعاهدة فاستمرت مدة من الزمن ولكنها أوقفت ثم قام الفرنسويون بمفاوضات جديدة مع أشخاص آخرين فما هى الا عشية وضحاها حتى اسفرت مفاوضاتهم عن مشروع معاهدة نشرته الصحف فلما درسه الشعب وتروى فى مضامينه أعلن أن هذا المشروع لايحقق شيئا من أمانيه وانه محاولة لصوغ الانتداب المفروض فى صيغة معاهدة تقر تجزئة البلاد وتحرمها من السيادة والاستقلال

وبرغم كل النقائص التى اتصف بها هذا المشروع فقد عرضته الحكومة على المجلس وراح وزير المالية يخترع له الحسنات والمزايا ليحمل الناس على قبوله ولكن مساعيه باءت بالخيبة لان الكثرة الساحقة من النواب قدمت اقتراحا مكتوبا برفض المعاهدة وسجلته فى ضبط الجلسات وذلك قبل أن يقرأ مندوب المفوض السامى خلافا للدستور وللتقاليد البرلمانية المرعية فى جميع أنحاء العالم قرار التعطيل

ان السلطة التى لم يرق لها هذا الرفض قد أنكرته وطلبت الى رئاسة الجمهورية أن تسحب مشروع المعاهدة من المجلس ولكن هذا العمل لايبدل فى كثير أو قليل حقيقة الأشياء لان المجلس لو لم يقرر رفض المعاهدة لما عطلت جلساته وقد صادق هو نفسه فى الجلسة الثالثة المنعقدة فى ٢٥ نوفمبر على ضبط الجلسة السابقة الذى سجل فيه رفض المعاهدة فأصبح رفضها أمرا مفروغا منه ولا مجال للاجتهاد فيه وبذلك أنقذ النواب الشرفاء بلادهم من مصير مرعب وخطر محيق وأدوا رسالتهم بأمانة وشرف

ان السلطة تتذرع لتعطيل أعمال المجلس طيلة الدورة الحالية بالمحافظة على الدستور والأمن فاما الأمن فليس المجلس هو المسؤول عنه لانه رفض المعاهدة التى أقامت البلاد وأقعدتها فكسب عطف الأمة وحمل الى قلوبها الطمأنينة والسلام ولكن الحكومة هى التى تحمل تبعة الهياج وهى التى يضطر أعضاؤها للالتجاء الى الجند ليحموهم من سخط الشعب وأما الدستور فان النواب النبلاء ليسوا فى حاجة الى من يعلمهم قواعد الحياة النيابية

والمحافظة على الدستور ولو انهم ارتكبوا جريمة قبول المعاهدة لما نسبت اليهم هذه الجريمة الوهمية فان المفوض السامي قد ذكر في بيانه أن المعاهدة عرضت على المجلس ليتناقش فيها فلم يعد حقا أن يقال المجلس أخطأ لانه تناقش فيها عملا برغبة المفوض السامي نفسه وكان يجدر بالمفوض السامي أن ينظر الى هذا الموقف نظرا مجردا عن الهوى ويسعى للتوفيق وتحقيق رغائبنا القومية وحقوقنا المقدسة ولكنه عدل عن كل ذلك فعطل الحياة النيابية ملتمسا الحجج والأسباب لهذا التعطيل مثل محاولة التأثير في مناقشات المجلس أوعدم كفاءة المجلس وما أشبه ذلك كأن الكفاءة لاتكون الى عند الخضوع والاذعان لكل مايراد وكان اعلان الأمة رأيها في المعاهدة التي دعيت للنظر بها من قبيل التهييج والتحريض الذي يسوغ اغلاق المجلس

ان المخالفة الوحيدة هي التي ارتكبتها الحكومة بتوقيعها معاهدة لاتحقق للبلاد وحدة ولا سيادة وليس لهذه المخالفة الا نتيجة هي أن تقال الوزارة من الحكم وتحال عند الضرورة الى القضاء العالي لمحاكمتها اما أن تحمى هذه الحكومة التي أسقطها المجلس والشعب ويؤجل المجلس النيابي الذي حافظ على ارادة الشعب وروح الدستور فعمل ما كان ينتظر من المفوض السامي الاقدام عليه

ان النواب الشرفاء قد استمدوا قرارهم برفض المعاهدة من ضمائرهم الحية ومن آمال الأمة ومن المؤلم ان المفوضية العليا قد حكمت على عملهم بقلة النضوج قبل أن تستمع الى الأسباب التي دعتهم اليه بينما كان يجب أن يحترم تفكير الأمة لا أن تخاطب بمثل ماتخاطب به المستعمرات المتأخرة وأن يطلب منها الاستسلام والقبول بما يفرض واذن فأى معنى للتفاوض والتعاقد اذا كان أحد الطرفين يريد أن يملي على الآخر ارادته

وأية قيمة لحرية الرأي اذا كان الاحتقار نصيب من يجرأ على التعبير عن رأى يؤمن به ايمانا

أيتها الأمة الكريمة

ان نوابك النبلاء قد دفعوا عنك نقمة وبلاء ولكن النضال لم ينته بعد والوطن في أشد الحاجة الى قوى ابنائه مجتمعة للدفاع عن المطالب الوطنية المقدسة في داخل البلاد وخارجها فالكتلة الوطنية التي أخذت على عاتقها خدمة الأمة في جميع الميادين والتي أولتها

الأمة ثقتها الغالية فى جميع المواقف ستبقى أمينة على العهد عاملة على توحيد صفوف وجهود الوطنيين حتى تتحقق مطالبنا السامية فى الوحدة الشاملة والاستقلال الصحيح وانها لفخورة بهذا الاجماع الذي طالما عرفناه عند الشدائد شاكرة للأمة ونوابها الكرام الذين أجابوا دعوة الحق ولبوا نداء الوطن حريصة على أن يدنو الوقت لتحقيق آمالها ورغائبها متابعة النضال جهدها واثقة من بلوغ الغاية المنشودة بفضل ثبات الأمة وصبرها واجماع كلمتها ويقظة بنائها الذين لن يبرحوا مواقفهم الشريفة المحمودة حتى يذللوا جميع المصاعب ويدفعوا عن هذه البلاد مايحيق بها من الشدائد والمكاره والله لايضيع أجر من أحسن عملا ـ اهـ

البرلمان يؤجل مرة أخرى

وقبل أن تنتهى مدة تعطيل البرلمان السورى أصدر المفوض السامى يوم ١٠ مارس سنة ١٩٣٤ قرارا جديدا يقضى بوقف مذاكراته حتى يوم الثلاثاء الذى يلى ١٥ اكتوبر سنة ١٩٣٤ وقد نفذ قراره ولا يزال معطلا حتى الآن

٢٦

صدى الثورة فى البلاد الشرقية

أما وقد انتهينا من سرد التاريخين العسكرى والسياسى للثورة السورية الكبرى ووصفنا ما بذله السوريون من جهود عظيمة لتحرير بلادهم فمن الواجب علينا أن نأتى على لمحة تصف ما كان للثورة السورية من الصدى فى نفوس الشعوب العربية التى عطفت على السوريين فى نضالهم وواستهم فى نكبتهم

ولقد كانت فلسطين ومصر فى مقدمة الأقطار التى عطفت على سورية كما كان المهاجرون السوريون الى أميركا أيضا فى مقدمة الذين جادوا بالأموال لتأييد الثورة ومساعدة القائمين بأمرها

أما فى مصر فقد فتح دولة الزعيم الخالد سعد باشا زغلول باب الاكتتاب لمنكوبى سورية بنداء بليغ أذاعه على الشعب المصرى وبمبلغ من المال جاء به باسمه وباسم السيدة حرمه المصون وقد سلم المبلغان الى لجنة الاعانة لمساعدة منكوبى الثورة السورية وقد تألفت برئاسة الأمير ميشيل لطف الله فجمعت نحو عشرة آلاف جنيه من أجواد المصريين والسوريين النازلين بمصر. وكانت هنالك أيضا لجنة أخرى تألفت فى ابتداء الثورة أى فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٥ باسم لجنة مساعدة جرحى الدروز فجمعت نحو ألف جنيه أيضاوأرسلت مقدارا كبيرا من العقاقير والأدوية الى الجبل

نداء سعد باشا زغلول

نبى وطنى

سورية ، التى تربطنا بها روابط وثيقة من تاريخ ، ولغة ، ودين ، وعادة ، وجوار ، نزلت بها هذه الأيام حوادث هائلة ، تقشعر من هولها الأبدان ، ونوازل جائحة تنخلع من

بشاعتها القلوب ، وشرور من أفظع مايرتكبه انسان ضد انسان !! منكرات ارتكبها عمال حكومة الانتداب ضد محكوميهم الآمنين ، فازهقوا الكثير من أرواحهم البريئة ، وأراقوا الغزير من دمائهم الطاهرة ، وحرقوا كثيرا من قراهم و بيوتهم وعفوا كثيرا من آثار مدينتهم الفاخرة ، ورملوا الجم الغفير من نسائهم ، ويتموا العدد العديد من أطفالهم وصيروا كثيرا من السكان بلا سكن يأويهم ، ولا غطاء يغطيهم ، ولا خبز يتبلغون به !!! وبهذه الآثام أذلوا شعبا كان عزيزا وأسلموه للعدم والشقاء ، وأفهموا الناس جميعا أن حكومة الانتداب لم تقم على مازعموا لمصلحة المحكومين ، بل لمصلحة الحاكمين !! ووصموا اسم فرنسا المجيد ، فى الغرب وفى الشرق ، وصمات لايمحوها الا انزال أشد العقاب بهم ، وترك البلاد لأهليها ، يحكمون أنفسهم كما يشاءون

وانا معاشر المصريين لنشعر فى قلوبنا بكل عطف على اخواننا المصابين ، ونرثى لمصابهم رثاء الاخوان للاخوان ، ونحس بأن علينا واجب مساعدتهم بكل مافى الامكان ، بما يخفف من بلواهم ، ويلطف من آلامهم ، ونرى أن هذا أيسر مايجب للجار على الجار ، وأقل مايساعد به الانسان أخاه الانسان

بيت الأمة فى ١٨ ربيع الثانى سنة ١٣٤٤ (٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥)

رد الدكتور شهبندر

ورد الدكتور شهبندر على نداء سعد باشا فأرسل اليه الكتاب البليغ الآتى — قال :

من سفوح جبال الدروز المطلة على سهول حوران ومن تحت السماء الصافية الأديم التى تعكرها الطيارات بالقنابل المفرقعة وفى وسط حلقة من المجاهدين الذين عاهدوا بلادهم أن يفتدوها بالغالى والرخيص و باسم الجيش الوطنى الذى يكتنف الأعداء من جميع الجهات وبجانب سلطان باشا الأطرش قائده العام أرفع لمعالى زعيم مصر الأكبر و إمام المجاهدين فى سائر الأمصار الناطقة بالضاد خالص الشكر وعظيم الامتنان على ندائه البليغ لاسعاف القطر السورى الذى يجاهد كالقطر المصرى لتحرير نفسه من رق العبودية ووصمة الاستعمار يحاول أنصار البسطة العسكرية الفارغة وعمال المستعمرين الظامئين من الغربيين

أن يظهروا كل عطف بين الأقطار الشرقيـة ولا سيما العربية منها بمظهر العـداء للجنس الأوروبى والتمسك بأذيال التعصب الدينى تضليلا للرأى العام الساذج وتنفيـذا للخطط الاستعمارية المشئومة وفاتهم أن جيشهم هذا هو الذى اضطر الشرق اضطرارا أن يسطر بالحبر الأحمر المتفجر من الأوعية الدموية صحيفة سيارة طافحة بالفواجع تكشف القناع عن مخاز يندى لها جبين الانسانية

ليس فى معاجم الشرق كره لقوم خاص أو أمة بعينها الا كره الظالم انى وجد وحيثما حل ـ وهـذا أقل مايستحق ـ والتعصب الدينى لولا وجود المستعمرين المستثمرين بين ظهرانينا لمـا انتفض من القبر بعد أن نبت عليـه الشوك . ولـكن أبت شيمة القائلين بالتفريق لتحقيق سيادتهم الثقيلة الا أن يفرقونا شيعا ويحيطون كل شيعة بالحواجز كيلا تتسرب اليها روح الرابطة القوميـة فلما آن الأوان وحقت الـكلمة انهارت هذه الحواجز على رؤوس أصحابها فعادت المياه الى مجاريها

ان القطر السورى المتحد بقوميته وبإيمانه الوطنى يرى فى القطر المصرى النابه أخاً شقيقا أكبر ويعد الاختبارات المؤلمة التى مرت عليـه فى محنته ولا تزال تمر حتى هـذه الساعة اختبارات قيمة لها فى التطورات السياسية الشرقيـة المقبلة الشأن الأعظم . ولئن عجزت مئات الأميال من الرمل القاحل فى صحراء التيـه فى الأيام الخاليـة أن تقيم سدا منيعا بين القطرين الشقيقين فلن تتمكن مئات الامتار من الماء الأزرق الرقراق فى الأيام الحاضرة من اقامة هذا السد لان ماوصلته يد الخالق لاتقطعه يد المخلوق

ان نداء الرئيس الجليل هو عنوان ماحدث فى الشرق من روح التـكاتف التى أخذت تدب فى القلوب وستنبت الدراهم التى تبـذرها اليد المصرية السمحة فى المدن السورية المحروقة والقرى المهدومة أشجار الغار لتحيك منها الأيدى الوطنية فى بلاد الشام أكاليل الظفر فتضعها على رؤوس المجاهـدين فى الشرق الناهض يوم يختبىء الخائنون وينهزم الظالمون ويفوز المتقون

السويداء ـ مقر القيادة العامة لجيوش الثورة السورية فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥

ولم يدخر سكان فلسطين وشرقى الأردن وسعا فى مساعدة الثورة والعطف على الثوار وخصوصا بعدماضرب الفرنسويون ضربتهم الكبرى فى الغوطة وفى الأقليم فقد لجأ الثوار من أبناء المدن السورية الى عمان ويافا وحيفا والقدس ــ كما لجأ اخوانهم الدروز الى الأزرق ــ فوجدوا الأبواب مفتتحة فى وجوههم وألفوا عطفا صحيحا واخاء صادقا هون عليهم بعض مصابهم وخفف وقع النكبة فى نفوسهم

عطف العراق على الثورة

ورأت لجنة الاعانة المركزية المؤلفة فى القدس أن تستدر أكف العراقيين الكرام فقررت فى جلستها المعقودة يوم ٣١ اكتوبر سنة ١٩٢٦ انتداب حسن الحكيم ومحمد الشريقى وعبد اللطيف العسلى للسفر الى العراق على أن يكون الاول رئيسا والثانى عضوا والثالث سكرتيرا «ليقوم هذا الوفد ببسط الحالة التى وصل اليها منكوبو سورية لدى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الاول ولاطلاع الأمة العراقية الشقيقة على هذه الحالة وجمع الاعانات المالية للمنكوبين» كما جاء فى قرارها

وفى يوم ٢٧ نوفمبر غادر الوفد عمان بالسيارة الى بغداد فبلغها صباح ٢ ديسمبر وبدأ عمله على الفور ونثبت هنا نص التقرير الذى وضعه رئيسه عن نتائج رحلته وسلمه الى رئيس اللجنة المركزية ليكون مرجعا يرجع اليه وهو:

عمان فى ٢ مارس سنه ١٩٢٧

سماحة الاستاذ المفضال الحاج أمين افندى الحسينى رئيس المجلس الاسلامى الأعلى واللجنة المركزية لاعانة منكوبى سورية   القدس ــ فلسطين

اجابة لرغبة سيدى الاستاذ الرئيس واللجنة التنفيذية لاعانة منكوبى سورية، قصد وفدنا الى القطر العراقى الشقيق وقام هناك بالمهمة الانسانية التى عهد بها اليه وهاأنا أعرض لسماحتكم بهذا التقرير خلاصة العمل ونتائجه :

١ ــ تحرك الوفد بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦ بالسيارة من عمان عن طريق الصحراء فبلغ بغداد صباح ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٦

٢ ــ بما انه لايجوز للوفد أن يقدم على العمل قبل عرض الأمر على الحكومة

العراقية والحصول على موافقتها فقد زرنا بادىء ذى بدأ رئيس الوزارة وأعضاءها و بسطنا لهم ماحل بالبلاد السورية من الحوادث المرعبة ومانزل بأهليها الآمنين من النكبات وما وصلت اليه حالة المنكوبين من البؤس والشقاء ، فأبدوا لنا عطفا جيلا ووعدونا خيرا ثم بعد المداولة فى الأمر فيما بينهم علمنا بان الحكومة لا ترى مانعا يمنع عطف الانسان على أخيه الانسان مادام العمل عملا خيريا ليس بسياسى ولا دينى

٣ ـ لما كان جمع الاعانات على يد أبناء البلاد و بمعرفة هيآت معروفة بالاستقامة والأمانة فيها ادعى لثقة المتبرعين فقد رأينا ايداع الأمر الى اللجنة العليا لاعانة منكوبى سورية المؤلفة سابقا ببغداد وفقا لاتفاقنا عند تأليف الوفد ، أما نحن فقد أخذنا على عاتقنا زيارة المدن لبسط الحالة واستنهاض الهمم ، و بهذا تم القصد وحصلت الغاية من أقرب السبل وأحسنها

٤ ـ زرنا كثيرا من المدن العراقية كبغداد والموصل وار بيل وكركوك وكر بلاء والنجف والحلة والبصرة والز بير والكاظمية فرأينا من قادة هذا القطر المبارك ومن شبابه الناهض وأبنائه الغر الكرام ماأثر فى نفوسنا أحسن أثر وزادنا ايمانا بالروابط الوثيقة التى تر بط القطرين الشقيقين

٥ ـ استأنفت اللجنة المشار اليها العمل من جديد بهمة لا تعرف الكلل واتخذت كل ما يمكنها من الطرق المشروعة ، ورغم سوء الحالة الاقتصادية فى البلاد فقد توفقت لأن تحصل فى هذه المدة القصيرة على ٣٤٣٢٥ ٦/١٦ رو بية كما يتضح من الحساب الآتى ، ولا يزال فى صناديق فروعها فى الملحقات ما لا يقل عن ثمانية آلاف رو بية أيضا والعمل مستمر ، أما ما أرسلته اللجنة المشار اليها الى لجنتكم الموقرة من هذا المبلغ مباشرة وعينت بكتابها المؤرخ ٢ يناير سنة ١٩٢٧ النسبة الأساسية لتوزيعه على المنكوبين فقد بلغ حتى يوم عودتنا ٣٢١٨٧ ١/٢ رو بية أو ألفان وأر بعمائه جنيه انكليزى . ومن دواعى السرور للجنة المشار اليها أن يعنى عناية خاصة بارسال الوصولات اليها فى حينها

بيان مجموع التبرعات

	روبية	آنة
الموجود من الاعانة السابقة	١٤٣١	٨
من الموظفين السوريين والجالية السورية فى بغداد	٣٨١٠	
من ريع الحفلة التمثيلية ببغداد	١٨٤٥	
من مجلس الآعيان	٢٢٠	
من مجلس النواب	٢٤٥٥	
من موظفى وزارة الدفاع	٣٤٠٠	
من موظفى وزارة الداخلية	١٧٤	
من موظفى وزارة الأوقاف	٢٧٦	
من مدرسى دار المعلمين وطلابها	٤٢٠	١٢
من مدرسى المدرسة الثانوية وتلاميذها	٢٦٤	٩
من موظفى البلاط الملكى	٢٣٥	
من محسن ايطالى	٥٠	
من لواء الموصل	٤٥٠٠	
من لواء البصرة	٥٠٠٠	
من لواء اربيل	١١١٧	
من لواء المنتفك	٦١٦٠	
من لواء ديالى	٥٣٣	
من لواء الكوت	٣٤٤	٩
من لواء كربلاء	٢٢٠٠	
من لواء بغداد	٣٨٩	
المجموع العمومى	٣٤٨٢٥	٦

بيان مجموع المرسل

آنة	روبية	التاريخ	
	٤٠١٥	فى ٦ يناير – ١٩٢٧	أو ٣٠٠ جنيه انكليزى
	٦٦٩٠	١٨ منه	أو ٥٠٠ « «
	٤٠٣٢	٣٠ منه	أو ٣٠٠ « «
	٤٠٢٣	٩ فبراير	أو ٣٠٠ « «
	١٣٤٢٧	١٨ منه	أو ١٠٠٠ « «
	٣٢١٨٧	المجموع	و ٢٤٠٠ جنيه انكليزى

٦ – بعد أن بلغت الاعانات المقدار الآنف الذكر لم نر مسوغا لبقائنا واختيار نفقات زائدة بل رجحنا اتمام العمل على يد اللجان القائمة بالأمر والعودة بطيارة فى ١٩ فبراير على طريق بغداد – غزة لأنها أرخص وسائل النقل وأسرعها بالنظر الى طريق الصحراء أو البحر فلذلك نشرنا فى الصحف بيانا شكرنا فيه للشعب العراقى الكريم كرمه ونجدته وغادرنا القطر وفى أنفسنا أجل ذكرى وأطيب ثناء

٧ – وقبل أن أختم هذا التقرير أرى من الواجب أن أطرى أولئك الأفاضل الذين خصونا بقسط وافر من مساعداتهم الثمينة ومعاونتهم القيمة ، فاسدوا لنا معروفا كبيرا فى سبيل تسهيل مهمتنا أمثال أصحاب الفخامة والدولة والسعادة جعفر باشا العسكرى رئيس الوزارة العراقية وعبد المحسن بك السعدون رئيس مجلس النواب وياسين باشا الهاشمى وزير المالية ونورى باشا السعيد وزير الدفاع ورشيد عالى بك وزير الداخلية وأمين عالى بك وزير الأوقاف وجميل بك المدفعى متصرف المنتفك وناجى شوكة بك متصرف الموصل وعبد الله بك الدليمى متصرف كربلاء وعلى جودة بك متصرف البصرة أما سعادة مولود باشا مخلص عضو الأعيان وسعيد بك الحاج ثابت وثابت بك عبد النور نواب الموصل الذين أخذوا على عاتقهم القيام بهذا الأمر بكل ما فيهم من همة وغيرة ونشاط فان خدمتهم أكبر من أن توصف وجميلهم فوق كل أطراء وثناء ، وهناك فئة من علية القوم كان لنا نصيب كبير من مؤازرتهم الفعلية التى نذكرها لهم مقرونة بالحمد والثناء

صيبعه بموجب الوصل رقم ١١٧ المؤرخ ١٥ يوليو سنة ١٩٢٦

٤ – لم يبع من رسالة صدى الفاجعة السورية سوى مائتين وثلاثين عددا بلغ مجموع أثمانها ألفا ومائة وخمسين غرشا مصريا تجدونها مقدمة مع هذا الكتاب . وأما بقية الأعداد وقدرها سبعمائة وستة وأربعون فقد سلمت للشيخ يوسف ياسين مدير مطبعة الحكومة الحجازية بناء على تعهده ببيعها وارسال ثمنها الى مركز الجمعية

عطف مهاجرى الدروز فى اميركا

وحاز المهاجرون السوريون الى أميركا وفى مقدمتهم الدروز قصب السبق فى مضمار الكرم فقد قدر ما تبرعوا به بمبلغ ٥٠ ألف جنيه جمعت بواسطة حزب سورية الجديدة المطالب باستقلال سورية ووحدتها فى تلك البلاد النائية

ويقال ان مجموع الاعانات التى وردت لمساعدة منكوبى الثورة من جميع الأقطار لايقل عن ١٢٠ ألف جنيه تسلمتها لجنة الاعانة العليا فى القدس ووزعتها

احتجاج الحسين

ونرى أن نختم هذا الفصل باثبات نص البرقية التى أرسلها الحسين بن على من قبرص يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٥ الى رئيس جمعية الأمم احتجاجا على ما جرى فى سورية قال :

بصفتى المعاومة الأساسية أقدم لفخامتك وللهيئة الموقرة احتراماتى ثم أجلب أنظار كمالات مزاياكم الى المعاملات الجارية فى عموم سورية ونتائجها المؤدية الى محو العرب والمؤثرة حتى على شرف المقصد الأساسى من تشكيل وتأسيس هيئتكم المعظمة سيما بعد اعلان الحلفاء بصورة رسمية انهم لم يخوضوا غمار الحرب الا لخلاص الشعوب المظلومة واعادة حقوقهم ومنافعهم الا ان العرب لاتشملهم مقاصد تلك التأسيسات ولكن بلاغ العظمة البريطانية أخيرا لمخلصكم بان هيئتكم الموقرة قررت انتداب عظمتها أيضا على معان والعقبة ضمن انتدابها على عمان الشرق العربى يخالف ذلك وعليه فالمرجو من الفخامة اصدار القرار القطعى الصريح بمصير بلادنا معاشر العرب وتطبيق قوانين وقواعد الانتداب الأساسية على ماترى انتدابه من بلادهم والا فالعرب لهم الفخر فى الحكم عليهم بان يكونوا ضحية لمصالح الحلفاء وأخلاق المدنية الحاضرة

ملاحظات عامة

افتتحنا هذا الجزء بالكلام عن امارة شرق الأردن وهى ثمرة من ثمرات الحركة العربية ونفحة من نفحاتها فسردنا تاريخها السياسى واثبتنا الوثائق الخاصة بانشائها والعقود التى عقدت بشأنها . ولا بد لنا من الاشارة هنا الى التعديل الجديد الذى أدخل على المعاهدة الأردنية ـ الانكليزية فقد وقع عليه يوم ٢ يونيو سنة ١٩٣٤ بالقدس بين ابراهيم هاشم المندوب المفوض لأمير شرق الأردن والسر ارثر واكهوب المندوب السامى لحكومة فلسطين ونصه :

المادة الاولى ـ تلغى المادة الاولى من الاتفاق الموقع عليه فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٨ ويستعاض عنها بالنصوص الآتية :

ويوافق صاحب السمو الأمير على أن يمثل صاحب الجلالة البريطانية فى شرق الأردن معتمد بريطانى يعمل بالنيابة عن المندوب السامى لشرق الأردن وعلى أن تجرى المخابرات بين صاحب الجلالة البريطانية وجميع الدول الأخرى من الجهة الواحدة وبين حكومة الأردن من الجهة الثانية عن طريق المعتمد البريطانى والمندوب السامى السالف الذكر

ويوافق صاحب الجلالة البريطانية على أن لصاحب السمو الأمير أن يعين موظفين قنصليين لدى اية دولة عربية مجاورة بحسب ماقد يعتبر ذلك لازما

ويوافق صاحب السمو الأمير على أن النفقات العادية للحكومة المدنية والادارة تتحملها باسرها شرق الأردن

المادة الثانية ـ تلغى الفقرة الاولى من المادة السابعة من الاتفاق الموقع عليه فى ٢٠ فبراير ١٩٢٨ ويستعاض عنها بالنصوص الآتية :

لا يكون بين فلسطين وشرق الأردن أى حاجز جركى مالم يقع اتفاق بين البلدين

المادة الثالثة ـ يبرم هـذا الاتفاق ويجرى تبادل ابرامه حالما يستطاع ذلك ويصبح نافذ المفعول فور ابرامه

المادة الرابعة ـ لقد صيغ الاتفاق الحاضر من لغتين : الانكليزية والعربية وقد وقع

المندوبان المفوضان للفريقين الساميين المتعاقدين على نسختين انكليزيتين ونسختين عربيتين ويكون للصيغتين عين المقام من الاعتبار وانما عند الاختلاف بينهما فى تفسير مادة من مواد هذا الاتفاق يكون للصيغة الانكليزية التقدم ـ اه

وأوردنا كذلك جانبا من تاريخ الحركة الوطنية فى هذا الاقليم ونشرنا نص الميثاق الوطنى الذى وضعه رجاله مع قرارات المؤتمرات الوطنية التى عقدت فى ربوعه

وقبل أن نختم هذا الفصل لابد لنا من التنبيه الى أمر ذى بال يختص بتاريخ هذه الامارة فقد سألنا الأمير عبد الله خلال مروره بالقطر المصرى فى شهر يونيو سنة ١٩٣٤ حين رحلته الى انكلترا عن حقيقة الاتفاق الشفهى الذى جرى بينه و بين المستر تشرشل حين اجتماعهما فى القدس يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٢١ لانشاء حكومة فى شرق الأردن (انظر ص ١٢ من هذا الجزء) فأجابنا أن الاتفاق تم على ما يأتى :

١ ـ انشاء حكومة مستقلة فى شرق الأردن

٢ ـ تمنح هذه الحكومة حق التمثيل السياسى

٣ ـ يتعهد الانكليز بمساعدة هذه الامارة ماليا ريثما تستقر أمورها

٤ ـ يوافق سمو الأمير عبد الله على أن يتبوأ جلالة الملك فيصل عرش العراق

٥ ـ تتعهد الحكومة البريطانية بان تسعى لكى تتألف من شرق الأردن والمدن الأربعة (سورية الداخلية) حكومة عربية برئاسة الأمير عبد الله (أى ان تعود الحالة الى ما كانت عليه قبل نكبة ميسلون وتنفذ أحكام معاهدة سايكس ـ بيكو)

ويرى الأمير أن حادثة الاعتداء على الجنرال غورو على طريق القنيطرة (انظر ص ٢٤٩ من هذا الجزء) حالت دون تنفيذ المادة الخامسة من الاتفاق بعد ما تقدمت المفاوضات التى دارت بهذا الشأن تقدما يذكر

* * *

وقفينا على تاريخ امارة الأردن بايراد تاريخ القضية الفلسطينية وهى من أغرب القضايا فى هذا العصر ومدارها اجلاء عرب فلسطين عن بلادهم وانشاء دولة يهودية لحما ودما . ويستعين اليهود لادراك هذه الغاية بوسيلتين :

١ ـ الهجرة اليهودية الى فلسطين

٢ ـ ابتياع الأراضى من العرب

ولقد فاز اليهود فوزا لايستهان به حتى الآن فاما من جهة المهاجرة فقد تسنى لهم أن يحشدوا أكبر عدد ممكن فى فلسطين ويقال ان مجموعهم اليوم فى ربوعها لايقل عن ٣٠٠ ألف بدلا من ٥٠ ألفا حين نهاية الحرب ومعنى ذلك أن عددهم تضاعف فى خلال خمس عشرة سنة نحو خمسة أضعاف . ويتوالى وصولهم اليها بلا انقطاع وهم يدخلونها من طريق البحر ومن طريق البر و يتسربون اليها من كل مكان

ويمكن القول ان فوزهم من ناحيــة ابتياع الأراضى يفوق فوزهم من ناحيــة الهجرة فقــد تم لهم فى خلال هذه المدة الاستيلاء على نحو ربع الأراضى الفلسطينية ويملـكون اليوم نحو مليون ونصف مليون دونم من أصل ستة ملايين دونم (مساحــة الدونم ألف متر مربع) هى مجموع أراضى فلسطين. ومعظم ما يملـكونه خصب، جيد التربة والمناطق الساحلية بين يافا وحيفا تقريبا ملـكهم ويمتلكون معظم الاراضى حول القدس واللد والرملة . ومعظم الأراضى الباقيــة بيد العرب جبلية . ومما يجب ذكره أن اليهود يشترطون على سكان كل قرية يبتاعونها أن يخربوا بيوتهم بايديهم قبــل جلائهم عن قريتهم ويدمروا مسجد القرية ومدرستها ان كان فيها مسجد أو مدرســة ومقبرتها فلا يتركون فيها آثارا من آثارهم ولا يبقون على رابطة تربطهم بها والقصد من هــذا التدبير القضاء على كل ما للعرب فى فلسطين من ذكريات وآثار ومقابر ومساجد وجعــل البلاد يهودية بما فيها ومن فيها وما كانوا يمتلـكون حتى سنة١٩٢٠ أ كثر من ٤٥٠ ألف دونم كما جاء فى تقرير رسمى بريطانى

ولقد تنبه العرب الى الخطر العظيم الذين يستهدفون له من بقاء باب الهجرة مفتوحا ومن عدم منع بيع الأراضى فطالبوا الحـكومة ولايزالون يطالبونها بمنعهما ورغم ما أوصتها به اللجان الانـكليزية المختلفة وآخرها لجنة شو لم تقم حتى الآن بأى تدبير من شأنه أن يزيل مخاوف العرب

ورب سائل يسأل ولماذا يقـدم العرب على بيع أراضيهم ولماذا لا يحتفظون بها

ويدرؤن عن أنفسهم وبلادهم الاخطار والمصائب وفى الجواب على هذا الاعتراض نقول ان معظم التبعة لاحق بالحكومة التى أنشأها الانكليز فى فلسطين فقد جارت على العرب وضيقت عليهم سبل العيش فاضطروا الى بيع أراضيهم اضطرارا . ويجب أن لا ننسى أن بين كبار رجال الحكومة عددا غير قليل من اليهود . كما أن الجانب الأكبر من الموظفين أصحاب الدرجات الوسطى هم من اليهود أيضا . أما العرب وخاصة المسلمين منهم فنصيبهم أسوأ نصيب فقد اختصوا بالوظائف الصغيرة الحقيرة ولا سيما وظائف الشرطة والخفر وهم مجردون من كل نفوذ وسلطان فى هذه الدولة فغرمها عليهم وغنمها للانكليز واليهود ويشتركون فى السيطرة عليها واستغلالها ويضع الانكليز لليهود القوانين والأنظمة التى تساعدهم على ادراك غاياتهم وتسهل لهم انتزاع الاراضى من العرب وذلك بافقارهم وعدم العناية بتعليمهم واهمال أراضيهم وقراهم يضاف الى ذلك كله هذا الجدب الذى اصيبت به فلسطين فقد انحبس الغيث تقريبا عنها فى خلال السنوات الخمس الأخيرة سنة ١٩٢٨ - ١٩٣٣ انحباسا قضى على المواسم فازداد الفلاحون العرب بؤسا على بؤسهم واضطر بعضهم الى بيع اراضيه لوفاء دينه ولسداد الضرائب الفادحة التى ترهقهم بها الحكومة الجديدة من دون ان تهتم بمصيرهم ومن دون ان تدرأ عنهم الأخطار التى تهددهم

هذا من جهة واحدة أما من الجهة الأخرى فان اقبال بعض العرب الفلسطينيين على الاشتغال بالسمسرة لما تدره من الأرباح الطائلة على المشتغلين بها ساعد ايضا على انتقال الأراضى الى اليهود فقد ظهر فى بعض القرى والمدن أفراد وقفوا انفسهم على تسهيل انتقال الأراضى لليهود فهم يصطادون الفلاحين واصحاب الأطيان ممن كثرت ديونهم ويزينون لهم بيعها بأثمان عالية ولا يزالون بهم حتى يقنعوهم بالبيع ومتى تمت الصفقة قبضوا جعلا كبيرا من اليهود . ومع ان الجمهور العربى يزدرى هؤلاء السماسرة ويقاطعهم ويحتقرهم فان عددهم لايزال غير قليل

ومما ساعد ايضا على انتقال الأراضى الى اليهود مايدفعونه من أثمان عالية تغرى بسطاء الفلاحين . ومعظم الأراضى ينتقل الى الجمعيات اليهودية الكبرى وتستمد ثروتها من اموال الاعانات التى تنصب عليها صبا من انحاء العالم الاسرائيلى ويجود لها اليهود بلا حساب فهى تدفع مبالغ طائلة فى شراء الأراضى ثم توزعها على

المهاجرين اليهود لاستغلالها ويقولون ان ما أنفقوه فى فلسطين لا يقل عن ٣٠ مليونا من الجنيهات

ونرى واجب الانصاف يدعونا الى الاعتراف بأن عرب فلسطين بذلوا جهودا جبارة فى مكافحة الحركة الصهيونية ومقاومتها فأنفقوا الأموال الطائلة وأوفدوا الوفود الى الشرق والغرب وتحملوا المشاق والمغارم ولا يزالون يتحملون ويكافحون واذا كانوا لم يوفقوا التوفيق الذى ينشدونه فالذنب على الحكومة البريطانية نفسها فهى المسؤولة مباشرة عن كل ما جرى فقد ضربت بجميع وعودها وعهودها للعرب عرض الحائط وتمسكت بوعد بلفور وحده فنفذته على المنوال الذى يرضى اليهود وسارت معهم أشواطا فى تحقيق مطامعهم . ولا ريب أن اخفاق العرب وفوز اليهود يعود الى العامل الأصلى الذى وصفناه فى الجزء الأول وهو ضعف الأخلاق السياسية عند العرب وتفرق كلمتهم وتشتت آرائهم فلو كانوا أقوياء موحدى الكلمة كاليهود على الأقل لحملوا الانكليز على احترامهم ولاضطروهم الى الوفاء لهم وانصافهم كما يضطرهم اليهود فالانكليز وكل شعب فى العالم لا يعرفون سوى القوة ولا يحترمون غيرها وما على العرب اذا أرادوا أن يكونوا محترمين مرهوبى الجانب الا أن يوحدوا كلمتهم ويلموا شعثهم ويومئذ يذكر الانكليز عهودهم للعرب ويوفون بها

وغنى عن البيان اننا لانعنى بكلمة العرب هنا عرب فلسطين فقط وانما نعنى جميع أبناء العنصر العربى الضاربين فى هذه المنطقة الواسعة بين شمالى أفريقية وغربى آسيا والنازلين بين خليج فارس والمحيط الأطلسى قائلين لهم ان الثمانمائة ألف عربى القاطنين فى فلسطين لايستطيعون أن يدفعوا وحدهم الخطر اليهودى ولا يقدرون على مقاومة الحركة الصهيونية ويؤيدها يهود العالم كلهم ويمدونها بأموالهم وهم يملكون المال الوافر فمعظم ثروات العالم فى أيديهم ويتعهدونها بنفوذهم وبينهم عدد غير قليل من الأقطاب السياسيين ذوى الكلمة المسموعة فى الأندية الدولية العليا فلا بد من الأخذ بيدهم والدفاع عنهم

ان فوز الحركة الصهيونية ونجاحها وانشاء حكومة يهودية فى قلب بلاد العرب بين الشام من الشمال ومصر والحجاز من الجنوب وامارة الأردن والعراق ونجد من الشرق يؤلف خطرا حقيقيا على الحركة العربية فهو يقحم عنصرا أجنبيا على البلاد العربية

على أنه مهما تقلبت الأدوار فاسم الحسين سيظل مقرونا بالنهضة العربية فهو أول من ثار لأجل العرب وركب الأخطار فى سبيلهم وقاتل لانقاذهم

* * *

وتكلمنا بعد ذلك عن القضية السورية وتحولها : والكلام على هذه القضية شمل ثلاثة أدوار :

فالدور الأول يمتد من دخول الفرنسويين دمشق فى شهر يوليو سنة ١٩٢٠ حتى اعلان الثورة الكبرى فى شهر اغسطس سنة ١٩٢٥

والدور الثانى وهو دور الثورة وينتهى بمعركة الصاحب فى شهر مايو سنة ١٩٢٧

والدور الثالث وهو العهد الحاضر ويمتد من انشاء الحكومة الموقتة يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٢٨ حتى يومنا هذا

ولقد فصلنا أخبار الدور الأول وسجلنا مابذله الوطنيون من جهود فى داخل البلاد وفى خارجها للدفاع عن قضيتها واسماع صوتها سواء فى القاهرة أوفى جنيف أو فى لندن وباريس وروما وأثبتنا جانبا من التقارير التى وضعوها فى وصف الضرر اللاحق بسورية من جراء السياسة التى نفذها الفرنسويون فى خلال هذه المرحلة وتقوم على تجزئتها الى دول وحكومات نثروها فى الشرق والغرب والشمال والجنوب لاغاية سوى القبض على مقاليد البلاد والسيطرة عليها سيطرة فعلية لا تدرك اذا كانت موحدة الشمل مجتمعة الكلمة

ولقد اقترنت بهذه التجزئة ـ ولم تخف الغاية منها على رجال البلاد ـ خطيئات ادارية فادحة اقترفها الموظفون الفرنسويون يضاف الى ذلك أن معظم الذين وقع اختيار الفرنسويين عليهم لمساعدتهم فى حكم البلاد كانوا من طبقة عرفت بضعف الوطنية وخور العزيمة فساءت الحالة وارتفعت الاصوات بالشكوى والتذمر وبدلا من أن يعمل كبار الموظفين الفرنسويين على تهدئة الحالة زادوها اضطرابا بسوء تصرفاتهم وتنافسهم ودسائسهم ويرى معظم الباحثين أن الخطيئات الادارية العظيمة التى اقترفها الجنرال سرايل وفى مقدمتها تمسكه بالكبتن كربيه وعدم موافقته على اقالته ثم رفضه مقابلة زعماء الدروز ثم اصداره الأمر الى نائبه فى دمشق بان يستدعيهم الى حضوره بحجة أنه سيصغى الى مطالبهم فيقبض عليهم وينفيهم وقد نفذ ذلك فعلا وسيظل لطخة سوداء فى تاريخ الاستعمار الفرنسوى فى

سوريه ـ عجلت باعلان الثورة وساعدت على انتشارها وفوجىء ولاة الأمور الفرنسويون بالثورة مفاجأة ما كانوا يترقبونها . واذا استثنينا العاملين من رجال حزب الشعب ـ وعلى رأسهم الدكتور عبد الرحمن شهبندر زعيم هذا الحزب فهو الذي اجتمع الى زعماء الدروز وكبارهم وعقد معهم المواثيق والعهود على اضرام ثورة لانقاذ البلاد وتحريرها ـ فرجال سورية الآخرون ما كانوا يترقبون هذه الثورة ولولا حوادث الغوطة وثورة حماه وقد بعثت الجنرال غاملان على التعجيل بالتراجع عن السويدا بعدما دخلها يوم ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٢٥ لاعتقاده أنه أمام خطة حربية منظمة مدبرة يراد بها الاحداق بجيشه والاستيلاء على دمشق وحمص وحماه لتم له توطيد أقدامه في الجبل على المنوال الذي اتبعه الجنرال اندريا في المرحلة الثانية

فارتداد الجنرال غاملان عن الجبل وحشده قواه في دمشق وفي حماه وفي حمص وقلمون لقتال الثوار الذين انتشروا خلال شهري سبتمبر واكتوبر ، نفس عن الجبل كربته ، ودرأ عنه الخطر الذي كان يهدده ، فانطلق عدد من فرسانه فاقتحموا اقليم البلان ووادي التيم واحتلوا حاصبيا و بلغوا حدود لبنان القديمة من جهة الجنوب . ولولا مالقوه من مقاومة في راشيا لتدفقوا على سهل البقاع ولاتصلوا برجال العصابات في بلاد بعلبك ، وقصد جانب منهم الغوطة فاشترك في الأعمال العسكرية التي عملت فيها وأبدوا من الشجاعة ماهو مأثور عنهم ولم يعودوا الى الجبل الا في فصل الربيع حينما بدأ الفرنسويون الهجوم عليه

* * *

وبالغ رجال العسكرية الفرنسوية في الانتقام فعاملوا سورية بشر مما اعتادوا أن يعاملوا به ثوار المستعمرات فدمروا القرى على رؤوس سكانها وأحرقوها بمن فيها وقتلوا الكثيرين على الشبهة وبدون محاكمة وكانت السجون غاصة بالمسجونين الأبرياء في بيروت وحماه وحمص وطرابلس وكانوا يتفننون في تعذيبهم والانتقام منهم ولو شئنا لملأنا مجلدات ضخمة في وصف ما ارتكبه بعض موظفي السجون في دمشق من أعمال منكرة يندى لها جبين الانسانية خجلا وكذلك يجب أن لا ننسى ما أتاه المسيو بيجان مفتش الشرطة العام الفرنسوي في دمشق فقد أحصى الذين قتلهم ظلما بالمئات وكانوا يقبضون عليهم في قارعة الطريق فاذا جن الليل قتلوهم رميا بالرصاص ثم دفنوهم في حفر يحفرونها لهم

الكثيرة التى غنموها منهم بين خيول وألبسة وأسلحة وقنابل يدوية ورشاشات . وكانوا يجمعون القنابل التى يطلقها الفرنسويون ولا تنفجر فيصلونها بأسلاك كهربائية ويبثونها ألغاما فى طريق الجيش يفجرونها عند مروره أو يفرغون بعضها ويستخدمون ما فيها من بارود فى صنع قذائف البنادق وقد أسسوا معملا لصنعها فى الغوطة وكثرت البنادق المغتنمة من الجيش الفرنسوى كثرة زائدة فهبطت أثمانها كثيرا

وكان الناس يتجولون أحرارا فى داخل منطقة الثورة ولكن بمراقبة شديدة وكانوا يدخلون دمشق ويخرجون منها باذن خاص من قيادة الغوطة . وكانت هذه الرقابة وبالا على الجواسيس الذين كان الفرنسويون يرسلونهم للتجسس فكان من يقع منهم فى أيدى الثوار ينال جزاءه

ومهما كانت النتائج التى أسفرت عنها الثورة فالثوار ما كانوا يعتقدون أن فى امكانهم التغلب على الحكومة الفرنسوية وتملك جيشا يزيد عدد رجاله عن عدد سكان سورية كلهم ضعفين وتملك من الثروات الضخمة مايجعلها فى مقدمة حكومات العالم ثروة وغنى ، وانما يرون انهم قاموا بواجب تفرض عليهم الوطنية الحقة القيام به دفاعا عن كرامة أوطانهم وللفت نظر العالم المتمدن الى مايعانونه من ارهاق وعنت فى ظل الادارة الفرنسوية ولقد أدركوا هذه الأمنية فعرف الناس أن فى بلاد الشام شعبا أبيا كريما عيوفا لايصبر على ضيم استنفد كل مجهوداته فى قتال مغتصبي بلاده وبذل فوق الطاقة لاخراجهم منها . ويجب علينا أن نشير هنا الى أن نشوب الثورة فى سورية وافق زمن اشتداد حركة ثورة المغرب الاقصى انتقاضا على الفرنسويين الذين جروا على خطة ارهاق الشعوب العربية واضطهادها فجهزوا الجيوش اللجبة لاخماد الثورتين العربيتين . وكما سعوا فى لندن لحمل الانكليز على مساعدتهم فى اخماد ثورة سورية فقد سعوا مثل هذا السعى فى مدريد لحمل اسبانيا على تأييدهم ومد يد المساعدة لهم فى قتال المغاربة وكل ذلك باسم الدفاع عن الاستعمار الظالم . وقد خدمهم الحظ فقضوا على الثورة المغربية بحمل زعيمها الأمير عبد الكريم على الاستسلام والتفتوا بعد ذلك الى الثورة السورية فأخذوها بالقوة

* * *

وبسطنا فى متن الكتاب الأدوار التى مرت بها المفاوضات السياسية من اعلان الثورة

حتى اجتماع الجمعية التأسيسية وقد حرص المفاوضون السوريون فى جميع الأدوار على التفاهم مع الفرنسويين ولكن المستعمرين من هؤلاء ـ ولهم الكلمة العليا ـ أبوا اقرار أى حل قبل أن يلقى الثوار سلاحهم ويسلموا أنفسهم ويعرضوا طاعتهم من دون قيد ولا شرط . والغاية من فرض هذه الشروط القاسية ـ ولا يرضى بها أبى النفس ـ الاستمرار فى النضال حتى تنفد قوى السوريين وحتى يتم اخماد الثورة بالقوة وهو ما كان . وبدلا من أن يتعظ الفرنسويون بحوادث الماضى فينشئوا فى الدور الجديد نظاما ثابتا ويعيدوا الى البلاد وحدتها ويسلموها الى ابنائها ويجتثوا أسباب النزاع والاضطراب عادوا الى تطبيق أساليبهم القديمة التى هى مصدر الشكوى وقذفوا سورية بسيل جارف من موظفيهم ففيها اليوم من الموظفين الفرنسويين مالا يقل عن ٥٠٠ موظف يتناولون الضخم من الرواتب ويتمتعون بمزايا عديدة ويحرم أهل البلاد من خدمة بلادهم وتوصد فى وجوههم الأبواب مما يحول دون قبول كل حل للقضية السورية يعرضه الفرنسويون ويباعد بينهم وبين السوريين ويحفر هوة عميقة اذا لم نقل انه يبذر بذور الفتن وثمراتها الخراب والدمار

مركز القضية العربية اليوم
ضرورة العمل لانقاذ الشام وفلسطين

انتهينا بانتهاء هذا الجزء من سرد الأدوار التى مرت بها القضية العربية وتتبعناها فى مراحلها منذ كانت خيالا حتى صارت فكرة حقيقة ملموسة وأثبتنا كل ما استطعنا جمعه من المكاتبات الرسمية والعهود الدولية والوثائق المعتبرة والبيانات والمنشورات فتكون مرجعا يرجع اليه ، ومصدرا يعول عليه

ولقد تقدمت القضية العربية فى خلال هذه الفترة تقدما محسوسا لا ينكره منكر فتم توحيد أقطار الجزيرة فى سمط واحد فبعد ما كان هنالك ثمانى أمارات عند ختام الحرب العظمى فى سنة ١٩١٨ وهى امارتا الرياض وحايل فى قلب نجد وامارة الشعلان فى الجوف ودولة الهاشميين فى الحجاز والأدارسة فى تهامة وآل عايض فى عسير والمتوكلون فى صنعاء أبيدت هذه الامارات واندمجت دولة السعوديين فى مكة وحكومة المتوكلين فى صنعاء وقد ارتبطت بالدولة السعودية بمعاهدة تحالف وقع عليها فى الطائف فى شهر مايو سنة ١٩٣٤ وقد نصت على تعاونهما فى دفع الأخطار التى تهدد بلاد العرب واتباعهما خطة قومية فى السياسة الخارجية ومعنى ذلك أن بلاد العرب الواقعة فى داخل الجزيرة تخلصت من الحكم الاقطاعى القديم الذى هو علة شقائها و بلائها، وقد طالما مهد للأجانب سبل التدخل فى شؤونها ومكنهم من بسط نفوذهم وسيطرتهم على بعض أقطارها ـ وأنها تستقبل حياة جديدة لم تعرفها ولم تذق طعمها وهى حياة الاستقرار والهدوء فتنتعش وتستريح وتواصل تقدمها الاجتماعى والعلمى وبديهى أن فى ذلك غنما كبيرا للقضية لايستهان به فقد أصبحت تستند الى دولة فتية تشد أزرها بالتعاون مع الحكومتين القائمتين فى خارج الجزيرة وهما حكومتا بغداد وعمان وهو مايرجى أن يسجل بمعاهدات رسمية قريبا وهيهات أن يرتفع للعرب رأس أو أن يستردوا مجدهم قبل أن يقضوا قضاء أبديا على كل أثر للسياسة الاقليمية فى ربوعهم وينبذوا كل داع اليها فبالوحدة نجاتهم وحريتهم واستقلالهم

أما حالة الأقطار فى خارج الجزيرة فهى متباينة فقد خطا العراق بعد ثورته الكبرى وبعد انشاء دولته الجديدة خطوات واسعة فنظم علاقاته مع انكلترا بمعاهدات واتفاقات عدلت غير مرة وانتظم فى سلك جمعية الأمم يوم ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٢ فدخل بذلك فى زمرة الدول المستقلة وأقام صلاته مع الدول المجاورة له على قاعدة الصداقة والولاء وأنشا جيشا قويا وهو ينفذ برنامجا واسعا للاصلاح الداخلى يبشر بنهضة طيبة مباركة . ومعنى ذلك ان الخطر الاستعمارى الذى كان يهدد العراق قبل الثورة زال وحل محله أمل باسم ورجاء كبير بالدولة الجديدة الناهضة

ولقد فصلنا فى هذا الجزء أخبار القضية الفلسطينية تفصيلا وأسهبنا فى الكلام عن الأخطار التى يستهدف لها هذا الاقليم من اطلاق الهجرة اليهودية ومن انطلاق يد اليهود فى امتلاك الأراضى وقلنا ان سكانه العرب غير قادرين بمفردهم على مقاومة يهود العالم جملة وقد تعاهدوا واتحدوا على استصفاء فلسطين وانشاء دولة يهودية فى ربوعها يؤيدهم الانكليز ويشدون أزرهم

ولا يظن ظان أن الحالة فى بلاد الشام أفضل مما هى فى فلسطين وأن سكان تلك البلاد فى نجوة من خطر الفناء والانقراض يهدد جيرانهم واخوانهم وأبناء عمومتهم الفلسطينيين فقد شهر الاستعمار الفرنسوى حربا عوانا على القومية العربية وهو يقاتلها ويعمل لاستئصالها بالأسلحة الآتية :

١ ــ سلاح التجزئة : جزء الاستعمار الفرنسوى سورية الى خمس دول ضرب بينها الحواجز والاسداد فأقام (١) دولة مسيحية فى لبنان الكلمة العليا فيها للمسيحيين وان كان المسلمون لا يقلون عنهم عددا ولا يسأل المسيحيون عن هذا ولا يلامون فالاستعمار الفرنسوى هو الذى أقام هذه الدولة وأنشأها ضاربا بآراء الأكثرية المطلقة من سكانها الذين يلحون بالانضمام الى سورية عرض الحائط . ولا يخفى أن كثيرين من عقلاء المسيحيين فى لبنان جاهروا بان فى بقاء هذه الدولة خطرا يهدد المسيحيين من سكانها بما يولده من ضغائن ودعا الى الغائها وارجاع لبنان الى ما كان عليه فى العهد العثمانى فى دائرة الوحدة السورية فلم يأخذ الفرنسويون بقوله (٢) وأنشأوا حكومة العلويين فى الشمال وسودوا

فيها اتباع المذهب العلوى (النصيرية) مع انهم لايزيدون عن نصف السكان ولا يزال سوادهم على الفطرة وعدد الذين يعرفون القراءة والكتابة بينهم محدود . والغاية من هذا التدبير هو اضعاف عصبية المسلمين السنيين فى تلك البلاد واذلالهم فقد أقصوهم عن الوظائف الا قليلا وجعلوها وقفا على الشبان العلويين والمسيحيين فأصبح المسلمون و يؤلفون ٤٠ فى المئة من مجموع السكان و يملكون نحو ٣٠ فى المئة من الأراضى بحالة يرثى لها من الفقر والفاقة (٣) وأنشأوا فى لواءاسكندرونة حكومة مستقلة ذات دستور خاص واعترفوا بالتركية لغة رسمية لتلك الحكومة ومكنوا للترك فيها والغاية من ذلك جلية واضحة وهى اضعاف العصبية العربية ففى انطاكية مدرسة ثانوية (تجهيزية) تدرس باللغة التركية وهم يعملون على اضعاف العربية ليسيطروا على البلاد

(٤) وأنشأوا فى جبل الدروز حكومة درزية مستقلة فصلوها على دمشق وقطعوا كل اتصال بينهما فلا يجوز لدمشقى أن يدخل الجبل ولا لدرزى أن يهبط دمشق الا بتصريح خاص صادر من السلطة الفرنسوية فى الجبل والقصد من ذلك بث الروابط الاقتصادية والاجتماعية والقومية التى تربط قطرين عاشا متحدين من فجر التاريخ

(٥) وأنشأوا فى داخلية سورية حيث الأكثرية المطلقة للمسلمين العرب جمهورية جردوها من كل قوة ونفوذ واستعانوا بالمهاجرين من أبناء الأقليات الأجنبية لاضعاف الأكثرية العربية فجاءوا بالأرمن الذين طردهم الترك من كيليكية فأنزلوهم فى حلب والجزيرة الفراتية و بعض الانحاء الأخرى كما جاءوا بالشراكسة المنبوذين من تركيا الكمالية فأنزلوهم فى القنيطرة وحمص وأتوا بالاشوريين والنساطرة والسريان المطرودين من العراق وتركيا فانزلوهم فى الجزيرة الفراتية أيضا وهكذا فهم يملأون البلاد بهؤلاء المنبوذين الذين يصبحون كلا عليها لاستخدامهم فى مقاومة الأكثرية عند الحاجة كما حدث فى أثناء الثورة فقد جندوا مالا يقل عن أربعين ألفا من أبناء هذه العناصر وحشدوها لمقاتلة الثوار فتلف منها نحو النصف على الأقل . وكانوا كلما هلك منها فوج جاءوا بفوج آخر

٢ ـ سلاح الافقار ـ ولقد أدت هذا التجزئة بطبيعتها الى زيادة النفقات زيادة

استغرقت أموال الميزانيـة فعمدت السلطة الى زيادة الضرائب زيادة أرهقت الناس .
وتناولت فيما تناولته الضريبة الجركية فارتفعت من ١٤ فى المئة وقد كانت تجبى حتى ختام العهد التركى ١١ فى المئة الى ٢٥ فى المئة ثم زادتها الى ٤٠ و٥٠ وهى تجبى الآن على هذا المعدل وقد ترتفع الضريبة فى بعض المواد الى ٧٠ و٨٠ فى المئة وطالما شكى التجار السوريون من هذه الحالة المرهقة وطالما طرقوا أبواب السلطة الفرنسوية لانها هى المسيطرة على مصلحة الجارك طالبين تخفيض هذه الضريبة لما تلحقه من عظيم الضرر بتجارتهم فلم يلقوا اهتماما

وارتفعت ميزانيـة النفقات فى سورية من خمسـة ملايين لـيرة سورية فى ختام العهـد التركى الى ٣٢ مليون ليرة سورية فى العهد الحاضر وكان عـدد الموظفـين فى سورية زمن العهد التركى لايزيد عن ألف موظف فارتفع فى العهد الحاضر الى ١٨٢٢٣ موظفا (١)

وما كان عدد الموظفين الترك فى سورية يزيد عن خمسين موظفا يتناولون رواتب ضئيلة مقابل ٥٠٠ موظف فرنسوى اليوم يتناولون رواتب باهظة ضخمة من أموال البلاد عدا الامتيازات الأخرى التى يتمتعون بها من اجازات سنوية وأجور منازل وأسفار وغير ذلك ولا يدخل فى هذا الاحصاء ضباط الجيش ولا يقلون عن الألف على اختلاف الرتب وتدفع سورية مبلغا سنويا مقطوعا للجيش الفرنسوى قدره ٤٧٥٠٠٠٠ ليرة سورية

ولعل أفضل مايصح الاستشهاد به على سوء الحالة الاقتصادية وتدهورها التقرير الذى وضعته الهيئة الاقتصادية التى انتخبها المـكلفون فى دمشق يوم ٢٧ مارس سـنة ١٩٣٤ وسلمته الى المفوض السامى الفرنسوى وقد جاء فيه أن سورية استوردت فى خلال المدة المنقضية من سنة ١٩٢٠ أى منذ الاحتلال الفرنسوى حتى سنة ١٩٣٣ من البضائع ماقيمته ٦٨٢ و ٧٩٠ و ١٤٧ جنيها عثمانيا ذهبا وأصـدرت فى خـلال هـذه المدة ما قيمته ١٥٠ و ١٦٨ و ٥٢ جنيها عثمانيا فيكون الفرق بين الصادر والوارد هو ٧١٢ و ٩١١ و ٩٤ جنيها عثمانيا خسرتها البـلاد من ثروتها المـدخرة وقد كادت أن تنفـد تقريبا وتعانى

(١) أخذت هذه البيانات من تقرير اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى بمصر الى جمعية الأمم عن الحالة السياسية والاقتصادية فى سورية لسنة ١٩٣٣ وهو بقلم مؤلف الـكتاب

شر أزمة اقتصادية عرفتها فى تاريخها وقد بدأ تجارها وصناعها بالهجرة الى الأقطار المجاورة بعد ما سدت أبواب العمل أمامهم فى داخل بلادهم

٣ ـ سلاح التعليم ـ وقبض الاستعمار الفرنسوى على عنق التعليم ويعمل على (فرنسة) الناشئة والقضاء على اللغة العربية والثقافة العربيـة وكل ما هو وطنى وقومى . فالتعليمان الأولى والابتدائى يجريان باللغـة الفرنسوية وحدها فى جبـل الدروز وفى بلاد العلويين وفى لواء الجزيرة والفرات من الوية الدولة السورية وفى لواء اسكندرونة المستقل وفى الجمهورية اللبنانية . ويتولاه ويشرف عليه موظفون فرنسويون ويشترك فيه بعض المعلمين المتفرنسين من اللبنانيين . ومما يؤسف له أن السلطة العسكرية الفرنسوية لاتتورع عن استخدام بعض هؤلاء المعلمين فى مهنة الجاسوسية ـ كما وقع فى جبـل الدروز بعهد الكبتن كرابيه فاعتدت بذلك على قدسية التعليم ودنست حرمته

ويجرى التعليم الأولى والابتدائى فى منطقة دمشق وحـدها باللغة العربية ويحمل التلاميذ الصغار على تعلم اللغة الفرنسوية الى جانب لغتهم العربية ويدرسون اللغة الفرنسوية بعناية زائدة ولا يمكن لتلميذ أن ينتقل من صف الى صف مالم يضرب بسهم وافر فى هـذه اللغة والتعليم الدينى الاسلامى فى مدارس الجمهورية السورية ضعيف وهومفقود من مدارس الحكومات الأخرى ويعنون عناية خاصـة بحماية مدارس المبشرين المسيحيين ورعايتها ويمنحونها الامتيازات وقد سهلوا للمبشرين سبيل العمل فى البلاد السورية كلها وخصوصا فى جبال العلويين حيث الشعب لا يزال على الفطرة فهم يعملون بجد ونشاط على تنصير هـذه الطائفة واخراجها من دينها وعقائدها (١)

(١) أقلقت هـذه الحركات زعماء العلويين ورجالهم فعقدوا يوم ١٨ ابريل سنة ١٩٣٣ مؤتمرا لمعالجتها فى قرية بيت الشيخ يونس من أعمال صافيتا احتج بشدة على أعمال المبشرين وتصرفاتهم وأرسل البرقية الآتية الى المفوضية الفرنسوية والى جمعية الأمم :

« نحن الزعماء العلويين الدينيين والسياسيين نرفع اليـكم وبواسطتـكم الى جمعية الأمم احتجاجاتنا على أعمال التنصير القائمـة فى جبالنا والمستندة عـلى تغرير وتضليل القـرويين السذج والتى من شأنها أن تفسد الألفة بين أبناء الوطن مما يعود على البلاد بما يضرها ويسوءها »

وكثرة الحانات في البلاد السورية كثرة تستوقف الانظار ولو جرى احصاء دقيق للقارنة بين عددهذه الدور في العهد العثماني القديم و بين عددها اليوم لكان الفرق عظيما . وبديهي أن الغاية من ذلك كله هي افساد الأخلاق القومية ونشر التفرنج والتخنث وقتل الرجولة في صدور النشء الجديد

وهنالك أيضا سلاح رابع وهو سلاح الغرامات المالية فقد جرى الفرنسويون من ابتداء نزولهم سورية على فرض غرامات مالية باهظة مقرونة في أكثر الأحيان بتقديم كمية من الأسلحة يضربونها على كل قرية أو مدينة أومقاطعة لاتنقاد اليهم . ومع أننا لا نملك احصاء دقيقا عن مقدار الغرامات التي جمعت الا أننا نعتقد بانها لاتقل عن عشرات الملايين من الفرنكات تسرب معظمها الى جيوب الضباط الفرنسويين الذين فرضوها أوجمعوها أو تولوا جمعها وذهب الباقي الى صندوق الجيش الفرنسوي ويجب الاعتراف أيضا بأنهم أساؤا استعمال جباية هذه الغرامات كثيرا واتخذوها وسيلة للسلب والنهب وابتزاز الأموال وخربوا بيوت الفلاحين

ولما طغى سيل هذه الغرامات سأل أحد نواب لبنان الحكومة اللبنانية عن مصير هذه الغرامات التي تفرض وتجبى بمعرفة السلطة فرد عليه مندوب الحكومة يوم أول اكتوبر سنة ١٩٢٦ بأن المفوض السامي قد عمل على توطيد الامن في لبنان بموجب الحق المخول له بالمادة الثانية من صك الانتداب متخذا الوسائل التي رآها ضرورية

واستفحل شر هذه الغرامات في زمن الثورة وتفننوا في فرضها وجمعها

وقد جاء في قرار رسمي وضعه المفوض السامي لتنظيم طرق طرح هذه الغرامات في شهر فبراير سنة ١٩٢٦ ما يأتي :

لا تفرض الغرامات على أهل القرى والمدن الذين يشتركون في الثورة الا بقرار من مندوبي المفوض السامي اللهم الا في مناطق الأحكام العسكرية فانها تفرض من القائد في تلك المنطقة وفي المناطق التي تكون فيها الأعمال العسكرية فان القائد العام القائم بالأعمال يفرضها اذا كان ماذونا من مندوب المفوض

وهذه الغرامات تكون مالية وتستوفى ذهبا ويمكن أن تفرض غرامات ارزاق اذا كان ينبغي دفعها سريعا

ونشر قلم المطبوعات فى دمشق بلاغا رسميا فى صحفها يوم ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٦ أصدره قائدالمنطقة العسكرى هذا نصه :

«ان بعض القرى فى الغوطة أو بعض الأحياء فى المدينة تقع تحت طائلة الغرامات النقدية ويمكن أن تصبح عرضة لتدابير الاخضاع فى حالة عدم الدفع . ولما كانت هذه التدابير الاخضاعية تجرى بدون أى انذار سابق وبحال عدم الوفاء فان الجنرال قائد المنطقة يدعو فى الحال السلطات السورية المحلية ذات العلاقة الى أن تخرج فى الوقت المناسب النساء والشيوخ والأطفال لأن الحاكم العسكرى لا يقبل بعد هذا الاعلام أية مسؤولية حتى أدبية عن الكوارث التى يمكن أن تقع »

ويجب أن لاننسى ماجرى من المآسى أثناء عملية جمع السلاح من لبنان فى خريف سنة ١٩٢٣ فقد جمعوا نحو عشرة آلاف بندقية من الشوف وحاصبيا وجزين ومرجعيون وراشيا والبقاع وجمعوا أكثر من عشرة آلاف جنيه غرامات . ولما جاء الجنرال سرايل الى بيروت فى سنة ١٩٢٥ واطلع على تفاصيل ماجرى من الفظائع حين جمع السلاح أعاد جانبا من الأموال التى جمعت الى أصحابها البائسين

***

بمثل هذه الأساليب وأشباهها يحارب المستعمرون الفرنسيون الروح الوطنية فى سورية ويعملون للقضاء على القومية العربية والآثار العربية ، فمثلهم من هذه الناحية مثل اليهود فى فلسطين الذين يجبرون سكان القرى من الفلاحين على تدمير بيوتهم ومقابرهم ومساجدهم بأيديهم حينما يبتاعون منهم قراهم . والفرق بين اليهود والمستعمرين الفرنسويين أن أولئك يطبقون برنامجهم فى القرى والمزارع الصغيرة وعلى منوال ضيق محدود اما هؤلاء فيطبقونه على الأمة برمتها مستعينين على ذلك بكل ما يملكونه من وسائط مادية وتشريعية ونظامية ومالية ومعتمدين على السيف والمدفع فقد قدر ما أنفقوه على تجهيز الحملات العسكرية التى أرسلت الى سورية لتدويخها بعشرة مليارات من الفرنكات الفرنسوية [1] . ونحن نورد هنا جدولا رسميا لنفقات فرنسا العسكرية من

(١) قال الجنرال اندريا قائد دمشق وجبل الدروز يوم ١٤ يناير سنة ١٩٢٦ لصحافيي دمشق ان فرنسا أنفقت فى سورية ثمانية مليارات وخسرت كثيرا من أبنائها.

سنة ١٩١٩ أى من أول احتلالها حتى سنة ١٩٢٣ يحسن أن يقاس عليه : -

سنة	١٩١٩	٧٨	مليون فرنك
«	١٩٢٠	٥٦٤	« «
«	١٩٢١	٧٤٠	« «
«	١٩٢٢	٤٠٠	« «
«	١٩٢٣	٢٦٠	« «

ومجموع ذلك ٢٠٤١ مليون فرنك . وأنفقت فى خلال هذه المدة ٤٠٠ مليون فرنك على سلاح الدفاع البحرى و٣٦٥ مليون فرنك على المصالح الادارية ومجموع ذلك ٢٨٠٦ ملايين من الفرنكات يضاف اليه خمس مليارات أخرى من سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٢٨ على أننا لا ننكر أن نفقات فرنسا قلت منذ سنة ١٩٢٩ فهى تنفق الآن على جيشها وعلى المصالح الملكية فى سورية مبلغ ١٢٠ و ٦٠٠ و ٣١٥ فرنكا سنويا كما جاء فى بلاغ رسمى نشر سنة ١٩٣٢ ولسنا فى حاجة الى القول ان الفرنسويين ما كانوا فى حاجة الى انفاق مثل هذا المبلغ فى كل عام والى أنفاق المليارات التى أنفقوها لو انصفوا السوريين وجلوا عن بلادهم

ويسلم الباحث المنصف معنا بعد هذه البيانات بأن مستقبل سورية لا يبعث على الارتياح وبابها فى حالة لا تقل سوءا عن حالة شقيقتها فلسطين ويسلم أيضا بأننا على حق فى دعوتنا ـ الشعوب العربية الى التكاتف لانقاذ هذين القطرين وان كنا لا ننكر بأن هنالك عددا غير قليل من الفرنسويين الأحرار ينكر على المستعمرين من أبناء قومهم أساليبهم وينادى بوجوب انصاف سورية ومنح السوريين حقوقهم ومثل هؤلاء مثل بعض أحرار الانكليز الذين يعطفون على فلسطين ويؤيدونها وغنى من البيان ان هذا العطف المجرد لا يكفى فلا بد من السعى عند الحكومتين الانكليزية والفرنسوية لحلهما على تعديل خططهما فى هذين القطرين قبل ضياع الوقت

وخلاصة القول اننا مع اعترافنا بالتقدم العظيم الذى أدركته القضية العربية فى خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة سواء فى داخل الجزيرة حيث قضى على الحكم الاقطاعى وقامت مقامه حكومة فتية قوية أم فى العراق وقد نشأت دولة مدنية راقية يعقد

العرب عليها أطيب الآمال أم فى شرق الأردن وتتحسن حالة الامارة تدريجا وسواء بانتشار فكرة الوحدة بين شباب العرب فى الأقطار العربيـة كلها من خليج فارس حتى المحيط الاطلسى فاننا نعتقد بأن فى مقدمة واجبات الحكومات العربية المستقلة والهيئات العربية ذات الشأن العمل لانقاذ فلسطين وسورية لأن خروجهما من يد العرب وتغلب العناصر الأجنبية عليهما كارثة قوميـة لا تعادلها كارثة ولا تعوض بأى فوز يدركه العرب فى ناحية أخرى

. ولا بد من مضاعفة السعى والجهود لنشر فكرة الوحدة العربية وتعميمها بين شبان العرب فى الأقاليم والبلدان التى ينطق أهلها بالضاد وانشاء جمعيات منظمة قوية فى كل حاضرة من حواضرهم وفى كل عاصمة من عواصمهم واقليم من اقاليمهم تستقل فى اقليمها وترجع الى جمعية رئيسية عليا تدير حركة الوحدة وتنظمها وتشرف عليها

القاهرة فى ٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ و ٢٠ يونيو سنة ١٩٣٤

ملاحق الكتاب

— ١ —

أسماء الذين اشتركوا فى الثورة السورية من السياسيين والذين نفوا وأبعدوا وماتوا فى سبيلها

الذين اشتركوا فيها : الدكتور عبد الرحمن الشهبندر . نسيب البكرى . حسن الحكيم . سعيد حيدر . جميل مردم بك . رشيد طليع [1] الأمير عادل ارسلان

الذين نفوا أوسجنوا فى سبيلها : فوزى البكرى . سامى البكرى . مظهر البكرى . عثمان شراباتى . توفيق شامية . عمر الطيبى . فارس الخورى . فوزى الغزى . بدر الدين الصفدى . سعد الله الجابرى . حسنى البرازى . لطفى الحفار . هاشم الاتاسى . شكرى الجندى . وصفى الاتاسى . احسان الشريف . خالد الشلق . الأمير أمين ارسلان . اسعد حيدر . حسن حيدر . مهدى حيدر . مصطفى خليل حيدر . يوسف حيدر . أحمد مهدى حيدر . عباس ياغى . محمد حسن شومان . حسين قنواتى . وصفى الاتاسى . الدكتور عبد الرحمن الكيالى . الشيخ محمد الزعل شيخ قرية المسيفرة فى حوران . محمد ديب الحريرى شيخ قرية الحراك . فخرى البارودى . عبد الحميد كرامى . الدكتور عبد اللطيف البيسار . عارف الحسن . عارف الرفاعى وغيرهم

أسماء الذين أعدموا شنقا فى سبيلها

أعدم فى دمشق شنقا يوم ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ رشيد الكردى من حى الشاغور ومحمد الكردى من حى العمارة ومحمود خرنوبى من قبر عاتكه وتوفيق لطف من حى الخراب وعبد الرحمن الأزعر من حى قبر عاتكه . وأعدم أيضا فخرى نجل حسن الخراط وأعدم آخرون فى بيروت

---

(١) توفى المرحوم رشيد على أثر مرض أصابه فى جبل الدروز فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٦

— ٢ —

أسماء الضباط الذين اشتركوا فى الثورة

فؤاد سليم . يحيي حياتى . زكى الدروبى . سعيد العاص . فوزى القاوقجى . صادق الداغستانى . مصطفى وصفى . محمود حمدى السمان . آصف السفرجلانى . زكى الحلبى . عبد الله التركى . جميل البابا . عبد الكريم المدفعى . مظهر رسلان . واصف عمر باشا . فؤاد رسلان . ابراهيم أبو مصلح . ابراهيم عبد العال . شوكت العايدى . أحمد الملا ابو تركى سرحان . الشيخ خطار ابو هرموش . سعيد اليمانى . صادق المغربى . عبد القادر مليشو . مظهر السباعى . ابراهيم صدق . حسين المدفعى . خير الدين اللبابيدى (الطيار)

أسماء الذين استشهدوا منهم

فؤاد سليم . زكى الحلبى . شوكت العايدى . محمود حمدى السمان . مظهر السباعى فؤاد رسلان . سعيد اليمانى . صادق المغربى . ابراهيم أبو مصلح . ابراهيم عبد العال . ابراهيم صدق . أحمد الملا . أبو تركى سرحان . الشيخ خطار أبو هرموش . صادق المغربى حسين المدفعى

أسماء الأطباء الذين اشتركوا فى الثورة

خالد الخطيب وعلى الشواف وأمين رويحه وتوفيق القصيباتى ومدحت شيخ الارض ومنير شيخ الارض

— ٣ —

أسماء الشبان الذين اشتركوا فى الثورة

فائق العسلى . صبرى العسلى . حكمت العسلى . عبد اللطيف العسلى . نسيب شهاب الأمير عز الدين الجزايرى . نزيه المؤيد . ياسين الخانجى . عادل الحامدى . الأمير احمد الشهابى . سعد الدين المؤيد . مصطفى العظم . مصطفى حيدر . حسين حيدر . صالح سلو عبد القادر القواص . شفيق الركابى . زكى الركابى . سعيد الترمانينى . منير الريس . زكى المرادى . محمد على الدروبى . سليمان المعصرانى . صبرى فريد البديوى . جميل شاكر .

علاء الدين الكيلانى . فائق الكيلانى . توفيق الحلبي . زكي المرادى . شفيق عمر باشا . شوكت البسطامي . صبرى الخطيب . عمر عمر باشا . سعيد الزعيم . زكي الشربجي . احمد مريود . شاكر العاص . مؤيد شرف . مهدى قزيها . نديم الرفاعي

أسماء شهدائهم

فائق العسلى . حكمت العسلى . عادل نكد . الأمير عزالدين الجزايرى . سعد الدين المؤيد . محمد على الدروبي . علاء الدين الكيلانى . فائق الكيلانى . توفيق الحلبي . زكي الشربجي . عمر عمر باشا . احمد مريود . مؤيد شرف . مهدى قزيها . شوكت البسطامي . نديم الرفاعي . زكي المرادى . زكي الشربجي

— ٤ —

أسماء العصابات ومقرها وعددها وأسماء رؤسائها

لايمكن وضع احصاء حقيقي للعصابات التى اشتركت فى الثورة فقد كان لكل حي من أحياء دمشق عصابة أوعصابتان أو أكثر تضم أبناءه وكانت كثيرا ماترابط امام الحي نفسه للدفاع عنه فكانت عصابات الميدان مثلا ترابط فى جهات الميدان ومثلها عصابات الشاغور والعمارة والاكراد . وحذا سكان الغوطة حذو أبناء الأحياء فكانت لكل قرية عصابة أو أكثر من أبنائها يقودها أحدرجالها المتصفين بالشجاعة والاقدام مهمتها فىالدرجة الاولى للدفاع عن قريتها والقتال فى سبيلها والاشتراك فى الحركات العامة

ونذكر ماعرفناه من أسماء العصابات وعدد رجالها وقادتها ومراكزها :

١ ـ عصابات الميدان ـ كانت هنالك عدة عصابات من أبناء هذا الحي اشتهرت من بينها عصابة عبد القادر سكر وعصابة اسماعيل المهايني وعصابة عبد الغنى ابو نجيب وعصابة محمد الدرخبانى وعصابة الاشمر

٢ ـ عصابة الشاغور ـ بقيادة حسن الخراط وحسن المقبعة (استشهد الاثنان فى الدور الاول من أدوار الغوطة فحل محلهما حسن الزيبق)

٣ ـ عصابة العمارة بقيادة أبو عجاج الشيخ

— ٧ —

أسماء زعماء الدروز وشبانهم الذين استشهدوا فى الثورة

الأمير حمد الأطرش وحمد البربور وحمد الصحناوى وحمد عامر وحمد النبوانى وسليمان العقبانى وسليم المغوش وفرحان شرف وفضل الله الهنيدى وكامل حاطوم ومحمد على الأطرش ومحمد كنج أبو صالح ومحمود البربور ومحمود حسن صعب ومحمود كنج ومصطفى الأطرش ومعدى المغوش وناصيف الناصيف ونايف شلغين ونايف عبيد ونسيب الأطرش ونعمان زاكى

— ٨ —

عدد القرى والمنازل التى دمرت فى أثناء الثورة

مع بيان تقريبى لعدد الذين ماتوا وقتلوا بسببها

لا يوجد احصاء رسمى يستند اليه فى ايرد أسماء القرى والمدن التى دمرت أو أحرقت فى أثناء الثورة ولذلك نكتفى بنشر بيان تقريبى موجز وضعناه لها اعتمادا على المعلومات الخاصة التى جمعناها

١ — أسماء المدن التى ضربت

دمشق وحماه والسويدا وراشيا وحاصبيا ومرجعيون والنبك

٢ — أسماء القرى التى ضربت ودمرت

يضيق المقام عن أسماء القرى التى دمرت أو حرقت فهى كثيرة جدا ويمكن القول أنه لم تبق قرية فى الغوطة وجبل الدروز واقليم البلان ووادى التيم وقلمون لم تدمر أو تحرق

٣ — بيان عن الذين ماتوا أو قتلوا فى أثناء الثورة

يقدر عدد الذين ماتوا أو قتلوا بسبب الثورة أو بسبب أعمال الحريق والتدمير من النساء والأطفال والشيوخ والرجال بخمسة عشر ألفا يضاف اليهم مثلهم استشهدوا فى الحروب والمعارك التى دارت مع الجيش الفرنسوى

٤ — الخسارة المالية

يقدر ماخسرته سورية ماليا فى الثورة بخمسة ملايين جنيه بما فى ذلك أثمان الدور والمنازل التى احترقت ودمرت فى دمشق وحماه وكان بعضها يحتوى على غالى التحف والنفائس مع الاسواق التى نهبت

— ٩ —

بيان عن عدد القوات الفرنسوية التي كانت

تقاتل الثوار وأسماء القواد

لم يكن عند الفرنسويين من القوى العسكرية حين اعلان الثورة ما يزيد عن عشرة آلاف مقاتل فقدوا جانبا غير قليل منها فى المعارك الأولى . على انهم ما لبثوا أن سدوا النقص الواقع فى صفوفها بنجدات جاءتهم من فرنسا وتتابع بعد ذلك وصول النجدات حتى بلغ عدد الجنود التى وردت بطريق البحر نحو ثمانين ألفا معظمهم من السنغاليين وأبناء افريقية الشمالية والصينيين

تجنيد أبناء الأقليات الدينية والعنصرية من السوريين

واستعان الفرنسويون بأبناء الأقليات الدينية فجندوا نحو ثلاثين ألفا من شبانها ألفوا منها كتائب خاصة بقيادة ضباط فرنسويين لقتال الثوار وكانوا يسددون نفقاتها من أموال سورية وهذا بيان عنها :

١٠٠٠٠ شركسى

١٠٠٠٠ أرمنى

٤٠٠ نصيرية واسماعيلية

١٥٠٠ يزيدية

١٥٠٠ بدو عكيل

٢٠٠٠ دروز

٢٩٠٠٠

وكانوا يجندون بدلا من الذين يقتلون من أبناء هذه الكتائب

فاذا أضفنا هذا المجموع الى رقم الجنود التى وصلت من البحر بلغ المجموع مئة وعشرة آلاف جندى اشتركوا فى قتال الثوار السوريين

توزيع هذه القوات

وكانت هذه القوات موزعة كما يأتى :

١٥٠٠٠ دمشق

١٢٠٠٠ جبل الدروز

٥٠٠٠ رياق

٢٠٠٠ شتورة

٥٠٠٠ قلمون

٥٠٠٠ الاقليم

٤٠٠٠ حوران

٥٠٠٠ طرابلس وحمص وحماه

٥٠٠٠ بعلبك

١٠٠٠ بلاد الشمال

٥٠٠٠ بيروت

أسماء القواد الفرنسويين

كانت القيادة العليا للجنود الفرنسوية بعهدة الجنرال غاملان وكان هنالك ست قواد برتبة جنرال يعملون تحت امرته فى المناطق الآتيـة : الجنرال فاليير فى منطقة دمشق

والجنرال اندريا فى جبل الدروز والجنرال مارتى فى حمص وقلمون والجنرال سوليه فى لبنان والجنرال بيلوت فى الشمال . وكان هنالك عـدد كبير من كبار الضباط يعملون فى مختلف المناطق .

انضمام بعض أبناء افريقية الشمالية الى الثوار

ولا بد لنا من القول أن عددا غير قليل من أبناء الجزائر وتونس والمغرب الأقصى من المجندين فى الجيش الفرنسوى انضم الى الثوار فى أثناء الثورة وقاتل معهم وأبلى بلاء حسنا . وكذلك انضم الى الثورة عدد من جنود الفرقة الأجنبية فى الجيش الفرنسوى معظمهم من الألمان والبلغاريين وقاتلوا الفرنسويين فى صفوف الثوار

خسارة الفرنسويين فى الثورة

ويقدر عدد الذين خسرهم الجيش الفرنسوى فى الثورة بثلاثين ألف مقاتل سواء الذين جاءوا بهم من وراء البحار أو الذين جندوهم من أبناء الأقليات الدينية

استدراك وبيان

جاء فى الصفحة الاولى من المجلد الأول أن سلطان العثمانيين مزق جيش السلطان قايتباى آخر المماليك المصريين يوم مرج دابق وصوابه أن السلطان العثمانى مزق جيش طومان باى خليفة الغورى آخر المماليك . وجاء فيها أيضا أن شريف مكة وهو حسين بن أبى نمى أرسـل الى القاهرة من حمل الى السلطان كتاب بيعته وصوابه الشريف بركات لا حسين وورد فى الصفحة الثامنة اسم المنتدى العربى وصوابه الأدبى . وهنالك أغلاط لغوية ومطبعية أخرى لا تخفى على فطنة القارى الأديب

وكذلك بذلنا جهـدا كبيرا فى الحصول على صور الرؤساء والزعماء والشهداء الذين وردت أسماؤهم فى متن الـكتاب فلم نعثر الا على طائفة معظمها قديم فاثبتناها واذا كان بعضها غير واضح فما ذلك الا لقدمها ولعدم تيسر الحصول على غيرها فمعذرة مقبولة

ووقعت أغلاط مطبعية وهى مما لا يخلو منها كتاب فنوجه اليها نظر القارىء الـكريم لاصلاحها عند القراءة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

هيئة المؤتمر السوري ـ الفلسطيني في جنيف

أغسطس ـ سبتمبر سنة ١٩٢١



في الصدر الأمير ميشيل لطف الله رئيس المؤتمر . والى يمينه السيد رشيد رضا وكيل الرئيس . فالأمير شكيب ارسلان السكرتير العام . فتوفيق اليازجي مساعد السكرتير . فطعان العماد . فأمين التميمي . فنجيب شقير . فتوفيق فايد . فسليمان كنعان . والى يساره الحاج توفيق حماد وكيل الرئاسة . فجورج سالم . فاحسان الجابري . فعبلى الجمل . فصلاح عز الدين . فرياض الصلح . فوهبه العيسى

فريق من أحرار السوريين

اعتقلوا فى جزير ارواد سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣

فريق من شهداء الثورة السورية



احمد مريود — عادل ســكد — فؤاد سليم

فائق العسلي — الامير عز الدين الجزائري — الدكتور صالح قبار

الأمير حمد الاطرش — وهيب الحاي — حمد الربور

فريق من قواد الثورة السورية



نسيب البكري — الامير عادل ارسلان — مصطفى وصفي

توفيق هولو حيدر — نزيه المؤيد العظم — فوزي القاوقجي

محمد عز الدين الحلبي — علي عبيد — سعيد العاص

فريق من رجال الثورة السورية وشبانها



حسن الحكيم — جميل مردم بك — سعيد حيدر

فارس الخوري — عقله القطامى — الدكتور امين رويحه

الدكتور على الشواف — الصيدلى سليمان المصرانى — آصف السفرجلانى

فريق من رجال الثورة الثورية وشبانها



الشيخ محمد الاشمر والى جانبه جميل شاكر — عبد القادر سكر — أبو محي الدين شعبان

محمد البرخانى — صمدى فريد البديوى — سعد الترمايبى

الأمير سيف شهاب — عادل الحامدى — رسده الريس



فريق من قواد عصابات الغوطة مجتمعين



جثث المقتولين وقد عرضها الفرنسيون في ساحة الشهداء بدمشق
يوم ١٠ اكتوبر سنة ١٩٢٥



الأمير عبد الله بن الحسين



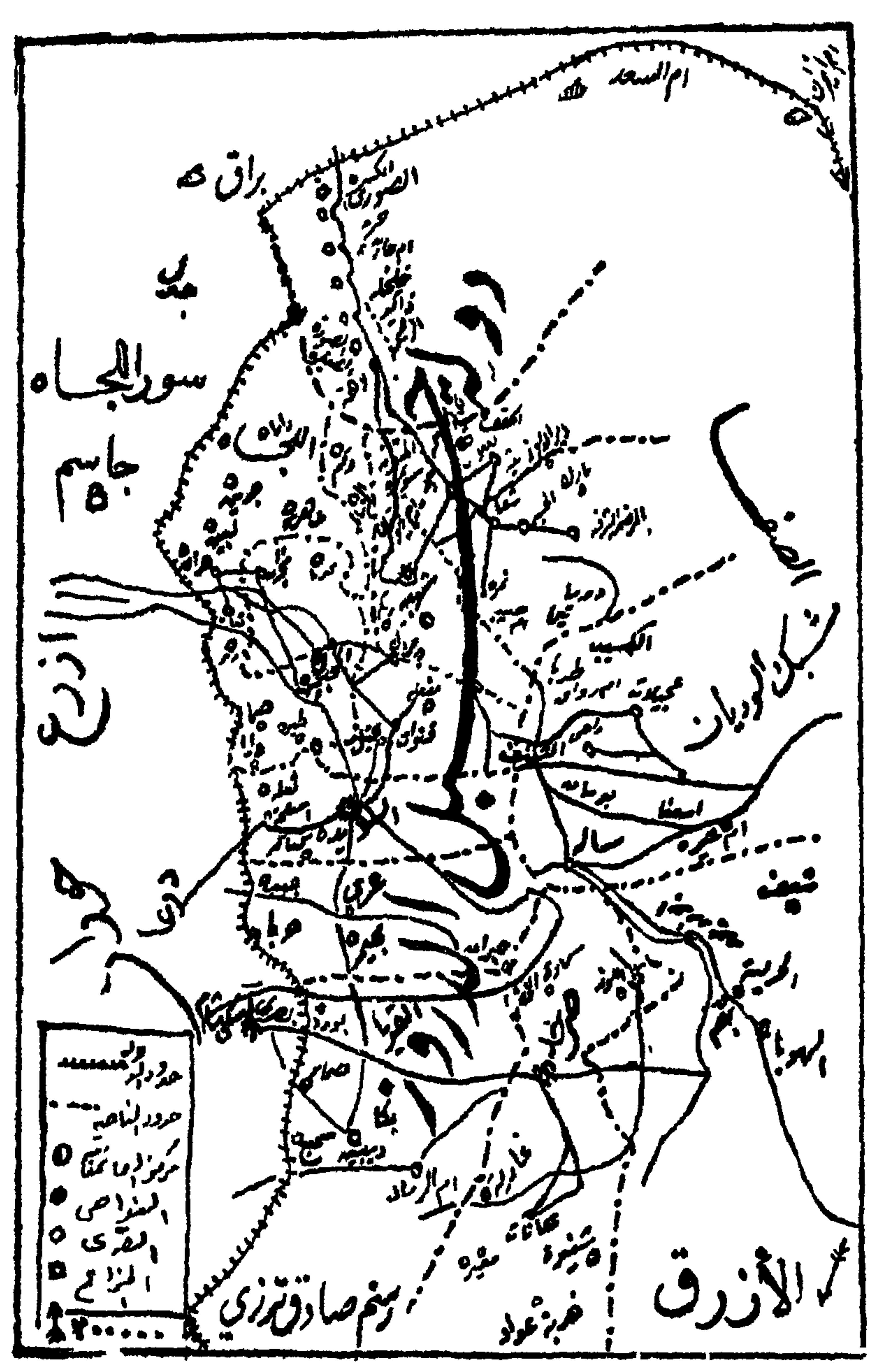
الملك عبد العزيز السعود



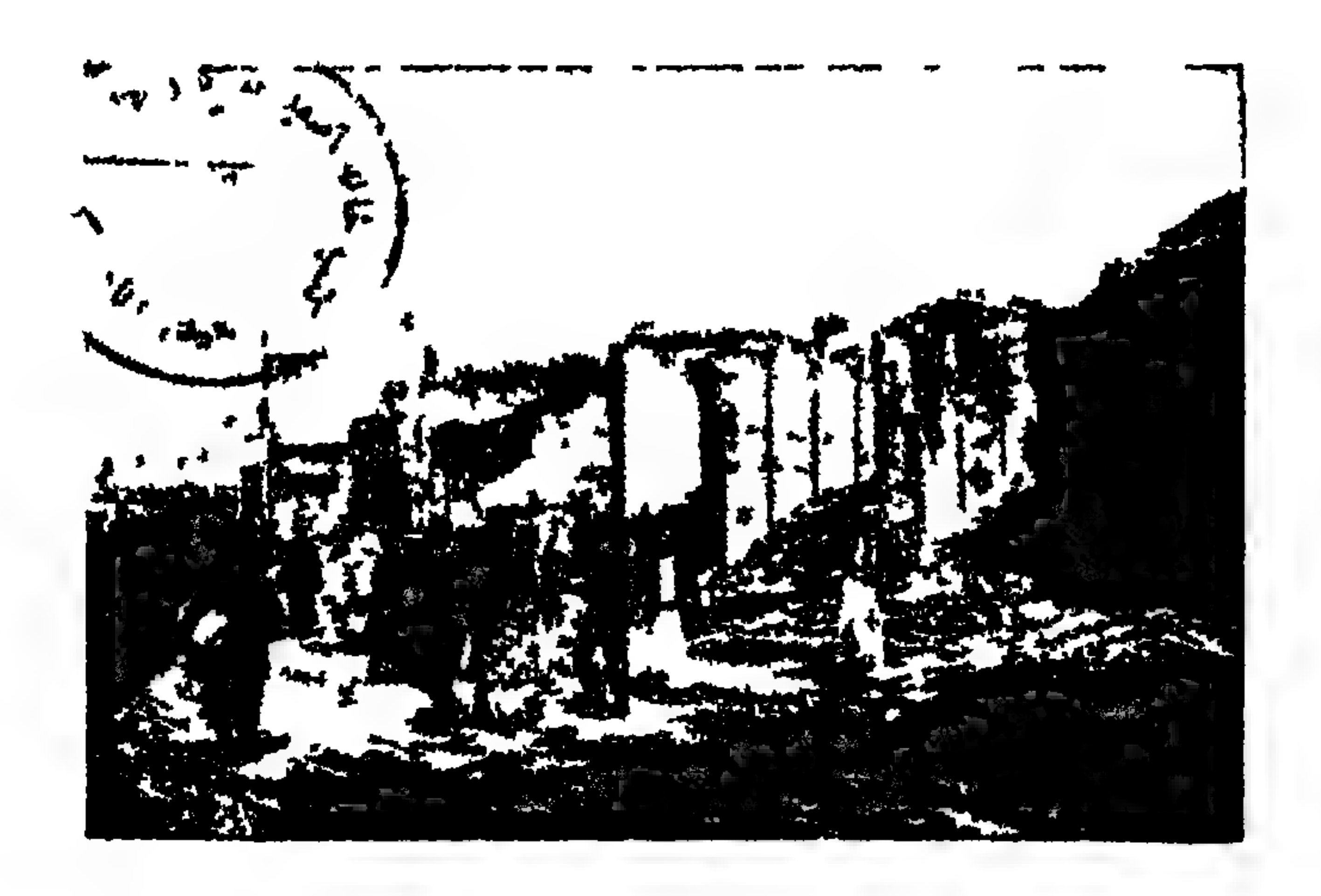
موسى كاظم باشا الحسينى



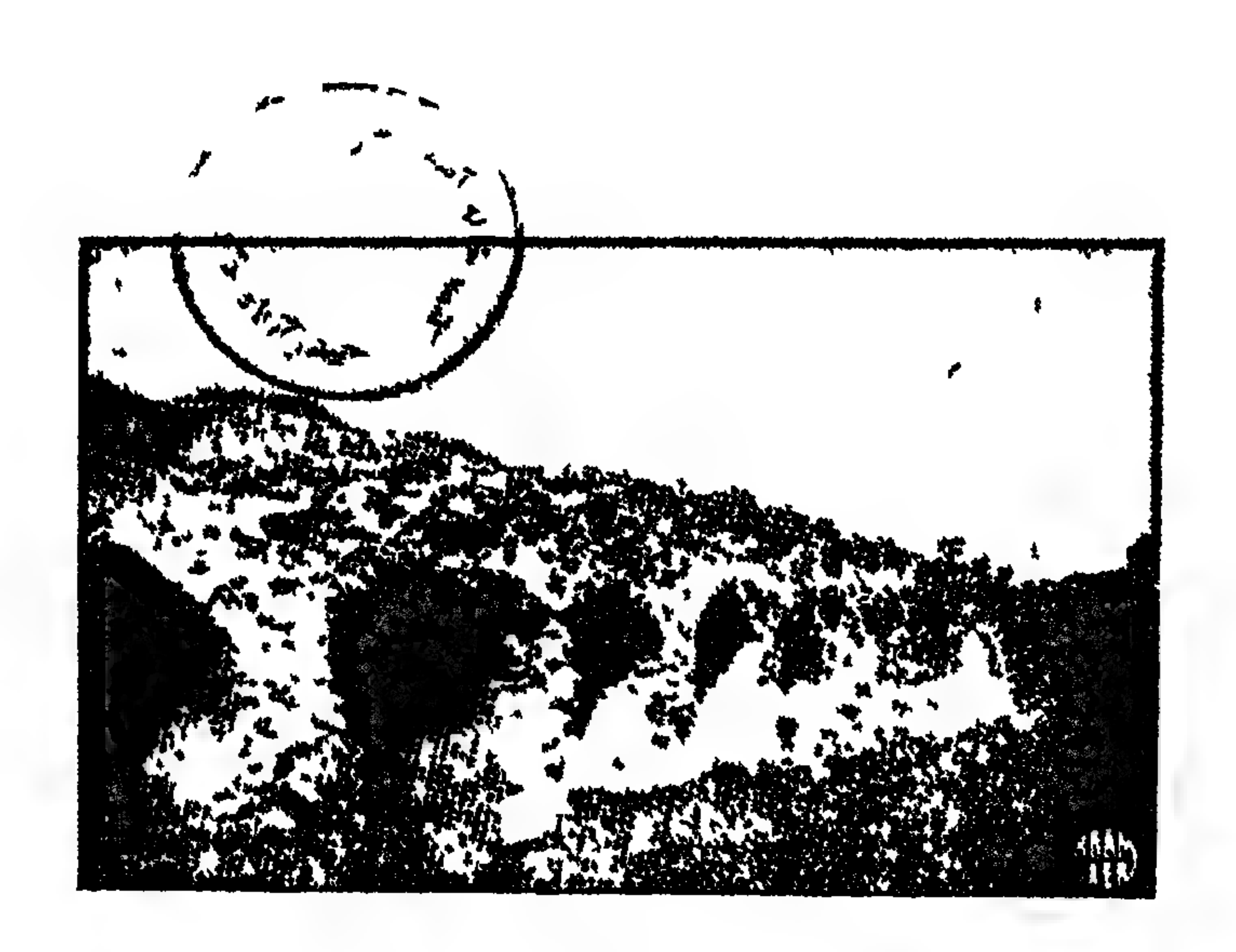
سلطان باشا الأطرش



خريطة تبين مواقع القتال فى جبل الدروز



شارع الدرويشية بدمشق بعد تدميره



أحد أسواق حماة التجارية بعد تدميرها



شارع الحرماتية فى حى الميدان بعد تدميره



قصور آل البكرى فى دمشق بعد ما دمرها الفرنسيون
فى شهر اكتوبر سنة ١٩٢٥



جثث الشهداء أمام قلعة راشيا



كوكبة من فرسان المجاهدين فى الغوطة رافعة لواء النصر



جثث القتلى محمله على الجمال ويطاف بهاوتعرض فى دمشق



مدينة دمشق محترق